المركز القومى للترجمة

جون بادن

أحمد بللو

" القيم والقيادة فى نيجيريا "

ترجمة وتقديم

صبرى محمد حسن

1504



برز أحمد بللو بصفته واحداً من كبار الناطقين باسم أفريقيا وبصفته أيضاً واحداً من كبار الزعماء المسلمين فى هذه البلاد. أحمد بللو هذا ركب موجة التحديث ونجح فى الحفاظ على كثير من القيم التقليدية الأصلية. زد على ذلك أن الكتاب يمثل الخلفية السياسية والثقافية لحياة أحمد بللو، ويحاول تسليط الأضواء على ظهور قيم الزعامة طوال انحسار الاستعمار البريطانى عن نيجيريا، ومطلع فترة الاستقلال وبخاصة فى الإقليم الشمالى فيها. من هنا، يستطلع الكتاب سبعة آفاق: أفق الأحزاب السياسية والانتخابات، وأفق الزعامات التقليدية فى نيجيريا وأفق الخدمة المدنية والجيل الصاعد، ثم أفق خطط التنمية، وأفق القضايا الدينية، وأفق القضايا الطائفية، وأخيراً أفق القيم والزعامة.

أحمد بللو

القيم والقيادة فى نيجيريا

(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1504
- أحمد بللو: القيم والقيادة فى نيجيريا (الجزء الأول)
- جون بادن
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:

Ahmadu Bello
Sardauna of Sokoto
Values and Leadership
in Nigeria
by: John N. Paden

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

أحمد بللو

القيم والقيادة فى نيجيريا

(الجزء الأول)

تـــــأليف: جـــــون بـــادن

ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بادن، جون
أحمد بللو: القيم والقيادة في نيجيريا (الجزء الأول) /
تأليف: جون بادن، ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن،
ط ١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، 2010
٧٤٤ ص، ٢٤ سم
١- بللو، أحمد، ١٩١٠ - ١٩٦٦
٢- الإسلام - تراجم
٣- السياسيون النيجيريون.
(أ) حسن، صبرى محمد (مترجم ومقدم)
٢ - العنوان ٩٢٢,١

رقم الإيداع ٢١٢٠٢ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 - 479 - 665 - 8
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

الفصل الرابع: العمل والزعامة (١٩٣١ - ١٩٤٩)

القسم الثانى: فترات ما قبل الاستقلال (١٩٤٩ - ١٩٦٠)

الفصل الخامس: الأحزاب السياسية والزعامة

الفصل السادس: الزعامة التقليدية: روابط الماضى

الفصل السابع: الخدمة المدنية وجيل الشباب: الروابط المستقبلية

الفصل الثامن: خطط التنمية

الفصل التاسع: المسائل الدينية

الفصل العاشر: دعم مجتمع الشمال

الفصل الحادى عشر: قيم وزعامة

الأشكال

الخرائط

الجداول

شكر وتقدير للتصوير الفوتوغرافى

أمكن الحصول على الصور الفوتوغرافية من وزارة الإعلام السابقة، فى شمالى نيجيريا. الأرشيف الوطنى. فى كادونا. فى نيجيريا. كما أمكن الحصول على هذه الصور أيضا من جريدة النيجيرى الجديد، التى تصدر فى كادونا فى نيجيريا. ومن محمود عطا، فى كادونا فى نيجيريــا. ومن وكالة زمو للإعلان فى إنجلترا.

مقدمة المترجم

فى عام ١٩٦٧م، جرى تقسيم نيجيريا، من الناحية الإدارية، إلى اثنتى عشرة ولاية، منها ست ولايات فى الشمال تشغل حوالى أربعة أخماس مساحة نيجيريا كلها، ويعيش فيها أكثر من نصف سكان نيجيريا، والسواد الأعظم منهم من الهوسا ومن الفولانيين؛ وفى الإقليم الشرقى توجد ثلاث ولايات؛ السواد الأعظم من سكانها من الإيبو، وفى الجنوب الغربى هناك ولايتان يسكنهما اليوروبا، وأخيرًا هناك ولاية ليجوس.

هذا يعنى أن نيجيريا فيها ثلاثة أعراق رئيسية متباينة: الهوسا، والإيبو، واليوروبا. كما يعنى أيضًا أن هناك ثلاث ثقافات متباينة ومهمة فى الوقت ذاته. وإذا كان الهوساويون والفولانيون يمثلون أكثر من نصف سكان نيجيريا ويعيشون فى الشمال، فإن اليوروبا يشكلون أيضًا جماعة إثنية من الجماعات التى تعيش فى جنوب الصحراء الكبرى. كان أبناء اليوروبا، طوال ما يزيد على قرن من الزمان، يمثلون الصفوة المتعلمة فى نيجيريا: إذ كان منهم المدرسون والكتبة وأصحاب الياقات البيضاء، لا فى نيجيريا وحدها وإنما فى الأراضى والبلدان المجاورة أيضًا. هؤلاء اليوروباويون أسهموا، عن طريق الرق والعبودية، فى ثقافة البحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية، وبخاصة فى كل من البرازيل وكوبا.

هذا ينسحب أيضًا على شعب الإيبو الذى يعيش فى الولايات الثلاث الواقعة فى الجانب الشرقى من نيجيريا. هذا الفارق فى التقدم بين كل من اليوروبا والإيبو من ناحية والهوسا والفولانيين من الناحية الأخرى، مرده إلى أن البعثات التبشيرية عندما باشرت عملها فى نيجيريا انصبت جهودها على المناطق المسيحية المتمثلة فى المناطق التى يعيش فيها اليوروباويون والإيبو، وتركوا الشمال على حاله الذى كان عليه.

فى ظل هذا التباين الإثنى والثقافى صدر كتاب "أحمد بللو" الذى يقع فى ٧٨٥ صفحة من القطع الكبير، مقسمة إلى أربعة أقسام تشتمل على عشرين فصلاً بخلاف المقدمة والخاتمة والملحق الأول والثانى. القسم الأول بعنوان: مطلع حياة أحمد بللو وحياته العلمية، ويقع فى فصلين: الفصل الثالث: التعليم والقيم (١٩٠٩ – ١٩٣١)، والفصل الرابع: العمل والزعامة. القسم الثانى: الفترات الانتقالية، ما قبل الاستقلال: ويقع فى سبعة فصول: الأحزاب السياسية والزعامة، الزعامة التقليدية: الارتباط بالماضى، الخدمة المدنية والجيل الصاعد، الارتباط بالمستقبل، خطط التنمية، القضايا الدينية، تقوية مجتمع الشمال، قيم وزعامة. القسم الثالث: بواكير الاستقلال (١٩٦٠ – ١٩٦٦): ويقع فى سبعة فصول: الأحزاب السياسية والزعامة، الزعامات التقليدية، الخدمة المدنية والجيل الصاعد، خطط التنمية، القضايا الدينية، القضايا الطائفية، القيم والزعامة، القسم الرابع: الأزمة وإعادة البناء، ويقع فى فصلين: الوفاة ورد الفعل، البحث عن الزعامة. والكتاب له ملحقان أولهما بعنوان: الموروث النيجيرى: ويضم قائمة بالمراجع والمصادر، والملحق الثانى بعنوان: الأشعار الهوسوية والأغانى الهوسوية التى وردت فى متن الكتاب.

يشتمل الكتاب أيضًا على سبعة عشر شكلاً تخدم المتن وتزيده وضوحًا، كما يشتمل الكتاب أيضًا على اثنتين وعشرين خارطة تخدم موضوع الكتاب ومتنه. والكتاب مزود أيضًا بثمانية عشر جدولاً إحصائيًا، هذا بخلاف الصور الفوتوغرافية التى تسجل مناسبات لها أهميتها فى موضوع الكتاب.

ترى لماذا اختار مؤلف الكتاب اسم "أحمد بللو" عنوانًا لكتابه، وسط هذا التباين العرقى والثقافى؟

أحمد بللو هو أول رئيس وزراء لشمالى نيجيريا، فى الفترة ما بين عام ١٩٥٤ و١٩٥٦؛ وهو أيضًا الرئيس العام لحزب المؤتمر Congress الشعبى الشمالى، واسع الانتشار فى نيجيريا. أحمد بللو تلقى تعليمه ليكون مدرسًا وإداريًا، وكان أول من حصل على لقب Sarduna(*)، فى ظل النظام الذى كان ساريًا فى إمارة سكتو Sokoto، فى ذلك الوقت. وقد اغتيل الرجل فى اليوم الخامس عشر من شهر يناير من عام ١٩٦٦ بأيدى بعض ضباط الجيش المتمردين.

(*) هذا اللقب يعنى "مستشار سكتو السياسى الرئيسى" (المترجم).

برز أحمد بللو بصفته واحدًا من كبار الناطقين باسم إفريقيا وبصفته أيضًا واحدًا من كبار الزعماء المسلمين فى هذه البلاد. أحمد بللو هذا ركب موجة التحديث ونجح فى الحفاظ على كثير من القيم التقليدية الأصيلة. زد على ذلك، أن الكتاب يمثل الخلفية السياسية والثقافية لحياة أحمد بللو، ويحاول تسليط الأضواء على ظهور قيم الزعامة طوال فترة انحسار الاستعمار البريطانى عن نيجيريا، ومطلع فترة الاستقلال وبخاصة فى الإقليم الشمالى منها. من هنا، يستطلع الكتاب سبعة آفاق: أفق الأحزاب السياسية والانتخابات، وأفق الزعامات التقليدية فى نيجيريا، وأفق الخدمة المدنية والجيل الصاعد، ثم أفق خطط التنمية، وأفق القضايا الدينية، وأفق القضايا الطائفية، وأخيرًا أفق القيم والزعامة.

إذا كانت هذه هى حيثيات اختيار عنوان الكتاب، فمن هم الذين يخاطبهم هذا الكتاب؟

الكتاب يخاطب القارئ العادى والقارئ المتخصص، كما يخاطب أيضًا العارفين بثقافة الإقليم الشمالى من نيجيريا وكذلك الغرباء عن هذه الثقافة؛ والكتاب يركز على أن قسمًا كبيرًا من الجيل الصاعد فى شمالى نيجيريا، على وجه الخصوص، يتزايد اغترابهم عن حيوات وقيم الأجيال السابقة. من هنا، يقدم الكتاب، من ناحية، خلفية ثقافية وسياسية يسهل فى ظلها فهم حياة وقيم زعيم من الزعماء، ومن ناحية أخرى يعد الكتاب محاولة لاختبار مصداقية العوامل التى تؤثر فى القيم الفردية، كما يعد، من ناحية ثالثة محاولة لتبيان مدى تغير المنظومات متعددة القيم على مر الزمن. وعلى الصعيد الأكاديمى يحاول الكتاب تحديد بعض القضايا والمفاهيم والآفاق الرئيسية.

الكتاب، فى فصوله الأولى، يحاول إعطاء نبذة موجزة عن المعالجات والمصادر وبعض المعلومات عن خلفية الخلافة التى كانت قائمة فى ولاية سكتو Sokoto فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر، نظرًا لأن هذه الخلافة كانت بمثابة الأساس المتين الذى ارتكزت عليه التطورات التى حدثت فى القرن العشرين. يزاد على ذلك أن الكتاب له ملحق هو بمثابة خلفية موجزة عن التطورات السياسية، وقائمة خلفية بالكتب التى تناولت تلك التطورات التى وقعت فى نيجيريا فى القرن العشرين.

معروف أن "الدول النامية" التى من قبيل نيجيريا، على سبيل المثال تواجه أربع قضايا مهمة هى:

١) كيف يمكن التوصل إلى منظومة واسعة، على مستوى الدولة، تنهض بأعباء الإنتاج والكفاية والعدالة؟.

٢) أهمية "العدالة الإقليمية" باعتبارها شيئًا مختلفًا عن مشكلة "العدالة الفردية".

٣) ما أهمية العوامل الثقافية والتاريخية فى عملية التنمية نفسها؟.

٤) ما دور الفرد فى التطور التاريخى؟.

وكل قضية من هذه القضايا الأربع يمكن تناولها على المستوى الفردى وعلى المستوى المجتمعى أيضًا.

بقى أن أقــول: إن مــؤلف الكتــاب جون بادن هو أستاذ كرسى للدراسات الدولية وأســتاذ العلوم السياسية فى جــامعة "نورث وسترن" North Western. وهو يشغل أيضًا منصب مدير برنامج الدراسات الإفريقية. حصل بادن على درجته الجامعية الأولى من كلية أوكسيدنتال Occidental (فى لوس أنجلوس)، ثم حصل على درجة الماجستير من جامعة أكسفورد، وحصل على درجة دكتوراه الفلسفة من جامعة هارفارد. عمل بادن أستاذًا للإدارة بجامعة أحمد بللو، كما شغل أيضًا منصب أول عمداء كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإدارية، فى جامعة بايرو، فى ولاية كنو Kano فى نيجيريا. يزاد على ذلك أنه عضو شرفى فى معهد الإدارة. وقد ألف بمفرده، وشارك أيضًا فى تأليف كتب كثيرة منها: الدين والثقافة السياسية فى كنو، وله كتاب آخر عنوانــه: التجربة الإفريقــية (أربعة أجزاء)، وله كتاب ثالث هو: إفريقيا السوداء، فضلاً عن كتب كثيرة أخرى.

صبرى محمد حسن

شكر وتقدير

لم يكن هذا المشروع ليرى النور بغير تشجيع وعون كثير من الناس فى نيجيريا. وأنا ممتن بصورة خاصة لكل من: مامان دورا Mamman Doura (المحرر السابق والمدير الإدارى فى مجلة، النيجيرى الجديد Nigerian New)، والدكتور محمود توكور Tukur (المستشار المناب سابقا فى جامعة بايرو، فى مدينة كنو)، والأستاذ الدكتور جبرين أمين (نائب المستشار، بجامعة ميدوجورى Maiduguri)، وليمان سيـــروما Liman Ciroma (رئيس لجنـــة، تاريخ الشمال)، والأستاذ الدكتور الشيخ جالادانشى Galadanci (نائب المستشار الأسبق، بجامعة سكتو Sokoto)، وعمر شنكافى Shinkafi (أحد مسئولى سكتو). كان الأستاذ الدكتور بابا على، مدير معهد الإدارة، بجامعة أحمد بللو خير معين لنا من نواح كثيرة، إضافة إلى أن صلتى بالمعهد كانت على خير ما يرام. وأنا لا يسعنى إلا أن أتقدم بخالص الشكر أيضا للدكتور سامبو جنيدو Sambo Junaidu لمساعدته لنا فى كثير من الجوانب التاريخية فى سكتو، وإلى الدكتور إبراهيم موكوشى Mukoshy على مراجعته للشعر الهوسوى، وإلى الدكتور أحمد جالنجو Jalingo فيما قدمه لنا من عون فيما يتعلق بالميراث الذى تركه أمين كانو، وأشكـــر مختار عيسى Muktar Isa بصفة خاصة على ما قدمه لنا من عون. يضاف إلى ذلك أن عددا كبيرا من الزملاء الأكاديميين تفضلوا بقراءة المخطوطة وقدموا لنا تعليقات قيمة، ومنهم الدكتور مورّاى لاست Murray Last، والدكتور بـــول إيزه Paul Izah، وجون لافرز John Lavers. وأشكر أيضا كلا من عيسى كيتا Kaito وجون سميث Smith على تعليقاتهما. وغنى عن القول أن التحليلات والآمال المرتقبة فى هذا الكتاب إنما هى مسئولية المؤلف. وأنا أتقدم هنا بالشكر أيضا للسيد جون هير Hare، وهو من أهل هودر Hodder وستوتون Stoughton، وإلى عبد الله خليل، من أهل هوداهدا Hudahuda على اهتمامهما بهذا المشروع على امتداد فترة طويلة، وأشكر أيضا لوسين ماير Lucille Mayer، من جامعة الشمال الغربى، على ما

قامت به فى تنظيم الطباعة، وإعادة طباعة المخطوطة فى ظل التوقيتات الزمنية الضيقة والخانقة. وأشكر محمد نسمارو Nasamaru على معاونته لنا فى تحديد أماكن الصور، وأشكر أيضا كل أولئك الذين قدموا لنا صورا من مقتنياتهم الخاصة.

لقيت فى نيجيريا من أناس كثيرين كرما كبيرا، وأعطونى أيضا الكثير من وقتهم. وأنا ممتن بصورة خاصة لأولئك الذين وافقوا على المشاركة فى المقابلات التى استشهدنا بها فى متن الكتاب. (وهذا نيجيرى مسلم قدم لنا تفاصيل تاريخية مهمة، على امتداد ثمانية ساعات خلال شهر الصوم) أخيرا أود أن أشكر عائلتى على تحملها غيابى لفترات طويلة، وتفهمها لأسباب هذا التغيب.

أنا أهدى هذا الكتاب إلى وحدة نيجيريا؛ إلى "أبناء وبنات أختين" (إن جاز لى استعمال مصطلحات العلاقة الفكاهية)، اعتقادًا منى بأن الفهم المتبادل إنما هو شرط مسبق للتسامح والتعاون عند الأمتين وفيما بينهما. وأنا واثق من أن كثيرا من الأحداث الواردة فى هذا الكتاب يمكن أن تكون بمثابة خلفية لحرب أهلية مؤلمة، ومع ذلك يتولد لدى انطباع وأنا فى نيجيريا باكتشاف إحساس بخفة الظل، وتصميمهم القوى، وواقعيتهم التى هى عناصر مهمة فى تشكيل المستقبل.

مقـدمة المؤلف

يخاطب هذا الكتاب كلا من القارئ العام والمتخصص؛ كما يخاطب أيضا الغرباء على ثقافة شمالى نيجيريا والعارفين بها أيضا، وذلك من منطلق أن عددا كبيرا من بين جيل الشباب فى شمالى نيجيريا يتزايد اغترابهم عن حيوات وقيم الأجيال السابقة. وتأسيسا على ذلك، يتحتم علينا توفير الخلفية السياسيـــة والثقافية التـــى يمكن أن تساعد على جعل حياة وقيم زعيم أو قائد بعينه أمرا مفهومـــا. وفى الوقت ذاته، فإن هذه الدراسة تستهدف سبر أغوار المسألة النظرية والأساس النظرى للعوامل التى تؤثر على القيم الفردية، وكيف أن المنظومات متعددة القيم يمكن أن تتغير بمرور الزمن. وهذا يحتم من الناحية الأكاديمية تحديد القضايا الأساسية والجوهرية، وتحديد المفاهيم، وكذلك الآمال المرتقبة وكذلك المصادر اللازمة لهذه الدراسة. الفصول التمهيدية، من هذه الدراسة، تحاول الإلمام بالمعالجات والمصادر، فضلا عن الإلمام أيضا بخلفية محددة لتلك الخلافة التى قامت فى سكتو فى القرن التاسع عشر، فى شمالى نيجيريا؛ هذه الخلافة بمثابة الإطار الأساسى للتطورات التى حدثت فى القرن العشرين. والملاحق بحد ذاتها تعطى القارئ خلفية إضافية موجزة، من خلال الكتب، عن التطورات السياسية التى حدثت فى نيجيريا طوال القرن العشرين.

هناك أربعة قضايا رئيسية مهمة من الناحيتين العملية والنظرية فى مستقبل أية دولة من الدول النامية، التى من قبيل نيجيريا، وهذه القضايا الأربع سوف تنهض هذه الدراسة باستكشافها ودراستها على النحو التالى:

١) كيف يمكن إنجاز منظومة واسعة النطاق فى الدولة، بحيث تستطيع مثل هذه المنظومة الاهتمام بالإنتاجية، وبالكفاية وبالعدالة والمساواة أيضا؟.

٢) ما مدى أهمية قضية "العدالة الإقليمية" باعتبارها شيئا متميزا ومميزا عن قضية "العدالة الفردية"، وما هو ذلك الذى ينبغى أن يكون أساسا لسياسة: النمو المتوازن"؟.

٣) ما علاقة العوامل الثقافية والعوامل التاريخية بعملية التنمية؟.

٤) ما الدور الذى يلعبه كل من التطور الفردى والتطور التاريخى؟

كل قضية من هذه القضايا، هى مسألة "قيمية"، لكن يمكن تناولها على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع.

الفصل الأول

المصادر والآراء ووجهات النظر

١ـ تساؤلات ووجهات نظر وآراء: من هو أحمد بللو؟

يسجل الموروث الشفاهى أن الدكتور آذكوى Azikwie التقى، فى منتصف ستينيات القرن العشرين أحمد بللو وقال له: "فلتنس خلافاتنا.."، ورد عليه أحمد بللو قائلا: "كلا، لكن دعنا نفهم خلافاتنا. فأنا مسلم وواحد من أبناء الشمال. وأنت مسيحى وشرقى أيضا. ونحن عندما نفهم خلافاتنا. يمكن أن نبنى الوحدة فى بلدنا".

فى مطلع الستينيات كانت كثير من السير الذاتية النمطية للزعماء النيجيريين، سواء من خلال كتاب "من يكون من" أو من خلال الروايات الصحفية، تركز على المنجزات، والعموميات، وعلى المستقبل العملى الشعبى لهؤلاء الزعماء. الرواية التى من هذا القبيل عن أحمد بللو يمكن أن تشتمل على الحقائق التالية:[١]

المحترم، الحاج السير أحمد بللو، رئيس سكتو ورئيس وزراء الإقليم الشمالى، نيجيريا.

ولد أحمد بللو فى عام ١٩١٠م فى بلده رباح بمنطقو سكتو؛ وهو باعتباره من أفراد الأسرة المالكة فى سكتو، يعد واحدًا من أحفاد الشيخ عثمان بن فودى، مؤسس الإمبراطورية الفولانية.

تلقى الرجل تعليمه إلى أن بلغ سن السادسة عشر فى مدرسة سكتو المحلية؛ ثم التحق بعد ذلك بكلية التدريب فى كاتسنا Katsina (فى الفترة من ١٩٢٦ – ١٩٣١) ليتخرج منها مدرسا، وفى تلك المدرسة أصبح أحمد بللو واحدًا من فريق الخماسيات، بل ورئيسا لذلك الفريق.

---

(١) راجع على سبيل المثال. الأرشيف النيجيرى فى كادونا.

ثم تلقى تعليمه فى مدرسة سكتو المتوسطة (فى الفترة من ١٩٣١ – ١٩٣٤)؛ ثم تحول الرجل بعد ذلك إلى دراسة الإدارة الوطنية (الحكم المحلى)، ثم أصبح رئيسا لحى رباح (فى الفترة من ١٩٣٤ – ١٩٣٨)، إلى أن عين رئيسا Sarduna لسكتو، أى مستشارا سياسيا رئيسيا لقريبه سلطان سكتو.

وقد عهد إلى ذلك الرئيس، أو بالأحرى المستشار السياسى الرئيسى بالمنطقة الشرقية من تقسيم سكتو، والتى كانت تتمثل فى جوساو Gusau، التى أصبح فيها مسئولا عن أربعة عشر حيا من بين سبعة وأربعين حيا. وفى عام ١٩٤٤م، عاد الرجل إلى مدينة سكتو، ليشغل منصب الأمين العام فيها، ويكون مستشارا رئيسيا للسلطان. وكان أحمد بللو يشرف على إدارة الحى وإدارة المصالح المختلفة.

فى عام ١٩٤٨ قام أحمد بللو بزيارة قصيرة إلى المملكة المتحدة، حيث درس فيها، وأقام مع إحدى العائلات البريطانية، كما حضر أيضا مقررا فى الحكم المحلى.

فى عام ١٩٤٩، دخل الرئيس، أو بالأحرى المستشار السياسى الرئيسى، مجلس العموم House of Assembly فى الإقليم الشمالى؛ وكان الرجل واحدا من بين الثلاثة الذين جرى اختيارهم لتمثيل الشمال فى لجنة صياغة مشروع الدستور الجديد. كما كان عضوا أيضا فى المجلس الإقليمى الشمالى للتنمية والإنتاج، وعضوا فى مجلس القروض الإقليمى الشمالى. وعضوا فى التفتيش على الغابات النيجيرية. وفى عام ١٩٥٣ أصبح الرجل وزيرا للحكم المحلى، وتنمية المجتمع، ثم أصبح زعيما لأعمال المال والأعمال فى الإقليم الشمالى.

فى شهر أبريل من عام ١٩٥٤ جرى انتخاب الرئيس، أو بالأحرى المستشار السياسى الرئيسى، رئيسا عاما لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وبفضل هذا المنصب أصبح الرجل رئيسا لوزراء الإقليم الشمالى فى فترة لاحقة من عام نفسه.

شارك أحمد بللو أيضا بصفته عضوا فى وفد الشمال، فى المؤتمرات الدستورية التى عقدت فى لندن فى عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٧، وأيضا فى شهر مارس من عام ١٩٥٩ عندما حصل الإقليم الشمالى على الحكم الذاتى، وبالتالى أصبح الرجل رئيسا للمجلس التنفيذى.

أدى أحمد بللو فريضة الحج فى عام ١٩٥٥، وواصل الرئيس، المستشار السياسى الرئيسى، دوره كزعيم لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، الذى كان يتسيد كلا من المجلس الفيدرالى والمجلس الإقليمى الشماليين.

ثم أصبح أحمد بللو نائبا لرئيس رابطة العالم الإسلامى، وأول مستشار لجامعة أحمد بللو.

واغتيل الرجل فى اليوم الخامس عشر من شهر يناير من عام ١٩٦٦ بأيدى ضباط الجيش المتمردين.

هذا التقديم الرسمى لحياة الرئيس، المستشار السياسى الرئيسى، تأكد من جديد بعد نشر سيرته الذاتية فى عام ١٩٦٢م.(١) والقسم الأكبر من السيرة الذاتية لأحمد بللو يتناول فترة إنهاء الاستعمار فى الخمسينيات، وبخاصة المناقشات الدستورية. وكتاب "سيرتى الذاتية" يتناول وجهة نظر الشمال فيما يتعلق بالدستور، كما يحتوى الكتاب أيضا على كثير من التبصرات فيما يتصل بجوانب كثيرة من حياة الرجل وأفكاره.

ولما كانت السيرة الذاتية هى المطبوعة الوحيدة لأحمد بللو، ولما كان هذا الكتاب تقديما للذات، فهو يستحق منا التركيز على هذا الجانب حتى يمكن تسليط الضوء عليه. يضاف إلى ذلك أن القسم الأكبر من المراسلات متوفر فى الأرشيف النيجيرى فى كادونا.

---

(١) أحمد بللو، سيرتى الذاتية. مطابع جامعة كمبردج. ١٩٦٢. وقد نشر هذا الكتاب بلغة الهوسا، وهو مترجم ومنشور ضمن مطبوعات المشروع القومى للترجمة برقم ٦٣٠ (المترجم).

هذه رسالة وجهت إلى السكرتير الخاص لرئيس الوزراء فى اليوم العاشر من شهر فبراير من عام ١٩٦٠، يستفسر فيها صاحبها إن كان إداريو مطبعة جامعة كمبردج قد نالوا شرف السيرة الذاتية لرئيس الوزراء. وأحيل الأمر إلى رئيس الوزراء، الذى كتب على الرسالة بخط يده متسائلا: "هذه فكرة رائعة، ولكن من الذى سيكتب هذه السيرة الذاتية؟ أنا أم أنت أم من؟"[١] وهنا أبدى بروس جريتباتش Bruce Greatbatch، ملاحظة مفادها، "أن السير ريكس نيفين Rex Niven قد يكون مهتما بالمساعدة فى ذلك". وهنا أبدى أحمد بللو ملاحظة مفادها "طبقا لما سبق الاتفاق عليه". وفى شهر مارس، أُرسل رد مشجع إلى مطبعة جامعة كمبردج. ويرسل رئيس الوزراء مذكرة للوزير شندام Shendam (المدعو ميخائيل أودو بوبا Michael Audu Buba). "أنا أعلم أنك تود أن تكتب سيرتى الذاتية... وهذا يعنى أنك تود إلقاء نظرة على هذا الملف". وفى اليوم العاشر من شهر فبراير من عام ١٩٦١، يقبل مفوض الواجبات الخاصة (السير ريكس نيفين) توقيع العقد مع مطبعة كمبردج، نيابة عن رئيس الوزراء. واعتبارا من ذلك الوقت فصاعدًا، يبدأ المفوض فى التعامل، نيابة عن الرئيس، مع كل المراسلات والمعاملات الخاصة بكتاب "سيرتى الذاتية". وعند مرحلة من المراحل، وفى رسالة مؤرخة بتاريخ ١٨ سبتمبر من عام ١٩٦١، يكتب السير ريكس نيفين قائلا: "لقد تصفحنا حوالى ١٦٠٠٠ صورة فوتوغرافية"، السير ريكس Rex هو "المسئول عن التصويبات الفنية"، وقد تقرر نشر الكتاب فى نهاية عام ١٩٦٢الميلادى.

هذا هو السير ريكس نيفين[٢] يروى فى مذكراته كيف أفلح فى نهاية الأمر، فى جعل رئيس الوزراء يمضى معه بعض الوقت فى سكتو، وعلى انفراد، حتى يمكن له تأمل حياة الرجل. وليس سرا أن نقول: إن رئيس الوزراء لم يكن مهتما بكتابة سيرته الذاتية.[٣]

---

(١) الأرشيف النيجيرى، فى كادونا، "السيرة الذاتية لأحمد بللو".

(٢) السير ريكس نيفين، منظار نيجيرى: مذكرات أحد موظفى الاستعمار. لندن، سى هيرست، ١٩٨٢.

(٣) عندما ناقشنا هذا الأمر مع السير ريكس نيفين (فى لندن، فى ٥ أغسطس من عام ١٩٨٣). قيل للمؤلف إن الرئيس Sardauna، لم يكن يهمه أى شىء مما هو فى داخل هذا الكتاب أو خارجه. وإن المؤلف لم يعط أى شىء من الاهتمام أو التوجيه، بشأن هذا الموضوع. واقع الأمر أن الرئيس وجد أن من غير المناسب أن يهتم بجوانب كثيرة من حياته الباكرة.

هذه المراجعة لكتاب "سيرتى الذاتية" مهمة نظرا لأن الاهتمام الرئيسى فى الكتاب ينصب على المسائل الدستورية، التى من قبيل "النقاط الثمانى" الشهيرة، كما ينصب أيضا على توضيح الصورة الرسمية لرئيس الوزراء. صحيح أن الرئيس Sardauna راجع المسودات والبروفات النهائية أيضا، وأعطى موافقة عليها، ولكن مسألة التوازن والتركيز لم يكونا همه الأول أو يعنيانه بأى حال من الأحوال. بنفس هذا القدر من الاهتمام، كان الرئيس ينظر إلى موضوع هذا الكتاب باعتباره مجرد صورة ذهنية يمكن أن يعهد بها إلى موظف مدنى كبير. يضاف إلى ذلك أن الكتاب كان موجها إلى جمهور مصطبغ بصبغة الغرب، ومن خلال مصطلحات يمكن أن يقدرها هذا الجمهور حق قدرها.(١)

الدراسة التى نحن بصددها هنا، فى هـذا الكتاب، حول السيرة الذاتية لأحمد بللو تركز على أربعة قضايا رئيسية هى:

١) من هو ذلك الرجل الذى يلبس قناع السيرة الذاتية الرسمية (من المنظور الثقافى والمنظور الشخصى)؟.
٢) ما تأثير هذا الرجل على التطور السياسى فى نيجيريا؟.
٣) ما القيم التى يمثلها هذا الرجل؟.
٤) ما النماذج الزعامية التى يمثلها ذلك الرجل؟.

مسألة النظر إلى أحمد بللو باعتباره شبه وطنى، أو وطنيا، أو حتى متعدد الوطنيات، أقل أهمية من الحقيقة التى مفادها أن هذا الرجل مهم جدًا فى فهم التاريخ السياسى النيجيرى. ومن لا يفهم أحمد بللو، لا يفهم نيجيريا، سواء اتفق أم اختلف مع هذا الرجل.

---

(١) قام كرستوفر أوكيجبو Okigbo ممثل مطبعة جامعة كامبردج فى نيجيريا، بتولى أمر المراسلات مع الصحافة، واتخاذ الترتيبات اللازمة للاحتفال بصدور الكتاب. فى عامى ١٩٦٤ و١٩٦٥، حاول سيبريان اكوينسى إصدار طبعة من الكتاب للأطفال. يضاف إلى ذلك أن الحقيقة التى مفادها أن كثيرا من كتب السياسيين وخطبهم، يقوم بإعدادها أناس آخرون. وهذا لا ينقص من أهمية هذه الكتب باعتبارها مصادر لأفكار وسياسة المؤلف الرسمى، الدراسة التى بين أيدينا تقتبس الكثير عن تلك السيرة الذاتية.

المنهج المتبع فى هذه الدراسة يقوم على تعدد الآراء والرؤى، ولكنه يركز فى المقام الأول، على الجانب التحليلى، للاهتمامات الخاصة بطريقة تجميع المجتمعات السياسية الكبيرة إلى بعضها البعض، كما يجرى التركيز أيضا على طريقة عمل السلطة أو بالأحرى الزعامة داخل مثل هذا المجتمع.

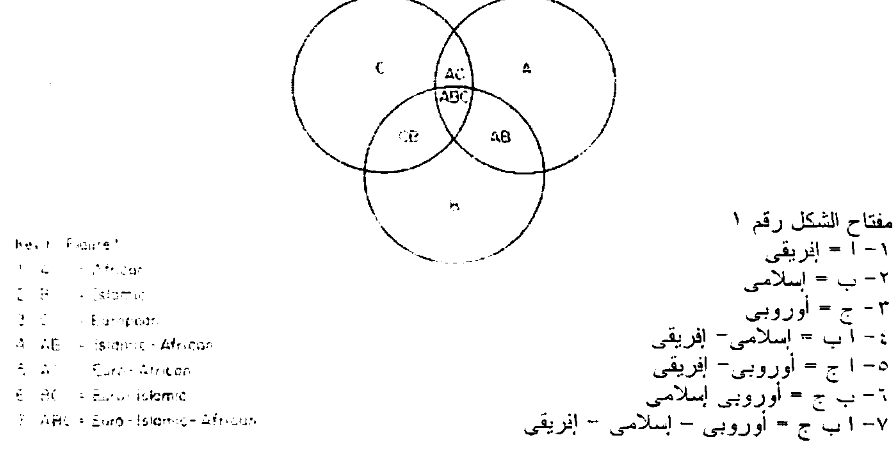
الدراسة التى من هذا القبيل تصبح عديمة النفع والجدوى إذا لم تكن صادقة وأمينة. يضاف إلى ذلك أن هناك حدودا دينية وثقافية قوية لما هو مناسب. قد يكون هناك بعض الناس، الذين يكتبون بدافع من التملق، أو تلويث السمعة. هذه الدراسة سوف تبذل كل نفيس وغال من أجل ضبط وتبسيط بعض العناصر الثقافية الرئيسية فى المجتمع النيجيرى فى الشمال، باعتبار ذلك خلفية تخدم أولئك الذين ليسوا على دراية بتلك الثقافة؛ وباعتبار ذلك أيضا وسيلة من وسائل تصنيف عناصر حياة أحمد بللو، التى يمكن وصفها بأنها عناصر ثقافية، وتصنيف تلك العناصر التى يمكن اعتبارها جزءًا من شخصية الرجل الذاتية. وقد أضفنا المزيد من المراجع البحثية، والتفاصيل التاريخية على شكل هوامش كى يستفيد منها أولئك الذين يتبعون المزيد من العمق.

مسألة التمييز بين "الدين" و"الثقافة" تحولت إلى قضية غاية فى الأهمية فى نيجيريا عندما كنا نقوم بعمل هذه الدراسة. المعروف أن شمال نيجيريا كله من المسلمين وأن الحوار الحالى حول كل ما هو إسلامى، وما هو مجرد إضافات من العادات والتقاليد المحلية بدأ يترسخ فى كثير من المناقشات والحوارات المهمة. حياة أحمد بللو التى تمتد عبر القسم الأكبر من الفترة الاستعمارية، وتشهد مطلع الاستقلال. هذه الحياة، تمثل بشكل أو بآخر، توضيحا لمحاولة تسوية هذه الخلافات. هذه الدراسة تركز، من الناحية السياسية، على الخلافات بين إمبراطورية عرقية ودولة إسلامية (أو خلافة). وعلى المستوى الشخصى، تركز هذه الدراسة على العادات والتقاليد التى تعرض لها أحمد بللو أثناء طفولته، والتى ساعدت على تكوين شخصية الرجل، وأن هذه العادات والتقاليد يمكن أن تختلف عن تلك العادات والتقاليد التى يمكن أن يقبلها ويسلم بها فى سنوات نضجه. ومن باب الأمانة فى كتابة هذه السيرة، ألا نقع فى خطأ نقل بعض القيم والعادات من سكتو فى عام ١٩٨٤م إلى سكتو فى عام ١٩١٤م. من مزايا دراسة حياة أى فرد من

الأفراد، أن يحاول الدارس تبين كيف أن التغييرات الكبيرة فى المجتمع يمكن أن تنعكس فى حالة بعينها. زد على ذلك، أن التعامل مع زعيم له وزن وعظمة أحمد بللو يبرز الوجه الآخر من العملة، والذى يتمثل فى مدى تأثير شخصية (أو شخصيات) رئيسية على إعادة تعريف القيم أو بالأحرى تغيير مثل هذه القيم.

هذه المسائل، فى الدراسة التى نحن بصددها هنا، لها أهمية أكبر وأقيم. السبب فى ذلك أن أحمد بللو يمثل، بحق، جهدا يرمى إلى توحيد ثلاثة عوالم مختلفة القيم والمعنى على شكل كلٍ واحد متكامل. هذه المنظومات القيمية العالمية، أو بالأحرى وجهات النظر العالمية، أو إن شئت فقل: هذه المنظومات الذاتية يمكن تسميتها بالمنظومة الإفريقية، والمنظومة الإسلامية، والمنظومة الأوروبية، حتى يمكن لنا تبسيط الأمور عند هذا الحد. يضاف إلى ذلك أن هذا التمييز، يمكن أن يفيدنا، على المستوى السياسى، كمشروع أو خطة قد تعيننا على فهم القوى المساندة له، والقوة المضادة له، فى آن واحد ومن باب تأمل وتقييم أحداث الماضى.[1]

معالجة هذا الأمر على شكل مخطط، كما هو وارد فى الشكل رقم ١، توضح أن تداخل هذه الحضارات الثلاث ينتج عنه شكل مكون من سبع تداخلات. (انظر الشكل رقم ١: التداخل الحضارى فى شمالى نيجيريا).



الشكل رقم (١): التداخل الحضارى فى شمالى نيجيريا

---

(١) كوامى نيكروما، "فلسفة وأيديولوجية التخلص من الاستعمار"، الولايات المتحدة، القارئ الحديث، ١٩٧٠.

في ضوء القيم والمعتقدات، وهو ما يتضح بصورة خاصة في الثقافة المدنية، يمكن لنا تفسير المنظومة الأوروبية[١] في القرن العشرين، على أنها تحتوي على مجموعة أساسية من القيم اليهودية - المسيحية، التي تقوم على الاعتقاد في منظومة دولية - أممية دنيوية، والإيمان بمجموعة من الأشكال المتباينة، فضلا عن الإيمان أيضا بنظريات ما بعد التنظيم الاقتصادي الصناعي (بما في ذلك الماركسية)، وكذلك الاعتراف المتأخر بقيمة المشاركة السياسية، بل والإيمان في بعض الأحيان بنوع من البراجماتية الناتجة عن الضرورة (نوع من الارتباك)، وكذلك الإيمان بالالتزام المتزايد بكل من العلم والتقنية. اتخذت الحضارة الأوروبية لنفسها في تجلياتها فيما وراء البحار شكل الإمبريالية/ الاستعمار والاحتقار، والرأسمالية، على الرغم من أن نشر اللغة الإنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية في تلك الفترة كان يعد ميراثا مهما، وذلك علاوة أيضا على نشر التعليم الغربي.[٢]

الحضارة الإسلامية التي بدأت تشكل بؤرة جديدة في الغرب بفضل تشابكها وتراثها الكاملين، ترتبط هي الأخرى بأسلوب حياة شامل، لا يفرق بين العدالة والقانون أو يباعد بينهما وبين الحياة الدينية وقطاعات الحياة الأخرى. هذه الحضارة تعني أساسا بالعدالة والقانون في مسألة تنظيم المجتمع، وبالمساواة بين الأفراد جميعهم أمام الله، ومسئولية كل إنسان، سواء أكان ذكرا أم أنثى، عن أعماله الأخلاقية. وبذلك نرى أن مفهوم الإسلام عن المجتمع، إنما يشكل بديلا عن الصراع الطبقي من منطلق اهتمام هذا المفهوم بالروابط والالتزامات التي تربط ذلك المجتمع إلى بعضه البعض، وذلك بغض النظر عن مستويات الدخل أو التطلعات الطبقية لأفراد المجتمع.

---

(١) من أجل هذه الخلاصة، يمكن النظر إلى ثقافة أمريكا الشمالية، باعتبارها متميزة عن الثقافة الأوروبية، من حيث قيمها المعادية للملكية وخصائصها التزاوجية / المضادة للتاريخ، وانعدام المركزية فيها، وطابعها الفردي.

(٢) تجول مؤلف الكتاب على امتداد سنوات عدة في ثمانين بلدا، تضم القسم الأكبر من أوروبا (شرقها وغربها)، والشرق الأوسط، وإفريقيا (غرب، وشرق، وشمال). والمقصود من التفسيرات السابقة ليس هو الشمول وإنما الإيحاء والتلميح.

هذه الحضارة الإسلامية، فى تجليها الإفريقى، ترتبط فى أغلب الأحيان بمنظومات تجارية كبيرة الحجم، أو بالأحرى واسعة النطاق، كما ترتبط أيضا بتشكيل الدولة، وبالنظام الرعوى الذى يتبعه البدو الرحل. من هنا، نرى أن هناك انقساما واضحا بين الثقافة المدنية فى الحضر، والثقافة شبه الصحراوية عند البدو الرحل، مع وجود شيء من الخلط بين هذا وذاك فى بعض الأحيان، مثلما حدث فى شمالى نيجيريا فى مطلع القرن التاسع عشر.

المجتمع الإفريقى التقليدى يتميز فى أغلب الأحيان بقيم أسرية قوية وبمنظومات سلالية قوية أيضا؛ كما يتغلغل ذلك المجتمع تغلغلا كبيرا فى عالم الروح، بما فى ذلك أرواح الأسلاف.[١] وفى الندوة التى انعقدت مؤخرا حول القيم والتعليم الأخلاقى فى نيجيريا نجد الأستاذ الدكتور آكنبلو Akinpelu يقول:

القيم الإفريقية عملية جدًا وبراجماتية جدًا: وهذه القيم نتاج لخبرات فردية وخبرات مجتمعية، ومن هنا فإن هذه القيم تتركز حول الإنسان وحول المجتمع. هذه القيم لا تقوم على الوحى السماوى (كما هو الحال فى القيم الإسلامية والمسيحية). وهذه القيم على حد قول (دزوبو) Dzobo: "تأتى من دفق الحياة الإفريقية الماضية والحاضرة، مع التركيز على خبرة الماضى". ومع ذلك، فإن الآلهة ليست هى الخالقة لهذه القيم، ولكنها (بحكم كونها أرواحا سلفية)، هى والمجتمع ينهضان بأعباء العقوبات اللازمة للمحافظة على استقرار المجتمع. ونحن فى وجود هذه المنظومة القيمية التى تتركز فى الإنسان، لا نندهش عندما نرى أن الكرامة الإنسانية واحترام الحياة الإنسانية إنما يحظيان بالأهمية القصوى. هذا يعنى أن استمرارية الأسرة تعتمد اعتمادًا كليا على أعضائها الأحياء وعلى تناسلهم، ومن هنا يجرى اتخاذ كل الوسائل الممكنة التى تضمن امتلاك الإنسان للحياة، من بداية المولد إلى الشيخوخة. والإنسان يعبد الآلهة، منذ مولده، لكى يضمن حمايتها له، ويضمن رضاها أيضا، كما تبذل الجهود كلها، من خلال التعاويذ والاسترضاء بكل صورة، لدرء كل المحاولات التى ترمى أو تحاول تقليص أو التقليل من ذلك التملك

---

(١) للمزيد عن هذا الموضوع راجع كتاب وريدو كواسى Wiredu Kwasi المعنون "الفلسفة والثقافة الإفريقية". لندن، مطابع جامعة كمبردج، ١٩٨٠.

للحياة. وفاة أى شاب من الشبان يترتب عليها حزن شديد لا ينتهى، ولكنه يمكن تخفيفه إذا ما ترك مثل هذا الشاب وراءه ذرية (وبخاصة عندما يكون ولدا) تواصل حياته عن طريق "الوكالة". وعلى العكس من ذلك، نجد أن وفاة كبار السن يحتفل الناس ويفرحون لها باعتبار هذه الوفاة ترجمة إلى عالم الأرواح السفلية، التى يتولى فيها أولئك الكبار مهمة الأوصياء على الأحياء، والأوصياء على التقاليد والموروثات، من منطلق أن تلك الوفاة تعد حلقة مستمرة فى سلسلة الحياة نفسها.[1] تعدد الزوجات جزء لا يتجزأ من هذه المنظومة القيمية.

هذه الأجيال الباكرة من الوطنيين الأفارقة كانت فى معظمها من المناطق الساحلية التى تعرضت تعرضا كبيرا للقيم الأوروبية، وبالتالى فإن الكثير من هذه الأجيال الباكرة كانوا يجدون فى أنفسهم خلفا للأوروبيين عقب إلغاء الاستعمار رسميا من تلك البلاد. هذه النوعية من الأفارقة كانت تنظر إلى القيم الإفريقية هى والقيم الإفريقية – الإسلامية باعتبارها تذكارات من فترات سابقة، بل إن هذه الأجيال كانت فى بعض الأحيان، تجادل سعيا إلى تحديد تلك القيم أو استئصالها من جذورها.

فى داخل المناطق الإفريقية – الإسلامية، كان هناك، فى بعض الأحيان، موقف يقوم على الجمع بين تكافؤ الضدين، وذلك فيما يتصل "بالحضارة" الأوروبية – باعتبار الحضارة شيئا آخر غير "الاستعمار" – نظرا لأن الناس هناك ينظرون إلى الأوروبيين، فى معظم الأحيان، على أنهم "مسيحيون" (أو بالأحرى نصارى Nasara)، ومن ثم فهم ينحدرون أيضا من الميراث أو التراث الذى انحدر منه الإسلام، هذا يعنى أن هؤلاء الأوروبيين "أهل الكتاب" Ahl kitab. فى بعض المناسبات الأخرى كان الناس ينظرون إلى المسيحية باعتبارها دينا "مستقلا". عموما، فإن العلاقات فيما بين الإسلام والمسيحية، فى نيجيريا، تتميز بالتسامح.

---

(١) راجع كتاب آكنبلو، جى. ايه، المعنون "قيم فى المجتمع النيجيرى"، وراجع أيضا نودكا Nduka؛ وراجع أيضا أوتنتى ايه otonti A، وراجع أيضا كتاب دزوبو Dzobo المعنون "القيم فى التعليم الإفريقى المتجانس". وراجع أيضا براون، جى. N G، وراجع أيضا كتاب هسكت M. Hiskett . المعنون "الصراع والونام فى التعليم فى إفريقيا الاستوائية"؛ لندن. ألين وإنومين. ١٩٧٥ ص ٧٦.

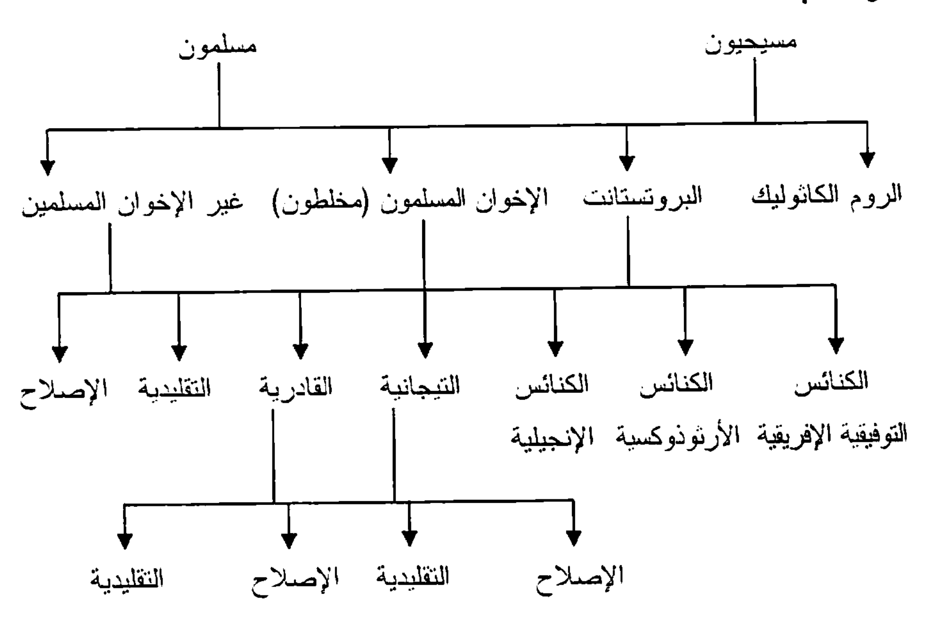
الشيء نفسه لا يمكن قوله عن العلاقات التى بين المسلمين (أو المسيحيين) والمجتمعات الإفريقية التقليدية. المسلمون ينظرون إلى "غير الموحّدين" Polytheists على أنهم وثنيون، من "عصر الظلام" (الجاهلية) Jahiliyyah، وأحس الناس أن من واجبهم، بذل كل نفيس وغال من أجل إخراج هؤلاء الوثنيين مما هم فيه، وجعلهم يقرون بوحدانية الله، وأن يعترفوا بوحى الله من خلال الموروث والأحاديث النبوية التى كللت بالنبى محمد.

كان المسيحيون يتخذون فى معظم الأحيان موقفا أكثر من هذا الموقف تشددا تجاه "الوثنيين"؛ واستطاع المسيحيون من خلال إستراتيجية تقوم على افتتاح المدارس وعلى التعليم، شق الكثير من الطرق الداخلية لا فى المناطق الساحلية وحدها، وإنما فى الداخل، وفى المناطق الحاجزة للحضارات الإسلامية واسعة النطاق، حيث الاستجابة الكبيرة نظرا للصراع القديم بين هذه الشعوب، التى فى هذه المناطق الحاجزة، والمسلمين. (يعرف هذا "الصراع" على أنه "عدم التوافق مع هذه القيم"). ونورد فيما يلى شكلا تخطيطيا يبين هذه العلاقات، وهو مقسم إلى شكلين فرعيين هما الشكل رقم ٢ والشكل رقم ٣.

المسلمون وأهل الكتاب	مقابل	المجتمعات الإفريقية التقليدية
الإسلام		وثنيون Polytheists
المسيحية		↓
(يتميزان بالطابع العالمى		(مجتمعات إثنية متباينة)
ومعرضان للردة الخارجية)		(تتميز بخصوصية إثنية وخصوصيات أخرى)

الشكل رقم (٢): المسلمون وأهل الكتاب: علاقات هؤلاء الناس بالمجتمع الإفريقى التقليدى

(فى الإطار النيجيرى)



الشكل رقم (٣): العناصر الرئيسية فى المجتمعات الإسلامية ومجتمعات أهل الكتاب فى الإطار النيجيرى.(*)

تأثير أحمد بللو، طوال الفترة من عام ١٩٥٦م إلى عام ١٩٦٦، على هذا التواصل والتداخل الحضارى يعد واحدًا من موضوعات هذه الدراسة. خير الكلام، هو أن أحمد بللو نقل ثقل الجاذبية السياسية من المناطق الساحلية إلى الداخل، الذى

(*) على المستوى الأكبر تدخل اليهودية أيضا ضمن أهل الكتاب. وفى الإطار النيجيرى، نجد أن الأفرع الرئيسية لأهل الكتاب ترتبط (بشكل عام) بروابط جغرافية محددة؛ فنجد المسيحيين: التوفيقيين منهم والأرثوذوكس البروتستانت فى الإقليم الغربى من نيجيريا. ونجد الروم الكاثوليك فى الإقليم الشرقى؛ ونجد الإنجيليين فى الحزام الأوسط. والمسلمين: القادرية التقليدية فى سكتو وفى سائر أنحاء الخلافة؛ ونجد أيضا القادرية المُصلحة والتيجانية المُصلحة فى كنو؛ ونجد أيضا غير الإخوان المسلمين التقليديين المتشددين فى برنو Borno؛ ونجد 'المحدثين' المُصلحين من غير الإخوان المسلمين فى المدن "الجديدة" مثل كادونا وجوس Jos. (وهناك تنظيم جديد يطلقون عليه اسم "إزالة" Izala) الفئة الوسطية المختلطة تضم بعضا من المنظمات الطلابية والتعليمية الحديثة.

كان يمثل – على حد اتفاق الجميع حاليا – مركز ديموغرافيا أكثر ثقلا. وأحمد بللو، عندما فعل ذلك، ساوى بين فرص النمو فى الداخل، علما بأن مثل هذه الفرص لم تكن متاحة من قبل، يضاف إلى ذلك أن هذه الفرص كانت تعتمد، إلى حد كبير، على توسيع مجال التعليم الغربى. واقع الأمر، أن أحمد بللو يعد والد التعليم الغربى فى الجزء الشمالى من نيجيريا، سواء أكان ذلك من خلال المثل الذى ضربه بنفسه، أم من خلال الموارد والطاقة التى خصصها ذلك الرجل لهذه المنطقة. أحمد بللو، عندما فعل ذلك، ساعد على إرساء مبدأ النمو المتوازن بين مختلف المناطق الشمالية (بل وفى سائر أنحاء البلاد) بدلا من النمو غير المتوازن. وفيما يتعلق بالدين كان أحمد بللو مؤثرا كبيرا فى تسهيل الاتصالات مع العالم الإسلامى على الصعيد الدولى، الأمر الذى أحدث آثارا عميقة فى نيجيريا، إذ ساعد على تصنيف وتحديد ما هو "إسلامى" وما هو "ثقافى". خلاصة القول أن أحمد بللو تحول إلى خليط من القيم الإفريقية الإسلامية الأوروبية.

ونحن عندما نفيد من هذه التداخلات الحضارية التى تضم سبعة صنوف من الحضارات، يمكننا فى بداية الأمر إيجاز بعض الآراء الكثيرة فى أحمد بللو، وتكوين صورة أفضل عن الأسباب التى تثير حوله الكثير من الجدل، وبخاصة فى دوره الرمزى على أقل تقدير.

١) تنظر المجتمعات الإفريقية التقليدية إلى أحمد بللو نظرة خوف واحترام؛ وتعده مثالا لذلك الذى حاول تدميرهم فى الماضى.

٢) تنظر المجتمعات الإفريقية – الإسلامية (أى الأمراء أو الإخوان) إلى أحمد بللو باعتباره عضوا من أعضاء الأسرة المالكة فى سكتو، وهذه النظرة تتردد بين الإعجاب والاحترام.

٣) الجماعات الإسلامية الأكثر التزاما (من أمثال القضاة الذين جرى تدريبهم وتعليمهم الدراسات العربية والإسلامية خارج نيجيريا) تنظر إلى أحمد بللو باعتباره، حليفا يسير فى الاتجاه الصحيح.

٤) الجماعات الأوروبية – الإسلامية (وبخاصة الطلاب، الذين يجيئون فى مرحلة لاحقة) قد تنظر إلى أحمد بللو باعتباره همزة وصل مع الأشكال الإسلامية المعتادة.

٥) الجماعات الإفريقية ذات التوجه الأوروبى تتردد بين الراديكاليين الذين ينظرون إلى أحمد بللو باعتباره واحدًا من الإقطاعيين (وباعتباره جزءا من نظام قديم يجب رفضه)، وبين المجتمع الخدمى المدنى / المالى والأعمالى / الليبرالى، الذى ينظر إلى أحمد بللو باعتباره إداريا فاعلا وبارزا ومديرا شهيرا.

٦) الأفارقة – الأوروبيون، من أمثال مفكرى الجنوب، وكذلك الوطنيين الجنوبيين أيضا، وبعض من أهل الحزام الأوسط، قد ينظرون إلى أحمد بللو باعتباره مديرا فاعلا، ولكنه إقليمى، وبالتالى فهم لا يتعاطفون ولا يتفهمون العنصر الإسلامى فى شخصية هذا الرجل.

٧) القطاع الإفريقى الإسلامى الأوروبى، بما فى ذلك الرئيس Sardauna نفسه ومعهم كثير من الزعماء المعروفين فى الشمال، ينظرون إلى أحمد بللو باعتباره زعيما دينيا، وقائدا تقليديا، وقائدا حديثا أيضا، بمعنى أنهم ينظرون إلى أحمد بللو باعتباره خليطا من القيم.

هذا يعنى أن نظرة الناس إلى أحمد بللو تختلف باختلاف الأقاليم، والأجيال، ومستوى التعليم، وباختلاف الدين والاختلاف الطبقى أيضا.

وقف الصحافيون الغربيون موقفا انتقاديا من الإقليم الشمالى فى نيجيريا، من منظور تأخر هذا الإقليم ومعارضته للحداثة والتحديث. فى الظروف المعتادة قد لا يكون لذلك تأثير على الرأى عام العالمى، ولكن فى وقت الأزمات قد تصبح لهذه الآراء السلبية أهمية سياسية. كان زعماء أجيال الشباب طوال الستينيات، فى الإقليم الشمالى يعربون عن غضبهم واستيائهم من هذا التقدير السياسى المنحاز ثقافيا.[١]

---

(١) نيجيريا. "الشمال. الصحافة البريطانية"، جريدة المواطن النيجيرى، ٦ أبريل، ١٩٦٣ ص ٤؛ "هل الصحافة الأنجلوسكسونية معادية لنيجيريا؟" جريدة المواطن النيجيرى، ٩ يونيو، ١٩٦٣، ص ١.

الخلط بين هذه المناظير أمر دائم الحدوث فى الإقليم الشمالى. والمنظور الحضرى على سبيل المثال، يمثل كثيرا من تلك المناظير التى سبق الإشارة إليها، يضاف إلى ذلك أن مدن الشمال هى الأماكن التى يتجلى فيها بشكل ملحوظ الصراع السياسى والإجتماعى، كما أنها بمثابة الأماكن التى يتجلى فيها التعبير عن المناظير المختلفة. وسواء أكان هناك أساس طبقى متين لتلك المناظير يوم أن كان أحمد بللو على قيد الحياة، فذلك سؤال لم تجر الإجابة عنه بعد، على الرغم من أن كثيرا من التغيرات البنيوية الرئيسية فى الاقتصاد وفى المجتمع تأتى فى فترة لاحقة، ومن الأهمية بمكان ألا ننسب هذه التطورات الأخيرة إلى فترة الخمسينيات أو الستينيات من القرن العشرين.

نحن إذا ما نحينا جانبا التجمعات الاجتماعية، نجد أن مناظير كثير من الأفراد لها أيضا أهميتها فى هذه الدراسة. التباين الكبير فى المنظور داخل المؤسسة الشمالية لا يتدرج من مجرد ما هو راديكالى إلى ما هو محافظ تماما، وإنما هناك تباين كبير أيضا من جانب الجماعات الشمالية المعارضة، التى لدى الكثيرين منها أجندات (جداول أعمال) محلية بدلا من الأجندات الإقليمية أو الوطنية وذلك بغض النظر عن مفردات الاحتجاج التى تستعملها هذه الجماعات. وفى هذا الصدد نجد أن العلاقة التى بين أحمد بللو وأمين كانو زعيم المعارضة فى الشمال، تصطبغ بأهمية خاصة فى هذه الدراسة؛ ومعروف أيضا أن أمين كانو جاء من خلفية ثقافية مماثلة لخلفية أهل الشمال.

إعادة تحديد قدرات الشماليين، التى أمكن الوصول إليها خلال فترة إنهاء الاستعمار ومطلع الاستقلال لها صلة كبيرة بمسألة تعويض البطاقة الاستعمارية عن صفوتها المتعلمة، الغربية، المحددة، والساحلية أيضا لتكون فى اتجاه المقرطة democratization ("أى صوت واحد لكل رجل واحد")، وهو ما يعنى الاتجاه صوب الداخل. بعض السياسيين الجنوبيين يفهمون ذلك، ولذلك راحوا يسعون إلى التحالف مع الشمال، فى الوقت الذى عجز فيه بعض آخر من هؤلاء الجنوبيين عن ذلك، وبالتالى لم يسعوا إلى التحالف مع الشمال. من هنا تطلب إنهاء الاستعمار

وقف مسألة التركيز على المناطق الساحلية، وإشراك السواد الأعظم من الناس فى التيار الرئيسى. (هذا الأثر مازال الناس يحسونه، وسوف يسهم تماما فى وجود نيجيريا موحدة، وبخاصة أن هناك فترة تاريخية جديدة آخذة فى التشكل).

إذا ما استرجعنا الدروس المستفادة من الماضى نجد أن شماليين هما اللذين أسهما بهذا القدر الأكبر من التحول فى نيجيريا وهما: أحمد بللو وأمين كانو. وبالرغم من تباين زمانيهما ومرحلتيهما، إلا أن التناقضات والمتشابهات بين هذين الرجلين غاية فى الأهمية. كلاهما كانت لديه رؤى تطلعية. كلاهما كان قادرا على التعبير عن استيائه من الوضع الراهن، كما أن كلاهما كان قادرا على إعادة تحديد أولويات العمل. كان جهد أمين كانو موجها فى اتجاه مشاركة الجماهير وإشغال هـذه الجمـاهير بمصائرها وأقدارها. جاء جهد أحمد بللو، أو بالأحـرى الـ Sarduna، على شكل تحويل للقوى فى اتجاه المناطق المختلفة من ناحية، والاعتماد على النفس من الناحية الأخرى، مع وجود منظومات كبيرة تنهض بأعباء توفير الأسس اللازمة للأجيال المستقبلية. كان الرجلان ينظران إلى "الشعب" باعتباره أسرة لهما. والملفت للنظر أيضا أن أيا من الرجلين لم يكن له أبناء من صلبه، وبالتالى لم تكن لديهما دوافع لجمع الثروة من أجل ذريتيهما. كلاهما كانت لديه معتقدات دينية راسخة ومعتقدات شخصية راسخة أيضا؛ وهذه المعتقدات هى التى كانت توجه أعمالهما، كما أن هذه المعتقدات هى التى أعطتهما ثقة هائلة بالنفس عندما كان الواحد منهما يواجه خطرا حقيقيا، وفى بعض الأحيان الصعاب الجمّة التى تهدد مستقبله. كان الرجلان متنافسين تنافسا يقوم على الاحترام الكامل للدور التاريخى الذى يقوم به كل واحد منهما، والمهام الفرعية التى يضطلع بها كل واحد منهما. كان كل واحد منهما صاحب شخصية قوية، وزعيما بل ومدرسا أيضا. كان أحدهما (أحمد بللو) فى السلطة، أما الثانى (أمين كانو) فكان خارج السلطة. وقد أدى ذلك إلى وجود جدل قوى بينهما. كان أحدهما من كنو، موقع أعمال التحديث الكبيرة فى شمالى نيجيريا. أما الثانى فكان من سكتو، الموقع الذى نشأت منه أسس المنظومة القيمية فى الشمال. مراقبو هذين الرجلين وكذلك أتباعهما يركزون على نقاط الاختلاف وليس على نقاط الاتفاق بين هذين الرجلين. ولكن الدراسة التى نحن بصددها هنا ستحاول، من المنظور التاريخى، الوصول إلى وجهة نظر متوازية.

من الواضح أن المنظور الزمنى فى هذه الدراسة يمكن أن يكون بعدا مهما وضروريا للمناظير والأبعاد المختلفة التى سبق الإشارة إليها. هذه الدراسة تعنى بمناظير الحاضر عن الماضى (أى بعهد أحمد بللو).

هذه الدراسة تقر بمعرفة كبيرة بكل ذلك الذى حدث منذ وفاة أحمد بللو، بل إنها تشير إلى ذلك فى مواقع كثيرة منها، وذلك بدلا من التظاهر أو الادعاء بأن وجهات النظر الحالية تتصف بالحياد بشكل أو بآخر، أو أن بعض الأحداث التاريخية لم تحدث بالفعل. ومن الأهمية بمكان الاعتراف بأن كثيرا من الناس الذين عمل معهم أحمد بللو مازالوا على قيد الحياة، وهم يواصلون دورهم فى تشكيل القيم والنهوض بأعباء الزعامة. لهذا، فإننا سوف نقدم فى هذه الدراسة وجهات النظر الحاضرة (أى الذين أجرينا معهم مقابلات) التى تلقى نظرة على الماضى (أى الفترات المختلفة من حياة أحمد بللو)، الذى يستشرف المستقبل فى معظم الأحيان. هذا يعنى استعمال تغيرات زمن الفعل لتعكس تلك المناظير الزمنية المركبة. ولذلك فنحن نستعمل الزمن المضارع فى الرواية العامة (بدلا من الزمن الماضى) وذلك من باب التأكيد، من جانبنا، على أن المستقبل لم يكتب بعد، وربما كان ذلك أيضا من باب التقليل من طابع الأحداث التى لم تكتمل بعد.

أخيرا، قد يكون من المناسب أن نحاول تحديد وجهة نظر المؤلف والتعرف عليها. ومعروف أن وجهة نظر الباحث تكون مهمة دوما فى تفسير الحقائق، يضاف إلى ذلك أن قيم الباحث يمكن أن تكون بمثابة مصفاة يتم من خلالها جمع المعطيات ومعالجتها.

أنا من الغرب بطبيعة الحال، على الرغم من عملى طوال عشرين عاما أمضيتها فى نيجيريا من النزوح عنها والوفود إليها، بل إنى فى واقع الأمر، كنت أقوم بالجزء الميدانى من البحث، فى ولاية كنو فى الفترة من ١٩٦٤ – ١٩٦٥ طوال الفترة الأخيرة من الجمهورية الأولى. وأنا لم يحدث أن التقيت أحمد بللو على الإطلاق، على الرغم من أنى رأيته ذات مرة مع حاشيته فى مطار كنو. فى ذلك الوقت، كنت أحاول فهم الآراء السائدة فى كنو عن القيم والزعامة فى المجالين

السياسى والدينى. يزاد على ذلك أن إقامتى داخل كنو Kano (فى عنابر التجارة بالقرب من السوق المركزية) أعطتنى تبصرات كثيرة، ولكن فرضت على قيودًا أيضا. وأنا فى هذا البحث، أحاول توسيع مجال رؤيتى ومعارفى كما أثير أيضا بعض الأسئلة حول الثقافة السياسية من خلال السياقين الوطنى والدولى، مع عدم إهمال أو إغفال الجذور أيضا.

قيمى وكياناتى متصلة ببعضها البعض. وأنا لست نيجيريا أو بريطانيا، بالرغم من أنى عشت فترات طويلة فى هذين البلدين، وهذا بحد ذاته له تأثيره على المسافة الزمنية التى تغطيها هذه الدراسة. وأنا فى الوقت ذاته، أعتبر نفسى شخصية عالمية، أو كونية إن صح التعبير، تحاول فهم العالم الذى نعيش فيه؛ وأنا من مواليد أسرة من المدرسين كانت تعيش بالقرب من بوسطن فى الولايات المتحدة الأمريكية، شأنى شأن أولئك الذين ولدوا فى عائلات تقوم بالتدريس، فى كنو أو سكتو.

وأنا بحكم تدريبى فى كثير من الأمور، وطرق التدريس، أجدنى أستشعر وراء هذا التدريب كله، اعتقادا مفاده أن المجتمعات (محلية وعالمية) ينبغى عليها البحث عن الذى يوحدها ويجمعها بدلا من ذلك الذى يمزقها ويفرقها عن بعضها البعض. وأنا أومن أن البحث عن القيم أمر مشترك وشائع بين الشعوب، وأن الجوانب الإنسانية فى دورة الحياة من المهد إلى اللحد إنما هى جوانب واحدة فى سائر أنحاء الدنيا. أنا أومن أننا جميعا متساوون "كلنا أبناء وبنات آدم وحواء"، بغض النظر عن "القبيلة" أو "الأمة". أنا أومن أيضا أن البحث عالمي وكونى، وأن الحدود الوطنية ليست هى التقسيمات المهمة فى تتبع المعرفة والبحث عنها. والمرء يتعين عليه الذهاب "إلى الصين" طلبا للعلم والمعرفة. وأنا أعترف بانحيازى لصالح جماعات الأقاليم المغبونة. وأعترف أيضا بأننى أفضل العمل على الحدود بين الثقافات، وبين التقنيات، والأنظمة، كما أفضل العمل أيضا على المستوى التحليلى. وأنا أومن أيضا بعدم ممارسة "القهر أو الإجبار فى الدين". وماعدا ذلك، "فالله هو خير العارفين".

أنا أومن أن التفكير المحايد فى التاريخ يعد واحدا من المهام الموكولة لأية جامعة من الجامعات، وأن يكون ذلك التفكير خاليا من الانحياز لأى حزب أو طائفة من الطوائف. هذا يعنى أن الجامعة يتعين أن تكون مكانا يسمح بتقديم ودراسة مناظير متباينة. من هنا، فإن أستاذ الجامعة تصبح له مهمة أخرى عن تلك المهام الموكولة إلى الحكومة، وإلى الدبلوماسية، وإلى الصحافة، وإلى رجال المال والأعمال، أو إلى السياسات المعمول بها. وقد حاولت، فى الوقت ذاته، تحاشى إضفاء التحليل الضيق على بعض الشروح والتفسيرات الواردة فى هذه الدراسة، والسبب فى ذلك أنى أستشعر أن مثل هذا التحليل الضيق والمحكم يمكن أن يقوم به النيجيريون على أفضل وجه، نظرا لأن هؤلاء النيجيريين أعضاء فى هذه الأمة ذات السيادة، وأن هذه الأمة لها مسئولياتها فيما يتعلق بتفسيراتها للماضى. كنا طوال فترة البحث التى أنفقناها فى الاستعداد لهذه الدراسة، نعيد تقييم "القيم والزعامة" فى أحيان كثيرة داخل نيجيريا، كما أن هناك إحساسا مفاده أن "الأزمة الأخلاقية" فى نيجيريا، التى ربما تفاقمت بسبب البترول ثم تكسرت فى النهاية، تحتاج إلى نوع آخر من الصراحة والمكاشفة فيما يتعلق بتقرير المصير.

٢ـ المفاهيم:

فى بحثى السابق عن كنو[١]، برهنت على أن الثقافة (إذا ما استبعدنا منها الأشياء المادية) هى خليط من المعتقدات والقيم. والمعتقدات تشير إلى معطيات يمكن النظر إليها باعتبارها حقيقة، وذلك تمييزا لها عن الزيف. والقيم تشير إلى أشياء مفضلة، وهذه الأشياء تكون ذات طابع محدد أو عام. ومصطلح "قيم أخلاقية" هو الذى يميز القيم التى تشير إلى نوعية العلاقات الإنسانية عن القيم التى قد تكون جمالية أو روحية. مصطلح "أيدولوجية" يمكن استعماله بصور مختلفة، ولكنه مثل

(١) بادن، جون إن. الدين والثقافة السياسية فى كنو، بركلى، مطابع جامعة كاليفورنيا. ١٩٧٣. للمزيد عن توضيح القيم، راجع كتاب "القيم، الكيانات، والتكامل الوطنى". وهو من إعداد جون بادن، ومنشور ضمن سلسلة البحوث التجريبية فى إفريقيا، فى ايفانستون، مطبعة جامعة الشمال الغربى، ١٩٨٠.

مصطلح "الثقافة" يشير بالضرورة إلى خليط من القيم والمعتقدات؛ وفكرة الأيدولوجية، على العكس من الثقافة، تشير إلى أمر واضح لابد منه يقضى بالقيام بعمل بعينه يمكن أن يؤدى إلى تغيير القيم الحالية هى والأنماط السلوكية. الأيدولوجية قد تكون واضحة وجلية، كما هو الحال فى كتابات الأفراد، أو قد تكون كامنة أو دفينة، بمعنى أنها تكون على شكل توجيهات غير محددة. ومصطلح "مذهب" doctorine يشير إلى العبارات القيمية الواضحة أو إلى معتقدات يتمسك بها أولئك الذين يشغلون مواقع ومناصب السلطة داخل المجتمع.

الثقافة والأيدولوجية يجرى التعبير عنهما بمصطلحات رمزية. ومعروف أن الرموز لها مجالات دلالية تتجاوز الحدود والخصائص الكامنة فى المصطلح ذاته. وعليه يمكن اعتبار الكلمات والأشياء وكذلك الأنماط السلوكية رموزا أيضا. ومعروف أيضا أن الرموز تصبح وثيقة الصلة بالموضوع من الناحية الاجتماعية والسياسية، إذا ما أصبحت تلك الرموز تستعمل على نطاق واسع، وعندما تدخل ضمن الإطار المعرفى الذى يسمح لأفراد المجتمع بتقاسيم الخبرات وتبادلها فيما بينهم.(١)

مفهوم القيم يمكن أن يشمل كلا من الحالات النهائية المرغوبة (أو المفضلة)، التى يطلق عليها، فى معظم الأحيان، اسم الأهداف (أو القيم الاستهلاكية)، والوسائل المفضلة أو المقبولة فى تحقيق هذه الأهداف: أى الوسائل، والمداخل، والأساليب، والإستراتيجيات، والتكتيكات، أو بالأحرى القيم الآلية. يزداد على ذلك أن فكرة "المعايير" تشتمل على كل من الحالات النهائية والوسائل، كما تشير أيضا إلى الخطوط الإرشادية العامة التى تعد مقبولة ومناسبة. من حيث التنظير والتطبيق أيضا نجد أن الأفراد وكذلك المجتمعات (ناهيك عن المجتمعات متعددة الطبقات)

---

(١) بادن، المرجع السابق، ص ٢، ٣. وللمزيد عن التحليل الشامل للثقافة السياسية فى نيجيريا. راجع كتاب تطور الثقافة السياسية فى نيجيريا، المنشور فى إبدان Ibadan، مطابع الجامعة، وراجع أيضا كتاب مجلس ولاية كادونا للفنون والثقافة، المنشور فى عام ١٩٨٥. والكتابان من إعداد آدى آجايى، جى. إف. إيكارا. وبشير أحمد.

لديها مجموعات من القيم التى يغلب عليها أن تكون أقل تماسكا، إلى حد ما، غير أن مثل هذه المجموعات من القيم يمكن أن تمتلئ بمتناقضات واضحة. جرى العرف أن القصد، وليس مجرد العرض السلوكى هو الذى يميز طبيعة القيمة. يضاف إلى ذلك أن السياق الثقافى له أهميته أيضا. من هنا فإن محاولة الأفراد والمجتمعات إحداث نوع من المصالحة بين كثير من القيم، ستكون موضوعا من موضوعات هذه الدراسة. هذا يعنى أن كلا من "السلطة" و"المجتمع" سيكونان اثنين من هذه المجموعات القيمية، التى تتداخل تداخلا كبيرا فيما بينها. يضاف إلى ذلك أن "المنظومات القيمية" هى مجموعة القيم المركبة شبه المتلاحمة فى أية وجهة من "وجهات النظر العالمية".

الكيانات identities أيضا تتحول فى معظم الأحيان إلى رموز سياسية أو اجتماعيه. زد على ذلك أن الكيانات مراجع اجتماعية (وبالتالى فهى قيم) فى داخل المجموعات أو خارج المجموعات القيمية التى تميز شخصا بعينه، أو مجموعة بعينها، أو حتى مجتمع بعينه، وأن هذا التميز يتجلى بشكل اجتماعى واضح. أضف إلى ذلك أن الكيانات يمكن أن تكون دينية، أو عرقية، أو وطنية، أو مهنية، أو أيدولوجية، أو حتى جيلية، أو قد تكون قائمة على أساس جنسى، أو طبقى... إلخ. أهم من كل ذلك أن كيانات كثيرة ليست شمولية؛ أو بالأحرى قاصرة على فئة بعينها، ومن هنا نجد أن الجماعات والأفراد عادة ما تكون لهم كيانات متعددة. هذا يعنى أن مدى أهمية الكيان تعتمد على موقف بعينه، ومن هنا تجىء فكرة "الكيان الوظيفى Situational" (بما فى ذلك "العرقية الوظيفية") أو الموقعية، إن صح التعبير، والتى تكون مفهوما مهما من مفاهيم العلوم الاجتماعية.[١] يضاف إلى ذلك أن الكيانات يسهل تغييرها أو توليدها عن القيم الأساسية، وذلك على الرغم، كما سبق أن أوضحنا، من أن مسألة رد الكيان

---

(١) للمزيد عن العرقية الوظيفية أو الموقعية، راجع كتاب جون بادن John Paden وإدوارد سوجا Edward Soja المعنون، التجربة الإفريقية، الجزء الثانى، إيفانستون، مطبعة جامعة الشمال الغربى، ١٩٧٠. وراجع أيضا الكتاب الذى من إعداد بادن، الذى سبق الإشارة إليه، ونشر فى عام ١٩٨٠.

أو عزوه إلى شيء بعينه، ليست جماعية أو فردية حتى يقرر الفرد أو الجماعة من خلالها، أن يطلق على نفسه أو نفسها مسمى بعينه. هذا يعنى أن البيئة السياسية الاجتماعية الخارجية قد يكون لها أسلوبها الخاص وطريقتها الخاصة بها التى تلجأ إليها فى تصنيف أو تقييم فرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات. وأن ذلك الفرد أو الجماعة قد يكون أو تكون مختلفة تماما عن تلك البيئة السياسية – الاجتماعية. وفى بعض الأحيان، وليس بصورة دائمة، يمكن ربط الكيانات "بالوحدات الحاملة للثقافة ".(١)

فكرة الكيانات الوظيفية / المتعددة يمكن توضيحها فى شخص أحمد بللو طبقا لما هو وارد فى الجدول رقم ١ (المعنون: الكيان الوظيفى: مثال أحمد بللو).

تشير فكرة "الثقافة السياسية" إلى تلك القيم والمعتقدات ذات المغزى الخاص فى منظومة ما من المنظومات السياسية، ويمكن لهذه الفكرة أن تكون بمثابة البيئة السياقية التى تجرى خلالها السياسات السلوكية. زد على ذلك، أن فكرة المنظومة السياسية فى العلوم الاجتماعية تعد فكرة مستقرة، وذلك بغض النظر عن التفسيرات المختلفة لأساس تلك المنظومة أو ديناميياتها، أو التوضيحات البنيوية / الإجرائية الخاصة بتلك المنظومة. ونحن ننظر إلى الجوانب الرئيسية فى أية منظومة سياسية على أنها تتكون، فى معظم الأحيان، من:

١) حدود المجتمع.

٢) صناعة القرار السلطوى.

٣) السياسات.

٤) تنفيذ السياسات.

٥) أداء ومردود هذه السياسات.

٦) التغذية الارتجاعية لمتخذى القرار ("المدخلات").

---

(١) بادن. المرجع السابق، ١٩٨٠.

هذا النموذج ليس ثابتا، نظرا لأن كل جانب من جوانب هذا النموذج يمكن أن يخضع لعملية التغيير، من الحدود إلى طرق اتخاذ القرار. وأيا كان شكل الحكومة – سواء أكانت مجلسا من مجالس القرى التقليدية، أم نظاما برلمانيا، أم حكما عسكريا، أو دولة من دول الحزب الواحد أم نظاما رئاسيا، أم ملكية، أم خلافة – فإن السواد الأعظم من الباحثين يتفقون على أن النظام السياسى لا يوجد إلا إذا كانت هنا وسيلة لتعريف حدود المجتمع (بما فى ذلك المنظومات الفرعية المركبة)، فضلا عن وجود طريقة لاتخاذ القرارات السلطوية. سياسات الحكومة أو بالأحرى أهدافها غالبا ما تكون جزءا من عملية تحديد كل من المجتمع والسلطة – سواء كانت هذه السياسات بهدف تطوير "العدالة"، أو ضمان بقاء الجماعة على قيد الحياة، أو الدفاع عن بعض المصالح الاقتصادية، – وهذا التحديد يمكن أن يتم فى بعض أجزائه بواسطة أولئك الذين فى السلطة (أى صناع القرار)، وقد يكون ذلك التحديد انعكاسا لقيم المجتمع العامة. تنفيذ السياسات عادة ما يحتاج إلى نوع من أنواع البيرقراطية. بالرغم من أن منظومات التدرج السنى، أو المستوى العمرى هى التى تنهض بأعباء المعارك للقضاة، وجمّاع الضرائب، والجنود إلخ. والمنظومة السياسية التى يمكنها تفعيل السياسة (باعتبارها شيئا مميزا عن "صناعة السياسة" نفسها) جرت العادة أن تكون مرتبطة بالقبول الشعبى وبشكل من أشكال الخدمة المدنية التى لا تهدف إلى صنع السياسة وإنما لضمان عمل السياسة وتفعيلها. (فى بعض المنظومات التى من قبيل النموذج الوزارى، نجد أن أولئك المسئولين عن اتخاذ القرارات هم أيضا المسئولين عن التنفيذ، بالرغم من أن الوظيفتين متباينتين). قد تتناول السياسات النمو الاقتصادى أو الإدارة أو الاستقرار، أو أى شىء كان، ولكن القدرة على تنفيذ السياسات (بمعنى "الآراء") تعتمد على عوامل كثيرة، من بينها التعاون عام من جانب السكان، وقاعدة الموارد المتيسرة، وكذلك الفاعلية (بما فى ذلك القبول الشعبى) من جانب الخدمة المدنية. هذه السياسات تؤثر فى المجتمع، وبالتالى فإن عناصر المجتمع المتباينة تحدد مفضلاتها (قيمها) وتنشرها من خلال طريقة يمكن أن تؤثر فى صناع القرار. هذه العمليات "المدخلية" قد تتردد بين جماعات المصالح الرسمية (الوظيفة، والعمر،

والسلالة النسبية، والجماعات العرقية، أو الحزب السياسى) والمظاهرات الجماهيرية "غير الرسمية". فى الحال النيجيرى، قد تأتى المدخلات من رجال المال والأعمال، أو من الزعماء الدينيين، أو من الطلاب، أو النقابات التجارية، أو من الجمعيات التعاونية الفلاحية، أو من الحكام التقليديين. (المعروف أن النظم العسكرية، على العكس من النظم المدنية، تقلل وتحد من مقدار "المدخل" الرسمى فيما يتعلق بالوصول إلى صناع القرار، أو بالأحرى حظر الأحزاب السياسية وجماعات المصالح المنظمة. ويجرى تبرير ذلك على أنه رد فعل لحمل زائد من المدخلات فى ظل النظام المدنى، الذى يقوم صناع القرار فيه بإعطاء الوعود لكن بلا أمل فى التنفيذ. ومن ذلك، فإن الأنظمة العسكرية لها أنواعها الخاصة من المدخلات، سواء أكان الأمر من "فكر الزعماء"، أم من فكر القنوات غير الرسمية).

من هنا فإن نموذج المنظومة السياسية يكون مرتبطا ببعضه على شكل عملية مثمرة. وفى حال المجتمع سريع التغير نجد أن الحدود يمكن أن (تزداد أو تتقلص)، أو أن صناع القرار قد يتغيرون (طبقا لنوعية نظام الحكم. أو عن طريق شغل الوظائف). مستويات القرار، هى الأخرى، قد تتغير أيضا، أو أن العملية نفسها قد تتغير (كأن ذلك التغيير من النموذج البرلمانى إلى النموذج الرئاسى). الأهداف والسياسات قد تتغير أيضا، أو قد تتغير العناصر كلها فى آن واحد. وبقدر ما يكون التغيير على شكل علاوات أو من خلال عملية "مستحقة" تقوم على التشاور والمراجعة، يمكن أيضا أن نطلق على التغييرات صفة "التطور" أو الإصلاح. أما إذا جاء التغيير على شكل تفكيك شامل وحاد وانفصال عن الماضى، وذلك عن طريق اللجوء إلى الوسائل العنيفة أو غير العنيفة، فيمكن أن يطلق عليه اسم التغيير "الثورى".(١)

---

(١) العدد الفعلى "للثورات" فى إفريقيا، باستثناء إنهاء الاستعمار، محدود للغاية. وسواء أكانت هذه "الثورات" "تقدمية" أم "رجعية" بغض النظر عن المعايير (التى من قبيل المساواة، والمشاركة، والرفاه الاجتماعى،"والأساس الطبقى" إلخ) فإن هذه المسألة تعتمد على التجريب والاستقرار.

على الرغم من أن هذا النموذج ليس تركيبيا - (أى أنه يتسع لعدد غير محدود من الكيانات المؤسسية) - إلا أنه وظيفى، من منطلق أن بعض "وظائف المنظومات" يجرى التحقق منها، وأن المنظومة نفسها (باعتبارها تفاعلات بين الوحدات الفرعية) هى الحد الأساسى فى التحليل. فى المنظومات التى من هذا القبيل قد يبدو المدخل، وفكرة القيم الخاصة بالمجتمع. هى والسلطة، أنها غير مترابطة ومتنافرة منذ الوهلة الأولى. والمعروف أن لغة المنظومة تشير إلى جذور (المنظومة) وإلى صيانة المنظومة والمحافظة عليها، أو بالأحرى الحدود الرغائية والزهارية(*) فى مواجهة الحدود المفتوحة،" أو "الوحدات الفرعية" أو "كليّات المنظومة الزائدة عن الحد". وهنا ينظر الناس إلى اتخاذ القرار باعتباره "قوة لإحداث النتائج المقصودة".

(*) الحدود الرغائية أو الزهارية: هى الأرض المنفذة للمياه نظرا لمساميتها. (المترجم)

الجدول رقم (١): الكيان الموقعى: أحمد بللو مثالا عليها.

سياق العينة	المعايير الكيانية	اسم كيان العينة	التفسير
١- سياق السلالة النسبية الداخلية	السلالة النسبية	النورانكاوا	أعضاء فى سلالة فولانية محددة
٢- المجتمع الجمعى المحلى	اللغة / الأصل / الثقافة	العولانى	لغة رئيسية / جماعة سلفية
٣- السياق الحضرى البينى	السكن بالإشارة إلى مدينة بعينها أو الولاية أو الأصل	سكواتاوا	أناس من سكتو
٤- خارج نطاق منطقة لغة الغرب لكن داخل مناطق مجاورة.	اللغة / ثقافة بالمعنى الواسع	الهوسا	أناس يتكلمون الهوسا ويصطبغون بالثقافة الهوسوية.
٥- السياق الدينى المزدوج	الالتزام بدين من الأديان	مسلم	أناس يدينون بالإسلام.
٦- داخل السياق الوطنى حيث توجد الإقليمية.	الدين الأصلى	أبناء الشمال	أناس من الشمال (داخل السياق النيجيرى).
٧- خارج الولاية الوطنية لكن داخل المساحة المعترف فيها بالقومية	القومية	نيجيريا	أناس من القطر النيجيرى
٨- فى إطار ثنائى العرق أو سياق دولى (عادة وليس دائما يكون خارج نطاق المنطقة الأصلية، أى فى الأماكن التى لا تعرف فيها الكيانات الأخرى، أو قد تكون قليلة الصلة)	العرف بأوسع معانيه و/ أو القارة الأصل.	إفريقى	أناس من إفريقيا.

المصدر: كتاب جون بادن. سوجا إدوارد المعنون و "التجربة الإفريقية". الجزء الثانى. ص ٣٠.

مع ذلك، فإن فكرة المجتمع والسلطة، باعتبارها عناصر أساسية فى المنظومة السياسية، تأخذ استعارة المنظومة وتجدها داخل قيم وسياقات العقيدة لدى السكان قيد البحث. من هنا فإن "السلوك المناسب"، الذى يمكن أن يكون تعريفا للثقافة وتعريفا أيضا "للمؤسسات"، يتجذر فى الفكرة التى مفادها أن سلوكا ما قد يكون مقبولا (أو "مشروعا") وسلوكا آخر قد لا يكون كذلك. من هنا، فإن حد المنظومة، الذى هو بمثابة الحد الأساسى فى العلوم الاجتماعية – (سواء كان ذلك فى النظرية العقدية، أو فى نظرية الوضيعة، أو فى النظرية السلوكية، أو ما بعد النظرية السلوكية، أو فى علم الظاهرات .. إلخ) – ينحدر بشكل حتمى فى سياق معيارى.[١] والسياق المعيارى للمجتمع والسلطة هما اللذان تهتم بهما هذه الدراسة. كيف تبرز الأفكار، والقيم، والمعتقدات حول ذلك الذى يشكل الحدود المناسبة للمجتمعات (بما فى ذلك المجتمعات الفرعية)، وحول الأساس الشرعى للزعامة، السلطة يجرى تعريفها، فى معظم الأحيان، على أنها "القوة" (بمعنى اتخاذ القرار)، بالإضافة إلى "الشرعية" (أى ذلك المقبول اجتماعيا). ومن بين الموضوعات الرئيسية فى هذه الدراسة، مسألة فلاح المجتمعات والسلطات المركبة، فى ظل الموقف الاجتماعى سريع التغيير، فى إعالة نفسها بنفسها، والمحافظة على تلاحم المنظومة الأكبر.

هذه الدراسة تهتم فى الأساس بمدى قدرة الممثلين الأفراد على تشكيل فارق فى أى جزء من أجزاء العملية، من خلال قيمهم وقراراتهم بدلا من النظر إلى نموذج المنظومات من خلال مصطلحات تحديدية، أو فى ضوء مصطلحات التفاعلات البينية الاجتماعية.

القيم الاجتماعية وديناميات الجماعة قد تكون لها حياتها الخاصة بها، ولكن هذه القيم والديناميات تكون متجسدة فى الأفراد، الذين يستطيعون من خلال تأثيراتهم الشخصية أو جهودهم الشخصية تغيير طبيعة المنظومات. ومعروف أن

---

(١) راجع كتاب جون بادن (إعداد): القيم والعلوم الاجتماعية، ايفانستون، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الشمال الغربى، ١٩٧٩.

منهج تقييم التأثير الشخصى الذى يكون من هذا القبيل، يخضع فى العادة للفحص والمراجعة[١]، وربما تكون مسألة دراسات الحالة (أى السيرة) هى التى تستكشف المنهج المتعدد، والمعالجات متعددة الخصائص لهذه "المسألة" أو بالأحرى "الإشكالية". من الواضح أن اهتمام الغرب فى معظم الأحيان بسير الأفراد الذاتية، آخذ فى التوسع ليشمل السير الجماعية، باعتبارها وحدة مناسبة من وحدات التحليل.[٢] وإذا كانت بؤرة هذه الدراسة تتركز على الفرد – أحمد بللو – فإن مسألة عدم النظر إليه باعتباره جزءا من الشبكات الاجتماعية الكثيرة يمكن أن تصبح ضربا من ضروب التَّصنُّع؛ ومعروف أن كل شبكة من هذه الشبكات الاجتماعية مكونة أيضا من أفراد. من هنا، سنولى السير الذاتية للأفراد الآخرين ذوى الصلة بالموضوع المزيد من الاهتمام والتركيز.

هذه الدراسة تميز بين "السلطة" و"الزعامة". والزعامة يمكن تعريفها على أنها دور يمتاز أو يتضمن المزيد من النشاط، والمزيد من القصد والمزيد من التوجيه عن السلطة، التى قد تكون ثابتة. من حيث الممارسة فإن الزعامة تعنى السلطة – (سواء أكان عنصر "القوة" حقيقيا أم مبتغى) – كما أن القسم الأكبر من السلطة ينطوى على بعض عناصر الزعامة. وفى الأزمان المعتادة قد يكون للزعامة والسلطة حدود مشتركة. وفى الأزمان المتغيرة أو أزمان التحدى والضغوط، قد تصبح الزعامة مهمة فى تحديد الأهداف والوسائل.

فكرة "المجتمع" قد تنطوى على شكل من أشكال الانسجام الجماعى، سواء أكان ذلك الانسجام من النوع الذى وُلِد فيه البشر، أم من النوع الذى يفضلون البقاء

---

(١) راجع، على سبيل المثال، الأبحاث التى ألقيت مؤخرا فى المؤتمر " السيرة فى إفريقيا: ردم الفجوة فى السيرة التاريخية. " جامعة لندن، معهد دراسات الكمنولث. ديسمبر ١٤ – ٥ – ١٩٨٤.

(٢) راجع كتاب أنطونى فرايدسون (إعداد) المعنون "اتجاهات جديدة فى السيرة" هنولولو، مركز أبحاث السيرة، جامعة هاواى، ١٩٨١، وبخاصة مقال بيتر مارجو المعنون سيرة الجماعة: "تحديات ومناهج" ص ٤١ – ٥١. وراجع أيضا مقال نادول. ايرابروس المعنون "السيرة: القصص، الحقيقة والشكل". لندن. مطبعة ماكميلان. ١٩٨٤.

فيه أو خارجه. فى الماضى، كانت تلك المفاضلات المفاهيمية تدور حول الجماعات "الارتباطية" فى مقابل الجماعات "الجماعية"، ولكن مع المزيد من التفكير والمزيد من التحليل التجريبى، يتضح أن النوعين متادخلان إلى حد بعيد. أنواع المجتمع النمطى هى: السلالى، العرقى، الدينى، السياسى، الاقتصادى، (بما فى ذلك "طريقة الإنتاج")، وقد ينعكس مثل هذا المجتمع فى كثير من الأنواع المختلفة من التنظيم السياسى، ومن المجتمعات القطاعية المجزأة، إلى التحالفات المدائنية أو الولاياتية، إلى الدول القومية، إلى الدول متعددة القوميات، إلى المجتمعات الأيدولوجية الانتقالية، إلى الإمبراطوريات، إلى الاتحادات الإقليمية، إلى تكتلات الأمم الأيدولوجية وإلى أشكال أخرى متباينة من الاتحاد الدولى. فى إطار المنظومة الحديثة للدولة الأممية – (التى تميز الحقبة التاريخية الحالية، ولكنها تمثل عملية مستمرة من التحور) – نجد أن هرم المجتمعات يكون مرتبطا دوما بمستويات الحكم والحكومة: سواء أكان محليا، أم إقليميا، أم قوميا ودوليا. يضاف إلى ذلك أن الطريقة التى تحقق بها الوحدات الوطنية الروابط داخل حدودها، أو التى قد تتشكل تلك الحدود لكى تستوعب معنى من معانى المصير المشترك أو الشعبية، يمكن أن تنعكس فى الأدبيات الأكاديمية الخاصة "بالتكامل الوطنى"(١)، كما تعد أيضا واحدًا من اهتمامات هذه الدراسة.

٣ـ الموضوعات:

من يمن الطالع أن المفاهيم التحليلية التحتية فى هذه الدراسة لن تتدخل فيها أو تقحم نفسها عليها بدرجه كبيرة، يضاف إلى ذلك أن تنظيم المادة فى هذه الدراسة سوف يجرى طبقا للفئات المتعارف عليها التى تركز على القيم والزعامة. يزاد على ذلك أن الفترات الزمنية سوف تسير طبقا للتقسيمات التقليدية بدءًا بالطفولة الباكرة، ثم الحياة العملية (١٩٠٩ – ١٩٤٩)، ثم الفترات الانتقالية إلى الاستقلال (١٩٤٩ – ١٩٦٠)، ثم بداية الاستقلال (١٩٦٠ – ١٩٦٦)، مع بعض الكتابات عن الآثار التى ترتبت على وفاة أحمد بللو، ثم بعد ذلك تقييم سلامة

---

(١) راجع بادن (إعداد) المرجع السابق، ١٩٨٠ فيما يتصل باستعراض أدبيات التكامل الوطنى.

سياساته ونفوذه. أو قد ترد الفترات الزمنية المناسبة طبقا للمنطق المحدد الذى تمليه موضوعات بعينها، كما هو الحال فى الحياة الشخصية، والأحزاب السياسية، والأنشطة الاقتصادية، والتطورات الدينية.. إلخ.

ونحن فى هذه الدراسة سوف ننهج منهجا وسطا يركز على الموضوعات ولكن فى حدود الفترات الزمنية الثلاث التى سبق الإشارة إليها وذلك بدلا من اتباع منهج التسلسل التاريخى الصارم، الذى يركز على تسلسل الأحداث، دونما تركيز على منطق تطورات بعينها (ومن ثم التفاعل البينى بين هذه الموضوعات). هذه الموضوعات سيجرى تناولها فيما يلى بالمزيد من التفصيل، ولكن يمكننا إجمالها على النحو التالى:

١) الأحزاب السياسية والزعامة.
٢) الزعماء التقليديون.
٣) إستراتيجيات (خطط) التنمية.
٤) الخدمة المدنية والشباب.
٥) المسائل الدينية.
٦) المسائل المجتمعية.
٧) القيم والزعامة.

من هنا، سننهج منهجا يقوم على تسمية الموضوعات والكتابات الخطية. مع الانتقال من هذا إلى ذاك بين الحين والآخر، أى الجمع بين المنهج التاريخى والتحليل الوصفى. وسوف تحاول الدراسة النهوض بأعباء "التفسيرات التحليلية" للقطاعات المختلفة فى حياة أحمد بللو، والفترات الزمنية التى عاش خلالها هذا الرجل. وفيما يلى سوف نقوم بتفصيل تلك الموضوعات السبعة.

الأحزاب السياسية والزعامة:

العملية "الانتخابية" فى ثقافة سكتو التقليدية تعد عملية "غير مباشرة" من منطلق أن المنتخبين يجرى انتخابهم، وأنهم هم الذين ينتخبون الزعامة العليا، وهم أيضا الذين يسبغون السلطة على تلك الزعامة.

كانت الانتخابات غير المباشرة يجرى اتباعها فى شمالى نيجيريا طوال الفترة الأخيرة من الاستعمار، وهذه الانتخابات غير المباشرة تهدف إلى إضفاء القوة على الزعامة. فيما بين هؤلاء، الذين يمكن اعتبارهم من أصحاب الأهلية، هناك نوع من التنافس الحقيقى، الأمر الذى يجعل مستوى التعليم متغيرا حاسما فى هذه القضية. والأحزاب السياسية يجرى تشكيلها استهدافا للفوز فى الانتخابات.

طوال فترة انتخابات ما قبل الاستقلال، وما بعد الاستقلال، كانت "قواعد اللعبة" هى التى تحدد إلى حد ما ذلك الذى سيحصل على القوة. لم تكن الانتخابات فى ذلك الوقت، ترمى إلى توسيع قاعدة المشاركة، وإنما لتكون مجرد وسيلة لنقل السلطة والقوة. هذه القوة يسعى إليها من يطلبونها (بعيدا عن الأسباب الشخصية) حتى يمكن لهم تحقيق أهداف معينة أو سياسات معينة، غالبا ما تكون منعكسة على حلبات الأحزاب، أو على جداول الأعمال agendas غير الرسمية للزعماء.

إستراتيجية أحمد بللو هى غاية فى البساطة فى كل مراحلها. فهو بحاجة إلى القوة والسلطة لتحقيق أهدافه الأخرى، ومفتاح القوة الانتخابية يتمثل فى بناء "جبهة موحدة" داخل قاعدة أساسية، ويتمثل أيضا فى تحاشى التجزئة، ويحتاج أيضا إلى الحلفاء، وإلى التحالفات، كما يتمثل هذا المفتاح أيضا فى تجزئة المعارضة وتقسيمها.

الزعامة التقليدية:

طوال فترة ما قبل الاستعمار، كان الأمراء والرؤساء يلعبون دورا مهما فى مجتمعاتهم. هؤلاء الأمراء والرؤساء Chiefs ليسوا مجرد رموز للمجتمع الذى يعيشون فيه وإنما هم موظفون تنفيذيون ومحاكم استئنافية أيضا. وهم لا يمكن أن يكونوا عرفيين تماما فى ممارستهم للسلطة، نظرا لوجود ضغوط أخرى مضادة فى المجتمع، ونظرا أيضا للآثار المدمرة التى ينطوى عليها الصراع على السلطة.

خلال فترة الاستعمار، نجد أن الأمراء والرؤساء معتادون على المحافظة على القانون والنظام فى المجتمع، وبالرغم من أن الكثير من مهام الأمراء والرؤساء التنفيذية تعد واضحة تماما، إلا أن السلطة الفعلية فى المجتمع هى سلطه

استعمارية فى نهاية المطاف، بمعنى حكم أجنبى. ولما كان الأمراء والرؤساء يمثلون الزعماء الدينيين (فضلا عن تناولهم أيضا للأمور الدنيوية)، فإن السلطات الاستعمارية التى تبدو وكأنها لا دخل لها بالدين ولكن، السياسات كلها على وجه التقريب، تهدف إلى "تجريد الأعمال من صبغتها الدينية"، أو بالأحرى تحييد تلك الجوانب من الحياة التى يراها الناس على أنها دينية، وفصلها عن الجوانب الإدارية الأخرى، والجوانب القانونية، بل وعن الحياة الاقتصادية.

ونحن نجد أن الأمراء والرؤساء، طوال الفترة الاستعمارية يشكلون قوة من سماسرة ووسطاء القوة المهمين فى التأثير على الجيل الجديد من الزعماء السياسيين، كما يعملون أيضا حلفاء للقوة الاستعمارية.

وفى فترة الاستقلال نجد أن قوى الزعماء التقليديين تدخل فى تنافس مباشر مع النظام السياسى الجديد. كما نجد أيضا أن المدى الذى وصلت إليه الأدوار المركبة التى يلعبها رجال السياسة فى السياسات التقليدية، وكذلك الأدوار التى يلعبها الأمراء والرؤساء فى النظام السياسى الجديد، هو الذى يسهل هذا الانتقال وييسره. ونجد أيضا أن هدف أحمد بللو هو المحافظة على مناصب الزعماء التقليديين ولكن مع تولى القيام بكثير من مهامهم وسلطاتهم.

لما كان تضامن المجتمع الإقليمى أمرا ضروريا فى الصراعات الانتخابية العامة على السلطة، التى تتحول إلى الشمال فى نهاية المطاف، فذلك يستلزم عدم تقسيم المجتمع من "داخله" Core. من هنا يجرى إحباط المنازعات المحلية. وهذا يعنى تقدير منصب الأمراء والرؤساء، على الرغم من أن عددا كبيرا من شاغلى هذه الوظائف قد يجرى عزلهم أو تقديم استقالاتهم، إما بسبب الفساد أو لأنهم لا يستطيعون التوافق مع مجالسهم. وفى أغلب الأحوال، يجرى تشجيع العناصر الشابة المتعلمة فى الغرب على المنافسة على تولى هذه المناصب. هذه "الوظيفة" أو المنصب يشكل رابطا من روابط الماضى، ولكن شاغلى هذه الوظائف أو المناصب يتحتم عليهم توفير الروابط التى تربطهم بالحاضر والمستقبل.

الخدمة المدنية والشباب:

الخدمة المدنية هى مفتاح الوصول إلى المجتمع الكبير. فى ظل الأنظمة السابقة للاستعمار، كانت قوة ومجال المنظومة السياسية، تتمثل فى معظم الأحيان فى الارتباط المباشر بالقدرة الإدارية. وهنا تبرز أهمية المراسلات المدونة، ومن هنا تتجلى أهمية تلك المناطق التى يجرى فيها استعمال اللغة العربية. كما نجد أن التخصصات المهنية أقل أهمية من الاستعداد الشامل لحياة عملية فى مجال "الإدارة". ويتجلى هنا أن التعليم كان هو المفتاح إلى هذه الخدمة السابقة لما قبل الاستعمار، وذلك على الرغم من وجود بعض الأمثلة على أشباه المتعلمين الذين كانوا يشغلون مناصب إدارية.

يظهر خلال فترة الاستعمار اتجاه نحو محاولة استعمال البنى الإدارية التقليدية، فى الوقت الذى يجرى فيه الارتقاء بالنوعية وبنظام الإجراءات بصورة متدرجة. هذا يعنى أن الإدارة كلها على وجه التقريب إنما تجرى باستعمال اللغات المحلية، وفى مختلف الإمارات مازالت اللغة العربية هى لغة السجلات الرسمية. وتبرز فى أواخر المرحلة الاستعمارية الحاجة إلى نشر الموظفين المدنيين الذين تعلموا فى الغرب ويتكلمون اللغة الإنجليزية، فى كل المستويات. فى هذه المرحلة، تحاول السلطة الاستعمارية، مع حساسيتها للمضاعفات المترتبة على ذلك، تعجيل وتسريع وتيرة التعليم الغربى، ولكن ذلك حتم على سلطة الاستعمار زيادة اعتمادها على النازحين من المناطق الساحلية النيجيرية، وبخاصة أولئك الذين تعرضوا فترة طويلة للتعليم الغربى. وهذا بحد ذاته يخلق موقفا يتطلع فيه شبان الشمال؛ أثناء حصولهم على التعليم الغربى، إلى المشاركة التى سبق أن سارع إليها أهل المناطق الساحلية الذين سبقوا الشماليين فى الحصول على التعليم الغربى. وهذا بدوره يؤثر على المناخ السياسى كله فى مطلع فترة الاستقلال.

كان زعماء الشمال كلهم على وجه التقريب، قبيل فترة الاستقلال، من المتعلمين فى الغرب، بل إنهم يمثلون، فى واقع الأمر، الجيل الأول من المدرسين الشماليين والنظار الشماليين. هذا يعنى أن ذلك الجيل حاول تسريع خطى التعليم الغربى ووتيرته، كما حاول أيضا التأكد من أن وظائف الخدمة المدنية لا يجرى احتكارها من قبل أولئك النازحين إلى الإقليم الشمالى من مختلف أجزاء البلاد.

وأثناء الاستقلال، يظهر الجيلان؛ الثانى والثالث من شبان الشمال وقد تجلى فيهما التعليم الغربى، الذى جاء نتيجة لبرامج متسرعة على المستويين: (الداخلى والخارجى)، ولكن هذين الجيلين، كانا يركزان فى معظم الأحوال على المستويات العالية من الصفوة المتعلمة فى ذلك الوقت.

هؤلاء الشبان هم الذين جرى الاعتماد عليهم عند الإحلال. هؤلاء الشبان هم الذين حلوا محل الموظفين الإداريين البريطانيين الذين أداروا المنظومات الكبيرة طوال سنوات، ولكن بدون الحاجة إلى وصاية شعبية. هذا يعنى أن الشماليين الجدد جرى إلقاؤهم وسط الصراع الداخلى والتغيير السريع، على أمل أن يكون أداؤهم على أساس من الكفاية والنزاهة والتقدير المتوازن.

هؤلاء الشبان، وتلك الخدمة المدنية هما اللذان اعتمد عليهما أحمد بللو. وبغض النظر عن وجهات نظر أولئك الشبان، سواء أكانوا راديكاليين أم محافظين – (وكان السواد الأعظم منهم من الراديكاليين) – جرى تجميلهم وتحميلهم أعباء متزايدة من المسئولية، ولكن ذلك كان بعيدا عن السلطات العسكرية التى كان النظام الاستعمارى يستطيع تحريكها إذا ما تطلب الأمر ذلك. كان أحمد بللو يرى أن هؤلاء الشبان الصغار المتعلمين والذين يتكلمون الإنجليزية هم الذين يمثلون المستقبل فى البلاد. وعلى الرغم من أن أحمد بللو لم يكن يرتدى "اللباس الغربى" إلا أنه يشجع التعليم الغربى.

إستراتيجيات (خطط) التنمية:

تهدف خطط تنمية القوة البشرية فى الشمال إلى تدريب الناس على توفير السلع والخدمات الضرورية للمجتمع. ويجرى تحقيق ذلك من خلال سلسلة من

الحوافز والقيود. ويجرى دعم القدرات والإمكانات المحلية من خلال الاتجار مع منظومات السلع والخدمات الأخرى. هذا يعنى أن تعليم المهارات وتعليم القيم والمعايير المدنية لهما الأهمية نفسها. يزاد على ذلك أن روابط البنية الأساسية بين البلدان، من خلال النقل وشبكات المواصلات، تعد أمورا مهمة. ويجرى تحقيق التقسيم الحضرى للعمل من خلال الحرف المحلية ومن خـــلال الصناعات التـــى لا تستعمل سوى المواد المحلية. هذا يعنى أن الزراعة هى العمود الفقرى للمجتمع، وأن أرض الريف، التى لا تعد أمرا نادرا، تقوم على حق الانتفاع. ويجرى أيضا تطوير كل من منظومات التسويق اللازمة لتوزيع الطعام والغذاء، ومنظومات المنتجات الزراعية. والعائق الوحيد أمام إنتاجية الأرض يتمثل فى توفير الأيدى العاملة (التى يجرى توفيرها عن طريق الأسر الممتدة) والماء.

المفترض أن الترتيبات المالية والنقدية تقوم، من الناحية التاريخية، على قواعد ثابتة فى ولايات الشمال. هذا يعنى أن الضرائب تشكل جزءًا معينا من العائد أو الربح. كما أن الولاية هى المسئولة عن الترتيبات النقدية. والمشاركة الشعبية فى الاقتصاد مقصورة على قوانين المراقبة، بالإضافة إلى بعض بنود الرفاهية والمصلحة الشعبية، أو بعض المعارف التى يجرى استخراجها نيابة عن الولاية. والملكية الخاصة محصنة ضد الحجز العرفى، إضافة إلى أن القسم الأكبر من الزراعة، والتجارة والصناعة هو فى أيدى السكان العاديين. ويجرى الترحيب بالأجانب الذين يودون الدخول إلى مجال المال والأعمال فى أى مكان من الأماكن شريطة التزامهم بقوانين الأرض، وطالما أنهم من أهل الثقة.

طوال فترة الاستعمار، يجرى تحوير القسم الأكبر من المنظومة الاقتصادية، إلى خليط من الرأسمالية الاحتكارية (مع شركات أجنبية كبيرة لها حقوق مطلقة فى الإنتاج أو التوزيع) أو إلى أشكال رأسمالية ولاياتية، تقوم الولايات فيها بشراء المحاصيل النقدية بأسعار ثابتة، ثم تقوم بإعادة بيع هذه المحاصيل بالأسعار العالمية؛ وبذلك تأخذ الولايات الفرق على شكل ضريبة من الفلاحين يجرى استعمالها بعد ذلك فى أشكال ومناحى التنمية الأخرى.

تتواصل، فى فترة ما بعد الاستعمار، بعض أشكال الرأسمالية المحتكرة، وبعض أشكال الرأسمالية الولاياتية، ومع ذلك تبدأ منظومة المشروع الوطنى فى إثبات وجودها، كما يبدأ الحرفيون والصناع المحليون، والتجار فى لعب دور مهم فى حياة المجتمع الاقتصادية (والسياسية).

يقوم الموقف المتناقض من التعليم الغربى على نوع من الشك يفيد أن المكون الأخلاقى فى التعليم إما يجرى حذفه، أو استبداله بنوع من التدريب الدينى. ولذلك نجد أن هذا الموقف يحتاج فى أعلى مستوياته إلى نوع من الزعامة، لتعمل، وبطريقة مقنعة تماما، على حل مسألة مقاومة التعليم الغربى. هذا يعنى أن التأخير الزمنى فى التنمية التعليمية يقدر عادة بحوالى جيل واحد - (الزمن اللازم لإلحاق الأطفال بالمرحلة الابتدائية، وإكمال تدريبهم، ثم إدخالهم إلى الاقتصاد ككل، وأثر ذلك الإدخال على الاقتصاد نفسه). هذا التحدى التعليمى هو بمثابة الأولوية الأولى عند حكومة الشمال سواءً كان ذلك قبل الاستقلال أو بعده.

مسألة الحصص، فيما يتعلق بمن له الحق فى التعليم، هى الشغل الشاغل للأجيال اللاحقة، على الرغم من استمرار تمويل التعليم باعتباره مشكلة شعبية وعامة. (يعد التعليم بشكل عام، واحدا من أوليات مسئوليات كل ولاية من الولايات).

تجرى مناقشة مسائل الحصص التعليمية الأكبر ضمن الإطار عام لأهداف الحكومة؛ وذلك بقصد النهوض بأعباء العدالة فى المجتمع. ومع ذلك، فإن الكثير من مشكلات "زيادة حصة التعليم" يجرى سترها داخل إستراتيجيات "النمو". يضاف إلى ذلك أن التمييز بين عدم المساواة على المستوى الفردى وعلى المستوى الإقليمى يضفى كثيرا من الحرج على الجدل الدائر حول مسألة "النمو بالحصة". ومعروف أن خطة التنمية الرئيسية التى انتهجتها حكومة الإقليم الشمالى قبل الاستقلال وبعده، إنما تقوم على "النمو المتوازن"؛ أو بالأحرى هى جهد لإزالة الفروق الإقليمية والجغرافية التى ورثها الإقليم الشمالى عن الفترة الاستعمارية.

المسائل الدينية:

ينظر الناس إلى الدين، نظرة حقيقية يقرها الجميع، تفيد أن الدين يحتوى على كل جوانب الحياة الشخصية، والاقتصادية، والاجتماعية والسياسية. بعض آثار الحكم الاستعمارى تهدف إلى التفرقة بين القطاعات، كما تنظر هذه الآثار، إلى "الدين" باعتباره مقصورا على المسائل الشخصية وحدها، أو على أمور بعينها من القانون المدنى. والناس هنا ينظرون إلى التعليم الدينى باعتباره مسألة خاصة، لا علاقة لها بالولاية، نظرا لأن الولاية الاستعمارية "وعدت" بعدم التدخل فى الدين.

كان الناس، فى فترة ما قبل الاستعمار، ينظرون إلى الدين باعتباره داخلا فى كل جانب من جوانب الحياة. وهنا نجد أن فكرة الولاية العلمانية بدأت فى الظهور على أنها نتيجة من نتائج الاستعمار؛ ومن هنا نرى أن كثيرا من هذه المسائل المتعلقة بدور الولاية بدأت تعاود الظهور من جديد، فى فترة ما بعد الاستعمار. (وإذا كانت "العدالة" مرتبطة بمبادئ الدين، فما الهدف من الولاية، إن لم يكن هو العدالة نفسها؟) تحاول ولاية ما بعد الاستعمار فى شمالى نيجيريا تجميع بعض الأشياء إلى بعضها، وبخاصة تلك الأشياء التى قامت الولاية الاستعمارية بفصل بعضها عن بعض. من هنا، فإن الناس يحسون أن التعليم الإسلامى يسير فى مسار التعليم الغربى نفسه، وأن القوانين الإسلامية تتداخل فى بعض الأحيان مع بعض الجوانب الشرعية الأخرى.

تهدف النظرية الاستعمارية، من بين ما تهدف إليه، إلى النظر إلى وحدات إقليمية معينة باعتبارها "مستقلة ذاتيا". وبالتالى تعمل هذه النظرية على منع مثل هذه الوحدات من الاتصال بالمجتمعات الأكبر، التى قد تكون لها قيم أخرى مشابهة. هذا يعنى أن إستراتيجية "فرق تسد" تعد مسألة مهمة فى أقصى الشمال. ومعروف أن المجتمعات الإسلامية فى غرب إفريقيا كانت تشكل مقاومة كبيرة للحكم الاستعمارى. وهذا بدوره يسفر عن السياسة المتناقضة التى تقوم على "تمجيد" المجتمع المحلى وتهميشه باعتباره "مجتمعا محليا"، وليس جزءا من مجتمع

عالمى. يضاف إلى ذلك أن الخوف من المهدية Mohadism فى السودان، وكذلك الروابط الوثيقية التى تربط شمال نيجيريا بالسودان هما بمثابة المناخ المخيف الذى يثير الفزع فى قلوب المديرين الاستعماريين؛ كما أن هذا الخوف هو الذى يولد الرغبة فى الإبقاء على المجتمعات الإسلامية فى شمالى نيجيريا "منعزلة" عن قطاعات المجتمع الإسلامى فى سائر أنحاء العالم. يضاف إلى ذلك، أن النتائج السياسية المترتبة على نظرية التجميع الدينى، والتى نجم عنها تقسيم الهند وباكستان ليست غائبة عن الذاكرة الاستعمارية.

إحياء الاهتمام بالشئون الإسلامية العالمية يعد واحدًا من التطورات المهمة بعد نقل السلطة إلى النيجيريين فى الشمال. ومفتاح ذلك التطور يكمن فى الحج إلى مكة والمدينة (المنورة) فى المملكة العربية السعودية. تنظيم رحلة الحج هذه تتطلب موهبة سياسية وإدارية كبيرة، ويسلم الجميع بها فى الشمال باعتبارها واحدة من المهام الرئيسية للحكومة.

ونتيجة للتطورات التى طرأت على التعليم، وعلى القانون، وعلى الحج، وإضافة أيضا إلى إحياء الاهتمام بمسألة الإخوان المسلمين، بدأ الناس يعيدون تقييم دور الولاية، باعتباره دورا منفصلا عن الدور الذى يقوم به الزعماء فى الأمور الدينية.

المسائل المجتمعية:

قبل الحكم الاستعمارى، نجد أن الخلافة فى سكتو تعد واحدة من أكبر المجتمعات السياسية (والاقتصادية) فى إفريقيا، وبالقطع هى الأهم من الناحية السياسية فى نيجيريا. ولكن مسألة الطريقة التى حققت بها هذه الخلافة، هذا الشكل من الوحدة، وكيف استطاعت تلك الخلافة تحاشى التفكك والتمزق، هما أمران فرعيان فى هذه الدراسة. هذا يعنى أن تسود خلافة سكتو للإقليم الشمالى أثناء الحكم الاستعمارى كان يجرى التوازن معه باستعمال منطقتين أخريين. هاتان

المنطقتان الأخريان هما: برنو Borno وذلك الذى يطلقون عليه اسم "الحزام الأوسط"، الذى يتكون فى منظمة من مجتمعات عرقية غير إسلامية. كان التحدى الرئيسى فى فترة ما قبل الاستقلال، وفى مطلعة، يتمثل فى إيجاد علاقة عملية بين هذه المناطق الثلاث الموجودة فى الشمال، إضافة إلى تحقيق الانسجام داخل خلافة سكتو ذاتها، التى بدأ يتزايد تمزقها.

تقوم إستراتيجية تحقيق الانسجام الإقليمى فى بعض أجزائها على الثقافة السياسية للخلافة: استخدام "البوابات"، والتطوان، ودور الضيافة، والتوازن بين المجموعات العمرية والمهن؛ واستعمال الروايات المضحكة، والتوازن بين المكافآت فى ضوء المنافع المجتمعية. ولكن مسألة اعتماد ذلك الانسجام على أساس دينى لم تثر إلا مع مطلع فترة الاستقلال.

وإذا ما نحينا الانسجام الإقليمى الشمالى جانبا، نجد أن مسألة العلاقات مع بقية نيجيريا كانت تحظى باهتمام كبير. ويرجع سبب ذلك إلى تصميم زعامة الإقليم الشمالى على إبعاد أو إن شئت فقل نقل مسألة توازن القوة من المناطق الساحلية إلى الداخل. من هنا، فإن إستراتيجيات وخطط تحقيق هذا الهدف سوف تشكل موضوعا فرعيا فى هذه الدراسة، ولكن هذا الموضوع الفرعى سوف يشتمل على استعمال مهام "النقط المتقدمة" فى ليجوس، وفى الخارج أيضا، وعلى استعمال سياسة الانتقاء والانتخاب توخيا لكسب القوة والسلطة.

قيم وزعامة:

قد يتغير أسلوب الزعامة فى فترات تاريخية مختلفة، ولكن يتبقى فى معظم الأحيان قدر كبير من ملامح السلطة العامة. يشغل استكشاف هذا الموضوع قسما كبيرا من هذه الدراسة. عوامل الأسلوب، بما فى ذلك التمويل الذاتى وأسلوب الحياة تدخل ضمن دائرة الاهتمام الرئيسية. يضاف إلى ذلك أن الاعتراف بفضل الناس السياسى على مختلف طبقات المجتمع، يعد أمرا واجبا. فكرة نسب الفضل

إلى أهله هذه، يجرى توصيلها إلى سياق الناطقين بلغة الهوسا عن طريق تحليل الشعر "الشعبى" الهوساوى والأغانى الشعبية الهوساوية.

يزاد على ذلك، أن مسألة الزعماء الذين يقبلون تحمل المسئولية الشخصية عن الأعمال تعد أيضا واحدا من الموضوعات المهمة. أضف إلى ذلك أن فكرة العقاب النهائى فى هذا المجتمع الذى نحن بصدده هنا، تتمثل فى مسئولية الناس جميعا عن أعمالهم، أمام الله، بعد وفاتهم التى يمكن أن تحدث فى أى وقت من الأوقات.

٤- المصادر:

إلى أين يتجه الباحث طلبا لمعطيات عن شخصية بارزة مثل شخصية أحمد بللو، وبخاصة عندما يريد مثل هذا الباحث تصنيف المسائل المتعلقة بالشخصية وبالثقافة، وكذلك المسائل المتعلقة بالتاريخ السياسى الذى دام فترات عدة؟. جرت العادة أن يتوفر فى مثل هذه الظروف، قدر هائل أو قليل جدًا من المعطيات. مع مثل هذا الحال، تزداد المشكلة تعقيدا بعد اغتيال أحمد بللو، إذ قام العسكريون الذين اغتالوه بإحراق ملفاته كلها، بل إنهم ذهبوا إلى مقر جريدة النيجيرى الجديد، وأتلفوا آلاف الصور. من الواضح، أن أولئك الجنود كانوا يحاولون تناسى ذكرى أحمد بللو لأسباب سياسية. مع انفصال الشمال فى عام ١٩٦٧ – ١٩٦٨، ومع تقسيم الموارد والأصول، جرى إعادة نقل الصور والسجلات من كادونا إلى المناطق الأصلية وبالتالى لم تعد تلك الصور والسجلات فى متناول الناس. طلب العسكر إلى قسم الملفات فى جريدة جاسكيا (الحقيقة) إحضار الملفات الخاصة بفترة الخمسينيات والستينيات وأمروا بإحراقها، وجرى تنفيذ ذلك فى القسم الأكبر من تلك الملفات. بعض هذه الملفات أمكن إنقاذها من الحرق وبالتالى رأت النور فى هذا الكتاب. ومن بين الأهداف التى تقف وراء تأمل أحداث عشرين عاما مضت على وفاة أحمد بللو، هدف الوقوف على هذه المصادر المدونة والشفاهية، قبل أن يعفو الزمن على هذه المصادر. (وهذه المجموعة السَّنية لأحمد بللو، قد أوشكت على الانقراض، فضلا عن أن الكثيرين ممن كانوا على صلة وثيقة بأحمد بللو لم يعودوا بيننا بعد) وتتمثل المصادر النمطية للسيرة الذاتية أو التاريخ السياسى فى

مصادر شفاهية، ومصادر مدونة، وصادر تقوم على الملاحظة والمشاهدة. ومع مثل هذا الحال، فإننا عندما نحاول عكس آراء عدة، نجد أنفسنا نحاول القيام بنوع من "التصنيف والتبويب"، بالرغم من عدم إمكانية تحقيق ذلك بطريقة علمية. ومع ذلك فإن المصادر الرئيسية لهذه الدراسة تتمثل في:

١) المقابلات الشخصية.
٢) الوثائق.
٣) اليوميات الخاصة والمراسلات.
٤) السير والسير الذاتية.
٥) شعر الهوسا.
٦) المعطيات القائمة على المشاهدة والملاحظة.
٧) المصادر الأكاديمية (المنشورة وغير المنشورة).
٨) مصادر أخرى متنوعة.

المقابلات الشخصية:

يتمثل اهتمام هذه الدراسة الأول في شمالي نيجيريا، الذى كان محط اهتمام أحمد بللو السياسي. فقد بذل أحمد بللو جهدا كبيرا في زيارة كل مناطق الشمال المهمة، بما في ذلك مناطق خلافة سكتو السابقة في كل من برنو Borno والحزام الأوسط. وقد اشتمل أولئك الذين أجريت معهم المقابلات الشخصية على بعض السياسيين السابقين (سواء أكانوا حلفاء أم معارضين)، وزعماء تقليديين، وموظفين حكوميين. يزاد على ذلك، أنه جرى أيضا إجراء بعض المقابلات مع بعض الزعماء الدينيين، ومع بعض رجال المال والأعمال. (وهنا يجب أن نلاحظ أن الزعماء الثلاثة الذين كانوا يمثلون المعارضة في الشمال: أمين كانو، وجي. إس تاركا Tarka ومعهما إبراهيم إمام – قد توفوا جميعا. وبالرغم من ذلك، فقد تمكن المؤلف في الماضي من الاتصال بهؤلاء الأفراد، كما كانت تجمعه صداقة شخصية مع المرحوم أمين كانو، وتلك الصداقة دامت قرابة ثمانية عشر عاما قبل أن يلقى أمين كانو ربه في شهر أبريل من عام ١٩٣٣م قبل الشروع في هذه الدراسة).

حاولنا إحداث نوع من التوازن الجيلى، بالرغم من أن الشريحة السنية لأولئك الذين يعرفون أحمد بللو تقتصر، وذلك لأسباب واضحة، على أولئك الذين فى الأربعينيات/ أو الثمانينيات من العمر. كانت الشرائح العمرية الثلاث ممثلة فى كل من:

١) أنداد أحمد بللو (أى الجيل الأول من زعماء الشمال المشاركين فى السياسة الإقليمية أو الوطنية).

٢) أولئك الذين ربما كان أحمد بللو ينظر إليهم باعتبارهم "أشقاء صغارا"، أى الجيل التالى من زعماء الشمال.

٣) الجيل الثالث من أولئك الذين ربما كان أحمد بللو ينظر إليهم باعتبارهم "أبناء" (أبناء إخوانه).

هذا التصنيف لتلك المجموعات السنية المتدرجة سوف يلقى المزيد من الاهتمام فى المراحل التالية من هذه الدراسة، ولكن من المهم أيضا أن نقر ونعترف بتأثير العمر القوى على المنظور. (فيما يتصل بالأجيال التى جاءت بعد أحمد بللو، نجد أن أمين كانو اعتاد أن يروى القصة التى تفيد أن شريطا تليفزيونيا لأحمد بللو كان يذاع على الهواء فى سبعينيات القرن العشرين، وهنا فغر الشبان الصغار الجالسون فى الغرفة أفواههم دهشة لأن أحمد بللو كان يتكلم الإنجليزية!)

بعض أهل ولاية سكتو، يمثلون أهمية كبيرة فى هذه الدراسة، الأمر الذى جعلنا نبذل المزيد من الجهد فى سبيل تحديد أماكن الرفاق الذين زاملوا أحمد بللو فترة طويلة – (سواء كانوا خدما، أو طلابا، أو زملاء) – فى رباح Rabah، وبرنن كبىِّ Birnin Kabbi، وأرجونجو Argungu وفى أماكن أخرى. أما نساء العائلة فلم يجر التعامل معهم بصورة مباشرة، وإنما جرى الاتصال بهن بطريقة غير مباشرة.

يزاد على ذلك، أننا أجرينا بعض المقابلات الشخصية فى مدينة ليجوس وذلك فى محاولة منا لتحقيق منظور وطنى. كما قمنا أيضا بمقابلات شخصية مستفيضة فى إنجلترا، مع أولئك الأفراد الذين عملوا مع أحمد بللو، وكان القسم الأكبر منهم من أولئك الذين عملوا فى مكتب رئيس الوزراء. وفى نهاية المطاف قمنا ببعض الاتصالات مع الأفراد فى العالم العربى / الإسلامى العليمين بالتطورات الدينية فى نيجيريا.

العقبة الحقيقية فى هذه الدراسة تتمثل فى تحديد المقابلات الشخصية على نحو يجعلها تتوافق مع الجدول الزمنى المحدد، الأمر الذى ترتب عليه الاستغناء عن بعض المقابلات الشخصية التى أجريناها مع بعض الناس الذين لديهم معلومات قيمة ورؤى قيمة أيضا. هذه المعاملة التصنيفية لا تتصف أناسا كثيرين أعربوا عن استعدادهم للتعاون معنا فى هذه الدراسة، ولكن لأسباب متباينة (نذكر منها تحولات الروابط السياسية فى نيجيريا التى أسفرت عن اعتلال صحة بعض الشخصيات)، لم نتمكن من إجراء مقابلات شخصية معهم. (ونحن نتطلع، إلى أن تصبح تلك الشخصيات جزءا من الدراسات التى ستلى هذه الدراسة، والتى ستكون بحاجة إلى المزيد من التفاصيل).

المصادر الوثائقية:

تتمثل المصادر الوثائقية الرئيسية فى أرشيف كادونا الوطنى، الذى يشتمل على ملفات سكتو الإقليمية، كما يشتمل أيضا على عدد كبير من ملفات مكتب رئيس الوزراء من فترة خمسينيات وستينيات القرن العشرين. وهذه الملفات الأخيرة تغطى جوانب كثيرة من الاهتمام الحكومى، كما تشتمل أيضا على المعاملات الموجهة إلى رئيس الوزراء. ولكن هذه الملفات لا تشتمل على ملفات الحزب السياسى (حزب المؤتمر الشعبى الشمالى)، الذى ربما كان أيضا ضمن الخسائر التى ترتبت على الحقبة العسكرية. (أى عندما جرى حظر الأحزاب السياسية، وعندما قام العسكريون بالاضطلاع بملفات هذه الأحزاب السياسية وتولى حسابتها البنكية).

ولقد أفدنا فائدة كبيرة من الإذاعة النيجيرية فى كادونا فى استعادة الشرائط الخاصة بالخطب، والمقابلات الشخصية، والمؤتمرات الصحفية التى عقدها أحمد بللو، بما فى ذلك أيضا الشرائط الخاصة بأسفار ذلك الرجل خارج البلاد. هذه الأشرطة كلها كانت باللغة الإنجليزية. كما يضم أرشيف الإذاعة النيجيرية أيضا مئات الأشرطة بلغة الهوسا، والمقابلات التى أجريت مع رئيس الوزراء، ومئات الأشرطة الخاصة بالأغانى المتعلقة بأحمد بللو. (والتى سنناقشها فيما بعد).

أفدنا أيضا بعض الشيء من دار الشمال فى كادونا، والتى كانت سكنا رسميا لأحمد بللو، فضلا عن كونها أيضا المكان الذى توفى فيه الرجل. وقد تحولت تلك الدار بعد وفاة أحمد بللو إلى مكتبة / ومركز للدراسات / وأرشيف. والذى حول الدار إلى هذا الوضع الجديد هى لجنة تاريخ الشمال، وذلك بتوجيه من كل من على عقيل وليمان شيروما Liman Ciroma (رئيسا) والأستاذ الدكتور عبد الله سميث عضوا / مديرا. وقد جرى تعيين لجنة تاريخ الشمال من قبل حكام ولايات الشمال ولم يجر فضها منذ ذلك التاريخ. وبعد أن جرى حل وكالة الخدمات العامة المؤقتة، جرى إلحاق دار الشمال فى كادونا، على جامعة أحمد بللو إلى يومنا هذا. وإذا كان السواد الأعظم من ملفات دار الشمال "مفتوحة" للجميع إلا أن البعض منها ما يزال "مغلقا" لأسباب أمنية. ويجدر بنا هنا القول إن المصادر الأرشيفية المتاحة هى:

١) أوراق المجلس التنفيذى القديم، بما فى ذلك المذكرات التى كتبها أحمد بللو عندما كان رئيسا للمجلس.
٢) أوراق الأمن، بما فى ذلك التقارير المرسلة من رؤساء الأحياء والرؤساء المقيمين إلى كادونا.
٣) الملفات المعتادة الخاصة بالشئون الإدارية اليومية، وعليها تعليقات بخط أحمد بللو نفسه.

يزاد على ذلك أن دار الشمال تشتمل أيضا على كثير من رسائل الدكتوراه التى تتناول شمالى نيجيريا، كما تشتمل تلك الدار على نسخ عدة من المعاملات التاريخية المدونة باللغة العربية، والمؤلفات المتعلقة بشمالى نيجيريا، وأعداد سابقة من الصحف الرئيسية.

تتمثل نقطة ضعف المصادر الأرشيفية، بشكل عام، فى زيادة عدد ملفات "طرد الأفراد". من هنا نجد أن مكتب السجل عام فى لندن، والذى يحتوى على السواد الأعظم من المواد الأرشيفية الخاصة بشمالى نيجيريا، قام بمقتضى القانون ليس بإلغاء عدد كبير من ملفات الأفراد فحسب، وإنما ألغى أيضا القسم الأكبر من ملفات الأنشطة التبشيرية فى شمالى نيجيريا.

في أرشيف كادونا الوطنى، هناك أيضا بعض الملفات التى جرى إلغاؤها، بما فى ذلك ملف أحمد بللو فى الفترة السابقة لعام ١٩٥٤م. والملاحظة الموجودة بدلا من الملف تفيد أن ذلك الملف قد أزيل بناء على أمر من رئيس الوزراء نفسه (أو بالأحرى، بناء على توصيات من كبار مستشاريه). وترتب على ذلك عدم وجود المعلومات التاريخية المهمة التى من قبيل تولى منصب السلطان فى عام ١٩٣٨، على سبيل المثال، أو المعلومات الخاصة "بمحاكمة" أحمد بللو نفسه فى عام ١٩٤٣؛ ضمن المواد الأرشيفية.

أرشيفيات الصحف، أو بالأحرى دور محفوظات الصحف كانت هى الأخرى من بين المصادر الوثائقية المهمة. كانت هناك فى شمالى نيجيريا، فى فترة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين حوالى ست صحف:

١) صحيفة المواطن النيجيرى Citizen Nigerian التى بدأ صدورها فى عام ١٩٤٩ واستمر إلى عام ١٩٥٦، عندما جرى إلغاؤها واستبدالها بجريدة أخرى أطلق عليها اسم النيجيرى الجديد Nigerian New فى شهر يناير من عام ١٩٦٦. وجريدة المواطن النيجيرى بمثابة السجل لتلك الفترة، وكانت على علاقة وثيقة بالحكومة. وكل التسجيلات الميكروفيلمية الخاصة بهذه الجريدة (المواطن النيجيرى) متاحة فى المكتبة البريطانية، فى القسم الخاص بمحفوظات الصحف (لندن)، وقد قمنا بدراسة مجموعة الأفلام كلها دراسة مفصلة أملا فى الإفادة منها فى هذه لدراسة.

٢) وجريدة "الحقيقة Gaskiya" إحدى الصحف التى تصدر بلغة الهوسا، تصدر اعتبارا من عام ١٩٣٩؛ وإذا كانت هذه الصحيفة تغطى المجال نفسه تقريبا الذى تغطيه جريدة المواطن النيجيرى (التى أطلق عليها فيما بعد اسم "النيجيرى الجديد") إلا أنها يغلب عليها التركيز على أخبار الثقافة المحلية والأخبار الدينية.

٣) جريدة البريد اليومى Mail Daliy، الناطقة بلسان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، صدرت فى كنو Kano فى مطلع فترة الاستقلال.

٤) جريدة المذنّب Comet صدرت أيضا فى كنو وكانت هى الأخرى سلالة غير مباشرة من جريدة الطيار Pilot الناطقة بلسان حزب NCNC الجنوبى، والتى تعكس فى معظم الأحيان آراء حزب الاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية NEPU.

٥) جريدة النجم الشمالى Northern Star التى تصدر فى كنو، كانت على علاقة بحزب AG.

٦) جريدة مبشر الحزام الأوسط Middle Belt Herald كانت تصدر فى جوز Jos. هذا بالإضافة إلى جريدة الديلى تايمز Daily Times التى كانت تصدر فى ليجوس.

يزاد على ذلك أن بعض الصحف الأخرى فى ليجوس كان لها مراسلون يقومون بتغطية شئون الشمال. هذه الصحف كلها متوفرة فى مختلف دور المحفوظات، ورجعنا إليها كلها سعيا وراء الحقائق.

اليوميات الخاصة، والمراسلات، والأوراق الشخصية:

المواد غير المنشورة والتى لا تدخل فى نطاق الملكية العامة عادة ما تكون مصادر رئيسية فى السِّيَر الذاتية. وفيما يتعلق بشمالى نيجيريا نجد أن كلا من البريطانيين طوال فترة الاستعمار، والنيجيريين فى مطلع فترة الاستقلال، كان يغلب عليهم جميعا عدم تدوين الأمور الخطيرة، وكان الجميع يغلب عليهم زيارة الشمال ومناقشة الأمور والموضوعات بطريقة مباشرة. وترتب على ذلك عدم وجود "مدونات ورقية" يمكن أن تفيد منها الأجيال.

فى الوقت ذاته، هناك أيضا بعض المصادر الشهيرة التى بدأت تظهر فى دائرة الضوء. وربما كانت يوميات أمين كانو الشخصية أهم هذه المصادر، هذه المذكرات حاليا ضمن تركة هذا الرجل، أو فى أيدى أولئك الذين يعهد إليهم بمثل

هذه الأشياء. تغطى يوميات أمين كانو الفترات الزمنية الثلاثة التى تتناولها هذه الدراسة: فترة ما قبل الاستقلال (١٩٤٧ - ١٩٦٠)، والجمهورية الأولى (١٩٦٠ - ١٩٦٦)، ثم الأزمة وفترة الإعمار (١٩٦٦ - ١٩٨١). هذه الفترات الثلاثة تقدر بحوالى خمسة وثلاثين عاما (١٩٤٧ - ١٩٨١) من اليوميات الحولية، مع بعض المداخل اليومية، فى بعض الأحوال، التى تجىء على شكل تعليقات على الأحداث السياسية والشخصية. ويتضح من كلام أمين كانو أن تلك اليوميات جرى تدوينها لتفيد منها "الذرية"، ونحن نتمنى أن تنشر تلك اليوميات فى الوقت المناسب. يضاف إلى ذلك أن المؤلف حصل على إذن تصفح تلك اليوميات وتدوين بعض الملاحظات، إذا ما تطلب الأمر ذلك. هذه اليوميات يزداد حجمها فى أواخر الفترة المشار إليها، ولكن الملاحظات المقتضبة الواردة عن المراحل الباكرة من مطلع تلك الفترة، فيها الكثير جدًا من المعلومات القيمة والمفيدة عن آراء أمين كانو فى ذلك الوقت.

أضف إلى ذلك، أن كثيرا من الشخصيات العامة (من البريطانيين والنيجيريين) لديهم أيضا مذكراتهم وتسجيلاتهم الخاصة التى تلقى بعض الضوء على بعض المشكلات وبعض التواريخ. هذه التسجيلات المؤسسية الخاصة توفرت لنا فى بعض الأحيان، ولذلك أفدنا منها واقتبسنا عنها.

السير الأخرى والسير الذاتية:

هناك بعض السِّير أو الدراسات التى جرى نشرها وتلقى بعض الضوء على بعض الآراء الخاصة فى أحمد بللو، وفى أمين كانو،[١] وفى يوسف. إس تاركا

(١) ألين فينستاين. الثائر الإفريقى: حياة وأوقات نيجيريا إبان حياة أمين كانو. ولتشاير. شركة ديفسون للنشر، ١٩٧٣.

Tarka،[١] وميخائيل أوكبارا Okpara،[٢] والشيخ شجارى Shagari،[٣] وبعض الزعماء البارزين الآخرين، بما فى ذلك قدر كبير من المعلومات عن كل من أزيكوى Azikiwe وأولوو Awolowo. وهذا هو الأستاذ الدكتور جيد أوسنتكون Jide Osuntokun (من جامعة ميدجورى) أكمل كتابه الخاص بسيرة الرئيس أكنتولا، وشرع أيضا فى كتابه سيرة السير كاشيم إبراهيم. هذا الرجل قدم لنا عونا ومساعدة عندما سمح لنا بالاطلاع على التبصرات غير المنشورة، والمعلومات، وبخاصة تلك المعلومات المتعلقة بالسير كاشيم إبراهيم. سيرة أبو بكر تافاوا باليوا هى أيضا على وشك الصدور[٤] واستطعنا الاطلاع على مسودة الفصول الأولى من تلك السيرة لنفيد منها هذه الدراسة. ظهور سير الزعماء الدينيين والحكام التقليديين سوف تتيح لنا فرصة مقارنة المعلومات بعضها ببعض واختيار الأفضل والأدق.

السِّير لها أهمية خاصة، وإذا ما ضربنا على ذلك مثلا بالسيرة التى يكتبها حاليا الرئيس أديبو Adebo[٥]، سنجد أنها سوف تضيف المزيد إلى دراسات الكثيرين ممن يشاركون فى الشئون الشعبية فى تلك الفترة: (ستكون للكتاب الذى يؤلفه باباتوندى جوس Babatunde Jose بعنوان "المشى على الحبل المشدود"،

---

(١) مشانجو سيمون (إعداد)، عطايا لزعيم كبير: جى. إس. تاركا. إينوجو، إيجيك ر. نوانكو إخوان، ١٩٨٢.

(٢) كريس أونوديل، الدكتور م. آى. أوكبارا: سيرة، إينوجو، ناشرى البعد الرابع ١٩٨٠.

(٣) أوجيبو. أوكيون، الشيخ شاجارى: سيرة أول رئيس تنفيذى لنيجيريا، لجبليجانا Ljublijana (يوغسلافيا)، أوجيبو، أوكيون، ١٩٨٢؛ وليام ديفيد الرئيس والسلطة فى نيجيريا: حياة الشيخ شاجارى، لندن، فرانك كاس، ١٩٨٢.

(٤) كلارك، تريفور، رجل شريف كريم المحتد، أبو بكر من الصخر الأسود (تحت الطبع).

(٥) أديبو، شيف سيمون، سنواتنا التى لن تنسى، ليجوس، ماكميلان، الناشرون النيجيريون، ١٩٨٤.

قيمته، فى ضوء مفاهيم شخصيات الشمال عندما يكتب عن هذه الشخصيات صحفى جنوبى يعتنق الدين الإسلامى السائد فى الشمال).(١)

من بين المشكلات العامة المتصلة بالسير فى اللغة الإنجليزية، بل وببعض "الأقوال" أو بالأحرى "المقتطفات من الخطب"، أن هذه الأقوال والمقتطفات يمكن توجيهها إلى جمهور وطنى أو جمهور دولى "مصطبغ بالصبغة الغربية"، ويجرى التركيز فيها على خصائص وقيم يمكن أن تحظى باستجابة طيبة من تلك الجماهير. وليس من المعتاد فى الدراسات التى من هذا القبيل (وبخاصة السير الذاتية) القيام بدراسة الأبعاد السياسية والثقافية المركبة التى يتعين على الفرد العمل فى ظلها.

هناك نمط مشابه نلحظه فى زيادة عدد السير المدونة بلغة الهوسا، وبخاصة تلك السير الخاصة بالحكام التقليديين، أو السياسيين المحليين، والتى يجرى التركيز فيها على السلالة النسبية والسلف، ونجد أن المطبوعات التى من هذا القبيل تعج بالصور الفوتوغرافية لأولئك الحكام والسياسيين وهم يرتدون الملابس التقليدية، وليس الملابس التى يرتدونها عندما يكونون على سفر إلى كل من لندن أو نيويورك.(٢) (وتعد الكتابة التى أوردها أبو بكر إمام عن سيرته الذاتية استثناء من هذه القاعدة).(٣)

---

(١) مقابلة شخصية، باباتوندوجوس، ٢٥ يوليو من عام ١٩٨٤، ليجوس.

(٢) راجع السِّير الخاصة بأمراء زاريا، وكنو، وكاتسنا. من ذلك على سبيل المثال، سيرة الحاج سعيد زانجو. وسيرة ايان زازو المعنونة، "تاريخ ملك زازو الحاج محمد أمين". زاريا. مؤسسة جاسكيا (فى عام ١٩٧٥).

(٣) راجع على سبيل المثال كتاب الحاج أبو بكر إمام عن سيرته الذاتية والصادر فى زاريا، عن دار شمالى نيجيريا للنشر، فى عام ١٩٤٤. فى ذلك الوقت كان أبو بكر أمام يعمل رئيسا لتحرير جريدة "جاسكيا" (الحقيقة)، وكان الرجل قد زار إنجلترا فى عام ١٩٤٣. وسجل انطباعاته عن تلك الزيارة بلغة الهوسا.

هذا التركيز نفسه ينطبق على الأدبيات المدونة باللغة العربية فى نيجيريا، والتى يجرى التركيز فيها على الأدوار الدينية التى تقوم بها الشخصيات الدينية، فى حين تغفل هذه السير التركيز على الجوانب الثقافية أو السياسية لهذه الشخصيات.

خلاصة القول أن قيم الجمهور المستهدف هى التى تحدد وإلى حد ما انتقاء المواد التى يجرى إدراجها ضمن السير الذاتية. هذا يعنى أن محاولة إحداث نوع من التوازن بين المجالات المتعددة، أو المنظومات القيمية، فى حياة الفرد ليست أمرا شائعا، وإنما تعد من الأشياء المهملة.

الشعر الهوسوى:

استعمال الشعر الهوسوى والأغانى الهوسوية باعتبارها جزءا من العملية السياسية، فى كل من المنظومة التقليدية(*) وفى فترة السياسة الانتخابية(**) موثق

(*) للمزيد عن الشعر التقليدى، رجع كتاب فريمونت بسمر، المعنون "موسيقى البلاط الهوسوية فى كنو، نيجيريا"، كولومبيا، ١٩٧١؛ وراجع كتاب جون إن بادن المعنون ""شعر الهوسا فى كنو""، الدراسات الكنوية ١ سبتمبر سنة ١٩٦٥؛ وراجع كتاب عبد القادر، دنداتى المعنون، ""مختارات من قصائد الشعر الهوسوى فى القرنين التاسع عشر والعشرين."" وراجع أيضا كتاب توماس نيلسون (نيجيريا)، فى عام ١٩٧٩. وعبد القادر دنداتى، المعنون "دور الشاعر الشفاهى فى المجتمع الهوسوى – الفولانى: دراسة حالة مامان شاتا Shata Mamman". رسالة دكتوراه، فى الأدب الشعبى، جامعة إنديانا، ١٩٧٥؛ وراجع أيضا كتاب عبد القادر دنداتى المعنون Wakokin Mudi Sipikin، زاريا، مؤسسة شمال نيجيريا للنشر، ١٩٧٢؛ وراجع أيضا كتاب بى ماك B Mack المعنون "شعر النساء الهوساويات الشفاهى." رسالة دكتوراه، جامعة ويسكنون، ماديسون، ١٩٨١؛ وراجع أيضا كتاب ايه دانجامبو Dangambo المعنون "المواعظ الهوسوية من عام ١٨٠٠ إلى ١٩٧٠: دراسة نقدية للشكل والمضمون، واللغة والأسلوب": رسالة دكتوراه، لندن ١٩٨٠؛ وراجع كتاب إس سادا Sada المعنون "الملمح الاجتماعى والنظم فى الشعر الشفاهى، من واقع شعر البلاط الهوسوى". وراجع أيضا كتاب بوك Buk ما Ma وإم M هسكت المعنون "الصور الذهنية للضوء والأفكار المرتبطة بها فى الشعر الإسلامى الهوسوى". وراجع أيضا كتاب إم هسكت المعنون، "تاريخ الشعر الإسلامى الهوسوى" لندن. ١٩٧٥.

(**) للمزيد عن الشعر السياسى الحديث والشعر الدينى راجع كتاب جون بارن المعنون "الدين والثقافة السياسية فى كنو"، بيركلى، مطابع جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٣؛ عبد القادر دنداتى، "شعر سعد زنجر الهوسوى الحديث." ويسكنسون، ١٩٧١ الذى نشر مؤخرا تحت عنوان "شعر، وحياة سعد زنجر=

توثيقا جيدًا(*). فى عصر التسجيلات والشرائط، يجرى تشغيل هذه التسجلات وتلك الشرائط من خلال الإذاعة وباستعمال الأجهزة الخاصة. وفى الفترة السياسية الانتخابية (فى كل من الجمهورية الأولى والثانية) نجد أن الشعر السياسى لعب دورا مهما فى عملية التواصل، يضاف إلى ذلك، أن هذا الشعر لا علاقة بينه وبين "وجهات النظر التقليدية".

يمكن فى إطار الثقافة الهوسوية تمييز ثلاثة أنواع من الشعر:

١) مُغنُّو القصور (الذين يطلقون عليهم اسم makadin fado بلغة القوم).

٢) والمغنون الشعبيون (الذين يقولون لهم makadin jama"a بلغة الهوسا).

٣) ثم المغنون الفلاحون makadin noma. الصنف الأول من هؤلاء المغنين يمكن أن يرتبطوا بأشخاص بأعينهم ليقوموا بدور "المدّاحين" (الذين يقولون لهم بلغة الهوسا maroka)، ولكنهم يمكن أن يقوموا بدور عام يلعبون فيه دور المعلقين على مجموعة متباينة من الأفراد والأحداث.

مغنُّو القصور هؤلاء قد ينتقدون الأفراد، من خلال المبالغة فى التملق والتزلف، أو قد يبتكر هؤلاء المغنون "عدوًا" خياليا ويروحون يهاجمونه. وقد يطلب هؤلاء المغنون من كبار زعماء القيام بأشياء بعينها، والارتقاء إلى مستوى التطلعات والآمال المرجوة. أما المغنون "الشعبيون" فهم عادة ما يوجدون فى المناطق الحضرية، وهم يُغنّون لرجال المال والأعمال، أو للحرفيين، أو قد

= وآراءه" زاريا، مؤسسة نشر شمالى نيجيريا، ١٩٧٤. راجع أيضا كتاب عبد القادر دنداتى المعنون، "دور الشاعر الهوسوى". وراجع أيضا كتاب جى إل فيرنس Furniss المعنون "بعض جوانب الشعر الهوسوى الحديث، الموضوعات، والأساليب والقيم، مع الإشارة إلى شعر دائرة الحكماء فى كنو." رسالة دكتوراه من جامعة لندن، ١٩٧٧؛ وكتاب جى فيرنس المعنون "بعض القيود على كتابة وانتشار الشعر الهوسوى الحديث". وراجع أيضا كتاب يحيى ابراهيم يارو ورفاعى آبا Abba. "دراسات فى لغة الهوسا وأدب الهوسا وثقافة الهوسا: مؤتمر الهوسا الدولى الأول (١٩٧٨)". وكتاب "قصائد الحرب الأهلية المكتوبة بلغة الهوسا").

(*) جرى تجميع الأشرطة الخاصة بلغة الهوسا فى مركز دراسة اللغات النيجيرية: جامعة بايرو، كنو. وفى وحدة التوثيق، قسم اللغات الإفريقية والنيجيرية، جامعة أحمد بللو. يضاف إلى ذلك أن الإذاعة النيجيرية فى كادونا لديها مجموعة كبيرة من شرائط الشعر الهوسوى.

يرتبطون بعدد كبير من المهن والحرف (فيما عدا الزراعة). والمغنون الفلاحون أو الـزراعيون، يغنـون لكبير الفـلاحين (الذى يطلق عليه أهل الهوسـا اسم Sarkin noma)، فى منطقة من المناطق الريفية، ويتجولون أيضا بين القرى.

أشهر الأوقات التى تناسب المغنين، هى ما بعد صلاة العشاء، وما بعد الظهيرة عندما يخلد الناس إلى الراحة. كما ينتشر هؤلاء المغنون أيضا فى شهر رمضان (وبخاصة بعد اليوم العاشر) حيث تشيع بينهم عادة "التجوال" لإمتاع الناس وتسليتهم. والمغنى قد تكون له جوقة تصاحبه أثناء الغناء، ويُعْرف، المغنون بالآلة التى يعـزفونها، والتى تتدرج من الـطبلة القصيرة المستديـرة (التى يقولون لها toushi بلغة الهوسا)، إلى الطبلة الطويلة الأسطوانيـة Chaji، إلى الآلات الوترية، التى من قبيل الآلات التى لكل منها قرعة فارغة فى أسفلها لتزيد من رنينها kukuma، أو الجيتار المحلى الذى يصنعه الناس هنا من علب السردين (ويطلقون عليه بلغة الهوسا اسم kuntugi).

كان لدى كل حزب من الأحزاب السياسية، فى فترات الانتخاب، مغنون ملحقون بالحزب. كان لدى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى NPC، على سبيل المثال، مغنيا يذهب إلى القرى، أو إلى قرية بعينها، ويروح يغنى (ممتدحا أحمد بللو)، ويروح يحث الناس ويشجعهم على الإدلاء بأصواتهم لصالح "الفأس" (رمز أحمد بللو فى الحزب). وهنا كان أحمد بللو يصل، بعد أن يتجمع حشد من الناس؛ ويروح يخطب فى الناس حول برنامج حزب المؤتمر الشعبى الشمالى؛ ثم ينتقل بعد ذلك إلى القرية التالية وهكذا.

حاولنا فى هذه الدراسة تصنيف هذا النوع من الشعر، من منطلق استخدامه لرموز غاية فى القوة، وصور ذهنية قوية أيضا، وموروث قوى؛ وهذه الأمور كلها لها وقع قوى على الناس (فضلا عن وقعها أيضا على الصفوة المختارة). ومن المهم أيضا معرفة الشعراء، حتى يمكن استجلاء آرائهم أو بالأحرى مواقفهم ووجهات نظرهم. وقد حاولنا انتقاء بعض الشعراء من سكتو، نظرا لأهمية هؤلاء الشعراء لأحمد بللو، كما انتقينا بعضا آخر من شعراء الشمال الآخرين. يضاف إلى

ذلك، أننا انتقينا أيضا أنواعا متباينة من الشعر تدرجت من الشعر السياسى إلى الشعر الدينى، ثم الشعر الثقافى بشكل عام. زد على ذلك، أننا انتقينا أيضا أشعارا من الفترات الثلاث، قيد البحث فى هذه الدراسة: الفترة من ١٩٤٩ – ١٩٦٠، والفترة من ١٩٦٠ – ١٩٦٦؛ ثم الفترة التى تلت وفاة أحمد بللو فى عام ١٩٦٦، والتى جرى فيها تأليف عدد كبير من قصائد الرثاء. (ما يزال الكثير من هذه الأشرطة تباع فى الأسواق، أو تجرى إذاعتها من خلال الإذاعة النيجيرية). وقمنا بتحليل حوالى ستين أغنية لخمسة عشر شاعرا / مغنيا. (راجع الجدول رقم ٢ صفحة ٨٢). وقد أشرنا إلى القصائد التى ألفها بعض الأصدقاء الحميمين لأحمد بللو.

المعطيات القائمة على الملاحظة:

قام مؤلف الكتاب بتتبع الآراء الثقافية وعناصر الحياة السياسية الأخرى على امتداد فترة عشرين عاما. كان المؤلف خلال عام ١٩٦٤ – ١٩٦٥ يعيش ضمن القسم التقليدى / أو بالأحرى ذلك الجزء من إمارة كنو الذى لا يتكلم الإنجليزية، كما تجول المؤلف أيضا فى سائر أنحاء البلاد فى ذلك الوقت. وقام بملاحظة القسم الأكبر من الأبعاد الثقافية المشار إليها هنا إما بطريقة مباشرة أو عن طريق مراجعة الملاحظات التى حصل عليها من الأعضاء، الذين يقتصر تواجدهم وحدهم على العناصر، التى يتحتم اقتصارها على أعضائها فقط (كما هو الحال فى بعض الشئون الدينية).

المصادر الأكاديمية:

الفترات الثلاث قيد البحث فى هذه الدراسة غنية بالمراجع والمصادر التى تتناول مناحى الحياة النيجيرية. ونظرا لأن بعض القراء قد لا يكون إطار الحياة النيجيرية مألوفا لهم، فقد أدرجنا ضمن الهوامش عددا لا بأس به من المراجع

(على شكل أبحاث لدرجة الليسانس، وأبحاث لدرجة الماجستير، وأبحاث لدرجة الدكتوراه) حتى يمكن أن يفيد منها أولئك القراء فى مختلف الموضوعات المتعلقة بهذه الدراسة، هذه المراجع يمكن الحصول عليها من مكتبات الجامعة، سواء فى نيجيريا أو فى الخـــارج، نظرا لعدم توفر تلك المراجع على نطـــاق واســـع، (رغم احتوائها على معلومات ستنشر فيما بعد)، وهى عامرة بالاستشهادات التى أوردناها فى المواقع الناسبة من هذه الدراسة. وتشتمل المراجع غير المنشورة على وثائق المؤتمرات، التى تعد مصدرا رئيسيا من مصادر المعلومات ووجهات النظر؛ وقد أوردنا تلك المصادر على شكل هوامش فى هذه الدراسة.

الجدول رقم (٢): شعراء هوساويون منتقون ذوو علاقة بأحمد بللو

مسلسل	الاسم	المنطقة	الفترات الزمنية	للقصائد	المنتقاد
			١٩٤٩ – ٦٠	١٩٦٠ – ٦٦	ما بعد ١٩٦٦
١	على ولد ساركارى	كتسنا		×	
٢	على بن داود	سكتو	×	×	
٣	ابن كيانا	سكتو	×	×	
٤	ابن ماريا جوس	اليضبة			×
٥	جاريا ماى تان شينكافى	سكتو	×	×	
٦	هارون سولو	كنو			×
٧	إبراهيم بن مانى	بوشى		×	
٨	إبراهيم ناهابوكاتسنا	كتسنا			×
٩	لوان جوديا	زاريا		×	
١٠	موسى دانكاويرو	سكتو		×	×
١١	مافان شاتا	كتسنا		×	×
١٢	مامان ساركن توشن كاتسنا	سكتو		×	×
١٣	سال جمبارا	كتسنا			
١٤	صالح جنكيطى	سكتو	×	×	
١٥	عمر ماى ساعه	سكتو		×	

مراجع متنوعة:

بعض المراجع غير الشفاهية وغير المدونة تتزايد أهميتها؛ وهذه المراجع تشتمل على ملفات الصور، وملفات أشرطة الفيديو، والأشكال الأخرى التى تدخل فى عداد الذكريات. هناك بعض الأشياء الأخرى الموجودة فى المتاحف، ولكن لن يكون بالإمكان استكشاف مثل هذه الأشياء قبل مرور زمن طويل.

خلاصة القول أن هناك سلسلة واسعة وكبيرة من المراجع والمصادر التى تغطى السّير التى من هذا القبيل. والواضح أن هناك. الكثير من المراجع فى المجال الدينى، وهذه المراجع سوف تستغرق سنوات طوال قبل التعرف عليها وتحديدها وتجهيزها لتكون فى متناول من يود الاستفادة منها. الاستفادة الحالية من هذه المراجع والمصادر تعد مجرد استفادة مبدئية. يضاف إلى ذلك أن مسئولية تقييم هذه المصادر وإحداث نوع من الموازنة فيما بينها ومزجها بعضها ببعض يعد من مسئولية المؤلف.

والإنسان عندما يمضى بعض السنوات فى العالم الأكاديمى، يتمكن من تعرف المصادر التى تبنى عليها الدراسات الكبيرة، وهذه المصادر عادة ما تعكس وجهة نظر بعينها، سواء أكانت وجهة النظر هذه تصريحية أم تلميحية. ونحن فى هذه الدراسة سنبذل المزيد من الجهد لنعرف تلك المصادر والمراجع ودورها فى وجهات النظر الرئيسة، وبذلك يتمكن القارئ المثقف من تقييم تلك المصادر بصورة مباشرة. لم يجر استعمال شرائط تسجيل فى المقابلات الشخصية، وذلك طلبا للصدق والصراحة، ولكن جرى تدوين الكثير من الملاحظات الشفاهية. من هنا فنحن بدورنا سنعمل على أن تكون الآراء والخبرات موجزة ومختصرة، الأمر الذى سيمنعنا من اقتباس تلك الآراء والخبرات بشكل مباشر، فى معظم الحالات. يضاف إلى ذلك أن القدر الأكبر من المقابلات الشخصية والأبحاث أمكن الانتهاء منه خلال الفترة من ١٩٨٣ - ١٩٨٤، وذلك عندما كان بعض الممثلين، الذين كانوا معنيين بهذا الموضوع، موجودين قبل عشرين عاما. وحرص المؤلف على تنقيه وجهات النظر الماضية فى ضوء السياسة الحالية.

هناك محظور واحد يتصل بالأسماء ويجب مراعاته عند استعمال المصادر. والمصادر الشفاهية والمدونة مليئة بالإشارات إلى أفراد ربما يكونون قد تغيرت أسماؤهم أو ألقابهم. من ذلك، على سبيل المثال، أن أحمد بللو كان يعرف في أيام شبابه باسم أحمد بن إبراهيم (أحمد بن ملك رباح بمعنى أحمد ولد رئيس حى رباح). وبعد أن حصل أحمد بللو على لقب المستشار الأول Sarduna أصبح يعرف باسمه أحمد مضافا إليه لقب "المستشار الأول" Sarduna. وفى أواخر الخمسينيات، ومن باب التركيز على روابط سلالته النسبية مع محمد بللو، بدأ الرجل، وبصورة متدرجة، فى استعمال الاسم أحمد بللو الذى تحول إلى مسمى كبير نظرا لعدم استخدام هذا الاسم من قبل. يضاف إلى ذلك أن حصول أحمد بللو فى عام ١٩٥٩م على لقب فارس جعل من الضرورى توحيد اسمه. وفى بعض الأحيان الأخرى كان الناس يشيرون إلى أحمد بللو بلقب "رئيس الوزراء" Premier. وطوال حياة هذا الرجل كان الناس يشيرون إليه بألقاب lakabi عدة كانت، فى معظم الأحيان، تركز على سمة معينة أو قرابة معينة للمتكلم.[١] هذا النمط من الأسماء المركبة يشيع عند السواد الأعظم من زعماء الشمال. ولعل هذا هو السبب وراء عدم فهم القائمة التى تضم أسماء خريجى كلية كاتسنا، لدى أولئك الذين ليسوا على دراية بتلك الأسماء المركبة. يضاف إلى ذلك، أن كثيرا من الأفراد، يحتفظون بطبيعة الحال، بأسماء "الأماكن" التى جاءوا منها طوال حيواتهم العملية (ومنهم على سبيل المثال الشيخ شاجارى، وهاليرو بنجى، وأبو بكر جومى، وأمين كانو، إلخ). يزاد على ذلك، أن أفرادًا آخرين، فى سنوات لاحقة، كانوا يفضلون أن يعرفهم الناس بألقابهم التقليدية، التى يعد الكثير منها ألقابا غير موروثة، وإنما كانت تسبغ على أصحابها بسبب إنجاز من الإنجازات (كما هو الحال فى لقب "وزير" مثلا).

---

(١) تشتمل ألقاب أحمد بللو على ما يلى: ١) أحمد بن حسّان (اسم سلطان سابق).
٢) أحمد حفيد الشيخ.
٣) جامجى Gamji (اسم شجرة ضخمة).
٤) جامجى بن كوارى (شجرة – الطفل المفضل).
٥) جامشيكا (اسم حية تلدغ عند الغضب).
٦) بابى (صرصار الغيط الذى يصدح). وسوف نوضح المزيد من أسماء هذا الرجل فى هذه الدراسة.

ونحن، فى هذه الدراسة، سوف نستخدم الأسماء والألقاب من حين لآخر، إذا ما دعا الداعى إلى ذلك، ولكننا سوف نلجأ إلى التوحيد، واستعمال اسم واحد فقط، إذا ما تطلبت ظروف الدراسة ذلك. وفى معظم الأحوال، سوف نستغنى عن ألقاب التعظيم (التى من قبيل "الحاج" أو "السير" التى يشيرون بها إلى شخص جرى إعطاؤه لقب "فارس" من قبل البريطانيين) مع عدم المساس باحترام الشخصيات. كما سنسقط أيضا من حسابنا فى هذه الدراسة الألقاب الدينية التعظيمية التى من قبيل "شيخ" Shaykh أو Shehu فى لغة الهوسا، أو "الزعيم العليم" Modibbo؛ سوف نلجأ إلى هذا الإسقاط ابتغاء للإيجاز وطلبا للوضوح، اللهم إلا إذا كان ذلك يؤثر على المعنى أو يفسده.

يجب أن نلاحظ أيضا أن أسماء الناس وأسماء الأماكن قد اعتورها شىء من التوحيد، ومن ثم أسفر ذلك عن الاستعمالات الحديثة، وهى التى فضلناها فى هذه الدراسة، وقد تكون مخالفة للأسماء الواردة فى اقتباسات سابقة. (من ذلك على سبيل المثال، أن مدينة "برنو" Bornu أصبحت تكتب بهجاء جديد هو Borno؛ وقد حدث ذلك فى عام ١٩٧١ – ١٩٧٢، وذلك بناء على قرار من مجلس Council برنو Borno). وعلى امتداد هذا المتن الهجائين مسلم Muslim و قرآن Qur"an، جرى توحيدهما. كما أن الحروف المعقوفة مثل b و d و k يجرى استعمالها كلما تطلب الأمر ذلك، وذلك من باب مسايرة التدوين الحالى فى لغة الهوسا. وإذا كانت الإنجليزية الأمريكية تظهر فى المتن، فإن الإنجليزية البريطانية تتجلى فى الاقتباسات.

أخيرا، فإن العمل فى بحث كبير مثل هذا البحث، والاعتماد على كثير من المصادر، لابد وأن تترتب عليه بعض الأخطاء الطفيفة، أو بعض الحذف، على الرغم من مراجعة المخطوطة مرات ومرات. ونحن نتطلع إلى التغلب على تلك الهنات الصغيرة فى الطبعات القادمة.

الفصل الثانى

ميراث سكتو

١ـ القيم والزعامة فى زمن الخلافة الباكرة:

تأسست فى مطلع القرن التاسع عشر خلافة سكتو[١] فى القسم الأكبر من ذلك المكان الذى أصبح يعرف فيما بعد باسم شمالى نيجيريا. (راجع الخريطة رقم ١) هذه الخلافة حلت محل منظومات الولاية – المدينة City - state، التى ظلت مُسْلِمَةً طوال مئات السنين، ولكنها أصبحت فيما بعد خليطا متباينا من الأديان، والممارسات الدينية والثقافية. هذه الخلافة لها علاقة بفهمنا لأحمد بللو نظرا لأن هذه الخلافة تمثل ميراثا ثقافيا سياسيا أحمد بللو نفسه جزء منه، يضاف إلى ذلك، أن هذا الجزء من الإقليم الشمالى يعد أكبر وأهم مجتمعات نيجيريا فى فترة ما قبل الاستعمار. هذه الخلافة كانت تتبع المذهب المالكى من الشريعة الإسلامية، فى الإطار السُّنى.

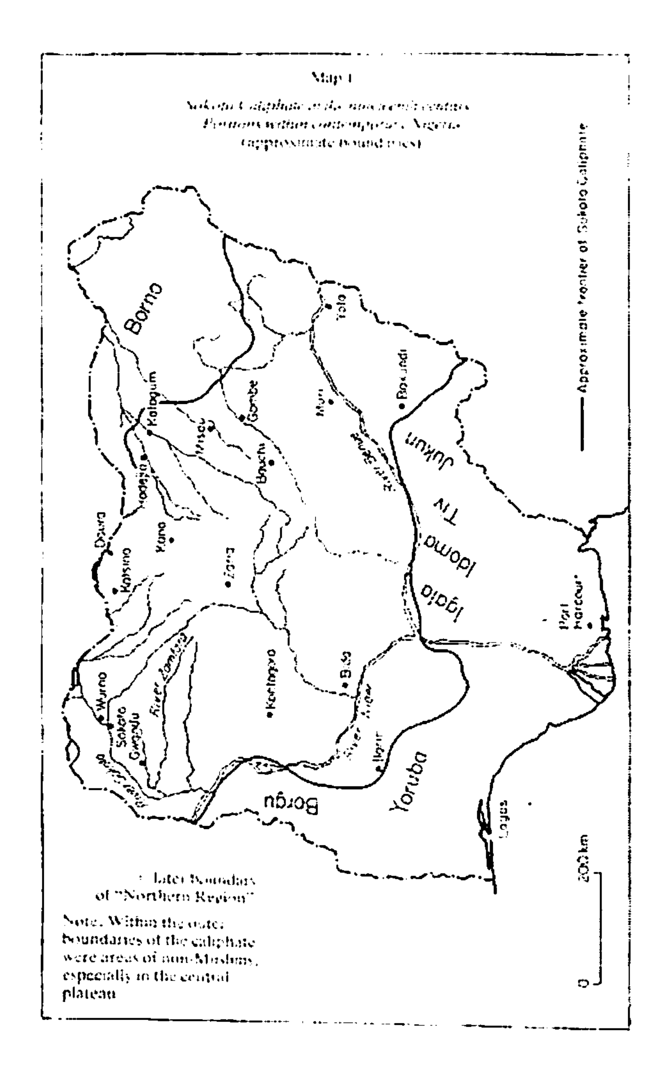
هناك أدبيات واضحة لخلافة سكتو وذلك فى الفترة ما بين بواكير سنوات المصلحين mujaddadai الذين استطاعوا من خلال حملتهم أو محاولتهم الجهاد Jihad إرساء أنماط القيم والزعامة فى المجتمع، واتباع أنماط سلطوية ومجتمعية تستوعب الكثير من العادات المحلية (بما فى ذلك مبادئ التصنيف) فى ولايات الهوسا والولايات المجاورة لها.

من هنا نجد أن ميراث خلافة سكتو فى مطلع القرن العشرين عبارة عن خليط من المبادئ والمثل الأصيلة. ثم بعد ذلك إرساء منظومات الإمارات. هذا الميراث المختلط. بوجهات نظره المتعددة، هو الذى يحاول أحمد بللو إبرازه على أنه جزء من جهده الشخصى الذى يرمى من خلاله إلى إعادة بعث وتحديد تراث أسلافه التاريخى.

---

(١) مصطلح " الخلافة " باعتباره مميزا عن "الدولة الإسلامية" بدأ استعماله فى وصف موروث سكتو، من قبل الباحثين الناطقين بالإنجليزية فى عام ١٩٦٣ الميلادى على وجه التقريب. وهذا المصطلح يستخدم بدلالته الجنسية فى هذا البحث. حتى عندما يرد بدلالته التاريخية.

الخارطة رقم (١)



خلافة سكتو فى القرن التاسع عشر
أجزاء داخل ما يسمى نيجيريا المعاصرة
(الحدود تقريبية)

ونحن فى هذه المقدمة سنحاول تقديم وصف مختصر للعناصر الرئيسية فى المرحلتين اعترافا منا بأن إحياء الاهتمام بهذه الموضوعات هو الذى عزز من آفاق هذا البحث، كما عزز أيضا الشروح والتفاسير والمناقشات على نحو سيحصل لها نتائج بالغة الأثر.

المصلحون معنيون فى المقام الأول بإقامة مجتمع عادل كما هو محدد فى الدولة الإسلامية القديمة، وهم لا يخشون انتقاد المؤسسة المعززة ثم الهجوم عليها بعد ذلك.[١] هذا يعنى أن أولئك المصلحين معنيون بمسائل التكامل الشخصى، وبتغيير المجتمع من خلال عملية إقامة المعايير الداخلية بين سائر الخلق. وهم يحيون حياة تقشف وعلم. وهم بكل المعايير، يتسمون بالشجاعة والعمل الجاد، وهم بالرغم من جدلهم فى الأمور فيما بينهم، لا يلجأون إلى الهجوم الشخصى. وهؤلاء المصلحون لا يجمعون لأنفسهم ثروات شخصية. والشيخ عثمان بن فودى (١٧٥٤ - ١٨١٧) واحد من الزعماء القوميين الكبار، وهو لا يجد غضاضة فى اتباع بعض العادات والتقاليد المحلية طالما أنها لا تتعارض مع الإسلام.[٢]

---

(١) للمزيد عن مناقشة العهد السابق راجع كتاب عبد الله أوجى المعنون، "عامل الجوبير Gobir فى تاريخ ريما Rima،" رسالة دكتوراه، فى التاريخ، جامعة أحمد بللو، ١٩٨٤ م.

(٢) راجع الكتب التالية، طلبا للمزيد عن الشيخ عثمان بن فودى:
- إسماعيل بالوجن Balogun. "حياة وأعمال عثمان بن فودى"، ليجوس، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٧٥.
- بالوجن آى. ايه. بى. "طبعة نقدية لإحياء والأعمال البديعة لعثمان بن فودى، الشهير باسم عثمان ولد فوديو"، رسالة دكتوراه، لندن، ١٩٦٧.
- عثمان بوجاجى. "دراسة مقارنة لتحركات عثمان بن فودى فى أرض الهوسا فى القرن التاسع عشر ومحمد أحمد المهدى فى القرن التاسع عشر فى السودان" رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم: ١٩٨١.
- إف. إتش. المصرى "دراسة نقدية لبيان وجوب هجرة العباد لصاحبه عثمان بن فودى،" إيبادان، ١٩٦٨. نشر الكتاب تحت عنوان "بيان وجوب الهجرة على العباد لصاحبه عثمان بن فودى"، الخرطوم، مطابع جامعة الخرطوم، مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٧٨.
- إف. إتش المصرى "حياة الشيخ عثمان بن فودى قبل الجهاد" مجلة الجمعية التاريخية فى نيجيريا، ٢ ديسمبر، ١٩٦٣، ص ٣٥ : ٤٨.
- مرفن هسكت، "كتاب الفرق"، كتاب عن مماليك حاب Habe منسوب إلى عثمان بن فودى، نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والدراسات الإفريقية، العدد ٢٣، عام ١٩٦٠ ص ٥٥٨ - ٧٩.
- هنويك، جى. أو. "قائمة بمؤلفات الشيخ عثمان بن محمد فودى". الأدب العربى فى إفريقيا: نشرة للسير ومعلومات السير. برنامج ايفانستون للدراسات الإفريقية. جامعة الشمال الغربى. العدد رقم ١ أكتوبر ١٩٨٤. ص ٤٢ - ٥٩.
- ايه. إم. كانى، النشاط الأدبى فى أرض الهوسا. فى أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر: مع الإشارة بصفة خاصة إلى الشيخ عثمان بن فودى المتوفى عام ١٩١٧. زاريا، ١٩٧٨. نشر هذا الكتاب بعنوان "الأصول الفكرية لجهاد سكتو"، لندن، المعهد الإسلامى، ١٩٨٥.
- المعلم فانتشى، يو. إف، "حياة الشيخ عثمان بن فودى، والسلطان محمد بللو..". رسالة ماجستير، ١٩٧٣.
- بى. جى. مارتن. الإخوان المسلمون فى القرن التاسع عشر فى إفريقيا، جامعة كمبردج، مطابع جامعة كمبردج، ١٩٧٦، الفصل الأول "عثمان بن فودى والجهاد الفولانى فى شمالى نيجيريا". من ص ١ - ١٣.

وعبد الله شقيق الشيخ عثمان، أكثر منه تنظيرا، وبحثا، وفقها كما أنه أقل تسامحا مع العادات المحلية.[١]

محمد بللو، نجل الشيخ عثمان بن فودى يُعد من العبقريات الإدارية؛ وهو يتناول المسائل العملية الخاصة بالتمردات والثورات ودعم المجتمع.[٢] هؤلاء الزعماء المصلحون الثلاثة، وكثيرون آخرون من المرتبطين بهم ضربوا المثل

---

(١) للمزيد عن تفاصيل سيرة عبد الله راجع الكتب التالية:
- ايه. عبد الحميد "عبد الله بن فودى مفسرًا". رسالة دكتوراه.
- إس. يو. عبد الله. "حياة وأفكار الشيخ عبد الله بن فودى،"
- أبو بكر جواندو، "عبد الله بن فودى فقيها مسلما،" رسالة دكتوراه، جامعة درم Durham، ١٩٧٧.
- أبا جيرى، بوجكوما دادود، "حياة وأعمال عبد الله بن فودى"، إيبادان ١٩٧١.
- مرفن هسكت، "مواد متعلقة بولاية العلم بين الفولانى قبل الجهاد."
- مرفن هسكت، (ترجمة وإعداد). عبد الله بن محمد، "تزيين الورقات". إيبادان: مطابع جامعة إيبادان، ١٩٦٤.
- الشيخ ياموسا، "الأفكار السياسية لزعماء الجهاد: ترجمة وإعداد وتحليل لـــ ١) أصول السياسة من تأليف محمد بللو. ٢) ضياء الحكام من تأليف عبد الله بن فودى،" رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية. كلية عبد الله بايرو. (جامعة عبد الله بايرو)، ١٩٧٥.
- زهر الدين إم. اس. "إسهام عبد الله بن فودى فى الجهاد الفولانى فى القرن التاسع عشر فى أرض الهوسا،" رسالة دكتوراه، مونتريال. ١٩٧٦.

(٢) للمزيد عن المؤلفات حول بللو راجع ما يلى:
- بللو، عمر (منظم). "قاعة بحث عن حياة وأفكار أمير المؤمنين محمد بللو،" سكتو، مركز الدراسات الإسلامية، جامعة سكتو، أبريل ١٩٨٥.
- بللو، عمر، "السلطان محمد بللو وكتابه الغيث الوبيل" رسالة ماجستير، جامعة عبد الله بايرو، زاريا، ١٩٧٩.
- بللو. عمر. "الفكر السياسى لمحمد بللو (١٧٨١ – ١٨٣٧) من واقع مؤلفاته العربية. وبخاصة كتاب الغيث الوحل فى سيرة الإمام العدل." رسالة دكتوراه جامعة لندن. ١٩٨٣.
- مالومشى عمر فاروق، "حياة الشيخ عثمان بن فودى والسلطان محمد بللو..". رسالة ماجستير، كلية عبد الله بايرو، جامعة عبد الله بايرو، كنو، ١٩٧٣.
- منه. إم. تى، "السلطان محمد بللو وإسهاماته الفكرية فى خلافة سكتو" رسالة دكتوراه. جامعة لندن. ١٩٨٢.
- الشيخ ياموسى. " الأفكار السياسية لزعماء الجهاد...." رسالة ماجستير. كلية عبد الله بايرو – جامعة عبد الله بايرو. كنو. ١٩٧٥.

على الزعامة[١] ودور المتعلمين فى المجتمع، ذلك الدور الذى ما يزال بمثابة المعيار الذى يقاس عليه السلوك عام. هناك بعض الجهود المبذولة فى اتجاه تفسير أفكار وقيم ومعتقدات زعماء الإصلاح تفسيرا حديثا، وبخاصة فيما يتصل بأهداف الحكومة، والتنظيم الإدارى، والخطوط السياسية الإرشادية.[٢] بعض آخر من المفسرين: يفسرون ويشرحون قيم الخلافة ومعتقداتها فى ضوء تأثيرهم على الثقافة المدنية "الراديكالية" فى شمالى نيجيريا، ويتتبعون تدهور وانحطاط الأفكار الأساسية

---

(١) من هؤلاء المصلحين أيضا، على سبيل المثال، الشقيق الرابع للشيخ محمد بللو وهو محمد النجارى، الذى لم يعين سلطانا مطلقا، وإنما كان شاعرا بارزا. ومحمد النجزى هذا هو الذى كتب المرثية العظيمة فى وفاة عبد الله بن فودى، إضافة إلى أنه كان من المقربين جدا إلى عبد الله بللو. وقد قام أحمد عبد الصادق حمود بدراسة أشعار محمد النجارى فى كتاب بعنوان "التحليل النفسى لشعر محمد النجارى بن عثمان بن فودى." دبلوم فى التربية، جامعة أحمد بللو. ١٩٨٢ (لغة عربية). المرثية كلها وردت فى طبعة عبد الله المعنونة "ضياء السياسات" وهى من إعداد أحمد محمد كانى (تمهيدا لنشرها مع الترجمة الإنجليزية).

للمزيد عن الأفراد الآخرين المشاركين فى الجهاد راجع ما يلى:

- أحمد بشير عثمان، "سيرة مختصرة لعبد القادر المصطفى" نشرة مكتب التاريخ بولاية سكتو، المجلد الأول، العدد الأول صفحة أو ما بعدها.
- جنيدو، إس. دبليو. "ميراث سكتو من الأبحاث العربية فى مجال الشعر فى الفترة من ١٨٠٠ إلى ١٨٩٠"، رسالة دكتوراه، جامعة لندن، ١٩٨٥.
- كانى، أحمد محمد، "الأصل الفكرى لجهاد سكتو. إيبادان، مطبوعات الإيمان، ١٩٨٥".
- كانى، أحمد محمد، "حياة ومؤلفات عبد القادر بن مصطفى،" رسالة دكتوراه (فى طور الإعداد). قسم التاريخ، جامعة أحمد بللو.
- كانى، أحمد محمد، "النشاط الأدبى فى أرض الهوسا فى أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر: مع الإشارة إلى الشيخ عثمان بن فودى، المتوفى عام ١٨١٦ جامعة عبد الله بايرو.

(٢) للمزيد راجع الدراسة المتعلقة المفصلة، التى أعدها محمود تركور بعنوان "القيم والشئون العامة: قيمة خلافة سكتو فى تغيير نظام الحكم فى نيجيريا". رسالة دكتوراه، كلية الإدارة، جامعة أحمد بللو، ١٩٧٧، وراجع أيضا:

- يوجاجى، عثمان محمد، "الأنموذج السكتى: دراسة أصل الجهاد، وتطوره، وثماره عند عثمان بن فودى (١٧٤٥ – ١٨١٨). "بحث مقدم إلى المؤتمر الاسلامى الدولى، جامعة بايرو، كنو، أبريل ١٦ – ٢٢، ١٩٨٠. نشرته بعد ذلك لجنة التنوير الإسلامية، بالمدرسة النظامية الإسلامية، فى سكتو".
- يوسف أحمد "إدارة خلافة سكتو: مضامين من أجل نيجيريا الحديثة،" دراسات كنو، السلسلة الجديدة، المجلد الثانى العدد ٢، ١٩٨١.

على امتداد الأجيال المتوالية.[١] بعض ثالث ينظر إلى بعض المناصب الإدارية الخاصة، كما هو الحال فى كبير المستشارين (الوزير)[٢] أو مشكلات المجتمع ومشكلات السلطة (بما فى ذلك تولى الولاية) من وجهة نظر إماراتية بحتة.[٣] زعماء الجهاد يركزون على التعليم بصفة أساسية، وهم لا يستهدفون بذلك الزعامة، وإنما ليكون التعليم للمجتمع كله، بما فى ذلك النساء، اللاتى يحظين باهتمام علمى كبير.[٤]

يضاف إلى ذلك أن شروح الأدبيات المكتوبة باللغة العربية وباللغة العامية آخذة فى التزايد هى وترجماتها إلى الهوسا وإلى الإنجليزية وبخاصة ما يتعلق من هذا وذاك بالجهاد.[٥] يزاد على ذلك أن الشروح والتفاسير للجماهير المتخصصة وغير المتخصصة، عن هذه المؤلفات، والتى تتناول ظاهرة الخلافة بكاملهـــــا

---

(١) راجع جالنجو، أحمد عثمان، "التقاليد الراديكالية فى شمالى نيجيريا،" رسالة دكتوراه فى العلوم السياسية. جامعة إدنبره. أغسطس ١٨٨٠.

(٢) لاست، موراى، "خلافة سكتو، إيبادان، لونجمان، ١٩٦٧.

(٣) بئين، جون إن، "الدين والثقافة السياسية فى كنو." بركلى. مطابع جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٣، الفصل السادس.

(٤) للمزيد عن التعليم فى خلافة سكتو راجع كانى. أحمد محمد "جوانب التعليم الأخلاقى فى خلافة سكتو"

- بويد، جين، "إسهام أسماء فوديو فى حركة جهاد الشيخ بن فودى فى الفترة من ١٨٢٠ – ١٨٦٢". رسالة ماجستير، بوليتكنيك شمالى لندن. يوليو ١٩٨٢. وأيضا:
- بويد، جين، "دور النساء الباحثات فى عهد عثمان بن فودى." ورقة مقدمة لمؤتمر "الإسلام فى إفريقيا: الدور المتغير للعلماء" برنامج الدراسات الإفريقية. جامعة الشمال الغربى، مارس ٢٨ – ٣١، ١٩٨٤.
- موكوشى ستوار، إس، "إسهام السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى فى أدب غرب إفريقيا فى الفترة من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر" بحث لدرجة البكالوريوس من جامعة أحمد بللو، ١٩٧٩.

(٥) مجموعة المخطوطات العربية التى قام على أمرها برنامج أبحاث تاريخ الشمال. جامعة أحمد بللو. وللمزيد عن الفهرس الذى يشتمل على ١١١٦ مخطوطة من شمالى نيجيريا، جمعها برنامج أبحاث تاريخ الشمال. والذى ورد على شكل ملحق للتقارير المؤقتة عن الأعوام ١٩٦٦، و١٩٦٧، و١٩٧٥ راجع الكتاب الذى ألفه عثمان سيد أحمان إسماعيل البيلى al-Bili بعنوان "فهرس المخطوطات العربية الخاصة بتاريخ شمالى نيجيريا"، الخرطوم، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٨٤. (يضم الفهرس المواد إلى عام ١٩٧٧) .

(بما فى ذلك الخلفية التاريخية والتطورات اللاحقة) آخذة فى التزايد لتكون فى متناول الجميع، وبدأت تحدث تأثيرا أو معاصرا.[1]

---

(١) راجع ما يلى:

- أبو بكر . سعد. "حكومة الإمارة، فى خلافة سكتو . فى القرن التاسع عشر ." مجلة نيجيريا، العدد ١٣ عام ١٩٧٤ ص ٥٩ – ٦٤.
- أبو بكر، سعد، "نوع حكومة الإمارة فى القرن التاسع عشر فى خلافة سكتو". مجلة نيجيريا، العدد ١٤ عام ١٩٧٤ ص ٥٠ – ٥٥.
- أديلى. آر. ايه. "خلافة سكتو فى القرن التاسع عشر." وراجع أيضا كتاب جرودر. ميخائيل المعنون، تاريخ غرب إفريقيا. الجزء الثانى. لندن. لونجمان. ١٩٧٤، ص ٥٧ – ٩٢.
- الحاج (محمد أحمد)، "التقاليد المهداوية فى شمالى نيجيريا" رسالة دكتوراه، كليه عبد الله بايرو / جامعة عبد الله بايرو . كنو، ١٩٧٣.
- الحاج، إم. ايه. "معنى جهاد سكتو ." عند عثمان واى. بى فى كتابه المعنون، دراسات فى تاريخ خلافة سكتو ، ليجوس. مطابع العالم الثالث الدولية، ١٩٧٩.
- على. ايه. واى، "تقرير عن مشروع سكتو الفرعى" ضمن تقرير أبحاث الإدارة النيجيرية: التقرير المرحلى الأول. زاريا. معهد الإدارة. ١٩٧٢، ص ٤ – ١٠.
- بيفار ايه. دى. إتش. وهسكت. ميرفن. "الأدب الغربى فى نيجيريا حتى عام ١٨٠٤ – رواية انتقالية." نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية. العدد ٢٥. عام ١٩٦٢، ص ١٠٤ – ٤٨.
- جوارزو، حسن إبراهيم. "حياة وتعاليم المغيلى بالإشارة إلى المجتمع الصحراوى اليهودى" رسالة دكتوراه، لندن، ١٩٧٢.
- هسكت، ميرفن، تاريخ الشعر الهوسوى الإسلامى. مدرسة لندن للدراسات الشرقية والإفريقية، ١٩٧٥.
- هسكت، ميرفن، سيف الحقيقة: حياة وعصر الشيخ عثمان بن فودى، نيويورك، ومطابع جامعة أكسفورد، ١٩٧٤.
- هوجبن إس. جى وكيرك – جرين. ايه. إتش. إم، إمارات شمالى نيجيريا: مسح مبدئى للموروث التاريخى، لندن، مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٦٦.
- جاه، عمر، "الصوفية وحركات جهاد القرن التاسع عشر فى غربى السودان: دراسة حال فلسفة الحاج عمر فوتى فى الجهاد والأسس الصوفية لهذه الفلسفة" رسالة دكتوراه، مونتريال. ١٩٧٣.
- جونستون. إتش. ايه. إس، إمبراطورية الفولانى فى سكتو ، لندن. مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٦٧.
- لاست، دى. إم، " على ايسامى ' ماديسون، مطابع جامعة ويسكنون. ١٩٦٧ ص ١٩٩ – ٢١٦.
- لاست. دى. إم، "كتب المخطوطات العربية فى الأرشيف الوطنى فى كادونا." نشرة مركز أبحاث الوثائق العربية، ١١ – ٢،: ١ – ١٠. ٣ – ١ و: ١٥ (١٩٦٧).
- لاست، دى. إم والحاج، إم. ايه "محاولات لتعريف المسلم فى القرن التاسع عشر: فى أرض الهوسا وفى برنو." مجلة الجمعية التاريخية النيجيرية. المجلد الثالث، العدد ٢، ١٩٦٥: ص ٢٣١ – ٢٤٠. =

- لاست، دى. إم، "من السلطنة إلى الخلافة: كنو ١٤٥٠ – ١٨٠٠" فى كتاب باركندو بى. إم المعنون، دراسات فى تاريخ كنو . إيبادان، هاينمان، ١٩٨٣، ص ٦٧ – ٩١.
- لاست، دى. إم، "ملاحظة على المواقف من الخرافات فى جهاد سكتو" مجلة. الجمعية التاريخية النيجيرية، المجلد الرابع. العدد ١، ١٩٦٧: ٣ – ١٣.
- لاست، دى ز إم. "الإصلاح فى غرب إفريقيا"، عند أجاى، جى راف. إيه. وكراودر، إم فى كتابهما المعنون، تاريخ غرب إفريقيا، المجلد الثانى، الفصل الأول ص ١ – ٢٩، لندن، لونجمان، ١٩٧٤.
- لاست، دى. إم، خلافة سكتو ، لندن، لونجمان، ١٩٦٧، طبعة الغلاف الورقى ١٩٧٧.
- لاست، دى. إم، "خلافة سكتو وبرنو ١٨٠٠ – ١٨٨٠"، عند أجاى، جى. إف. إيه. فى كتابه، "القرن التاسع عشر إلى ١٨٨٠،" تاريخ إفريقيا عام الصادر عن اليونسكو الجزء السادس، الفصل ٢١.
- لاست، دى. إم، "سكتو فى القرن التاسع عشر مع الإشارة بشكل خاص إلى فيزياريات" إيبادان، ١٩٦٤.
- لاست، دى. إم، "حل لمشكلات التسلسل التاريخى للأسر المالكة فى كل من زاريا وكنو . فى القرن التاسع عشر"، مجلة الجمعية التاريخية النيجيرية. المجلد الثالث، العدد ٣، عام ١٩٦٦: ص ٤٦١ – ٤٦٩.
- لاست – دى. إم، "بعض الجوانب الاقتصادية للردة فى أرض الهوسا." عند ليفتزيون. إن، فى كتابه المعنون. التحول إلى الإسلام، نيويورك، هولمز ومبير، ١٩٧٩، ص ٢٣٥ – ٤٦.
- لاست، دى. إم، "حركه الإصلاح فى غرب إفريقيا،" عند آجاى، جى. إف. إيه، وجرودر فى كتابهما المعنون، تاريخ غرب إفريقيا، الجزء الثانى، الفصل الأول. لندن. لونجمان، الطبعة الثانية.
- لاست، مورى، خلافة سكتو ، لندن. لونجمانز ، جرين آندكومبانى، ١٩٦٧.
- كانى. إيه. إم "ظهور الباحثين ونفوذهم فى أرض الهوسا". بحث مقدم إلى قاعة البحث الدولية عن تاريخ وسط السودان، زاريا، ١٩٧٩.
- أوكنديجى. إف. إيه، "تاريخ اقتصادى لإمارات الهوسا – والفولانى فى شمالى نيجيريا، الفترة من ١٩٠٠ – ١٩٢٩" رسالة دكتوراه، جامعة إنديانا، ١٩٧٠.
- بادن. جون، "السياق الثقافى للإدارة: بحث عن خط التوافق الأساسى فى نيجيريا،" ورد المقال ضمن مشروع أبحاث الإدارة النيجيرية: التقرير المرحلى الثانى، زاريا، معهد الإدارة. ١٩٧٥، ص ٢ – ١٠.
- بالمر. السير هربرت آر فى كتابه المعنون. ذكريات سودانية، لندن. ١٩٦٧.
- شاشت جوزيف، " الإسلام فى شمال نيجيريا " مجلة دراسات إسلامية. العدد ٨ صيف ١٩٧٥.
- سمالدون جوزيف، الحرب فى خلافة سكتو . كيمبردج. مطابع جامعة كيمبردج، ١٩٧٧.
- سميث. عبد الله، "الولايات الباكرة فى وسط السودان." وردت فى الكتاب الذى ألفه كل من آجاى. جى. إف. إيه وجرودر ميخائيل بعنوان، تاريخ غرب إفريقيا، الجزء الأول، الطبعة الثانية، لندن، لونجمان. ١٩٧٦ ص ١٥٢ – ٩٥.
- توكور، محمود، "الأساس الثقافى للولاية: مفهوم بن خلدون للتكافل المجتمعى"، ورد فى مشروع أبحاث الإدارة النيجيرى: التقرير المرحلى الثانى، زاريا. معهد الإدارة ١٩٧٥.
- توكور، محمود، "فلسفة، وأهداف، ومؤسسات إدارة خلافة سكتو: مراجعة أولية،" ورد فى مشروع أبحاث الإدارة النيجيرى: التقرير المرحلى الأول، زاريا، معهد الإدارة، ١٩٧٢، ص ١٥ – ٣٠.

مسألة التدريب على التصوف أو بالأحرى الأُخوَّة الصوفية (أو الطريقة بشكلها الإنجليكانى) والتى تعد جزءا من ميراث الخلافة، ما تزال تخضع لكثير من المراجعة[١] ولكن السواد الأعظم من أهل الشمال يربطون بين الشيخ وبين مشيخة الطريقة القادرية.

يهتم الناس "بحياة" زعماء الخلافة "اليومية"، بما فى ذلك البرامج الاجتماعية الاقتصادية، كما يهتمون أيضا بطريقة إنشاء العاصمة الجديدة لولاية سكتو كى تلبى احتياجات المجتمع الجديد.[٢]

---

(١) للمزيد عن أحدث مراجعة للتورط الإصلاحى فى الصوفية أو النشاط الإخوانى، راجع مقال أحمد محمد كانى "بعض التأملات والأفكار عن التكفير باعتباره أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين فى نيجيريا" بقلم الشيخ إبراهيم سليب بن يونس، ديسمبر ١٩٨٤. (معد للنشر) زاريا. نيجيريا. يقتبس أحمد كانى فى هذه المراجعة أشياء كثيرة من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودى، وذلك فيما يتعلق بالصوفية والإخوان.

هناك تفسير آخر لتورط الشيخ عثمان فى الصوفية. وهذا التفسير جاء على لسان عثمان بوجاجى: "أدان الشيخ عثمان أيضا أولئك الذين يتصرفون كما لو كانوا قديسين أو من شيوخ الصوفية. أمثال هؤلاء الناس كانوا قليلى العلم والمعرفة وكانوا يتكسبون من المسائل الدينية والتنبؤ. كان الكثيرون من هؤلاء العلماء يدعون أن لديهم القدرة على الكشف (المعرفة الفوقية الصوفية) وبذلك كانوا يغررون بعامة النـــاس. والشيـــخ لم يحتـــقر أمثال هؤلاء الناس ويدينهم وإنما استنكر تلك الأعمال الخرافية، التى كان عامة الناس يعزونها لهؤلاء الصوفيين. وقد أوضح الشيخ ذلك فى كتابه تحذير الإخوان. حيث يقول الشيخ:" اعلموا أيها الإخوان أنى لم أدّع الكتبانية أو الولاية، على الرغم من أنى سمعت من ألسنة الآخرين ما مفاده أنى أستطيع الطيران فى الهواء وأمشى فوق الماء. وأن الأرض تطوى لى حتى يتسنى لى الذهاب سيرا على الأقدام إلى كل من مكة والمدينة (المنورة)، وأن الجان يخدمنى مثلما يخدم القديسين، وأن بوسعى إرشاد الناس لا على طريق الورع والتقوى والفضيلة وحده وإنما على طريق الكشف kashf. وعندما علمت بكل ذلك ألفت قصائد كثيرة باللغات الأعجمية أكذّب بها المزاعم السابقة.

(٢) من ذلك على سبيل المثال، البحث غير المنشور الذى ألفه الدكتور د. م.. لاست وألقاه فى قاعة بحث سكتو (١٩٧٥)، عن الترتيبات العملية للعاصمة الجديدة.

ونحن إذا ما أوجزنا قيم الخلافة السابقة، فيما يتصل بالمجتمع والسلطة، نجد أنها يمكن أن تشتمل على الآتى:

١) يجب أن يكون المجتمع مكون من مسلمين صالحين، ومستعدين لمعاملة الأقليات غير المسلمة معاملة طيبة.
٢) الهدف من المجتمع هو ضمان العدل، والعمل بالقرآن واتباع السنة.
٣) يجب أن تكون قيادة المجتمع بيد شخص يتمتع بخصال الأمانة، والعلم والشجاعة والتواضع... وأن يحترمه الناس لعلمه.
٤) تولى القيادة يجب أن يكون بقرار من مجالس العلماء، الذين يؤمل الناس فيهم أكفأ الأشخاص (بغض النظر عن الرابطة الملكية).
٥) يجب أن يكون القادة مثلا طيبة للناس، فى تصرفاتهم، وفى كلامهم.
٦) القادة مسئولون أمام الله عن تصرفاتهم.

٢ـ القيم والزعامة فى الإمارة:

الواضح أن الخلافة فى أساسها كانت عبارة عن محاولة متعددة الأعراق، تضم ممثلين لجماعات لغوية وجماعات سلالية من الفولانى، ومن الهوسا، ومن سلالة البارباري Barebari، ومن الطوارق، ومن سلالة النيوبى Nupe ومن اليوروبا، فضلا عن سلالات نسبية أخرى. وطوال القرن التاسع عشر، بدأت إمارات متباينة عملية تشكيل الخلافة، وقد اشتملت تلك الإمارات على كل من إمارة أدماوا[١]،

---

(١) أدماوا (بما فى ذلك ميوبى وميورى)
- أبو بكر. إس. "إنشاء سلطة فولبى فى حوض بنيو العلوى. ١٨٠٩ - ٤٧". مجلة سافنا savannah. يونيو ١٩٧٢، المجلد الأول، العدد ١ ص ٧٦ - ٨٠.
- أبو بكر، سعد، "لاميب فومبينا،" رسالة دكتوراه، من قسم التاريخ، جامعة أحمد بللو، ١٩٧٤. نشرت بعنوان "لاميب فومبينا: التاريخ السياسى لأدماوا ١٨٠٩ - ١٩٠١، زاريا، مطابع جامعة أحمد بللو (مطابع جامعة أكسفورد)، ١٩٧٧.
- باركندو، بازرو ميولى، "أصول وتاريخ سلطنة ماندارا إلى عام ١٩٠٢". رسالة دكتوراه جامعة أحمد بللو ١٩٨٠.
- حمان. محمود. قيام وسقوط إمارة ميورى (هماروا) الفترة من ١٨١٢ ـ ١٩٠٣". رسالة دكتوراه، جامعة عبد الله بايرو، ١٩٨٣.
- كنو. إم. زد، "البنية الاجتماعية والزعامة: دراسة البنية السياسية المنافسة فى ميوبى. ولاية جنجولا، نيجيريا، ١٨٠٩ ـ ١٩٧٦." رسالة دكتوراه جامعة إنديانا، ١٩٧٩.
- موديبو. إم- ايه، "دور المكاتب السياسية فى لاميب، وفى أنحاء فومبينا حتى عام ١٩٠٠،" درجة البكالوريوس، زاريا، ١٩٧٦.

نجيوما، إم - زد، قيام وسقوط الفولانى فى أدماوا، ١٨٠٩ ـ ١٩٠٧." رسالة دكتوراه، لندن. ١٩٦٩.

وباوتشى[1] (إضـــافة إلـــى كتاجوم[2] كومـــب)، ودورا[3]، وإيـــلورين[4]، وكنو[5]

---

(١) باوتشى:

- على، أبو بكر، تأسيس وتطوير حكومة الإمارة فى باوتشـــى، ١٨٠٥ ــ ١٩٠٣." رسالة دكتـــوراه، قسم الدراسات الإدارية، جامعة أحمد بللو، ١٩٧٤.
- على، أبو بكر، "تأسيس إمارة باوتشى،" فى مشروع الأبحاث الإدارية النيجيرية: التقرير المرحلى الأول، زاريا، معهد الإدارة، ١٩٧٢، ص١٤ ـ ٦١.
- للمزيد عن الرواية القصصية للثقافة السياسية فى باوتشى. راجع كتاب إبراهيم طاهر المعنون، الإمام الأخير. لندن، روتلدج وكيجات بول. ١٩٨٤.

(٢) كتاجوم، كومب وهطيجا:

- نو. فيكتور، ثلاثة إمارات نيجيرية: دراسة فى التاريخ الشفاهى. إيفانستون، مطابع جامعة الشمال الغربى. ١٩٧٢.

(٣) دورا:

- سميث، إم. جى. شنون دورا: التاريخ والتغيير فى الولاية الهوساوية. ١٨٠٠ ــ ١٩٥٨. بركلى. مطابع جامعة كاليفورنيا. ١٩٧٨.

(٤) إيلورين:

- جيادا موسى، جى. أو. "ازدهار الإسلام بين اليوروبا، ١٨٤١ ــ ١٩٠٨". إيبادان. ١٩٦٨ نشرت تحت عنوان، انتشار الإسلام بين اليوروبا، لندن، لونجمان. ١٩٧٨.

(٥) كنو وهطيجا وكازورى:

- باركندو. بى. إم. دراسات فى تاريخ كنو، إيبادان، هانيمان. ١٩٨٣.
- بللو. سول "الولاية والاقتصاد فى كنو، ١٨٩٤ ــ ١٩٦٠: دراسة الهيمنة الاستعمارية" رسالة دكتوراه. جامعة عبد الله بايرو، ١٩٨٢.
- فيكا، آدم محمد. "إعادة التوجه السياسى والاقتصادى فى إمارة كنو. شمالى نيجيريا، الفترة من ١٨٨٢ ــ ١٩٠٤." رسالة دكتوراه. لندن. ١٩٧٣، نشرت تحت عنوان: الحرب الأهلية فى كنو والهيمنة البريطانية. ١٨٨٢ ــ ١٩٤٠. إيبادان. مطابع جامعة أكسفورد. ١٩٧٨.

مهادج. عبد الله. "تاريخ كنو الاجتماعى والاقتصادى". رسالة دكتوراه، جامعة عبد الله بايرو. ١٩٨٢.

- بادن، جون إن. الدين والثقافة السياسية فى نيجيريا؛ بركلى: مطابع جامعة كاليفورنيا. ١٩٧٣ (الفصل السادس "سلطة الإمارة والمجتمع" ص٢١٣ ـ ٧٢)
- سعيد، هـــ. أى. "الثورة ورد الفعل: جهاد الفولانى فى كنو والدمار الذى ترتب عليه، ١٨٠٧ ــ ١٩١٩". رسالة دكتوراه، متشجن، ١٩٧٨.
- سميث، إم. جى، "استمرار العمل فى كنو".
- أوباه، شنيدو، "إمارة كنو فى القرن التاسع عشر: دراسة التطور السياسى". رسالة دكتوراه. قسم التاريخ، جامعة إيبادان، ١٩٧٧.

(بالإضافة إلى هطيجا وكازورى)، وكاتسنا[١]، ونيوبى (بطا)[٢]، وسكتو نفسها[٣] (إضافة إلى جواندو[٤]، وكبىَ / أرجنجو[٥].

---

(١) كاتسنا:

- هل، آر. و، "تطور الإدارة فى إمارة كنو، شمالى نيجيريا، ١٨٨٧ ـ ١٩٤٤". رسالة دكتوراه، كولومبيا. ١٩٦٨.
- سميث، إم. جى (استمرار العمل فى كاتسنا).
- عثمان، واى. بى، "تحوير كاتسنا، فى الفترة من ١٧٩٦ ـ ١٩٠٣: الإطاحة بالنظام القائم وإرساء قواعد التطور فى الإمارة". رسالة دكتوراه. قسم التاريخ، جامعة أحمد بللو. ١٩٧٤. نشرت تحت عنوان "تحوير كاتسنا فى الفترة من ١٤٠٠ ـ ١٨٨٣". زاريا، مطابع جامعة أحمد بللو. ١٩٨١

(٢) نيوبى (بطا):

- ماسون. ميخائيل، "مملكة نيوبى فى القرن التاسع عشر: تاريخ سياسى" رسالة دكتوراه، قسم التاريخ. جامعة برمنجهام، ١٩٧٠. نشرت بعنوان أساس مملكة بطا. زاريا. مطابع جامعة أحمد بللو، ١٩٨١.
- ماسون، ميخائيل، "سقوط إتسو أبو بكر: تاريخ" أبدواكن 'بطا" دراسات كنو، مجلة التاريخ الإفريقى. المجلد الرابع عشر. العدد ٣، ١٩٧٣ ص ٤٥٣ ـ ٧٢
- نادل، إس. إف. بيزنطة السوداء: مملكه نيوبى فى نيجيريا. لندن. مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٤٢.
- نادل، إس. إف. الدين النيوبى، لندن، ووتلدج، وكيجان بول، ١٩٥٤.

(٣) سكتو:

- أبو بكر، صالح، "مدينة سكتو: التاريخ الاجتماعى والاقتصادى من ١٨٠٩ ـ ١٩٠٣" رسالة دكتوراه. جامعة عبد الله بايرو. ١٩٨٢.
- سميث جى جى، (مجريات العمل فى سكتو).
- عثمان، واى بى (إعداد:) دراسات فى تاريخ خلافة سكتو: أبحاث قاعة بحث سكتو. ليجوس. المطبعة الدولية الثالثة، ١٩٧٩.

(٤) جواندو:

- بالوجن، إس اى. "إمارة جواندو فى القرن التاسع عشر. مع التركيز على العلاقات السياسية، ١٨٧١ ـ ١٩٠٣". رسالة دكتوراه ايبادان، ١٩٧٠.

(٥) كبىَ (أرجنجو):

- الكالى. محمد بللو، "مجتمع هوساوى فى أزمة: كبى فى القرن التاسع عشر" رسالة ماجستير، قسم التاريخ. جامعة أحمد بللو، ١٩٦٩.

وياورى[١]، ومنطقة زمفارا[٢]، وزاريا[٣] ومناطق أخرى. وكل منطقة أو مساحة من هذه المساحات لها خليطها الخاص من الثقافة السياسية، وهذا الخليط يمثل فى أغلب الأحيان خليطا ثقافيا فولانيا عرقيا[٤]، أو ثقافة عرقية هوساوية[٥]، فضلا عن مبادئ الخلافة الأساسية.

---

(١) ياورى:
- آدم، مهدى. "انهيار حكومة هوساوية: ياورى فى القرن التاسع عشر" رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أحمد بللو، ١٩٦٨. (أعيدت مراجعتها وعنونتها تحت عنوان: ممالك ياورى الهوساوية").

(٢) زمفارا:
- نداما، جاربا. قيام وانهيار دولة الهوسا: تاريخ زمفارا السياسى والاجتماعى" رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بللو ١٩٧٧.

(٣) زاريا:
سميث، إم جى، حكومة ززّاو، ١٨٠٠ ــ ١٩٥٠، لندن، مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٦٠.

(٤) للمزيد عن ثقافة الفولانى راجع ما يلى:
- دوباير، مارجريت Marguerite، "التنظيم الاجتماعى عند الفولانى". باريس، مكتبة بلون، ١٩٧٠.
- هوبن، إى إدوارد. العائلة الفولبية الرعوية فى جواندو، لندن، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٨.
- ستتنج، ديرك جى، "الفولانى الرعاة فى شمالى نيجيريا"، وردت عند جبس جيمس (إعداد) شعوب إفريقيا، نيويورك، هولت، راينهارت وونستون، ١٩٦٥، ص ٣١٦ – ٤٠٢.
- ستتنج، ديرك جى، "بدو السافانا الرحل: دراسة لفولانى الودابيون فى غرب منطقة برنو من الإقليم الشمالى"، نيجيريا. لندن. مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٥٩.

(٥) للمزيد عن ثقافة الهوسا راجع ما يلى:
- كيرك – جرين، أنطونيو، هـ. إم. مفهوم الرجل الطيب عند الهوسا. بلومنجتون، إنديانا، برنامج الدراسات الإفريقية، ١٩٧٤.
- سميث، مارى، بابا كارو – امرأة مسلمة من الهوسا، نيويورك، برايجر، ١٩٦٤.
- سميث، إم. جى. "الهوسا: الأسواق فى الاقتصاد الزراعى." وردت عند يوهانان ودالتون (إعداد). أسواق فى إفريقيا، نيويورك، دبلداى، ١٩٦٥.
- سميث، إم. جى. "الهوسا فى شمالى نيجيريا." وردت عند جبس، جيمس (إعداد) شعوب إفريقيا نيويورك: هولت، رينهارت وونستون، ١٩٦٥، ص ١١٩ – ٥٦.
- سميث إم. جى. "التعاون فى مجتمع الهوسا" المعلومات، المجلد ١١، ١٩٥٧، ص ٢ – ٢٠.

للمزيد عن الفلكلور الهوساوى، باعتباره عاكسا للقيم راجع ما يلى:
- بيشى. ايه. واى، "مختارات من الحكايات الشعبية الهوساوية من نيجيريا". رسالة ماجستير، جامعة إنديانا، ١٩٧٨.
- جونستون، هـ. ايه. إس (إعداد)، مختارات من قصص الهوسا، لندن، مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٦٦.
- سكنر، نيل (ترجمة وإعداد)، حكايات وتقاليد الهوسا، نيويورك، اتحاد الطباعة الإفريقى، ١٩٦٩.
- يحيى، إبراهيم يئور، "عملية جتمعة الفن الشفاهى: مشروع استبداء المنظور الاجتماعى – الفلكلورى، من الطفولة إلى الرجولة فى حياة المجتمع الهوسوى" رسالة دكتوراه جامعة أحمد بللو، ١٩٧٩.
- يحيى، إبراهيم يارو، "اتجاهات فى تطوير الكتابة الإبداعية فى لغة الهوسا" بحث مقدم لمؤتمر الكتابة الجديدة فى إفريقيا، لندن، نوفمبر ١٩٨٤.

يغلب على المنظومات الإماراتية انتهاج نظام الأسر المالكة، وحياة البلاط الملكى المتخمة بالتسلسل الهرمى فى إدارة الأحياء. على العموم، فإن الأمير (الذى يقولون له Sarki بلغة الهوسا) هو الشخصية أو السلطة الرئيسية فى الإمارة، وهو الشخصية الرئيسية فى اتخاذ القرارات، وهو الحاكم الرئيسى، كما أنه هو أيضا محكمة الاستئناف. قد يقبل الأمير النصيحة، أو يستشير كبار المسئولين، من أمثال "رئيس الخدمة"، وقاضى القضاة، ووزير الدفاع.. إلخ. وأبناء الأمراء يعهد إليهم، فى العادة، بمسئولية الأحياء النائية، جنبا إلى جنب مع ممثلى العشائر الفولانية المشاركة فى الجهاد. هذا النظام من أنظمة الحكم يطلق عليه اسم "الحكم التقليدى" Mulkin gargajiya فى شمالى نيجيريا فى القرن العشرين. ومع ذلك، وبالرغم من وجود النظام الإماراتى، نجد أن نظام الخلافة ما يزال ساريا ومعمولا به، بالإضافة إلى تنظيم الاتصالات والمعاملات.

أقر بعض الباحثين أن النظام المؤسسى أو التنظيمى فى الخلافة بلغ من الكفاية حدًا وبخاصة فيما يتعلق بالضرائب؛ التى تعد منخفضة نسبيا (حوالى أجر أسبوع واحد عن كل عام؛ أى حوالى ٢ % من الدخل) جعل تجار برنو وتجارا من أماكن أخرى يهاجرون إلى إمارة كنو، وإلى مراكز الخلافة الأخرى، حيث "النظام" أفضل وأحسن، وبخاصة فيما يتعلق باستعمال العملة والضرائب.[1]

سكتو نفسها، تعمل كما لو كانت إمارة من الإمارات، فى الوقت الذى تمثل فيه الزعامة العامة للخلافة كلها. الثقافة الإمارتية داخل سكتو تشمل طائفتين من البشر: الأحرار والعبيد. وطائفة الأحرار مقسمة إلى مجموعتين: الحكام (الذين يقولون لهم Sarakuna بلغة الهوسا) وعامة الناس الذين يطلقون عليهم talakawa بلغة القوم. وهم يطلقون على العرش أو المنصب عام اسم Sarauta. وطبقة الحكام تضم أولئك الذين ينحدرون من أصل "ملكى" (أى السلطان وعائلته الممتدة)، وملاّك الإقطاعيات من غير أفراد الأسرة المالكة (والذين يطلق عليهم اسم "الحكماء" hikimai بلغة الهوسا) ورؤساء القرى dagatai. طبقة عامة الناس talakawa مقسمة

---

(١) الدكتور. موراى لاست، التواصل الشخصى، أغسطس ١٩٨٣، لندن.

إلى طبقات، تتدرج من العلماء mallamai (هجاء هذه الكلمة عند أهل سكتو هو mallammai) إلى التجار الأثرياء، إلى فلاحى "الطبقة المتوسطة" ثم الباعة الجائلين والحرفيين، ثم بعد ذلك الطبقة الدنيا التى تضم القصابين، والدباغين، والفلاحين الفقراء.

الزعيم عام، أو بالأحرى "السلطان" هو مركز الحكم، أو مركز الطبقة الإدارية فى سكتو. هذا السلطان يطلقون عليه أيضا اسم "أمير المؤمنين" Sarkin Musulmi. (والناس هنا يستعملون أيضا النعت العربى "أمير المؤمنين"). وهو مسئول عن تطبيق الشريعة Shari`a الإسلامية والعمل طبقا للسنة Sunna، بما فى ذلك إخراج الزكاة Zakat، وهو أيضًا الذى يشرف على الضرائب المحلية، مثل الضريبة التى تجبى عن الأرض (الخراج)، وزكاة الماشية، وضريبة الرأس (الجزية)، وزكاة الزروع، فضلا عن إشرافه أيضا على الخزانة العامة (بيت المال bait almal).

هناك مجلس استشارى (يطلقون عليه اسم مجلس السلطان majalisar Sarkin) يقدم النصح والمشورة للسلطان؛ وهذا المجلس يضم حملة الألقاب التى من قبيل:

١) waziri.

٢) Magajin Gari.

٣) Magajin Rafi.

٤) Galadima of Durbawa.

٥) Ubandoma.

(وهذه كلها ألقاب كانت تنتمى إلى السلالات النسبية الفولانية فى زمن السلطان بللو) وهناك بعض آخر من حملة الألقاب الذين ينتمون إلى أسرة السلطان نفسه، ويمكن تعيينهم ضمن أعضاء المجلس.

وقد جرت العادة ألا يكون القضاة alkalai ضمن هذا المجلس.

الوزير هو أكثر أعضاء المجلس نفوذا؛ والوزير بصفته المصدر الرئيسى للعلم "والمعرفة"، يقوم أيضا بالأعمال القضائية من قبيل المراسلات الداخلية الخاصة بالخليفة، كما يقوم أيضا على أمر إدارة الأحياء المختلفة. وهو أيضا المسئول عن المعاملات مع كل من كنو، وزاريا، وهطيجا، وكاتاجوم، وميساو، وأدماوا، وجومب. ومنصب الوزير وراث فى أسرة جيدادودان Gidadodan منذ بداية زمن الجهاد.(١)

تجرى إدارة إمارة سكتو عن طريق الأحياء السكنية، التى يضم الواحد منها عددا كبيرا من القرى. والسلطان هو الذى يعين رؤساء الأحياء، ويجرى تصنيف أولئك الرؤساء إلى ثلاث فئات:

١) أحياء الأسرة المالكة (أى أحفاد الشيخ عثمان بن فودى)، بما فى ذلك أحفاد بللو (أحياء ورنو Wurno، جوبير Gobir، رباح)، وأحفاد أحمد الرُّفاعى (السلامى) Silame، وأحفاد عتيق (جواداباوا طنشاوى، وتانجازا)؛ وأحفاد محمد البهارى (تامبوال، دوجونداجى، وسيفاوا).
٢) الأحياء غير الملكية، أى أحفاد المجاهدين الفولانيين، أو ملوك الهوسا الذين استسلموا للجهاديين، والتى منها، على سبيل المثال، حى بنجى، الذى يديره أحفاد على جادو، الذين انحدروا من كنى konni، وجاءوا بعد الشيخ عثمان بن فودى، (أمير بنجى لقب مهم، وهو يقوم أيضا بعمل وزير الحرب وقائد المعارك Sarkin yaki – وهو بمثابة القائد عام فى سكتو).
٣) ما يسمى أحياء "المخضعين"، التى فتحها الجهاديون، ولكن ترك لها مسألة الاحتفاظ بحكامها مع بقائهم تحت حماية سكتو، وبخاصة فى منطقتى زمفارا وجومّى Gummi (بما فى ذلك آنكا، باكورا، جوبير، حُمَّى، سابون برنى، تلاتا مفارا، وشاف، ثم زورمى). (راجع الخريطة رقم ٢).

---

(١) راجع مورّاى لاست، المرجع السابق، ١٩٦٧. وراجع أيضا تايبندرانا، بطرس، "إدارة أحياء سكتو، جواندو، وأرجونجو تحت الحكم البريطانى. ١٩٠٠ – ١٩٤٦" رسالة دكتوراه. تاريخ، ابيادان، ١٩٧٤.

رؤساء الأحياء مسئولون عن جباية الضرائب، وتوفير القوات فى زمن الحرب، وفرض القانون والنظام، والمحافظة على الطرق والمواصلات والخدمات المساعدة الصغيرة. وكل حى من الأحياء له قاض يُعَيِّنه رئيس الحى. رؤساء القرى يقومون بتلك الواجبات والمهام على المستوى الأصغر. وإذا كانت العادة قد جرت على أن تكون رئاسة القرية مسألة وراثية، فإن هناك ميلا نحو العملية الانتخابية المحلية، التى يلجأ إليها (القرويون الذين يقفون أو يؤيدون كل مرشح من المرشحين) فى الاختيار من بين المرشحين.

تولى السلطنة هو أهم قضية من قضايا الزعامة. ويجرى تعيين مجلس انتخابى (يطلقون عليه اسم "مجلس صنع الأمير" Council king maker) يضم المنتخبين الأربعة الرئيسيين Sarakunan karage:

١) الوزير.

٢) Magajin Gari.

٣) Magajin Rafi.

٤) Galadima of Durbawa.

هناك ثمانية آخرون يضافون إلى هؤلاء الأربعة، فى المجلس الانتخابى وهم:

١) وزير الدفاع فى بنجى.

٢) Ardon Shuni.

٣) Sa'in kilgori.

٤) Dun'daye.

٥) Ardon Dingyadi.

٦) Sarkin kabi of yabo.

٧) Baraden Wamakko.

٨) Mbandoman Hammali.

يشتمل المرشحون الذين تنطبق عليهم الشروط على أحفاد الشيخ عثمان بن فودى الذكور. راجع الشكل رقم (٤) طلبا للمزيد من المعلومات عن عملية الولاية. ليس هناك ولى للعهد أو بالأحرى "وريثا للعهد" dan galadima كما هو الحال فى بعض الإمارات الأخرى المتطورة، ومن هنا تزداد حدة التنافس على الولاية، على الرغم من غموض هذه العملية فى معظم الأحيان.

عملية تولى السلطنة فى سكتو تسير على النحو التالى:

١) عند وفاة السلطان يدعو الوزير المنتخبين للحضور إلى سكتو.

٢) جرت العادة أن يحضر المرشحون المتنافسون إلى سكتو.

٣) يعرض الوزير رأيه على المجلس الانتخابى، وتعقب ذلك مناقشة عامة (ويجرى وزن وتقييم رأى الوزير).

٤) إذا لم يتمكن المجلس من الاتفاق يجرى ترشيح أسماء أخرى.

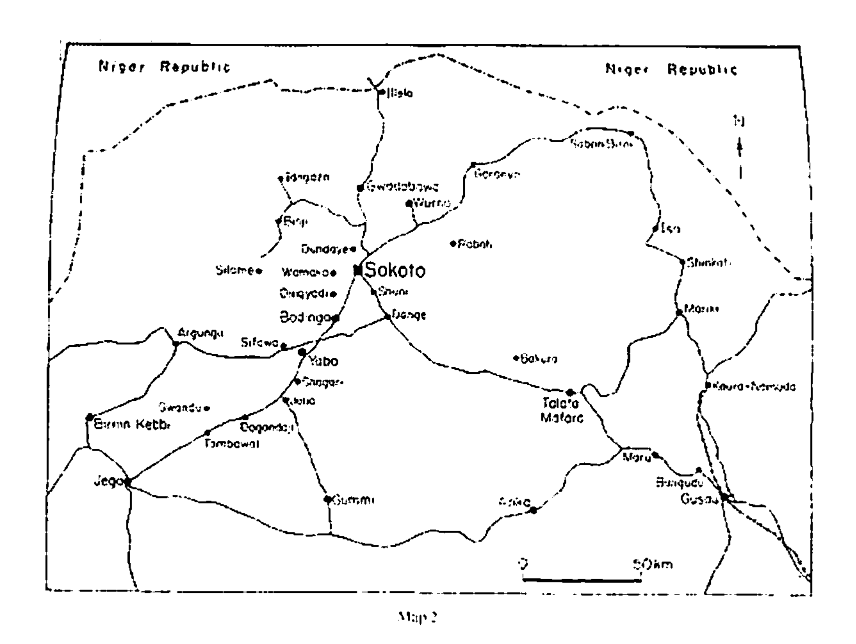
٥) وعندما يوافق أعضاء المجلس على اختيار شخص بعينه، يخرجون ويعلنون ولاءهم للسلطان الجديد.

(ملاحظة: فى عام ١٨٩١ م وقعت سابقة جرى فيها، من قبل الوزير، تعيين الخليفة بصورة مباشرة، بدون تشاور وفى عدم اكتمال حضور الأعضاء، وذلك نظرا لوفاة السلطان عمر فى المعركة التى دارت فى كورا نامودا kaura Namoda).

٣ـ تنشئة الأمير:

نظرا لاختلاف ثقافات "القصر" fada اختلافا تاما عن الثقافة "الشعبية"، قد يكون من المفيد هنا تلخيص بعض جوانب حياة البلاط الإماراتية وبخاصة تنشئة الأطفال. هذه هى الطبقة المجتمعية التى ولد فيها أحمد بللو، والذى يتعين عليه التنافس، طوال عهد رجولته، على تولى منصب السلطان.

الخارطة رقم (٢)



منطقة سكتو (المنطقة الوسطى) فى القرن العشرين

تبدأ العلاقة بين الوالد الملكى (أى رئيس الحى) وأطفاله بتعرف مبكر لخصال hali كل طفل من أطفاله (ذكرا كان أم أنثى)، على أن تقوم بعض نساء المركب الكبيرات فى السن "بتسجيل" تلك الخصال. وفى اليوم السابع من ميلاد الطفل ranar suna، يتناول الوالد الطفل بين يديه ويطيل النظر إليه محملقا. وقد يستخلص الوالد من استجابات الطفل وجود بعض الخصال. وإذا لم يستخلص الوالد تلك الخصال أو العلاقات يعيد الطفل إلى المرأة التى تحمله (ليست الأم)، دون تعليق من أى نوع كان. والخصال أو العلاقات التى يبحث عنها الوالد فى طفله هى:

١) الكرامة bunkansa.
٢) الاحترام biyayya.
٣) الأناقة kyau.
٤) الكرم kayauta.
٥) الورع tsoron Allah.
٦) الذكاء basira.

القدرة على الإدارة، أو تناول الأمور، أو بالأحرى الحكمة hikima لا تعد خصلة أو علامة من علامات الإمارة فى مثل هذه السن المبكرة. (التدريب يُكسب هذه الصفة للأمير فيما بعد). والناس من خارج الأسرة، لا يعرفون شيئا عن رد فعل الوالد تجاه طفله. والمعلمون الدينيون mallamai يلعبون دورا رئيسيا فى هذه العملية. والمعلّم الدينى يجرى استدعاؤه عند مولد أى طفل من الأطفال: فى محاولة لاستجلاء خصال الطفل أو علاماته. وحتى قبل يوم السبوع يقوم والد الطفل بأداء صلاة الاستخارة istkharah وذلك فى محاولة منه لاكتساب المعرفة القَبْلِيَّة، وهنا يستشير الآباء المعلمين الدينيين فى مسألة الاستخارة هذه.[1] (والأحلام لها أهميتها فى هذه العملية).

---

(١) يدور حاليا فى الدوائر النيجيرية المسلمة جدل كبير حول صلاة الاستخارة. هنا فى القرآن ما يدل على أن الرسول صلى هذه الصلاة. ولكن ليس بالطريقة التى جاءت عليها هذه الصلاة فيما بعد. كان النبى يقرأ بعض آيات القرآن، ثم يدعو بعد ذلك طلبا للتوجيه من الله. هذه الصلاة "تدهورت" وتحولت إلى "نوع من العرافة". وهناك حجج تفيد "أن المستقبل لا يعرفه أحد غير الله". خلاصة القول، الناس يحسون أن هذه الصلاة مفهوم شرعى، لكنه يميل إلى الصلاة طلبا للتوجيه والإرشاد. وليس من أجل العرافة. ومع ذلك فإن استشراف المستقبل من خلال الاستخارة يعد جزءا من الثقافة السلطوية الإماراتية فى كل أوجه النشاط.

إذا ما وقف الأب على هذه الخصال أو العلامات، فقد يطلق النكات حول هذه الخصال ويعرب عن فرحه وسروره. وهنا يذاع تعرف الوالد على هذه الخصال أو العلامات، على "الدائرة الداخلية" فى الأسرة، وفى مرحلة لاحقة يصبح مثل هذا الطفل محطا للمنافسة بل وحتى مصدرا للعداء بين الأمراء. وإذا ما مات والد الطفل قبل تنشئة الطفل، فإن متابعة تعرف وتعهد تلك الخصال والعلامات قد تعتمد على من يقوم على أمر تربية مثل هذا الطفل (عمه على سبيل المثال). هذه الخصال أو العلامات تجرى مراقبتها طوال عهد الطفولة. ولا يهم أن يكون الطفل من زوجة أو من محظية من المحظيات. الأم هنا لا تهم؛ والذى يهم هنا هو خصال الطفل أو علاماته، حتى وإن كانت الأم من عائلة من العائلات المهمة.

وطوال العامين الأولين، تجرى رعاية الطفل بواسطة أمه، بالرغم من رعايته بواسطة امرأة أخرى فى ذات الوقت.[١] وفيما بين سن الثانية والسادسة، يستدعى الأطفال المفضلون (بنينا وبناتا) بين الحين والآخر لتناول الطعام مع أبيهم. ومن الأهمية بمكان أن يعرف الوالد الذى يمكن أن يخلفه من أولاده ولذلك يصبح التعرف والتدريب المبكر أمرا مهما فى هذه العملية. (سوف نناقش نظام التعليم القرآنى فى الفصل الثالث).

والابن الذى تنطبق عليه الشروط (أى تتوفر فيه الخصال والعلامات) يسند إليه والده منصب الرسول messenger أو "السفير" jakada فيما بين رئيس الحى والأمير أو السلطان. (فى بعض الأحيان، قد يكون هناك اتصال غير مباشر، ويطلب رئيس الحى إلى أم الطفل أن تطلب منه القيام بتسليم رسالة إلى شخص ما). وبذلك يتعلم هذا الولد التحدث إلى الشخصيات المهمة، ويتعلم أيضا الكلام وهو واثق بنفسه. وهذا يؤدى إلى زيادة ثقة مثل هذا الابن بنفسه. وهؤلاء الأبناء الذين تتوفر فيهم الخصال أو العلامات يخضعون لنظام صارم tarbiyya ومستمر. وهناك مثل هوسوى يقول: إذا كنت تعيش فى ثلاثة أماكن، ولست منظما، فلن تحصل مطلقا على النظام:

---

(١) يخصص الطفل، فى معظم الأحيان لامرأة (حمّالة) بعينها uwargoyo، أو قد يعطى لمن يعتنى به على أفضل نحو.

١) القصر.

٢) المدرسة.

٣) العالم بصفة عامة (yawon duniya).

يجرى تشجيع الطفل على معرفة أشقائه كلهم (بمن فى ذلك الإخوان غير الأشقاء والأشقاء)، وأولاد العم، كما لو كانوا إخوانا أشقاء له تماما. (واقع الأمر، أن الإخوان الأشقاء يجرى تثبيط همتهم ومنعهم من الإشارة إلى أنفسهم باعتبارهم إخوانا أشقاء، ونظرا لأن هؤلاء الأشقاء يحيون حياتهم منفصلين عن الأم، يصبح بالإمكان التأكيد على تضامن الجماعة الأكبر) "والإخوان كبار السن"، بغض النظر عن القرابة، يجرى التعامل معهم باحترام وتقدير ويطلق عليهم اسم "يالاباى" yallabai، إلى أن يصبحوا رؤساء للأحياء وبالتالى يحصلون على الألقاب الخاصة بهم. والأمراء جميعا هم "أطفال للرئيس" Ỳáyan Sarki. والعم يعامل أبناء أخيه كما لو كانوا أبناءه، والأطفال فى مثل هذا الحال يشيرون إلى العم على أنه الوالد baba. أول أبناء العم، وثانيهم أو ثالثهم (وحتى ما بعد ذلك) يدخلون فى عداد الأشقاء والشقيقات. والطفل الذى ينحدر من سلالة مميزة من ناحية الأم، يمكن له عندما يصل سن المراهقة "تغيير" نسبه، ويلحق نفسه بسلالة أمه النسبية. (ليس بالإمكان الانتماء إلى السلالة النسبية للأب والسلالة النسبية للأم فى آن واحد، ولكن العملية تسير بصورة متدرجة تحاشيا لحدوث تصدع أو شقاق) والابن الذى ينجبه أمير من محظية من المحظيات ينسب نفسه إلى سلالة أبيه النسبية نظرا لعدم وجود سلالة نسبية لأمه.

الزواج الأول للأمراء والأميرات أمر مهم جدًا والعائلة هى التى ترتبه وتقوم على أمره. والنساء كبيرات السن يراقبن الأطفال ويلاحظن ميولهم. والصبى الصغير الذى يلعب مع فتاة لم تعتد المشى بعد، يأتى ذكر هذه الأشياء عندما يحين موعد زواجهما.

الزواج من أبناء وبنات الأعمام أمر يفضله الناس فى المناطق التى يعيش فيها الهوساويون(١)، وبخاصة رؤساء الأحياء، والعلاقات الطيبة بين أهل الصبى وأهل البنت أمر ضرورى. ورئيس الحى من حقه أن يذكر أن بعض الأطفال أصبحوا قادرين على الزواج ومؤهليــن له، وقد تقوم والدة رئيس الحى بإبلاغ ذلك إلى المربيات اللاتى يقمن على أمر أطفال بعينهم، أو إلى الشخص المسئول عن كل طفل من الأطفال. والبنات يزوجن عندما يبلغن سن النضوج الجنسى (بالرغم من أن بنات "الحى" يبلغن سن الخامسة عشر قبل أن يتزوجن، اللهم إلا إذا جرى "تزويجهن" إلى رئيس حى آخر من الأمراء، وهنا يجوز تزويج البنات وهن فى سن الثانية عشرة). والشباب يتزوجون فى سن الثانية والعشرين أو أكثر من ذلك. (هذا يعنى أن الفارق السنى يصل إلى حوالى سبع سنوات) بعد الزواج الأول، يصبح الفرد مسئولا عن اتخاذ الترتيبات اللازمة للزواج الثانى.(٢) وفى السواد الأعظم من الأحوال ينظر الناس إلى الزواج باعتباره رابطة اجتماعية رئيسية بين العائلات، وبذلك يصبح الزواج جزءًا من الخيط الذى يربط المجتمع بعضه إلى بعض.

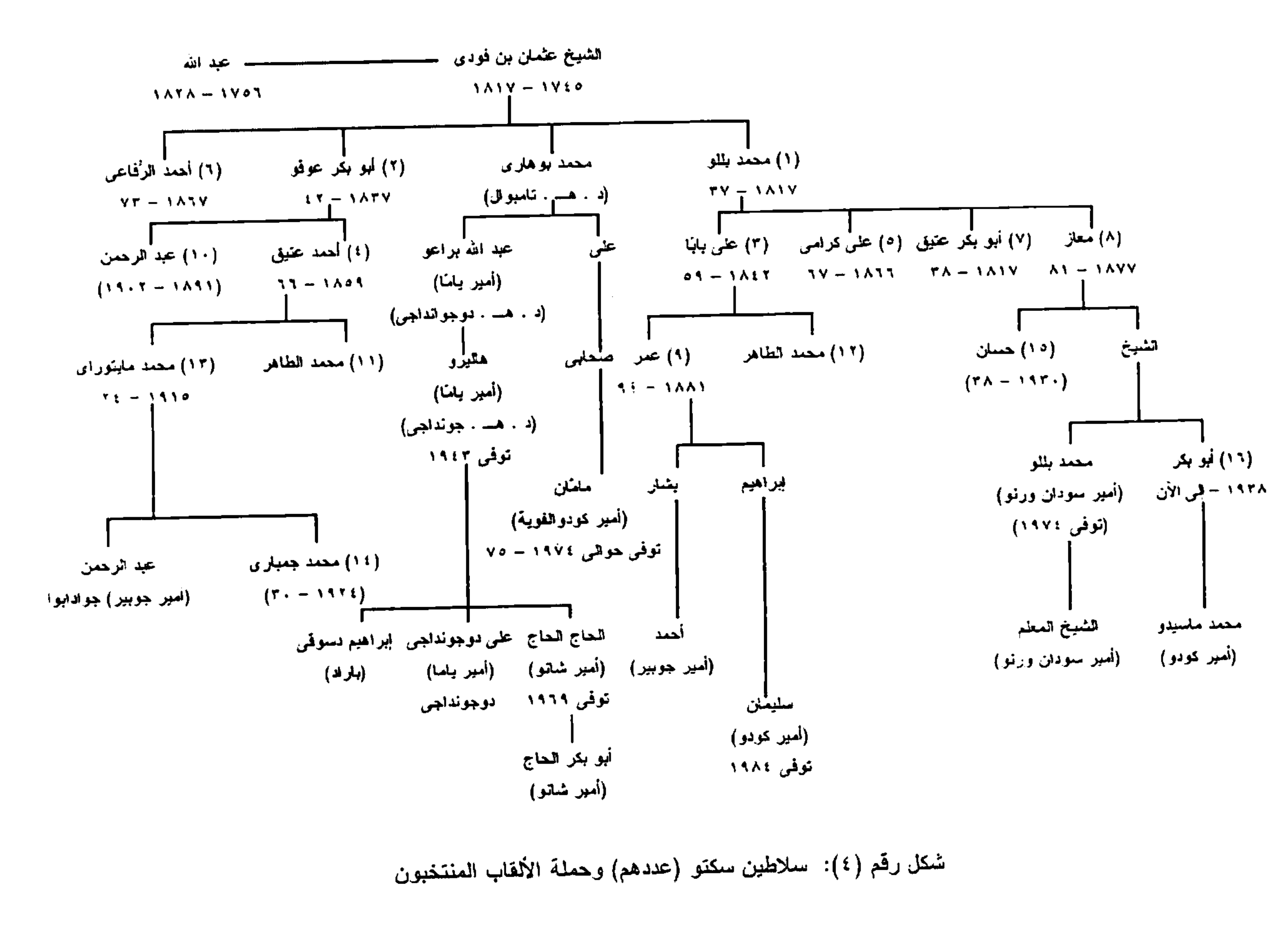
تتباين أخلاقيات الأمراء الجنسية قبل الزواج، ولكن الخطوط المعيارية واضحة تماما. والناس ينتظرون من الشبان الامتناع والتمسك بالنظام إلى أن يتأهلوا. وإذا ما خرج أحد على هذه القواعد، فإن الناس يمارسون عليه قدرا هائلا من الضغط الاجتماعى. وكبار السن يعطون الأمراء هدايا من الملابس وبخاصة إلى الأمراء الذين يحظون باحترام الناس، يضاف إلى ذلك أن الاحترام يزول عن أولئك الأمراء الذين ينتهكون تلك القواعد الأخلاقية. ومخططات المجتمعات السكنية منفذة بطريقة لا تسمح بتواجد امرأة أجنبية داخل المجمع السكنى دون أن يراها أحد. وإذا ما كان هناك أمير "فاسق" فإن ذلك الفسق يكون فى خارج المجمع السكنى ومع أصدقائه، وليس فى منزله. والجنسية المثلية محظورة تماما.(٣)

---

(١) هذا أمر مشروع فى الشريعة الإسلامية، بالرغم من أن الزواج من ابنة العم يعد أمرا مفضلا بشكل عام.

(٢) إذا ما حدث صدع سياسى بين الأب والحما، فإن مثل هذا الصدع يؤدى إلى توتر كبير فى زواج الطفلين، وسوف نوضح ذلك فيما بعد.

(٣) يشيع بين أهل الشمال أن الجنسية المثلية بين الذكور لم تكن معروفة فى الثقافة الإماراتية إلى أن وصل البريطانيون واللبنانيون إلى البلاد فى القرن العشرين. وهذه مسألة غاية فى الحساسية نظرا لأن الادعاء بأن شخصا شاذ جنسيا أو يشرب المنكر يمكن أن يدمر سمعة الإنسان. وإذا كان ذلك الأمر معلوما فإن الناس لا يتحدثون عنه. وهناك مثل هوسوى يقول: "أنت لن تعرف منى شيئا عن سرقة حصان الأمير".



شكل رقم (٤): سلاطين سكتو (عددهم) وحملة الألقاب المنتخبون

تحديد موعد شغل الأمير "لمنصبه" الأول يعتمد على الثقة التى أوليت لذلك الأمير. عادة ما يتم ذلك بعد الزواج الأول، وعادة ما يكون ذلك فى مطلع سن العشرين أو فى منتصف ذلك السن. وقد يعطى الأمير لقبا، وقد تجرى ترقيته على امتداد حياته العملية، من خلال سلسلة من الألقاب المتسلسلة.(١)

المنافسة وقطع العلاقات التى تظهر فى هذه المنظومة لها علاقة بالتنافس على المناصب النادرة. هذا يعنى أن الأعداد البشرية أكبر بكثير من المناصب المتاحة، ولذلك قد تزداد حدة المنافسة، وقد لا تكون علنية وإنما خفية. مسألة قطع العلاقات هذه قد تتجلى فى المنافسة الفردية، أو مع شخص يكون والده عدوا سياسيا (أو منافسا) لوالدك. وفى أغلب الأحيان، وعلى المستويات الكبيرة مثل السلطان، والأمير، أو رئيس الحى، نجد أن كل واحد منهما يحاول إزاحة أو إبعاد من سبقه، هذا يعنى أن المنافسة تزداد حدة فى مواقع القوة والسلطة.

٤ـ ميراث الخلافة وثقافة الإمارة:

فى مطلع القرن العشرين نجد أن ميراث خلافة سكتو والثقافة السياسية الإماراتية ينتجان خليطا من القيم، وأساليب وتناول الحياة السياسية الذى له تأثير عميق على السياسة التى جاءت بعد ذلك. هذه القيم والأساليب والمعالجات سيجرى استكشافها بالمزيد من التفضيل طوال هذه الدراسة. وسوف نورد فيما يلى موجزا مبدئيا لبعض الجوانب المنتقاة من المجتمع ومن السلطة. وهنا ينبغى أن نؤكد أن الهدف من الحكومة إلى حد ما بلا تغيير، بمعنى أن الحكومة تهدف إلى التشجيع على تحقيق العدالة. وهذا يمكن الوقوف عليه من خلال المعنى الفردى، أى من خلال الفرد – أى حق الفرد فى الحياة، وفى التملك، وفى المساواة أمام القانون – ويمكن الوقوف على ذلك أيضا من خلال معنى مجتمعى، أى الرفاه الاجتماعى

---

(١) جرى العرف أن يعرف الفرد بلقبه أكثر من اسمه، وقد يحمل الفرد لقبين أو ثلاثة ألقاب طوال حياته العملية.

للمجتمع بشكل عام، ومراقبة الشفافية فى العلاقات الاقتصادية، إلخ. ومعروف أن العدالة ترتبط ارتباطا مباشرا بالسلوك السليم من قبل أفراد المجتمع كلهم، ومن ثم فإن العدالة تكون لها خاصية قانونية أساسية. هذا يعنى أن تفسير القانون يتطلب الحياد والنزاهة، التى هى بمثابة العنصر الرئيسى الذى يضفى الشرعية على الأشياء الأخرى.

الجوانب القيمية والاستراتيجية فى المجتمع يمكن إيجازها فيما يلى:

١) يجب على المجتمع أن يتقاسم أهدافا بعينها ومقاصد بعينها.

٢) المنظومات كبيرة المدى، أو بالأحرى المنظومات الشبكية مفضلة على المجتمعات الصغيرة أو المجزأة.

٣) ينظر الناس إلى العائلات والمجموعات السنية المركبة باعتبارها عناصر أساسية من عناصر المجتمع.

٤) المجتمعات كبيرة المدى ترتبط ببعضها عن طريق البوابات والمداخل الوسطية.

٥) حدود، أو تخوم مجتمع من المجتمعات، والتى تكون مكشوفة بصورة دائمة، تجرى حمايتها عن طريق "مواقع متقدمة" من الموالين الذين يجرى تخصيصهم أو يتطوعون لحراسة تلك القلاع (الأربطة).

٦) يجرى استعمال العلاقات الفكاهية باعتبارها وسائل للتخفيف من حدة التوتر بين الجماعات أو الطوائف فى حالات احتمال حدوث الصراع.

٧) تقوم التحالفات على إدارة التنافس المضاد.

٨) المساواة فى المعاملة هى المعيار السائد بين الولايات المكونة للخلافة.

٩) يجرى بناء "عاصمة جديدة" لتكون رمزا للمجتمع.

يمكن لنا ايجاز الجوانب القيمية والإستراتيجية للسلطة فيما يلى:

١) ينبغى أن تقوم الزعامة على الجدارة والاستحقاق والمنافسة (ولكن يغلب عليها استبعاد المنافسة).

٢) تجهيز الزعامة وإعدادها يقوم على التعليم والتدريب.

٣) انتخاب الزعامة يكون عن طريق ممثلى القطاعات الرئيسية فى المجتمع.

٤) المجموعات السنية لديها علاقات محددة لكل من الاحترام والسلطة.

٥) الاستمرارية التاريخية مهمة من مهام الزعامة (الزعامة تستمر مدى الحياة فى معظم الأحيان).

٦) المؤسسة وليس شاغلها هى التى تصطبغ بالصبغة الشرعية والقانونية.

٧) يتعين على الجمهور الإقرار بالسلطة والاعتراف بها.

٨) تقديم أو تبادل العطايا والهدايا يعد جانبا رمزيا من جوانب الزعامة.

٩) اتخاذ القرار يكون بالإجماع.

١٠) مسئوليات الزعامة تسند إلى كبار المسئولين أو المستشارين.

١١) البيروقراطية الكفؤة غير الفاسدة لها قيمتها فى انسياب المعلومات بسهولة ويسر.

١٢) الزعيم الكبير قد يبرز من خلال وضوح نطقه وكلامه وألفاظه، أو تحديده للأولويات أو إعلانه للقيم.

١٣) الزعيم الجيد يراه الناس على أنه خليط من قوى المجتمع (وبالتالى يكون قادرا على إتيان كيانات متعددة).

١٤) يتعين على الزعيم أن يتوفى بلا ثراء ما دى.

١٥) الزعيم مسئول أمام الله عن أعماله. وفيما يلى سنقوم بتوضيح هذه العناصر الثقافية السياسية بشىء من التفصيل.

المجتمع:

هدف الحكومة كما سبق أن أوضحنا هو العدالة adalci، وهذا الهدف يرمز إلى العلاقة الوثيقة بين القانون، والمجتمع، والدين، والحكومة.

الشبكات الكبيرة أو بالأحرى المنظومات: الاتجاه الغالب يكون نحو المنظومات التى تتوسع وليس المنظومات التى تنكمش. ثقافات كثيرة "مصممة" على نحو يجعل تلك الثقافات تنظر إلى الداخل، فى حين هناك الثقافات الأخرى التى تتجه صوب الخارج، وهنا يتعين على الثقافة التى من هذا القبيل أن تكون قادرة على مسايرة التباين والتنوع وابتكار أساليب الربط.

الموروث الاسلامى، وعلى العكس من كثير من المجتمعات الإثنية أو شبه الوطنية، يعد واحدا من المنظومات الكبيرة التى لها توجهات محددة. وعلى الرغم من محاولة الحكم الاستعمارى تحويل خلافة سكتو إلى "مسمىً قبلى" (أى "إمبراطورية فولانية")، إلا أن هذا الحكم لم يكن عرقيا على وجه الإطلاق فيما يتصل بالمصطلحات الثقافية. هذه الإمبراطورية الفولانية، كانت متعددة الأعراق (الفولانى، الهوسا، الطوارق، النيوبى، البارباري، اليوروبا.. إلخ). هذا يعنى أن تلك الإمبراطورية كانت متباينة الأعراق، وقائمة على أساس فكرة الجماعة jama'a أو المجتمع الخالى من التوجه العرقى. وقد استمر ذلك، بل ودام محطا للخلاف وتباين الآراء، إذ كان هناك بعض الناس الذين يفضلون هذا الجانب أو ذاك. (والقضية الثقافية والتاريخية المهمة تتمثل فى مسألة حدوث الانتقال من العرق الواحد، إلى التعدد العرقى، ثم إلى اختلاف الأعراق وامتزاجها، وكيف حدث ذلك الانتقال عبر الزمان والمكان).

العائلات وتحالفات الزواج:

فكرة العائلة (وتحالفات الزواج) واحدة من الأفكار الأساسية فى مفهوم المجتمع والزعامة فى خلافة سكتو. وبالرغم من تأصل الخطوط النسبية الأبوية إلا أن الخطوط النسبية من جانب الأم يجرى استعمالها هى الأخرى فى مسألة الربط

بين الأسر والمجتمعات. على صعيد النسب إلى الأم، يجرى ذلك عن طريق الزواج أو اتخاذ المحظيات. والزواج يعد من الروابط الرسمية بين العائلات، ويلجأ الناس إليه، فى معظم الأحيان، لإحداث نوع من التكامل بين الأطراف المحلية والشبكات، أو بالأحرى المنظومات الكبيرة واسعة النطاق. والأطفال الذين يُنجبُون بهذه الطريقة، أو بالأحرى من مثل هذه الاتحادات يكون نسبهم إلى الآباء، ولكن النسب إلى الأم ينتشر أيضا على نطاق واسع، بل يكاد يكون هو العرف السائد فى بعض الأحيان. من هنا فإن الروابط بين سكتو وكنو، أو بين سكتو وكاتسنا، أو بين عائلات السلطان وعائلة الوزير داخل سكتو، تكون من خلال الزواج، المحدد طبقا للمذهب المالكى بأربع زوجات فقط فى الوقت نفسه.

فكرة المحظيات،[١] يلجأ الناس إليها لربط عائلات أو الطبقات الزعامية بسائر السكان وعادة ما يكون أولئك السكان من أهل المناطق التى جرى غزوها.

---

(١) فكرة المحظيات sadaka يدور حولها جدل كبير فى شمالى نيجيريا فى الوقت الراهن. فى أواخر ستينيات القرن العشرين، كان بوسع الرجال من كبار السن الذهاب إلى سكتو للحصول على المحظيات. وإلى يومنا هذا ما يزال طبيعيا أن يكون لأصحاب السمو الملكى والأمراء محظيات. أصحاب السمو الملكى يحصلون على محظيات قبل زواجهم الأول ومن ثم يكون وليدهم الأول من الاتحاد. وطبقا للنظرية القديمة. إذا ما قامت جماعة من المسلمين بدعوة غير المسلمين للدخول فى الإسلام. فإن مثل هذه الجماعة تصبح جزءا من المجتمع. وإذا لم تقبل الإسلام، يدعونها إلى الدخول فى المجتمع (الأمة) بحيث يكونوا تحت الحماية، وهذا يعنى عدم دخول مثل هذه الجماعة فى تحالفات مضادة للأمة. وإذا ما رفضوا ذلك أصبحوا أعداء، وتعين على المسلمين مقاتلتهم وإذا ما حاربوهم اتخذوهم عبيدا لهم. وإذا ما استعبدت أنثى تحولت إلى محظية. كانت الحروب غير شرعية بين المسلمين ومن ثم لم يكن مسموحا بالعبودية.
امتد هذا المنظور إلى عهد الشيخ عثمان بن فودى، الذى يدور الجدل حول عدم كفاحه من أجل إدخال الإسلام إلى أرض الهوسا، نظرا لأن الإسلام فى ذلك الوقت كان هو الدين الراسخ، ولكن الرجل كان يكافح من أجل طريقة ممارسة الإسلام. كانت ممالك الهوسا قد قبلت الإسلام، ولكنها قد ارتدت إلى ما يشبه خليطا من الإسلام والوثنية. من هنا كان الشيخ عثمان يعمل على تنقية الإسلام، ومن ثم أدى ذلك إلى إنهاء مسألة المحظيات تلك. ولم يقبل على ذلك النظام سوى الحكام الحمقى الذين جاءوا بعد ذلك (أواخر القرن التاسع عشر إلى الوقت الراهن). ويستحيل على الرجل الذى يكون فى عصمته أربع إناث أن يحتفظ لنفسه بأية محظية من المحظيات، ولكن فى السياق الثقافى الهوسوى، يمكن أن يكون فى عصمة الرجل أربع من النساء وعدد لا يعرف من المحظيات (مقابلات شخصية متنوعة، ١٩٨٣ – ٨٥)."
والمحظيات أيا كان تكييفهن الشرعى يعتبرن جزءا من الأسرة. ولسن من قبيل العبدات. والمحظية إذا ما وضعت طفلا يعد مساويا تماما لابن الزوجة. ومع ذلك، فإن المحظيات لا يقمن بعملية الطبخ لأنهن لسن زوجات. ولكن يمكن لرب البيت استدعاء المحظية إلى غرفة نومه فى أى وقت يشاء. (الدورة المنتظمة المعتادة. هى أن تقوم كل زوجة من الزوجات بالطبخ مدة يومين. وتقضى ليل هذين اليومين مع الزوج. ومن هنا تصبح دورة الأيام الثمانية أمرا مألوفا مع الرجل المتزوج من أربع سيدات، والدورة ستة أيام مع المتزوج من ثلاث نساء. فى بيوت الأمراء لا تقوم الزوجات بالطبخ، وهناك خادمة يطلقون عليها اسم جمبيا Gimbiya هى التى تستدعى أية واحدة من المحظيات وتطلب منها الذهاب إلى الزوج) (ملاحظة: كلمة "جمبيا" Gimbiya تعنى "الأميرة"، فى بعض السياقات الأخرى).

هذه الفكرة تخفف العداوات فى كثير من الأحيان، وتعطى المجتمعات المحلية اهتماما كبيرا باستمرارية الزعامة. وطالما أن عدد المحظيات لا يقف عند أى حد من الحدود، فهو يعد وسيلة من وسائل توسيع الأسر وزيادة أعدادها وبخاصة أسر الزعماء والقادة. أهم من كل ذلك، أن سلالة الأم النسبية تقف وراء مثل هذه التوسعات فى الحالات التى تكون من هذا القبيل، والتى تركز على السلالة النسبية من ناحية الأب، دون حدوث أية مضاعفات نتيجة لازدواجية السلالة النسبية. (هناك إحساس أيضا مفاده أن أبناء المحظيات يتعين عليهم إثبات وجودهم نظرا لأنهم ليس لهم دعم من ناحية سلالة الأم النسبية) واقع الأمر، أنه فى الإمارات التى من قبيل كنو وسكتو، تكاد تكون هناك قاعدة غير رسمية مفادها أن الأبناء المرشحين لتولى الإمارة يكونون من أبناء المحظيات وليسوا من أبناء الزوجات. هذا يعنى أنه ليس هناك أى نوع من التمييز فيما يتعلق بمدى أهلية أو حقوق أو واجبات أبناء المحظيات؛ يضاف إلى ذلك أن أبناء المحظيات لهم حق فى الميراث مثل الأبناء الشرعيين تماما.

ونحن إذا ما سلمنا بنمط الزواج الجماعى المحدد مضافا إليه مسألة المحظيات، نجد أن عائلات الزعماء والقادة تتسم بالكبر والتوسع، كما نجد أيضا أن عدد الورثة من الذكور يكون كبيرا أيضا. يضاف إلى ذلك أن عدد الأعمام وأبناء الأخوان يحتمل أن يكون كبيرا جدًا. (ولو قدر، وهذا من قبيل المتوسط ليس إلا، لزعيم أن يكون له عشرة أبناء أو خمسة عشر ابنا، فذلك يعنى أن عدد الأبناء "المحتملين" يمكن أن يكون كبيرا جدًا فى جيل من الأجيال. ونحن عندما نأخذ بعين اعتبارنا عدد الأحفاد، فى جيل من الأجيال، نجد أن العدد يتزايد ويكبر).

التعريف الاجتماعى للأسرة واسع جدًا، وهو فى واقع الأمر يخلق شبكة من الالتزامات والولاءات التى تعد واحدًا من المفاتيح الرئيسية فى فهم الثقافة السياسية فى مناطق الخلافة. ومع ذلك، فإن عددا قليلا جدًا من هؤلاء "الأبناء" و"الأشقاء" هم الذين يتولون مناصب القيادة والزعامة. الباقون من هؤلاء الأبناء والأشقاء يمتهنون مهنا أخرى، مثل الزراعة، والمال والأعمال، أو حـــرفا أخرى. وهناك أمثلة عــدة لأعضاء من الأســـر "المالكة" فى إمارات الشمال، يمتهنون صناعة القبعـــات، أو يعملون بالتجارة، أو يمتهنون تحفيظ القرآن. من هنا، يمكن أن نجد

فى الأسرة الكبيرة، مستويات متباينة من الدخول والمهن. وهذا يخلق مجموعة من الروابط الرأسية داخل المجتمع. (أبدى بعض الباحثين ملاحظة مفادها أن الإنسان بوسعه "التجرد من طبقته" وسط الطبقات الإدارية؛ هذا يعنى أن مثل هذا الشخص لم يعد بعد من طبقة الحكام، أو الطبقات المهنية المشاركة فى الإدارة).

"المداخل": فكرة المدخل kofa تقوم على توفير نوع من الاتصال بين المنظومة المركزية وواحدة من المناطق البعيدة. و"المدخل" عبارة عن شخص (أو أشخاص)، قد يكون فى المنبت الرئيسى أو فى منبت خارجى، وهذا الشخص يكون بمثابة نقطة الاتصال الرئيسية والتواصل بين منظومات بعينها (أو أشباه المنظومات). متطلبات "ضابط الاتصال" الذى يكون من هذا القبيل تحتم أن يكون ذلك الشخص مقبولا من السكان المحليين ومقبولا أيضا من الإدارة المركزية، ويتعين على مثل هذا الشخص أن يعمل على تسهيل الاتصالات بين المركز والمحيط. قد ينظر الناس، فى بعض الأحيان، إلى مثل هذا الشخص باعتباره ممثلا لمنطقة من المناطق المحلية، وفى بعض الأحيان الأخرى قد يكون أكثر اتصالا بالمنطقة المركزية.

المواقع المتقدمة فى مناطق الحدود: يقوم الخليفة محمد بللو بإقناع الناس بالبقاء والاستقرار فى المواقع الخارجية فى مناطق الخطر الموجودة على "الحدود". (من الأهمية بمكان تأكيد الحقيقة التى مفادها أن الخليفة محمد بللو لا يجبر الناس على عمليات الاستيطان التى من هذا القبيل، ولكنه يعتمد فى ذلك على حسن نوايا الأفراد وحسن التزامهم) هناك قسم من أقسام "الموروث الفولانى" (باعتبارهم شعب من الرعاة) يقضى بألا يرتبط الفولانيون بمكان بعينه، ولكنهم يرتبطون بولاءات داخل المجتمع الأوسع. يضاف إلى ذلك أن خفة الحركة هى جزء من أسلوب حياة الفولانيين. هذه المستوطنات الحضرية الجديدة لها أهميتها فى حماية مصالح مجتمع الخليفة.

العلاقات والصلات الفكاهية: الصيغ والأشكال النمطية للعلاقات والصلات الفكاهية abokan wasa لها أهمية كبيرة فى تخفيف حدة التنافس العرقى بين الأعراق المختلفة فى المدينة الواحدة، أو قد تعمل على التخفيف من التوترات

التاريخية. المعنى عام لهذه العلاقات والصلات الفكاهية abokan wasa، الذى يستعمل إلى يومنا هذا، مفاده أن الأبناء أو بنات الأخ أو الأخت (أبناء الأعمام والعمات أو أبناء الخال والخالات)[١] يمكن أن يصبحوا "ندامى"، وبذلك يروى هؤلاء الندامى أشياء لبعضهم البعض، وقد "يسيئون" إلى بعضهم البعض عن طريق المزاح الطيب. قد يقال لنديم من الندامى إنه لا يأكل جيدًا، أو إنه غير قادر على إطعام زوجاته، أو قد يقال له إنه "همجى" bush (بمعنى "غير متحضر")، أو إنه منحدر من العبيد، من ناحية الأم. (ملاحظة: فى سكتو يطلقون على التنكيت على الأقارب مصطلح tobashi وذلك على العكس من مصطلح abokan wasa الشائع بين عدد كبير من السكان).

فكرة ندامى اللعب هذه تمتد إلى العلاقات الإثنية، وبخاصة بين الفولانى والتيف Tiv ("المنشى" Munchi) وإلى البارباري Barebari. يروى الناس "نكاتا" كثيرة وطرفا كثيرة ليؤكدوا بها على صفة "الهمجية" bush فى الجماعة الأخرى، ولكن هذه الجماعة الأخرى، تقوم هى الأخرى بالرد مستعملة فى ذلك قصصها

---

(١) عند فلفولدى Fulfulde، نجد العلاقات والصلات الفكاهية محددة تحديدا مفصلا. كما نجد هذه العلاقات والصلات مرتبطة بحفلات الزواج. نظرا لاحتمال إقدام أبناء العموم والعمات أو الأخوال والخالات على الزواج. هذه العلاقات والصلات الفكاهية تخفف التوترات داخل العائلة. وبناء على ذلك، فإن المركبات الأربعة لأى فرد من الأفراد تكون على النحو التالى:

١) أخت الأم Yafendo (الخالة).

٢) أخت الأب goggo (العمة).

٣) أخ الأم kawo (الخال).

٤) أخ الأب baffa (العم).

من بين هذه المركبات الأربعة، نجد أن العلاقات والصلاة الفكاهية وكذلك الزواج يمكن أن يحدث بين المركبين، ٢ و٣. المركب رقم ١ ليس فيه فكاهة أو زواج. المركب رقم ٤ فيه فكاهة وليس فيه زواج. من هنا يمكن القول: إن أبناء وبنات أختين يمكن أن ينكتوا لكن لا يتزوجون من بعضهم البعض.

الخاصة بها عن "الهمجية".[١] ويبدو أن الهدف من كل ذلك هو تخفيف التوتر، وتقديم نوع من المزاح اللطيف.

التحالفات القائمة على إدارة الخلافات: مسألة تكوين التحالفات، داخل المجتمع وبين المجتمعات وإدارة الخلافات أو التنافسات أمر واضح جدًا بل يعد إستراتيجية مركزية وأساسية أيضا. وقواعد هذه الإستراتيجية غاية فى البساطة، وإذا ما نجحت هذه الإستراتيجية، فقد تتمخض عن حلول كمبيوترية تشبيهية تستهدف زيادة المزايا التى يجنيها المجتمع إلى أبعد حد. وقواعد هذه الإستراتيجية تتمثل فى الآتى: أولا، منافس صديقك حليفك. ثانيا، المحافظة على تماسك وترابط الوحدة الأساسية، واعمل على تقسيم عدوك وتفتيته. مهارة جمع التحالفات إلى بعضها البعض (والتى عبر عنها فيما بعد أحد المشاركين، "ليست مثل البحث عن خادم houseboy") تنطوى على قدر كبير من المفاضلة والتكامل "بين الثواب والعقاب". هذا الموضوع يجرى تناوله باستفاضة من خلال متن هذا الكتاب.

---

(١) هناك نكتة فولانية شائعة عن أصول الاسم "Tiv"، الذى يطلقون عليه بلغة الهوسا "Munchi"؛ ومفاد هذه النكتة أن رجلا من الفولانى أعطى رجلا تيفيا Tiv ماشيته ليحتفظ بها مدة عام. وجاء الرجل الفولانى وقال للرجل التيفى متسائلا: "أين ماشيتى؟" أجابه الرجل التيفى. "لقد أكلناها!" (Mun ci) (ملاحظة: الكلمات Mun (نحن) ci (أكل) تعنى إجمالا "أكلنا").

البارباري يروون قصصا كثيرة عن " خبث " وأذى الفولانى. وعلى سبيل المثال فإن شخصا من برنو Borno (أى من البارباري) كان يمر فى الطريق ورأى أسرة من أسر الفولانى (ابنا / وأما / وأبا). كان الأب يرقد على الأرض بالقرب من أحد الأبيار وكان يغالبه النوم. قال الابن الفولانى. "أنا لن أقولها إلا بعد أن تحدث". عندما يسقط الأب، أثناء نومه العميق فى البئر فى نهاية المطاف يقول الأبناء للأم "لقد سقط زوجك فى البئر". (أهل برنو ينظرون إلى ذلك باعتباره نوعا من الجذل "المرح").

الفولانيون، بدورهم، يرون قصة عن الكانورى يؤكدون بها "جبن" الكانورى. جاء ملك الموت إلى واحد من الكانورى هو ووالده. وسأل ملك الموت الرجل من منهما الأكبر سنا حتى يقبض حياته. ورد عليه الأب قائلا: "صحيح أنه ابنى ولكنه أيضا ليس رجلا شابا".

المساواة فى المعاملة بين الولايات (الإمارات) التكوينية: بالرغم من موافقة الشيخ عثمان بن فودى على كل حامل من حملة رايات الولايات الإماراتية، إلا أن حملة الرايات لا يجرى تصنيفهم، منذ البداية، فيما بينهم وبين أنفسهم. مبدأ المساواة فى المعاملة، فيما يتعلق بتطبيق القانون، وفيما يتعلق بتقسيم الموارد، يعد جزءا من فلسفة الخلافة، وفلسفة الإسلام.

عاصمة جديدة تكون رمزا للمجتمع: مسألة بناء عاصمة جديدة فى سكتو أمر مهم فى تمييز المجتمع jama'a الجديد عن مجتمع النظام القديم السائد فى جوبر Gobir. هذه العاصمة مصممة ومبنية بطريقة تعكس المبادئ المفاهيمية للمجتمع الجديد، فى ضوء العلاقات المجتمعية، والأنشطة الاقتصادية، والقيم الدينية الأساسية.

السلطة:

الزعامة المبنية على المزايا والتنافس: مسألة إعادة فرض الفكرة التى مفادها أن هناك إجراءات آلية لتولى الخلافة فى سكتو، تعد فكرة من أفكار عصر الاستعمار التى تميزت بالدهاء؛ هذه الفكرة تنطوى على أن تولّى الأسرة المالكة للخلافة أمر كاف تماما. (بل إن نظام البُكورة البريطانى، أو بالأحرى تولى أول الأطفال مولدًا للخلافة، يجرى تفضيله فى بعض الأحيان). ومن الناحية النظرية، إن لم يكن ذلك دوما من الناحية العملية، فإن تولى الزعامة أو الخلافة، سواء فى سكتو نفسها أو فى أية إمارة من الإمارات الداخلة فى هذه الخلافة، يعد عملية تنافسية فيما بين مرشحى "الأسرة الكبيرة"، على اختلاف أعمارهم وخلفياتهم، وعلاقاتهم السلالية النسبية مع شاغل هذا المنصب. هذا يعنى أن هناك تنافسا بين "المؤهلين" لهذا المنصب، وأن ذلك التنافس يبدأ منذ بداية عهد الطفولة فصاعدًا. ومجلس الاختيار، الذى لا يرتبط أعضاؤه بحكم تعريف المجلس، بأية صلة أو قرابة بأسرة الزعماء أو القادة، لا ينعقد إلا عند وفاة شاغل منصب الخليفة، وهو الذى يقيم ويقدر نوعية الزعامة أو القيادة التى يمكن أن تخدم البلاد على أفضل

نحو ممكن. وتأسيسا على ذلك، فإن مجلس الاختيار قد ينتقى شخصا كبير السن (يفترض ألا يبقى كثيرا على قيد الحياة)، ليكون بمثابة فترة انتقالية، أو ربما يكون ذلك من أجل الإسراع بعملية تولى الخلافة، على أمل مشاركة أحزاب أو طوائف أخرى من المجتمع، وإحساس تلك الطوائف بأنها ممثلة. فى بعض الأحوال الأخرى، قد يختار أعضاء مجلس الاختيار شخصا صغير السن، يتوقعون له البقاء فى الحكم مدة طويلة، ولكن مثل هذا الشخص يتحتم أن يكون خبيرا وضليعا فى التعامل مع التهديدات الخارجية. فكرة وجود ولى للعهد لا يمكن أن تكون جزءا من الخلافة تحت أى ظرف من الظروف، نظرا لأن ذلك يمكن أن يقصر الخيار ويحد منه، وبالتالى يفرض قيدا على مجلس الاختيار، الأمر الذى يمكن أن ينزل الخطر برفاه المجتمع. (وهذا بحد ذاته يمكن أن يعطى ولى العهد المزيد من السلطة). من الناحية التطبيقية، هناك بعض الإمارات التى تعين أولياء للعهد، وتطلق عليهم هذه الألقاب. وفى سكتو نفسها، وفى نظرية الخلافة، هناك نص يسمح بوجود مجلس للاختيار لاتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب. مجلس الاختيار يسمح تشكيله بزيادة أعضائه حتى يمكن تمثيل قطاعات المجتمع كلها فى ذلك المجلس، وذلك بغض النظر عن معايير هذه القطاعات. بعض أعضاء هذا المجلس من المهنيين، كما هو الحال فى منصب الوزير (المستشار الرئيسى) Sarkin Yaki؛ (وزير الدفاع)؛ أما بقية الأعضاء فهم رؤساء السلالات النسبية (الهوسا، الفولانى، إلخ).

انعدام اليقين فى موعد تولى الخلافة يعنى الاستعداد بصورة مستمرة لتولى هذا المنصب، الأمر الذى يفضى إلى كثير من عمليات التنافس طويلة الأجل. بحلول القرن العشرين، نجد أن هذه المنافسة تتخذ شكلا يقبل، من خلاله، المرشحون على طلب العلم الغربى ومن ثم يصبحوا قادرين على خدمة مجتمعاتهم فى الساحة "الحديثة".

المنافسون الذين يفشلون فى هذه المنافسة، قد ينتظرون الدخول فى جولة جديدة، أو قد يتخذون لأنفسهم شكلا من أشكال "المنفى"، يفرضونه على أنفسهم أو بتشجيع من القائد أو الزعيم الجديد. (فكرة إرسال المنافسين إلى المنفى ستكون لها

مضاعفاتها فيما بعد) فى القرن التاسع عشر، كانت مناطق المنفى، فى بلاد "الشرق"، تمتد من أدماوا إلى الحجاز. (ولكن فى القرن العشرين كانت بلاد المنفى فى كل من كادونا، وليجوس، ثم لندن).

السُلطة المبنية على العلم: فى خلافة سكتو، نجد أن المستويات العليا من التعليم هى مفتاح السلطة. هذا يعنى أن الشخص غير المتعلم يستحيل عليه تولى الزعامة أو القيادة. فى القرن العشرين، جرى توسيع "التعليم" ليشمل التعليم الغربى ومهارات اللغة الإنجليزية.

اختيار الزعامة أو القيادة عن طريق الممثلين: فكرة المشاركة الجماهيرية فى انتخاب القادة أو الزعماء ليست جزءا أو قسما من خبرة الخلافة. مسالة النظر إلى المجتمع باعتباره كلاً مترابطا ومتناغما، تربطه إلى بعضه روابط كثيرة، وأواصر قوية، تجعل الناس لا ينظرون إلى اختيار الزعامة فى ضوء مصالح فئوية محددة أو جماعات المصالح التى تسعى إلى "كسب" السلطة، وإنما ينظرون إلى مسألة اختيار الزعامة والقيادة باعتبارها عملية استشارية، يتعين على القطاعات كلها المشاركة فيها، عن طريق قادة هذه القطاعات، بل قد يصل الناس فيها إلى حد الإجماع على قرار بعينه.

الجماعات السنية صاحبة الاحترام والسلطة: فى داخل المنظومة الأسرية، بل وفى المجتمع بشكل عام، نجد أن فكرة المجموعات السِّنية تنطوى على أهمية كبيرة ولكنها تتمتع بالمرونة من الناحية التطبيقية. هذا يعنى أن العلاقات الأسرية التى بين أجيال الأسرة الموسَّعة أو الكبيرة، لا تتفق مع العمر الطبيعى. من هنا نجد أن أصغر أبناء الرجل الكبير السن، يغلب أن يكون أصغر من أكبر أبناء الشقيق الأكبر لهذا الرجل كبير السن. ومن ثم، نجد أن صبيانا صغارا يمكن أن يكونوا "أعماما" لأناس يكبرونهم هم فى السن.

إحداث نوع من التوازن فى مبدأ الجماعات السنية يرسى أسس بعض الفئات الاجتماعية التى تتساوى إلى حد ما مع الأعمار الطبيعية. هذه الفئات لا تشكل بالضرورة "منظومة سنية متدرجة"، يتم من خلالها تكليف أعضاء هذه الفئات

السنية بواجبات محددة، ومن ثم يمكن "تدرج" تلك المهام فى المرحلة العمرية التالية. هناك إحساس اجتماعى ووعى بوجود ثلاثة فئات سنية: فئة الكبار، وفئة الصغار، وفئة المجموعة السنية الواحدة المتماثلة على وجه التقريب. يضاف إلى ذلك أن مصطلح "الأخ الأكبر" ومصطلح "الأخ الأصغر" أهم جدًا من مجرد مصطلح "أخ". يزاد على ذلك، أن ارتباط الجماعات السنية بأنواع محددة من الخبرات والتجارب يضفى على النظرة العامة شيئا من الشمولية والصفة المجتمعية. من هنا، فإن الأطفال حتى سن الثانية عشرة يتعين عليهم دراسة القرآن والموضوعات الأخرى. ومن سن الثانية عشرة إلى الحادية والعشرين، يتعلم الأطفال حرفة من الحرف أو يواصلون دراستهم وتعليمهم. وفى العشرينيات من الأعمار يدخل الصبية مستقبلا عمليا، ثم يواصلون ارتقاء السلم فى ذلك المستقبل العملى إلى أن "يتقاعدوا"، وبوسعهم إنفاق المزيد من الوقت فى المزيد من الدراسة والتعلم أو فى المسئوليات الأسرية العامة.

فى بعض الأحيان، قد يعهد بمسئولية القيادة إلى فريق آخر من الكبار، ولكن ذلك لا يكون بصورة دائمة أو مستمرة، وبفضل المزايا قد يستطيع واحد من هذا الفريق التفوق على أقرانه، فى مسألة تحمل المسئولية. وفى كل الأحوال، نجد أن كبار السن يحظون باحترام من يصغرونهم، احتراما كبيرا. قد يكون هناك نوع من التنافس داخل المجموعات السنية الواحدة، ولكن ذلك التنافس يجرى على أساس من الاحترام المتبادل.

الاستمرار التاريخى باعتباره مهمة من مهام القيادة أو الزعامة: الزعيم أو القائد باعتباره فردًا من الأفراد، قد يكون شابا أو كبيرا فى السن، وقد يكون صاحب شخصية مختلفة وقدرات أو عاهات بدنية: هذا الزعيم قد "يخطئ" بحكم كونه من البشر. ومع ذلك فإن السمات الشخصية لشاغل الوظيفة إنما تكون مميزة دوما عن المنصب أو الدور القيادى الذى يلعبه مثل هذا الشخص. وتأسيسا على ذلك، فإن القائد والزعيم المتقدم فى السن، الذى ربما يكون قد فقد الكثير من قدرته على القيادة، يظل يحظى باحترام الناس له، بحكم أنه يمثل المنصب أو المؤسسة. (قد يخول آخرون بعضا آخر من مهام هذا الزعيم الإدارية، ولكن مثل هؤلاء الأفراد لا يمكن تخويلهم مهامه الرمزية مثل "السلطة").

السلطة يتحتم اعتراف الجمهور بها: فى كل مرحلة من مراحل عملية الحصول على المهام، أو تدعيمها، أو تجديدها عند زعيم أو قائد من القادة، يتحتم أن يكون الجمهور (أى المجتمع) معترفا بذلك وموافقا عليه؛ وهذه مسألة غاية فى الأهمية. هذا الإقرار وهذه الموافقة قد تحدث، فى بداية الأمر، عن طريق ممثلى المجتمع من باب "الموالاة" للقائد أو الزعيم الجديد. فى المراحل التى تلى ذلك، قد تتطلب مثل هذه الموافقة القيام بجولات بين الحين والآخر، أو عن طريق الاتصال بالجمهور أو أن يفتح القائد أو الزعيم بيته للناس. العطلات الرسمية تعد من الأوقات الرسمية التى يمكن الاستفادة منها فى تجديد الولاء، وتشتمل أيضا على ولاء الصفوة (أى أصحاب الجاه Jahi الذين يرافقون الأمير فى الصلاة) وولاء الجماهير، (تحية الأمير أثناء الصلاة).

السلطة والعطايا kyauta: فى عرف الهوسا وطبقا لعادتهم، يجرى تقديم العطايا والهدايا إلى شخص أقل منزلة من مقدم العطية أو الهدية. معنى ذلك أن الأمير يمكن أن يقدم عطايا أو هدايا لرؤساء الأحياء ورؤساء القرى. وفى كثير من الأحـــيان يمكن للأشخاص الأقل منـــزلة رد الهدايا، "طمعًا فى رضى الرب" Allah yayi maka albaraka (بارك الله لك). أما إذا كانت العطية أو الهدية من باب "الإجبار" إلى أمير من الأمراء طمعا فى الحصول على قطعة من الأرض، أو إذا كانت عطايا أو هدايا لأفراد فى حاشية الأمير، أملا فى التأثير عليه، فإن مثل هذه العطايا والهدايا تدخل فى عداد الفساد Zalunci. هذا يعنى أن النية عند تقديم العطية أو الهدية تعد مسألة غاية فى الأهمية عند تقييم المجتمع لمثل هذه العطايا أو الهدايا. "البخل" صفة سلبية فى الثقافة الإماراتية، والقائد أو الزعيم الذى لا يقدم عطايا أو هدايا قد ينفض الناس من حوله. هذا يعنى أيضا أن "الكرم" صفة يمتدحها الناس فى القادة أو الحكام.(١)

---

(١) يدور الجدل حول مسألة تقديم العطايا والهدايا من قبل الأمراء طمعا فى تولى المناصب، وذلك فيما يتعلق بمسألة "النية" نفسها. وعلى مستوى معين يمكن اعتبار الهدية أو العطية من قبيل "الرشوة" طلبا فى الحظوة، ومن ثم تصبح خاصية أو سمة سلبية. وعلى مستوى آخر يثنى الناس على تقاسم البركات" وعلى الكرم. وقد جرت العادة أن يقيم كل حال حسب معطياتها، ومن هنا يذيع "صيت" الناس.
هدايا الحبوب تقدم من أهل الطبقات العليا إلى أفراد الطبقات الدنيا، وأصحاب الطبقات الدنيا يقدمون الحبوب المطبوخة لأصحاب الطبقات الأعلى منهم.
مسألة "علاقة الراعى" تتصل بالثقافة الهوسوية، وهى تشتمل على تبادل العطايا والموارد. وهى تعد جزءا من التقسيم الطبقى للمجتمع ومنظومة الالتزامات. ومع ذلك، فإن مجال الخيارات الفردية يعد كبيرا جدا فى إطار هذه المنظومة.

فكرة تقديم العطايا والهدايا kyauta مختلفة عن عطايا الجزية gaisuwa التى يمكن أن يقدمها رئيس الحى أو رئيس القرية للقائد أو الزعيم باعتبار ذلك علامة من علامات الوفاء والولاء، أو قد تقدم هذه العطايا عن طريق "الولايات التابعة" لزعيم من الزعماء.

اتخاذ القرارات بالإجماع (وليس من قبل رجل واحد): هذه القيمة جرى تطبيقها فى السواد الأعظم من ذلك الذى أتينا على ذكره من قبل. هذا يعنى أن القائد أو الزعيم قد يعلن القرار النهائى، ولكن المعروف والمسلم به أن كل إنسان من حقه أن يتكلم وأن يعرب عما فى ذهنه قبل اتخاذ القرار. والقائد العاقل هو الذى ينشد الإجماع الذى يمكن أن يمثله هو فى النهاية.

بيروقراطية كفؤة وغير فاسدة: البنية الإدارية الواضحة ليس الهدف منها "تنفيذ" القرارات، وإنما توفير المدخلات الإعلامية إلى المنظومة. هذا يعنى أن انسياب الاتصالات والمعلومات أمر مهم جدًا. (من هنا يجرى التركيز على المعرفة والمهارات الكلامية).

القائد أو الزعيم بصفته منظما ومحددا للأولويات والقيم: القائد الكبير قد يحتاج إلى صفات خاصة فى أوقات الأزمات أو التغيرات السريعة، التى يمكن عن طريقها إعادة تحديد وتعريف القيم القديمة، وإعادة صياغتها طبقا للمواقف الحالية أو الحاضرة. والخلافة، طبقا لتقاليدها المرعية فى سكتو لم تسر سير الأعمى، على هدى من العادات القديمة والأولويات القديمة، وإنما ابتكرت لنفسها مقدرة نقدية مكنتها من تعرف الأولويات المستقبلية، وإعادة تعريف وتحديد معايير وقيم الماضى فى ضوء الموقف الحالى. وقد أحبطت هذه الخاصية فى فترة الاستعمار ولكنها عادت إلى الظهور من جديد.

القيادة باعتبارها خليطا من القوى وفكرة الكيانات المركبة: نظرا لأهمية انسجام المجتمع، يتحتم على القائد أو الزعيم أن تتوفر لديه المهارات والقدرات التى تمكنه من مزج القطاعات السكانية كلها بعضها مع بعض، بغض النظر عن المهن، والأعمار، أو الثروة أو العرق. تحقيق هذا الهدف حتم ابتكار وتطوير فكرة

الكيانات المركبة، التى لها أهميتها فى المجتمع متداخل الأعراق. القيادة المركزية قد تكون مقصورة على أسرة واحدة أو سلالات نسبية بعينها داخل إطار محلى، أو مع لغة بعينها أو طوائف شبه دينية فى إطارات سياق أكبر، ولكن على المستوى الأكبر من المجتمع السياسى، يتحتم إيجاد كيان يكون بمثابة رمز للمجتمع بكامله. (وقد ثبت، فى معظم الأحوال، أن وجود كيان إضافى فى إطار العلاقات الخارجية يعد أمرا مهما وضروريا). وترجع مهارة القائد أو الزعيم فى إدارة المنظومة الرمزية لهذه "الكيانات الموقعية" فى بعض أجزائها إلى مقدرة هذا القائد على المحافظة على عمل هذه المنظومة الكبيرة بعضها مع بعض. وفى الوقت ذاته يتحتم على القائد أو الزعيم أن يظل متمسكا بقيم المجتمع.

الطرق المعتادة التى تساعد على إرساء أو تأسيس كيان يمكن أن يربط القائد أو الزعيم بمختلف قطاعات المجتمع، يمكن أن تكون عن طريق اللغة أو الزّى. من هنا، فإن القائد الذى يكون متعدد اللغات يمكنه مخاطبة المجتمع المحلى بلغته الخاصة به، وبذلك يصبح "واحدًا من هذا المجتمع". وبالتبادل فإن اللغة العرقية يمكن استعمالها فى بعض المواقف. (وفى الجزء الأكبر من القرن التاسع عشر كانت لغة التعامل، أى لغة المدونات، هى اللغة العربية. وبعد ذلك بدأت لغة الهوسا، واللغة الإنجليزية تستعملان فى الغرض نفسه أيضا).

على الرغم من ارتباط الزى ارتباطا وثيقا بالوضع وبالسلطة من خلال الروابط الرمزية الكثيرة، التى سيجرى توضيحها فى هذه الدراسة، إلا أن الممارسة العامة من قبل زعماء الخلافة أو زعماء الإمارات، كانت تقوم على ثلاثة أنواع متميزة من الأزياء أو الملابس إن صح التعبير:

١) القفطان الأبيض البسيط والبنطال wando، الذى يركز على نقاء وتقشف موروثهم الدينى.

٢) الرداء الفضفاض babban riga، وغطاء الرأس alkyabba والعمامة rawani يرمز إلى الوضع الإماراتى المعتاد.

٣) الرداء الفولانى البسيط، الذى يلبسه أهله فى مناسبات معينة، أو حتى عندما يذهب أحدهم لزيارة الرعاة الفولانيين فى الغابة، أى القميص بلا أكمام yar Shara، والبنطال wando وغطاء الرأس المدبب الذى له رفرفان يغطيان الأذنين habar kada.

المواقف التى تحدد استعمال كل زى من هذه الأزياء هى أيضا التى ساعدت على دعم وتقوية هذا الكيان الخاص، وهى أيضا التى زادت من تضامن هذا المجتمع.

ممنوع الثراء الشخصى: قوانين الميراث محددة على نحو يمنع اللجوء إلى المحسوبيه أو المحاباة بين الأقارب. هذا يعنى أن الممتلكات المادية الخاصة بالقيادة أو الزعامة هى ملك للمجتمع؛ هذا يعنى أن ذلك ينسحب أيضا على القصور، ومراكز رئاسة الأحياء، إلخ. هذه الممتلكات، جرى العرف، أن تؤول إلى شاغل الوظيفة، ولا تعد جزءا من الميراث الشخصى للقائد أو الزعيم.

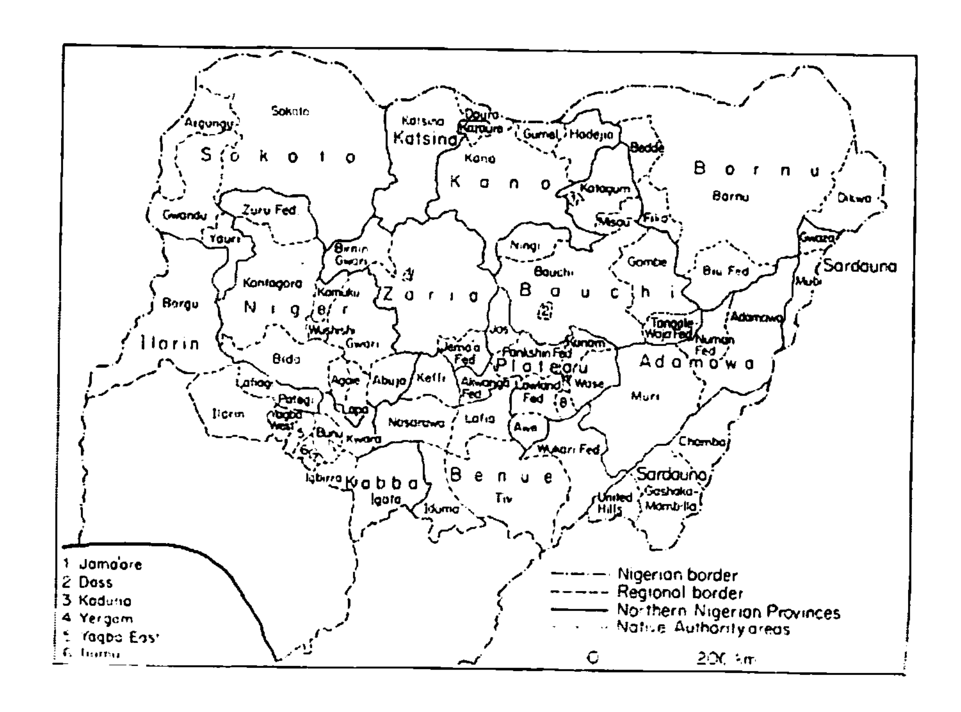
الأهم من الجوانب القانونية، هو تلك القيمة التى تنص على أن القائد أو الزعيم ينبغى ألا يثرى على حساب المنصب. والناس هنا، ينظرون، فى حقيقة الأمر إلى وفاة الزعيم أو القائد، دون أن يكون لديه عقارات أو ممتلكات، على أن ذلك من قبيل البركة، اعتقاذا منهم بأن الله يغنى الناس ويعوضهم فى ضوء خصالهم وصفاتهم الفردية. (فى العائلة الكبيرة لا يمكن أن يترك طفل أو امرأة بلا عون أو مساعدة).

يشاع هنا أن قادة الخلافة القدامى كانوا يكسبون قوت يومهم من أعمال بسيطة من قبيل فتل الحبال، حتى عندما يكونون فى موقع السلطة. هذه النظرة المتقشفة التطهرية، هى على النقيض من أبهة البلاط التى نشأت بعد ذلك. ومع ذلك تتواصل هذه الأخلاقيات، ونجد أن قيمة التقشف والنزاهة فى التعامل مع المال عام تلعب دورا مهما فى موروثات الناس هنا.

مسئولية القائد أو الزعيم أمام الله: بغض النظر عن العقوبات الدنيوية وبغض النظر أيضا عن القيود الدنيوية، والتوازنات الدنيوية، فإن القائد أو الزعيم سيكون مسئولا عن أعماله أمام الله. ونظرا لأن الموت يمكن أن يوافى الإنسان فى أية لحظة من اللحظات، فتلك تكون عقوبة قوية على "الظلم" والتصرفات الجائرة.

هذه المبادئ القيادية والمجتمعية، الموروثة من عهد الخلافة القديمة فى سكتو، سيجرى تعديلها وتحويرها خلال فترتى الاستعمار والاستقرار. ومع ذلك، فإن هذه المبادئ تُعد بمثابة الأسس التى بنيت عليها الثقافة السياسية فى شمالى نيجيريا. كما أن البنية "الإماراتية" نفسها ستبقى بلا مساس، بل وسوف تشكل أساسا للحكومة المحلية ("السلطة المحلية") داخل شمالى نيجيريا. (راجع الخريطة رقم ٣).

الخارطة رقم (٣)



مناطق السلطة المحلية والسلطة المدنية فى شمال نيجيريا فى عام ١٩٦٢

القسم الأول

مطلع حياته ومستقبله العملى (١٩٠٩ — ١٩٤٩)

الفصل الثالث

التعليم والقيم (١٩٠٩ — ١٩٣١)

١ـ الإمبراطورية البريطانية فى سكتو (١٩٠٩):

كانت الإمبراطورية البريطانية فى أوجها. وفى إفريقيا، كانت مسألة الحدود قد جرى التفاوض بشأنها مع كل من الفرنسيين والألمان، وكان قد جرى تأسيس "وجود فاعل ومؤثر" (باعتبار أن ذلك الوجود هو مفتاح قواعد اللعبة فى "الزحف إلى إفريقيا"). كان بوسع هذا الوجود أن يكون هينًا لينًا إلى حد ما، ولكن ذلك صادف عصر الملك إدوارد فى لندن وكانت سكتو تبعد مسافة بعيدة جدًا عن لندن. كانت "الإمارات الإسلامية" فى شمالى نيجيريا قد جرت "مهادنتها" عن طريق غزو سكتو فى عام ١٩٠٣ الميلادى، وأصبحت المشكلة تتركز بعد ذلك فى مسألة إدارة هذه الإمارات. وفى ظل عدم توافر الموارد اللازمة لمثل هذه الإدارة، فما المانع من استعمال الأسلوب البراجماتى فى إيجاد شكل من أشكال الأنظمة السابقة، أى نوع من الحكم "غير المباشر"؟ بمعنى أن يكون الحكم بواسطة صاحب الجلالة الملك، من خلال وزير المستعمرات، من خلال الحاكم المعين من قبله لشمالى نيجيريا، من خلال ممثلى جلالته المقيمين، من خلال رؤساء الأحياء، الذين يمكن أن يكونوا "مستشارين" "لحكام المسلمين" فيما يتصل بجباية الضرائب وتحقيق العدالة، ولكن فى وجود مصادر عسكرية (على شكل جنود محليين من مختلف المناطق بصحبة قلة قليلة من الضباط البريطانيين) لاستعمالها فى حال "التمرد"، مثلما حدث فى تمرد عام ١٩٠٦ فى ساتيرو Satiru؛ بالقرب من سكتو. فى حين بقى "الدين" على حاله دون المساس به أو التدخل فيه، وذلك من منطلق أسباب دبلوماسية؛ وتحتم أيضًا إدخال "العدالة البريطانية" بشكل أو بآخر ضمن هذه المنظومة.

أبدى الرائد جى. إيه. بيردون Burdon، الممثل البريطانى المقيم فى سكتو، فى تقريره الذى أرسله إلى وزير الإدارة المدعو زونجيرو Zungeru، ملاحظة

مفادها "أنه لم تقع أحداث سياسية أو إدارية مهمة طوال نصف العام[1]"، ويستطرد الرجل فى تقريره ليبدى رأيه فى موقف الأمراء ورؤساء الأحياء، وعامة الناس، ومسائل فرض الضرائب، والمحاكم الوطنية، والتنظيم الإقليمى، و"العبودية"، والتعليم. والمهم هنا هو ما يخص الزكاة Zakka أو العشور الدينية، بالنسبة للضرائب الأخرى.

يردف المندوب البريطانى المقيم فيقول:

> **أحس أنى على حق عندما أبرز الوضع الراهن للإقليم باعتبار ذلك الوضع برهانًا على سلامة وصحة مبدأ الحكم من خلال الرؤساء الوطنيين.**
>
> **تتمثل أهم النتائج فى تقوية سلطة أمير المؤمنين على أتباعه. على كل حال، ومن خلال خدمتى السابقة هنا، فأنا أرغب فى أن يقوم الرئيس بوضع ما أريده موضع التنفيذ، وإن هذا الرئيس تعرقل إلى حد بعيد بسبب عجزه عن إجبار عامة الناس على إطاعة أوامره. حاليًا، يجرى تنفيذ أوامر هذا الرئيس على وجه السرعة وبدقة من خلال رجاله وأتباعه. وقد بدأت هذه الطريقة تسرى خلال رؤساء الأحياء، الذين لا يطيعون ويعترفون فحسب (مع تحفظ واحد) برئيسهم، وإنما يوسعون أيضًا مدى هذه الطاعة ويزيدونها بين بقية الرعايا، وعلى سبيل المثال.. نجح أمير المؤمنين فى الحصول على معلمين شبان من طبقة طيبة ليكونوا مع مدير التعليم، ويعملوا نظارًا فى**

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، وملفات سكتو الإقليمية ١٩٠٩. رسالة مؤرخة فى الثانى من أكتوبر من عام ١٩٠٩: تقرير إقليمى رقم ٣٧ عن نصف العام المنقضى - ٣ يونيو ١٩٠٩.

المدارس. قيمة الإدارة الكفؤة فى دعم هذه السلطة المحليــة، سواء على المســتوى الرئيسى أو الفرعـــى، لا يمكن - وهذا تقديرى الشخصى - المبالغة فيها.

جنبًا إلى جنب مع تقوية أمير المؤمنين لسلطته زادت ثروته أيضا بسبب الضرائب التى جباها من إمارته. ولولا التدخل البريطانى عن طريق الاحتلال لما استطاع أحد تقدير متحصلات أمير المؤمنين التى تأتيه من الأمراء التابعين له، تقديرًا دقيقًا. ولكنى أحس الآن ومقتنع أيضًا بأن المداخيل السابقة من هذه المصادر لا يمكن أن تصل إلى المبلغ الحالى الذى يحصل عليه أمير المؤمنين.

وفى ضوء التحسن الذى طرأ على وضع أمير المؤمنين وعلى ثروته، جراء الحكم البريطانى قد يكون من الطبيعى الافتراض. أو القول بأن هناك أسبابًا أخرى غير الامتنان والمصلحة الذاتية هى التى ربطته بإدارتنا أكثر من ذى قبل. ومع ذلك، فأنا أشك فى حكمة استنتاج أو استخلاص بعض العمليات الذهنية من وجهات النظر الأوروبية.

(فيما يتعلق بأمير كبّى أو أرجونجو) كان يمكن أن يكون أفضل من ذلك بكثير لو (أننا) لم نصل إليه. دخله الذى يتحصل عليه من الإغارات لخطف العبيد ومن الحروب، ربما كان أفضل من دخله الحالى الذى يحصل عليه عن طريق الضرائب، وأنا شخصيًا أعتقد أننا نحن الأوروبيين لو لم نظهر على المسرح، لضاعت جاندو (جواندو)، بالتأكيد، وربما معها أيضًا سكتو، فى خضم الغارات التى كانت تشنــها كبّى. الواقــع، أن أمــير كبّى لا يملك شيئًا سوى دخل صغير مؤكد (حوالى ٤٥٩.١٨ جنيه إسترلينى فى ١٩٠٨ - ١٩٠٩) وذلك بالمقارنة مع

مطاردته القديمة المفضلة، وخسارته ما يقرب من نصف مساحة أراضيه، بما فى ذلك دوسُّو Dosso ودالهول مورى، اللتان أخذهما الفرنسيون.

(فيما يتعلق برؤساء الأحياء). فى الماضى كان رؤساء الأحياء المهمون ومن خلفهم رهط كبير من الخدم والخيالة. هؤلاء الخدم والحشم بدءوا يتناقصون تناقصًا كبيرًا وملحوظًا، وهذا من مصلحة عامة الناس، ولكن هذا الأمر يغضب رؤساء الأحياء. الشكوك تدور حول مسألة مدى كفاية الحصص المخصصة من الضرائب لصغار رؤساء الأحياء، وهل هذه الحصص تعوض بالفعل الضرائب غير النظامية – وذلك فيما يتعلق بالجزية gaisuwa وما نطلق نحن عليه اسم ابتزاز الأموال بالتهديد – التى مكنتهم من الاحتفاظ بمثل هذا الخدم والحشم فى الأزمان السابقة. أنا أرى أن أنصبتَهم الحالية غير كافية، فى كثير من الحالات، ولا يمكن أن يتمكن رؤساء الأحياء الصغار من المحافظة على الحال التى يترتب عليها احترام رعاياهم لهم؛ فضلاً عن أن هذه الأنصبة لا تناسب الإدارة الكفؤة، ونحن فى محاولاتنا التى ترمى إلى إيجاد حكم على درجة طيبة من الكفاية نضع رؤساء الأحياء بين المطرقة والسندان. هذا يعنى أن هؤلاء الرؤساء إذا ما حظوا بموافقتنا فإنهم يخسرون شعبيتهم – بل وربما معها ما هو أكثر من ذلك – بين مواطنيهم. وإذا ما احتفظ هؤلاء الرؤساء بحسن نية رعاياهم أو أتباعهم، فإن ذلك يكون عن طريق الفتور الذى يمكن أن يسفر عن عزل الأمير بناء على توصية من الممثل المقيم. خلاصة القول، أن الأفكار الأوروبية عن الإدارة الكفؤة

وواجبات الحكام، وبالرغم من الصبر والتأنى فى وضع هذه الأفكار قيد الممارسة، أزعجت رؤساء الأحياء الصغار وأغضبتهم، فى حين نجد أن العوامل التى تهدف إلى ربط الأمراء بالإدارة، سواء أثرت أو لم تؤثر على المستويات المنخفضة، وبخاصة فيما يتعلق بالدخل والمتحصلات، قد وصلت إلى المرحلة التى بدءوا يستفيدون منها.

السؤال الذى يصعب الإجابة عليه، يتصل بموقف عامة الناس، أو بالأحرى السكان غير الرسميين. وأنا اعتبارًا من أيام الاحتلال الأولى، كنت أكتب التقارير عن نظرات هؤلاء الناس المتجهمة والعداء الظاهر على وجوههم. وفى نهاية عام ١٩٠٥ الميلادى لمست شيئًا من التحسن فى نظراتهم وتصرفاتهم، جعلنى أحسب أن العداء الأخير الذى لاحظته فيهم قد بدأ يتلاشى ويختفى. وأنا لم أنخدع بذلك العداء السافر الذى أظهره عامة الناس فى سكتو أثناء أزمة ساتيرو. وبعد أن قمنا بقمع ذلك التمرد بدأت نظرات الناس تتحسن من جديد. ولكنى لا يمكن أن أقطع بأن ذلك التحسن قد وصل إلى المشاعر والأحاسيس.

أثناء غيابى نشأت عادة حتمية إجبار أفراد الشعب على تحية الأوروبى عابر السبيل. وأنا أساند قلبًا وقالبًا المبدأ الذى مفاده أن الأوروبيين ينبغى تحيتهم بالتحية الوطنية المعتادة، ولكنى أشك فى إمكانية تحقيق هذا الهدف عن طريق الإجبار، الذى يتم عادة عن طريق اللعن والإهانة والسباب. يضاف إلى ذلك، أنى أرى أن هؤلاء الهوساويين المسلمين يمارسون الوثنية affi أو بالأحرى الركوع للأصنام. عندما يروحون يمرغون رؤسهم فى

التراب. وهذا يتناقض تمامًا مع الأعراف السائدة هنا فى هذا الجزء من البلاد. الناس هنا ينظرون إلى هذا الفعل على أنه يحط من قدر من يأتيه أو يقبل عليه؛ بل إن أمير المؤمنين، أصدر أمرًا بناء على طلب منى، بوقف هذا العمل واستبداله بالانحناء على الأيدى نحو الأرض مع بقاء الرأس متجهًا نحو الأعلى؛ وهذا هو ما يطلق عليه الهوساويون اسم sunkuyawa. وأنا أمل أن يؤدى مثل هذا التغيير إلى مزيد من انتشار تحية الأوروبيين، لتصبح بعد ذلك من قبيل الطواعية والاختيار.

لقد ساء وضع الجنود فى البلدة إلى الحد الذى جعلهم لا يزورونها إلا نادرًا. وطوال التزام حامية سكتو (اللهم باستثناء الأشهر القليلة الأولى من بداية الاحتلال) بالسلوك والتصرفات السليمة، لم تكن هناك أسباب حقيقية، غير العداء للأوروبيين، دينية الطابع لمثل هذا الموقف. وأنا عندما قمت مؤخرًا مع مدير التعليم، وبعد موافقة أمير المؤمنين، بزيارة المدارس الوطنية الرئيسية فى سكتو، تعمد اثنان من المعلمين نظار المدارس، إغلاق مدرستيهما وصرفا تلاميذ المدرستين قبل وصولنا إليهما. وقد أبدى السيد فيشر vischer، الذى لا نشك لحظة فى خبرته فى التعامل مع الوطنيين، ملاحظة عقب وصوله مفادها أنه لم يسبق له أن رأى مستعمرة Province يمكن الوقوف على الحكم فيها من خلال نظرات الناس. قام السيد فيشر وأنا معه بمناقشة هذا الأمر مع أمير المؤمنين ومع الوزير. وأنكر الاثنان وجود مثل هذا العداء، وقالا إن التفسير الوحيد لذلك هو الطابع الشهير لشعبى الزنفارا Zanfarawa والكبّى Kebbawa. وصف الوزير ذلك

الذى يحدث بأنه girmankai (الرأس المتورم) الطبع الخشن. العلاج الوحيد، فى مثل هذا الحال هو الصبر، والتأنى، واللياقة، وتجنب كل مظاهر الشك، وتحاشى إخفاء علمنا بالحقيقة التى مفادها أن الشعب المنهزم لا يمكن أن يحب غزاته.

هذه المقطوعة الطويلة توضح آراء قيلت فى أمور كانت سائدة فى تلك الأيام، وتحاول ستر مشكلة القبول الظاهرى للسلطة عن مشكلة القبول الحقيقى لها. كما تحاول هذه المقطوعة تبيان ما إذا كانت ولاية سكتو الباكرة ولاية مستعمرة استعمارًا مباشرًا أو غير مباشر.

مسألة فرض الضرائب ليست مهمة فقط فى فهم العملية الإدارية وحدها وإنما هى مهمة أيضًا فى فهم مسألة "العدالة" من منظورها المركب، ومهمة أيضًا فى فهم وقع الحكم الاستعمارى على القواعد الدينية الإسلامية.

يستطرد بيردون الممثل البريطانى المقيم ويقول:

حدث التقدم الكبير فى مجال فرض الضرائب. وفيما يلى مقارنة بين الضرائب فى عام ١٩٠٥ – ١٩٠٦ وفى عام ١٩٠٨ – ١٩٠٩:

الإجمالى	(عام)	الجنجالى	الضريبة علمة بما فى ذلك زكاة عام السابق
١٢٨٤١ جنيه إنجليزى	١٩٠٥-٦	٨٣٨٢	٤٤٥٩ جنيه إنجليزى
٥٤١٧٩	١٩٠٨-٩	٢٢٤٣٢	٣١٧٤٧

الأرقام الواردة أعلاه (وهى أرقام تقريبية) توضح المبلغ الكلى الذى جرى تحصيله من الناس عن طريق الضرائب، هذا يعنى أن هذا المبلغ يشتمل على حصة الحكومة وحصة الإدارة المحلية. وواضح أن الفارق كبير.

هذه الزيادة، فيما يتعلق بالضريبة عامة، ترجع إلى الجهد المبذول فى تقييم السيد ريزدنت تمبل، بمعنى أن ذلك عبارة عن تقييم شخصى قام به شخص أو أكثر من شخص من الضباط السياسيين فى الحى نفسه. ونحن عندما نتذكر أن هذه المهمة تعنى إحصاء وعد كل مركب سكنى من مركبات المدينة، وزيارة كل كفر من الكفور المبعثرة هنا وهناك فى منطقة تتساوى مساحتها مع مساحة أيرلندة، نجد أنفسنا لا نتكلم عن الجهد المبذول من قبل ذلك العدد غير الكبير من الضباط الموجودين فى المقاطعة. يرى السيد ريزدنت **Resident** تمبل أن كل مركب سكنى فيه من البشر مالا يقل عن أربعة أفراد، وبالتالى اتخذ من هذا الرقم معدّلاً، يمكن أن يُزاد إذا ما تطلب الأمر ذلك، فى أية منطقة من المناطق. كان التقييم الوطنى الأساسى أقل من ذلك. ونظرًا لعدم وجود نظام ضرائبى قبل هذا النظام، ونظرًا أيضًا لقلة المعرفة، ونظرًا أيضًا لغياب السلع النقدية التى يمكن بيعها لسداد الضريبة، ونظرًا أيضًا لعدم كفاية الهيئة السياسية اللازمة للإشراف على جباية الضرائب، ونظرًا أيضًا لغياب الوسائل الكفيلة بالتنفيذ. نظرًا لكل ذلك جاء المعدل المبدئى المنخفض بمثابة أمر لا مفر منه أو محيص عنه.

نجحت خلال جولاتى السابقة، وبعد جهد جهيد، فى جعل المندوب السامى يفرض عقوبة على استبقاء زكاة الزروع باعتبارها ضريبة مستقلة، تدفع للحكومة وتقيد لحساب الحكومة فى سجلاتها الخاصة. وأنا نادم لتغيير هذا الإجراء أثناء غيابى، وأن الزكاة دخلت ضمن سجلات

الحكومة لأسباب حكومية أيضًا؛ وهذا يعنى أن الزكاة ألغيت كضريبة مستقلة وبقيت فى شكلها الاختيارى باعتبارها قسمًا يمكن خصمه من المبلغ الذى يقدر على كل واحد من الفلاحين. وقد صرح السيد ريزدنت تمبل Resident Temple مؤكدًا أن الزكاة لم يجر إلغاؤها وأن دمجها فى الضريبة عامة كان مسألة خاصة بالسجلات ليس إلا. وقد أكدت بشدة فى عام ١٩٠٥ على أن إدماج الزكاة، من وجهه نظر الحكومة، يمكن أن يعنى إلغاؤها فى ذهن عامة الناس. أفضل رؤساء الأحياء، الرجال الأذكياء من أمثال الأمير بورا Baura أمير دنجى Denge، أطاعوا كلهم الأمر الذى أصدره السيد ريزدنت تمبل ولكن بطريقة ضمنية. هذا يعنى أن ذلك الأمير قبل الزكاة المقدمة كلها، وسجلها لحساب دافع الزكاة. ولكن تثور هنا مشكلة أخرى بين المتدينين. وقد أصر بعض رعايا هذا الأمير على دفع الضريبة المقيدة أمام اسم كل واحد منهم كاملة، بالإضافة أيضًا إلى الزكاة. ولكن الأمير لا يمكن له قبول الضريبتين دون تعريض نفسه للمساءلة عن تحصيل مبالغ أكثر من المطلوب. ومن ثم رفض أمير بورا قبول الزكاة. من هنا أصبح الفلاح يوزع زكاته فى وجوه الإحسان والخير. نقيض الأمير بورا، ذلك الرجل غير الفطن والذى يشغل منصب رئيس الحى، هو الأمير زنفارا أمير أنكا Anka، الذى توقفت الزكاة فى كل بلداته. بل إنه هو نفسه أبلغنى أن الزكاة ألغيت بأمر من الممثل المقيم، ولكنه بعد ذلك بفترة وجيزة وبعد أن تحرش به واحد من رجال أمير المؤمنين، وبعد أن أستعاد الرجل الأوامر التى

أصدرها ريزدنت تمبل، قال: إن ذلك هو المعمول به فعلاً. ومن سوء الطالع، أن مرءوسى الأمير زنفارا أبلغونى أن الزكاة لم تعد تدفع بعد. وأنا على قناعة من أن الزكاة فى سائر أنحاء أحياء هاب Habe لم يعد لها وجود، ويعتقد الناس أنها ألغيت بناء على أمر من الحكومة. وفى السواد الأعظم من الأحياء المستنيرة لا يصدق الناس مسألة إلغائها، ولكن دفعها انخفض انخفاضًا كبيرًا بسبب الخلط والارتباك الناتج عن مثل هذا الأمر. ومن السهولة بمكان أن يقال إن أحدًا من الناس يجب أن يدفع بدلاً من أن يروح يعد ويحصى المستحق عليه بعد أن يدفع الزكاة. وفيما بين هذين التناقضين تكمن الفوضى والتشويش، الذى يتمثل فى رفض دفع الزكاة وأخذ الزكاة فوق الضريبة أيضًا. يضاف إلى ذلك أن الزكاة كانت مدعاة للاستهزاء[١]. كان مفروضًا لتلك الزكاة أن تكون بمعدل حزمة واحدة لكل عشرة حزم. وأنا لا أقول هنا إن السلطات كانت تحصل على معدل يزيد على ١/٥٠، كانت البقية توزع على وجوه الخير والإحسان أو تستخدم فى إكرام وفادة عابرى السبيل من الغرباء. ولكنى أنظر دومًا إلى الزكاة على أنها النواة التى يمكن أن نبنى عليها ضريبة الإنتاج المتوقع صدورها فى المستقبل. ولذلك أرى أن مسألة إلغاء الحكومة للزكاة وعدم اعترافها بها، جاء بمثابة تخل عن شىء كان يمكن

---

(١) لم يكن تقدير ريزدنت بيرتون للزكاة على ما يرام. والزكاة ركن مهم من أركان الإسلام وهى تفرض على الممتلكات أو الإنتاج. ومقدرات هذه الزكاة تبدأ من ١/ ٤٠ من الدخل. وللمزيد عن مسألة الزكاة هذه راجع هاليرو بنجى فى كتابه Tbada da Hukunci (الجزء الثانى)، زاريا، اتحاد شمال نيجيريا للنشر. ١٩٨٠، ص ١٧ – ٢٤.

أن تكون له قيمته، فى الانطلاق نحو شىء آخر، ومن هنا تصبح مسألة إلغاء الزكاة خطأ إداريًا جسيمًا.

هناك نقطة أخرى، أنا لا أوافق عليها، وهى الخطوط الإرشادية التى جرى الاهتداء بها فى التقدير الضريبى. وأصعب أركان ذلك التقدير يتمثل فى مسألة تناسب الضريبة مع قدرة الناس على دفعها أو الوفاء بها. وهذا الأمر، وهو ذروة المشكلة، متروك للرؤساء الوطنيين. والأمير، على سبيل المثال، يجرى إبلاغه بأن بلدته يتعين عليها أن تدفع، على سبيل المثال، مبلغ ٥٠ جنيهًا إنجليزيًا، وأن عليه تقسيم هذا المبلغ طبقًا لثراء المواطنين. وأنا لا أعرف كيف أبدأ فيما يتعلق بأولئك الذين لا يعرفون شيئًا فى الحساب. والنتيجة الطبيعية التى تترتب على ذلك هى تغاضى رؤساء الأحياء الأميين وغير المستنيرين عن مسألة تناسب الضريبة وفرض ضريبة رأس موحدة (مقدارها ٣ عن كل فلاح مستقل). أما رئيس الحى المستنير فقد قام بتحقيق التناسب فى الضريبة، ولكن يستحيل القطع على وجه اليقين بالإجمالى الذى تخصم منه هذه الضريبة. وإذا ما نحينا جانبًا صعوبة القيام بهذه المهمة، فإننا نجد أن هذا النظام الضريبى يهيئ أفضل الفرص للغش والتزوير. مسألة استحالة تجزىء الضريبة استهدافًا لجمع مبلغ ٥٠ جنيهًا إنجليزيًا، تجعل رئيس الحى الغشاش أو المزيف يضيف مبلغًا قليلا إلى نصيب كل فلاح، يصل إلى بضعة جنيهات قليلة، وهذا أمر قد لا يدركه أى أحد من الناس. وإذا ما نحينا جانبًا مسألة سؤال كل فرد

عما دفعه، أجدنى أصل إلى استحالة الوقوف على الغش والتزييف الذى يكون من هذا القبيل[١].

أثر الحكم الاستعمارى على المنظومة القانونية تأثيرًا كبيرًا بل وهائلاً، وأسفر عن النتائج غير المقصودة التى تجلت فى التغاضى عن المحاكم الشرعية وإغفالها، وذلك بناء على جملة من الأسباب المختلفة. يكتب ريزدنت Resident بيردون عن ذلك فيقول:

سُمح من جديد للكفاية الحاضرة أن تلقى بظلالها على مبدأ الإدارة غير المباشرة فى موضوع تحقيق العدالة فى الإدارة المحلية. وأنا من خلال جولاتى السابقة كنت لا أسمح مطلقًا بأى "شكوى" من الشكاوى. هذا يعنى، أنى لم أسمح بعرض أية قضية من قضايا المحاكم المحلية، على الضابط السياسى، إلا بعد أن يكون الشاكى قد حاول فى البداية الحصول على حكم عادل من خلال محاكمه المحلية. الاستثناء الوحيد فى هذا الصدد كان يتمثل فى إقامة الشاكى الوطنى دعوى على رئيس من الرؤساء الوطنيين أو بالأحرى الرؤساء المحليين. اكتشفت عند عودتى، أن هذا الإجراء جرى الارتداد عنه، فى كل ما يتصل بمحكمة سكتو الوطنية، وأن هناك قلة قليلة من القضايا التى يجرى تقديمها إلى هذه المحكمة بعد عرضها فى البداية على الممثل المقيم. لم يكن هذا الإجراء نتيجة لأى أمر من أوامر الممثل المقيم، ولكنه نشأ بصورة متدرجة. والعادات والعرف الوطنى هنا يقضيان بأن يتقدم الشاكون أولاً لأمير المؤمنين، الذى يرسلهم إلى المحكمة

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، ملفات سكتو الإقليمية.

الوطنية التى تحولهم إلى المحكمة المحلية، أو يرسلهم إليها مباشرة. بعد رحيلى بدأ الشاكون يتجاهلون أمير المؤمنين ويأتون مباشرة إلى الممثل المقيم. والغريزة الفطرية فى الرجل الإنجليزى - تلك الغريزة التى أكسبته فى الهند اسم "حامى الفقراء" - تجعله يستمع إلى مثل هذه الشكاوى ويقدم لأصحابها يد العون والمساعدة. وترتب على ذلك زيادة أعداد الشاكين الذين بدءوا يتوافدون على الممثل المقيم، الأمر الذى جعل أمير المؤمنين يحيل كل من يتقدم له بشكوى إلى الممثل المقيم وليس إلى القاضى Alkali. وقد أبلغنى أمير المؤمنين بصورة محددة وقاطعة أنه يفضل أن يرسل الشاكين كلهم إلى الممثل المقيم وذلك من باب تحاشى الانتقاد الذى يمكن أن يترتب على تصرفه، فى قضية من القضايا، على نحو لا يرضى عنه الممثل المقيم. وأنا لدى إحساس قوى أن مثل هذا الإجراء سوف يؤدى إلى إضعاف سلطة القضاء المحلى، ويجعل الناس يظنون أن القضاء المحلى غير مسموح له بالبت إلا فى القضايا التى يحيلها إليه الممثل المقيم. الخطوة التالية المترتبة على ذلك، هى أن تكون تلك الإحالة بناء على أوامر من الممثل المقيم: وفى ظل مثل هذه الظروف تفقد المحكمة المحلية سلطتها، وتفردها، ومبادءتها[١].

يبدو أن الإمبراطورية البريطانية فى سكتو كانت تواجه بعض المصاعب فيما يتعلق بمسألة "الحكم" أو تقديم "النصح والمشورة" طبقًا "للأعراف الوطنية". يضاف إلى ذلك أن التوترات داخل الإدارة تنعكس فى الشك عام الذى بدأ يدور

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، ملفات سكتو الإقليمية.

حول "قواعد اللعبة". هذا يعنى أن التناقضات بين الحكم الاستعمارى ونظام الخلافة سابق الوجود ستظل قائمة فى المستقبل. ومع ذلك، لم يكن هناك أى شك حول موقع القوة والسلطة فى عام ١٩٠٩.

٢ـ مولود من مواليد أسرة إبراهيم:

فى شهر يونيو من عام ١٩٠٩ الميلادى، تضع أسرة إبراهيم مولودًا جديدًا، ويطلقون على ذلك الطفل اسم أحمد[١]. أحمد هذا هو ولد مريم Mariyamu، التى يكنونها "مامو" Mamu، وسيصبح ذلك الطفل بمثابة الابن الوحيد الذى بقى لهذه الأم على قيد الحياة (هذه الأم لها طفل آخر اسمه أبو بكر، مات وعمره سبعة أشهر). إبراهيم، والد أحمد، هو رئيس حى رباح Rabah، القريب من سكتو، ولكن الناس يعرفون إبراهيم كرجل بسيط، ومغنو الهوسا يأتون كثيرًا على ذكر هذا الرجل "لشدة ورعه". وهناك شاعر اسمه زامناو Zamnau، اعتاد التغنى "بأمانة" إبراهيم، وأشار إليه على أنه "رأس الهجوم" Mai Kafon Karo والسبب فى ذلك أن "الرجل الأبيض Masara عندما جاء إلى البلاد استبسل إبراهيم فى الدفاع. وسوف يهزم النصارى"[٢]. كان إبراهيم هذا ابنًا لأبى بكر عتيق، الذى قال عنه الشعراء إنه إدارى ممتاز، وإنه اشتهر "بعدالته". ويمتدحه الناس بأنه رجل بسيط رفض أن يعيش من الخزانة عامة، وإنما كان يعيش من فتل الحبال كما كان بستانيًا أيضًا. كان أبو بكر يبيع الحبال ليحصل منها على دخل يعيش منه ورفض الاعتماد على الراتب الحكومى[٣]. كان أبو بكر عتيق عليمًا باللغة العربية والدراسات الإسلامية

---

(١) تاريخ مولد أحمد غير واضح. فى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين كانت المنشورات الصحفية ومنشورات السيرة تقول إن أحمد ولد فى اليوم الثانى عشر من شهر يونيو من عام ١٩٠٩. وفى أواخر الخمسينيات قيل إن عام المولد كان ١٩١٠، وهذا التاريخ هو الذى ورد فى سيرته الذاتية. الغموض فى هذا الأمر له أهميته. وسوف نتناوله باستفاضة فى هذه الدراسة. ولكن فى هذه المرحلة يفضل استعمال تاريخ يونيو ١٩٠٩.

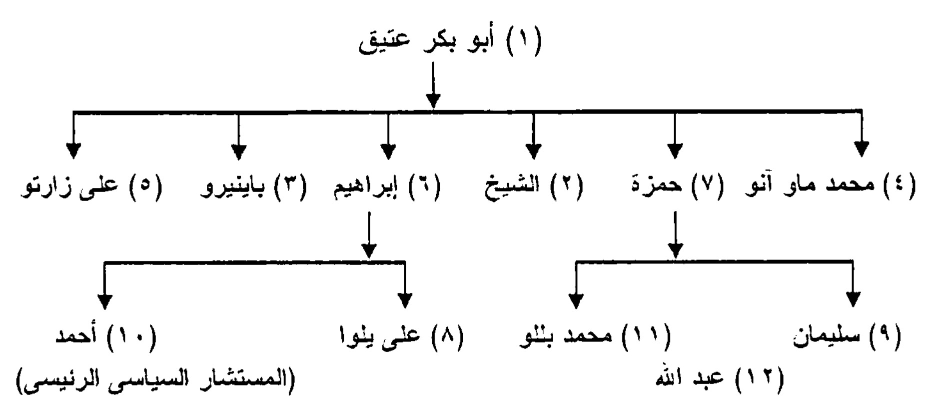
(٢) مقابلة مع عمر Omar وزير جواندو فى ١٢ سبتمبر من عام ١٩٨٣، برنن كبى.

(٣) المرجع السابق.

(بما فى ذلك تاريخ الإسلام)، وكان عليمًا أيضا بالشريعة ولكنه لم يكن قاضيا. لم يؤلف الرجل كتبا. والد أبو بكر عتيق هو محمد بللو، بطبيعة الحال، الذى ذاع صيته كإدارى كبير.

كان لإبراهيم أشقاء كثيرون، من بينهم عدد كبير كانوا رؤساء لحى رباح[1].

كانت زينب، والدة إبراهيم، ابنة عبد الله الأول رابع أمراء كنو (الذى اشتهر باسم ماجى كاروفى Karofi Maje)، ومن ثم كان "همزة وصل" بين العائلات الحاكمة فى سكتو وكنو Kano. (هناك بعض الروايات التى تقول إن دابو Dabo هو والد زينب، وإن دابو هذا هو أمير كنو الثانى ووالد عبد الله الأول. وهذا غير محتمل).



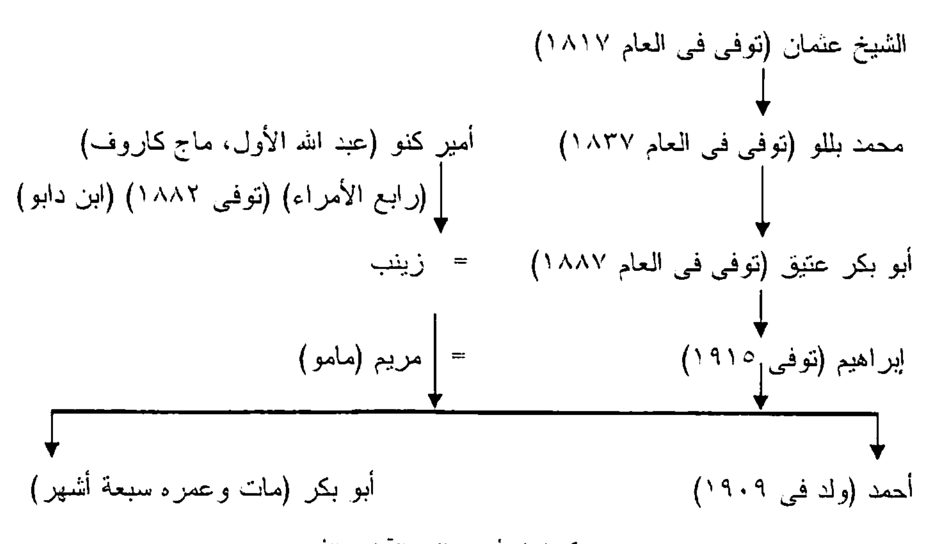
الشكل رقم (٥): رؤساء حى رباح (أعمام وأبناء أعمام المستشار السياسى الرئيسى Sardauna).

فيما يلى رؤساء حى رباح، حسب التسلسل، مع توضيح المدة قرين كل اسم من الأسماء (بدءًا من على زارتو). والتسلسل يوضح تبادل الرئاسة بين أسرتى إبراهيم وحمزة. (هذه المعلومات جرى الحصول عليها من عبد الله أمير رباح، فى ١٣ سبتمبر من عام ١٩٨٣، رباح، سكتو).

١ - أبو بكر عتيق.
٢ - الشيخ.
٣ - بابيرو.
٤ - محمد ماى آنو.
٥ - على زارتو (تسع سنوات).
٦ - إبراهيم (خمسة عشر عامًا).
٧ - حمزة (عام واحد).
٨ - على "يلوا" (خمس سنوات).
٩ - سليمان (ثلاثة عشر عامًا).
* ١٠ - أحمد (أربع سنوات).
١١ - محمد بللو (سبعة وثلاثين عامًا).
١٢ - عبد الله (تسع سنوات، حتى عام ١٩٨٥).

(١) انظر الشكل رقم ٥، الخاص برؤساء حى رباح.

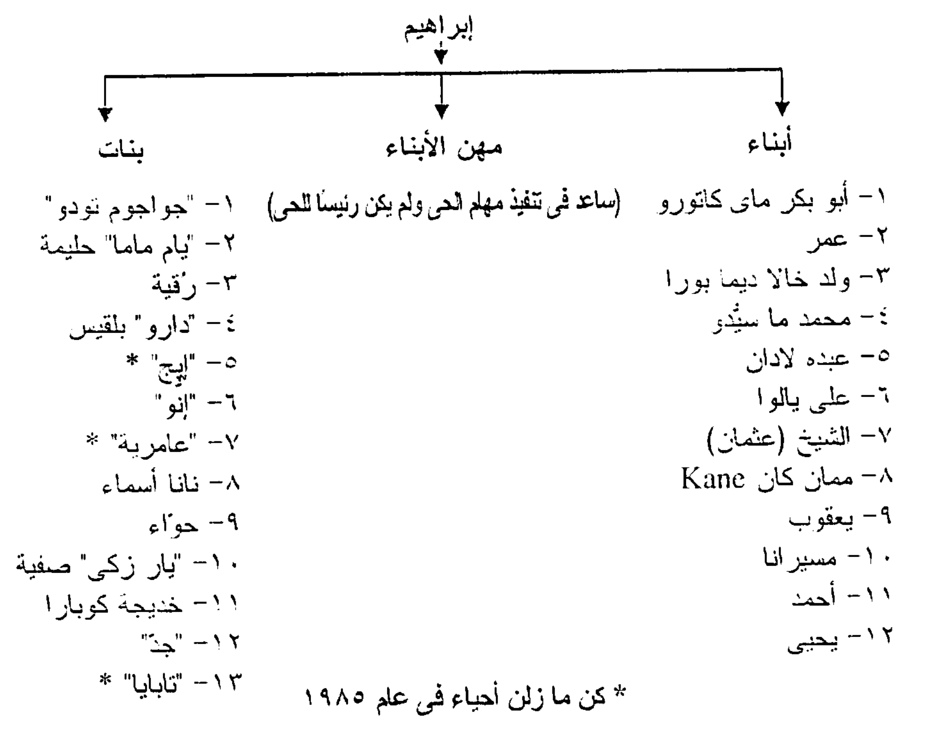
اشتهر إبراهيم بعدالته Adalci ولم "يكن يقبل مطلقًا أى شيء من عامة الناس". كان إبراهيم متعلمًا، كما سبق له أن كان رئيسًا لقرية ريجى Riji، (أى قرية بوتو Bunu الذى هو لقب من ألقاب ريجى)، لمدة تسع سنوات قبل أن يصبح رئيسًا (أميرًا) لحى رباح Sarkin Rabah. كان إبراهيم فى التاسعة والخمسين من عمره عندما أنجب ولده أحمد، ثم توفى الرجل بعد ذلك بست سنوات. كان إبراهيم متزوجًا من أربع زوجات، كما كان له أيضًا عدد كبير من المحظيات، وأنجب إبراهيم اثنى عشر ولدًا (كان ترتيب أحمد الحادى عشر من بينهم) كما كانت له ثلاث عشرة ابنة(١).



الشكل رقم (٦): أحمد بللو: الآباء والأجداد

---

(١) راجع الشكل رقم ٦ لمعرفة المزيد عن آباء وأجداد أحمد، وراجع الشكل لمعرفة المزيد عن أشقاء أحمد بللو وشقيقاته.



الشكل رقم(٧): أحمد بللو: الأخوة والأخوات (بالتسلسل حسب الجنس)

كانت "مامو" (أو بالأحرى مريم) والدة أحمد بللو، محظية، أرسلها لاميدو Lamido أمير أدماوا، إلى سكتو باعتبارها جزءًا من الجزية السنوية. عندما كان أحمد بللو طفلاً صغيرًا، فى مدرسة سكتو المتوسطة، كان الناس يكنونه "عبد مريم Bawan Mamu. كانت مريم فتاة قروية من "أدماوا" (أو إن شئت فقل: مورى Muri)، وأرسلت إلى رباح وهى طفلة. هناك بعض الروايات التى تقول: إن مريم، والدة أحمد بللو، كانت من الفولانيين. على الرغم من أن الظروف لا تؤكد ذلك[1]. (هناك روايات أخرى تقول إن مريم، والدة أحمد بللو، من سلالة الجديجا Jidiga

---

(١) نقلا عن أمير رباح، فى القرن التاسع عشر، كان العبيد يجرى جمعهم على امتداد فترة تقدر بعام تقريبا، بواسطة لاميدو، أمير أدماوا، ثم يعاد ارسالهم إلى سلطان سكتو، الذى كان يوزعهم على رؤساء الأحياء. ومن ثم، يصعب على كل إنسان معرفة من أين جاءت مريم، تلك الطفلة الصغيرة.

وليست من سلالة الفولانيين). كانت مريم "رشيقة وفارعة الطول وسمراء البشرة"[١]. شبت مريم وتربت في بيت أمير رباح[٢]. ويقال إنها حصلت على شيء من التعليم القرآني.

كان المجمّع السكني يغص علاوة على تلك الأسرة الممتدة (الكبيرة) بالخدم الثقات، الذين كانوا يعاملون من نواحي كثيرة كما لو كانوا من أفراد الأسرة. (وقد قام الكثيرون من هؤلاء الخدم بالاستقرار فيما بعد في كادونا Kaduna مع أحمد بللو. راجع الجدول رقم (٣) للحصول على المزيد عن بعض الخدم الذين انضموا إلى أحمد بللو في كادونا في فترة لاحقة[٣]).

٣ـ تعلم الالتزام الديني :

بدأ أحمد بللو دراسته القرآنية في الفترة ما بين الثالثة والخامسة من عمره. ونقلاً عن عبد الله، أمير رباح، "التحق أحمد بللو بمدرسة القرآن makarantar، التي كان ليمان Liman أبو بكر يقوم على أمرها. كان ليمان أبو بكر قد ورث إمامة إمارة رباح عن والده. حفظ أحمد بللو القرآن وبدأ قراءة بعض الكتب الإسلامية الأساسية. ثم ألحق بعد ذلك بإحدى المدارس الغربية boko، ولكنه واصل قراءة بعض الكتب العربية في كاتسنا. وعندما عاد أحمد بللو في فترة العطلة، كان يجالس العلماء طلبًا للقراءة. كانت كتب العزّية al-izziyya، والتوحيد؛ والإكبار al-Akhbar، والقرطبي al-Qurtabi والشماوي Ashmawi من بين الكتب الأولى التي قرأها أحمد بللو[٤]".

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مقابلتان، مع عبد الله أمير رباح، في ١٣ سبتمبر من عام ١٩٨٣ و ١١ مايو من عام ١٩٨٥.
ملاحظة: هناك خلاف كبير حول اسم والدة أحمد بللو، بالرغم من اتفاق الجميع على تلك الكنية. المصادر العلمية أكدت أن اسمها مريم. أحمد بللو نفسه، لم يكن يشير إلى اسم والدته أو يذكره. وقد ماتت في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين عندما كان المستشار السياسي الرئيسي Sardauna في جوساو Gusau. كانت مريم تعيش في حي هنجومارا Hungumawa في سكتو، وهذا الحي قريب من كي كودار Kodar تارامانيا Taramaniya، ويحتمل أن تكون مدفونة هناك.

(٣) هذا الجدول مبني على المقابلات الشخصية التي أجريت مع العدد الكبير من الخدم المتبقين. وقد أجريت المقابلات في إمارة رباح في ١٣ سبتمبر من عام ١٩٨٣، و ١١ مايو من عام ١٩٨٥.

(٤) الأمير عبد الله، أمير رباح، المرجع السابق.

يدور القسم الأكبر من النقاش عن بدايات تعليم أحمد بللو، حول تعليمه الغربى، ولكن دراسة أســاس تعليمه الدينـــى دراسة مفصلة أمر مهــم ولازم. (بدأ المعلمون التربون يدرسون التأثير العميق والمتزايد لتعلم القرآن على المستوى الأخلاقى للشبان الصغار[١]). يبدو أن تعليم أحمد بللو القرآنى كان يسير على النمط الذى نورده فيما بعد، والذى يبدو أنه كان النمط السائد فى سكتو فى ذلك الوقت.

(١) راجع المناقشة التى أدارها عدالة الشيخ أحمد ليمو (قاضى قضاة ولاية النيجـــر). "دور الـــدين فـــى التربية الأخلاقية - منظور إسلامى". إيبادان. إيفان إخوان (الناشرون النيجيريون) ١٩٨٣. ص ٦٢ - ٨٣.

الجدول رقم (٣): الخدم الثقات الذين التحقوا بخدمة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna (والذين بقوا بعد ذلك معه فى كادونا)(*)

١- كاباوا Kabawa	أثناء السفر حارس مراسل استقبال الضيوف	مولود فى رباح؛ يرعى الخيل، كان يرسل إلى ورنو/ جوسى/ وبوتشي/ جومبى/ ياورى/ منه/ مور/ بونو/ يولا/ بصحبة أحمد بللو (توفى فى عام ١٩٧٤)
٢- زاجى ألتين	بقى فى كادونا	يرعى الخيل؛ مراسل إلى الرؤساء والأمراء الآخرين (توفى)
٣- الأمير فطا لادان	خادم أول؛ مراسل مهم فى الأسرة؛ ينجز كل ما يطلب منه؛ رافق أحمد بللو فى سفرة إلى الخارج. ياور لأحمد بللو	كانت شقيقة أحمد بللو الصغرى زوجة للأمير فطا لادان
٤- محمد زارومى	خادم مقرَّب كان يسافر إلى أنحاء نيجيريا	قتل مع أحمد بللو (فى عام ١٩٦٦)
٥- يوسف		بقى فى كادونا بعد الانقلاب (توفى فى ١٩٨٠)
٦- باو اماى واندو	مقيم فى المنزل. يحيِّى الضيوف	(توفى فى عام ١٩٨٤)
٧- جاربا طنطيمى	معلِّم قرآن؛ كان يعلم أطفال المجمع السكنى	توفى فى كادونا فى عام ١٩٦٨
٨- آلو ماجا	مراسل	قتل مع أحمد بللو (١٩٦٦)

(*) جرى تأكيد هذه المعلومات فى مقابلة مع أمير رباح فى ١١ مايو من عام ١٩٨٥، رباح.

٩- تسالحه (عبد القادر)	بستاني	مازال حيا؛ في سكتو
١٠- سلامة	يرعي شئون المنزل	توفي في عام ١٩٧٤
١١- جيبي	حارس شخصي	حي يعمل بالزراعة
١٢- سعد (أمير فاوا)	قصاب	ما زال حيا في كادونا
١٣- حراس خصوصيون	آخريون	

الطفل الذى يريد أن يتعلم الصلاة، يتحتم عليه أن يحفظ أجزاء من القرآن[١]. المفترض أن يبدأ أحمد بللو هو وأنداده الصلاة وهم فى سن الخامسة، ويضربون عليها إذا لم يؤدوها فى سن السابعة. (كان يمكن أن يعاقبوا بواسطة الرقيب، أو ينزل بهم أى عقاب آخر، إذا لم يصلوا فى سن الثانية عشرة) هذا يعنى أنهم كانوا لابد أن يبدءوا الصلاة مع الكبار فى سن مبكرة، حتى قبل سن الخامسة.

لابد أن يكون أحمد بللو قد تعلم من والديه تلاوة السورة الأولى من القرآن (أى الفاتحة) عقب قدرته على الكلام مباشرة، إضافة إلى بعض السور القصيرة الأخرى. فيما بين سن الثالثة والخامسة من العمر، وعندما أوفد إلى مدرسة العربى، تعلم أحمد بللو، أو بالأحرى، حفظ الرجل السور العشر القصيرة الأولى من القرآن عن ظهر قلب، وقد استغرق حفظ هذه السور قرابة عام. وعندها بدأ تعليمه الحروف العربية، عن طريق ربط تلك الحروف بالسور العشر الأولى. كما بدأ تعليمه التجويد أيضًا، وذلك من خلال السور العشر.

بعد ذلك، وفى سن السادسة، بدأ أحمـــد بللو قراءة القرآن من بدايتـــه. وبعد أن قرأ أحمـــد بللو السورة الأولى من لوح القراءة المصنوع من الخشب، راح المعلّم يمسح السورة الأولى من على اللوح، ويكتب له السورة الثانية. ويستمر الحال على هذا المنوال مع كل سورة من السور. (والطفل الذكى يمكن أن يحفظ القرآن بوصوله إلى سن الثانية عشرة، لكن دون أن يحفظ السور الطويلة، وبذلك يستطيع مثل هذا الطفل أن يحفظ عن ظهر قلب حوالى خمسة وعشرين سورة، من بين مائة وأربعة عشرة سورة هى إجمالى سور القرآن).

---

(١) نورد فيما يلى ملخصا لتلك الصلوات مع بعض سور القرآن.

من هنا، يكون أحمد بللو قد أتم دراسته القرآنية عندما بلغ الثانية عشر من عمره. يحتفل المجتمع كله بانتهاء أحمد بللو من دراسته للقرآن. والناس يطلقون على ذلك اليوم اسم "يوم ختم القرآن" Saukar Kw'ani. وأقاربه يقدمون له الهدايا بهذه المناسبة، ويطلبون إليه تلاوة السورة الأخيرة من القرآن(١).

هذا يعنى أن الطفل يمكن أن يبدأ دراسة الفقه Figh فى سن الثانية عشر، وهذا هو ما فعله أحمد بللو تمامًا. (فى الدراسات الإدارية، يمكن للشاب مواصلة الدراسة إلى أن تسند إليه بعض المسئوليات، أى فى مطلع العشرينيات). دراسة الفقه هذه يمكن أن تغطى فى تلك الفترة ثلاثة كتب رئيسية:

١) كتاب الأهلارى Ahalari (الذى يقع فى حوالى ثلاثين صفحة، ويستغرق حوالى ستة أشهر).

٢) كتاب الشماوى Ashmawi (الذى يقع فى حوالى ستين صفحة، ويجرى دراسته خلال الشهور الستة أيضًا).

٣) كتاب الرسالة Risala(٢) (الأكثر تقدمًا وقد تستغرق دراسته قرابة عام ونصف).

من هنا، فإن دراسة الفقه تستغرق من مثل هذا الشاب قرابة عامين، أى فيما بين الثانية عشر والرابعة عشر من عمره(٣).

---

(١) للمزيد عن تعليم القرآن فى سكتو، راجع كتاب سامبو والى جنيد، "تراث سكتو العربى الشعرى فيما بين ١٨٠٠ – ١٨٩٠"، رسالة دكتوراه، جامعة لندن، مدرسة الدراسات العربية والإفريقية، فبراير ١٩٨٥، الفصل الثانى، "نموذج المنظومة القرآنية فى التربية قبل وبعد تأسيس الخلافة، ٢٢ – ٤٦.

(٢) للمزيد عن الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب راجع كتاب أله بللو محمد دورا المعنون، الرسالة: أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى، زاريا، شركة شمالى نيجيريا للنشر، ١٩٨٣؛ وللمزيد عن ترجمة كتاب الإمام مالك الموطأ Al-Muwatta، راجع نورويش، إنجلترا، عطابع ديوان، ١٩٨٢.

(٣) الفقه: يغطى الصلاة، والصيام، والزكاة وجوانب الحياة. والطفل يتعلم الفروض Fard وما هو مقبول طبقًا للسنة Sunna. وهو يتعلم أيضًا مذهبه Madhhab، الذى هو المذهب المالكى فى غرب إفريقيا.

فيما بين سن الرابعة عشر والحادية والعشرين، لابد أن يكون أحمد بللو قد قطع شوطًا على طريق اهتمامه بالدراسات العليا الإسلامية، سواء فى القانون، أو فى معرفة الدين، أو فى بعض المجالات الأخرى[١]. وفيما يتعلق بأحمد بللو، ونظرًا لأنه كان سيتجه إلى "التعليم الغربى" فى كلية كاتسنا Katsina، تقرر أن يكون مدرسوه من المتخصصين فى اللغة العربية، وملحقين على الكلية، وكان هذان المعلمان يواصلان تدريس المعارف العربية والإسلامية والدينية لتلاميذ المدرسة. (كانت تلك المادة إجبارية على الطلاب، نظرًا لأن التلاميذ جميعهم كانوا مسلمين). هذان المعلمان كانا: بللو كاجارا Bello Kagara[٢]، وعمر نجواماتسى Uumaru[٣] اللذان كانا من المعلمين "التقليديين" ولكنهما كانا يجيدان الإنجليزية، إذ جرى تدريبهما بواسطة هانز فيشر Hans Vischer.

---

(١) هذا يعنى أن الشاب فى سن الثانية والعشرين يصبح مؤهلاً لأن يكون معلمًا mallam، وجاهزًا لتعليم أناس آخرين، أو تولى مسئوليات إدارية. عند هذه المرحلة يمكن للطالب انجاد أن يقوم بتفسير القرآن ويكون ذلك عملاً له طوال حياته.

(٢) نقلاً عن عيسى كيتا Kaita (مقابلة بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٤، فى كادونا) كان بللو كاجارا من ولاية النيجر، ثم استقر بعد ذلك فى كاتسنا. كان الرجل هو ونجواماتسى يعلمان التلاميذ الأدب العربى، أى قصص باللغة العربية، وبعض المقاصد الفقهية، مثل الطهارة (الاغتسال) من كتاب الاهلارى Ahalari والشماويه Ishmawiya.

(٣) عرف نجواماتسى بأنه أستاذ أحمد بللو، وكان له تأثير عليه طوال حياته. توفى نجواماتسى فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٥. وجاء نعيه على النحو التالى: (مواطن نيجيرى، فى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٥ ص١) "المستشار السياسى يفقد أستاذه: رئيس وزراء الإقليم الشمالى، الحاج السير أحمد بللو، مستشار سكتو السياسى الرئيسى، فقد معلمه عمر نجواماتسى الذى وافته المنية فى سكتو يوم الأربعاء وهو فى سن الثامنة والثمانين.

والمعلم عمر، بحكم كونه واحدًا من رجال التربية والتعليم، علم عددًا كبيرًا من كبار زعماء الشمال البارزين الحاليين، ومنهم الحاج السير أحمد بللو والحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا، رئيس وزراء نيجيريا، ودرّس الرجل فى كلية كاتسنا سنوات عدة منذ افتتاحها.

خدم المتوفى الحكومة والإدارة المحلية فى سكتو فى مواقع متباينة.

=

الجوانب القرآنية والجوانب الشرعية فى "التعليم الدينى" مجرد جزء واحد فقط من القيم الإسلامية التى تعلمها أحمد بللو أثناء طفولته. ويهمنا هنا التركيز على جانبين آخرين مهمين:

١) الجوانب الطقوسية فى الدين[(١)].

= وقد أبن السير أحمد الفقيد المعلم عمر نجواماتسى عندما كان يقدم العزاء لأسرته. وقال السير أحمد إن وفاة عمر تعد خسارة كبيرة لشمالى نيجيريا فى ذلك عام. وقال أيضًا: إن المتوفى كان من رواد التعليم الغربى الذى جرى إدخاله إلى الإقليم الشمالى فى العشرينيات.

وصرح رئيس الوزراء أن المعلم عمر شهد، فى صباه، معركة سكتو فى عام ١٩٠٣ وكان من أوائل الطلاب الذين التحقوا بالمدارس فى ظل الاحتلال البريطانى.

أرسل رئيس الوزراء الحاج السير أبو بكر رسالة عزاء إلى أسرة المتوفى.

ترك المعلم نجواماتسى وراءه عشرين ابنًا و١٦ حفيدًا. وقد حضر جنازته آلاف من الأعيان.

(١) عندما يبدأ الطفل الكلام، فيما بين سن الثانية أو الثالثة يبدأ فى تعلم بيان الإيمان، أى كلمة الشهادة، أى "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وجنبًا إلى جنب مع تعلم الصلاة، يتعلم الطفل الطهارة والنظافة. بما فى ذلك الذهاب إلى الغائط. والطفل عندما يتبول عقب ولادته يجرى سكب الماء على مكان البول. وفى سن الثالثة يتعلم الطفل كيف يستنجى بعد أن يذهب إلى المرحاض.

الوضوء طقس من طقوس الطهارة، ويكون بالنية. من هنا فإن الطفل يتعلم:

١) غسل كفه الأيمن ثلاث مرات وكفه الأيسر ثلاث مرات؛ ثم يغمس يديه بعد ذلك فى الماء.

٢) ثم يتمضمض.

٣) ويستنشق ثلاث مرات.

٤) ثم ينوى، ويغسل الوجه ثلاث مرات.

٥) ثم يغسل ذراعه الأيمن.

٦) ثم ذراعه الأيسر.

٧) ثم يغسل جبهته إلى خلف الرأس جيئة وذهابًا.

٨) مسح الأذنين.

٩) غسل القدم اليمنى.

١٠) غسل القدم اليسرى.

وبعد أن ينتهى من الوضوء يردد دعاء من القرآن. يستغرق حوالى نصف دقيقة.

وهنا يكون الطفل مستعدًا للصلاة، ثم يقيم الصلاة (الله أكبر)

الوضوء فرض، ومن ثم يتعين على الطفل تعلم الوضوء مع تعلم الصلاة. =

٢) السيرة الخاصة بالنبى محمد والأنبياء الأربع والعشرين الآخرين الذين جاءوا قبل محمد. هذه "السير" لها أهمية خاصة فى تعليم الأطفال "القيم الأخلاقية".

لابد وأن تعليم أحمد بللو كان يشتمل على قراءة سير الأنبياء. المفروض مع انتهاء اليوم فى مدرسة تحفيظ القرآن، أن يكون المعلم قد أمضى حوالى عشرين أو ثلاثين دقيقة فى قصص الأنبياء. وبذلك يمكن القول أن أحمد بللو كان يعرف سير الأنبياء الخمسة والعشرين كلهم، ووقف على خصالهم وحيواتهم بما فى ذلك آبراهام (إبراهيم)، أبو الأنبياء، الذى اشتهر بالطاعة (كما هو مبين فى التضحية بإسماعيل) وموسى الذى اشتهر بالجلد والمثابرة فى النكبة التى نزلت بشعبه مع فرعون)؛ ويسوع (عيسى) الذى اشتهر بالورع وقدرته على شفاء المرضى وإحياء الموتى؛ ويوسف الذى اشتهر بأمانته؛ وداود Daud الذى اشتهر بشجاعته؛ وسليمان Suleiman الذى اشتهر بالحكمة؛ ويعقوب Jacob (Yakubu) الذى اشتهر بالقيادة؛ وأيوب الذى اشتهر بالصبر؛ ومحمد الذى اشتهر بأمانته وعطفه (علاوة على أشياء أخرى). كانت تلك هى الخصال التى كان يجرى حث الأطفال على التحلى بها، وأنهم يمكن أن يتعلموها بالقدوة عندما يطلعون أو يعرفون سير الأنبياء. القصص التى كانت تروى عن حياة النبى محمد كان لها مغزى كبير؛ ولابد أن هذه القصص كانت تغطى كل جوانب حياة هذا النبى: حياته عندما كان طفلاً، ورعيه للغنم، ووفاة أمه وأبيه، ومعاملاته كتاجر، واختلائه بنفسه فى الجبال التى بدأ يتلقى فيها

=الطفل يتعلم السُنَّة أيضا، أى ذلك الذى لم يرد ذكره فى القرآن. وإنما أتاه ومارسه النبى. والسنة تشتمل على الحديث.

الفروض الواردة فى القرآن تشتمل على:

١) الشهادة.

٢) الصلاة.

٣) الصوم.

٤) الزكاة.

٥) الحج.

كل ما عدا ذلك هو من السنة. ويجب أن نلاحظ أن أقوال الرسول كلها من السنة. قال الرسول: إن شيئا لن يضاف بعده إلى الإيمان. وأنه لن ينزل الوحى مرة ثانية. وأن القرآن وما قاله ﷺ هما المبادئ الهادية والمرشدة. هذا يعنى أن الحديث والسنة هما أساس الفقه (الشريعة).

الوحى، ثم نشاطاته بعد ذلك كزعيم للجماعة. تلك كانت "الأدوار الأنموذج" التى كانت تبرز أمام هؤلاء الأطفال. وبعض الخصال الأخرى التى ركز عليها القرآن كانت تشتمل على:

١) الصدق.

٢) الوفاء بالوعود.

٣) الثقة والأمانة.

٤) العدل.

٥) العطف والتسامح.

٦) الرقة.

٧) ضبط النفس.

٨) القول اللين.

٩) التواضع.

١٠) الشجاعة والجرأة.

١١) الإخلاص والولاء.

الواضح أن تأثير القرآن والعلوم الإسلامية مجرد جزء واحد فقط من ذلك الذى يمكن أن نطلق عليه اسم "التعليم أو التربية الدينية"، ولكن هذا الجزء هو الجوهر والأساس. هناك كثير من العناصر الأخرى التى يمكن أن تختلط "بالثقافة"، وسوف يتعلمها أحمد بللو أيضًا.

٤- تعلم القيم الثقافية:

نشأ أحمد بللو فى رباح، حيث الثقافة تبدو كما لو كانت عشا بلا حدود تنتظم فيه أجزاء الحياة كلها. والمفاضلات التحليلية داخل هذا العش ابتغاء لتأمل

الماضى، سوف تقلل من كل ما يمكن أن يكون له معنى عام أو كل ما يمكن أن يكون واضحا أمام البشر فى هذه الثقافة. والثقافة لا تعنى الانفصال عن الدين. وكل ما هو من قبيل الفروض فى الدين ينظر الناس إليه باعتباره جوهرا أو أساسا. وكل "ما يحظى بالثناء"، أو كل الممكن، أو "الممقوت" أو حتى "الممنوع" فى الدين، فيما عدا المتطرف والمبالغ فيه، كل ذلك يبدأ فى الاختلاط بل والذوبان فى القيم المحلية والمعتقدات المحلية.

أحمد بللو من مواليد أسرة إبراهيم. وهو من أولئك الذين ينادون آباءهم بكلمة "بابا" Baba وأمهاتهم بكلمة "مامو" (ماما) Mamu؛ وهو ممن يستعملون المصطلحات نفسها "بابا" (أو كاو Kawu) عندما يخاطبون أعمامهم أو ينادونهم؛ وهو ممن يستعملون المصطلح "بابا" baba أو "أنّا" nna عندما ينادون عماتهم. فى هذا الوسط يستعمل الناس الألقاب لإخفاء أسماء الأمهات الحقيقية. قد نجد أيضًا ألقابًا للأطفال، بالرغم من أن الأمهات لا ينادين أطفالهن بأسمائهم الأولى. "الطفل الأول" على سبيل المثال يشار إليه بالكنية (ذكر) Kai أو بالكنية (أنثى) Kc إن كان المولود أنثى. ونظرًا لأن أحمد بللو هو الطفل الوحيد الذى أنجبته "أمه" Mamu، فإنها لن تنطق باسمه. وطالما أن أحمد يعد واحدًا من صغار أطفال العائلة فإنه سوف يشير إلى "أشقائه" (إخوانه) "وشقيقاته" الذين يكبرونه سنًا باللقب "بابا" Yaya، على الرغم من أنهم يمكن أن ينادونه باسمه "أحمد"، نظرًا لأنه أصغر منهم سنًا. والذى أطلق على الرجل اسم "أحمد" لم يكن أبوه أو أمه وإنما واحد من أعمامه، نظرًا لأن جده (أبو بكر عتيق) الذى كان مفروضًا أن يسميه، كان قد توفى منذ سنوات عدة. وقد سمّى الطفل فى يوم السبوع، أى بعد سبعة أيام من مولده. والناس هنا يقولون ليوم السبوع Ranar Suna بلغة القوم. وفى هذا اليوم تجتمع العائلة كلها لحضور الصلاة التى يؤمها المُعلِّم.

يبدأ أحمد بللو تعلم النظام (التربية Tarbiyya) فى المنزل(١). وعلى الرغم من أن أحمد بللو ينحدر عن الشيخ (عثمان بن فودى)، إلا أنه يعاقب Horo، فى مواطن العقاب شأنه شأن أى طفل آخر. وأى فرد من أفراد العائلة الكبيرة، الذين يكبرونه سنًا يمكنه القيام بمثل هذا العقاب، الذى يمكن أن يشتمل على التعنيف بالكلام، أو الصفع على الوجه، أو حتى الجلد(٢). على العموم، فإن "الخوف" من السوط يكفى لكبح جماح النزوات والهنات.

أحمد بللو يعرف فصول السنة، من خلال الحرارة الحارقة التى تبدأ فى أواخر فصل الشتاء ومطلع فصل الربيع Bazara، كما يعرف أيضًا العواصف المنعشة التى تهب فى شهور الصيف Damana، وتستمر إلى بداية فصل الجفاف Rani الذى يمكن أن يستمر اعتبارًا من شهر سبتمبر إلى بدء موسم سقوط الأمطار من جديد فى شهر مايو، كما يعرف أحمد أيضًا رياح السموم الباردة Hunturu التى يبدأ هبوبها اعتبارًا من شهر نوفمبر إلى شهر فبراير، وتجلب معها من الصحراء حبيبات التراب والرمال (وبخاصة من حوض بحيرة تشاد).

يتعلم أحمد بللو أسماء شهور السنة الاثنى عشر طبقًا للتوقيت القمرى العربى(٣) نظرًا لأنهم سيعلمونه مواعيد العطلات ومواعيد الصلاة طبقًا لهذا

---

(١) مصطلح "التربية" واسع ويشتمل على التدريب والنظام وقد يشتمل أيضًا على جوانب العقاب البدنى، ولكن المصطلح هنا يعنى تعلم السلوك المقبول فى المجتمع. والمصطلح له علاقة بفكرة الطاعة والانصياع Biyayya وعكس هذا المصطلح هو "العصيان" أو "التمرد" Rashin biyayya. ولكن المصطلح الشائع حاليًا للتعبير عن "العصيان" هو rashin da'a، والكلمة الهوساوية da'a مأخوذة من كلمة "طاعة" العربية. (بعض الناس يعارضون الاستخدام الحكومى لهذا المصطلح، ولكن تعدد معنى هذا المصطلح له قيمته ومغزاه).

(٢) المصطلح عام "للسوط" Bulala قد يشير إلى ذيل البقرة، أو إلى العصى، أو شريحة مجففة من جلد الحيوان.

(٣) السنة الإسلامية القمرية تقدر بثلاثمائة وأربع وخمسين يومًا، أى أنها أقصر من التقويم الغربى بنحو أحد عشر يومًا كل عام. التقويم الاسلامى بدأ منذ عام ٦٢١ ميلادى، أى فى عام الذى هاجر فيه محمد من مكة إلى المدينة ومن ثم يشار إلى ذلك التقويم فى الغرب بحرفى AH بمعنى "بعد الهجرة". وأشهر السنة العربية هى: محرم، صفر، ربيع أول، ربيع ثانى، جماد أول، جماد الثانى، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة وذو الحجة.

التقويم. (سوف يتعلم الرجل فيما بعد التقويم الغربى عندما يلتحق بالمدارس العربية). أحمد بللو يتطلع كل عام إلى العطلات الأربعة: الصلاة الصغيرة[١]، والصلاة الكبيرة[٢]، والمولد Maulid[٣]، ثم عاشوراء Cika ciki[٤].

يبدأ أحمد فى تعلم مسألة حتمية الموت. وعندما يبلغ سن السادسة ينتقل والده إلى جوار ربه[٥]. ولما كان أحمد لم يبلغ بعد سن الرشد[٦] لم يسمحوا له بحضور الجنازة أو الدفن[٧] الذى يحدث فى يوم

---

(١) المقصود هنا هو العيد الصغير، وهو يجىء فى نهاية شهر الصوم.

(٢) المقصود هنا هو العيد الكبير، أو عيد الأضحى، الذى يأتى خلال شهر ذو الحجة.

(٣) المولد، يقصد به مولد رسول الله ﷺ. ويكون فى شهر ربيع الأول. ويجرى فيه قراءة سيرة الرسول.

(٤) يوم عاشوراء، من العطلات الدينية العامة فى شمال نيجيريا والسودان (وهم يطلقون على ذلك اليوم اسم Karama بلغة القوم)؛ وهو يقع فى اليومين التاسع والعاشر من شهر محرم. والناس يصومون هذين اليومين. ويفطرون فى مغرب اليوم العاشر، ويأكل الناس فى هذين اليومين أكلاً طيبًا. (وهو يشبه عيد الشكر فى الغرب). والصوم فى هذين اليومين ليس إجباريًا أو فرضًا وإنما هو تطوع.

(٥) يقول الوزير جنيد، وزير سكتو إن يوم وفاة إبراهيم، والد أحمد بللو، هو اليوم نفسه الذى توفى فيه السلطان حسان، أى فى عام ١٩١٥ الميلادى. وطالما أن ذلك أمرًا واضحًا فى المصادر والمراجع، بما فى ذلك السير. وطالما أن أحمد بللو كان عمره ست سنوات فى ذلك الوقت، فذلك يؤكد أن مولد أحمد بللو كان فى عام ١٩٠٩ الميلادى. (مقابلة شخصية فى سكتو فى ١٣ سبتمبر من عام ١٩٨٣).

(٦) غير مسموح لأى صبى بحضور الجنازات إلا بعد أن يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا (حتى وإن كان المتوفى والده). والنساء والأطفال يبقون فى المنازل. وفى سن الخامسة عشر يفترض أن يكون الصبى قد بلغ سن الرشد وأصبح مستعدًا لتحمل مسئولياته المجتمعية. وعندما يتوفى واحد من الناس يجرى إبلاغ الأقارب والجيران. والناس هنا يعتقدون أن المسلم عندما يموت، فإنه ينتمى إلى مجتمع المسلمين. وصلاة الجنازة هنا عبارة عن ركعتين. لكنهما خاليتين من حركات الصلاة المعتادة. وهما عبارة عن مجرد دعاء يقوله الإمام ومن خلفه المصلون على شكل صفوف. ويكون جثمان الميت أمام الإمام. على أن يقوم أحد الأبناء أو شقيق الميت بغسله وتجهيزه للدفن. (والنساء يغسلن جثمان المتوفيه).

(٧) الجثمان يجب تطهيره عن طريق الغسل ويلف فى كفن أبيض. ويجب أن يصل عمق القبر إلى ياردتين ونصف الياردة، مع وجود "كهف" فى القاع لوضع الجثة فيه، ثم يجرى بعد ذلك تعريش القبر بالعصى ثم يهال عليها التراب بعد ذلك ومن فوقه قطع الفخار ثم يستعمل الطين لسد الفتحات. ثم يوضع الرمل فوق الطين.

الـــــوفاة نفسه[١]. يبقى أحمد بعد ذلك في المنزل (مع بعض أفراد أسرته الآخرين) طيلة ثلاثة أيام لتقبل العزاء من الأقارب ومن المقرّبين[٢]. وقبر إبراهيم فى رباح، وأحمد يتردد على ذلك القبر لزيارة المرحوم والدعاء له، وهو أيضًا يزور قبر جده وجد جده فى ورنو Wurn، حيث يوجد قبر الشيخ عثمان بن فودى (وقبر ابنته نانا أسماء) فى سكتو، وقبر عبد الله فى جواندو[٣] ويدعو أحمد لهم[٤]، ويدعو الله أن يكونوا قد أجابوا على أسئلة الملائكة[٥] كما يدعو لهم جميعًا بأن يرحمهم الله[٦]. وكان أحمد يستمع إلى الشعراء وهم يتغنون بهذه الأشياء[٧].

---

(١) عندما يتوفى أحد من الناس يتعين دفنه على الفور (وغالبًا ما يكون ذلك فى مكان الوفاة). ومع ذلك، فإن ثقافة الهوسا تتيح لهم أخذ الميت لدفنه فى "المنزل".

(٢) فترة الحداد هى مدة تقبل العزاء. وهذه الفترة تقدر بثلاثة أيام عند الهوسا. يجرى خلالها استقبال الناس وتقبل العزاء منهم. والرجال، والنساء، والأطفال، يحضرون لزيارة القبر وتوزع الصدقات طلبًا لرحمة الله. والناس هنا يقولون فى العزاء "يرحمه الله؛ وأن يكون الموت هو نهاية آلامه. الله يرحمه ويحسن إليه".

(٣) تاريخيًا ليست هناك مقابر، وطبقًا للثقافة هنا فإن الشخص يدفن فى منزله. أخيرًا بدأ الناس يلجأون إلـــى فكرة المدافن والجبانات التى يطلقون عليها اسم "مقبرة" Makabarata.

(٤) طبقًا للثقافة السائدة هنا، فإن من يزور القبر يقرأ شيئًا من القرآن على سبيل الدعاء للميت.

(٥) المسلمون فى نيجيريا وفى أماكن أخرى، يعتقدون أن الإنسان عندما يموت تأتى إليه الملائكـــة لتـــسأله عما فعل فى دنياه. وهو لا يجيب من فمه وإنما تشهد عليه الأجزاء من جـــسمه التـــى قامـــت بتلـــك الأعمال. وبعد الأسئلة يطلعه الملائكة على النتيجة. وإذا كان الميت مؤمنًا فإنه يدخل الجنة وإذا كـــان كافرًا يدخل جهنم.

(٦) إذا ما أذنب الإنسان فالفرصة متاحة أمامه للتوبة على أن يعزم على عدم العودة إلى مثل هـــذا الـــذنب ويطلب الصفح والغفران من الله. وإذا ما كان مثل هذا الإثم يطال أناسًا آخرين. أى إذا ما سُرِقَ شىء، أو تقول إنسان على إنسان، فإن المذنب يتعين عليه مصارحة ذلك الذى أذنب فى حقـــه ويطلـــب منـــه الصفح والسماح. (وإذا ما صفح المضار، صفح الله أيضًا) وإذا ما تأخرت التوبة إلى ما قبل الوفـــاة فقد يكون قد فات أوان قبولها. ومع ذلك فالله عفو رحيم. والصلاة لها جدواها وفاعليتها. والصغائر إذا ما كانت التوبة قولاً وعملاً يغفرها الله.

(٧) أثر شعراء الرثاء على أحمد بللو تأثيرًا كبيرًا فى أواخر أيامه. (وسوف نتناول هذا التـــأثير وبخاصـــة إبراهيم جواندو بشكل خاص) كانت ثقافة سكتو فى مطلع القرن العشرين تنظر إلى كل من الـــشعراء والمعلمين على أنهم أصحاب ميزة كبيرة فى انتظار الموت وطلبه، بالرغم من أن الله هو الذى يعلـــم ذلك.

عندما يبلغ أحمد السابعة من العمر يحين يوم الختان Ranar Kaciya، ويقوم الطبيب الحلاق Dan Wanzan بهذه المهمة البسيطة. ويجرى إبلاغ الأقارب كلهم بهذا الحدث ويجلبون له الطعام. وبعد التئام الجرح (أى بعد حوالى أسبوعين أو أربعة أسابيع)، يجتمع أقارب المختن من جديد ويقدمون له الملابس والهدايا.

طوال هذه الفترة، وقعت حالات الزواج فى الأسرة، شملت العديد من شقيقاته اللاتى يكبرنه سنًا. حفلات الزواج هنا من المناسبات التى تنطوى على كثير من الفرح والمرح، ويحضرها الأطفال الذين يبلغون من العمر عامين اثنين[(١)]. ثم تعلم أحمد بللو بعد ذلك معنى الزواج[(٢)]، ولكن حتى هذه اللحظة كان الزواج عند هذا الصبى مجرد عملية تؤدى إلى تجمع المجتمع. الخدم والأقارب يمكن أيضًا أن يجمع بينهم النسب الأبوى؛ ومصداقًا لذلك فإن شقيقة أحمد بللو (تبابا Tababa) الأصغر منه سنًا، كانت زوجة الأمير فطا Fada، الذى هو خادم لأحمد بللو.

---

(١) عندما يتزوج اثنان Aure، يرد الناس نوعًا من الدعاء فى حضور جمع من الناس، ولكن الزواج "يحدث على جزئين":

١) حفل الخطوبة، ويردد الناس فيه دعاء خلف الإمام أو المعلم، ويعلن فيه أن الفتاة الفلانية سوف تتزوج من الصبى الفلانى، وهنا يتوقف الخُطّاب الآخرون.

٢) يحدد تاريخ لعقد القران، وفى هذه المناسبة يحضر أقارب العريس ثمار الكولا والحلوى واللحوم إلى بيت العروس؛ ويجرى تجهيز الفتاة وزفها إلى بيت زوجها. (وهنا يردد الإمام دعاء).

هذا الإجراء يتم فى الزواج الأول (بالنسبة للفتاة). أما الزواج من النساء غير العذراوات فلا يحتاج إلى خطبة.

(٢) كما سبق أن أوضحنا فإنه فى حال رؤساء الأحياء أو كبار الموظفين الإداريين فإن والدى الفتاة هما اللذين يحددان من التى سيتزوجها ابنهما كزوجة أولى، ويجرى بعد ذلك إحضار الفتاة. أما فى الزواج الثانى فلا يفرض شيئًا على أحد من الناس. ويكون التصرف على النحو التالى: يرى الشاب الفتاة ويحبـــها، ويصحب معه أصدقاءه إلى منزلها ويطلب رؤيتها، ثم يترك هدية. وفى المرة التالية: وبعد أن يتردد الشاب ثلاث مرات على منزل الفتاة بصحبة أصدقائه، يقوم بإبلاغ والديه بعد موافقة الفتاة، وهنا يذهب والدا العريس للقاء والدى العروسة، ويعلنان أنهما يودان تدعيم الروابط بين العائلتين. وإذا ما وافق والدا العروسة يقوم والدا العريس بتقديم الهدايا وتحديد موعد الزواج.

مسكن الأسرة كبير جدًا وهناك عدد كبير من الغرف الشاغرة. فى بعض الأحيان يجرى شغل هذه الغرف بالأطفال الصغار الذين تكفلهم العائلة، ويكون ذلك من خلال أصدقاء الوالدين.

أحمد بللو يتمتع بتعلم لغة الهوسا، وأسماء الأشياء. وهو سريع التعلم. ولم يدرك، إلا فى مرحلة متأخرة (بعد أن ألتحق بكلية كاتسنا) أن الهوسا التى كان يتعلمها إنما هى شكل عجيب (على حد قول بعض أهل كاتسنا وكنو) من الهوسا السائدة فى سكتو، وأن هذا الشكل من الهوسا له نطق مميز وفيه بعض الكلمات التى ليس لها معانى واضحة والتى منها على سبيل المثال الكلمة Kọni (وهى كلمة للتقديم ليس إلا)، والكلمة Ku (التى هى عبارة عن تعبير يلحق بالصوت عالى الحدة). كان أحمد بللو يتعلم أيضًا بعض كلمات التحية من لغة الفلفولد Fulfulde، ولكنه كان ينظر إلى هذه اللغة باعتبارها لغة "أبناء أعمامه". وأنه سوف يتذكر طوال حياته أنه من الفولانيين، حتى وإن لم يكن يتكلم لغتهم. وهو يعرف أنه ينحدر من عشيرة التورونكاوا Toronkawa الفولانية، التى يشتهر أهلها بالعلم. وأثناء طفولته كان الرجل شغوفًا بمعرفة الكثير عن أجداده وعن هؤلاء "الأسلاف"، وكان أحمد بللو يوجه إلى وزيره كثيرًا من الأسئلة عندما يزور هذه الأماكن (كما كان يفعل الشىء نفسه مع الوزير جنيد فى فترة لاحقة). وفى مراحل لاحقة من حياته، كان أصدقاؤه من أدماوا يداعبونه لكونه من "الفولانيين"، ولكنه لا يتكلم لغتهم.

كان أحمد بللو يحب اللعب. وهو فى سيرته الذاتية، يتذكر دق الطبول والرقص فى الليل، ويتذكر أيضًا رواة الحواديت الذين كانو يروونها عند الشفق، فى الوقت الذى يكون فيه والده جالسًا مع الكبار. وكبار السن الذين ما يزالون فى رباح يتذكرون أن أحمد كان ماهرًا فى الألعاب المحلية، إذ كان يلعب دومًا مع الأطفال. ويشغل نفسه باللعب المحلية مثل المصارعة، والسباحة، واستخدام الأطفال لسيقان النباتات كخيول يركبونها، وكان يمارس أيضًا لعبة "الواوو" Wawwo، التى

هى من "لعب الحرب" عند الأطفال، ويمارسها فريقان من حيين مختلفين[١]. كان لأحمد بللو أصدقاء كثيرون فى المدينة، وكانوا "من عامة الناس"[٢].

كان أحمد بللو يحب العمل. وهو فى سيرته الذاتية يؤكد تأكيدًا شديدًا على الطابع الريفى الزراعى لبيئته. ووالده يملك مزرعة كبيرة وشاسعة، وفيها عدد كبير من العمال الزراعيين. وفى موسم الحصاد، يقدم كثير من الأطفال يد العون والمساعدة فى هذه العملية، وعلى مستويات مختلفة ومتباينة.

وعلى الرغم من كل ذلك، كان عمل أحمد بللو الرئيسى يتمثل فى التعلم والدراسة، فى مدرسة القرآن، وكان أحمد بللو أيضا واحدا من أولئك الذين التحقوا "بمدرسة التعليم الغربى" (سوف نناقش ذلك فيما بعد). وعندما توفى والده، أصبح عمه رئيسا للحى، ولكنه طرد من ذلك المنصب بعد ثمانية أشهر، وهنا عين أخوه الأكبر رئيسا للحى. وبناء عليه استمرت حياة أحمد بللو داخل المنزل نفسه، إلى أن تقرر فيما بعد إلحاقه بالمدرسة فى سكتو. كانت هذه قرارات لم يعرف أحمد بللو عنها شيئا إلا فى مرحلة لاحقة من حياته. لم يكن أحمد بللو راغبا فى ترك عائلته الكبيرة فى رباح، ولكنه كان قد تعلم الطاعة. يضاف إلى ذلك أنه كان له أبناء عموم أيضا فى سكتو، ثم ألم يكن "عمه" سلطانا لسكتو نفسها؟

٥ـ دخول التعليم الغربى إلى الشمال:

حدثت فى سكتو فى الفترة ما بين ١٩٠٩ و ١٩٢٦ (عندما تقرر إيفاد أحمد بللو للالتحاق بكلية كاتسنا) قلة قليلة من التطورات المهمة فى الإدارة الاستعمارية،

---

(١) مقابلات شخصية فى رباح، فى سبتمبر من عام ١٩٨٣.

(٢) عبد الله أمير (رئيس حى) رباح، هو وآخرون حددوا بعض من أصدقاء أحمد بللو الحميمين ومنهم:
١) كاباوا Kabawa (ما يزال على قيد الحياة. وهو جزء من هذه المقابلات الشخصية).
٢) زاجى سانى (ما يزال حيًا).
٣) شنتالى (توفى).
٤) زاجى باكو (حى).
٥) بارايا Baraya بايدو (توفى).

تمثلت فى الدعم والتقوية المتدرجة للسلطة المركزية وبدايات التعليم الغربى. وفى الإقليم الشمالى كان يجرى وضع أسس إدارة أكثر "فاعلية"، وكانت الأنظار تتركز على التعليم باعتباره المفتاح إلى تلك الإدارة الفاعلة. وقد استلزم ذلك وجود المدرسين المطلوبين، وتدريب المدرسين المحليين بصفة خاصة.

كانت الإدارة الاستعمارية تنظر إلى "الشمال" باعتباره مشتملا على ثلاث مناطق: مسلمون، ومسيحيون، ووثنيون. وبدأ إنشاء المدارس طبقا لهذا المنظور. على كل حال، كان لابد من بذل جهد كبير لإحضار طلاب من الإمارات الناطقة بلغة الهوسا كى يتصلوا ويتواصلوا مع "العرقين العربى والكانورى" القادمين من برنو. وكان أحمد بللو، وآخرون بمثابة التجارب التى أجريت فى إطار هذه الأقلمة.

ومن خلال هذه العملية، تقرر أن يتلقى أحمد بللو شكلا كلاسيكيا من التعليم البريطانى (بمعنى شكل من أشكال التعليم المخصص للتصدير إلى المستعمرات). وبالتالى يمكن أن يكون ذلك الشكل من التعليم، هو المقصود بالتعليم الغربى. ومع ذلك، فإن ٧٥ فى المئة من درجات الطالب النهائية تتحدد عن طريق "تقييم الشخصية"، وليس عن طريق الأداء الأكاديمى. ومن الواضح أن القيم والمهارات الغربية كان يجرى "تعليمها" للطلاب. وكانت كلية كاتسنا بمثابة المكان الذى يقوم على أمر نشر مثل هذه القيم والمهارات بين الطلاب، ويمكن لهذه الكلية أن تكون بمثابة المنبع الذى يمكن أن ينبثق منه القسم الأكبر من التعليم الغربى إلى سائر أنحاء الشمال.

فى ذلك الوقت ذاته نجد أن آى. جى. آرنيت Arnett الممثل المقيم يبدى الملاحظة التالية:

> **يبدو أن الناس راضين وتتزايد ثرواتهم ويزداد ازدهارهم ورفاههم زيادة سريعة. والاستثناء الوحيد من هذا المفهوم يوجد فى عدد كبير من أحياء الشمال التى حلت بها نكسه بسبب شح المطر فى الصيف الماضى (المجاعة المدمرة التى حدثت فى عام ١٩١٣) والفشل**

الجزئى الذى أصاب المحاصيل نتيجة لشح الأمطار. وقد عاون أمير المؤمنين هو والوزير والماجدادى Majidadi بأن أعربوا عن رضاهم التام عن تنفيذ سياسة الحكومة تنفيذا أمينا(١).

ويردف الممثل المقيم قائلا:

أعرب أمير المؤمنين ومستشاروه وبخاصة المرافا Marafa عن رغبتهم فى أن رؤساء القرى ينبغى وضعهم فى كشوف المرتبات. وقال المرافا: "تحدد الراتب الذى ينبغى أن يتقاضاه كل واحد منهم، وسوف يوفر ذلك علينا كثيرا من المتاعب والشكاوى". ومشكلة المرافا تتمثل فى الحقيقة التى مفادها أن من الصعب فى الوقت الراهن تحديد من هو رئيس القرية ومن ليس رئيسا لها(٢).

يواصل أرنيت ملاحظاته فيقول:

جرى تخفيض عدد المحاكم الوطنية فى إمارة سكتو إلى خمسة وعشرين محكمة فقط، من أصل ٣٩ محكمة، أى بواقع محكمة لكل حى من أحياء الإمارة، يضاف إلى ذلك أن الكثير من هذه المحاكم فى الأحياء الصغيرة لا تجد ما تفعله. هذه الأحياء الصغيرة جرى دمجها فيما يتصل بالمسألة القضائية. هناك بعض المحاكم الوطنية التى تؤدى عملا ممتازا وبخاصة محكمة جوداباوا Godabawa، ومحكمة ورنو Wurno، ومحكمة يابو، ومحكمة رباح. بعض آخر من هذه المحاكم ليس على ما يرام(٣).

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، ملفات سكتو الإقليمية ٥٨١ ١٩١٤. التقارير السنوية، سكتو. جواندو، وأرجونجو.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

في عام ١٩١٩، كتب أرنيت الممثل المقيم تقريرا عن مزيد من التعزيز ومزيد من الكفاية التى طرأت على الإدارة المحلية فى سكتو[١].

فى ظل الترتيبات الجديدة أصبح رؤساء الأقسام يعينون فى كل حالة على حدة. وجرى ربط قسمين صغيرين، هما جلاديما ومجاجين رافى، وأصبح رئيس قسم الوزيرى، وهو الأخ الأصغر للوزير، واسمه عباس، مسئولا عن البلدة كلها. والرواتب التى تدفع هى راتب عباس ومقداره ٤٨ جنيها إنجليزيا فى عام، وأربعة آخرون راتب كل واحد منهم ٢٤ جنيها إنجليزيا فى عام، وأربعة آخرون راتب كل واحد منهم ١٨ جنيها إنجليزيا فى عام. والترتيبات الجديدة تسير على ما يرام، وعباس بصفة خاصة رجل ذكى وقدير...، ونظرا لأن مجاجين جارى رجل مسن جدًا ولا يقوى على مغادرة منزله، فقد تقاعد الرجل من منصبه لصالح أكبر أبنائه. وجرى رفع راتب هذا المنصب من ٢٢٤ جنيها إنجليزيا فى عام إلى ٢٦٤ جنيها، وهو ما يمكن مجاجى المتقاعد من الوفاء باحتياجاته من المؤن. كان تغيير منصب جالاديمان جارى galadiman أمرًا ضروريا فقد ثبت أن أحمد روفاى، الذى كان يشغل هذا المنصب من قبل، لم يكن قديرا بل عاجز وغير جدير بالثقة أو الاحترام، وذلك بالرغم من مساندة الممثل المقيم هو والسلطان لهذا الرجل. وبالرغم من إنذاره إنذارا مشددا، فقد اكتشفنا أنه يتآمر ويتلاعب مع هيئة الموظفين، السياسيين المحليين الحكوميين. وقد أوردت الأسباب التى أدت إلى عزله، ضمن تقريرى السرى رقم ١٣٤٥ ٢٥، فى عام ١٩١٨. وقد خلفه فى هذا المنصب محى الحاج شقيقه الذى يصغره سنا، وهو أحد أوائل تلاميذ مدرسة سكتو.

---

(١) المرجع السابق.

فى عام ١٩٢٦، نجد أن تقرير سى. إيه. ودهاوس woodhouse عن سكتو يشير بصورة أكبر إلى التعقيد الحكومى المتزايد، وإلى تنظيمها (الحكومة المنطقى. ونجد أن الممثل المقيم يتناول فى هذا التقرير الأمور عامة، والشئون السياسية، والشئون الإدارية، والقضائية، وكذلك المسائل المتعلقة بالضرائب، وإلى جانب كل هذا يشير المندوب البريطانى المقيم فى التقرير نفسه إلى التقسيمات الإدارية التى ينبغى إدراجها ضمن التقرير، ويشير أيضا إلى المحطات وإلى الإسكان، والرى، والزراعة، والتجارة، إلخ. ونجد أن ودهاوس يؤكد أيضا على تعزيز بنية السلطة المركزية عندما يقول:

> **كما تنبأنا فى عام الماضى، ومع اختفاء وزير بارز الشخصية وصاحب عبقرية، أصبحت المهام التى كان يكلف بها الوزير وحده، توزع على شاغلى المناصب، الذين كان يجرى السماح لهم بالإقامة فى العاصمة طوال الجزء الأكبر من عام لكى يكونوا بمثابة حاشية للسلطان. وهم مسئولون حاليا عن المجالس الخاصة بالخزانة، والمخازن.. إلخ، وهم يسدون لنا النصح، بين الحين والآخر، أثناء اجتماعاتنا الأسبوعية(١).**

بعد أن أصبح الحكم روتينيا على مستوى الإمارة وعلى مستوى الإقليم، فقد بدأت احتياجاتنا من السكان المحليين المتعلمين تتزايد تزايدا كبيرا. ويجرى إنشاء المدارس الإلزامية، أو بالأحرى الأولية، هى والمدارس الإقليمية، ولكننا نعانى نقصا شديدا فى تزويد هذه المدارس بالمعلمين. ونحن بحاجة أيضا إلى معلمين يقومون بتدريب المدرسين. وعند هذه المرحلة يبدأ تدخل حكومة شمالى نيجيريا المحلية.

---

(١) المرجع السابق.

يدور قدر كبير من المراسلات الإدارية، على المستوى المحلى، حول إنشاء كلية للمعلمين[1]، بتكلفة مقدارها ٤٠٠٠ جنيه إنجليزى، مما يعد إنفاقا كبيرا من موازنة الحكومة فى ذلك الوقت. وقد دار جدل كبير حول مكان إقامة هذه الكلية. والممثل البريطانى (اى. جى أرنيت) المقيم فى زاريا يرى أن هذا البلد (زاريا) هو أنسب مكان لتلك الكلية، بالرغم من أن مدير التعليم المناب يخشى من "التقدم السريع الذى سيطرأ على التلاميذ" بحكم قربهم من الخط الحديدى المؤدى إلى الجنوب.

القضية الثانية تتعلق بالطلاب الذين سيجرى جذبهم إلى هذه الكلية. وهنا نجد أن أرنيت الممثل المقيم يكتب لوزير، الأقاليم الشمالية، فى كادونا فيقول:

> **بدأت المدارس الإقليمية أصلا لخدمة أبناء الرؤساء chiefs وأبناء الأثرياء من عامة الشعب الذين لم يلتحقوا بتلك المدارس إلا مؤخرا. كان الرؤساء والمسئولون يلحقون أبناءهم بتلك المدارس بناء على أمر من الأمير. أما عامة الناس فكانوا أقل خضوعا وانصياعًا. حتى فى سكتو كان عامة الناس يدعون أنهم بلغوا من الفقر مبلغا يعجزون معه عن إعالة أبنائهم، وعندما كان يقابل دفعهم هذا بالرفض، كانوا يتقدمون بالتماس صريح إلى الممثل البريطانى المقيم يسألونه فيه إن كان التعليم إلزاميا أم لا[2].**

كان السيد إف. إم. إيرلنج – سميث مدير التعليم المناب فى مناطق الشمال، قد سار على خط مستقيم تماما مفاده أن التعليم ينبغى ألا يكون لأبناء الرؤساء وحدهم.

---

(١) ارشيف كادونا الوطنى ٩,٣٦٢١ ١٩١٩، كلية المعلمين، كاتسنا.

(٢) المرجع السابق رقم ٦٣ ب ١٩٢٠، ١٠ مارس ١٩٢٠.

كنت أرغب، ومازلت؛ فى ألا يكون تلاميذ كلية المعلمين مقصورين فقط على الطبقات الحاكمة، وإنما يكونون من بين تلاميذ المدارس الإقليمية، بغض النظر عن المكانة، شريطة أن يكونوا نابغين وواعدين، وأن يكون أولياء أمورهم راغبين فى إلحاقهم بالكلية، وأنهم لن يجرى طلبهم فيما بعد لشغل مناصب وراثية طبقا للإدارة المحلية. وهذا الشرط الأخير يستبعد إلى حد كبير أبناء الطبقات الحاكمة.. وأنا مازلت أرى أن كاتسنا هى أفضل مكان لإنشاء هذه الكلية.. كما أن أولياء الأمور لن يشعروا بالخجل من هذا المكان لأى سبب من الأسباب، اللهم باستثناء بعده عن مواطن التلاميذ، الأمر الذى سيجعل أولياء الأمور يترددون فى إرسال أبنائهم إلى زاريا[١].

هذا هو المحافظ هيغ كليفورد Hugh، يكتب إلى وزير الدولة لشئون المستعمرات فيقول:

يشرفنى أن أبلغ سيادتكم أنه بعد التفتيش على المدارس التى أنشئت فى كل من كنو، وزاريا، وإيلورين، وباوتشى، ومايدوجورى **Maiduguri**، أنى أشارككم الرأى تماما أن إنشاء كلية للمعلمين إنما يعد أمرا ملحًا لدى إدارة التعليم الخاصة بمناطق الشمال. وأنا أتوقع، فى بداية الأمر، بروز بعض المصاعب فى حث الطلاب المطلوبين على ترك مجال إقامتهم فى المناطق الأخرى، ويصبحون رفاقا على امتداد سنوات داخل هذه الكلية. وأنا أرى أننا سنواجه صعوبة كبيرة فى إقناع أولئك الذين يتخرجون من الكلية، بالاستمرار فى حياة البحث. تلاميذ المدارس الحاليون فى المناطق الشمالية، هم فى الوقت الحاضر، يكادوا يكونون مقصورين على أطفال أعضاء

---

(١) المرجع السابق.

> الطبقة عاملة فى الحكم المحلى، وهم يراودهم طموح الحصول على مناصب سلطوية وممتازة فى يوم من الأيام، فى ظل الإدارات المحلية. أخشى أن يتفشى هذا الميل بين الشباب الذين تخرجوا من كلية المعلمين، وبالتالى يبتعدون عن مهنة التعليم، ويروحون ينخرطون فى أعمال ومهن أخرى، وهذا ما سوف يتعارض مع الهدف الذى من أجله أنشئت الكلية. ولذلك فأنا أوصى أن تكون تكاليف إنشاء هذه الكلية من المتحصلات عامة. وأرى أيضا، أن هذه المؤسسة يجب الاعتراف بها منذ البداية على أنها مؤسسة حكومية، وأنها ليست امتدادًا للإدارة المحلية، فى المنطقة التى سيجرى إنشاؤها فيها[1].

جرى، فيما بعد، إيجاد حل لعزوف الخرجين المتوقع عن التدريس، وذلك بناء على اتفاق موقع يقر الطالب بمقتضاه:

> أن يبذل قصارى جهده فى مراعاة، وطاعة وتنفيذ تعليمات وتوجيهات وأوامر الرئيس المناب لإدارة التعليم. كما تعهد الطالب أيضا بخدمة إدارة التعليم مدة خمس سنوات بدءا من تاريخ التخرج وحسبما يحدده المدير المناب لإدارة التعليم، فى المناطق الشمالية، أو بأية صفة يرى الرئيس أن الخريج يصلح لها ويناسبها، وأن يكون ذلك طبقا للتعويض المالى المخصص لأجور الأفارقة عاملين فى هذا المجال. ومع ذلك، فقد اشترط عدم مطالبة الخريج بالخدمة فى أية منطقة غير منطقته بدون موافقة مسبقة منه[2].

---

(١) المرجع السابق، نيجيريا، رقم ٢٧٩. ١٦ أبريل ١٩٢٠ إلى فسكونت ميلز، وزير الدولة لشئون المستعمرات.

(٢) المرجع السابق، ٧ ١٩٢٥ الجزء الثانى ١١ ٢٨. ٢٤ سبتمبر ١٩٢٧.

كان التاريخ الباكر لكلية كاتسنا قد جرى بحثه بحثا دقيقا وتوثيقه توثيقا جيدًا[1]. خلاصة القول أن الكلية استقبلت الطلاب فى عام ١٩٢١، الذين جرى انتقاؤهم من المدارس الإقليمية بواسطة جفرنر كليفورد Governor Clifford فى عام ١٩٢٢. كان السيد بايتمان Bieneman ناظرا متشددا ومدققا لهذه المدرسة. يضاف إلى ذلك، أن هيئة عاملين فى تلك المدرسة كانت كلها من البريطانيين الجامعيين المؤهلين، الذين ذاع صيت الكثيرين منهم فى شمالى نيجيريا باعتبار أنهم من المتفانين فى التعليم، والتنمية الشاملة لطلاب المدرسة[2]. وسعت الكلية مهامها بعد ذلك فى ثلاثينيات القرن العشرين لتشمل الخدمات الحكومية المهنية والإدارية. وفى عام ١٩٣٨ الميلادى، جرى نقل مقر المدرسة إلى كادونا، وأصبحت المدرسة (الكلية) تعرف باسم كلية كادونا. فى عام ١٩٤٩ جرى نقل كلية كادونا إلى زاريا، تحت اسم كلية الحكومة فى زاريا، ثم تبدل الاسم بعد ذلك إلى كلية باريوا Barew. خريجو هذه الكليات على اختلاف أسمائها أصبحوا يعرفون باسم "قدامى باريوا" .Barewa Old Boys

كانت كلية المعلمين فى كاتسنا مخصصة للطلبة المسلمين القادمين من أقصى الشمال (على الرغم من وجود بعض التناقضات حول هذا الموضوع). مسألة ضم أبناء برنو إلى هذه الكلية كانت فى منتهى الأهمية. من ذلك على سبيل المثال، أن واحدًا من قدامى الخريجين البورنيين، هو كاشيم إبراهيم، كان قد تقرر

---

(١) راجع هوبارد، جى. بى. "التعليم فى ظل الحكم الاستعمارى: تاريخ كلية كاتسنا ١٩٢١ – ٤٢" رسالة دكتوراه، ويسكنسون، ١٩٧٣.

(٢) من بين إصرار كل من السيد أوكس، والسيد كريج، والسيد هاموند. وكذلك السيد سى. آر. بتلر نجد أن جيرالد باور Power يذيع صيته من منطلق إصراره على أن الإنجليزية يجب تعلمها وتكلمها بطريقة صحيحة. ويذيع صيت السيد هوجين من منطلق اهتمامه بتاريخ الشمال.

بقاؤه ليعمل مدرسا فى الكلية، ولكن الإدارة خشيت أن ينزل ذلك الخطر بالتعليم فى برنو، الذى كان ما يزال فى بدايته[1]. يضاف إلى ذلك أن الصبية العرب، القادمين

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى. كتب السيد إيرلنج سميث مدير تعليم كادونا يقول: يقول رئيس كلية المعلمين إنه بحاجة إلى مدرس إفريقى إضافى. وطلب منى ما إذا كان بالإمكان توظيف كاشيم البورنى مدة عام. ويستطرد قائلا: إن كاشيم سيصبح واحدا من أفضل من تخرجوا. يضاف إلى ذلك أن كاشيم، قفز عاما، وكان بوسعه إنهاء المقرر خلال أربع سنوات. وقضاء عام إضافى هنا يمكن أن يحسن من أحوال كاشيم (٢١ يوليو، ١٩٢٨).

"مكتوب سرى من الممثل المقيم، فى برنو، إلى سكرتير المناطق الشمالية، فى ١٧ أغسطس من عام ١٩٢٨. بخصوص: كاشيم إبراهيم – الاستخدام فى العمل مدرسا فى كلية المعلمين".

هذه مسألة شائكة: الطبيعى هو إعطاء كلية المعلمين كل عون ممكن فى سنواتها الأولى. وهذا قد يكون سببا من أسباب إحداث المزيد من الضرر لعملية التعليم فى برنو، دون أن ينسب الفضل إلى كلية المعلمين. الحاجة ماسة جدا، فى برنو، إلى مدرس مؤهل وخسارة مثل هذا المدرس المؤهل فظيعة ولا يمكن تعويضها. نقطه أخرى، هى أن الإدارة المحلية فى برنو تكبدت تكاليف كبيرة عندما استوردت من تلقاء نفسها وبمبادرة منها ثلاثة مشايخ سودانيين، ساعدوا بشكل كبير فى التقدم التعليمى ولم يكن ذلك التقدم مقصورا على برنو وحدها. وأنا هنا أقر أن مسألة الانفراد بمثل هذا التصرف ولد إحساسا بأنه لو كان بالإمكان توفير البديل عن هؤلاء السودانيين الثلاثة لما نشأت المشكلة الحالية. أساس التقدم الكاشيمى يمكن أن يعزى إلى هؤلاء الثلاثة. يضاف إلى كل ذلك العنصر الشخصى أيضا. يزاد على ذلك أن صاحب السعادة المحافظ المساعد [أى السيد هـــ. ر. بالمر] قبل بضع سنوات وعندما كان ممثلا مقيما فى برنو أشار إلى الفروق الكبيرة بين الولايات (الإمارات) الهوساوية الغربية ومملكة برنو. كما أكد الرجل أيضا على الالتزام الملقى على عاتقنا ونحن نعالج مشكلة التعليم فى الإقليم مع تفهم كامل من جانبنا للمزاج الكانورى الخاص والثقافة الكانورية الخاصة، وكذلك تفهم الأعراق العربية التى تعيش فى هذه المنطقة. والخطر الذى كان سعادته يخشاه ويخاف منه هو أن الصبية البرنيين الذين يلتحقون بكلية كاتسنا يفقدون قوميتهم وهويتهم. هذا الخوف تبدد حاليا إلى حد ما نظرا لأن زيادة عدد هؤلاء الصبية زاد فى كاتسنا مما يجعلهم يحتفظون بتلك الهوية والقومية. وأنا أخشى ألا يحدث ذلك مع كاشيم، عندما يصبح اليوربى الوحيد بين هيئة العاملين فى كلية كاتسنا، وأنا فى هذا الصدد أشير إلى حقيقتين يمكن أن ينتج عنهما خطأ كبير. أولاهما، بالرغم من تشجيع تبادل الرسائل بين الإدارة والكلية، فإن كاشيم لا يقبل على كتابة مثل هذه الرسائل. ثانى هاتين الحقيقتين أن تقرير كاشيم الأخير أثبت أنه مقيم بذاته، ويبدو أن عمل عام فى الكلية قد يجعل منه شخصا صعب المراس عندما يعود إلى برنو كعضو قليل الخبرة فى الإدارة المحلية. أى اتجاه من هذين الاتجاهين سيلفت الانتباه لهذا الرجل ويجعله من بين المفــكرين النابهــين فى برنو. هذا الخطر الذى أنبه إليــه لا يتفق مع اقتراح مدير التعليم.

(التوقيع)، الممثل المقيم فى منطقة برنو.

من برنو بمن فيهم آبا حبيب Abba، كانوا مجرد تجربة ليس إلا، فى هذا الاتجاه[١].

فى عام ١٩٣١ الميلادى، وهو عام الذى تخرج فيه أحمد بللو من كلية كاتسنا، كانت الصورة التربوية التعليمية، من المنظور الرسمى على النحو التالى[٢].

---

(١) فيما يتعلق بالطلبة "العرب" فى كاتسنا (أى من يطلق عليهم "الشوا" Shuwa) فإن الممثل المقيم فى برنو يكتب عنهم إلى سكرتير المناطق الشمالية (٥ مارس، ١٩٢٨) ليقول له: "أود أن أبلغك أن طالبين من بين الطلاب الخمسة الذين رشحو لكلية المعلمين فى عام ١٩٢٨. وهم بالتحديد:
(أ) دونجوس Dungus ولد عثمان داجال هاجار من بلده لاد lad بدا فى منجونو Mongonu؛ وهو عربى من أولاد سرار؛ التحق بالمدرسة الابتدائية فى عام ١٩٢٤؛ وعمره ١٦ عاما.
(ب) محمد حبيب، ولد آبا Abba كيارى كوامكوم، من بلدة لوان هيكى Haiki، حى جولومبا. قسم دكوا Dikwa. وهو عربى أيضا من ولد سليم؛ عمرة ١٧ عاما، دخل المدرسة الابتدائية فى عام ١٩٢٦. وفى عام ١٩٢٥، قُدِّم تلميذ عربى، هو ولد الشيخ يونس توكُوس على أنه من المرشحين لكلية المعلمين ولكن جرى سحب ذلك الترشيح، واعتبر سيادة المحافظ المساعد ذلك التحويل لطالب عربى إلى كاتسنا سيضعف من تعاطف عرب الشوا مع المدرسة الابتدائية ومع التعليم بشكل عام.
فى عام ١٩٢٦ وافق سيادة المحافظ المساعد على ترشيح إبراهيم وُلد Wuled، وهو تلميذ عربى: وكان الصبى قد أنهى عامه الأول فى كلية المعلمين. وأنا هنا أتقدم لسيادتكم بأن توافقوا على ترشيح كل من دونجوس ومحمد حبيب للأسباب التالية:
(أ) الولدان يريدان الانضمام إلى المدرسة والوالدان موافقان.
(ب) الشيخ مهتم جدا بالتحاق الولدين بالمدرسة.
(ج) موقف العرب من المدرسة متعاطف أكثر مما كان عليه فى عام ١٩٢٥.
(د) محمد حبيب ينتمى إلى أسرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمحكمة منذ أجيال عدة. يضاف إلى ذلك أن جده الأكبر من ناحية الأب جاء إلى برنوا بصحبة الشيخ الأمين.
(التوقيع) الممثل المقيم فى برنو."

(٢) المرجع السابق. وزارة التعليم. رقم ٧٥٨. تقرير عن إدارة التعليم، قسم المناطق الشمالية، للعام ١٩٣١".

مع اكتمال المبانى المطلوبة فى باوتشى كانت فكرة تركيز المدارس الابتدائية والمدارس الحرفية فى المدارس المتوسطة قد اكتملت فى سائر أنحاء المناطق.

كان قد اكتمل أيضا افتتاح مركز لتخريج معلمى المدارس الأولية فى باوتشى، وكان المركزان الآخران أحدهما فى تورو Toro للوثنيين، والثانى فى كاتسنا للمسلمين.

كما جرى تأجيل انعقاد المؤتمرات الإقليمية السنوية الثانية التى يحضرها الممثلون المبعوثون فى شهر ديسمبر من عام ١٩٣١ الميلادى، إلى مواعيد مناسبة فى مطلع عام ١٩٣٢.

جرى افتتاح مدرسة داخلية فى أومو Omu بواسطة الإدارة المحلية فى منطقة إيلورن، فى شهر سبتمبر للصبية غير المسلمين من المناطق الجنوبية من تلك المنطقة.

كان المجلس الاستشارى، لمناطق الشمال، قد وافق فى عام ١٩٣١ على مشروع يقضى بأن يتخصص قسم من تلاميذ المدرسة المتوسطة، بعد أن ينهوا عامهم الثانى فى المدرسة، فى اللغة العربية بدلا من اللغة الإنجليزية أو الحرف اليدوية. هذا المشروع سوف يحتاج إلى نفقات إضافية ويتمخض عن شباب مؤهلين تأهيلا جيدا للتدريب القانونى.

تتحمل الإدارات المحلية تكاليف عاملين الأفارقة وتتحمل أيضا رأس المال المطلوب، والنفقات الجارية لكل من المدارس الأولية والمتوسطة.

يجرى تدريب مدرسى المدارس المتوسطة، فى الكلية العليا فى كاتسنا. كما وصل عدد التلاميذ فى نهاية عام ١٩٣١ إلى ثمانية وثمانين تلميذا، بمن فيهم ثمانية تلاميذ جرى تخصصهم للعمل الطبى.

افتتح مركز إعداد معلمى المدارس الأولية الإسلامية الثانى فى الأول من شهر أغسطس فى ولاية باوتشى، ولم يكن فيه سوى مشرف عام أوروبى واحد، ومدرس إفريقى واحد، وأربعة وعشرين تلميذًا جرى إحضارهم من أدماوا Adamawa، وباوتشى، وبرنو، وإيلورن، وكنٍه ومن مناطق النيجر. فى البداية كانت هناك بعض المصاعب نظرا لأن بعض التلاميذ لم يكونوا ملمين إلماما تاما بلغة الهوسا، ولكنهم سرعان ما تعلموا الكثير الذى مكنهم من التغلب على هذه المشكلة.

جرى افتتاح مركزى أعمال الفتيات فى عام ١٩٣٠ الميلادى وجرى توسيعهما توسيعا كبيرا من حيث الأعداد والاتجاهات الأخرى. فى كنو كان هناك ثمانية وعشرون تلميذا على قوائم المركز، وفى كاتسنا بلغ عدد التلاميذ ستة وخمسين تلميذا. كان منهج كنو يغطى الرسم، والتلوين، والمطالعة الأولية، والكتابة باستعمال الأحرف الرومانية، وأشغال الإبرة، والصحة الشخصية، وتشكيل الطين الصناعى، وغسل الملابس، والبستنة، والموسيقى، والألعاب. ولم يكن صعبا تعليم الكتابة والقراءة باستعمال

الكتابة الرومانية. وكان يجرى تعليم المواد التالية: (القراءة، والكتابة، والحساب، والأعمال اليدوية، بما فى ذلك الحياكة، وفن الحركات الإيقاعية، والقرآن).

التعليم الدينى أو الأخلاقى يجرى تقديمه من خلال مدارس مؤسسة البعثات التبشيرية فيما يتصل بمدارس البعثات التبشيرية، أما المدارس الإسلامية فيكون الترخيص لها من خلال السلطات المحلية. وفى المدارس غير الإسلامية الحكومية، كانت إجراءات مثل هذه المدارس تتم عن طريق الجمعيات التبشيرية قدر المستطاع، وذلك من باب توفير التعليم المسيحى لكل من يرغب فيه. يكتب المشرف عام، فى بنيو، عن ذلك الموضوع فيقول: "من بين الأحداث المميزة فى هذا عام أن الصبية بدأ يتزايد اهتمامهم بالمسيحية. فى هذا عام قام هؤلاء الصبية ببناء بيت مستدير يقع خارج مجمع المدارس، وهم يعقدون لقاءاتهم فى هذا المنزل المستدير. والسيد بوثا Botha التابع لبعثة الكنيسة الهولندية يحضر إلى هؤلاء الصبية مرة واحدة كل أسبوعين كى يلتقى بهم. والمسيحية لا يجرى تعليمها باعتبارها جزءًا من المنهج الدراسى. والتعليم الأخلاقى مبنى على حيوات وسير المشهورين من الرجال وعلى الموروث الشعبى المحلى. وأنا أرى أن ذلك يبلغ من الغموض والإبهام حدًا يصعب معه أن يكون مثلا يحتذى فى التدريب على بناء الشخصية؛ كما أن عبادة الفرد وتأليهه عند المونشى Munshi لا تصلح للاهتداء بها فى المدارس. وهذه هى الأسباب التى أدت إلى تزايد الاهتمام بالمسيحية".

يضاف إلى ذلك أن إدارة التعليم فى الوقت الحالى لها اتصالات أوثق من ذى قبل، مع البعثة التبشيرية، وذلك من خلال المشرفين العموميين الإقليميين الذين يزورون أكبر عدد ممكن من المدارس ويناقشون الأمور مع المديرين. والبعثات التبشيرية تطلب النضج والإرشاد، فى كثير من الأحيان، من المشرفين العموميين الإقليميين. يزاد على ذلك أن مراكز الرئاسة يجرى اتصالها بالبعثات التبشيرية عن طريق المؤتمر الاقليمى السنوى الذى ينعقد فى كل من تورو وماكوردى Makurdi.

يكتب المشرف الإقليمى عام لمناطق هضبة باوتشى عن هذا الموضوع فيقول "هناك من بين المدارس التى زرناها، قله قليلة هى التى تبرز عن بقية المدارس الأخرى: وبخاصة مدارس السودان المتحدة فى كابوير Kabwir (وهى مدرسة من الطراز الأول)، وبانيام Panyam، ولانجتانج Langtang راندا Randa ووانا Wana".

استطاع مكتب الترجمة عمل ترجمة إلى لغة الهوسا لكتاب فى الحساب، وآخر فى المطالعة الأولية، والمنهج الأولى، كما ترجم المكتب أيضا كتاب بلاكلوك Blacklock المعنون "الصحة عامة"، فضلا عن ترجمة بعض الكتيبات الأخرى؛ كما جرى أيضا تصحيح بروفات كتاب "القارئ المتنوع" الذى جرى إعداده فى عام ١٩٣٠، كما جرى أيضا تصحيح بروفات كتاب "القارئ التاريخى" الذى أوشك على الانتهاء. وقد نقل مقر المكتب من كنو إلى زاريا فى عام ١٩٣٠ وذلك بناء على طلب من المرحوم المحافظ -

المساعد، وذلك من باب تقريب المكتب، حتى يكون على اتصال وثيق بمطبعة حكومة كادونا ومع فرع السكرتارية الذى يتعامل مع صحف المناطق الشمالية المقترحة. (راجع الفصل الخامس).

بقيت العطلات المدرسية على ما كانت عليه من قبل، باستثناء المدارس المتوسطة والمعاهد المركزية؛ هذا يعنى أن القسم الأكبر من العطلة الطويلة يصادف شهر رمضان. فى المدارس الإسلامية، فيما عدا مدرسة برنو، التى رفض الشيخ فيها الفكرة، وكذلك المؤسسات المركزية، جرى إجراء تجربة على عام محدد ينتهى فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر مارس.

فى الملحق الخاص بتقرير التعليم فى عام ١٩٣١، وردت بعض الأرقام عن مدارس البعثات التبشيرية، وعن "المدارس الإسلامية المحلية"، وعن استخدام الطلاب الذين تخرجوا من المدارس الحكومية فى ذلك عام، بما فى ذلك الكلية العُليا فى كاتسنا، التى خرجت اثنين وعشرين طالبا، من بينهم أحمد بللو. كل هذه الأنماط أتينا على ذكرها فى الجداول ٤ و ٥ و ٦.

الجدول رقم (٤): مدارس الشمال والطلاب (فى عام ١٩٣١)

نوع المدرسة	عدد المدارس		متوسط الحضور		هيئه التدريس		ثانوى	متوسط	أولى	ملاحظات
	معانة	غير معانة	داخلى	خارجى	بريطانيون	وطنيون				
حكومية	١٢٣+	-	١٠٦٨,٨٤	٢٧٦٣,٧٧	٣٢	٤٤٦ +	١	١١	١١١	+ كلية عليا للمعلمين مركزان لتخريج معلمى المدارس الأولية: مركز فى نورو لغير المسلمين ومركز للبنات.
البعثة التبشيرية الإفريقية للنابوية الجنوبية (الولايات المتحدة الأمريكية)		٤	-	٢٠٢,٢٠	-	٩			٤	
جمعية الكنيسة التبشيرية	٤	٣٢	٧٤,٥	١١٥٨,٩	٣	٨٦	-	١	٣٥	
الراعى الكنسى النيجيرى	١	٥	-	٣٩٩,٩٧	-	١٨	-	-	٦	بما فى ذلك مدرس الدين واللغة العربية
كنيسة إخوان البعثة التبشيرية	-	٢	٤٦,٥	٦١	٤	-	-	-	٢	
البعثة التبشيرية للكنيسة الهولندية	١	٥	١١٠,٧	١٩٠,١	٥	١٨	-	-	٦	+ مركزين لمدرس التعليم + الأولى + ٢ مركز للفتيات + مركز لتخريج المدرسين غير المسلمين

البعثة التبشيرية للكنيسة المنهجية البدائية	١	٨	١١,٣	١٤٠	٥	١٨	–	–	٩	
البعثة التبشيرية للكنيسة الرومانية الكاثوليكية	–	٢٤	–	١٤٨٦,٧٧	–	٦٢	–	–	٢٤	
كنيسة قدوم اليوم السابع	–	١	٩,٥	٣,٥	–	١	–	–	١	
البعثة التبشيرية داخل السودان	–	٤١	١٩١,١٧	٧٩٣,٢٤	٣٢	٦٨	–	–	٤١	
البعثة التبشيرية المتحدة للسودان	–	٤٦	١٧٧	٩١٩,٥	٣٣	٦٠	–	–	٤٦	
الجمعية التبشيرية المتحدة	–	٦	–	١٣٦,١٧	١	٧	–	–	٦	
الكنيسة الإفريقية الوطنية المتحدة	–	٢	–	١٥٥,٦	–	٣	–	–	٢	
إجمالى العام ١٩٣١	١٣٠	١٧٦	١٦٨٩,٥١	٨٤٠٩,٩١	١٣٥	٧٩٦	١	١٢	٢٩٣	
إجمالى العام ١٩٣٠	١٣٢	٢٣٤	١٥٤١,٦٢	٦٥٧٤,٣٥	١٥٤	٨٠٧	١	٤٧	٣٠٤	
الزيادة أو النقصان + أو –	٢–	٥٨ –	١٤٧,٨٩ +	١٨٥٣,٥٦+	١٩ –	١١–	٣٥–	١١–	–	

المصدر: أرشيف كادونا الوطنى. تعليم ٧٥٨. تقرير عن إدارة التعليم، قسم المناطق الشمالية، عن العام ١٩٣١".

ملاحظة: ٢٨ مدرسة ومدارس جوس Jos وكادونا، مصنفة كمدارس أولية، فيها فصول تدرس منهج المدرسة المتوسطة.

الجدول رقم (٥): المدارس الإسلامية الوطنية (مدارس القرآن) فى منطقة الشمال فى عام ١٩٣١

المنطقة	٣١ ديسمبر ١٩٣٠		٣١ ديسمبر ١٩٣١	
	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد المدارس	عدد التلاميذ
أوماوا	١٤٣٥	٥٦٤١	١١٠٤	٤٦٩٣
باوتشى	٤٤٥٥	٢١٧٧٤	٤٧٥٩	٢١٠٣٩
بنيو	٤٩٠	٤٠٨٧	٤٨٠	٤٢٤٠
برنو	٤٥٢٤	٣٤٠٠٠	٤٨٨١	٣٥٨٠٣
إيلورن	٧٠٧	١٠٢٣١	٩٧٨	١١٥٩٠
كبًا	١٧٦	١٦٦٢	١٩٧	٢١٢٨
كنو	٩٦٣٣	٣٩٥٢٧	١٠٣٥٧	٤٥٢٤٣
النيجر	١٠١٢	٤٩٤٤	١١٦٧	٥١٨٠
الهضبة	١٩٤	١٤٨٤	٢٤٧	١٦٣١
سكتو	٦٠٥٠	٣٦٩١٢	٦٦٣٧	٤٢٣٣٤
زاريا	٤٧٥٠	٢٣١١٢	٤٦٤٥	١٠٤١٣
الإجمالى	٣٣٢٢٦	١٨٣٣٧٤	٣٥٤٥٢	١٩٣٢٩٤

المصدر: أرشيف كادونا الوطنى. تعليم ٧٥٨. تقرير عن إدارة التعليم، قسم المناطق الشمالية، عن عام ١٩٣١.

الجدول رقم (٦): استخدام التلاميذ الذين تركوا المدارس الحكومية خلال الفترة من ١٩٢٣ - ١٩٣٠ (وعام ١٩٣١) فى المناطق الشمالية

طبيعة الاستخدام	١٩٢٣ - ٣٠	١٩٣١	الاجمالى
إلى الكلية العليا فى كاتسنا	١٢٠	٢٢	١٠٤٢
إلى مركز إعداد مدرسى المدارس الأولية	٢٨	٤٨	٧٦
وظائف التدريس	١٤٨	٩	١٥٧
(الإدارة، القضاء، وظائف فنية، وظائف كتابية، إلخ)	٦٣٨	٤٥	٧٢٨
استخدام حكومى	١٣٧	٣	١٤٠
إلى الشركات التجارية	١١٣	١	١١٤
العودة إلى الحرف والمهن المعتادة	١٢٨٢	٧٨	١٣٦٠
الوفيات	١١٨	١٠	١٢٨
الطرد، والتسرب.. إلخ	٣٣٥	١٢٠	٤٥٥
الإجمالى	٢٩٦٤	٣٣٦	٣٣٠٠

المصدر: أرشيف كادونا الوطنى. تعليم ٧٥٨. تقرير إدارة التعليم، قسم المناطق الشمالية، عن عام ١٩٣١.

٦ـ تنمية الشخصية وتعلم المهارات الغربية:

فى كتاب "سيرتى الذاتية" يصف أحمد بللو الأيام التى أمضاها فى المدرسة المحلية، ويصف أيضا الرحلة التى قطعها إلى كاتسنا، كما يصف أيضا خبراته التى اكتسبها فى كلية كاتسنا. والتسلسل التاريخى لهذه الفترة الباكرة من حياة أحمد بللو، غير واضح فى الكتاب المذكور. وفيما يلى نوجز العناصر الرئيسية.

عندما كان أحمد بللو فى سن السابعة أو الثانية عشرة (أى بعد أن أمضى سنوات عدة مع المعلِّم جاربا Garba، إمام رباح، فى مدرسة القرآن، وكان ذلك بعد وفاة والد أحمد بللو)، جرى إرساله إلى سكتو على بعد حوالى عشرين ميلا ليلتحق "بالمدرسة الجديدة". ويصف أحمد بللو الأسف الذى انتابه هو ومن حوله عندما

غادر بلدته رباح، ولكنه يبدأ فور وصوله إلى سكتو، فى إقامة صداقات مع الصبية الآخرين، الذين كانوا جميعا يغالبهم الإحساس بالحنين إلى الموطن ومحل الإقامة. وهنا يظهر ميجارى Maigari جوامبا Gwamba، الذى جاء من منطقة جوامبا القريبة من بيرنن Bienin كبىّ Kabbi، كواحد من أصدقاء أحمد بللو المقربين إليه طوال حياته. الحكم المحلى فى سكتو لا يدير المدرسة الإقليمية هناك، وإنما الذى يدير هذه المدرسة هو حكومة الإقليم. ومدرسة سكتو الإقليمية هى "المدرسة الحديثة" الوحيدة فى سائر أنحاء سكتو كلها، وذلك على الرغم من أن كل ما يحيط بها من أشياء وتصميمات يحمل الصبغة "التقليدية".

طوال العامين الأولين من مدرسة سكتو الإقليمية، يتعلم التلاميذ إتقان عناصر القراءة والكتابة باستخدام الحروف الرومانية، وذلك من خلال نسخ هذه الأحرف على ألواح الكتابة، تماما مثلما كانوا يفعلون فى حصص القرآن. ويجرى التدريس فى هذه المدرسة باستعمال لغة الهوسا وبواسطة هيئة تدريس نيجيرية. (وناظر المدرسة الذى ينتمى إلى الجماعة، تلقى تعليمه فى مدرسة النصارى فى كنو) وفى هذه المدرسة يبدأ التلاميذ فى تعلم اللغة الإنجليزية، وبعد فترة يتلقون دروسهم بدون أى عون أو مساعدة من لغة الهوسا. والمواد الرئيسية، باستثناء اللغة الإنجليزية، هى: الحساب، والجغرافيا، والتاريخ، بالإضافة إلى بعض المطالعات من القرآن ومن اللغة العربية. أما التاريخ فيجرى التركيز فيه على التجربة البريطانية، مع جزء من التاريخ العالمى.

هذه المجموعة الصغيرة من التلاميذ يقضون السواد الأعظم من أوقاتهم فى الدراسة والتحصيل. وهم يعيشون فى أماكن سكنية على شكل أكواخ صغيرة، بواقع صبيين فى كل كوخ من هذه الأكواخ؛ وكل كوخ من هذه الأكواخ مزود بحصير ينام عليه الصبيان، ولكل واحد منهما صندوق يحفظ فيه ملابسه. يحصل التلاميذ على الطعام من مطبخ عام، أو بالأحرى مشترك؛ والطعام من الأنواع المحلية، مثل العصيدة التى تصنع من الذرة العويجة tuwon dawa، أو الأرز المسلوق tuwon shinkafa، مع شيء من المرق miya، وقطعة من اللحم بين الحين والآخر. والتعليم "مجانى" فى هذه المدرسة، وهناك بدل شهرى متواضع قيمته جنيه إنجليزى

واحد وأربع شلنات، يجرى صرفه لكل تلميذ من تلاميذ المدرسة. الدراسة فى هذه المدرسة تستمر خمس سنوات (أى من عام ١٩٢١ – ٢٦) ويتخرج أحمد بللو فى هذه المدرسة وهو فى المرتبة الأولى على سائر دفعته، بعد أن اجتاز سلسلة من الامتحانات الصعبة. كانت مواد أحمد بللو المفضلة هى التاريخ والحساب.

طوال هذه السنوات الخمس يحصل طلابها على إجازتين كل عام، يعود الطلاب خلالهما إلى مواطن إقامتهم. ومن الأهمية بمكان لحياة أحمد بللو العملية، أن نعرف أن طلاب هذه المدرسة، كانوا يزورون منزل السلطان مساء يوم الجمعة من كل أسبوع، وبصحبتهم أناس آخرون، الأمر الذى بدأ يربى فيهم إحساسا بكرامة وقيمة منصب السلطان، فضلا عن إحساسهم ووعيهم أيضا بالسياق الإجتماعى الذى يحيط بذلك المنصب.

النظام صارم فى المدرسة الإقليمية، وبالتالى تقل المشكلات. والتلاميذ يعملون فى تحصيل العلم إلى ساعة متأخرة من الليل، على أضواء مصابيح الكيروسين، الأمر الذى يولد الألفة والوئام بينهم. المجال فيما بين هؤلاء التلاميذ لا يسمح بوجود الحماقة أو الغباء. والأسنان تمثل مشكلة لبعض هؤلاء التلاميذ، بمن فيهم أحمد بللو نفسه، ونظرا لعدم وجود طبيب أسنان فى سكتو، فإن العلاج الوحيد هو الخلع (بدون بنج) بطبيعة الحال. (وسوف يلبس أحمد بللو طاقم أسنان اصطناعية فيما بعد) فى هذه المدرسة يبدأ أحمد بللو اتصاله بالأوروبيين لأول مرة؛ ولأول مرةَ أيضا يلاحظ أن الأوروبيين ليسوا نمطًا واحدًا وإنما هم من "طبائع متباينة".

انتقاء الطلاب للالتحاق بكلية المعلمين فى كاتسنا يكاد يكون عملية آلية لكل من تخرج فى المدرسة الإقليمية. وفى كل الأحوال، لم تكن هذه العملية مسألة حساسة عند أحمد بللو، إذ إنها من المتطلبات عامة "للتعليم الغربى". طول المسافة إلى كاتسنا تقدر بحوالى ١٧٠ ميلا يقطعها المسافر سيرا على الأقدام، فى سبعة أيام، هو والحمَّالون المرافقون له. وصول أحمد بللو إلى كاتسنا، فى سن السادسة عشر أو السابعة عشر، كان بمثابة اكتشاف عالم جديد كامل لأحمد بللو خلال السنوات الخمس التالية.

المقررات كلها يجرى تدريسها باللغة الإنجليزية منذ البداية وكل مدرسى كلية كاتسنا (باستثناء مدرسى اللغة العربية والمواد الإسلامية) من البريطانيين وبخاصة فى المدارس عامة. ونظرا لأن كلية كاتسنا جرى افتتاحها فى عام ١٩٢١ – ١٩٢٢، فذلك يعنى أنه لم يكن فى هذه الكلية سوى أربعة وثمانين تلميذا هم الذين سبقوا دفعة عام ١٩٢٦. واقع الأمر أن دفعة عام ١٩٢٦ كانت تضم سبعة عشر طالبا، وهى مجموعة صغيرة ومنتقاة بدرجة كبيرة. (راجع الجدول رقم ٧). أحمد بللو هو الطالب رقم ٨٧ فى الكلية، وهذا الرقم ستكون له أهميته فيما بعد فى "المجموعة السنية" التى حظيت بالاحترام والتوقير من جانب الكلية، نظرا لنضوج أفراد هذه الدفعة. هؤلاء الذين كانوا فى مراحل أعلى من مرحلة أحمد بللو نفسها داخل الكلية تشتمل أسماؤهم على كاشيم إبراهيم (دفعة عام ١٩٢٥ ورقمه ٧٣). وهؤلاء الذين كانوا فى مرحلة أدنى من مرحلته تشتمل أسماؤهم على عيسى Isa كيتا kaita (دفعة عام ١٩٢٧، ورقمه ١١١) ومحمد (آبا) حبيب (دفعة عام ١٩٢٨، ورقمه ١٢٢)، وأبو بكر تافاوابااليوا (دفعة عام ١٩٢٨، ورقمه ١٤٥)، وآخرون كثيرون. وبعد ذلك بجيل، نجد أناسا مثل أمينو كانو (التحق بالكلية فى عام ١٩٣٧، ورقمه ٣١٧)، وهو من أولئك الذين تخرجوا من الكلية نفسها بعد جيل كامل من تخرج أحمد بللو.

الجدول رقم (٧): كلية كاتسنا، دفعة عام ١٩٢٦.

الرقم	اسم الطالب	المنطقة	المستقبل العملى الوضع الحالى
٨٥	الشيخ أحمد	كنو	المرحوم ماداكى (توفى ١٩٨٤)
٨٦	جيما	إيلورن	توفى. كان مدرسا
٨٧	أحمد	سكتو	المستشار السياسى الرئيسى
٨٨	باوا فاورا	سكتو	توفى بعد عام أو اثنين من الكلية
٨٩	محمد جمبى	باوتشى	مدرس لم يعش طويلا
٩٠	سامبو هادجاى	كنو	ولد إيان الهطبجى، عين مستشارا
٩١	جبير	باوتشى	
٩٢	مايجارى جوامبا	سكتو	الوحيد الباقى على قيد الحياة (حتى عام ١٩٨٥).(*)
٩٣	إيرو يامل	كاتسنا	كاتسنا، مدرس، توفى ١٩٤٨
٩٤	جبير دورا	دورا	قاضى محكمة شرعية، مستشار قانونى؛ (توفى فى عام ١٩٨١)
٩٥	الشيخ عجيران	برنو	شخصية مهمة فى برنو (درس فى لندن مع أمين كانو ١٩٤٦ ٤٧). مستشار
٩٦	كاكا مُعلِّم برنو	برنو	والى برنو، وسفير
٩٧	آبا ماستر دكوا	برنو	عزل مؤخرا من إمارة دكوا
٩٨	بابا ساندا	برنو	
٩٩	عمر	يولا	مدرس
١٠٠	إبراهيم	يولا	مدرس
١٠١	عيسى جماعة	بنيو	لم يعش طويلا

ملحوظة: العدد الإجمالى للطلاب المسجلين فى "باريوا" (أى فى كادونا، فى مدرسة زاريا الثانوية الحكومية كلية باريوا، فى الفترة ما بين ١٩٢١ و١٩٦٨ يقدر بحوالى ٢٠٣١ طالبا. (راجع رابطة تلاميذ باريوا: سجل الدخول. ١٩٢١ – ٦٨).

(*) مقابلة شخصية مع ميجارى جوامبا، فى ٩ مايو، ١٩٨٥، بيرنن كبىّ.

دورة الحياة فى كلية كاتسنا دورة صارمة تقوم على التقشف[1]. والشعار السائد فى الكلية هو "من جد وجد"، واللافتة الموضوعة على مكتب ناظر المدرسة تقول "الشخصية هى التى تصنع الإنسان". والنظام اليومى لطلاب المدرسة يسير على النحو التالى:

الساعة ٥ صباحا	الاستيقاظ للصلاة وكنس الغرفة والمجمع
الساعة ٧ – ٧:٣٠	يقود الرقيب أول سابقا الطلاب إلى طابور التمرينات الرياضية (أى المشى والتدريبات البدنية)
الساعة ٧:٣٠ – ٩	الحصص (طول الحصة حوالى ٤٥ دقيقة)، وتشتمل على اللغة الإنجليزية، والجغرافيا، والتاريخ.. إلخ. (لا تدرس العلوم فى هذه الفترة) كان المدرسون حازمين ومواظبين
الساعة ٩ – ١٠	تناول الإفطار
الساعة ١٠ – ١:٣٠	حصص دراسية
الساعة ١:٣٠	بعد الظهر، الصلاة الغداء راحة صلاة العصر
الساعة ٤ – ٦:٣٠	ألعاب (كرة قدم، كريكت، والخماسيات.. إلخ)
الساعة ٧	صلاة المغرب العشاء صلاة العشاء مذاكرة
الساعة ٩	إغلاق البوابات
الساعة ١٠	تفتيش الغرف بواسطة مشرفى الداخلية – إطفاء الأنوار

فى يوم الجمعة، يتمثل الاختلاف عن الجدول السابق، فى توقف الحصص الدراسية قبيل الظهر، ويذهب الطلاب كلهم إلى المسجد الذى يبعد ميلا ونصف الميل عن الكلية. أما يوم الأحد فهو يوم راحة، حيث يرتاح الأطفال فيه أو يمارسون لعبة الخماسيات.

---

(١) القسم الأكبر من المعلومات الواردة هنا مأخوذة عن مقابلات شخصية أجريت مع عيسى كيتا (٢٧ نوفمبر ١٩٨٤). والسير كاشيم إبراهيم (٧ أغسطس ١٩٨٤)، وأبا حبيب (٨ أغسطس ١٩٨٤)، وآخرين بمن فيهم موسى دجاش (٨ أغسطس ١٩٨٤) الذى التحق بكلية كاتسنا فى فترة متأخرة.

كان الطلبة يقيمون فى "منازل" أساسية هى: الشمال، والشرق، والجنوب، والغرب. وكل منزل من هذه المنازل يشتمل على عشرين غرفة، عشرة منها على كل جانب من الجانبين (وكل غرفة عبارة عن مقصورة فى عنبر من عنابر النوم)، وفى نهاية كل صف من صفى الغرف توجد دورة مياه (مرحاض). أما الاستحمام فيكون خارج الغرف فى العراء. الطلاب ينامون على الحصير، أو على أسرَّة مصنوعة من عيدان القمح أو الذرة gadon kara، أو على سرير أكبر قليلا يصنعونه من الطين وأرجل من الخشب tumurgudu. والطلاب يجلسون على الحصير أثناء المذاكرة. وبالإضافة إلى الحصير والسرير، يوجد لدى كل طالب قطعة من الحبل مشدودة عبر الغرفة لكى يعلق عليها ملابسه. (لا وجود للدواليب فى هذه الكلية). الكلية ليس لها زى مدرسى موحد، ولكن الطلبة يرتدون قفاطين بيضاء اللون، ويحاولون الإبقاء على تلك القفاطين نظيفة. وعادة ما يكون لدى كل طالب قفطانين، حتى يمكن غسل واحد منهما بواسطة شخص يدعى رافوقا Rafuka، جرى استئجاره لغسل الملابس.

يتسلم كل واحد من الطلاب مبلغ ثلاثين شلنا فى الشهر بدل إعاشة. ومن هذا المبلغ يدفع الطلاب أثمان الطعام – ليس هناك مطبخ مركزى – كما يدفعون منها أيضا ثمن غسيل الملابس، والانتقالات، وما زاد على ذلك من النفقات الإضافية[١]. وكل طالب مسئول عن تغذية نفسه، ولا توجد صالة طعام فى الكلية. وهذا يجعل الطلاب يرتبون هذه الأمور مع الباعة المحليين. وهذا هو (محمد ديكو Dikko) أمير كاتسنا، يقيم سوقا محلية kasuwar dole ويصر على حضور الباعة المحليين إليها كى يبتاع الطلاب منهم ما يشاءون. هؤلاء الباعة يطلقون كنيات

---

(١) يستطيع الطلاب العيش بما قيمته عشرون شلنا فى الشهر الواحد، أى بواقع ثلاث شلنات للغسيل، وخمس شلنات للعصيدة الخفيفة fura، وخمسة شلنات للأطعمة الأخرى من قبيل كعكة الفول kosai والكعك المحلى بالزبيب أو الكشمش. إضافة إلى اللحم. أما الشلنات العشر المتبقية فينفقها الطالب على البنود الإضافية، بما فى ذلك الفول السودانى (والبطاطا، والكسافا، إلخ). كان السواد الأعظم من الطلاب غير متزوجين.

معينة على الطلاب[١]. والتدخين ممنوع فى الكلية، كما أن لعب الورق karta الذى سبق أن أدخله طلاب برنو إلى الكلية محرم وممنوع لأنه يؤثر على استذكار الطلاب.

فكرة "الألعاب" فكرة جوهرية فى التعليم العالى البريطانى. وليس الهدف من تلك الألعاب هو التدريبات البدنية، وإنما غرس قيم أخرى، وبخاصة اليقظة والاستعداد، والانتظام الذاتى، وروح المنافسة، والروح الرياضية. والألعاب الرياضية تعد من بين النشاطات المطلوبة فى كلية كاتسنا، ولكن بوسع كل طالب من الطلاب اختيار الرياضة التى تستثير اهتمامه.

كان أحمد بللو، فى ذلك الوقت، نحيفا وطويلا (ستة أقدام). وبدأ وزن الرجل فى التزايد اعتبارا من أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، ثم ازداد وزنه أكثر من اللازم مما أدى إلى إصابته بمرض البول السكرى. أحمد بللو من هواة لعبة الكريكت، التى تمتاز بالبطء الشديد. (كان أحمد بللو ضارب كرة ممتاز فى لعبة الكريكت). ولكن الرجل وقع فى غرام لعبة "الخماسيات"، التى تقوم على عدد صغير من اللاعبين (اثنان أو أربعة على أكثر تقدير) يبذلون جهدا كبيرا ومستمرا. ويذكر عن أحمد بللو أنه كان من المنافسين الأشداء، بل كان من بين أحسن لاعبى الخماسيات فى المدرسة. (ويصل أحمد بللو بعد ذلك إلى رئاسة فريق الخماسيات). ويذكر أيضا عن أحمد بللو أنه كان يقبل الهزيمة الرياضية بصدر رحب، على الرغم من أنه كان يكسب بنسبة ٩٠ % فى كل الأحوال. وهو يلعب دائما مع ميجارى Maigari جوامبا، صديقه القديم منذ أن كانا فى مدرسة سكتو الإقليمية، والذى التحق معه بكلية كاتسنا. والاثنان تجمع بينهما علاقة فكاهية وثيقة، وميجارى جوامبا واحد من بين التلاميذ القلائل فى كلية كاتسنا الذى يمكن أن يهزم أحمد بللو فى بعض الأحيان. والكرة يجرى قذفها باليد فى الحائط على أن يقوم الشخص الآخر بردها. واللعبة تنتهى بالوصول إلى نتيجة خمسة عشر. واللاعبون

---

(١) كان الطلاب يطلقون على المعلِّم نجواماتسى. مدرس اللغة العربية Labu Labu Gangan (بمعنى الشخص البطىء جدا الذى على قدر عال جدا من الخبرة والكفاية).

الجيدون قد يستغرقون ساعة كاملة فى إنهاء المباراة. أما اللاعبون غير الجيدين فقد ينهون المباراة خلال عشرة أو خمسة عشر دقيقة[١]. وقد واصل أحمد بللو ممارسة هذه الرياضة طوال حياته. وأصبح من الواضح فى السياسة النيجيرية أن "الألعاب" لا تتطلب مهارة فردية وعملا جماعيا فحسب وإنما هى تتطلب أيضا "قواعد اللعبة"، بل وتتطلب أيضا حكما فى بعض الأحيان. واللعب استهدافا للفوز يعنى إتقان ومعرفة قواعد اللعبة معرفة تامة.

فى كلية كاتسنا، كان جزء من "اللعبة" يتمثل فى العلاقات الفكاهية التى نجمت عن التنافس الشديد. يروى آبا Abba حبيب كيف أن الفرق، فى بعض الرياضات؛ كانت تتشكل من كل برنو وسكتو، ومن "الشرقيين" و"الغربيين" حسبما كانوا يطلقون على أنفسهم، وكيف ساعدت تلك الفرق الرياضية على تخفيف المنافسات القديمة من خلال ممارسة الرياضة، التى غالبا ما تكون مصحوبة "بالنكات" عن كل من برنو وسكتو وكيف أن الأولى أفضل من الثانية، أو أن الثانية

---

(١) لمعرفة المزيد عن لعبة الخماسيات راجع مقال أبو بكر لادان المعنون، "لعبة الخماسيات وطريقة ممارستها"، جريدة المواطن النيجيرى، ٤ مارس، ١٩٦١ ص ٩. فيما يلى ملخص للمقال:
لعبة الخماسيات يلعبها لاعبان أو أكثر من لاعبين. فى ملعب مغلق من ثلاثة أجناب. طول الملعب ٢٨ قدما وعرضه ١٨ قدما. والملعب مقسم إلى قسمين – القسم الأمامى والقسم الخلفى. والقسم الأمامى أعلى خمس بوصات عن القسم الخلفى. وعلى الجانب الأيسر وأمام الحائط الأيسر يوجد كتف يرتفع عن الأرض بمقدار ١/٤ ٥ بوصة. وعلى الحائط الأمامى توجد ركيزة يطلق عليها اسم الخط. وهى ترتفع مقدار ٤,٦َ عن الأرض وهنا خط عمودى مدبب يرتفع بمقدار ٣,٨َ عن الحائط الأيمن. ونحن هنا فى نيجيريا نستعمل كرات التنس. يقف رامى الكرة على يسار القسم الأمامى من الملعب. فى حين يقف الخصم على الركن الأيمن من القسم الخلفى من الملعب؛ فى حين يقف صبى الخدمة على الجانب الأيمن من القسم الأمامى من الملعب بينما يقف نظيره على الجانب الأيسر من القسم الخلفى من الملعب. رامى الكرة يتعين عليه رمى الكرة برفق على الحائط الأمامى، فوق الخط حتى يمكن أن تصيب الحائط الأيمن قبل أن تسقط على الأرض. وهنا يقوم الطرف الأخر بضرب الكرة فى الحائط بعد أن تسقط الكرة على الأرض. ولكنه إذا ما رفض أخذ الكرة أو ضربها فى الحائط حسبت عليه كما هو الحال فى لعبة التنس.

أفضل من الأولى[١]. يتذكر كاشيم إبراهيم[٢] أن أحمد بللو لم يكن ربّاعا طيبا، وبالتالى تحاشى لعب كرة القدم، ولكنه كان يعشق لعبة الكريكت ولعبة الخماسيات. كان أحمد بللو محاطا دوما بالناس، وكان يتبادل النكات إلى حد بعيد مع الطلاب البرنيين. الواضح أن الرياضة كانت مدخلا للصداقة والتعارف؛ يضاف إلى ذلك أن تجمع الكثير من أبناء الشمال وجلوسهم ومعيشتهم مع بعضهم البعض، أدى إلى التخفيف من حدة المنافسات والمشاحنات القديمة، كما بدأت تلك الصداقات الجديدة فى إرساء أسس مجتمع مستقبلى أكبر وأوسع.

السيد جى إيه جى باينمن Bienemen ناظر الكلية، غادر كاتسنا منذ فترة وجيزة بعد أن وصل أحمد بللو إلى المدرسة، وحلّ الناظر المساعد السيد إم دبليو أوكس Oakes محل الناظر المذكور. كان الناظر والناظر المساعد صارمين، ولكن السيد أوكس كان أكثر صرامة وانضباطا. كان فى الكلية تسعة مدرسين أوروبيين (لم يكن من بينهم نساء). كان السيد بتلر يقوم بتدريس الجغرافيا والتاريخ؛ وكان السيد كريج يدرس اللغة الإنجليزية وكان يصر على التهجى الدقيق وموسيقى الكلام؛ كان السيد سبايسر يدرس الإنجليزية أيضا شأنه شأن السيد شيلنجفورد؛ كان السيد هوجبن (الذى كان لاعبا فى فريق كرة الماء وفى فريق الخماسيات) يدرس الرياضيات كما ألف كتابا أيضا عن إمارات الشمال. كان هناك مدرسون آخرون. كان المدرسون معينين بعقود مدتها ثلاث سنوات أو سنتين وكانت تصرف علاوات لمن يتعلم منهم لغة الهوسا، على المستوى المتوسط أو المتقدم، الأمر الذى أقدم عليه السواد الأعظم من المدرسين[٣]. ومع ذلك، كان الهدف هو تعليم اللغة الإنجليزية. وجرى نصح المعلمين البريطانيين بعدم اصطحاب زوجاتهم معهم بسبب الناموس (الملاريا). كان المدرسون يتولون فصولا بعينها ويقومون على أمر

---

(١) أبا حبيب، راجع المرجع السابق.

(٢) إبراهيم كاشيم. راجع المرجع السابق.

(٣) كانت المكافأة تقدر بحوالى ٢٥ جنيها إنجليزيا لمن يجتاز امتحان لغة الهوسا من المستوى الأول، و٥٠ جنيها لمن يجتاز الامتحان الأعلى من هذا المستوى.

تنظيم الألعاب فى فترة العصر ويقومون بدور المشرفين على المنازل بعد إطفاء الأنوار عند الساعة العاشرة. لم يكن مسموحا للطلاب بزيارة منازل كبار هيئة التدريس. كانت هناك دور لأعضاء هيئة التدريس. وكان طول عام الأكاديمى حوالى تسعة أشهر، مع عطلة مقدارها ثلاثة أشهر فى فصل الصيف. هذه العطلة الطويلة مكنت المدرسين البريطانيين من زيارة عائلاتهم فى بريطانيا، ومكنت طلاب المدرسة من العودة إلى مواطنهم عبر رحلة طويلة سيرا على الأقدام. (وفى أفضل الأحوال كانت المسافة من كاتسنا إلى يولا تقدر بمسير إحدى وعشرين يوما سيرا على الأقدام) وفى أشهر يونيو، ويوليه، وأغسطس. كان الطلاب يعودون إلى مواطنهم، ويزورون عوائلهم، ويحسون بالضيق عندما يبدءون العودة إلى الكلية فى فصل الخريف؛ وكان آباؤهم يحتمون عليهم أن يعودوا إلى الكلية، ويجبرونهم على قطع الرحلة من جديد سيرا على الأقدام. (فيما يتصل بأحمد بللو، فقد كان المعلم نجواماتسى يرافقه فى رحلة العودة، الأمر الذى أدى إلى زيادة رابطة الصداقة بينهما) كان طلاب الكلية ينظرون إلى البريطانيين باعتبارهم أناسا منضبطين انضباطا تاما، وكانوا يحظون باحترام كبير. كان البريطانيون "يسلكون سلوكا طيبا وحميدا".

جرى اللجوء إلى استعمال منظومة الطالب المندوب لإقرار النظام بين الطلاب وكان طلاب الصف الخامس مسئولين عن الطلاب الأحدث منهم. ولم يكن الطلبة الأصغر "يخدمون" طلبة القسم النهائى، بالمعنى البريطانى للخدمة التى من هذا القبيل. ولكن طلبة عام الأول، أو بالأحرى السنة الأولى، كانوا مكلفين بكنس الغرف والأفنية (الأحواش). ولو قذُر وتأخر طالب من الطلبة، أو ارتكب خطأ من الأخطاء، فإن مندوب الفصل يقوم بتقديم ذلك الطالب لأمين الكلية، ثم بعد ذلك يعرض على ناظر المدرسة. ويمكن أن يجلد الطالب بالسوط ابتداء من ست جلدات إلى عشرين جلدة. (ويطلب الناظر طرح الطالب أرضا ويقوم الشخص المكلف بالعقاب بضرب الطالب على أردافه، بحيث يكون نصف الضربات على ردف والنصف الآخر على الردف الثانى) ونظرا لأن كثيرا من الطلاب كانوا من عائلات مميزة، كان من الأهمية بمكان عدم مناداة أى واحد منهم برتبته أو بلقبه أو

حتى بلقب أسرته. كان النظام يطبق على الجميع. كان كاشيم إبراهيم هو الطالب المندوب يوم أن كان أحمد بللو فى الصف الرابع من الكلية، ثم أصبح أحمد بللو مندوبا عندما انتقل إلى الصف الخامس. فى بعض الأحيان كان يجرى "تنزيل" طالب، بمعنى تجريده من الصف الذى يكون فيه إلى صف أدنى منه وذلك عندما يسلك الطالب سلوكا مشينا أو بسبب فشله فى أداء المطلوب منه أو الإنجاز المفروض أن يحققه. كان فصل أحمد بللو يضم ثلاثة طلاب من سكتو وهم: أبو بكر ميجارى جوامبا الذى لم يكن من سلالة الشيخ، وإنما كان أحد أبناء رؤساء القرى. والطالب الثانى هو باوا كاورا Bawa Kaura، وكان من عائلة "متواضعة" وبسيطة، وقد لاقى بعض المصاعب فى الكلية (بسبب "موقفه" إلى حد ما)، وكان من بين الطلاب القلائل الذين جرى تنزيلهم فى الكلية.

كانت الآداب الجنسية تفرض فرضا شديدا على الجميع. وهذا هو عيسى كيتا يورد فى تقرير من تقاريره أنه لم يحدث سوى حالة أو حالتين جرى فيهما إمساك الطلاب بصحبة البنات، ولم يحدث أن كان هناك صبى يعاشر صبيا آخر، والسبب فى ذلك أن الجنسية المثلية بين الأولاد لم تكن معروفة فى الشمال فى ذلك الوقت[١]. (وتلك القلة القليلة من البنات اللاتى جرى تهريبهن إلى داخل الكلية كن يلبسن ملابس الأولاد) لم يجر تنزيل سوى طالبين فقط (منهما باوا كاورا الذى كان يتسم "بالوقاحة والغباء") وبعد كل عطلة، كان يجرى توقيع الكشف الطبى على الطلاب مخافة أن يكونوا قد أصيبوا بالأمراض السرية أثناء العطلة. وكان طبيب المدرسة هو الذى يقوم بفحص الطلاب بعد عودتهم من العطلة، وذلك من باب تحاشى المشكلات الأخرى.

كانت لغة الهوسا هى اللغة عامة والشائعة بين الطلاب، وكان أولئك القادمون من برنو سريعى التعلم[٢]. بذلت الكلية قصارى جهدها فى تفتيت الولاءات المحلية، وركزت على الولاءات الإقليمية بدلا من ذلك، فى الوقت الذى أكدت الكلية فيه مسألة عودة الطلاب بعد تخرجهم إلى مواطنهم للتدريس فيها.

---

(١) عيسى كيتا، المرجع السابق.

(٢) يقول أبو حبيب إنه تعلم لغة الهوسا خلال ثلاثة أشهر نظرا " لسهولتها ". المرجع السابق.

رفاق الدراسة مع أحمد بللو يقولون: إنه كان خفيف الظل ومرح. ويقولون: إنه كانت تربطه علاقة فكاهية خاصة بمحمد نجلروما Ngileruma، البرنى. وهم يتحدثون أيضا عن كرم أحمد بللو، حتى عندما كان فى الكلية. (وأنه عندما يكون لديه فائض من الملابس أو النقود، فقد كان يعطيها للغير). وهم يذكرون أيضا إن أحمد بللو كان منافسًا، ولكن منافسته لم تكن كاسحة. ويقولون أيضًا إن أحمد بللو أصبح شخصية من شخصيات الكلية، وكان الرجل شهيرا بأسلوب حياته البسيط، وبأمانته، وبتعاطفه، وبمعاونته للطلاب الأحدث أو بالأحرى الطلاب الأصغر. كان أحمد بللو مُحاطا دوما بالناس، وكان كل أصدقائه "يحبونه ويحترمونه". يقول البعض منهم أن أحمد بللو كانت لديه فى تلك الفترة فكرة عن مهمة محدده تجاه الشمال، وأن هذه الفكرة تقع على عاتقه هو. يقول بعض آخر من رفاق الدراسة، إن الطلبة لم يكونوا يهتمون بالسياسة أو الدين (اللهم باستثناء الصلاة التى كانوا يؤدونها)، ولكنهم جميعا كانوا معنيين بمن الذى يستطيع تحدث الإنجليزية على أفضل نحو ممكن. صحوة هؤلاء الطلاب على العالم الغربى الأوسع تجلت فى أشكال كثيرة. وجود مكتبة جيدة، كان يعنى أن القراء المتيمين بالقراءة، مثل أحمد بللو، يمكنهم أن ينكبوا على الصحف والكتب، وعلى قصص المغامرات (على حد قول أحمد بللو فى كتاب "سيرتى الذاتية"). يضاف إلى ذلك أن إحساس أحمد بللو بتاريخه، قوى بشكل كبير خلال هذه الفترة، وبخاصة عندما اتضح له أن مؤسسى خلافة سكتو بلغوا من الذكاء ومن الشجاعة ومن العظمة حذا يجعلهم يقفون على قدم المساواة مع أولئك الذين قرأ عنهم فى التاريخ الإنجليزى. هذا يعنى أن الرجل تشجع وراح يتعرف موروثه فى ضوء العوامل الإثنيه، أى "الإمبراطورية الفولانية" (بالمقارنة مع "الإمبراطورية البريطانية").

لم يكن تقييم الطلاب يقوم على الامتحانات[1]، وإنما على التقييم السنوى الذى يقوم به المدرسون، ثم تقييم نهائى يقوم به الناظر عند انتهاء السنوات الخمس. (كانت نسبة ٧٥ % من هذا التقييم مخصصة "للشخصية"). كان التقييم

---

(١) نقلا عن عيسى كينا، المرجع السابق. حتى عام ١٩٣٣ – ١٩٣٤ لم تكن هناك امتحانات فى كلية كاتسنا.

النهائى يقوم على أربعة مستويات: المستوى الأول، الذى لم يصل إليه أحد من طلبة الكلية؛ والمستوى الثانى، الذى حصلت عليه قلة قليلة من الطلاب، (من بينهم نيجلروما Ngileruma)؛ المستوى الثالث، الذى حصل عليه السواد الأعظم من الطلاب، (من بينهم أحمد بللو)؛ المستوى الرابع، الذى كان فى حكم الرسوب. المواظبة، والأمانة، ومسئولية القيادة، وعادات العمل، والقدرة على العمل مع الآخرين، إلخ، كانت بمثابة القيم التى يجرى التركيز عليها فى كلية كاتسنا إضافة إلى المهارات الأخرى التى من قبيل الكفاية فى اللغة الإنجليزية، والتعليم الواسع، وبعض الجوانب فى عملية التدريس. وبعد أن تخرج أحمد بللو فى عام ١٩٣١ كان قد تعلم الكثير من هذه القيم والمهارات إضافة إلى قيم ومهارات أخرى، تتعلق بماهية "المواطن الشمالى". وأحمد بللو يتطلع إلى العمل فى سلك التدريس، نظرا لأن ذلك هو العمل الذى تدرب على القيام به.

٧ـ الشخصية، والقيم والزعامة:

فى عام ١٩٣١ الميلادى، وفى سن الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين، ينهى أحمد بللو خبراته التعليمية الرسمية، ويكون قد وصل إلى القدر المستطاع من التعلم والتربية فى ذلك الوقت. كان جزء من تعليم أحمد بللو وتربيته "الرسمية" فى كل من الدين، والثقافة، والآفاق الأوروبية، بمثابة "تدريب نمطى على القيم التقليدية" فى المجالات كلها. يضاف إلى ذلك، أن جزءا من طريقة تعامل أحمد بللو مع هذا التدريب، وطريقة بنائه على ذلك التدريب، وثيق الصلة بشخصية الرجل وبطبيعته. ترى، وبصورة مبدئية، ما هى "الشخصية" باعتبارها شيئا مميزا عن الجوانب الثقافية للخصائص المميزة التى يمكن أن تؤثر فيما بعد على وصوله إلى سدة القيادة؟

يتعين هنا الوصول إلى نقطتين:

١) ليس هناك فصل حاد أو واضح بين جوانب حياته المختلفة؛ هذا يعنى أن الرجل "تكاملى" وليس "ثنائى" أو "ثلاثى" الثقافة ("السلوك المناسب" فى مثل هذا الوضع التكاملى يكون متعارضا فى معظم الأحيان، الأمر الذى يجعلنا نعرف مثل هذا السلوك المناسب فى إطار مجال محدد).

٢) المهام، فى مثل هذه المرحلة، تكون داخل نطاق المعايير الثقافية الخاصة بذلك الشخص الذى يجرى تدريبه على القيادة، على الرغم من أن مثل هذا الشخص قد يحمل هذه القيم، فى بعض الأحيان، ويصل بها إلى شكل متطرف أو مبالغ فيه، ومن هنا يشتهر مثل هذا الشخص بالسلوك الذى يكون من هذا القبيل. من هنا يمكن القول: إن "الشخصية" تقع داخل نطاق الاستمرار أو التواصل "الثقافى"، كما سيجرى توضيحه فيما بعد. ومن نافلة القول هنا، أن القيمة الأساسية فى حياة أحمد بللو هى "الدين". الذى يضفى معنى على جوانب الحياة الأخرى.

سمة الكرم، التى لها قيمتها فى الثقافة تتحول إلى معلم أسلوب مميز من معالم أحمد الشاب الصغير: هذا يعنى أن هذا الرجل يقتسم ما لديه مع الآخرين، حتى وإن كان ما لديه ليس كثيرا فى ذلك الوقت.

سمة النظام الصارم، التى لها قيمتها فى الثقافة، تتحول إلى جزء من أسلوب "المدرس"، الذى يصبح علامة تجارية عند أحمد بللو فيما بعد. هذا يعنى أيضا أن عمله لساعات متأخرة من الليل، واستفادته من الوقت، وانتباهه إلى التفاصيل تتجاوز معايير زمنه (على الرغم من أنها لا تتجاوز معايير الجهاديين الأوائل).

تبدأ جتمعة أحمد بللو على شكل فوارق لجماعة سِنيّة بشكلها المميز عندما كان فى كلية كاتسنا، التى يعد فيها نظام الطالب المندوب هو ونظام العدد، بمثابة الأساسين التنظيميين فى حياة أى طالب من طلاب الكلية.

ويجرى فى كلية كاتسنا التركيز بقوة على الإنجاز من خلال المزايا؛ فى كلية كاتسنا لا يعول كثيرا على المرتبة الاجتماعية، كما جرى التركيز أيضا على "التعليم المنطقى" وليس على "تعليم الصفوة". خلاصة القول، أن هؤلاء الذين ينجحون فى عملهم يمضون قدما؛ وهؤلاء الذين "يفشلون" (بغض النظر عن مكانتهم) لا يستمرون.

ويجرى فى كلية كاتسنا اختبار مهارات أحمد بللو الاجتماعية، بواسطة أنداده من مقاطعات أو مناطق أخرى، ويبدو أحمد غير عادى فى مقدرته على التعامل مع الناس. ومن بين المهارات التى تعلمها أحمد بللو أن لا ينسى قط اسما أو وجها، سواء أكان بين عامة الشعب أو الصفوة. وتمتد مهارات أحمد بللو الاجتماعية إلى كل مستوى من مستويى المجتمع. ويتحول أحمد بللو إلى شخص غير عادى فى اهتمامه بأولئك الذين يصغرونه سنا.

ويتجلى فى تلك الفترة أسلوب أحمد بللو البسيط للغاية فى ملبسه وفى سلوكه. ويبدو الرجل ريفيا أكثر منه حضريا. (ويتعلم الرجل بعد ذلك كيف يلبس، وكيف يدخل الخوف والاحترام إلى نفوس الناس). وتقوم تجربة الرجل الأولى على البساطة أكثر منها على العظمة والأبهة.

يبدو أحمد بللو وكأنه لا يخاف المجهول أو يخشاه، وهو على أتم الاستعداد لتجربة أشياء جديدة، والذهاب إلى أماكن جديدة أيضا. وهذا كله يتعلق بثقة ضخمة بالنفس، ظهرت عنده منذ بواكير حياته. وأحمد بللو فى هذا الصدد يبدو أكثر قربا من أفكار الجهاديين الأوائل منه إلى أولئك الذين جاءوا بعدهم.

إحساس أحمد بللو الباكر بالأجداد (بالسلف) من ناحية وتعرضه للتعليم فى كلية كاتسنا من الناحية الأخرى، هما اللذان نمَّيا فى الرجل احتراما قويا للمنظومات الكبيرة أو الواسعة، بدلا من المنظومات المحلية. وطوال حياته، كان أحمد بللو معجبا بالبريطانيين لقدرتهم على خلق منظومات واسعة النطاق، وقدرتهم على الإبقاء والمحافظة على شكل من أشكال الاستمرارية التاريخية لتلك المنظومات. ومع ذلك فإن الخبرة التى اكتسبها أحمد بللو من كلية كاتسنا كانت لها قيمتها فى

تشكيل انطباعات هذا الرجل عن البريطانيين. وإذا كانت كلية كاتسنا يمكن النظر إليها باعتبارها أرض التدريب "الداخلية" للإدارة الاستعمارية، من منطلق تخريج مدرسين هم الذين سيقومون على تدريب جيل بكامله من المأجورين "أصحاب المهارات"، إذا كانت كلية كاتسنا لها مثل هذا الوضع، إلا أنها تمثل أيضا الجانب الإنسانى من الخبرة البريطانية، التى تقضى بالحكم على الأفراد واحترامهم على أساس من مزاياهم وفضائلهم. يبدو أن هذه العملية تتمخض عن تأثير نتيجة من نتائج "سحرة أوز oz"؛ أى أن الذين يقفون وراء الآلة الاستعمارية هم من البشر ولا يتجاوزون طاقة البشر. وينبثق عن ذلك احترام شديد للبريطانيين. ولكن كراهية عميقة للاستعمار، الذى هو بطبيعته يعمل على إخضاع الناس مثلما يفعل أحمد بللو تماما؛ أحمد بللو يدرك تماما أن هؤلاء الناس لديهم المقدرة نفسها التى لدى هؤلاء الذين يسيرون أمور الإمبراطورية البريطانية. والحقيقة التى مفادها أن المنظومة واسعة النطاق التى يتعرض لها أحمد بللو، تتمثل فى شمالى نيجيريا، بدلا من نيجيريا كلها، تعد حادثة من حوادث التاريخ. هذا يعنى أن أحمد بللو لن يسمح لأى أحد (سواء أكان بريطانيا أم عربيا أو حتى جنوبيا) بمعاملته بلا وقار أو احترام. هذا يعنى أن هناك تفاخر شديد فى موروثه الخاص الذى اكتسبه خلال هذه الفترة. فى كلية كاتسنا "كانت الرسالة هى الوسيط"، وأن الرسالة تتمثل فى وضع حد للاستعمار فى نيجيريا.

الفصل الرابع

العمل والزعامة (١٩٣١ – ١٩٤٩)

١ـ التعليم والحياة العائلية (١٩٣١ – ١٩٣٤):

بعد تخرج أحمد بللو من كلية كاتسنا، جرى تعيينه مدرسا فى مدرسة سكتو المتوسطة، ومن ثم أصبح الرجل مستخدما فى الإدارة المحلية. مدرسة سكتو المتوسطة هى مدرسته السابقة (مدرسة سكتو المحلية) التى جرى تطويرها إلى مدرسة سكتو المتوسطة. كان رجل من سكتو، هو سانى دينجيادى sani Dingyadi قد عين ناظرا لتلك المدرسة Wakilin Makaranta من قبل السلطان حسَّان Hassan، وأعطى لقب "مقاما" Makama.

أصبح أحمد بللو يعرف باسم "أحمد رباح" Rabah أو "دودو رباح" Daudu (بمعنى "المحتمل وصوله إلى رئاسة حى رباح"). كان راتب أحمد بللو ٥ جنيهات إنجليزية فى الشهر، وكان يدرس اللغة الإنجليزية، والهندسة واللغة العربية. وأوكل إلى الرجل الإشراف على الرياضة والألعاب (اللعب).

طلاب أحمد بللو، الذين برزوا فى مراحل لاحقة، يذكرون شخصية ذلك الرجل وتأثيره القوى ذكرا كثيرا. وهذا واحـــد منهم يدعى عـــليا Aliyu، التحق بمدرسة سكتو المتوسطة فى عام ١٩٣١ الميلادى، وكان واحدًا من الطلاب الذين يقيمون فى المجمع الذى كان يقيم فيه أحمد بللو، وكان من عادته إحضار الماء المطلوب لأحمد بللو. من بين طلاب تلك الفترة طالب آخر يدعى عبده جوساو Abdu Gusau (الذى أصبح مهندسا فيما بعد)[1]. وميتمبارى Maitambari، وسامبو

---

(١) عبده جوساو التحق بمدرسة سكتو المتوسطة فى الفترة من ١٩٣٠ – ١٩٣٥. ثم التحق بعد ذلك بكلية كاتسنا كادونا (١٩٣٥ – ١٩٣٨). وفى عام ١٩٣٩ شق لنفسه طريقا فى مجال الأشغال العامة، وأخذ يتردد بين أنشطة إدارة المرافق العامة وإجراء المزيد من الدراسات. فى عام ١٩٤٣ ينهى الرجل المقررات القصيرة، ويدخل ضمن أعمال تمهيد الطرق فى سكتو بواسطة المحليات. وفى عام ١٩٤٦ يلتحق عبده جوساو بكلية يابا الفنية فى (ليجوس). ثم يحصل فى عام ١٩٤٧ على منحة دراسية إلى المملكة المتحدة فى كلية "وولويك" woolwich. وفى عام ١٩٥٣ يجرى إلحاق الرجل على تيلور=

وادى Sambo Wadi، وجاربا جوراوا Garba وآخرون. يذكر عن أحمد بللو أنه كان شديد الحرص على مواظبة الطلاب، وكان يداوم على تصحيح البحوث والواجبات. وكان شهيرا بجده وعمله المخلص، إذ كان يسهر فى الليل كى يتمكن من إعادة الأوراق للطلاب دون أى تأخير. كان أحمد بللو يسافر بصحبة الطلاب فى معظم الأحيان إلى المواقع التاريخية[١].

التحق عمر (الذى أصبح فيما بعد وزيرا لجواندو Gwandu) بمدرسة سكتو المتوسطة فى عام ١٩٣٢ الميلادى ودرس الإنجليزية على يدى

= Taylor وودرو woodrow مدة عامين للتدريب فى المملكة المتحدة. ثم يعود إلى سكتو فى عام ١٩٥٥. ويجرى توظيفه فى تمهيد الطرق. ولكن الرجل يعود فى عام ١٩٥٨ إلى مركز رئاسة سكتو ليعمل مرة ثانية فى الإدارة المحلية. وفى عام ١٩٥٣ يحثه أحمد بللو (الذى كان مستشارا سياسيا فى تلك الفترة) على البقاء فى الإدارة المحلية فى سكتو بدلا من الانضمام إليه (إذ كان أحمد بللو فى ذلك الوقت وزيرا للأشغال فى كادونا)، نظرا لأن سكتو بحاجة ماسة إلى التطوير. عاون عبده جوساو أحمد بللو معاونة كبيرة فى مشروعاته العمرانية الخاصة والعامة.

يذكر عبده جوساو أن أحمد بللو كان مدرسا كفؤا وأنه كان مزاجى الطبع وبالرغم من أن الطلبة كانوا يخشونه ويخافونه إلا أنه كان يعلمهم كل شيء. وكان يحاول تقريب الطلبة منه، وكان الكثيرون منهم يفدون على منزله لمناقشته: وعندما أصبح أحمد بللو رئيسا لحى رباح طلب من عبده جوساو أن يتولى وظيفة كتابية، ولكن الرجل قرر الالتحاق بالكلية. وعندما زار أحمد بللو جوساو، عاونه فى الحصول على منحة دراسية. (مقابلة شخصية، مع عبده جوساو، ١١ مايو من عام ١٩٥٨ سكتو).

(١) مقابلة شخصية مع مجاجن جارى Magajin Gar. فى ١١ سبتمبر من عام ١٩٨٣، بمدينة سكتو. ولد جارى فى عام ١٩١٦ والتحق بالمدرسة الابتدائية فى سكتو فى عام ١٩٢٧. ثم التحق بمدرسة سكتو المتوسطة وبقى فيها من ١٩٣١ – ٣٤. وكان أحمد بللو مُدرسه المفضل فى تدريس اللغة الإنجليزية. فى عام ١٩٣٤ عين جارى فى وظيفة كتابية فى مكتب الإدارة المحلية المركزى فى سكتو. وشغل وظيفة كاتب سكتو فى الفترة من ١٩٣٦ – ٥٠. وفى عام ١٩٥٢ انتخب فى الجمعية العمومية House of Assembly ومجلس الممثلين فى كادونا وليجوس كل على حده. وفى الفترة من ١٩٥٢ – ٦٢ كان سكرتيرا للإدارة المحلية فى سكتو للشئون المالية والرفاه الاجتماعى. وفى الفترة من ١٩٦٢ – ٦٥ كان مفوضا محليا. وفى عام ١٩٦٥ أصبح وزيرا إقليميا شماليا مسئولا عن ماليات الإدارة المحلية. وفى شهر يناير من عام ١٩٦٦. عاد الرجل إلى سكتو ليكون مسئولا عن الحكم المحلى.

أحمد بللو[١]. وعندما وصل عمر إلى سكتو قادما إليها من بيرنن كبّى Birnin Kebbi، بدأت نفسه تعاف الطعام على الفور. (إذ كان الرجل معتادا على الأرز والسمك، ولكنهم فى سكتو كانوا يأكلون الذرة العويجة). ومن ثم كان الرجل بحاجة إلى طعام مختلف، وهنا قام أحمد بللو، الذى كان مدرسا لعمر (ومسئولا عن المجمع السكنى الذى ينزل فيه عمر) بإعطائه النقود كى يتغذى بالطعام الذى يريده. لم يكن أحمد بللو متزوجا فى ذلك الوقت ولذلك كانت أمه هى التى تجهز له طعامه. كان أحمد بللو يعيش فى مجمع المدرسة المتوسطة السكنى، عيشة تقليدية. ثم تزوج فى عام ١٩٣٢، ثم انضمت محظية مسنة بعد ذلك إلى زوجته لتقوم بعملية الطبخ. (ولم تقم الأم بالطبخ بعد ذلك).

شجع أحمد بللو عمر على الذهاب إلى كاتسنا، بالرغم من أن عمر كان يود العودة إلى بيرنن كبّى. ويقول له أحمد: " لا " ويرسله إلى كاتسنا. (ويتبادل أحمد بللو الرسائل مع عمر أثناء وجود الأخير فى كاتسنا، ليشجعه على البقاء هناك).

الطلاب فى مدرسة سكتو المتوسطة لهم صالة طعام خاصة بهم، ولكن هذه الصالة تنقصها أشياء مطلوبة، ولذلك كان الكثيرون من الطلاب يدعون إلى منزل أحمد بللو لتناول الطعام. كان كثير من الطلاب والمدرسين يتجمعون فى منزل

---

(١) مقابلة شخصية مع عمر وزير جواندو، فى ١٢ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى بيرنن كبّى. ولد عمر فى ١٦ أبريل من عام ١٩١٥. وانتقل من المدرسة الابتدائية إلى الصف الثانى فى المدرسة المتوسطة. وبقى فى المدرسة المتوسطة من ١٩٣٢ – ١٩٣٣ وبعدها أرسل إلى مركز تدريب مدرسى التعليم الأولى فى كاتسنا (١٩٣٣ – ٣٦). ثم عاد الرجل ثانيه ليبدأ التدريس فى بيرنن كبى (وجيجا وكاو) فى إمارة جواندو. بقى الرجل مدرسا فى بيرنن كبّى، فى الفترة من ١٩٣٦ – ٥٦. وفى عام ١٩٥٦ – ٥٧ أصبح مديرا لإحدى المدارس، وفى ١٥ فبراير من عام ١٩٥٧ أصبح مستشارا مسئولا عن التعليم فى مجلس الأمير. وبعد تسعة أشهر (٢٧ ديسمبر) رقى إلى مرتبة وزير، بمعنى كبير المستشارين والمسئول عن التعليم فى المجلس وعن المالية والإدارة... إلخ. وفى الفترة من ١٩٥٤ – ٦٤ أمضى الرجل عشر سنوات فى ليجوس فى مجلس الممثلين. (ورفض الرجل خوض انتخابات عام ١٩٦٤ وعاد إلى موطنه) وفى الفترة من ١٩٦٨ – ٧٥ كان الرجل مفوضا فى الحكومة العسكرية، فى المرافق فى بداية الأمر، ثم بعد ذلك فى وزارة الصحة الحيوانية والغابات.

أحمد بللو ويأكلون ويجلسون فى حلقة طلبا للحديث والمناقشة، (وبخاصة فى ليلة الأحد). أحمد بللو ليس ثريا، وليس لديه نقود خاصة به هو شخصيا، ولكنه يقترض النقود من التجار ومن الباعة، والكثيرون منهم يعطونه النقود لأنه من أحفاد الشيخ عثمان بن فودى[1]. وفى تلك المحادثات والمناقشات المنزلية لا يتطرق المشاركون إلى السياسة، وإنما يتحدثون عن الدروس والرياضة.

يزداد اهتمام أحمد بللو بتاريخ أسرته خــلال هــذه الفتــرة، ويتشاور فى معظم الأحيان مــع جنيد Junaidu (الذى أصبح فيما بعد وزيرا لسكتو) الذى كان فى ذلك الوقت يقوم بتدريس اللغة العربية والمعرفة الدينية الإسلامية فى مركز تدريب النساء فى سكتو[2].

---

(١) يطلق الناس على النقود التى تعطى لأحفاد الشيخ عثمان بن فودى اسم garawa. وبذلك كانت تلك النقود مصدرا دائما لأحمد بللو، الذى كان يعيد توزيع هذه النقود على الناس.

(٢) جنيد هو ولد الوزير محمد البخارى، وقد ولد فى عام ١٩٠٦. ويتوفى والده فى عام ١٩١٠ ويقوم عمه بتربيته، وعمه هذا هو الوزير محمد سامبو. ويتوفى عمه أيضا فى عام ١٩١٠ ويتولى شقيقه تربيته؛ وشقيقه هذا هو الوزير عبد القادر محمد البخارى. يلتحق جنيد بمدرسة القرآن فى سن السادسة (فى مسجد السلطان بللو ويقوم على تعليمه المعلم عبد القادر بن أبى بكر) ويحفظ الرجل القرآن وهو فى سن العاشرة. ويواصل دراسته تحت رعاية إمام مسجد محمد بللو. ويدرس أصول الدين على يد الشيخ عثمان بن فودى؛ ويدرس الشعر أيضا بما فى ذلك قصيدة العشرينية التى كتبها عبد الله ولد بن فودى؛ يدرس هذه القصيدة على يد يحيى بن الوزير خليل. ويبدأ جنيد حياة التدريس ويجرى تعيينه فى عام ١٩٣٤ مدرسا فى مدرسة سكتو المتوسطة. كان الرجل يدرس أيضا فى مركز تدريب النساء فى ثلاثينيات القرن العشرين. وفى عام ١٩٤٠ يجرى تعيينه ناظرا لمدرسة القضاة، ويبقى فى ذلك المنصب إلى عام ١٩٤٣ وبعدها عين الرجل مستشارا قانونيا للشئون الدينية فى مجلس السلطان. (وفى عام ١٩٤٢ يُوفد الرجل إلى كل من المملكة العربية السعودية والسودان لبحث المشكلات التى تواجه الحجاج النيجيريين) وعندما يتوفى أخوه الأكبر عباس فى عام ١٩٤٨، يجرى تعيينه وزيرا لسكتو، وكان يتمتع بوضعية المسئول الأول.

طوال وجود أحمد بللو فى سكتو كان الرجل يداوم على الاتصال بأسر الوزراء[١] وبخاصة جنيد الذى كان أقدم منه بثلاث سنوات. وجنيد يعرف تاريخ السلاطين معرفة جيدة[٢]. وهناك بعض المعلمين الذين ينظر إليهم أحمد بللو باعتبارهم "معلميه الشخصيين"؛ هؤلاء المعلمون ينحدرون من أسر الوزراء[٣].

يبدأ اهتمام أحمد بللو بالطريقة القادرية عندما كان فى سكتو، بالرغم من أن تلك الابتهالات كان الناس يفعلونها فى جلسات خاصة[٤]. كان الوزير جنيد يمارس الابتهالات القادرية وحده، وليست هناك أدلة حقيقية على قيام أحمد بللو بممارسة

---

(١) ألف الوزير جنيد كتابا عن تاريخ أسرة جيدادو. (كان جيدادو أول وزراء السلطان بللو. وتزوج الرجل من نانا أسماء، شقيقة السلطان بللو، التقاليد فى سكتو تقضى بأن يكون الوزير عالما، بالرغم من أن التقاليد نفسها لا تحتم ذلك على السلطان. راجع كتاب نيل الأدب فى استقصاء النسب. منصب الوزير شغله الأعضاء التالية أسماؤهم من أسرة جيدادو: جيدادو ١٨١٧ – ٤٤؛ عبد القادر ١٨٤٢ – ٥٩؛ إبراهيم ١٨٥٩ – ٧٤؛ عبد الله بايرو ١٨٧٤ – ٨٦؛ محمد بوهارى ١٨٨٦ – ١٩١٠؛ محمد أنبو ١٩١٠ – ١٢؛ عبد القادر ماشيدو ١٩١٢ – ٢٥؛ محمد عديلى ١٩٢٥ – ٢٨؛ محمد عباس. ١٩٢٨ – ٤٨؛ جنيد ١٩٤٨ حتى الآن.

(٢) ألف الوزير جنيد تاريخ أسر بعض السلاطين، وله كتاب بعنوان ضبط الملتقطات: وقد ترجم هذا الكتاب إلى لغة الهوسا تحت عنوان "تاريخ الفولانيين". ألف الوزير جنيد حوالى أربعين كتابا. (راجع قائمة العناوين الموجودة فى مكتب تاريخ سكتو).

(٣) مقابلة شخصية مع سامبو جنيد، فى ١٠ – ١٤ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى سكتو. هؤلاء المعلمون كان من بينهم بشير ولد إبراهيم ميجاندى (توفى) ("شقيق" الوزير جنيد). ومحمد كاتسنا الذى سيرافق أحمد بللو فى الحج بعد ذلك، وعمر أبو بكر الذى رافق أحمد بللو إلى كادونا للقيام ببعض الأعمال الدينية.

(٤) نقلا عن سامبو جنيد (المرجع السابق)، كان لقب "القادرى" يطلق على كل الأفراد فى خلافة سكتو. كانوا جميعهم يمارسون الابتهالات ولكن بشكل فردى. والسلطان يشير إلى شعبه بكنية "أبناء شيخ القادرية". وينشر أحمد بللو بعد ذلك كتابين من تأليف شيخ القادرية، يتناولان تفاصيل هذه الطريقة:

١) السلاسل الذهبية فى الطريقة القادرية.

٢) اللهم بلغت.

(ملاحظة: هناك بعض الباحثين النيجيريين يرون أن هذين الكتابين مدسوسين، أو أنه تم تأليفهما قبل وفاة الشيخ، وقد تراجع أحمد بللو عن صوفيته).

تلك الابتهالات القادرية[١]. (بالرغم من أن الرجل لم يمنع أحدًا من ممارسة تلك الابتهالات، نظرا لأنها كانت جزءًا من الموروث السُّكتى). ويبدأ أحمد بللو فى الاعتماد بشكل كبير على حكمة وصواب الوزير جنيد فى أشياء كثيرة.

يتعرض أحمد بللو أيضا لمجموعة متباينة من معلمى سكتو الذين يمارسون قراءة الطالع، ومن بينهم أولئك الذين يتنبأون بالمستقبل Masu Bugun Kasa، وإلى علماء "النظارة" وإلى علماء الاستخارة[٢]. التقى أحمد بللو أيضا العلماء الذين يكتبون التعاويذ والأحجبة الوقائية، التى يشهد كثير من الناس بأنه كان يستعملها فترة طويلة من حياته[٣].

كان أحمد بللو يقوم فى كثير من الأحيان برحلات مع الطلبة لزيارة قبور أسلافه، كما كان يحاضر الطلاب فى تاريخ سكتو. كانوا يسافرون سيرا على الأقدام من سكتو إلى ورنوكى يزورون قبر السلطان بللو، وقبر السلطان أبى بكر عتيق. ثم يواصلون المسير بعد ذلك إلى دجل Degel التى عاش فيها الشيخ عثمان بن فودى (هو ووالده). ثم يصلون بعد ذلك إلى جواداباوا Gwadabawa، لقضاء الليل فيها، ثم يواصلون المسير فى اليوم التالى إلى كوار Kware، لزيارة قبر عيسى (ولد الشيخ عثمان). ثم يعودون مرة ثانية إلى سكتو لزيارة قبر الشيخ. كان أحمد بللو يصحب معه بواد Buda (وبودا هذا خادم، أطلق عليه فيما بعد اسم الأمير شارا Shara) ثم أمير فطا fada (الذى يتولى أمر المنزل فى حال غياب أحمد بللو). كان فصل الكبار مكون من حوالى ثلاثين طالبا، كانوا جميعا يسافرون فى تلك الرحلات التى كانت الواحدة منها تستغرق ثلاثة أيام. كان أحمد بللو يشرح التاريخ لهم بلغة الهوسا. (كان أحمد بللو قد تعلم أيضا تاريخ كنو، نظرا لأن أمه كانت واحدة من بنات أمير كنو).

---

(١) شعب سكتو لا يقوى على فهم الممارسات الجماعية وقرع الطبول bandiri فى الطريقة القادرية. الذى ابتدأ فى كنو فى فترة لاحقة نصير كابارا. القادرية فى سكتو مختلفة عن قادرية كنو. ويمارسها الناس على المستوى الفردى فى عدم وجود الابتهالات الجماعية. يجلس الفرد فى غرفة من الغرف ويمارس الذكر. ويمكن ممارسة القادرية رسميا، ولكن الناس فى سكتو لا يأتون سوى الذكر فقط.

(٢) لم يعد هناك وجود لقراء الطالع، بالرغم من أن "أبناء الأسر المالكة" مازالوا يستخدمونهم.

(٣) التعاويذ الوقائية: عبارة عن أيات من القران.

يذكر عمر أن أحمد بللو كان مدرسا جيدًا، يهتم دوما بتلاميذه وكان يحثهم على القيام بالأعمال المطلوبة منهم. كان يكتب أسئلة على السبورة ليختبر بها الطلاب، وكان يصحح لهم الدروس تصحيحا دقيقا. (كان من عادة عمر أن يحمل كومة الكراسات على رأسه، ليوصلها إلى منزل أحمد بللو، كى يقوم بتصحيحها فى ساعة متأخرة من الليل)[١].

يذكر عمر أيضا عن أحمد بللو أنه كان حاد الطبع فى بعض الأحيان. ولو تصادف وهم يلعبون الهوكى أن ارتكب لاعب خطأ من الأخطاء، فإن أحمد بللو يلقى بمضربه (عصاه) على الأرض. ثم يهدأ بعد ذلك. وكان أحمد بللو يسمح بضرب الطلاب الكسالى بالسوط بواسطة مندوب الفصل. وبالرغم من أن أحمد بللو لم يكن ناظرا للمدرسة، إلا أن المدرسين الآخرين كانوا يحترمونه كما لو كان هو الناظر نفسه[٢].

كان إبراهيم دسوقى، الذى جاء من دوجانداجى Dogandagi كى يلتحق بمدرسة سكتو المتوسطة، واحدًا من أصدقاء أحمد بللو المقربين والثقات؛ ولما كان إبراهيم دسوقى من أحفاد الشيخ عثمان (عن طريق سلالة البهارى النسبية) فقد كان عند أحمد بمثابة "الشقيق الأصغر"[٣].

أثناء عمل أحمد بللو فى مهنة التدريس، كان زواجه الأول من حفصة، ابنة الوزير ماشيدو Maccido (الشقيق الأكبر لجنيد)، وقد تزوجها فى عام ١٩٣٢، وبذلك يرتبط أحمد بللو بعائلة الوزراء. كانوا يكنون حفصة "العمة داخل المنزل" Goggon Kurya بالرغم من أن أحمد بللو كان يناديها باسم الدلع "مانجا" Manga. (لم يسفر هذا الزواج عن أطفال)[٤].

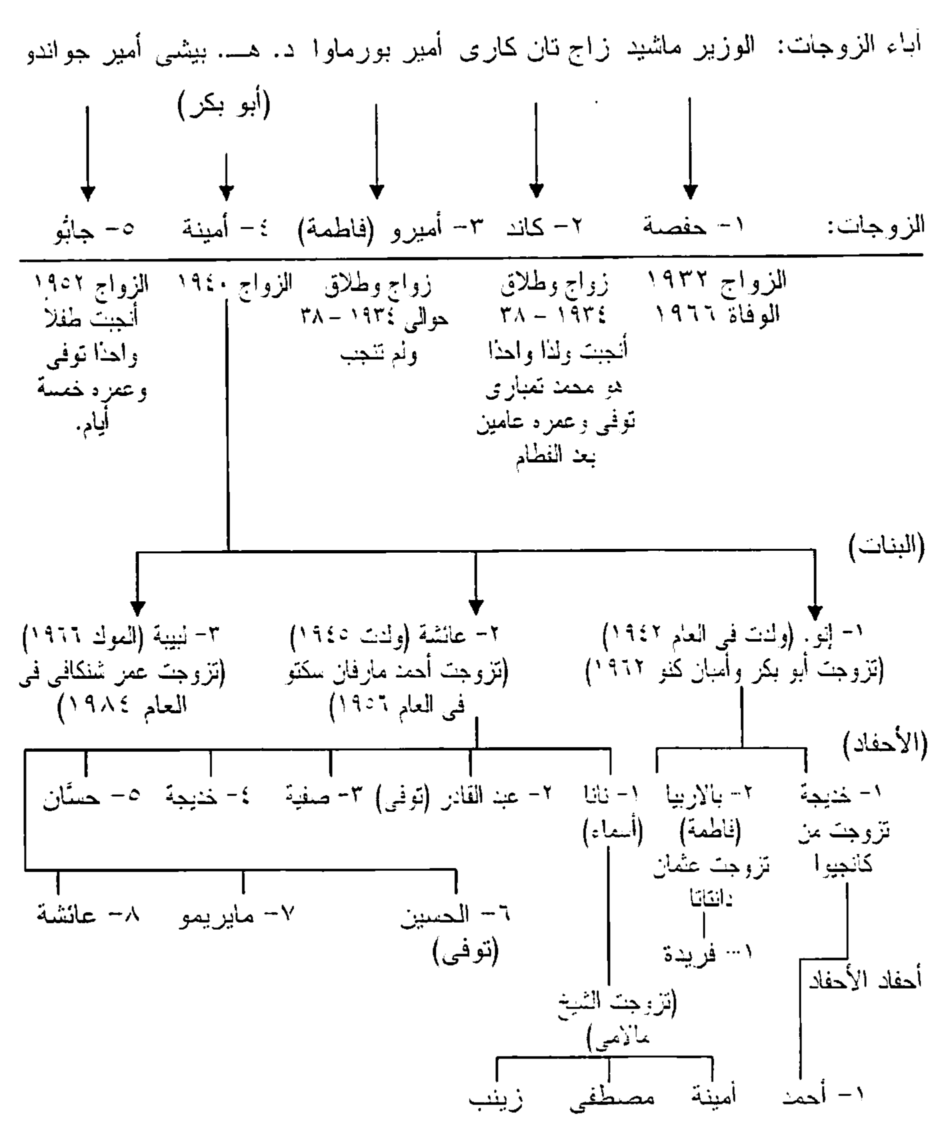
---

(١) عمر، هو وزير جواندو.

(٢) سانى دنجيادى Dingyadi، ناظر المدرسة، كان صديقا حميما لأحمد بللو. عين دينجادى بعد ذلك وزير الخزانة، ثم مستشارا فى إدارة سكتو المحلية، ثم أصبح بعد ذلك عضوا بارزا فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ومازال أول أبنائه يحمل اللقب "مقاما" Makama.

(٣) ولد ابراهيم دسوقى فى ٣١ ديسمبر من عام ١٩٢٣ فى دوجونداجى. ويلتحق بمدرسة القرآن فى الفترة من ١٩٢٨ – ٣١، ثم يلتحق بمدرسة دوجونداجى الأولية. ثم بمدرسة سكتو الأولية المركزية فى الفترة من ١٩٣١ – ٣٥. ثم يلتحق بمدرسة سكتو المتوسطة فى الفترة من ١٩٣٥ – ٤٠. ثم يلتحق بكلية كادونا (باريوا) ثم يصبح بعد ذلك كاتبا لضابط الحى مسئولا عن إدارة سكتو المحلية (١٩٤٣ – ٤٥)، ثم ينضم بعد ذلك إلى هيئة جربوه جاسيكا (الحقيقة) (قسم الحسابات) فى الفترة من ١٩٤٥ إلى ٣١ أغسطس ١٩٥٣، عندما أصبح سكرتيرا خاصا لأحمد بللو. (أرشيف كادونا الوطنى ٢١٠ المجلد الأول). حصل ابراهيم بعد ذلك على لقب "باراد" Barade الذى معناه "قائد المشاة"

(٤) اغتيلت حفصة مع أحمد بللو فى شهر يناير من عام ١٩٦٦. الشكل رقم ٨ فيه بعض المعلومات عن زوجات وأطفال أحمد بللو.



الشكل رقم (٨): أحمد بللو: الزوجات، والأطفال، والأحفاد، وأحفاد الأحفاد

ملحوظة: بعد وفاة أحمد بللو (فى عام ١٩٦٦) عادت كل من أمينة وجابو إلى سكتو. ولدت لبيبة التى أنجبتها أمينة بعد وفاة زوجها، فى يونيو من عام ١٩٦٦. وبعد الفطام وفى سن الثانية أعطيت لأمير دورا (محمد بشار) الذى رباها. (تعود لبيبة إلى سكتو لاستكمال تعليمها الثانوى). وواصلت أمينة حياتها فى سكتو دون أن تتزوج مرة ثانية. وتزوجت جابو من إبراهيم دسوقى فى عام ١٩٦٨، وأسفر ذلك الزواج عن ثلاثة أطفال.

أتيحت لأحمد بللو إلى جانب مسئولياته التعليمية، فرصة الاتصال فى سكتو والتعرف على كبار المسئولين فى حاشية السلطان. كان الوقت صعبا جدا على الإدارة المحلية، إذ نتج عن الكساد العالمى انخفاض كبير فى المحاصيل النقدية الجديدة، فضلا عن صعوبة الضرائب، (بل واستحالة دفع الضرائب فى بعض الأحيان) وصعوبة جبايتها أيضا. ومع ذلك كانت علاقات أحمد بللو مع السلطان طيبة جدًا، وفى عام ١٩٣٤ الميلادى. عندما توفى ابن عم أحمد بللو، الذى كان يشغل منصب رئيس حى رباح، ضـب السلطان حسَّان إليه أن يحل محل المتوفى. وبذلك أمكن لأحمد بللو وهو فى سن الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين أن يصبح واحدا من أصغر رؤساء الأحياء سنا، وهنا تعين عليه مغادرة سكتو والعودة إلى رباح، بعد أن ابتعد عنها قرابة أربعة عشر عاما. وبذلك جاءت هذه المناسبة بمثابة أول خطوة يخطوها أحمد بللو على السلم الإدارى.

٢- الإدارة ومشكلات تولى الخلافة (١٩٣٤ – ١٩٣٨)

يورد ممثل سكتو المقيم الملاحظات التالية فى مستهل تقريره السنوى عن عام ١٩٣٥ الميلادى، المصادف للعام الأول لتولى أحمد بللو مركز رئاسة الحى[١].

> توفى تمبارى، سلطان سكتو السابق فى اليوم الثلاثين من شهر يناير فى بلدة وُكارى Wukari، التى كان يعيش فيها طوال وجوده فى المنفى.
>
> كان معدل سقوط الأمطار فى ذلك عام أكثر من ممتاز. إذ بلغ إجمالى معدل سقوط الأمطار فى سكتو حوالى ٣٢,١٣ بوصة بالمقارنة مع ١٦,٢٨ بوصة فى عام ١٩٣٤. ومتوسط معدل سقوط المطر هو ٢٧ بوصة.

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، ٤٠٧٩ تقرير سنوى عن قسم سكتو، ١٩٣٥، ملاحظات على تقرير الممثل المقيم بالإشارة إلى بعض الفقرات من تقرير عام ١٩٣٤.

وجاء محصول القطن التصديرى ضعف ما كان عليه فى موسم ١٩٣٤ وكانت مشكلة البذور للموسم الجديد تتمثل فى حوالى ٥٠% زيادة وهذا يشير إلى أن القسم سوف يحقق رقما قياسيا فى إنتاج القطن. يضاف إلى ذلك أن إنتاج الفول السودانى كان على ما يرام، كما أرتفع معدل الأسعار عن ذى قبل.

السلطان ما يزال يحتفظ بحب شعبه له، كما أن سلطانه أكثر من ذى قبل، فى الوقت الذى راح يكرس فيه نفسه بلا كلل أو ملل، وبحكمة ولطف، لأعمال الإدارة. يضاف إلى ذلك أن الجائزة الشرفية جاء توقيتها مناسبا وأعطيت لمن يستحقها.

يعتقد أن المجلس أصبح أكثر تماسكا، بفضل زعامة الوزير، ذلك الرجل القوى الذكى، هذا بالإضافة إلى أن بقية أعضاء المجلس ناشطون كل فى مجال عمله. وليس هناك من شك فى أن المجلس أصبح أداة فاعلة فى يدى السلطان. وما يزال أمام المجلس الكثير الذى ينبغى عمله، وذلك عن طريق التنظيم الدقيق والتعاون النابه، وذلك من أجل ضمان أن يكون السلطان على بينة بكل فروع العمل، وأن يكون على اتصال دقيق، مع الإدارات التى يرأسها أوروبيون بصفة خاصة. ويعد المستشار السياسى الرئيسى (أو بالأحرى أبو بكر الثالث) واحدًا من أهم الشخصيات، وواحدًا من أكثر الأعضاء فاعلية، ولكن مهام هذا الرجل يصعب تحديدها حتى لا يترتب على ذلك تداخل فى المعلومات أو حجب لها. مسئول الصحة Magajin Gari بدأ بداية متواضعة فى واجباته فى

المدينة، ولكنه طرأ على عمله كثير من التحسن خلال عام. ولما كان مسئول الصحة معنيا بالشئون الطبية والصحية فهو يعد مقبولا فى هذا الاتجاه. والمسئول المالى Magajin Rafi يعرف جيدا مسألة الضرائب وشئون الحى، يضاف إلى ذلك أن قاضى القضاة هو ومساعده احتفظا بمنصبيهما نظرا لكفاءتهما. والاجتماع الأسبوعى ما يزال يتسم بالود والتعاون، يضاف إلى ذلك أن قدرا كبيرا من الأعمال المالية المهمة يجرى إنجازها خلال وقت قصير.

لم يعقد رؤساء الأحياء اجتماعا واحدًا طوال عام، اللهم باستثناء اجتماع واحد عقدوه بمناسبة اليوبيل. وقد جرى انتهاز فرصة وجود كل رؤساء الأحياء فى سكتو بمناسبة اليوبيل، فى مناقشة بعض الأمور عامة معهم، بما فى ذلك أهمية وجود إحصاء دقيق، ونظام محاسبى للضريبة القروية، وكذلك العمالة والضرائب فى مجال التعدين، وموقف رؤساء الأحياء ورؤساء القرى من عمال مناجم الذهب الذين يعملون فى مناطقهم، ومسألة تعويض أصحاب المناجم للفلاحين عن التلف الذى أصاب محاصيلهم.

المسألة المعقدة لإنجاز المزيد من المنظور الإدارى، وكذلك مسألة أولئك الذين يحتمل أن يتولوا رئاسة الأحياء، كل ذلك بدأ استعراضه والنظر فيه هذا العام. وحققنا فيه تقدما أكثر مما كان منتظرا أو متوقعا. بالرغم من أن الظروف السياسية حتمت علينا التزام أكبر قدر من اللباقة والحذر. كل رؤساء الأحياء لديهم الآن مكاتبهم الخاصة

ولكن مسألة الأثاث المطلوب لهذه المكاتب ما تزال قيد البحث.

إذا ما أخذنا بعين اعتبارنا بشكل عام مسألة إدارة الأحياء، نجد أن أشد المصاعب التى تواجه الموظفين الطوافين، أو بالأحرى كبار مسئولى الإدارة المحلية، تتمثل فى إقناع إدارة الحى أن لها مهاما أخرى غير تحصيل الضرائب، يتعين عليها القيام بها. ونحن نعتقد أن رؤساء الأحياء يدركون ذلك إدراكا جيدا فى الوقت الراهن، والسبب فى ذلك يرجع أصلا إلى أن هؤلاء الرؤساء يودون أن يكشفوا عن اهتمامهم بالأعمال البيطرية، والزراعية، والأعمال التربوية والتعليمية، وكذلك الأعمال الصحية التى يجرى تنفيذها فى أحيائهم. وهذه هى أسواق القطن، ومشاريع التطعيم، والمشاريع الزراعية المختلطة، كل ذلك له تأثيره أيضا.

حدث تقدم فى تجميع أشجار عائلات رؤساء القرى، ويجرى تقديم تلك الأشجار للسلطان عند حدوث بعض الشواغر فى هذه المناصب، كما يقدم له أيضا اسم الشخص المقترح.

ضعف التواصل بين السلطان من ناحية ورؤساء الأحياء ورؤساء القرى أدى إلى إدخال قاعدة جديدة يجرى بمقتضاها إصدار أوامر السلطان ممهورة بختمه ومن أصل وصورة إلى رؤساء الأحياء؛ تذهب صورة من هذا الأمر إلى رؤساء القرى الذين يؤكدون تسلمهم للأمر عن طريق التوقيع أو عن طريق توقيع المُعلّم نيابة عن رئيس القرية،

بما يفيد أن الأمر قد قرئ عليهم. والمعروف أن الأمر يكون محالا إلى رؤساء القرى من رؤساء الأحياء.

جرى فى كوايامبانا Kwiambana افتتاح محكمة وثنية جديدة، يرأسها رئيس الحى، وتعطى حق الاستئناف أمام محكمة السلطان؛ هذا يعنى أن هذا الحى جرى إبعاده قضائيا عن محكمة آنكا Anka. جرى أيضا بحث ودراسة مسألة زيادة حالات الطلاق خلال هذا العام. وقد جرى إدخال بعض الإجراءات التى من قبيل الشريعة الإسلامية للتعامل مع هذه المسألة.

(فيما يتصل بجباية الضرائب). نجد أن الأحياء المتأخرة فى ذلك فى الموسم الحالى هى رباح، وسيلام Silame، وورى Worre وجورونيو Goronyo، إضافه إلى دوجونداجى Dogondaji. وقد جاء حى رباح مخيبًا للآمال، ولكن الأحياء الأخرى فى أيدى رؤساء أحياء قدامى (الجزء الذى تحته خط).

الرواية التى وردت عن أحمد بللو فى كتابه "سيرتى الذاتية" فيما يتعلق بالسنوات الأولى له فى منصب رئيس حى رباح تعد منظورا إضافيا فيما نحن بصدده هنا. كان حى رباح يشتمل على حوالى ٣٠٠٠٠ فرد، يعيشون على شكل عائلات قروية مبعثرة. ورعاة الماشية الفولانيون الرُحّل كانوا يرعون ماشيتهم فى مناطق مختلفة، معتمدين فى ذلك على الموسم كل عام. وكانت الضريبة المطلوب تحصيلها من الحى تقدر بحوالى ٣٠٠٠ جنيه إنجليزى، وهنا نجد أحمد بللو يكتب فى هذا الصدد: "باءت جهودى الأولى بالفشل، وأحسست بالضيق عندما وجدت نفسى آخر رئيس من رؤساء الأحياء يقوم بالانتهاء من جباية الضريبة المطلوبة"[١]. ويضيف أحمد بللو أنه بحلول عام الرابع كان هو أول رؤساء الأحياء الذين انتهوا من تحصيل الضريبة المطلوبة. وأصبح الرجل شهيرا بكنية "الشاب الذى يلبس

---

(١) أحمد بللو، المرجع السابق ص ٤٣.

ساعة بد". الواضح أن إدارة الحى كانت مختلفة تماما عن التعليم، ولكن روح المنافسة كانت متوقدة فى داخل الرجل. كانت هناك مسائل كبيرة تنذر بالخطر.

ينتقل أحمد بللو إلى المجمع المخصص لسكن رئيس الحى، ذلك المكان الذى نشأ وتربى فيه، ثم يبدأ "التجوال فى حيّه". ويهال أحمد بللو للفقر الذى كان عليه الريف، ثم يحاول ارتجال بعض الطرق لتحسين الأوضاع. وهو فى سيرته الذاتية، يصف الجهود التى بذلها فى إدخال المحاصيل الغذائية (باعتبارها شيئا مستقلا عن المحاصيل النقدية)، التى من قبيل الكسافا، والأرز (الذى هو أيضا بحاجة إلى مياه المستنقعات أو الرى)، والبطاطا، والقمح. بل إنه هو نفسه يقوم بزراعة مساحته الخاصة به بالبطاطا لتكون مزرعة نموذجية أمام المواطنين. كان الماء هم أحمد بللو الأول، وكان مهتما أيضا بمشاريع الرى. لم تكن فى الحى مدرسة أيضًا. ويقوم الرجل ببناء كوخ من الحطب والقش ويبدأ فيه تعليم أطفال الحى بنفسه. ويقيم الرجل مكتبا يقوم على أمر الكتب والسجلات فى الحى. ويعمل على تطوير الطرق التى تربط الحى بمدينة سكتو، حتى يتمكن الفلاحون من بيع محاصيلهم النقدية مباشرة فى المدينة. خلاصة القول، إن أحمد بللو يعد جزءا من اندفاع التطوير الجديد صوب الإدارة، ويحاول عن طريق ضرب المثل بنفسه، عمل أكبر قدر من الأشياء الممكنة فى آن واحد.

يستقر أحمد بللو عائليا طوال هذه الفترة. ويتزوج من زوجته حفصة، ابنة أمير بورماوا Burmawa، كما يتزوج أيضا من ابنة زاج Zagge تان Tan كارى Kari التى تنجب له ولدًا، اسماه محمد تمبارى، ويموت هذا الولد وهو طفل (فى العام الثانى من عمره) بعد الفطام. (وسرعان ما انتهت حالات الزواج هذه بالطلاق، كما أنها لم تسفر عن أطفال بقوا على قيد الحياة) ويظل أحمد بللو "رئيسا للأسرة" Maigida ويواصل تحمله لمسئوليات الأسرة الممتدة. وطوال هذه الفترة أيضا فى رباح، يقوم كثير من طلاب أحمد بللو السابقين بزيارته خلال العطلات. بل إن البعض منهم كان يقضى القسم الأكبر من العطلة فى العيش مع أحمد بللو. ويواصلون الحديث معه لساعات طويلة عن دراساتهم، وعن المستقبل بصفة عامة.

وهذا يجعله على اتصال بالنشاطـــات التى تـــجرى فى كلية كاتسنا، وعلى اتصال أيضا مع الجيل الجديد من شبان ســـكتو "من أصحاب التعليم الغربى".

وفى الوقت نفسه، فإن العمل السياسى الدائر فى سكتو، التى بدأ السلطان المسن فيها بحثه عن خلف له، والذى بدأ يقر ويعترف بالإدارة الاستعمارية البريطانية، سوف يلعب دورا مهما فى هذه العملية. ويقرر أحمد بللو، أن يكون من المرشحين لمنصب السلطان. فهو لديه الخلفية العائلية المناسبة، وذلك من خلال السلالة النسبية لمحمد بللو، وهو أيضا واحد من أفراد "سلالة جديدة" يجرى تدريبها على أساليب الغرب. نقيصته الوحيدة أنه شاب وقلة خبرته الإدارية. وسوف يلعب الوزير دورا رئيسيا، وها هو أحمد قد تزوج من أسرة الوزراء.

وهذا هو تقرير الممثل المقيم عن عام ١٩٣٧ الميلادى، يعد العدة لهذا الأمر عندما يقول[١].

قام المجلس برئاسة الوزير، بتنفيذ كل واجباته فى هدوء وبفاعلية كبيرة وواصل تقديم مساعدته وعونه الذى لا يقدر بثمن، للسلطان فيما يتصل بالعدالة والإدارة.

كان النصيب الأوفر من الإشراف على تحصيل الضرائب من نصيب المسئول السياسى الرئيسى (الذى أطلق عليه فيما بعد اسم أبو بكر الثالث) الذى ثبتت فاعلية العمل الذى قام به فى الأحياء؛ وكان ذلك العمل قائما على اللطف وحسن المعاملة، ومصحوبا أيضا بتقارير دقيقة وواضحة أرسلها إلى السلطان. ومع ذلك، فإن الطلب الحالى المستمر على مساعدة وعون الوزير فى الأمور المتعلقة بالعمل الإدارى عام، سوف يحتم على الوزير

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، ٤٧٢٧، التقرير السنوى، قسم سكتو، ١٩٣٧.

الامتناع عن مداومة الاتصال برؤساء الإدارات المختلفة الخاضعة لإشرافه. وهذا هو أسوأ ما فى الأمر، نظرا لأن الإدارات المشار إليها، والتى تشرف عليها مكاتب أوروبية، ستكون بحاجة ماسة إلى تواصل سلس مع السلطان، وهذا أمر فى غاية الأهمية(١).

من الواضح، أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، المدعو أبو بكر، وابن عم السلطان حسّان، وأحد المفضلين لدى السلطان، كانت له اتصالات واسعة مع المناطق الإدارية الريفية، وبخاصة فيما يتصل بعملية جباية الضرائب(٢). فى ذات الوقت هناك شيء من القلق من أن أبا بكر عاجز عن الوفاء بمتطلبات التعامل مع الضباط الأوروبيين فى مناطق "التنمية".

وقد وصلت هذه المسألة إلى ذروتها فى عام ١٩٣٨ عندما مات السلطان حسان. ونقلا عن هؤلاء الذين كانوا فى سكتو فى ذلك الوقت(٣) كان هناك ستة مرشحين. منهم الأمير جوبير أمير جواداباوا Gwadabawa (واسمه عبد الرحمن)، وأمير جوبير عيسى، وأمير كودو Kudu السيفاوى Sifawa (واسمه مامّان)، والأمير كودو الجيساوى Gusau (واسمه سليمان عيسى)، وأمير رباح (واسمه

---

(١) فى موضع آخر من التقرير يقول الممثل المقيم: "جرى ترويج الدعاية التى تشجع على إنتاج نبات الجوتّا Gutta فى النيجر؛ وهذا النبات يشترى لحساب شركة شيكلى chicle للتنمية، ومقر هذه الشركة فى نيويورك، وهذا النبات يدخل فى صناعة اللادن (اللبان). ونحن نود التشجيع لهذه الصناعة الفرعية الصغيرة، التى إذا ما استقرت فإنها ستكون إضافة كبيرة لثروة الأحياء الجنوبية من تقسيم سكتو". واسم الدلع الذى يطلق على هذا النبات هى Gamji، وهى الكنية نفسها التى ستطلق على أحمد بللو فيما بعد.

(٢) أبو بكر الثالث، مولود فى ١٥ مارس من عام ١٩٠٣ فى حى دنجى Denge، فى سكتو. وقد عين كاتبا للحى فى دنجى فى مارس من عام ١٩٢٩. ثم أصبح بعد ذلك مستشارا سياسيا رئيسيا لسكتو فى شهر يونيو من عام ١٩٣٨، ثم رئيسا لحى تلاتا Talata مفارا Mafara. وفى أواخر عام نفسه عين سلطانا لسكتو.

(٣) مقابلة شخصية مع إبراهيم دسوقى. فى ٢ أغسطس من عام ١٩٨٣. كادونا.

أحمد)، والمستشار السياسى الرئيسى (أبو بكر فى ذلك الوقت). استشعر كل الشبان الصغار هم والأعضاء الرئيسيين فى المجلس الانتخابى أن أحمد بللو هو أقوى المرشحين، وأنه يفى باحتياجات ذلك الوقت. يضاف إلى ذلك أن المدرسين كانوا يروجون له نيابة عنه. كان الناس ينظرون إليه باعتباره شخصية قوية وشخصية شعبية أيضا. ومع ذلك، كان أبو بكر هو الحد القاطع لأنه "هو الذى كان يقوم على أمر الإدارة"، نيابة عن عمه السلطان.

عند هذه المرحلة، بدأت تتردد بعض القصص الدينية غير الصحيحة، حول ما يدور. وأبرز هذه الأقاويل غير الصحيحة أن المجلس الانتخابى زكى أحمد بللو، ولكن بعد أن عرض القرار على الممثل المقيم (جون كارُّو John Carrow)، أصر الممثل المقيم على أن الخلافة، وهذا هو الصحيح، ينبغى أن تكون "لولد" السلطان، وليس لابن عمه. كان رد الممثل المقيم قاطعا، من منطلق سماعه من قبل أن السلطان أشار إلى أبى بكر على أنه واحد من أولاده، وأنه بحكم كونه مثل واحد من أبنائه فمن حقه أن يتولى المنصب بعد وفاته[1].

---

(١) الشيء الغريب عن هذه القصة أنها لا تنقص شيئا من كل من أحمد بللو وأبى بكر، اللذين قدر لهما أن يكونا متنافسين وديين طوال فترة من الزمن، ولكن القصة تلقى بالمسئولية كلها على البريطانيين، وعلى نحو يقلل من قيمة الإدراك المحلى الذى مفاده أن الضباط الإداريين البريطانيين، بالرغم من أنهم يتكلمون الهوسا، إلا أنهم لم يفهموا مطلقا حقيقة الأسرة الممتدة أو بالأحرى نظام القرابة، ولم يفهموا أيضا الخطوط الإرشادية التاريخية الخاصة بالخلافة وتولى المناصب. الضباط البريطانيون كانوا يركزون على حق البكر فى الإرث، ومسألة آلية تولى المناصب فى العائلات. وحتى على مستوى القرية. ويبدو أن هذا التركيز كان جزءا من المعادلة السائدة فى سكتو فى ذلك الوقت. وفيما يلى رواية لهذه القصة وردت على لسان يحيى جوساو Gusau (مقابلة شخصية فى ١٨ يوليو من عام ١٩٨٣، كادونا).

كان المستشار السياسى الرئيسى Sardauna واحدا من بين ثلاثة كانوا يتنافسون على منصب السلطان فى عام ١٩٣٨. لم يكن أبو بكر واحدا من هؤلاء الثلاثة. كان المجلس الانتخابى قد زكى هذه الأسماء الثلاثة، ولكن الممثل المقيم كانت تربطه علاقة ودية بالأمير الراحل، إضافة إلى أن السلطان الحالى هو ابن أخو السلطان المتوفى (ابن أخ الأمير الراحل). ولكن السلطان كان من عادته أن ينادى أبا بكر باسم "يا ولدى" وبالتالى ظن الممثل المقيم أن أبا بكر هو ولد السلطان. فى لغة الهوسا الاسم "شقيق" [أخ] يمكن أن يشير إلى الأخ الشقيق، أو غير الشقيق أو ابن العم. والاسم "ابن" Son له أيضا هذه الدلالة والمعانى الكثيرة. ولا أحد يستطيع أن يقول لابنه "يا ولدى". قال الممثل المقيم: "ماذا عن أبى بكر؟ هو ولد المتوفى ومن حقه اعتلاء العرش؟" رد المجلس الانتخابى أن أبا بكر لم يكن من أبناء السلطان حسان. ورد الممثل المقيم: "هذا كلام فارغ، أبو بكر هو الابن الحقيقى ومن حقه اعتلاء

انتُخب أبو بكر الثالث سلطانا، وفى خلال فترة قصيرة من حكمة، أعطى لقب "سردونا" Sardauna (أى المستشار السياسى الرئيسى) لمنافسه أحمد بللو، الذى أصبح يلقب بلقب أحمد "السردونا" (أى المستشار السياسى الرئيسى)، أو بمعنى آخر أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لسكتو[1].

وعندما بدأ أحمد بللو، بعد الحصول على لقب "المستشار السياسى الرئيسى" ينظر إلى نفسه باعتبار أنه "سوف يتولى خلافة السلطنة" بقية حياته، زاد احترام المنصب، واحترام من سيشغله. ومع ذلك، فإن عالم السياسة الداخلية فى سكتو عبارة عن انقسامات عجيبة فى الولاءات لكل من "حزب المستشار السياسى الرئيسى" Sardauna و"حزب السلطان"، فى وجود أسرة الوزراء التى تلعب دور الوسيط الرئيسى بين الحزبين. وفى مرحلة لاحقة يقوم معلموا الاستخارة بالتنبؤ لأحمد بللو هو وأبو بكر "بأن أيا منهما لن يعرف شيئا عن وفاة الآخر" (أى أنهما سيموتا فى آن واحد)، وأن أحمد بللو استقال فى مرحلة من المراحل "للحقيقة" التى

العرش". كان المستشار السياسى الرئيسى Sardauna مهتما بذلك الترشيح. وجاء أبو بكر مفاجأة. وتولى منصب السلطان فترة طويلة.

(1) لقب المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى سكتو محاط بكثير من الغموض. وهو مثل سائر الألقاب يمكن أن ينطوى على مهام تتباين بتباين شاغل المنصب. يكتب أحمد بللو فى سيرته الذاتية فيقول:

كان السير أبو بكر مستشار سكتو السياسى الرئيسى إبان حياة السلطان حسّان. وعندما أصبح أبو بكر سلطانا شغر ذلك اللقب. هذا اللقب مقصور على سكتو وعلى رجال الأسرة الحاكمة. وهذا اللقب شأنه شأن الألقاب الأخرى يسعى الناس إليه سعيا حثيثا، والحصول على ذلك اللقب يعد شرفا كبيرا. ويصعب حاليا وصف عظمة ذلك اللقب فى الوقت الراهن: والألقاب الأخرى التى من قبيل "وزير" الذى يساوى " رئيس الوزراء " أو لقب مداكى Madoki يسهل فهمها: أما لقب Sardauna ليس بهذه السهولة ولكن المعنى الأصلى لهذا اللقب ربما يكون "رئيس الحرس الخاص".... وقد جرت العادة أن يتقدم حامل هذا اللقب فى القتال قبل الحاكم. باعتبار أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو قائد الأمراء، ولكى يفسح الطريق أمام الحاكم؛ وبالتالى يمكن القول إن حامل هذا اللقب يمكن أن يكون "الشجيع الذى يحمل سيفا" أو يمكن القول "إنه الشجيع الذى يخلى الطريق" أحمد بللو المرجع السابق ص ٤٩.

مفادها أنه لا يمكن أن يكون سلطانا بأى حال من الأحوال، وترتب على ذلك قيام أحمد بللو بتصريف طاقاته فى "أنشطة مماثلة"[١]. فى ذات الوقت يتعين على السلطان الجديد اتخاذ قرار بشأن منافسه اللصيق، ويتحدد القرار على أساس "إبعاد المنافس" إلى أقصى الأجزاء الشرقية من مقاطعة سكتو، أى فى جوساو Gusau. هذا "المنفى" فى جوساو يعد فصلا جديدا فى تجارب وخبرات أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى سكتو.

٣- النفى والنضوج فى جوساو (١٩٣٨ - ١٩٤٣):

يكتب الممثل البريطانى المقيم فى سكتو فى تقريره السنوى عن عام ١٩٣٦ فيقول: ". أود أن أقول من وجهة نظر مالية وأعماليه خالصة، إن جوساو فى موسم الحصاد تجىء فى المرتبة الثانية بعد كنو من حيث الأهمية"[٢]. يضاف إلى ذلك أن كبريات الشركات الأوروبية لها مراكز رئيسية فى جوساو[٣]، كما أن وصلة الخط الحديدى التى أنشئت فى عشرينيات القرن العشرين، جاءت بمثابة الروابط التجارية المباشرة مع كل من ليجوس والخارج. كانت جوساو تبعد مسافة ١٣٣ ميلا عن سكتو، فى اتجاه الشرق، وكانت تعد عاصمة سكتو التجارية من نواحى كثيرة. وكانت المدينة مقسمة إلى أربعة أقسام إدارية كبيرة هى: جلاديما Galadima، ومايانا Mayana، وإمارة فطا fada ثم سابونجارى Sabongari. يكتب الممثل البريطانى المقيم عن سابونجارى فيقول:

> **يخطئ الناس فى معظم الأحيان عندما يحسبون أن منطقة سابونجارى إنما تسير على خطوط السابونجارى الموجود فى زاريا، وأن السكان الأجانب يتركزون فى تلك**

---

(١) فهمت النبوءة بعد ذلك على أنها كانت إشارة إلى وفاة كل من أحمد بللو وأبو بكر فى تيفاوا باليوا فى أن واحد (وليس السلطان أبو بكر الذى مازال على قيد الحياة).

(٢) أرشيف كادونا الوطنى. ملفات سكتو الإقليمية ٤٠٧٩ أ.

(٣) الشركة الإفريقية المتحدة، شركة جون هولت، الشركة الفرنسية، أمبروسينى، الشركة البريطانية الأمريكية للتبغ، شركة باترسون زهولز. شركة لندن وكنو التجارية، اتحاد زراعة القطن البريطانى.

المنطقة. هذا فى واقع الأمر، ليس هو الموقع الدقيق نظرا لوجود عدد كبير من مواطنى المقاطعات الجنوبية فى المناطق الإدارية الأخرى وبخاصة فى منطقتى مايانا وجلاديما. ومنطقة سابونجارى تعد جزءا أساسيا من المدينة ولكن السواد الأعظم من دافعى الضرائب ليسوا من السكان الوطنيين المحليين. السواد الأعظم من مواطنى المقاطعات الجنوبية من جوساو هم من اليوروبا أصلا. ويجىء الإيبو فى المرتبة الثانية بعد اليوروبا. وفى عام الماضى جرى تعيين واحد من اليوروبا رئيسا لواحدة من المناطق الإدارية فى جوساو، أى منطقة سابونجارى الإدارية على وجه التحديد. ومن سوء الطالع أن ذلك الرجل وقع فى عراك مع أحد المواطنين وبعد مقاضاته جرى تجريده من مهامه بواسطة السلطان. وأنا فى هذا الصدد أوصى بأنه فى حال إحداث أى تغير فى الحدود بالنسبة لكل من سابونجارى وميانا أن يشتمل ذلك التغيير على وضع أكبر عدد ممكن من حملة الأسهم الأجانب داخل منطقة السابونجارى الإدارية. ثم يتم بعد ذلك تعيين رئيس حى لهذه المنطقة الإدارية من غير الشماليين؛ ويجب أن يعمل هذا الرئيس بناء على استشارة مجلس صغير من الشخصيات المؤثرة من كل من اليوروبا والإيبو (هذه الشخصيات موجودة حاليا). يجب إنشاء مكتب مناسب لهذه المنطقة الإدارية. ويجب تشجيع ذلك المكتب على تسيير أمور الحياة اليومية وذلك فى إطار إدارة المدينة. سيتبقى بعد ذلك بعض مواطنى المناطق الشمالية فى هذه المنطقة الإدارية، ولكنى لا أتوقع حدوث أية مصاعب فى هذا الصدد[١].

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، ملفات سكتو الإقليمية ٤٠٧٩ أ.

كان هناك بالإضافة إلى السكان "الغرباء على المدينة" الذين جاءوا من المناطق الجنوبية، بعض آخر من المواطنين الذين وفدوا على منطقة سابونجارى الإدارية، قادمين إليها من سيراليون، وبعض آخر من البشر الذين جاءوا من ساحل الذهب، كل أولئك جاءوا إلى جوساو لأسباب تجارية أو أسباب إدارية. هؤلاء الوافدين كانت لديهم مهارة التحدث بالإنجليزية بشكل عام. وعلاوة على التجارة والمحاصيل النقدية، كان قد جرى أيضا اكتشاف الذهب فى منطقة زامفارا، وبدأ عمال المناجم فى الوصول إلى منطقة جوساو. وتحولت المنطقة إلى معمل من معامل التغيير الاجتماعى. وهنا بدأ كثير من قطاعات العالم الاستعمارى تتجمع بعضها إلى بعض.

هذه الأحياء الشرقية الأربعة عشر تقرر وضعها داخل إطار إدارى جديد، نظرا لصعوبة المواصلات بين هذه الأحياء وسكتو. وتقرر وضع مستشار من سكتو ليكون مسئولا عن هذه الأحياء الشرقية، ويقوم بعملية التنسيق بين أنشطة رؤساء الأحياء فى المنطقة. يضاف إلى ذلك، أن خزانة فرعية سيجرى إنشاؤها فى المراكز الجديدة فى جوساو. وتقرر أن يكون أحمد بللو هو ذلك المستشار الجديد، وكان أحمد بللو قد حصل قبل ذلك على لقب "المستشار السياسى الرئيسى" Sardauna.

هذا يعنى أن إدارة المناطق الشرقية الأربعة عشر ظهرت عن طريق التجربة والخطأ. وقد أورد الممثل البريطانى المقيم فى سكتو، المقترحات التالية فى الرسالة التى أرسلها إلى ضابط الحى فى سكتو (بتاريخ ٢٦ يونيو من عام ١٩٣٨):

> **يتعين إيفاد عضو من أعضاء المجلس إلى جوساو على أن يبقى فيها إلى أن يكتمل تحصيل الضرائب (وبوسعه زيارة سكتو إذا ما تطلب الأمر ذلك لكى يرسل تقريره ويداوم الاتصال بنا): بعد الانتهاء من تحصيل الضرائب يتعين على هذا العضو تمضية فترات طويلة فى جوساو، ونحن لا يتعين علينا، كما حدث فى الماضى، ترك جوساو بلا عضو من أعضاء المجلس لفترات طويلة،**

لأن ذلك يتعارض مع الأساس الذى تقوم عليه عملية إعادة التنظيم، وهذا يُصَعِّب الأمر على ضابط الحى فى جوساو. وهذا هو أمير رباح جرى إرساله إلى هناك ليكون عضوا ممثلا للمجلس فى جوساو، ولذلك أنا أود أن يصلنى من السيد وليامز، فى الوقت المناسب، تقرير عن مجريات الأمور هناك. وأنا بمحض المصادفة وجدتنى أهتم بالشك الذى أثاره السيد وليامز؛ وأنا أعنى بذلك، هل الغول أو بالأحرى البعبع الذى وضعه كل من "ضابط الحى وعضو المجلس فى جوساو كان ينزع إلى موقف الفصل تجاه سكتو وتقليل ارتباطها بالسلطان"، هل هذا الموقف كان من صنعنا نحن أم من صنع السلطان ومجلسه؟ على أى حال، لقد حصلنا على جوساو، وحصلنا أيضا على ظروفها الخاصة، ويتعين علينا إدارة المنطقة بما يتفق مع ما يقول به السيد وليامز، أى بمعنى أن غول الفصل أمر مبالغ فيه. المفترض، كما هو الحال فى الأماكن الأخرى، أن أشياء كثيرة تعتمد على ولاء ولباقة وذوق ضابط الحى فى جوساو هو وعضو المجلس. ولدينا ميزة أخرى حاليا؛ هى أن السلطان الجديد، عندما كان مستشارا سياسيا رئيسيا Sardauna، كان يتناول ويتعامل مع موضوع جوساو طوال سنوات عدة. وهو يعرف المنطقة بكل تفاصيلها ويقدر المصاعب التى تواجه أولئك المسئولين عن إدارتها. وهذا بحد ذاته يمكن أن يكون عونا كبيرا لنا فى تخفيف الاحتكاك. هذا يعنى أن ضابط الحى هو وعضو المجلس يجب أن تطلق أيديهما فى جوساو وأن يسمح لهما بالقيام بعملهما شريطة عدم إقحام السياسة فى الموضوع.. وأنا أعتبر جوساو واحدة من المحطات الإدارية المهمة. وأنا

لن أقبل مطلقا إذا ما استطعت ذلك، إحداث أى تغيير فى هذا الموقع أو فى ضابط الحى المخصص له، وأن يكون ضابط حى جوساو أقدم وأرقى من ضابط حى أرجونجو أو بالأحرى أقسام جواندو[1].

فى المراسلات التى جرت بين ضابط الحى فى سكتو وضابط الحى فى جوساو هناك إشارات مستمرة إلى وجوب مواظبة " أمير رباح على إبلاغ السلطان بما يدور[2]".

فى عام التالى نجد الممثل البريطانى المقيم السيد كارّو يكتب إلى ضابط حى سكتو "أمير رباح السابق، المشار إليه فى الفقره ٣ (أ) من الصفحة ٢٤ من هذا التقرير، أصبح هو المستشار الرئيسى Sardauna كما أنه هو عضو المجلس عن جوساو. وأنا لست راض تماما عن التطورات التى تطرأ على منصبه، ويبدو أنه يقضى فترات طويلة فى جوساو ولا يعود إلى سكتو فى كثير من الأحيان"[3]. وها هو ضابط الحى فى جوساو يبدى الملاحظات التالية:

منذ شهر يونيو من عام (١٩٣٨) والمستشار السياسى الرئيسى Sardauna موجود فى المنطقة بصورة مستمرة اللهم باستثناء أربعة أسابيع كان خلالها فى سكتو، فى شهرى ديسمبر ويناير. خبرتى خلال هاتين الفترتين المتعارضتين لا تجعلنى أشك فى أن وجود عضو المجلس فى "منطقة جوساو" يعد أمرا مهما فى إدارة هذه المنطقة إدارة كفؤة. على كل حال، أنا أرى أنه يتعين عليه القيام بزيارات دورية إلى سكتو اللهم إلا إذا كان قد التقى السلطان منذ وقت قريب أثناء قيام السلطان بجولة من

---

(١) المرجع السابق، الملف رقم ٤٥٣٥ "إدارة منطقة جوساو".

(٢) المرجع السابق، ٣٠ يونيو ١٩٣٨، إدارة منطقة جوساو.

(٣) الممثل البريطانى المقيم السيد كارّو إلى ضابط الحى، سكتو، ٢٣ فبراير ١٩٣٩.

جولاته التفقدية. لقد أثبت المستشار السياسى الرئيسى أنه نشيط وعلى درجه طيبة من الكفاءة: وهو يحظى باحترام رؤساء الأحياء والناس، كما أن معرفته للغة الإنجليزية مفيدة جدًا فى تعامله مع مواطنى الجنوب ومع الأوروبيين الذين لا يجيدون لغة الهوسا. وهو فيه بعض النقائص الشخصية التى تعرفها أنت والممثل البريطانى المقيم والسلطان: ونحن نأمل أن يتخلص من هذه العيوب. أنا نفسى لم أر شيئا يوحى بأن مسألة "الفصل" لها أى وجود. وعلى حد علمى فإن العلاقات بين السلطان والمستشار السياسى الرئيسى Sardauna على ما يرام ولم يطرأ بينهما ما يعكر صفو هذه العلاقات جراء محاولتنا تطبيق الفقرة ٣ (ب) من محضر الممثل البريطانى المقيم. يضاف إلى ذلك أن منزل المستشار السياسى الرئيسى فى جوساو أصبح الآن على ما يرام، ولكنه يحتاج إلى مكتب خاص به وقد تكون هناك فائدة إذا ما ألحقنا عليه مُعَلِّما من المعلمين[١].

يقول الرد الوارد من قسم سكتو:

أنا أشك فى حكمة أن يكون للمستشار السياسى الرئيسى Sardauna مكتبا. بوسع هذا الرجل أن يكتب ما يشاء فى بيته. هو عضو جوال من أعضاء المجلس ولذلك يتعين عليه البقاء خارج بيته لفترات طويلة وذلك على العكس من ضابط الحى. يضاف إلى ذلك أن بعض أعمال هذا الرجل الكتابية يتعين على رئيس الحى القيام بها وذلك

(١) المرجع السابق، من ضابط حى جوساو إلى ضابط حى تقسيم سكتو، رقم ٢ ٧١ جوساو، ٢٣ فبراير ١٩٣٩.

> بناء على توجيه منه؛ وعلى سبيل المثال لقد قام المستشار السياسى الرئيسى بكتابة تقرير على درجة عالية من الكفاءة فى موريكى Moriki، وذلك فيما يتصل بالإجراءات التى جرى اتخاذها بشأن وفاة مواطن جنوبى. وقد أوضحت له أن ذلك التقرير كان يتعين أن يصل إلى السلطان من رئيس الحى، وسألته إن كان بوسعه تقديم يد العون فى هذه المسألة إلى حد بعيد. والذى حدث أن العمل الذى قام به المستشار السياسى الرئيسى كانت له قيمة تربوية صغيرة. والرجل على درجة عالية جدا من الكفاءة وصبور جدًا، وفى ضوء التوجيه والمشورة بين الحين والآخر من ضابط الحى فى جوساو، وعلى هدى من تلك الخطوط (أى تهميش رغبته الطبيعية فى تصحيح الأخطاء على الفور وسلوك الطريق الأصعب الذى يقوم على إجبار رئيس الحى على القيام بذلك أو تحقيقه من طريق آخر) يمكن أن يكون المستشار السياسى عونا ومعنيا قيما للسلطان[١].

"زيارات المستشار السياسى الرئيسى Sardauna إلى سكتو" لا تتحسن، بل أصبحت مصدرا من مصادر القلق للضباط البريطانيين. فيما يلى ملخص لذلك الاستعراض الطويل للموقف فى عام ١٩٤٠، فى الرسالة التى أرسلت إلى كبير رؤساء الأحياء:

> طلب منى الممثل البريطانى المقيم كتابة تقرير عن مهمة المستشار الجوال فى جوساو. فى عام ١٩٣٩ لم تكن زيارات المستشار السياسى الرئيسى إلى سكتو متكررة أو على فترات منتظمة. واعتبارا من نهاية شهر يوليو إلى نهاية شهر ديسمبر لم يزر الرجل سكتو على

(١) المرجع السابق.

الإطلاق. وأنا أرى أن من الأهمية بمكان أن يكون المكتب المركزى فى جوساو عضوا فى مجلس السلطان ولكن مسألة تعيين مستشار لا طائل من ورائها إذا لم يحضر مثل هذا المستشار اجتماعات المجلس. هناك أسباب عدة تقف وراء تأجيل زيارة المستشار السياسى الرئيسى لسكتو. فى بعض الأحيان كان ضابط الحى فى جوساو مسئولا عن ذلك التأجيل، وفى بعض الأحيان الأخرى كان السلطان يقول له، إنه لا داعى لحضوره إلى سكتو نظرا لأن السلطان سبق أن التقاه فى جوساو، وعندما بدأت الجلبة والضوضاء كان من المناسب السماح للمستشار السياسى الرئيسى بالتواجد فى الغابة، حسب الطلب، وأن تعطى له فرصة التعاون مع كاتسنا.

وأنا هنا اقترح أن يكون هناك نظام وخطة يتعين الالتـــزام بـــها من قبل المستشـــار السياسى الرئيـــسى ولا يقتصر الأمر على طلب الزيارات الخاصة. ولذلك أقترح أن يكون الأربعاء الثالث من كل شهر موعدًا لوصول المستشار السياسى الرئيسى إلى سكتو وبذلك يصبح فى وسعه حضور اجتماعين من اجتماعات المجلس. مثل هذا التاريخ يسمح بوجود المستشار السياسى الرئيسى فى سكتو خلال الفترة التى يصل فيها مراسلو الأحياء لمقابلة السلطان وتسلم رواتبهم، وبذلك يمكن أن يكون المستشار السياسى الرئيسى موجودًا إذا ما استدعى الأمر وجوده. وأرى أيضا أن نوفر له وسيلة انتقال طوال عام.

المستشار السياسى الرئيسى من المدرسين الصبورين ويجب تشجيعه على البقاء فى خلفية الصورة، وترك رؤساء الأحياء يقـــومون بالمطلـــوب منهم. وأنـــا لا أعتقد أن السلطان، كان يحصل خلال عام ١٩٣٩ على

تقارير كثيرة من رؤساء الأحياء كما ينبغى. هذا يعنى أن المستشار السياسى الرئيسى يتعين عليه أن يُرى رؤساء الأحياء كيف يعدون تقارير مختصرة على الأمور التى تعن لهم، على ألا تتحول المسألة إلى أمر روتينى بحت، أثناء الزيارات التى يقوم بها هذا الرجل (المستشار السياسى الرئيسى). ينبغى أن يبلغه السلطان أنه يتعين عليه الامتناع عن الاستماع إلى الشكاوى على نحو يترتب عليه حلوله هو محل رئيس الحى؛ هذا يعنى أن المستشار السياسى الرئيسى يتعين عليه، مثلما نفعل نحن، إرسال الشاكين إلى رؤساء الأحياء، على أن يقوم هو بمتابعة الأمور من وراء ستار. وهذا أمر غاية فى الأهمية فى جوساو التى يحس فيها رئيس الحى بأن سلطته أصبحت معرضة للخطر.

فى عيسى Isa يتعين على المستشار السياسى الرئيسى تحاشى الإشارة إلى "القرابة" التى بينه وبين أمير جوبير، كما يتعين عليه أيضا تحاشى مشاعر القرابة وأن يحول بينها وبين التدخل فى عمله الإدارى.

أنا لا أعرف ذلك الذى حدث فى عام ١٩٣٩ الميلادى ولكن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى عام ١٩٣٨ كان مثالا سيئا لرؤساء الأحياء، لأنه استغل خدمه الخصوصيين فى مساعدة رؤساء القرى فى جمع الضرائب. وقد تقدم لى أحد المواطنين من زورمى Zurmi بشكوى فى شهر ديسمبر من عام ١٩٣٨ مفادها أن خادما من خدم المستشار السياسى الرئيسى احتجز من أجره النهائى مبلغ ستة بنسات. هذا يعنى أن هذا المستشار يتعين أن يكون لديه هيئة كفؤة من موظفى الإدارة المحلية ومن المراسلين ويجب أن لا يستغل خدمه الخصوصيين فى القيام بالأعمال الرسمية.

خلاصة القول هى أن التوصيات أرى أن تكون على النحو التالى:

أ) المستشار السياسى الرئيسى يجب أن يصل إلى سكتو فى يوم الأربعاء الثالث من كل شهر ويغادرها فى يوم الجمعة أى بعد مجيئه بتسعة أيام، ويستثنى من ذلك شهرى يوليو وأغسطس وهو الموعد الذى ينتقل خلال المستشار على ظهر حصانه.

ب) ينبغى توفير سيارة تكون تحت تصرف المستشار السياسى طوال العام، على أن يقوم فى الفترة من أبريل إلى نوفمبر بالتنقل على ظهر حصانه. كما يتعين عليه تنويع طريقه فى العودة إلى المنطقة الشرقية.

جـ) يجب أن يسند إليه كثير من الأعمال التى من قبيل تخطيط المدن فى كل من كاورا نامودا Kaura Namoda وكويمبايا Kwiyambana، وسابون بيرنى Sabon Birni كما يتعين عليه الإشراف على حملات التصحيح فى الأحياء.

د) استراحات المستشار يجب بناؤها فى كل من سابون بيرنى ومافارا Mafara، وعيسى، وكويمبانا، وأن تكون تلك الاستراحات مخصصة لاستعمال المستشار ويتعين أن تكون له استراحة طيبة فى كاورا نامورا، وأن تكون مجهزة لإقامته فيها مدة أطول من المدة الحالية.

هـ) يتعين على المستشار أن يظل فى الخلفية ويقوم بتعليم رؤساء الأحياء، ويجعلهم يقدمون تقاريرهم عن الموضوعات التى تجرى مناقشتها وعن المسائل المهمة كلها. ويتعين على المستشار تحاشى أن تكون له يد مباشرة فى إدارة الأحياء وبخاصة حى جوساو.

و) يتعين على المستشار التعامل مع حى عيسى بنفس شروط تعامله مع الأحياء الأخرى وألا يسمح للقرابة بالتدخل فى هذه المعاملة.

ز) يتعين أن تكون لديه هيئة كافية من المراسلين والسعاة وألا يستخدم خدمه الخصوصيين فى المهام الرسمية(١).

فى اليوم التاسع والعشرين من شهر أغسطس من عام ١٩٤١ الميلادى كتب السيد روس Ross من جوساو إلى سكتو يقول: "المستشار السياسى الرئيسى Sardauna (باعتباره ذكيا، ومجدًا ويتكلم الإنجليزية) هو أنسب الخيارات للقيام بهذا العمل. حضور المستشار لجلسات المجلس ينبغى ألا تكون نادرة مثل حضور اللورد هاليفاكس Halifax". ويبدى الممثل المقيم ملاحظة أخرى مفادها: "فيما يتعلق بسيارة المستشار السياسى الرئيسى: هناك انطباع مفاده أنها جرى سحبها لأسباب تتعلق بالنظام. وكما تعلم فإن السبب فى ذلك هو تآكل سيارته السابقة الأمر الذى لم تتح له على أثره سيارة أخرى"(٢).

يتفاقم الموقف ليصل إلى ذروته فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤١، عندما يكتب ضابط الحى التابع إلى تقسيم سكتو، إلى ضابط الحى فى جوساو ليقول له: "يجب أن تنبه المستشار السياسى الرئيسى إلى الترتيبات القائمة المتفق عليها فيما يتعلق بزياراته الشهرية إلى سكتو. هذا الترتيب حظى بموافقة السلطان"(٣).

فى عام ١٩٤٢ وعندما بلغت الحرب ذروتها، والخوف الذى كان يتملك فرنسا على حدود سكتو (والأحياء الشرقية)، يزداد القلق من قلة اتصال المستشار السياسى الرئيسى مع سكتو. وهذا هو الممثل البريطانى المقيم السيد كارّو Carrow يكتب لضابط الحى، فى جوساو، فى اليوم السابع من شهر يوليو من عام ١٩٤٢ ليقول له: "لقد نوقش الأمر مع السلطان، وهو يتفق معى على أن، فى ظل طوارئ الحرب الحالية، فإن ضابط الحى فى جوساو، هو والمستشار السياسى الرئيسى

---

(١) المرجع السابق ٢/١/٤٠.

(٢) المرجع السابق (روس)، جوساو ٢٩ ٨ ١٩٤١م.

(٣) المرجع السابق. مذكرة، رقم ٥٣٥؛ ٩٩، سكتو. فى ١٨ أكتوبر من عام ١٩٤١.

(الذى هو بمثابة الممثل المقيم للسلطان هنا فى هذه المنطقة) يجب أن يميزا ويتخذا المزيد من الإجراءات المباشرة أكثر مما هو منتظر فى وقت السلم"[١]. هناك ثغرة فى المراسلات فى هذه المرحلة، وتستمر هذه الثغرة إلى أواخر عام ١٩٤٣، وعودة المستشار السياسى الرئيسى إلى سكتو باعتبار ذلك جزءا من إعادة تنظيم المجلس فى عام ١٩٤٤ الميلادى.

رواية أحمد بللو عن هذه الفترة لا تتطرق إلى الفجوة المتزايدة مع السلطان أو مع الإدارة الاستعمارية فيما يتعلق بمسألة علاقات أحمد بللو برؤساء الأحياء ومع السلطان نفسه. وبدلا من التعرض لهذه المسألة، نجد أحمد بللو يركز على الزيادة الكبيرة فى الواجبات المسندة إليه، بما فى ذلك مسألة تعبئة جنود الاحتياط اللازمين للحرب وتوفير الحبوب اللازمة للقوات. وهنا نجد أحمد بللو يتذكر الجولات والرحلات المضنية التى قام بها وكذلك التعليقات: "كنت أرسل التقارير عن الجولات التى أقوم بها إلى السلطات، وكان الضابط البريطانى يبلغ تلك التقارير للممثل المقيم فى سكتو. ولم ينتج عن ذلك شىء كثير. وكان على المرء إذا ما أراد شيئا أن يذهب ليحضره أو يكافح من أجل الحصول عليه. هذا يعنى أنهم كانوا يرسلون الرد على وجه السرعة إذا ما كانوا يريدون شيئا"[٢].

خلال هذه الفترة (أى فى عام ١٩٤٠)، يتزوج أحمد بللو من أمينة، ابنة رئيس حى كنو (أبو بكر، رئيس حى بيشى Bici)، التى تنجب له ثلاث بنات. وهذه أيضا هى الفترة التى توفت خلالها أمه (فى أواخر ثلاثينيات القرن العشرين).

فى مساء أحد الأيام فى جوساو فى عام ١٩٤٣ الميلادى، جاء صديق إلى[٣] منزل أحمد بللو، وهذا نقلا عن "كتاب سيرتى الذاتية"، ليقول لأحمد بللو:

---

(١) المرجع السابق، جون هـ. كارو، الممثل البريطانى المقيم فى مقاطعة سكتو، إلى ضابط الحى فى جوساو، رقم ٢٥/٤٥ ١٠٢ أ، سكتو، ٧ يوليو من عام ١٩٤٢.

(٢) أحمد بللو، المرجع السابق ص ٥٨.

(٣) يدخل فى ذلك يحيى جوساو، الذى جاء من جوساو ليبدأ الدراسة فى كلية كاتسنا فى عام ١٩٣١، أى فى الوقت الذى كان أحمد بللو على وشك التخرج منها. (كان المستشار السياسى الرئيسى يحضر إلى=

"انتبه هناك مؤامرة تحال ضدك، وعلى نحو تقع فيه فى فخ يصعب الفكاك منه". وعندما سألته عن نوعية تلك المؤامرة، قال إن الناس يجرى تنظيمهم لتقديم الشكاوى ضدى حتى يمكن رفع قضايا على أمام المحاكم. ورددت عليه، "توكلت على الحى الذى لا يموت". بعد ذلك بأسبوع بلغنى أن بعض (رعاة البقر المترحلين) من الفولانيين، قيل لهم أن يدَّعُوا أنى حصلت منهم على الضريبة فى شكل ماشية وأن تلك الماشية لم تدخل إلى الخزانة[1].

محاولة إزاحة المستشار السياسى الرئيسى عن جوساو يؤكد التحدى الكبير الذى كان يواجهه هذا الرجل فى ذلك الوقت، كما يؤكد أيضا ابتداء ذلك الرجل أيضا "لمستقبله العملى السياسى".

٤ ـ التحدى وردود الفعل (١٩٤٣):

مزايا رفع قضية على أحمد بللو، تبدو أقل بكثير من القوى السياسية التى جرى حشدها على الجانبين. يكفينا هنا أن نقول: إن أحمد بللو كان يتلقى طوال حياته عطايا وهدايا، وبخاصة أولئك الذين يعرفون باسم "خلف الشيخ عثمان بن فودى" garawa؛ إذ كانوا يحصلون على تلك الهدايا والعطايا من الرعاة الريفيين الفولانيين ومن تجار الهوسا بصفة خاصة. كان الأمر يكاد يكون تحصيل حاصل، إذ كان

= فصل يحيى لإلقاء بعض الدروس). بعد أن أنهى يحيى كلية كاتسنا فى عام ١٩٣٦، عين فى مدرسة كنو المتوسطة للتدريس فيها، ولكنه واصل اتصاله بأحمد بللو يوم أن كان فى جوساو. كان يحيى من ضمن المجموعة المتعلمة الأولى التى سافرت إلى لندن (١٩٤٥) وكان عنصرا مهما فى الجماعة المتعلمة فى زاريا. (مقابلة شخصية، يحيى جوساو، ١٨ يوليو ١٩٨٣، كادونا).

(١) أحمد بللو، المرجع السابق ص ٥٨.

المستشار السياسى الرئيسى Sardiuna "يعيد تدوير" تلك الهبات والعطايا، عن طريق تمريرها لأناس آخرين. كانت تشكيلة الهبات والعطايا والهدايا التقليدية التى كان الناس يقدمونها للمستشار مصدر قلق مستمر لأفراد الإدارة الاستعمارية البريطانية؛ وكان مقدمو هذه الهدايا يلجأون إلى هذا الأسلوب إذا ما أرادوا إدخال أى أحد من هذه المنظومة التقليدية فى الإسلام. وليس هناك من الدلائل ما يشير إلى أن المستشار السياسى أساء استعمال الأرصدة عامة، وكان الناس ينظرون إليه بل ويعتبرونه حصيفا وذكيا عندما كان يفصل الأرصدة الخاصة عن الأرصدة عامة.

وكتاب "سيرتى الذاتية" واضح وصريح فى هذه النقطة:

> **بعد إجراء التحريات اللازمة عن طريق موظف من موظفى الإدارة المحلية، خصصته لهذا الغرض، طلب منى المثول أمام محكمة السلطان. حاكمونى، وصدر ضدى حكم بالحبس مدة عام. ولما كنت أعرف سمعتى وعلى يقين من أخلاقى ومعاييرى، ووعى أيضا للطريقة التى حاكمونى بها، فقد استأنفت الحكم أمام محكمة الاستئناف. وقبل القاضى العلاَّمة (السيد آميس Ames)، هو واثنان من المحلفين المسلمين، الاستئناف المرفوع منى، وترتب على ذلك تبرئتى وإخلاء سبيلى(١).**

نظرا لأن السلطان الذى حاكم أحمد بللو، أو بالأحرى نظر فى القضية المرفوعة عليه، كان ما يزال على قيد الحياة فى ذلك الوقت الذى أزمعنا فيه القيام بهذا البحث، فإن الموضوع جرت مناقشته مناقشة مقتضبة، حتى من جانب العالمين ببواطن الأمور. يضاف إلى ذلك أن سجلات المحكمة غير متوفرة. ولذا لجأنا إلى هذه القصاصات أو النتف المقتضبة من التاريخ الشفهى التى يمكن أن ترسم لنا الصورة التالية.

---

(١) المرجع السابق.

قدم إبراهيم مجاجن جارن أرجونجو، يد العون والمساعدة إلى المستشار السياسى فى جوساو[1] خلال الفترة من ١٩٤٢ - ٤٤. يذكر إبراهيم مجاجن جهودهما فى سبيل توفير العمال اللازمين للمناجم والعمال اللازمين لحصاد القمح من أجل المجهود الحربى. كان هناك ضابط حى كبير، هو السيد تى. إف. جى. هوبكنز، الذى كان قاضيا أيضا، وكان يعمل بصورة وثيقة مع أحمد بللو، وكان ينظر إليه باعتباره رجلا جادًا، وكفؤا، ومنتظما وملتزما ومواظبا. (يبدى إبراهيم ملاحظة مفادها أنه عندما كان يطبع خطابات أحمد بللو كان الرجل يصر على عدم ارتكاب أية أخطاء فى الطباعة) كان أحمد بللو رجلا صاحب شعبية كبيرة، ولكن كانت له بعض المشكلات مع الإدارة البريطانية. فى عام ١٩٤٣، كان هوبكنز مفوضا عندما حدثت الفضيحة. إذ جرت محاكمة المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) والحكم عليه من محكمة السلطان. وأستأنف الرجل الحكم أمام محكمة زاريا العليا، وبمساعدة أناس كثيرون فى هذا الاستئناف. وبعد اقتناع شديد، أبلغ هوبكنز إبراهيم أنه كان يعرف كل شيء عن القضية والظروف المحيطة بها، بل إنه كان متورطا فيها بشكل أو بآخر ومعينا بها أيضا.

هناك رواية أخرى وردت على لسان مجاجن جارى على السُكتى[2]. فقد اقتيد المستشار السياسى الرئيسى Sardauna بعد الحادث الفولانى إلى السجن، وبقى فى السجن مدة شهرين انتظارا لمحاكمته فى زاريا. وطوال وجوده فى السجن، كان أحمد بللو يرتدى ملابسه بالطريقة التى سبق أن اعتاد عليها. ثم غيرت الحكومة رأيها وقدمت له محام ليساعده فى عملية الاستئناف. لم يصعب أحمد بللو

---

(١) مقابلة شخصية مع، إبراهيم مجاجن آرجونجو. فى ١١ سبتمبر من عام ١٩٨٣. وفى عام ١٩٤٢، بدأ العمل فى الإدارة المحلية فى سكتو وأرجونجو، فى البداية كاتبا فى التربية والتعليم ثم فى الخزانة. وفى الفترة من ١٩٤٢ - ٤٤ انتقل الرجل إلى الخزانة فى الإدارة المحلية فى سكتو. وفى عام ١٩٤٦ أصبح الرجل أمينا للخزانة فى الإدارة المحلية بأرجونجو - كما شغل الرجل أيضا منصب السكرتير البرلمانى، فى وزارة الأشغال، فى عام ١٩٥٥ (أى فى الوقت الذى كان فيه أحمد بللو رئيسا للوزراء). وفى عام ١٩٥٦، أصبح الرجل سكرتيرا لمجلس حى الإقليم الشمالى، فى الوقت الذى كان فيه أحمد بللو رئيسا لهذا المجلس. وفى عام ١٩٥٩ نقل الرجل الذى زاريا. لرئاسة مؤسسة جريدة جاسيكا (الحقيقة). وفى عام ١٩٦١ أصبح الرجل سكرتيرا للجنة الخدمة العامة، ثم بعد ذلك سكرتيرا إقليميا فى كاتسنا؛ ثم سكرتيرا دائما، وفى عام ١٩٦٧ أصبح سكرتيرا دائما للعقار والمساحة.

(٢) على، مجاجن جارى، المرجع السابق.

الأمر على الناس. وكان على يمضى معه يوميا ما بين ساعتين وثلاث ساعات فى كل مرة، يروحان خلالها يدردشان سويا. لم يكن فى ذلك حرج أو خجل. وكان أحمد بللو يقول: "الدوقات يدخلون السجن فى بعض الأحيان".

كان الوزير الجواندى عمر ناظرا للمدرسة الابتدائية المركزية ولم يكن، فى حقيقة الأمر، يعرف ما يجرى. كان أمير جواندو فى ذلك الوقت هو المسئول عن الخزانة، وكان فى جوساو، ثم جاء الرجل إلى عمر ليخبره أن أحمد بللو Sardauna ألقى القبض عليه من قبل محكمة السلطان. وأحس عمر بالغضب والضيق إحساسا شديدا الأمر الذى جعله يؤلف قصيدة بعنوان قصيدة المستشار Wakar Sardauna، أرسلها إلى كل من المستشار السياسى الرئيسى، وإلى أصدقائه، وكان يمتدح فى هذه القصيدة أمانة المستشار وشخصيته. وأصر المستشار على تمزيق القصيدة وإلا سببت له المتاعب. (ما يزال عمر يحفظ القصيدة عن ظهر قلب)[1]. كان لدى المستشار السياسى الرئيسى كلام خشن وجاف فى حق أولئك الذين ألقوا القبض عليه[2].

---

(١) تمكن عمر من إلقاء القصيدة. وقد سجلها المؤلف على شريط فى برنن كبّى. فى اليوم التاسع من شهر مايو من عام ١٩٨٥. والقصيدة تسير على النحو التالى:

قصيدة للمستشار (*)

(١) أشكر الله القدير فأنا لم أعد مهموما بعد/ أنا سعيد/ سعيد جدا وأتمتع بالأخبار التى وصلتنى/ مع بداية الشهر الماضى/ جعلتنى أشعر بالغثيان/ وحتى وإن كنت منشرحا لا أستطيع أن أضحك.

لكن ليلة أمس فقط/ الأخبار التى وصلتنى/ أسعدتنى وأفرحتنى/ جعلتنى أستشعر التصحيح/ وقد فغرت فمى وعليه ابتسامه.

أصغ. فسوف أترجم/ الأغنية ليست أمرا صعبا/ لقد أطّرتها تحت أى ظرف من الظروف/ وعندما بدأنا بيتا لم تتوقف.

الله القادر/ عندما يختار شخصا ويغنيه يتعين على الناس الرضا بذلك دون إساءة.

انتبهوا يا أخوان/ إلى الخطوط التى على الدجاجة الغينية/ سواء مسحتموها بأيديكم/ أو حتى عندما تضيفون الماء فإن هذه الخطوط لن تختفى أو تزول.

هكذا فإن الله الواحد الأحد اختارك يا أحمد للموقف الذى لا يخشى الخوف/ وحتى فى وجود المتاعب. فأنت لا تستسلم أو تخضع.

(*) راجع ملحق الكتاب رقم ١ و ٢ حيث الأصل الهوساوى لهذه القصيدة.

(٢) مقابلة شخصية مع عمر وزير جواندو، فى يوم ١٢ سبتمبر من عام ١٩٨٣. بيرنن كبّى.

ونقلا عن المراقبين المطلعين طوال فترة عام ١٩٤٣ الميلادى، أى يوم أن كان أحمد بللو Sardauna يحاكم بتهمة اختلاس ضريبة من الضرائب. فإن إبراهيم دسوقى كان يلقاه بصورة منتظمة. لم يذهب أناس كثيرون من أهل سكتو لزيارة المستشار السياسى الرئيسى فى السجن، كما أن المستشار نفسه لم يكن على وئام مع السلطان. (ومع ذلك، كان أناس كثيرون يترددون على منزل المستشار خلال هذه الفترة: ومنهم المرحوم محمد جوساو، المعلم وكيل المدرسة)، ومجاجن جارى على، وإبراهيم الدسوقى، وكلهم كانوا يعيشون بالقرب من منزل أحمد بللو. وفى إحدى المناسبات جاء مراسل (يدعى جاكادا الرباحى) ليبلغ إبراهيم الدسوقى أنه سمع الناس يتكلمون عن المستشار السياسى الرئيسى فى القصر، وأنه كان يجرى ملاحظة أولئك الذين يزورون المستشار. وأن مسألة الضريبة تلك لها علاقة وصلة بعلاقات المستشار مع السلطان.

وهذا هو ميتامى سول Maitami Sule يدلى بدلوه، مؤكدا على موقف كنو من هذا الحادث[١]. خلال أزمة عام ١٩٤٣ الميلادى، كان سنوسى Sanusi (الذى عين فيما بعد أميرا لكنو)، واحدًا من أصدقاء المستشار السياسى (أحمد بللو)، وأنه هو الذى أحاله إلى إيان زازو Iyan Zazzau (الذى أطلق عليه فيما بعد اسم أمين أمير زاريا)؛ هذا الرجل هو الذى أستأجر محاميا للمستشار لأنه كان يعرفه حق المعرفة. كما قررت المحكمة العليا أيضا السماح لبعض القضاة المحليين بالمشاركة فى الإجراءات، وكان منهم:

١) قاضى قضاة كنو (المدعو بشير)؛ وقاضى قضاة زاريا (المدعو لاوال Lawal).

هذان القاضيان عرف عنهما العدل والصراحة. وطلب إلى هذين القاضيين أن يكونا على منصة محكمة الاستئناف مع القضاة الآخرين أثناء محاكمة المستشار السياسى الرئيسى. وأصدر (سنوسى) تعليمات مهذبة لقاضى كنو وأطلق سراح المستشار وتقرر له العودة إلى عمله. كانت تلك هى بداية الصداقة المتينة بين سنوسى والمستشار السياسى الرئيسى فى السنوات الأولى.

---

(١) مقابلة شخصية مع ميتاما سول. فى ٢٧ يونيو من عام ١٩٨٤، كنو.

وهذا هو آبا جدّوم جانا Abba Jiddum Gana، الذى كان فى كادونا يروى روايته هو الآخر[1]. أراد السلطان فى عام ١٩٤٣ الميلادى حبس المستشار السياسى الرئيسى بتهمة الفساد. كان إبراهيم دسوقى مخلصا جدًا للمستشار، وأعجب الناس به لمحاولته إنقاذ المستشار. كل الناس كانوا يعتقدون أن المستشار حصل على نقود من الفولانيين، أما هو "فقد كان يعرف أن ذلك لم يكن صحيحا". كل الناس فى ذلك الوقت كانوا يقبلون الهدايا والعطايا، وأن الناس كانوا يحسون بالخوف إذا ما رفض قائد أو زعيم قبول تلك الهدايا أو العطايا. ولكن السلطان كان يسعى وراء الإمساك بالمستشار. واعتبر البريطانيون أن ذلك من قبيل الرشوة والفساد. وبعدها فهم البريطانيون أن مسألة تدمير أمير متعـُلم وتحطيمه أمر لا معنى له، وهنا نصحوا السلطان بالابتعاد عن المستشار السياسى الرئيسى، وتركه لحال سبيله. وترتيبا على ذلك، جرى وضع المستشار السياسى الرئيسى ضمن مجلس السلطان. كان على مجاجن جارى هو ومسئول التعليم من ضمن أعضاء المجلس أيضا. كان المرافا أحمد[2] كاتبا، ومن ثم لم يكن عضوا فى مجلس السلطان. كان أحمد أصغر بكثير من أحمد بللو ومخلصا جدًا له. كل هؤلاء كانوا من العائلة. من هنا يمكن القول إن مجلس سكتو كان فيه فريقان: فريق المستشار السياسى الرئيسى فى مواجهة فريق السلطان.

---

(١) مقابلة شخصية، آبا جدّوم جانا، ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤. ميدوجورى Maiduguri.

(٢) ولد أحمد مرافا سكتو فى عام ١٩٢٥ وتوفى فى عام ١٩٨٣. التحق الرجل بمدرسة سكتو المتوسطة. ثم أصبح فيما بعد كاتبا فى الإدارة المحلية (جنبا إلى جنب مع أمير كودو). التحق الرجل بمعهد الإدارة فى زاريا فى الفترة من ١٩٤٦ – ٤٨، وفى عام ١٩٤٨ أصبح الرجل كاتبا فى مجلس سكتو المركزى وكان وثيق الصلة بالمستشار السياسى الرئيسى Sardauna. استمر الرجل فى ذلك المنصب، ثم عين مارفا Marafa فى عام ١٩٦٤. وفى حوالى عام ١٩٥٦ – ٥٧ كان الرجل ممثلا فى جده. ثم عين الرجل رئيسا لهيئة سدود النيجر ثم بعد ذلك رئيسا لهيئة القوى الكهربية الوطنية. كانت زوجة المرافا الأولى تدعى حديثة Hadiza وهى ابنة الأمير باكى Baki. كما تزوج الرجل أيضا شقيقة المستشار، عائشة فى عام ١٩٥٦ وأنجب منها سبعة أطفال. (مقابلة شخصية، مع مجاجن جارى، على المرجع السابق).

(ملاحظة: لاحظ أن المرافا أحمد هو ومجاجن جارى على والدهما واحد. وهو المجاجن جارى عثمان، ولد عبد القادر، ولد محمود، ولد أبو بكر جاطا Jada).

كان أمين كانو قد التقى أحمد بللو أول مرة من خلال رابطة أبناء الكلية القدامى، التى تتكون من خليط من طلاب كليتى كاتسنا وكادونا. ونقلا عن سيرة أمين كانو الذاتية، فقد هب أمين كانو للدفاع عن أحمد بللو فى التهمة الموجهة إليه لأنه أحس أن أحمد كان ضحية لهذه المؤامرة، وأن أحمد كايسير سيرا مستقيما ويستهدف التحديث الذى كان أمين كانو يسعى إليه طوال حياته(١).

هناك روايات أخرى كثيرة، ولكن الآراء التى تتجه صوب نقطة واحدة توحى بأن المنافسات التقليدية فى إطار الحكم التقليدى فى سكتو كانت تقف وراء هذه المشكلة؛ هذا يعنى أن الإداريين المستعمرين البريطانيين كانوا يحسون بالضيق إزاء المستشار السياسى الرئيسى لأنه كان يسمح لتلك المنافسات بالتأثير على عملية التواصل والتفاهم؛ يضاف إلى ذلك أن حبس أحمد بللو فى سكتو، حدا بكثير من الشبان الصغار، الذين تعلموا تعليما غربيا إلى التجمهر والوقوف إلى جانب المستشار السياسى (وكان من بينهم أيضا موظفون مدنيون من أمثال إبراهيم الدسوقى، وآبا Abba جذّوم جانا، كما وقف إلى جانبه أيضا أبناء حكام من قبيل سنوسى الكانى وأمين الزارى Zaria، علاوة أيضا على كثير من المدرسين)؛ كل ذلك جعل البريطانيين، يدركون أن هناك انقساما خطيرا بين "الحرس القديم" و"الحرس الجديد"؛ وهنا رتب البريطانيون تسوية سلمية، وأصروا على إحضار المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) إلى سكتو ليصبح عضوا فى المجلس. وقام أمين كانو بالتبرع لصندوق الدفاع. ونقلا عن سيرة أمين كانو، فقد اعترف المستشار السياسى فى فترة لاحقة بأنه ناظر لكلية المعلمين فى مارو Maru، وأنه يشكل جيدًا "مشكورا" وكان أحمد بللو "فى كثير من الأحيان، وهو فى طريقه إلى جوساو أو سكتو، يتوقف عند الكلية لزيارتها وتناول الشاى مع ناظرها". وعندما جاء أمين كانو إلى سكتو، نزل فى منزل المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. وعندما حاول السلطان ضم أمين كانو إلى صفه، أبلغ أمين كانو أحمد بللو بكل ما كان يدور حول هذا الموضوع، وهنا استشاط السلطان غيظا(٢). وأيضا فى مدرسة مارو، وعندما كان أحمد بللو هناك، كان هناك شاب صغير متعلما تعليما غربيا ويعمل مدرسا للغة العربية هو أبو بكر جومى Gummi، الذى أصبح فيما بعد مستشارا مقربا إلى المستشار السياسى الرئيسى.

(١) فينستاين. آلان. المرجع السابق ص ١٢٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥.

يكتب أحمد بللو "فى سيرته الذاتية" عن محاكمة زاريا فيقول: "كان هناك قرابة ألفى رجل خارج مبنى المحكمة فى زاريا؛ وهلل الجميع فرحًا عندما صدر حكم المحكمة. وكانت عودتى عن طريق جوساو على شكل موكب من مواكب الانتصار"(١).

كان أحد المدرسين الشبان فى زاريا، وهو الشيخ شاجارى جزءا من هذا الموكب الاحتفالى فى زاريا، وسرعان ما بدأ الرجل التعاون مع أحمد بللو Sardauna فى المسائل الخاصة بالتربية و التعليم فى منطقة سكتو.

هذا التحدى من قبل "القوى التقليدية" للمستشار السياسى الرئيسى قابله رد فعل ضخم وهائل من الناس. فقد غضب واستاء خريجو كلية كاتسنا فى سائر أنحاء الشمال من هذا التآمر على (أحمد بللو)، وهذا هو أمين كانو، وهو أيضا واحد من المدرسين، يقف فى صف أحمد بللو Sardauna فى حال أى نزاع مع السلطان. هذه الشبكة من الرجال المخلصين من بين العناصر التى تلقت تعليما غربيا (سواء أكانوا من خريجى كلية كاتسنا أم من المعاهد التعليمية الأخرى) كان لهم وزن كبير عن البريطانيين، الذين كانوا ينظرون إلى هذه العناصر من منطلق أنهم رواد التقدم. وقدر لمجموعة الموالين لأحمد بللو من أهل سكتو، أن يكونوا رفاقا له مدى الحياة. وفى ضوء "التصالح" بين المستشار السياسى الرئيسى والسلطان، بدأت تفاصيل روايات تلك المؤامرة تبهت شيئا فشيئا. وعندما مات الوزير Waziri عباس فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٨ الميلادى، خلفه الوزير جنيد Junaidu الذى كان صديقا للمستشار السياسى منذ زمن بعيد (عندما كانا يعملان سويا بمهنة التدريس) وكان أيضا مستشارا للسلطان. كانت مهمة هذا الرجل تتمثل فى تسهيل الاتصال والتواصل بين الرجلين (أحمد بللو والسلطان) طوال فترة زمنية كبيرة. ثم جرى بعد ذلك نقل المستشار السياسى الرئيسى من جوساو إلى سكتو وبدأ الرجل يلعب دورا رئيسيا فى إدارة وتحديث إمارة سكتو.

٥- العودة إلى سكتو (١٩٤٤ - ١٩٥٤):

يكتب ضابط حى سكتو فى ملاحظة مبهمة إلى ضابط الحى فى جوساو، وذلك فى اليوم الأول من شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ فيقول: "قام السلطان بموافقة

---

(١) أحمد بللو، المرجع السابق ص ٥٩.

من الممثل المقيم بتعيين المستشار السياسى الرئيسى أحمد بللو، مسئولا عن مكتب الإدارة المحلية الرئيسى فى سكتو، على أن يكون الشيخ سيلام Silame مسئول التربية والتعليم، مستشارا مقيما فى منطقة جوساو. وسوف يتولى مسئول التربية والتعليم مهام عمله الجديد بعد شهر رمضان"(١).

فى يوم ٨ سبتمبر من عام ١٩٤٤ الميلادى، يكتب الممثل البريطانى المقيم فى سكتو، إلى سكرتير المناطق الشمالية فى كادونا ليخبره:

> **فى الفترة التى جرى خلالها تعليق مهام عمل المستشار السياسى الرئيسى باعتباره مستشارا مقيما فى جوساو، تساءل صاحب السعادة حول مسألة إحداث تعديل يتم بمقتضاه تعيين أحد أعضاء المجلس للإقامة فى جوساو ليكون ممثلا للسلطان فى مجموعة الأحياء التى تكون منطقة جوساو الإدارية. لقد درست هذا الموضوع، ولكنى تأخرت عن الكتابة فيه نظرا لأنى لا أريد الإساءة، بأى حال من الأحوال، إلى منصب المستشار السياسى الرئيسى Sardauna طوال فترة انتظار المحاكمة. وقد نقل السلطان بالفعل المستشار ليكون مسئولا عن مكتب الإدارة المحلية فى سكتو، وهو يقترح تعيين مسئول التربية والتعليم مستشارا مقيما فى جوساو. أظن أن الوقت حاليا مناسب للنظر فى أمر هذه الوظيفة.. السلطان والمجلس يؤكدان على طابع جوساو المدنى، وعدد سكانها الكبير، ونشاطاتها ومؤسساتها الكثيرة (أى المستشفى، والخزانة شبه الوطنية، ومركز إدارة الزراعة) التى ليست مجرد اهتمامات إحيائية، تترك بكاملها لرئيس حى كبير ومزدحم بالسكان. كما أكد السلطان والمجلس أيضا الحاجة إلى نظير لضابط الحى بحيث لا يكون "من أبناء الأمراء"؛ وتأسيسا على ذلك، فأنا أرى أن السلطان هو والمجلس**

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، ملفات سكتو الإقليمية، ٤٠٧٩ أ.

يتجهان صوب مفهوم رئيس حى مساعد إفريقى، وليس واحدًا من أولئك الذين يعينون من قبل الحكومة المركزية، وإنما من قبل الحكم المحلى، وأن يكون من عاملين فى الحكم المحلى[١].

كانت فكرة وجود مسئول إفريقى يستطيع إدارة مناطق كبيرة ومناطق مركبة أيضا، بما فى ذلك المراكز الحضرية التى تضم عناصر شتى من شعوب مختلفة، ومع ذلك تظل مثل هذه المناطق خاضعة للإدارة المحلية، هذه الفكرة بحد ذاتها كانت جديدة على سكتو. كان الزمن يتغير. يضاف إلى ذلك أن مكتب سكتو المركزى هو نفسه بدأ يزداد تعقيدا وتشابكا، كما أن أحمد بللو الذى لم يكن يكل أو يمل من العمل فى ظل الظروف المعتادة، قد استبدأ هذا التغيير. (ويصبح الرجل على مدى حياته كلها معروفا بنمط من النوم لا يزيد على ثلاث أو أربع ساعات فى الليلة الواحدة) ولذلك نجد أن التقارير المرسلة إلى ضابط الحى بدأت تنتظم وتصبح معلما واضحا من معالم المراسلات التى بين الرجل وبين ضابط الحى.

فى اليوم الرابع عشر من شهر أغسطس من عام ١٩٤٥، يقدم المستشار السياسى الرئيسى تقريره نصف السنوى الأول[٢] (الذى نقتطف منه الاقتباس التالى)، وهذا التقرير يلقى بعض الضوء على مدى اهتمامات هذا الرجل.

أرسل لك طيه بعض الأشياء الموجزة الجديرة بالاهتمام والتى حدثت فى هذا التقسيم فى الفترة من أول يناير من عام ١٩٤٥ إلى الحادى والثلاثين من شهر يوليو من عام ١٩٤٥ الميلادى. هذه الملاحظات تجىء بمثابة الجزء الأول من التقرير السنوى الذى سيجرى تقديمه لسيادتكم.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

تشكل مجلس تمثيلى لسلطان سكتو، وقد تشكل هذا المجلس من رؤساء الإدارات، وكبار الحرفيين، وأعيان الأقسام الإدارية، ومستشار السلطان، والمجلس يجتمع كل أسبوعين.

تحسنت إدارة الحى على نطاق صغير. وقد جرى وقف اثنين من رؤساء الأحياء بسبب الابتزاز وتلقى الرشوة.

المحاصيل: الآمال المرتقبة طيبة ولكن محصول الأرز تدور من حوله الشكوك.

هناك بعض الشكوك التى تتردد حول الاتجار مع الأراضى الفرنسية.

التعليم: المدرسة المتوسطة. طرد ناظر المدرسة لإهماله لواجبه، وحل محله محمد بطا Bida من مدرسة علا Ala كاتسنا المتوسطة. طرد واحد من المعلمين لعدم تعاونه. التلاميذ يساعدون حاليا فى تكاليف المدرسة المتوسطة عن طريق إحضار الماء المطلوب.

التربية والتعليم: بنات: البنات الجديدات اللاتى جرى إلحاقهن يتعلمن أسرع من بقية البنات، وبخاصة البنات اللاتى من أسر عالية. نظرا لمغادرة السيدة أوليفر، فقد تولت السيدة أداما Adama (وهى من البنات المتخرجات من مركز تدريب النساء) المسئولية على خير ما يرام.

مركز تدريب النساء: تسببت مبانى المركز فى إحداث قلق كبير بسبب التشققات الواسعة التى تتزايد بصورة مستمرة. يضاف إلى ذلك أن الطابق العلوى من المجمع الشمالى يجرى تدميره فى الوقت الحالى. قامت السيدة جود Judd. بإجازة وحلت محلها السيدة كندال.

التعليم الأولى: انضمت أربع مدرسات ممن تخرجن فى مركز تدريب النساء، إلى هيئة عاملين فى المدرسة الأولية (الابتدائية) وذلك اعتبارا من شهر مايو من عام ١٩٤٥، واستقال مدرس واحد من المدرسين المدرَّبين.

القضاء: توفى قاضيان من قضاة الأحياء وجرى تعيين خلف لهما اعتبارا من تاريخ الوفاة.

قوة الشرطة: جرى دعم وتقوية القوة الشرطية، ويجرى الآن تعيين جنود لسد الشواغر التى ترتبت على انضمام الجنود الشرطيين إلى الجيش.

الأبيار: العمل فى حفر الأبيار طبقا للخطة الموضوعة للعام ١٩٤٥ - ٤٦ يسير على ما يرام وطبقا للخطة المحددة.

السجن: هرب واحد من المسجونين، وقد حكم على الرجل بالشنق، ولم نتمكن من القبض عليه بعد. جرى تعزيز قوة حراس السجن.

فى بداية عام (أى فى أواخر السنة المالية) جرى إعادة إدخال نظام الضرائب الذى سبق وقفه قبل سنوات عدة؛ وقد أعيد هذا النظام فى ظل العديد من بنود التقديرات، وذلك فى ظل الإنفاق الزائد عن الحد الذى يمكن أن يحدث

بسبب عدم وجود نظام محاسبى دقيق. أوكلنا التعليم، والمبانى المؤقتة، والنقل إلى بعض أعضاء المجلس المسئولين، والذين يصدرون العقوبات لرؤساء الأحياء، أو إلى رؤساء الإدارات الأفارقة الذين تحت الإشراف المباشر لرئيس الحى. إن أردنا لهذا النظام تطبيقا ناجحا، فلابد أن تكون له سيطرة فاعلة على الاتفاق، وأن يعمل، وإلى حد بعيد جدا، على منع تكرار الوضع غير المرضى الذى حدث فى بداية عام.. تشكلت أيضا لجنة التمويل من كل من السلطان، وضابط الحى، وأمين الصندوق، وبعض رؤساء الإدارات من الأفارقة والأوروبيين. واللجنة تجتمع كل ثلاثة أشهر لمناقشة المسائل المالية الخاصة بالصندوق. وقد انعقد الاجتماع الأول فى شهر يونيو. ونظرا لاستمرار فقدان سجلات الوارد، فإنه يجرى حاليا نقل السجلات كلها من مكانها، إلى خزانه آمنة. يجرى تحويل الجراج إلى مخزن. وبعد الانتهاء من عملية التحويل سيجرى نقل سجلات الوارد إلى ذلك المخزن، لتكون فى رعاية أمين مخزن صارم وجاد.

الإدارات: لدينا أربعة أقسام فى جوساو ولدينا أيضا أربعة رؤساء لتلك الأقسام. قسم الصندوق يرأسه م. بلاربى Balarbe وقسم الورش يرأسه الوكيل عبده أيوكا الجوساوى، وقسم الزراعة يرأسه ساكين بلوتى Sakin Puloti، والمستشفى يرأسه م. عبده واردن مع م. موى Moyi مساعدا له. أنشطة هذه الأقسام تسير سيرا حسنا وبلا شكاوى. لم يشارك أحد من موظفى الإدارة المحلية فى الإضراب القائم حاليا.

الإدارة المركزية:.. كانت المعاملات الروتينية (من جوساو) تسير على ما يرام عن طريق هيئة عاملين فى

المكتب، وذلك بمساعدة وعون من وتحت إشراف السيد ت. إف. جى. هوبكنز، ضابط الحى. وفى اليوم التاسع من شهر يونيو من عام ١٩٤٥ قام السيد هوبكنز بإجازة.

القضاء: قلت الحالات المسجلة فى ملف المراجعة عن عام السابق، وذلك من واقع البيانات التى جاءتنا من ١١ محكمة محلية فى منطقة زامفارا. هذا يوضح أن المحاكم المحلية تؤدى عملها بصورة طيبة.

الشرطة: لدينا ٥٠ شرطيا فى الإدارة المحلية فى جوساو. ويوجد رئيس واحد لهؤلاء الشرطيين. وهم يقومون بأعمالهم على ما يرام وبخاصة فى تنفيذ القانون والمحافظة على النظام. وهم يبذلون قصارى جهدهم للإشراف على ممتلكات الحكومة خلال الإضراب.

(التوقيع) أحمد ساردونا،

نائبا عن سلطان سكتو.

فى عام ١٩٤٦ نجد أن تقرير المستشار السياسى الرئيسى يغطى البنود نفسها، ولكنه يدخل مزيدا من التفاصيل عن الزراعة (انتشار العدوى ببعض الأمراض المعدية بين الحيوانات، أو بالأحرى الماشية المختلطة)؛ كما يورد التقرير أيضا مزيدا من التفاصيل عن الصحة (التردد على المستشفى. وبخاصة "علاج القرح ومرض الزهرى الذى انتشر بين أهل القرى بصفة خاصة، وبين الفولانين الذين يسكنون الغابات. كما بدأت مسألة الأمومة تحظى بشعبية كبيرة")؛ وتناول التقرير أيضا الغابات (أى "مسألة الحطب فى ماجيا Majiya مع عمال الغابات.")؛ وتطرق التقرير أيضا إلى البيطرة. ومخيمات التحصين. وبخاصة التحصين ضد الطاعون البقرى.. إذ جرى تحصين ٨٤٣٣٧ حيوانا؛ وتناول التقرير أيضا ماشية الاتجار (جرى التفتيش على ٥٠٦٥٥ رأسا من الماشية التى "سيجرى نقلها إلى مناطق الجنوب..")؛ وأشار التقرير أيضا إلى الجلود والمصنوعات الجلدية، فقد قام ممان Mamman مساعد مفتش الجلود والمصنوعات

الجلدية بجولة فى الإمارة ليوضح للقصابين خلالها، طريقة السلخ الجيد وطريقة التجفيف الجيدة أيضا.[١] هذا يعنى أن عصر "إدارة التنمية" كان يقترب بسرعة.

ونلاحظ ما يلى فى تقرير الممثل البريطانى المقيم عن عام ١٩٤٦ الميلادى: "كان المستشار السياسى الرئيسى مسئولا عن المكتب الرئيسى طوال عام، وقد زاد الرجل من تحسن ذلك المكتب زيادة كبيرة."[٢] ربما يرجع جزء من تأثير المستشار السياسى الرئيسى فى ذلك الوقت إلى الضعف الذى انتاب بعض الأعضاء الرئيسيين فى مجلس السلطان. وقد ورد فى تقرير الممثل المقيم: "تسبب الضعف الذى طرأ على مجلس السلطان فى إحداث المزيد من القلق. وهذا هو مداواكى Madawaki الذى أصيب بالمرض فى نهاية عام ١٩٤٥، يظل على مرضه، وهذا هو مجاجن جارى، الذى لم يثبت مطلقا أنه عضو قوى، هو الآخر مريض ويلازم منزله منذ شهر يوليو. وهناك بعض المقترحات الخاصة بإعادة التنظيم يجرى النظر فيها ودراستها."[٣].

ما تزال مسألة تقديم العطايا والهدايا التقليدية تقلق الإداريين البريطانيين، يكتب الممثل البريطانى المقيم فيقول:

> **ربما كانت الإدارة المحلية تميل إلى المبدأ الذى يقول: " يتعامى عن أخطائه ويتعاطف دوما مع فضائله "، وهناك بعض المناسبات التى يظهر من خلالها أن الأحياء بحاجة إلى المزيد من التوجيه الذى يأتيها من المركز. بعد الشكاوى العديدة التى تقدم بها الناس ضد رؤساء الأحياء، عن قبول هؤلاء الرؤساء للرشوة. قام السلطان بدافع شخصى منه هو نفسه بإصدار منشور دورى يقضى بأن كل موظف من موظفى الإدارة المحلية يثبت قبوله لهدية من مرءوس له أو من أفراد الشعب، فإن ذلك سيكون من باب الرشوة. وتلك كانت خطوة فى الاتجاه الصحيح[٤].**

---

(١) المرجع السابق، رقم ٨٠ ٦١، سكتو، ٢٤ يناير ١٩٦٤، التقرير نصف السنوى.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

فى عام ١٩٤٧ الميلادى كان السيد برايان شاروود سميث يشغل منصب كبير الممثلين البريطانيين المقيمين، وكانت "رياح التغيير قد بدأت" قوية. ولذلك يبدى الرجل الملاحظات التالية:

داخل حدود مقاطعة سكتو يسكن حوالى عشر سكان نيجيريا كلها. وبالتالى ليس من قبيل المفاجأة أن يتضح، وبخاصة خلال عام الماضى، ذلك الإحساس المتزايد بالإحباط بين العناصر الأكثر تحملا للمسئولية والعناصر الأكثر تعليما بسبب المصاعب المترتبة على عزل مقاطعة سكتو. هؤلاء الناس يستشعرون مع الوعى السياسى المتزايد أنهم حرموا منذ زمن بعيد من تلك المؤسسات والخدمات التى لا يستطيعون بدونها المحافظة على أنفسهم من الضغط السياسى والاقتصادى الخارجى. لقد انتهى عصر التيار الماضى المحافظ، بل إن هناك شكاوى تقدم بصورة مستمرة، ومفادها أن المائتين وخمسين ميلا التى تفصل سكتو عن خط ليجوس - كنو الحديدى وعدم وجود الماء النظيف، وعدم وجود الكهرباء، وكذلك غياب المسكن المناسب، كل ذلك يتضافر على حرمان المقاطعة من المشورة والمساندة التى تحصل عليها المراكز المحدثة التى يسهل الوصول إليها[1].

يواصل السيد شيروود سميث تقريره عن عام ١٩٤٧ فيقول:

فيما يتعلق بالرؤساء والمستشارين، كان عام بمثابة بداية للمجلس الإقليمى الشمالى. وقد عجل أعضاء المجلسين فى هذا الإقليم بتفهم المقصود من التشريع

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، وملفات سكتو الإقليمية، ٦٨٥١، مقاطعة سكتو، التقرير السنوى عن عام ١٩٤٧، القسم الأول.

وكيف يمكن لهم تحمل المسئولية فى هذا الصدد. وفى سكتو جرى توسيع مجلس السلطان عن طريق إدخال ممثلين للمدارس الصغيرة، ضمن هذا المجلس[١].

يختم السيد شيرود سميث تقريره، ووصفه لمقاطعة سكتو بملاحظة غامضة ومبهمة:

الإرساليات، وبخاصة إرسالية داخل السودان، قامت بتوسيع مجال عملها خلال عام، ولكن لا يمكن أن نقطع أن هناك تأثيرا ملحوظا على عقول وأجسام السكان المحليين. الإسلام من ناحية أخرى يقال إن له تأثيرا كبيرا على الروحانيين الذين يعيشون بالقرب من الأنهار.. وبشكل عام فإن المجتمعات غير المسلمة التى هى على حدود المناطق الجنوبية تعيش حياة قذرة وتختلف عن حياة المجتمعات الإسلامية[٢].

كان أحمد بللو Sardauna فى ذلك الوقت، شخصية رئيسية فى إدارة سكتو المركزية، وسوف يواصل عمله فى سكتو إلى أن يصبح رئيسا للوزراء فى عام ١٩٥٤. ويصبح أحمد بللو زعيما "للعناصر الشابة" ويبدو أنه أصبح قادرا على مواجهة التحديات.

على مستوى حياة أحمد بللو العائلية، يتزوج الرجل فى عام ١٩٥٢ زوجة ثالثة، فى سكتو. هذه الزوجة هى جابُو Jabbo، ابنة الأمير ياكى على أمير جواندو، (ولد الأمير هاليرو أمير جواندو السابق). وبذلك يكون أحمد بللو قد ارتبط بأسرة الوزراء عن طريق الزواج، وبالتالى أصبح مرتبطا أيضا بمؤسسة كنو، وبمؤسسة جواندو. ويولد لأحمد بللو فى هذه الفترة ابنتان من زوجته أمينة، (إنّو Inno فى

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

عام ١٩٤٢، وعائشة فى عام ١٩٤٥)، وتبدآن فى دراسة القرآن، والتعليم الأولى. هاتان الزوجتان: أمينة وجابُو تصبحان من بين الفتيات اللاتى تخرجن من مركز تدريب النساء فى سكتو(١).

هذه الفترة تعد أيضا بمثابة بدايات الحياة السياسية الإقليمية فى الشمال، ويتعين على أحمد بللو توسيع آفاقه بشكل كبير من خلال الرحلات التى يقوم بها إلى كل من كادونا، وليجوس، وإنجلترا، فى الوقت الذى يواصل فيه قيامه بواجباته الإدارية فى الحكم وفى الإدارة.

٦ـ مقدمة للحياة السياسية:

التغيرات الاجتماعية التى لاحظها الممثل البريطانى المقيم فى سكتو فى عام ١٩٤٧ الميلادى لاحظتها أيضا أعين أولئك المدرسين الذين كانوا على وشك أن يركبو مقدمة موجة التغيير. هذا يعنى أن باوتشى بقيادة أبو بكر تيفاوا باليوا بدأت تستشعر زخم خريجى كلية كاتسنا، هذا الزخم استشعرت كنو أثره، تحت قيادة ميتاما سول Maitama Sule، وأنوا وادا وآخرون، كما استشعرت برنو Borno ذلك الزخم أيضا تحت قيادة كل من كاشيم إبراهيم وإبراهيم إمام، ووصل ذلك الزخم أيضا مكتب التنوير فى زاريا بقيادة أبو بكر إمام، واستشعرت ماريو Maru الزخم نفسه بقيادة أمين كانو، ووصل الزخم نفسه إلى مدينة سكتو ذاتها تحت قيادة أناس من أمثال الشيخ شاجارى. لم يكن أحمد بللو مدركا للمضامين الكبيرة لهذه التغيرات إلا فى حوالى عام ١٩٤٩، ولكنه فى ذات الوقت، أى فى حوالى عام ١٩٤٧ كان عليه أن يتعامل مع المسائل المتعلقة بالتعليم فى سكتو.

---

(١) نقلا عن إبراهيم دسوقى (١٠ مايو من عام ١٩٨٥، سكتو). كانت كل من أمينة وجابو فى سكتو فى مركز تدريب النساء. وهذا المجلس يكاد يكون معادلا للمدرسة الابتدائية. تعلمتا فى المركز شيئا من اللغة الإنجليزية. وشيئا من لغة الهوسا. والجغرافيا، والتاريخ. والحساب، والاقتصاد المنزلى. أما البنتان فقد بدأتا مدرسة الحضانة فى سكتو، وتعلم القرآن. وعندما ذهب أحمد بللو إلى كادونا، واصلت البنتان دراستهما فى المنزل. تحت إشراف مدرسين.

التحق الشيخ شاجارى بمدرسة سكتو فى الفترة من ١٩٣٥ - ١٩٤٠، وبالتالى لم يلتق بأحمد بللو. ثم ذهب الرجل إلى باريوا Barewa فى عام ١٩٤١، ثم أصبح بعد ذلك مدرسا فى مدرسة سكتو المتوسطة مدة سبع سنوات. ثم عمل بعد ذلك ناظرا فى مدرسة أرجونجو قبل أن يعود ثانية إلى سكتو، ومن بين الأشياء الأخرى التى قام بها، قيامه بدور الأستاذ الزائر(١). كانت المسائل التى استثارت اهتمام المدرسين الشبان فى الشمال، فى سكتو على وجه التحديد، تتمثل فى ظروف العمل وشروطه، واستمرارية الفصل بين "التعليم الغربى" و"التعليم الدينى"، الذى استشعروا أنه سبب رئيسى وراء تردد الناس وعدم إرسال أولادهم إلى "المدرسة الغربية".

فيما يتصل بظروف العمل أو بالأحرى ظروف الخدمة وشروطها، جرى بعد الحرب مباشرة التوصل إلى اتفاق علاوة غلاء المعيشة التى جرى صرفها لموظفى الحكومة، ولكنها لم تصرف إلى موظفى الإدارة المحلية (بمن فيهم المدرسين). فى الوقت نفسه تقريبا، تشكلت دائرة الشباب الاجتماعية، (وكان الشيخ شجارى أمينا عاما لها، أما أحمد بللو فقد كان راعيا ومستشارا لها) ليقوم فيها المدرسون الشبان ومعهم وآخرون بمناقشة المشكلات الاجتماعية. بدأت دائرة الشبان الاجتماعية تبحث عن علاوة غلاء المعيشة ثم تحولت إلى "نقابة للعمل من وراء الستار"، ثم ربطت نفسها برابطة هيئة عاملين فى الإدارة المحلية، التى كان يقودها الجنوبيون فى ذلك الوقت(٢). وهنا اتفق الجنوبيون والشماليون على أمر مشترك هو علاوة غلاء المعيشة. كان أحمد بللو Sardauna، بصفته مستشارا مسئولا عن التعليم (ومن ثم يرأس الشيخ شاجارى) يقف من الناحية الرسمية على الجانب "الإدارى"، ولكنه من الناحية العملية كان مصدر تشجيع للجماعة كلها. كان المسئولون الاستعماريون يتشككون فى الأمر، ولذلك راحوا يراقبون الموقف من بعيد. (وعندما قام زيك Zik بجولة فى الشمال لجمع التمويل اللازم لسفر وفد إلى

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ شاجارى. فى ٢٦ ديسمبر من عام ١٩٨٣. أبوجا.

(٢) المرجع السابق.

المملكة المتحدة للمطالبة بالحكم الذاتى، جاءت جولته تلك بمثابة أول تعرض لمدرس سكتو "لموقف سياسى". ولما كان الشيخ شاجارى أمينا لدائرة الشباب الاجتماعية، فقد وجه الدعوة إلى زيك Zik لإلقاء محاضرة، وجرى توجيه اللوم إلى الشيخ شاجارى بعد ذلك من قبل السلطات المسئولة. وقد وجه الضابط السياسى الدعوة إلى زيك لتناول الشاى معه حتى يعرف ذلك الذى يدور. ونقلا عن الشيخ شاجارى، فإن أحمد بللو كان واحدا من القلة المستنيرة، يضاف إلى ذلك أن علاقاته المتوترة مع السلطات جعلته يخطب ود "الراديكاليين". بلغت العلاقات من التوتر حدًا جعل المنتفعين يبادرون بإبلاغ السلطان بالأمر، كلما قام أحد بزيارة منزل أحمد بللو، وكان السلطان يعتبر ذلك من قبيل العداء للمؤسسة. ولذلك كان أولئك الزوار يذهبون إلى منزل أحمد بللو لزيارته أثناء الليل، ويسهرون فيه إلى ساعة متأخرة[١].

كانت مسألة التعليم الغربى والتعليم الدينى تسبب قلقا للمدرسين الشبان الذين خبروا النظامين. كان التعليم الغربى مرتبطا فى ذهن الناس بالتبعية الاستعمارية، ولا علاقة له بحياتهم. وفيما يلى حادث واحد يوضح كيف حاول أحمد بللو Sardauna هو والمدرسون الآخرون سد هذه الفجوة.

اقترح الشيخ شاجارى إنشاء مدرسة تطوعية، أى مدرسة إسلامية، ولكنها تشتمل أيضا على التعليم الغربى، وأن يطلق على هذه المدرسة اسم "المدرسة النظامية" Nizamiyya. والتقى الشيخ شاجارى وأحمد بللو وناقشا سويا فكرة تعليم الدين الإسلامى للأطفال، وأن يجرى تعليمهم أيضا الكتابة والقراءة بطريقه غربية. وتحمس أحمد بللو للفكرة وأعطى الشيخ شاجارى تعريشة فى مبنى مهجور (سبق استعماله فى حملة مكافحة الجدرى) وقال أحمد بللو للشيخ شاجارى "استعمل هذه التعريشة".

---

(١) المرجع السابق. كان من بين أولئك الذين زاروا منزل أحمد بللو أثناء الليل كل من: مارفان سكتو، والشيخ شاجارى، ومجاجن جارى على، ومدودو زرمى الذى عين فيما بعد مفوضا للشكاوى، وكذلك موى جاندى Moyi Gandi.

فى ذلك الوقت غضب المجتمع من هذه الفكرة لسببين:

١) أنهم كانوا يحاولون خلط الدين بالتعليم الغربى.

٢) أن السلطان أنشأ مدرسة إسلامية (ليست للصبية الصغار، وإنما للمعلمين) فشلت وتقرر إغلاقها.

من هنا، كان الناس ينظرون إلى الجهد الجديد من منطلق أنه حفر فى الموقع نفسه الذى سبق أن فشل فيه السلطان. كانت علاقات أحمد بللو بالسلطان متوترة، فى حين كان السلطان يرى أن تلك المدرسة من صنع أحمد بللو نفسه ومن تدبيره. ومع ذلك سعى أحمد بللو لطلب موافقة من السلطات المختصة، وطلب من السلطان أن يكون راعيا لتلك المدرسة. كتب الشيخ شاجارى رسالة للسلطان، ومهر السلطان الرسالة بمثل من لغة الهوسا يقول: "اختبار القربة الجيدة يكون بسكب الماء فى هذه القربة والتيقن من بقاء أو عدم بقاء ذلك الماء فى القربة". جربوا الفكرة وثبت نجاح فكرة المدرسة النظامية. أسهمت لجنة صغيرة فى هذا الاختيار وأرسل أعضاء اللجنة أطفالهم إلى المدرسة، واستخدمت المدرسة معلما (يدعى عمر، أصبح قاضيا فيما بعد)، كما استخدمت المدرسة أيضا معلما مساعدًا (بللو جوساو، الذى عين فيما بعد ناظرا لكلية مدرسى اللغة العربية). وتابع أحمد بللو Sardauna المدرسة باهتمام كبير، وشجع بعد ذلك على إنشاء مدارس أخرى من هذا القبيل[١].

بقى أحمد بللو فى مقاطعة سكتو طوال هذه الفترة، بالرغم من أنه فى عام ١٩٤٧ أمضى أسبوعا أو نحو ذلك فى كادونا. ومع ذلك، تهيأت للرجل فى عام التالى، هو وبعض الشماليين فرصة توسيع خبراتهم عن طريق الحصول على مقرر فى الإدارة المحلية من إنجلترا. معنى ذلك أن أحمد بللو سوف يزور الأسد البريطانى فى عرينه "ويرى الثقافة الغربية" لأول مرة. هذا يعنى أيضا أن سياسة نيجيرية حديثة على وشك أن تبدأ فى الشمال.

---

(١) فى عام ١٩٦٦ – ٦٧، بعد وفاة أحمد بللو Sardauna وعودة شاجارى إلى سكتو، افتتح صندوق التنمية التعليمية الإقليمية حوالى ١٠٠ مدرسة من هذه المدارس.

هذا هو أحمد بللو يتذكر زيارته الأولى للمملكة المتحدة بشيء من التفضيل فى كتابه "سيرتى الذاتية".

يقول أحمد بللو:

> **كنت أعرف القليل عن نيجيريا وأجهل الكثير عن العالم الخارجى. كان قد قدم لى عرض لزيارة المملكة المتحدة تحت رعاية المجلس الثقافى البريطانى لدراسة الحكم المحلى. وصلت إلى إنجلترا بطريق الجو فى اليوم العاشر من شهر يناير من عام ١٩٤٨، وقمت بالجولات المعتادة فى مدينة لندن. ثم قصدنا بعد ذلك بلدة رتشموند فى يوركشير. تقرر لنا دراسة الإدارة المحلية هناك، فضلا أيضا عن دراسة أساليب الفلاحة البريطانية، وكذلك التعامل مع الثروة الحيوانية وما إلى ذلك. كنت محظوظا بحق لإقامتى مع السيد جى فلتشر Fletcher هو وأسرته. كان الرجل يعمل موظفا فى شركة من شركات التأمين. بقيت مدة شهر كامل مع هذه الأسرة، كنت خلاله فى غاية الارتياح(١).**

حضر ذلك المقرر فى الحكم المحلى مع أحمد بللو كل من مداكن باوتشى Madakin Bauchi، وكاشيم إبراهيم، وأحمد وزيرى، وسعد الأنعام، وسنوسى (وزير زايا)، وعمر فاروق (كنو)، وسامبو Sambo، وهارون (أمير جواندو) وعبده أنانس Anance، وآخرون وكلهم من الإقليم الشمالى. وكاشيم إبراهيم يتذكر فى هذا الصدد جانبا مهما من جوانب تلك الرحلة. كان ضمن تلك الرحلة ستة عشر رجلا، وأمضوا منها جميعا ثمانية أسابيع. كانوا يعيشون فى منازل مختلفة ومع أسر مختلفة أيضا، ولكن خبراتهم كانت واحدة ومشتركة فيما بينهم. تنقلوا فى المناطق المحيطة بهم وزاروا يوركشير، وزاروا أيضا حر البحيرة، دار لينجتون،

---

(١) بللو. أحمد. المرجع السابق، ص ٦٤.

إلخ، وأمضوا يومين أو ثلاثة أيام فى لندن. وأثناء سفرهم حاول أحمد بللو أن يكون هو قائد الجماعة. واقع الأمر، أنه كان بالفعل قائد هذه الجماعة. وترتب على ذلك أن راح الجميع ينظرون إليه باعتباره القائد، بالرغم من أن أحدا لم يطلب إليه ذلك[1]. تواصلت علاقة الود والمرح بين أفراد هذه الجماعة؛ ترى ألم يكونوا جميعا أبناء أختين؟

فى تلك الأثناء لم تكن الجمعية العمومية، التى كانت تنعقد مرتين كل عام فى كادونا تشتمل على أحمد بللو Sardauna باعتباره ممثلا لمقاطعة (منطقة) سكتو، ولكن عباس الوزيرى كان يحضر تلك الاجتماعات، وعباس هذا كان كبير المستشارين، كما كان مجاجن Magajin رافى الجواندى يحضر تلك الاجتماعات أيضا. يكتب أحمد بللو فى سيرته عن هذا الموضوع فيقول: "أنا أعلم أنى كان قد تقرر حضورى، ولكن الأمر اختلف بعد ذلك. كنت كلما فكرت فى هذا الأمر، أستشعر أنى ينبغى أن أسعى محاولا انتخابى لتلك الجمعية"[2]. ويموت عباس الوزيرى فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٨، وتنشأ فى إثر وفاته مشكلة من سيحل محله.

يتذكر آبا جدُوم جانا Gana انطباعاته عن الانتخاب من وجهة نظر كادونا[3]. التقى الرجل أحمد بللو أول مرة يوم ١٣ أكتوبر من عام ١٩٤٨، أثناء مرافقته لمحافظ الشمال (أ. ك. فيذرستون Featherstone) المناب أثناء سفره،

---

(١) مقابلة شخصية مع السير كاشيم إبراهيم، ٧ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى.

(٢) أحمد بللو، المرجع السابق ص ٦٣.

(٣) مقابلة شخصية مع أبا جدوم جانا فى ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤. ميدوجورى. وُلد جانا فى ١٨ يناير من عام ١٩٢٢، والتحق بالمدرسة الابتدائية فى بنشك Benisheck فى الفترة من ١٩٢٩ – ٣٣؛ وبمدرسة برنو المتوسطة فى الفترة من ١٩٣٣ – ٤٠؛ وكادونا فى الفترة (١٩٤٠ – ٤٣). كان يعمل مصححا فى إحدى المطابع الحكومية، فى كادونا فى الفترة من ١٩٤٣ – ٤٨؛ كان مصححا للغة الإنجليزية والعربية ولغة الهوسا. وفى عام ١٩٤٨ عين الرجل مسجلا لإدارة العلاقات العامة فى كادونا، التى كان الكابتن منى Maney مديرا لها. وفى عام ١٩٥٠ التحق الرجل بجامعة إيبادان مدة ثلاث سنوات ليشغل منصب المنظم الإقليمى، فى تعليم الكبار. وكان يقوم بجولة فى الشمال فى ذلك الوقت؛ ولكنه استقر فى كادونا. وفى عام ١٩٥٣ عاد الرجل إلى مكتب الإعلام وفى شهر يناير ١٩٥٨، سافر إلى لندن باعتباره مفوضا عن الإقليم الشمالى، وبقى فيها إلى عام ١٩٦١. وخلال الفترة من ١٩٦١ – ٦٦ كان الرجل فى كادونا رئيسا تنفيذيا لمؤسسة جريدة جاسكيا (الحقيقة). وفى نوفمبر من عام ١٩٦٦، التحق الرجل بالإعلام، باعتباره مسئولا رئيسيا عن العلاقات العامة. وفى أبريل من عام ١٩٦٨ تقاعد وعاد إلى ميدوجورى.

باعتباره سكرتيرا خاصا للمحافظ؛ وبينما كان الرجل فى سكتو، كان يقيم فى منزل أحمد بللو Sardauna. كان أحمد بللو فى ذلك الوقت قد ذاع صيته كأمير كريم، وصاحب شعبية، وصاحب مشكلات معه السلطان". بدأ آبا جدّوم جانا مراسلاته مع أحمد بللو بالخطابات الودية فى ذلك الوقت. (فى ذلك الوقت كان أحمد بللو يكتب بالحبر الأخضر). وعندما توفى عباس الوزيرى، كان أحمد بللو يتطلع إلى مقعده فى الجمعية العمومية، وعينه لذلك المنصب السير إرك تمبستون Eric Thompstone، الذى كان محافظا للإقليم الشمالى فى ذلك الوقت. رفض السلطان قبول أحمد بللو عن طريق التعيين برفع اليد أثناء الاقتراع. أرسل أحمد بللو مذكرة إلى آبا جدّوم جانا يقول فيها: إن السلطان لم يرد لأحمد بللو تولى المقعد. وهنا ذهب آبا جدّوم جانا إلى الكابتن منى Money الذى اصطحبه إلى المحافظ، وعرض عليه الأمر. وهنا طلب المحافظ سكتو تليفونيا وطلب إلى كبير الممثلين المقيمين (شيرود سميث) التوسط فى الموضوع. وحدث ذلك، إذ قام شيرود سميث بإبلاغ السلطان أن يبتعد عَن حجب أحمد بللو عن المقعد، نظرا لأن أحمد بللو من أولئك الذين تعلموا تعليما غربيا. وهنا التحق أحمد بللو بالجمعية العمومية[١].

ها هى اللعبة السياسية على وشك البداية، والعيون كلها مركزة على "قواعد اللعبة".

٧ـ الشخصية، والقيم والزعامة:

خلال ثمانية عشر عاما، أى فى الفترة ما بين ١٩٣١ و ١٩٤٩، (أى فيما بين سن الثانية والعشرين والأربعين)، اكتسب أحمد بللو خبرة عملية فى المجالات التالية:

١) التعليم.
٢) الإدارة الريفية.
٣) الإدارة الحضرية الحديثة.
٤) الإدارة الحضرية التقليدية.
٥) إدارة وتوجيه التنمية الحديثة.

---

(١) المرجع السابق.

هذا يعنى أن أحمد بللو ابتكر لنفسه دوائر سياسية بين الرعيل الجديد من مدرسى الشمال، وبين أبناء الحكام التقليديين الذين تعلموا تعليما غربيا، وبين الموظفين المدنيين الشبان الشماليين، وبين الأحزاب المهمة داخل دوائر سكتو السياسية. كانت علاقات أحمد بللو بالإدارة الاستعمارية تتركز حول حقيقتين:

١) أن حجر الزاوية فى سياسة الحكم غير المباشر كلها يتمثل فى مساعدة السلطان.

٢) أنهم (البريطانيون) كانوا يعرفون مدى الحاجة إلى التعليم والتغيير الاجتماعى، ولذلك تعين عليهم الكشف عن شىء من التأييد للعناصر المتعلمة. استطاعت إدارة أحمد لهاتين السياستين المتعارضتين فى معظم الأحيان أن تجنبه أزمات عدة خطيرة.

كان لدى أحمد بللو إحساس قوى بالمنافسة على القيادة، يضاف إلى ذلك أن أحمد بللو قدم نفسه وهو فى سن الشباب وقلة الخبرة ليكون مرشحا جادا لمنصب السلطان. وربما يكون " نفى " أحمد بللو هو وأزمة عام ١٩٤٣ قد أحبطا آخرين كثيرين، ولكن الرجل بعد أن واجه شيئا من الضغوط، عاد إلى موقع القيادة المركزية التى استغل فيها مهارته الإدارية الحديثة كلها. استطاع الرجل أن يكون جسرًا بين الأشكال التقليدية لإدارة الإمارات، والإدارات الجديدة الموجهة توجيها وظيفيا (غالبا توجيها تقنيا). وسط هذا العالم الإدارى المتغير، لا يمكن التقليل من شأن هذه الطاقة الهائلة، والانتظام الذاتى، والعمل الجاد. كان أحمد بللو "الشاب الذى يحمل ساعة يد"، الذى كان يصل دوما فى الموعد المحدد، والذى كان يصر على التزام الآخرين بالمواعيد المحددة.

خلال هذه الفترة، زاد وزن أحمد بللو، وأصبح مظهره يوحى بالمهابة فى المحافل عامة، ومع ذلك بقى الرجل بعيدا عن أبهة حياة الإمارة. كان أحمد بللو يلبس عمامة، حتى عندما كان فى السجن، وكان بمثابة تذكرة للآخرين أنه يحتمل أن يكون منافسا فى الجولة القادمة على منصب السلطان. وفى الوقت ذاته، وفى منزل هذا الرجل، الذى كان مفتوحا بصورة دائمة للشبان الذين كانوا يجيئون إلى أحمد بللو باعتباره ناطقا بلسانهم، كان الرجل يرتدى ملابسه المعتادة البسيطة، ويجلس على الأرض مع هؤلاء الشبان ليتناول معهم وجبة العشاء.

كرم أحمد بللو المستمر يثير بعض التساؤلات حول مصادر تمويل ذلك الكرم. والأمر هنا غاية فى البساطة. كان أحمد بللو يعيد تدوير مقادير البضائع والمبالغ النقدية التى كان الناس يعطونه إياها أو يقرضونه إياها، وبخاصة أولئك الذين تتأصل فيهم خصلة العطاء والكرم. كانت القيود المفروضة على المال عام فى ذلك الوقت شديدة الصرامة، ووجود بعض الأعداء الأقوياء يمكن أن ينتهزوا هذه الفرصة للنيل من الرجل، (هذا بالإضافة إلى نظام الشائعات الذى كان ساريا فى ذلك الوقت)، ولو قدر حدوث فضيحة من الفضائح فى ذلك الوقت لما ذاع صيت ذلك الرجل على هذا النحو. يضاف إلى ذلك، أن الرجل كان يوزع جزءا من راتبه على الناس. لم يخطر ببال هذا الرجل مطلقا فكرة الغرائز المادية، والحصول على المكافآت ذات العلاقة بتراث أسلافه. ويصعب فى هذه الفترة تقدير مدى الخسارة التى ألمت بذلك الرجل عندما توفى ولده الوحيد. لو قدر لهذا الرجل أن يكون له أولاد كثيرون لاختلف منطق الأحداث تماما. البعض يرون أن عدم وجود أبناء لأحمد بللو كان بمثابة "نعمة من النعم"، أى أنه مثل النبى محمد لم يكن له أبناء.

زادت ثقة أحمد بللو بنفسه زيادة كبيرة، وكان يتفاخر ويزهو بما يقوم به، والذى كان عبارة عن خليط من الماضى والمستقبل. كان الرجل قويا فى اعتداده بنفسه، بل وفى كل موقف من المواقف (اللهم باستثناء المواقف التى كان يقفها ضباط الاستعمار البريطانى) كان الرجل يبرز بروز "الزعماء الطبيعيين". لم تكن مقدرة أحمد بللو على "دمج القوى" قد اكتملت بعد، كما اكتسب الرجل سمة المواجهة وجها لوجه مع السلطة التقليدية والسلطة الاستعمارية. (رفض الرجل كل ما كانت هاتين القوتين تريدان له أن يفعله) كانت جرأة الرجل تقف وراء كل هذه التصرفات، وقد تميز الرجل بهذه الجرأة طوال حياته. وسواء أكان الرجل يواجه تحديات جديدة، أم السجن، كان يواصل مضيه قدما دونما خوف أو اهتزاز. لقد أصبح صاحب بأس شديد فى السياسة، وصاحب مهارات فى الإدارة (بما فى ذلك القدرة على "اختصار المواقف" تحقيقا للنتائج). ويبقى بعد ذلك السؤال الذى يقول: ما هى المجالات التى سوف يطبق فيها هذه المهارات وتلك الطاقات؟

القسم الثانى

فترات ما قبل الاستقلال (١٩٤٩ — ١٩٦٠)

الفصل الخامس

الأحزاب السياسية والزعامة

إذا ما تأملنا الماضى نجد أن التنافس الحزبى وانتخابات خمسينيات القرن العشرين، يمكن أن يتبديا للمراقبين على شكل "لعبة سياسية". فى ذلك الوقت كان الشماليون ينظرون إلى العملية السياسية بشىء من القلق العميق، لا لأنهم لم يكونوا يريدون "الاستقلال" وإنما من منطلق ظنهم بأن الظروف لم تكن مواتية لهم، فضلا عن أنهم كانوا متخوفين من مسألة استبدال مجموعة من الحكام (البريطانيين) بمجموعة أخرى من الحكام (النيجيريين الجنوبيين). ويتردد أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna ورث "إقليما من حراس الليل والسُعاة والمراسلين". وأن هذا الإقليم، بهذه الصورة، لا يمكن أن يطاول المحامين المتمرسين، والصحفيين، والمهنيين الآخرين القادمين من المناطق الساحلية. هذا يوضح أن العقبات كانت هائلة: ذلك يعنى أن مسألة السيطرة على النمو والتطوير فى الشمال كانت أمرا محفوفا بكثير من الأخطار.

ومع ذلك، فإن النظر إلى السياسة خلال خمسينيات القرن العشرين، على أنها لعبة يجب ممارستها والفوز فيها، لا يمكن فصلها عن وجهة النظر التى تبناها خريجو كلية كاتسنا، الذين قدر لهم تزعم الشمال وقيادته فى تلك الفترة. قواعد السياسة جرى استيرادها من إنجلترا تماما مثل قواعد لعبة الكريكت، ولعبة الخماسيات، وأيضا قواعد لعبة كرة القدم. هذا النموذج الوزارى / البرلمانى على طريقة ويستمنستر Westminster، الذى قدر له الظهور لم يكن سوى طريقة براجماتية لنقل القوة عن طريق البريطانيين تماما مثلما حدث فى "الحكم غير المباشر الذى حقق غرضه بالرغم من عدم وجود خطة واضحة للعمل" فى اكتساب القوة. لم يحدث أى شىء من التحليل (باعتباره متميزا أو مختلفا عن التطبيق) لمسألة صلاحية أو عدم صلاحية قواعد لعبة وستمنستر. للتطبيق على حقائق الواقع النيجيرى. (واقع الأمر أن بريطانيا ليس لها دستور مكتوب، ولكنها استطاعت "تحقيق أغراضها" طوال قرون عدة، وتوصلت فى نهاية الأمر إلى القواعد التى تناسب واقعها).

كيف يمكن لمجموعة من القواعد البرلمانية (التى من قبيل الرابح يحصل على كل شيء / عضو واحد لكل دائرة انتخابية / السيادة البرلمانية / المنظومة المركزية) أن تتفق مع مجموعة أخرى من القواعد التى تتعامل مع الفدرالية (بكل قواها المشتركة والمتوازنة)، هذه المسألة لم تكن واضحة، مما أدى إلى فشل كثير من الاتحادات الاستعمارية السابقة[1].

كان أهل الشمال قد تعلموا كيف يلعبون اللعب البريطانية. وعندما زادت ثقتهم بأنفسهم (أحمد بللو Sardauna صاحب دور بارز فى ذلك) بدءوا يضعون تعبيرا للعبة فى مركز الشعور. وتقرر أن يكون الملعب فى نيجيريا. وبدلا من أن تصبح الفرق المشاركة فى اللعبة هى "الشرق" (برنو) و"الغرب" (سكتو) (أى "أبناء الشقيقتين")، أصبحت فريقى "الشمال" و"الجنوب". وكان لابد من الاتفاق على الفريقين، والحكام (الرسميين البريطانيين). وتعين على كل فريق من الفريقين أن يختار رئيسا، ثم توزيع اللاعبين على نحو يحقق أكبر قدر من الفائدة. كان لابد من خوض بعض المباريات الأولية التجريبية، تمهيدا للمباراة الفاصلة التى سوف تتمثل فى انتخابات الاستقلال. كان كأس تلك اللعبة يتمثل فى (القوة) ومعها حق القيادة فى نيجيريا فى فترة ما بعد الاستقلال. وكان لابد من ابتكار الخطط المطلوبة لهذه اللعبة. وكان الجميع يتطلعون إلى تجنب الوقوع فى الأخطاء. وكان لابد من السيطرة على الجماهير فى المدرجات. وكانت المشكلة التكتيكية تتمثل فى طول المباراة، أى فى التوقيتات اللازمة لذلك.

فى إطار "استعارة اللعبة" هذه، كانت "القاعدة" الوحيدة التى تستدعى التحكم والسخرية، والتى كانت تسبب الحرج لفريق الشمال، تتمثل فى المبدأ الديمقراطى "صوت واحد لكل رجل"، والسبب فى ذلك أن أفضل المعلومات فى ذلك الوقت (أى فى إحصاء عام ١٩٣١) كانت تقول إن الشمال يحتوى على أكبر كتلة ديموغرافية من السكان. هذه القاعدة كانت تُشْهَرُ ضد القواعد المتصارعة الأخرى من قبيل التوازن الفيدرالى. كانت المشكلة العاجلة والماسة "لفريق الشمال"، تتمثل بصورة

---

(١) راجع فرانك، توماس أسباب فشل الاتحادات، نيويورك، مطابع جامعة نيويورك ١٩٦٨.

أساسية، فى تشكيل فريق متحد، نظرا لأن فرق "الجنوب" كان لديها بالفعل خبرة كبيرة بمسائل التنظيم ويحتمل أن تعمل على تقسيم الشمال. بعد تشكيل "فريق الشمال"، يمكن الاتفاق على القواعد التى تحكم اللعبة بما فى ذلك مسألة "التهديف". (كان هناك فى الميدان لاعب واحد فى أضعف الأحوال هو أمين كانو، فى تلك الفترة التى لم يكن أمين كانو يستهدف القوة والسلطة، وإنما كان يستهدف الترويج للفكرة التى مفادها: أن منظومة الإدارة المحلية يتعين إلغاؤها).

بعد ذلك، وعندما أصبحت للسياسة النيجيرية نكهتها الخاصة وطابعها الخاص، اكتشف الكثيرون من أهل الشمال أن لعبة وستمنستر Westminster ليست لها فاعلية أو تأثير تكتيكات وإستراتيجيات الثقافة السياسية الشمالية التقليدية، التى كانوا يمارسون لعبها (والكسب من ورائها) طوال فترة طويلة من الزمن.

المعلومات المتوفرة عن هذا الموضوع الخاص بالتشكيل الحزبى والانتخابات التى جرت فى الأعوام ١٩٥١، ١٩٥٤، ١٩٥٦ ثم ١٩٥٩، ومسالة الانتقال الدستورى للسلطة والقوة تبلغ من الغزارة والوفرة حدا يجعلنا نركز بصورة أكبر فى هذا القسم على الجوانب البشرية للمشاركين فى فريق "الشمال" (أو بالأحرى على الفرق الكثيرة فى الشمال) على أن نضيف حواشى وملاحق تعد بمثابة المعلومات التاريخية الإضافية الداخلة فى الموضوع.

فى الوقت ذاته، واعتبارا من البداية نجد أن أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يقسم يمين الانضمام إلى الجمعية العمومية للإقليم الشمالى فى عام ١٩٤٩، وأن الرجل على امتداد عامين أو ثلاثة أعوام كان ينتقل ما بين سكتو وكادونا. فى بداية الأمر كان أحمد بللو ينزل فى منزل أمير فولانى يقع على طريق كنو، وهذا المنزل مقابل للمسجد المركزى[1]. كان أحمد بللو يحضر مدة ستة أسابيع لحضور جلسات الميزانية فى شهر يناير، وفبراير، ومارس. (كانت

---

(١) أبا جذوم جانا، ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى. اشترى أحمد بللو منزل الأمير الفولانى فى عام ١٩٥٢، ولكنة عاد وباعه عندما عين وزيرا.

الميزانية تعلن فى أول شهر أبريل من كل عام). يضاف إلى ذلك، أن الرجل كان يحضر الاجتماعات المعتادة التى يستغرق كل واحد منها أسبوعا فى الفترة من شهر يوليو إلى شهر ديسمبر.

وتنمو شخصية أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna ويصبح متكلما جيدا، فضلا عن كونه شخصية اجتماعية أيضا. ويكوّن أحمد بللو صداقات جديدة كثيرة، ويتوافد الناس على منزله. كان الرجل يحضر معه هدايا أثناء عودته من سكتو: قبعات، وأحذية، وملابس، وأشياء أخرى من تلك التى تصنع فى سكتو. (الرجل مغرم "بمساندة الصناعة المحلية") ويستمر الرجل فى مساعدة الناس فى مشكلاتهم المالية، ولكن ذاع صيت أمانة الرجل فى تعامله مع المال العام [١].

اتضح أن الكثيرين من أعضاء الجمعية العمومية كانوا أصدقاء قدامى لأحمد بللو منذ أيام كلية كاتسنا: أبو بكر تافاوا باليوا، ومكامان بطا (على)، ومحمد نجيلروما Negileruma (والى برنو)، وبللو كانو، وآخرون. وتصبح كادونا ملتقى للقادة الشبان، الذين كان الكثيرون منهم يعملون بالتدريس من قبل، كما كان البعض منهم يعمل فى الإدارة فى سائر أنحاء الشمال. كانت الجمعية العمومية نفسها ما تزال تحت سيطرة المسئولين الإداريين البريطانيين، ولكن الشبكات الاجتماعية التى كان يجرى تشكيلها بواسطة الشماليين سوف تتحول فيها بعد إلى تنظيم سياسى.

---

(١) المرجع السابق. عاش آبا جذوم جانا فى الشارع نفسه الذى كان يعيش فيه أحمد بللو فى كادونا فى ذلك الوقت، وكان على صلة وثيقة بالرجل، وقدمه للكثيرين من أهل كادونا. كان آبا جذوم جانا مراسلا يغطى نشاطات الجمعية العمومية.

١- مدرسون وكتاب: الصلة والعلاقة بين كاتسنا- كادونا- زاريا:

سوف نورد فيما بعد المنظور الرسمى لتأسيس حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على لسان نوح بامالى Nuhu Bamalli، أمين التنظيم الوطنى(١). ويمكن تلخيص عناصر التنمية التى أسفرت عن هذا الحزب، فيما يلى:

١) فى عام ١٩٣٩ اجتمعت فى كادونا رابطة قدامى الكلية وبدأت فى تبنى قضية "شمال واحد".

٢) فى عام ١٩٤٨ تأسست جماعات ثقافية فى كل من زاريا (جمعية أهل الشمال Jam"iyyar Mutanen Arewa بزعامة الدكتور ديكو Dikko) وفى كادونا (رجال الشمال اليوم) Mutanen Arewa ayau برئاسة المُعلّمَ رافى .(Rafi

---

(١) راجع مقال نوح بامالّى، "كيف تأسس حزب المؤتمر الشعبي" جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ١٥ مايو من عام ١٩٥٩ ص ٤. الموجز الدقيق لتشكيل الحزب فى (الشمال) ورد فى كتاب سكلار Sklar ريتشادر Richard بعنوان "الأحزاب السياسية النيجيرية: قوة فى أمة إفريقية ناهضة"، نيويورك. نوك الناشرون الدوليون. ١٩٨٣. (نشر هذا الكتاب أول ما نشر فى عام ١٩٦٣ بواسطة مطابع جامعة برنستون) ومؤلف الكتاب يتتبع التطور الذى حدث بدءا من اتحاد التحسين عام الباوتشى فى عام ١٩٤٣ ثم دائرة شباب سكتو فى عام ١٩٤٥، إلى الرابطة التقدمية لعناصر الشمال فى عام ١٩٤٦ التى اتخذت من كنو مقرا لها، ثم الاجتماعات الثقافية المختلفة فى زاريا فى عام ١٩٤٨، إلى رابطة مدرسى الشمال فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٨، ثم المؤتمر النيجيرى الشمالى فى كادونا (فى شهر يونيو من عام ١٩٤٩)، ثم بعد ذلك الاجتماع السنوى الأول للاتحاد التقدمى لعناصر الشمال فى كنو فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٠، ثم الظهور عام لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، بعد عام ١٩٥١ (من ص ٨٨- ٩٦). ثم انضمام الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال إلى حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون الجنوبى فى عام ١٩٥٤.

٣) وفى العام نفسه اتحدت الجمعيتان واتفقتا على اسم جمعية أهل الشمال، أى المؤتمر الشعبى الشمالى، وأصبح الدكتور ديكوُ رئيسا لهذا التنظيم والمعلم رافى نائبا للرئيس.

٤) فى اليوم الأول من شهر أكتوبر من عام ١٩٥١ الميلادى، انعقد اجتماع فى زاريا وأصبح الحاج ساندا Sanda رئيسا، ثم أعلن قيام "الحزب". فى هذه المرحلة ينضم أحمد بللو Sardauna هو وأبو بكر تافاوا باليوا إلى الحزب.

٥) وفى شهر ديسمبر من عام ١٩٥١، تجرى الانتخابات النهائية الخاصة بالجمعية العامة الشمالية، ويحقق فيها مرشحو حزب المؤتمر الشعبى النجاح.

٦) فى مطلع عام ١٩٥٢، وفى اجتماع للجمعية العمومية، يجرى انتخاب إبراهيم أمام أمينا للجمعية.

٧) وفى شهر أبريل من عام ١٩٥٤ الميلادى، يعقد حزب المؤتمر الشعبى اجتماعه فى بلدة جوس Jos ويجرى فى ذلك الاجتماع انتخاب أحمد بللو Sardauna رئيسا للحزب بدلا من الحاج ساندا.

ويستقيل إبراهيم إمام من أمانة الحزب ويحل محله إينوا وادا Inuwa Wada[١].

---

(١) نقلا عن بامالى Bamalli (المرجع السابق) نجد أن مولد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى عام ١٩٣٩ جاء على وجه التقريب، فى الاجتماع الذى عقدته رابطة قدامى كلية كادونا. نشأت فكرة الشمال الواحد فى ذلك الاجتماع. كان الاجتماع تمثيلا كاملا للشمال بأسره، وكان الاجتماع برئاسة الحاج دوجون داجى. واعتبارا من ذلك التاريخ البعيد كانت أهمية الشمال الواحد والخوف من السيطرة تشغل أذهان المتعلمين من أبناء الشمال. وعندما علمت السلطات بذلك التحرك خافت وتخوفت. واتخذت السلطات بعض الإجراءات لإفشال ذلك الاتحاد. وهنا بدأت العناصر الراديكالية تحركاتها السرية وراحت تروج لفكرة الشمال الواحد. وقد أسفر ذلك عن تكوين جماعات للمنافسة فى البلدان الكبيرة. كانت أهم الدوافع التى فى أذهان أولئك الشبان المتعلمين تتمثل فى:
١) إخراج الاستعمار.
٢) كسر فكرة وجود سلطة محلية واحدة.
٣) الحيلولة دون السيطرة الجنوبية.

= كان السبب وراء كل ذلك الاحساس بتمثل فى زيادة إعداد المتعلمين، ولكن على الرغم من مؤهلاتهم إلا أنهم كانوا يوضعون فى الصف الخلفى من الإدارة المحلية. أدرك المتعلمون ذلك كله. الأمر الذى أسفر عن احتكاك بين المتعلمين من ناحية والإدارة المحلية والأوروبيين من الناحية الأخرى. وغضب بعض من هؤلاء الشبان الراديكاليين وانضموا إلى أحزاب الجنوب السياسية التى من قبيل المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون Ncnc وحركة الشباب النيجيرى. أما أولئك الذين لم يودوا الانضمام إلى أحزاب الجنوب فقد واصلوا حراكهم السرى وحاولوا جذب الشبان الصغار إلى جانبهم عن طريق تشكيل جماعات نقاش فى المراكز الكبيرة كلها. كان المرحوم سعد زنجر واحدا من أولئك الشبان، وقد أوفد ذلك الشاب إلى كلية يابا العالية لدراسة الصيدلة، ولكنة درس السياسة بدلا منها، وعاد بخفى حنين. وعينوه فى وظيفة فى إدارة زاريا الطبية وانضم إلى أولئك الشبان الغاضبين... فى نقاشهم. توّى سعد زنجر من أفكار هؤلاء الشبان الثورية. وقد أسفر ذلك عن تشكيل جمعية زاريا الودية، ثم بعد ذلك الاتحاد التقدمى المحلى، إلخ.

حدث شيء عجيب فى عام ١٩٤٨. فقد حدث فى آن واحد اجتماعان فى زاريا فى منزل الدكتور دكُو Dikko وفى كادونا فى منزل المعلم رافى. وكان الاجتماعان يهدفان إلى تشكيل تنظيم سياسى. وأطلق على تنظيم كادونا اسم رجال الشمال اليوم Mutanen Arewa ayau. فى حين أطلق على تنظيم زاريا اسم جمعية أهل الشمال Jam"iyyar Mutanen Arewa. هذان التنظيمان جرى دمجهما فيما بعد فى تنظيم واحد هو "حزب المؤتمر الشعبى الشمالى" Northern peoples Congress (ورمزه Npc أو JMA بلغة الهوسا). حدث ذلك فى عام ١٩٤٨. هذا العمل سبب شيئا من الضيق للمستعمرين البريطانيين، وبدءوا يقلقون ويسعون إلى معرفة الهدف الحقيقى من وراء ذلك التنظيم الذى احتضنته كل من الحكومة ومسئولى الإدارة المحلية على حد سواء. قيل للأوروبيين إنه تنظيم ثقافى ولكنه يزداد قوة على قوته... بعد ذلك بشهور قلائل أصدرت الحكومة الأمر رقم ن / ٤٠. ب الذى يقضى بمنع أى موظف حكومى من الحصول على عضوية أى تنظيم من التنظيمات السياسية. كان ذلك التنظيم الجديد يغطى نيجيريا كلها. وتأسست له فروع. وأصبح يعقد اجتماعاته الفعالة فى كنو.

كان أول رئيس لهذا التنظيم هو الدكتور ر. ايه. ب. ديكُو وكان إم. رافى نائبا له ثم عين بعد ذلك الحاج ساندا نائبا ثانيا للرئيس. وكان إم. عمر أول سكرتير لذلك التنظيم، ولكن حل محله فيما بعد يحيى جوساو.

وفى يوم ١ أكتوبر من عام ١٩٥١ عقد اجتماع فى زاريا أصبح فيه الحاج ساندا رئيسا للتنظيم. وأعلن الطابع السياسى للحزب. وكان ذلك هو التاريخ الذى انضم فيه أحمد بللو و أبو بكر تافاوا باليوا إلى الحزب. وفى هذا التاريخ أيضا استقال أعضاء الحكومة جميعهم. كان قدامى أعضاء المجلس التشريعى قد قرروا تشكيل حزب جديد مع الرؤساء على أمل الاحتفاظ بمقاعدهم فى المجلس نظرا لأنهم كانوا أعضاء فى مجالس الحكم المحلى، جرى انتقاء الرؤساء لهم وإرسالهم إلى هذا المجلس التشريعى. ولكن هذه المغامرة لم يكتب لها النجاح. وفى اليوم الأول من شهر أكتوبر، قرر أحمد بللو وأبو بكر تافاوا باليوا الانضمام إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

ميتاما سول Matiama Sule يقدم أيضا رواية متباينة عن بدايات التطور الحزبى فى الشمال. وفى أواخر أربعينيات القرن العشرين أصبح آبا ميكوارو Abba Mailkwaru. الرئيس الأول[1] وأصبح أمين كانو نائبا لرئيس الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال NEpu[2]. قبل ذلك، كان أمين كانو أمينا عاما لرابطة مدرسى الشمال NTA. وفى أحد الاجتماعات التى انعقدت فى زاريا فى عام ١٩٤٨، تصادف أن حضرت كل التجمعات الإقليمية التابعة لتلك الرابطة. كان من بين الحاضرين كل من ميتاما Matiama سولSule الذى جاء من حركة شباب كنو Samarin Kano، ورابطة مواطنى كنو KCA. أناس آخرون جاءوا من "رجال الشمال اليوم" Mutanen Arewa ayau، ومن "المؤتمر الشعبى الشمالى" الذى

---

(١) مقابلة شخصية فى يوم ٦ أغسطس من عام ١٩٨٤ فى كنو:

ولد ميتاما سول فى كنو فى عام ١٩٢٩ والتحق بمدرسة شاهوشى الأولية (١٩٣٧ – ٣٩). ثم مدرسة كنو المتوسطة (١٩٤٠– ٤٢). وكلية كادونا (١٩٤٢ – ٤٦). وأنهى الرجل مقررًا لمدرسى التعليم الأولى فى زاريا فى عام ١٩٤٧. عمل بالتدريس، فى مدرسة كنو المتوسطة، فى الفترة من ١٩٤٧– ٥٣، كما درّس أيضا فى مدرسة كنو الثانوية الإقليمية فى الفترة من ١٩٥٣ – ٥٥، كما كان فيها أيضا مدرسا زائرا. وفى عام ١٩٥٤ جرى انتخابه لعضوية مجلس الممثلين الفدراليين الذى بقى فيه إلى عام ١٩٦٦. وفى الفترة من ١٩٥٩– ٦٦ كان وزيرا فدراليا للمناجم والطاقة.

فى ظل ولاية كنو Kano، عين مفوضا، وأسندت إليه مسئوليات كثيرة. ثم أصبح بعد ذلك مفوضا شعبيا للشكاوى فى عهد الإدارة العسكرية الفدرالية، ثم ممثلا دائما لدى الأمم المتحدة فى عام ١٩٧٩، ثم وزيرا فدراليا.

(٢) للمزيد عن أمين كانو راجع كتاب جون بادن John Paden المعنون: الدين والثقافة فى كنو، بركلى، مطابع جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٣. الفصل السابع "الأساس الأيدولوجى فى مطلع الإصلاح الإماراتى".

ولد أمين كانو فى عام ١٩٢٠. والتحق بمدرسة شوشك الابتدائية، ثم مدرسة كنو المتوسطة، والتحق بكلية كاتسنا مدة عام، ثم التحق بكلية كادونا التى أنهى فيها دراسته كمدرس. ثم عين للتدريس فى مدرسة باوتشى الإقليمية المتوسطة وكان أبو بكر تافاوا باليوا ناظرها فى ذلك الوقت. وفى عام ١٩٤٦ – ٤٧ انضم إلى الجماعة الثانية من النيجيرين الشماليين للدراسة فى إنجلترا. وعندما كان فى لندن ساعد الرجل فى تأسيس رابطة رفاه المدرسين الشماليين، وعند عودته عقد الاجتماع الأول لهذه الرابطة فى عام ١٩٤٨. ثم عين مسئولا عن التعليم فى كلية المعلمين فى مارو، فى سكتو. وفى عام ١٩٥٠، استقال من التعليم لانشغاله بالسياسة.

أسسه الدكتور ديكُو وأبو بكر إمام. كل المشاركين فى هذه الاجتماعات كانوا من المدرسين، الذين جاءوا من زاريا فى عام ١٩٤٨ لحضور اجتماع رابطة مدرسى الشمال. اتفق الجميع على التجمع فى تنظيم ثقافى واحد. تشكل الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال بعد ذلك على شكل حزب، ثم استقال أمين كانو الذى كان فى كلية المعلمين فى مارو (قبل طرده منها) لينضم إلى الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال فى منصب نائب الرئيس.

ميتاما سول يعد مثالا لواحد من مدرسى الشمال الشبان، الذى اختار الانضمام إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. هذا الرجل تربى فى كنو، ولكنه التحق بكلية زاريا كى يتخرج مدرسا، وقد تخرج الرجل فى عام ١٩٤٨. عندما عاد الرجل زاد نشاطه السياسى (١٩٤٨- ١٩٤٩). وهو يلقى المزيد من الضوء على عملية تشكيل الحزب[١]. كانت بعض دوائر النقاش قد انعقدت فى باوتشى، وسكتو، وكادونا، وزاريا، إضافة إلى رابطة مدرسى الشمال (وأصبح أمين كانوا أمينا عاما ومعه أبو بكر تافاوا باليوا)[٢]. وفى عام ١٩٤٨ الميلادى يجرى انتخاب سول Sule أمينا لفرع رابطة مدرسى الشمال المحلية. ويبدأ الرجل ممارسة مهنة التدريس، ثم يذهب الى زاريا لحضور اجتماع رابطة مدرسى الشمال. وفى عام ١٩٤٨ أثناء انعقاد الاجتماع السنوى للرابطة فى زاريا، يدرك المدرسون أنهم كانوا يمثلون جماعات مختلفة فى كل أنحاء الشمال. كان الدكتور ديكو

---

(١) ميتاما Maitama سول Sule ، المرجع السابق.

(٢) ولد أبو بكر تافاوا باليوا فى عام ١٩١٢ فى حى لير Lere (مقاطعة باوتشى). كان والده مسئولا عن خيول رئيس الحى. يلتحق أبو بكر بمدرسة باوتشى الإقليمية (١٩٢٥- ٢٨)، ويلتحق بكلية كاتسنا (١٩٢٨ - ٣٣). ويعين الرجل مدرسا فى مدرسة باوتشى المتوسطة. وفى عام ١٩٤٣ يصبح واحدا من مؤسسى دائرة نقاش باوتشى. وفى عام ١٩٤٥ - ٤٦ يسافر إلى معهد التربية فى جامعة لندن ليحصل على شهادة مهنية فى التعليم. وعند عودته، يجرى اختياره لتمثيل باوتشى فى الجمعية العمومية فى الشمال. وفى عام ١٩٤٨ يصبح نائبا لرئيس رابطة مدرسى الشمال. ويشارك بعد ذلك فى مؤتمر إيبادان عام ١٩٥٠. وفى شهر أغسطس من عام ١٩٥٠ يقترح الرجل إلغاء ما يسمى "السلطة الوطنية الوحيدة فى منظومة الإدارة المحلية فى الشمال.

وأبو بكر إمام قد كونا اتحاد الشعب الشمالى فى زاريا. ومن ثم قررا توحيد جماعات مختلف المناطق فى تنظيم "ثقافى" واحد. وفى شهر يناير من عام ١٩٤٨. ينعقد الاجتماع الأول لاتحاد الشعب الشمالى. وفى هذا الاجتماع اقترح سعد زنقر اسم "المؤتمر الشعبى الشمالى". لم يكن أحمد بللو Sardauna منضما إلى الحزب فى ذلك الوقت. وكان رئيس الحزب هو الدكتور ديكُو Dikko وكان نائب الرئيس هو الحاج ساندا، أحد رجال الأعمال البارزين فى ليجوس، وهو أصلا من كنو[١]. كان أول نائب للرئيس هو ميتاما سول[٢]. وكان المعلم رافى النائب الثانى للرئيس. أما الأمين عام فكان عمر آجاى (من جريدة جاسكيا)، أما عيسى والى[٣] فكان مساعدا للأمين عام ، أما يحيى جوساو فكان أمينا للتمويل[٤] وكان أبو بكر إمام

---

(١) كان ساندا يعد إلى حد ما خارج دائرة المدرسين نظرا لأنه لم يكن متعلما ولكنه كان قد تعلق "باللعبة السياسية" فى ليجوس. وأصبح "شخصية"، الأمر الذى ساعده فى نشاطه المالى والأعمالى. سوف يحل أحمد بللو محله فى الوقت المناسب.

(٢) "لأنى كنت وقحا ومعترضا". ميتاما سول، المرجع السابق.

(٣) كان عيسى والى (١٩٢٩ –٦٧) من مقاطعة كنو. والتحق بمدرسة كوارو الابتدائية. ثم بمدرسة الدراسات العربية (١٩٤٣ – ٤٨). ثم سافر الرجل إلى كادونا ليعمل مترجما فى مجلس الرؤساء House Of chiefs وفى الجمعية العمومية. وفى عام ١٩٥١ سافر الرجل إلى لندن مدة تسعة أشهر لدراسة الإجراءات البرلمانية فى مجلس العموم. وعندما عاد الرجل إلى كادونا، عين كاتبا مساعدا فى الجمعية العمومية، فى الفترة من ١٩٥١ – ٥٦ وفى عام ١٩٥٧ نقل إلى ليجوس والتحق بوزارة الخارجية. وفى الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١ عمل ممثلا لنيجيريا فى الأمم المتحدة فى نيويورك. وفى عام ١٩٦١. عاد الرجل إلى ليجوس ليتولى المسئولية فى مكتب الشئون الإفريقية. وفى عام ١٩٦٤ عين الرجل مندوبا ساميا لنيجيريا فى غانا. إلى أن توفى فى عام ١٩٦٧.

(٤) للمزيد عن يحيى جوساو، راجع الفصل الرابع (مقابلة شخصية بتاريخ ١٨ يوليو من عام ١٩٨٣. كادونا). بقى يحيى جوساو فى كنو إلى عام ١٩٤١. ثم أفاد فى بوتشى إلى عام ١٩٤٥. ثم سافر إلى المملكة المتحدة مع أول مجموعة من الشماليين فى عام ١٩٤٥. ثم عاد فى أواخر عام ١٩٤٦. ثم أقام الرجل فى كادونا ليعمل مدرسا فى كلية باريوا Barew إلى عام ١٩٤٨. ثم انتقل بعد ذلك إلى زاريا، وساعد فى افتتاح الكلية الحالية. وفى عام١٩٥١، عاد الرجل إلى سكتو. وخلال عام١٩٥١ ، كان يعمل مساعدا لشئون التعليم (أى مساعدا لضابط التعليم بالمقاطعة)، إذ كان يزور المدارس الابتدائية للتفتيش عليها. كان مقر ضابط التعليم ومساعده فى مدرسة سكتو المتوسطة. ثم انتخب يحيى للجمعية العمومية (ومجلس الممثلين) فى عام ١٩٥١، كما تولى العمل بدلا من أحمد بللو، كمستشار للتعليم فى إمارة سكتو. =

أمينا للصندوق، أما أمين كانو والسيد جودى فكانا مراجعين متحدين. وكان مكاما Makama (شقيق وزير كنو) أمينا للإعلان والدعاية. فى ذلك التوقيت أرسل أحمد بللو Sardauna لهم رسالة تهنئة نيابة عن السلطان، ولكن تلك الرسالة جرى سحبها فيما بعد بواسطة السلطان[1].

كان مدرسون كثيرون آخرون فى كاتسنا معنيين بتشكيل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، بما فى ذلك عيسى كيتا Kaita[2]، الذى انتقل مثل أحمد بللو إلى أعمال إدارة التنمية فى الإدارة المحلية.

= يذكر الرجل أنه عندما عاد من المملكة المتحدة فى عام ١٩٤٦، أنهم بدءوا نشاطا حزبيا شبه سياسى فى كادونا. مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. لم يكن الناس أحرارا بمعنى الكلمة فى ذلك الوقت لأنهم جميعا كانوا مدرسين فى مدارس حكومية. كان بوسعهم الاستقالة ولكن لم يكن هناك بديل يقوم بعملهم؛ يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يودون كسب عيشهم. وفى عشيّة أو ضحاها، تحول المؤتمر الشعبى الشمالى من جمعية ثقافية إلى حزب سياسى. " كان أهل الجنوب قد سبقونا بمسافة كبيرة، وأحسسنا بأننا يتعين علينا فعل شيء ما" كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna راعيا للمؤتمر الشعبى الشمالى. كان الرجل يعرف كل شيء عن هذا المؤتمر وعن كل من كانوا فيه. شجع الرجل المؤتمر، ولكن الرؤساء كانوا يعارضونه، وكان أحمد بللو واحدا من الرئاسة.

وعندما بدأت السياسة الفعلية، كان أحمد بللو يحظى بمساندة الجماهير. حدث ذلك فى عام ١٩٥١: وظهر أحمد بللو كزعيم عقب الانتخابات مباشرة.

(١) ميتاما سول. المرجع السابق.

(٢) مقابلة شخصية مع عيسى كيتا. وزير كاتسنا، فى ٢٦ نوفمبر من عام ١٩٨٠، كادونا.

أنهى عيسى كلية كاتسنا فى عام ١٩٣٢. ودرّس مدة تسع سنوات فى مدرسة كاتسنا المتوسطة. وأثناء الحرب، أرسل هو وبللو دانداجو Dandago (رفيق دراسة من كلية كاتسنا) إلى أكرا للعمل مذيعين بلغة الهوسا إلى غرب إفريقيا. وبعد تنصيب أمير كاتسنا (عثمان ناجوجو)، رافق عيسى الأمير الجديد إلى الهند وبورما للإشراف على بعض الجوانب من القوات النيجيرية أثناء تلك الحملة. كان عيسى بمثابة السكرتير الخاص للأمير. ثم عين بعد ذلك كبيرا للكتاب فى الإدارة المحلية فى كاتسنا، إلى عام ١٩٤٨. فى عام ١٩٤٨ سافر عيسى مع الأمير إلى المملكة المتحدة وبقى فيها مدة عامين فى كلية إكستر Exeter (١٩٤٨ – ٥٠) درس خلالهما دبلوما فى الإدارة عامة. وعند عودته فى عام ١٩٥٠. عين سكرتيرا (أمينا) للتنمية فى الإدارة المحلية فى كاتسنا (١٩٥١ – ٥٣). وفى عام ١٩٥١ جرى انتخابه للجمعية عامة فى كادونا. وبعد عودة الرجل من المملكة المتحدة أصبح=

يضاف إلى ذلك أن الصحفيين والكتاب المعنيين بالنشر فى زاريا وكادونا لعبوا دورا رئيسا. كان مكتب الترجمة، والكلية الحكومية، وبعض التسهيلات الأخرى الخاصة بالطباعة من بين مراكز الإثارة الفكرية فى ذلك الوقت فى زاريا. يزاد على ذلك أن تأسيس حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى زاريا يعد مكافأة كبيرة للرواد من أمثال الدكتور ديكو[١] وأبو بكر إمام[٢].

= أمينا ماليا لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى عام ١٩٥١، أصبح يعمل بصورة وثيقة مع أحمد بللو. وفى عام ١٩٥٤ أصبح وزيرا للأشغال (مدة عامين)، ثم وزيرا للموارد الطبيعية (التى كان مجالها الزراعة والغابات.. إلخ) لمدة عام. ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم فى عام ١٩٥٧ واستمر فى هذا المنصب إلى عام ١٩٦٦. وفى الفترة بين ١٩٥١ -٥٤، كان يقوم بجولة فى البلاد بصحبة إبراهيم إمام، ليقوما بإنشاء فروع لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وطوال شغله لمنصبه الوزارى (١٩٥٤ – ٦٦)، كان مرافقا لأحمد بللو معظم الوقت، بما فى ذلك تناول الطعام معه، وممارسة لعبة الخماسيات فى أوقات العصر.

(١) انسلخ الطبيب ديكو عن السياسة فى فترة مبكرة بسبب منصبه الحكومى.

(٢) مايزال أبو بكر إمام من الآباء المؤسسين لوعى الشمال. ولد الرجل فى بلدة كاجارا، فى مقاطعة النيجر، فى عام ١٩١١، وبدأ تعليمه فى كاتسنا فى المدرسة المحلية، قبل أن يلتحق بكلية المعلمين فى كاتسنا، التى تخرج فيها مدرسا فى عام ١٩٣٢. فى كاتسنا كان أبو بكر إمام مع أحمد بللو فى فريق الكريكت رقم ١١ فى الكلية، وكان من لاعبى الخماسيات أيضا. وفى عام ١٩٣٣ عين مدرسا للغة الإنجليزية فى مدرسة كاتسنا المتوسطة. ثم أعلن مكتب الترجمة فى زاريا (الذى كان تحت إشراف إدارة التعليم) عن مسابقة لكتابة الرواية بين الشماليين. حصل أبو بكر على جائزة عن روايته الشهيرة Ruwan Bagaja. (كان شقيق أبو بكر إمام وبللو كاجارا، الذى عين فيما بعد واليا لكاتسنا، وأبو بكر تافاوا باليوا من بين الفائزين فى تلك المسابقة) وفى عام ١٩٣٥ ألحق أبو بكر إمام على مكتب الترجمة، وألف الرجل رواية بعنوان Magna Jari Ce . وفى عام ١٩٣٦ طلب إليه تأليف كتب مبسطة فى لغة الهوسا للمدارس الابتدائية، وكجزء من هذه الاتفاقية، جرى نقل مكتب الترجمة إلى كاتسنا لكى يقوم على أمر إعاشة هذا الرجل. ألف أبو بكر إمام مجلدين بعنوان Karamin Sani. ثم أعيد نقل المكتب إلى زاريا، عندما صدرت أول صحيفة هوساوية فى شهر يناير من عام ١٩٣٩ بعنوان Gaskiya Ta Fi Kwabo (الحقيقة تساوى أكثر من بنس) – كانت الجريدة تباع ببنس واحد فى ذلك الوقت.). وفى عام ١٩٣٩ انضم أبو بكر إمام إلى أول وفد صحفى إفريقى غربى إلى المملكة المتحدة، بصحبة الدكتور أزكوى Azikiwe، الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لتحرير جريدة Pilot West African (الطيار الإفريقى الغربى). (كان الاثنان ينزلان فى كابينة واحدة على الباخرة، وكانا ينزلان أيضا فى فندق واحد فى لندن.) وأثناء هذه الرحلة دفع الدكتور أزكوى أبو بكر إمام إلى التوقيع على عبارات تطالب بالاستقلال الباكر، ولكن أبا بكر رفض من منطلق أنه لم يكن=

أدى وجود مقر مؤسسة جاسكيا الصحافية فى زاريا، وكذلك قدرة هذه المؤسسة على نشر الأخبار والكتب بلغة الهوسا بأعداد كبيرة، إلى جذب فئة كبيرة من الموظفين المدنيين والمفكرين إلى الاستقرار فى زاريا والإقامة فيها. كان أبو بكر توناو Tunau[1]، واحدا من شباب سكتو المهمين فى زاريا، والذى حصل فيما

= لديه تفويض بذلك. بمعنى أنه لم يكن ممثلا لأية هيئة من الهيئات التى جرى تنظيمها. وفى عام ١٩٤٥ جرى ضم المكتب الأدبى إلى مؤسسة جاسكيا. وفى عام ١٩٤٨ جرى ترقيه أبو بكر إمام من محرر هوساوى إلى محرر فى جريدة " جاسكيا "، والتى جاءت بمثابة وظيفة رفيعة. (وبذلك يكون أبو بكر إمام أول شمالى يرقى إلى مصاف الوظائف الكبيرة). الرجل واحد من مؤسسى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وكان أمينا عاما للخزانة. إلى أن ترك السياسة ليعود إلى الخدمة فى الحكومة. (وشعار "السلام" الذى يرفعه حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يرجع الفضل فيه إلى هذا الرجل). وفى عام ١٩٥١، انتخب الرجل من مدينة زاريا إلى الجمعية العمومية وإلى مجلس الممثلين، اللذين سعى فيهما إلى الحصول على فتح مكتب للحجاج النيجيريين فى مكة. وفى عام ١٩٥٤ استقال الرجل من السياسة ليصبح مشرفا على الوكالة الأدبية. وفى عام ١٩٥٥ عُين عضوا فى لجنة الخدمة عامة فى شمال نيجيريا، وفى عام ١٩٥٧ أصبح الرجل مفوضا كاملا. وفى شهر فبراير من عام ١٩٦١، أصبح الرجل رئيسا للجنة الخدمة عامة، ومن ثم أصبح فاعلا فى تشجيع شباب الشمال على الدخول فى الخدمة عامة. فى ذلك الوقت، ألف الرجل حوالى اثنين وعشرين كتابا بلغة الهوسا، بما فى ذلك كتابه " تاريخ الإسلام " Musuluma.

(١) مقابلة شخصية، مع أبو بكر توناو فى ١٢ سبتمبر من عام ١٩٨٣. فى سكتو – أبو بكر من أبناء تلاتا Talata مقارا فى سكتو، وقد التحق بمدرسة سكتو المتوسطة. ثم أرسل بعد ذلك إلى مكتب الأدب فى زاريا لكى يتعلم الصحافة، ثم انضم إلى جريدة جاسكيا (الحقيقة) كاتبا ومساعدا لرئيس التحرير (أبريل ١٩٤٣). كان أبو بكر توناو رئيسا لتحرير جريدة " جاسكيا " فى عام ١٩٥٢ – ٥٣. ورئيسا أيضا لتحرير مجلة أخرى اسمها "العالم" "The world". وفى عام ١٩٥٣ ذهب الرجل إلى المملكة المتحدة لمزيد من الدراسة. (كان أبو بكر توناو واحدا من أوائل من استفادوا من أرصدة صندوق تنمية الشمال الذاتى، الذى أنشأه الشماليون، لتوصيل قضية الشمال إلى بريطانيا، ولكنه جرى استخدامه بعد ذلك فى البعثات العلمية) كان الرجل فى بريطانيا فى الفترة من أبريل من عام ١٩٥١ إلى ابريل من عام ١٩٥٢ فى المملكة المتحدة. ثم عاد بعد ذلك إلى جريدة " جاسكيا " قبل أن يعود إلى المملكة المتحدة لمزيد من الدراسة فى الفترة من ١٩٥٣ – ٥٧. سافر الرجل مع الحكومة بصحبة هيئة تنمية الإقليم الشمالى، ثم أصبح الرجل أمينا لتلك الهيئة فى شهر إبريل من عام ١٩٥٩. وبقى فى ذلك المنصب إلى يناير من عام ١٩٦٦. (فى ذلك الوقت كانت هيئة تنمية الإقليم الشمالى بمثابة المؤسسة التمويلية الوحيدة فى الشمال، إذ كانت تقرض المال للأفراد، والشركات، والشركات المساهمة مع الحكومة.) فى عام ١٩٦٧ أصبح الرجل أمينا مساعدا لوكالة الخدمات عامة المؤقتة، وبقى فى هذا المنصب إلى شهر سبتمبر من عام ١٩٧٠، عندما أصبح مفوضا فى الولاية الغربية الشمالية وبقى الرجل فى=

بعد على لقب "المستشار السياسى الرئيسى المفضل"؛ وكان أبو بكر توناو قد تدرب على يدى أبو بكر إمام، ولكنه بقى همزة وصل بين أحمد بللو وبين الآخرين فى عالم الصحافة. (كان أبو بكر توناو يذهب إلى ليجوس كمراسل صحفى، وبالتالى كان بمثابة همزة وصل أيضا مع ليجوس).

فى دائرة زاريا هناك أناس آخرون من أمثال نوح باماليّ Bamalli(١)، الذى سبق انضمامه إلى مكتب الأدب فى عام ١٩٣٨، وكان معنيًّا فى تاريخ مبكر

=الخدمة فى الفترة من ١٩٧٠ -٧٥. ثم تقاعد بعد ذلك. هذا يعنى أن هذا الرجل كان فى زاريا والمملكة المتحدة فى الفترة من ١٩٤٣ – ٥٩، وفى كادونا وسكتو فى الفترة من ١٩٥٩ – ٧٥.

كان لقب المستشار السياسى الرئيسى الأفضل لقبا مضحكا، نظرا لأن أبا بكر توناو وأحمد بللو كانا لاعبين وثيقين من لاعبى لعبة الخماسيات، وكانا دوما على طرفى نقيض. الرجل يقول فى أحد التقارير إن أحمد بللو كان لديه تقليد يجعله يمارس لعبة الخماسيات مع كل من يكون اسمه "أبو بكر"، نظرا لأن جد أحمد بللو كان يحمل هذا الاسم. أما "الأفضل" Kayayen فكان لقبا تقليديا فى تلاثا مفارا، يضاف إلى ذلك أن أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان من عادته إطلاق ذلك اللقب على أبى بكر من قبيل المزاح. كان أبو بكر يرد على هذه النكتة قائلا: أنت تجعلنى أفضل منك. ووافق أحمد بللو على ذلك وجرى إسباغ ذلك اللقب على هذا الرجل فى منزل أحمد بللو فى كادونا فى عام ١٩٦٥. ويقال إن هذا هو اللقب الوحيد الذى منحه أحمد بللو لواحد من البشر.

(١) مقابلة شخصية مع نوح باماللى فى ٢٣ ديسمبر من عام ١٩٨٣ فى زاريا. ولد نوح فى عام ١٩١٧ فى بلدة زاريا والتحق بمدرسة القرآن فى سن الخامسة (١٩٢٢) ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الابتدائية والمدرسة المتوسطة فى زاريا. ثم التحق بعد ذلك بكلية كاتسنا فى عام ١٩٣١، وكان مفترضا أن يبقى خمس سنوات فى تلك الكلية يتخرج بعدها مدرسا ولكن سياسة حكومة الإقليم الشمالى تغيرت. وطلب إلى كل المدرسين الذين تخرجوا فى عام ١٩٣٦ أن يكونوا مدرسين متخصصين (فى العلوم والرياضيات). كان نوح صاحب الترتيب الأخير بين تلاميذ فصله فى الرياضيات، وعليه كان مدرس اللغة الإنجليزية (السيد بروكهنت Brookhunt) يرسله إلى المكتبة بدلا من حصص الرياضيات. ونظرا لعجز نوح عن أن يكون مدرسا، نظرا لأن المدرسين المطلوبين كانوا مدرسى علوم ورياضيات. فقد ترتب على ذلك مغادرة الرجل لكاتسنا بعد أن أمضى أربع سنوات فى دراسة المقررات عامة، وبدأ الرجل عمله مع الإدارة المحلية فى زاريا. ثم التحق نوح بمكتب الأدب فى زاريا فى عام ١٩٣٨، وجرى تدريبه على فن الترجمة، الذى اكتشف أنه فن سهل. ترجم الرجل مطبوعات كثيرة واستمر ذلك فى عام ١٩٤٥، كما قام الرجل أيضا بترجمة كل القواعد والنظم الحكومية المستعملة فى الإدارة المحلية. وبعد إنشاء هيئة جريدة "جاسكيا"، أصبح نوح واحدا من نواة هذه الهيئة. وتحول الرجل إلى تأليف الكتب (ألف بعض كتب الهوسا، التى منها كتاب Bala Da Babiya فى عام ١٩٥٣ وكتاب "عبد القادر صلاح الدين" فى عام ١٩٥٣ أيضا وكتاب "عبد العزيز بن سعود" فى عام ١٩٥٤).

بالنشر وبالأنشطة الحزبية السياسية الباكرة، والذى سيصبح واحدا من المتكلمين البارزين باسم الشمال.

٢ـ الزعماء التقليديون ورجال المال والأعمال (كبارا وصغارا):

هذه الاندفاعة الباكرة التى قام بها مفكرو الشمال، وبخاصة المدرسون، الكتّاب، والصحفيون، انضم إليها فى مرحلة لاحقة تحالف من القوى ذات التوجهات التقليدية، عندما اتضح لأعضاء ذلك التحالف أن جبهة موحدة كانت على

= يذكر الرجل أنه جرى فى عام ١٩٥٢ جره إلى السياسة على غير رغبة منه، وأنه لم يكن يهوى السياسة. ومع ذلك كان هناك طلب على الشباب للانضمام إلى الحملة التى كانت تهدف فى ذلك الوقت إلى ايقاظ شعب شمالى نيجيريا حتى يفهموا موقفهم فى إطار الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية. وأن يتعرفوا حقوقهم... كانت هناك صحوة شعبية أدت إلى صحوة سياسية. جرى تسجيل نوح ليشارك فى التربية السياسية للشعب، الأمر الذى جعل نوح يعمل بالسياسة. (ونوح وميتاما سول، وأمين كانو من بين الخطباء البارزين بلغة الهوسا، وعلى نحو، لم يصل إليه أحمد بللو Sardauna الذى كان حركيا أكثر من نوح. معروف أن استعمال الأمثال والاستعارات فى لغة الهوسا أمر له قيمته الخاصة فى الثقافة الهوسوية). ثم أصبح نوح أمينا تنظيميا للحزب. ثم أمينا تنظيميا قوميا للحزب فى عام ١٩٥٣ (بعد العودة من المؤتمر الدستورى اللندنى). وفى عام ١٩٥٤ حصل الرجل على مقعد فى مجلس الممثلين الفدرالى. وكان يتردد على ليجوس لحضور اجتماعات الميزانية وحساباتها. وبقى الرجل فى منصب الأمين التنظيمى القومى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى إلى عام ١٩٥٩ (إلى أن حل محله محمد كنج من ولاية النيجر).

فى عام ١٩٥٩ الميلادى جرى تغيير الدستور النيجيرى وأدخلت نصوص لإنشاء مجلس ثان (للشيوخ). وأصر أحمد بللو على قبول نوح لوظيفة فى المجلس الجديد (لم يجر النص على الانتخابات لهذا المجلس) نظرا لأن نوح كان واحدا من الشخصيات البارزة فى الحزب. كان حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون Ncnc قد رشح كلا من مبادوى Mbadiwe وأزكوى Azikiwe وكان حزب جماعة العمل AG قد رشح أكنتولا .Akintola وافق نوح فى شىء من التردد. هذا المجلس الجديد أطلق عليه بلغة الهوسا Majilisar Dattijai، أى مجلس كبار السن. الأمر الذى جعل نوحا غير راغب فى تلك الوظيفة. وفى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠، وباعتبار أن نوحا كان عضوا فى مجلس الشيوخ، فقد عين فى بداية الأمر وزيرا للدولة للشئون الخارجية، تحت رئاسة وزير الخارجية. وبعد ذلك تولى هو منصب وزير الخارجية. وبقى الرجل فى ذلك المنصب إلى أن حدث انقلاب عام ١٩٦٦. (وفى نهاية الأمر، أى اعتبارا من عام ١٩٦٥ إلى الانقلاب، كان اسم الوزارة "الشئون الخارجية") وبناء على ذلك، فإن الرجل ظل طوال القسم الأكبر من الفترة من ١٩٦٠ – ٦٦ خارج نيجيريا.

وشك الظهور فى الشمال. هذه القوى ذات التوجهات التقليدية كانت تشتمل على "حكام تقليديين" (وأبنائهم)، وعلى أولئك الإداريين الذين تلقوا تعليمهم فى كلية كاتسنا، كما كانت تشمل أيضا التجار ورجال المال والأعمال المحليين. هؤلاء الرجال "كبارا وصغارا" جرى ضمهم إلى الحزب. ونظرا لأن كنو Kano كانت مركزا تجاريا رئيسيا فى ذلك الوقت، فهى تعد مثالا لهذه العملية.

فى كنو كان الأمير عبد الله بايرو المتقدم فى السن، يعتمد اعتمادا كبيرا على ولده محمد سنوسى Sanusi (سيروما) فى القيام بأعمال الإدارة المحلية. كان سنوسى قد تعرف على أحمد بللو أثناء أزمة عام ١٩٤٣ الميلادى، يوم أن قام أحمد بللو بمساندة "العناصر الشابة" فى النزاع الذى دار فى ذلك الوقت. فى ذلك الوقت كانت الأحزاب السياسة قد بدأت تتشكل، وكان محمد سنوسى يشكل قوة رئيسية فى كنو، بل كان الناس ينظرون إليه باعتباره "مصلحا"[١]. فقد لعب الرجل دورا حاسما فى تشجيع مدرسى كنو الشبان (ومدرسين آخرين) على المشاركة فى السياسة.

(كان من بين هؤلاء المدرسين كل من إينوا وادا Inuwa Wada، وميتاما سول، وسول جايا[٢]، وآخرون).

---

(١) بيان صحفى رسمى عن محمد سنوسى، الذى جرى ترقيته من مرتبة سيروما إلى مرتبة أمير فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٣. (أرشيف كادونا الوطنى رقم ٤١٥٩؛ الحاج محمد السنوسى، أمير كنو. الملف الشخصى): ولد الحاج محمد السنوسى فى عام ١٩٠٥، وهو الابن الأكبر للأمير الراحل. تعلم الرجل تعليما خاصا وشغل فى البداية منصب رئيس الحى فى بيشى Bici فى عام ١٩٢٦، وفى عام ١٩٣٩ أصبح عضوا فى مجلس الأمير وفى عام ١٩٤٧ وعقب وفاة مداكى عمر تولى الرجل إدارة الحى. وليس هناك شك فى أن نجاح محمد السنوسى فى إدارة الحى هى التى مكنته من الفوز فى الانتخابات. ويرجع النجاح فى إنشاء مجالس الحى إلى حيوية هذا الرجل. وقد حضر الرجل الاجتماعات كلها التى عقدت على مستوى أحياء كنو الأربعة والعشرين. وتحدث أيضا فى تلك الاجتماعات وذلك على امتداد عام الفائت كله؛ يضاف إلى ذلك أن التنمية الريفية التى انطلقت فى إثر تلك الاجتماعات أكسبت ذلك الرجل شعبية أكثر من أى نشاط آخر من أنشطة الإمارة. فى بداية الأمر كان النقد موجها لإدارة كنو لإنفاقها القسم الأكبر من الميزانية على المرافق عامة. وقد بذل السيروما (محمد السنوسى) جهدا كبير لإصلاح الميزانية.

(٢) مقابلة شخصية مع سول جايا Sule Gaya فى ٤ أغسطس من عام ١٩٨٤ فى كنو. سول هذا هو ابن ف. هـ. جايا (ربما كان أهم الشخصيات خارج منطقة كنو)، التحق الرجل بمدرسة جايا الابتدائية فى الفترة من ١٩٣٤ - ٣٨، ثم التحق بمدرسة كنو المتوسطة فى الفترة من ١٩٣٨ - ٤٣. وفى الفترة =

شجع السنوسى المديرين المتعلمين تعليما غربيا على الدخول إلى معترك السياسة. وجرى فى عام ١٩٥١ ضم كبار أعضاء المراتب الإدارية الذين تلقوا تعليمهم فى كلية كاتسنا: بما فيهم بللو كنو (الذى أطلق عليه لقب "مكاما" فيما بعد، ثم بعد ذلك لقب "مداكى")، وبللو دانداجو (وكيل وجى فيما بعد، ثم أمير دواكى ماى Mai توتا Tuta)، وأبو بكر دوكاجى (ثم جرى انتخاب محمد سنوسى (سيروما) نفسه فى انتخابات عام ١٩٥١. (وفى انتخابات عام ١٩٥٤ انسحب كل من مداكى الشيخ أحمد، والوزير أبو بكر دوكاجى، والأمير سنوسى من السياسة الرسمية لكى يعملوا فى مجال الإدارة المحلية).

كان سنوسى معنيًا أيضا بربط سلطات الإمارة ربطا محكما بالمجتمع التجارى الهوسوى الكبير فى كنو. كان تجار الهوسا فى شمالى نيجيريا مشغولين فى معظم الأحيان بالتجارة مع أماكن بعيدة، وكانوا مشغولين إلى حد ما بشراء المحاصيل النقدية من الفلاحين نيابة عن الحكومة. عانى هؤلاء التجار من إساءات ومظالم كبيرة "إلى حد أن "غير الشماليين" (بمن فيهم من اللبنانيين، والأوروبيين،

= من ١٩٤٣ – ٤٧ كان الرجل مدرسًا وتلميذًا فى آن واحد. التحق الرجل بكلية المعلمين فى كاتسنا. وأدى الامتحانات فى تاريخ مبكر (ستة أشهر). درس الرجل فى بلدة جايا مدة عام، ثم ذهب للتدرب على التدريس فى المدارس الأولية العالية (التى تحولت فيما بعد إلى المستوى الثانى)، فى الفترة من ١٩٤٩ – ٥١. وفى عام ١٩٥١ عاد الرجل للتدريس فى مدرسة كنو المتوسطة. وفى الفترة ما بين أكتوبر ١٩٥٢ وأكتوبر ١٩٥٧، عين الرجل ناظرا لمدرسة برنن الابتدائية العالية. ودخل الانتخابات فى عام ١٩٥٦ (جايا) لعضوية الجمعية العمومية. وفى عام ١٩٥٧ عُين الرجل سكرتيرا برلمانيا (أى وزيرا صغيرا)، ومن ثم ترك التدريس وذهب إلى كادونا. كان الرجل سكرتيرا برلمانيا بدرجة وزير للشئون الداخلية (تحت رئاسة الأمير ماسكا. ثم بعد ذلك تحت رئاسة إبراهيم موسى جشاش). وفى عام ١٩٦٠ عين الرجل وزيرا للدولة، قائما بعمل وزير الحكم المحلى. وفى عام ١٩٦١ لم يلق أية معارضة فى جايا وأصبح وزيرا للأشغال (مدة شهرين) ثم وزيرا للحكم المحلى (١٩٦١ – ٦٦). (وفى عام ١٩٦٥، عين الرجل أميرا لكنو).

بعد انقلاب عام ١٩٦٦ عاد سول جايا إلى الحكم المحلى فى جايا، ثم أسندت إليه مسئولية التأسيس والتدريب (ثم التعليم إلى عام ١٩٧٥). وفى عام ١٩٧٥ (وتحت رئاسة المحافظ سانى بللو) انتقل من الأشغال إلى المؤسسات. وفى عام ١٩٧٧ كان الرجل عضوا فى لجنة وضع مسودة الدستور.

وكذلك "الجنوبيين") كانوا مفضلين من حيث المعاملة فى المجال التجارى. ومع ذلك، كان بعض تجار كنو (مثل الحسن دانتاتا Dantata) يكسبون ثروات كبيرة[1].

---

(١) للمزيد عن الحسن دناتا Danata راجع مقال أبو بكر إمام المعنون "كيف استطاع المرحوم دناتا الكنوى اكتساب الثروة (يقال إن هذا الرجل هو أغنى رجال الشمال)". والمنشور فى جريدة المواطن Citizen النيجيرى Nigerian. بتاريخ ٣١ يناير من عام ١٩٥٩. الصفحة رقم ١١. هذه الرواية يمكن إيجازها فيما يلى. توفى الحسن دناتا حوالى عام ١٩٥٦، فى سن الثالثة والثمانين. كان الرجل عضوا من أسرة أجلاوا Agalawa المالكة، تلك الأسرة التى كانت معروفة منذ القدم بأنها أسرة التجار المالكة. شب الحسن دناتا مع والده. الذى كان تاجر شهيرا من جوانجا. وبعد أن توفى الوالد. قامت والدة الحاج الحسن. التى كانت تاجرة متمرسة بمغادرة نيجيريا إلى ساحل الذهب. غانا حاليا. استقرت الأم فى ساحل الذهب. وبالرغم من كونها امرأة إلا أنها نشطت فى التجارة كما لو كانت تاجرا من تجار تلك الأيام. وعندما كبر الحسن. تتبع الصبى خطوات أمه إلى ساحل الذهب. أى إلى جوانجا على وجه التحديد. وعندما رأته أمة أخذته على الفور إلى معلم إسلامى اسمه محمد عثمان، وطلبت منه أن يعلم ولدها القرآن والثقافة الإسلامية. جرت العادة أن يحكى الحاج الحسن دناتا كل ذلك على الرغم من ثراء والدته، ومع ذلك لم تسمح له بالتمتع بثروتها. وبدلا من ذلك كانت دائما تعلمه أن يجمع ثروته الخاصة به وألا يفكر فى التمتع بحياته باستعمال نقودها. "ثروتى ملك لى. وثروتك ملك لك" كانت الأم تردد هذه العبارة دوما على مسامع ولدها وعليه، ونظرا لأنه لم يكن لـديه رأس مـال، ولا خبرة، ولم يكن قد تمرس بعد، فإنه لم يتمكن من العمل بالتجارة. وبدلا من التجارة راح الصبى يعمل فى قطع الحشائش والحطب والتجوال فى البلدة على شكل بائع جائل. ولما كانت الأم امرأة عجيبة فقد راحت تدون كل قرش جناه ولدها من تجارته. ولكن أعجب ما فى هذا الأمر، أنها على الرغم من إمساكها حسابا مستقلا لولدها الحسن. إلا أنها لم تسمح للنقود بالتراكم. وعندما وجدت أن مبلغا معينا جرى جمعه، كانت تبادر بتوزيع ذلك المبلغ على المحتاجين... وعندما وقف الابن على طريقة تصرف أمة فيما يجمعه من مال، قال لها: "يا أماه، أنا لا أفهم الأسباب التى تمنعك من الاحتفاظ لى بكل قرش أجمعه أنا، ولكنك تنفقيه بدلا من ذلك ". وردت عليه قائلة:" نعم، يا ولدى. أنا لا أبذر المال. أنا أحتفظ به لك. ولكن فى خزينة مختلفة. ستجمعه فيما بعد" ... كبر الحسن دناتا وأصبح باحثا عربيا شهيرا... وبدأ الرجـل ينتقل من بلدة إلى أخرى داخل غانا، إذ كان الناس الذين يعملون بتجارة الأغنام يستأجرونه خادما. وأصبح الرجل يعد ذلك شريكا فى هذه التجارة. ومن شريك صغير أصبح تاجرا كبيرا. ثم بدأ بعد ذلك ينتقل من غانا إلى نيجيريا. وعندما كان يصل إلى نيجيريا كان يبيع الأشياء التى أحضرها ليشترى بدلا منها أشياء أخرى يأخذها معه إلى غانا... هل كان هناك شىء لم يبعه الحسن دناتا؟ لم تكن هناك شركة واحدة لم يتعامل معها الحسن دناتا من أجل الرفاه. كان الحاج الحسن دناتا يبيع سلعا كبيرة ويشترى بدلا منها الفول السودانى. وبذور القطن، والجلود والمصنوعات الجلدية. ومع الشركات كلها التى كان يتعامل معها كان يتضح لتلك الشركة أن الرجل له وزن ثقيل فى التجارة... حقق الحاج الحسن دناتا نجاحا كبيرا... لا من ثروة ورثها وإنما من عمله الجاد. والتدريب الجاد. والحكمة المالية والمقدرة الفائقة. بدأ الحاج الحسن حياته التجارية بلا رأسمال اللهم باستثناء ذلك الذى يمكن لنفسه أن تقطعه له. ولكنه رحل عن الدنيا وهو يحمل لقب أغنى رجل فى شمالى نيجيريا. (ملحوظة: الابن الأكبر للحسن دناتا هو سنوسى، الذى تولى مشاريع دناتا فى كنو بعد وفاة والده).

تقـــرر أن يكون سنوسى فاعلا فى إدخـــال أولئك التجار المـــــحليين إلى حـــلبة السياسة الشمالية، وهنا تحول كثير من التجار إلى مساندة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna وكان من بين هؤلاء التجار كل من: هارون كاسيم(١) وإسحاق رابيو Isiaku Rabiu(٢) وأحمد دناتا(٣)، والحـــاج نبيقو Nabequ(٤) وآخرون.

ويثبت على الرغم من ذلك إن إبراهيم موسى جشاش، كان الشخصية الرئيسية فى مجال المال والأعمال، الأمر الذى جعل سنوسى يدخله إلى دائرة الحزب. وإبراهيم ينحدر من أسرة عربية تعمل بالتجارة سبق لها أن اتخذت من كنو موطنا لها. إبراهيم هذا لم يتلق أى قدر من التعليم الغربى الرسمى، ولكن تعليمه كان تعليمًا عربيا خالصا. (يقال إن إبراهيم قرأ كتبا عربية فى السياسة أكثر من أى إنسان آخر) ونقلا عن ميتاما سول(٥)، كان إبراهيم حصيفا، ومخططا من

---

(١) هارون كاسيم (ما يزال حيا عند كتابة هذا المؤلف) كان عاملا فى شركة من الشركات، ثم أصبح وكيلا لها. لم يكن هارون يعرف الكتابة الغربية، ولكنه كان حصيفا جدا. وربما كان هو أقرب الناس إلى أحمد بللو، وكان يأتى ليشترى أقمشة لأحمد بللو كى يقوم بتوزيعها على الناس. كما كان وسيطًا مهما أيضا بين أحمد بللو والمعلمين. وتزوج الرجل بعد ذلك أختا من أخوات واحدة من زوجات أحمد بللو. كانت أسرة هارون تنحدر أصلا من مدينة برنو. وكان الرجل يمارس تشكيلة كبيرة من تجارة الجملة والتجزئة.

(٢) لم يكن إسحاق رابيو شخصية كبيرة فى ذلك الوقت، ولكن إبراهيم موسى جشاش قدمه إلى أحمد بللو. وأصبح بعد ذلك من المقربين إلى أحمد بللو. كما كان وسيطًا أيضا بين أحمد بللو Sardauna والمعلمين التقليديين.

(٣) أحمد دناتا هو ولد الحسن دناتا، كان أيضا على علاقة بأحمد بللو من خلال إبراهيم موسى جشاش. أحمد دناتا هو والسنوسى من زعماء أسرة المال والأعمال.

(٤) الحاج نبيقو، وهو تاجر هوساوى يعمل فى مجال الجلود والمصنوعات الجلدية. كان من ضمن المجموعة الأولى التى جرى انتخابها للجمعية العمومية فى عام ١٩٥١.

(٥) مقابلة شخصية، مع ميتاما سول، فى أغسطس من عام ١٩٨٤ فى مقاطعة كنو Kano.

الطراز الأول... كما كان داهية أيضا. حاول سنوسى إدخال كل ذلك إلى مجتمع المال والأعمال. الحاج تاج الدين (الذى كان فى سيراليون) جرى ترشيحه ليكون عضوا خاصا فى الجمعية Assembly العمومية ليكون ممثلا للمصالح المالية والأعمالية. وبعد وفاة الرجل التقط سنوسى إبراهيم موسى جشاش، الذى كان مستنيرا بالرغم من أنه لم يكن غربيا. كان الرجل يتمتع بشعبية كبيرة. وكان يعمل فى تجارة الفول السودانى وتصدير الجلود والمصنوعات الجلدية (بما فى ذلك جلود التماسيح) (تحول الرجل بعد ذلك إلى واحد من رجال الصناعة) كان أحمد بللو يستلطف ذلك الرجل. (إذ كان يحمل اسم والد أحمد بللو... "إبراهيم"). كان جشاش "أفضل السياسيين / الإستراتيجيين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى". كان الرجل ملما بكل ما يدور فى مختلف الأماكن. كان لديه جواسيس، حتى بين النساء. والده (موسى) استوطن كنو وتوفى فيها أيضا. لم يكن إبراهيم صاحب لقب من الألقاب التقليدية، لأنه لم يكن بحاجة إلى هذه الألقاب. كان الرجل عميقا ولم يكن يسبر عمقه سوى قلة قليلة من البشر. كان يفهم الناس وقلة منهم هم الذين كانوا يفهمونه. كان يفيد دوما من المُخاطب، بغض النظر عن مكانته كبرت أم قلت. كان الرجل ضليعا فى اللغة العربية، وقرأ فى السياسة، وفى التاريخ، وفى المنطق Manduk كما كان عقلانيا أيضا للغاية[١].

---

(١) ميتاما سول. المرجع السابق. ملاحظة: أصبح إبراهيم موسى جشاش فيما بعد رئيسا إقليميا لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ووزيرا إقليميا للأراضى والمساحة. وقد توفى الرجل حوالى ١٩٧٥-٧٦. لمزيد من المعلومات عن جشاش، وأسرة دناتا وآخرين من مجتمع المال والأعمال راجع المقال الذى كتبه إبراهيم طاهر بعنوان، " باحثون، وصوفيون، وقديسون، وخلفاء فى كنو: الفترة من ١٩٠٤ - ١٩٧٤: نمط الثورة البرجوازية فى المجتمع الإسلامى،" رسالة دكتوراه، جامعة كمبردج، فى عام ١٩٧٥.

إينوا وادا[1] يؤكد أيضا دور السنوسى فى إشراك التجار وبخاصة إبراهيم موسى جشاش فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ونقلا عن إينوا وادا فإن الحزب عندما تأسس فى كنو، لم يكن هناك حزب آخر يمكن أن يطاوله، اللهم باستثناء حزب الرابطة التقدمية لعناصر الشمال الذى أطلق عليه فيما بعد اسم الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال. أدرك الرؤساء عن طريق التشاور أنه لابد من السماح بإنشاء الأحزاب فى الشمال سواء أرادوا أو لم يريدوا. وكان الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال معارضا للرؤساء معارضة شديدة، ولكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان أكثر اعتدالا. كان إينوا وادا وأمين كانو أبناء أعمام، وكانا قريبين من بعضهما تماما. كانا يلتقيان يوميا، وكان إينوا على علم بكل ما يدور على المستوى السياسى. وزار الرجل سنوسى وأبلغه أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بحاجة إلى التوازن. كان إينوا يعرف أن الحزب مقسم بين الجانب الجنوبى

(١) التحق إينوا وادا بالمدرسة الأولية فى كنو (فى الفترة من ١٩٢٧ - ٣٠). ثم التحق بمدرسة كنو المتوسطة (فى الفترة من ١٩٣٠ - ٣٣)، ثم التحق بكلية كاتسنا العالية (فى الفترة من ١٩٣٣ -٣٨). كما عمل الرجل بالتدريس فى مدرسة كنو المتوسطة فى الفترة من ١٩٣٨- ٤٧. وفى الفترة من ١٩٤٧ - ٤٩- كان مفوضا جانلا، وجاب مدن الشمال. وفى الفترة من ١٩٤٩ - ٥١ عمل رئيسا للكتبة فى إدارة كنو الكهربية المحلية. وفى عام ١٩٥١ أصبح الرجل مسئولا إعلاميا فى الإدارة المحلية فى كنو، كما كان مسئولا أيضا عن تعليم الكبار. خلال سنوات الحرب، أصدر إينوا وادا صحيفة محلية بلغة الهوسا تحت اسم Yadda Yaki Ya Ke Yau موقف الحرب اليوم. كان إينوا يقوم بدور المحرر ولذلك كان يستمع إلى الراديو فى مركز الإعلام المحلى، أو فى منزل السنوسى (كان سيروما وقتئذ). ثم يقوم بعد ذلك بكتابة هذه الأخبار العالمية بلغة الهوسا. وفى عام ١٩٥١ انتخب إينوا وادا للجمعية العمومية ثم جرى بعد ذلك تعيينه فى مجلس الممثلين الفدرالى. وواصل الرجل القيام بعمله بصفته مسئولا عن الإعلام وعن تعليم الكبار.(كان الرجل يزور كلا من كادونا وليجوس كل ثلاثة أشهر. بصحبة كل من بللو كانو. وميكانو دوتسى (Maikano Dutse) فى عام ١٩٥٣ غير الرجل وظيفته. وذهب إلى قسم إدارة الأحياء، فى وظيفة كبير الكتبة (تحت رئاسة سنوسى). وبعد أن رقى سنوسى إلى أمير، انضم إينوا إلى مكتب هيئة الإدارة المحلية. وفى عام ١٩٥٤ جعل أحمد بللو إينوا سكرتيرا برلمانيا خاصا له. ومن ثم ترك الرجل كنو وسافر إلى كادونا (مقابلة شخصية، مع إينوا وادا، فى ٥ أغسطس من عام ١٩٨٤، كنو).

(الحكام التقليديون) والجانب الشمالى (التجار) (أى المنطقة الأصلية فى المدينة). وأبلغ إينوا السنوسى أنه إذا أراد النجاح فإنه يتعين عليه إدخال التجار إلى الحزب، أى إدخال إبراهيم موسى جشاش. (عاون إينوا أيضا فى مسألة ضم كل من ميكانو دوتسى وعمر بابورا اللذين كانا رفيقين له فى مدرسة كاتسنا المتوسطة) كان إينوا قد التقى مصادفة إبراهيم موسى جشاش، أول مرة. كان هذا الإبراهيم قد حضر إلى إينوا وطلب إليه تعليمه اللغة الإنجليزية. (كان إبراهيم رجلا ثريا) وبناء على ذلك كان إينوا يركب دراجته ويذهب إلى منزل إبراهيم. لم يكن سنوسى يلعب دورا مهما فى الحزب، ولكنه كان نشيطا فى مساعدة الحزب، من الناحيتين الأخلاقية والمادية. كان سنوسى يعتقد أن الحزب سوف يؤيده ولن يدمره[1].

خلاصة القول أن "ولى العهد" (شيروما) فى كنو لعب دورا مهما فى تشكيل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كنو، وكان ذلك من وراء ستار، باعتبار ذلك جزءًا من خطته لربط المدرسين، العناصر "التقدمية" بين أبناء الشمال، بالجماعات التجارية المحلية. هذا النمط تكرر بصورة أو بأخرى فى سائر أنحاء الشمال (بما فى ذلك بربو، التى سيجرى تناولها فيما بعد). هذا يعنى أنه قد يكون هناك أطراف مهمة داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، على كل من الطيف الأيدولوجى والطيف المحلى. وإذا كان المدرسون والإداريون المتعلمون صغارا نسبيا فى السن، فإن رجال المال والأعمال والحكام التقليدين كانوا أكبر سنا. ومعروف أن معدل الاختلاف السنى يولد نوعا من الجدل داخل الحزب، وهو ما سوف يميز الحزب طوال فترة وجوده[2].

---

(١) المرجع السابق، ومما يدعو إلى السخرية. أن إبراهيم موسى جشاش سيكون شخصية رئيسية فى استقالة سنوسى.

(٢) ميتاما سول (المراجع السابق ٦ أغسطس ١٩٨٤) يجادل فى مسألة وجود عناصر كثيرة مختلفة فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وأن تلك العناصر كانت بينها مصالح مشتركه محددة، ولكنها كانت مختلفة على أمور كثيرة. وقد اشتملت هذه العناصر على:

١) مدرسون ومتعلمون.

٢) أمراء.

٣) رجال مال وأعمال.

٤) إداريون.

=

٣ـ جبهة متحدة:

بروز المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كزعيم مركب الإدراك الشعبى (باعتباره مميزا عن الإدراكات المشاركة فيه) يُعَبِّرْ عن بروز أحمد بللو Sardauna باعتباره زعيما لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، يمكن أن يكون على النحو التالى: فى يوم الإثنين، الموافق للسادس والعشرين من شهر أبريل من عام ١٩٥٤ (عند الساعة السادسة صباحا) يصل أحمد بللو Sardauna (ولجنة العمل التابعة لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى) إلى مسافة تبعد حوالى ميلين خارج منطقة جوس Jos، التى سينعقد فيها الاجتماع عام للحزب، ويقابله فى هذه المنطقة أعضاء رابطة شباب الخير التى هى جناح الشباب فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كما يقابله أيضا زعماء من جوس ومن فرع الأبكار والنساء التابعين للحزب نفسه. وتشكل هذه الجماعات كلها موكبا، وتروح كل جماعة تحمل علما خاصا بها، فى حين ترفع لجنة العمل بالحزب الراية الوطنية الخاصة بحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وكان الجميع يغنون ووصل عدد الجماهير إلى آلاف عدة. ويتحرك أحمد بللو Sardauna فى اتجاه المنزل الذى سينزل فيه، ويخطب فى الجماهير خطبة قصيرة، يؤكد فيها أن الحزب ملتزم بأن يرى نفسه يحتل المكان المناسب بين أقاليم نيجيريا. ويلقى أحمد بللو تصفيقا عاصفا.

=هؤلاء تم تصنيفهم طبقا للمقاطعة والعمر. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى حزبا موحدا على أساس من المبدأ القديم الذى يقوم على ربط كبار السن بالشباب. (الحزب يحتاج إلى حكمة الكبار ويحتاج أيضا إلى دينامية الشباب وراديكاليته) حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كحزب سياسى، كان مكونا من الكبار والصغار. (وهو يقول: إن النبى محمد أسس منظومة اجتماعية وسياسية بناها على أناس أميين. بأن ضم كبار السن وصغار السن فى منظومته) ويقول إنه كان فى الثلاثين من عمره عندما أصبح وزيرا، وكان عمر شاجارى أربعة وثلاثين عاما. وأن ريبادو كان فى سن والدهما. كان ريبادو يقول: "أحضروا هؤلاء الشبان كى يتعلموا". فى ليجوس، استلم الشبان للكبار (باربيادو، ديبشاريما ووادا). كان بوسع الشبان أن يكونوا من المنادين بالإصلاح الجذرى ولكنهم كانوا يحترمون السن ويقدرونه، وكان الكبار يحنون على الصغار. كانوا يربون الشباب ويدربونهم. لم يكن هناك صراع بين الكبار والصغار. وإنما كانوا يكملون بعضهم بعضا.

وفى اليوم السابع والعشرين من شهر أبريل، وعند الساعة العاشرة مساء يعلن أعضاء لجنة العمل فى الحزب عن وصول أحمد بللو Sardauna إلى سكتو باعتباره وزيرا للحكم المحلى وتنمية المجتمع ونائبا للرئيس عام لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ثم تقوده لجنة العمل إلى المكان المعد له على مسرح دار سينما ركس. فى حين كان يجلس أمامه الوزراء المركزيون والإقليميون، وأعضاء المجالس التشريعية الإقليمية والمركزية، وكذلك أعضاء لجنة العمل فى الحزب. وفى مؤخرة القاعة كان يجلس ممثلو المقاطعة والأفرع المحلية (وصل العدد الإجمالى إلى ٣٣٢ عضوا)، كل هؤلاء إضافة إلى جناحى الشباب والمرأة. ويطلب أحمد بللو إلى وزير سكتو افتتاح المؤتمر بالصلاة، وبذلك يبدأ المؤتمر عام الذى دام ثلاثة أيام فى جوس Jos . ولما كان نوح بامالّى يقوم بدور الأمين عام نظرا لغياب إبراهيم إمام، فقد قُدِّم أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، باعتباره رئيسا للمؤتمر، بدلا من الحاج ساندا Sanda الذى كان غائبا. ويبدأ أحمد بللو Sardauna. قراءة خطابه الذى استغرق أربعين دقيقة[١]، ويروح الحاضرون يقاطعونه بالهتاف والتصفيق.

---

(١) للمزيد عن الخطاب الكامل الذى ألقاه أحمد بللو، راجع جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٦ مايو من عام ١٩٥٤ الصفحة الخامسة. ١٣ مايو ١٩٥٤، ص ٥، حيث مقتطفات رئيسية من الخطبة. تتناول الأهداف والقيم عامة على النحو التالى:

كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هو الحزب الوحيد الذى سافر إلى لندن بخطة واضحة للإطار عام الذى ينبغى أن يكون عليه دستور الشمال. من بين أهدافنا الرئيسية، الحصول على الحكم الذاتى الإقليمى القوى: أى السيطرة الكاملة على شئون إقليمنا بلا أى تدخل من الخارج. نحن نطالب بأناس أقوياء. لحماية شعبنا والمساعدة فى إسعاد هذا الشعب، وأن ندير شئوننا بما يتفق ومصالح هذا الشعب، وأن نعمل على رفاه هذا الشعب بلا خوف أو محاباة. طلبنا أن يكون لكل إقليم خدماته عامة المستقلة. أنتم جميعا تعلمون أننا فيما يتعلق بهذا الأمر يتعين أن يكون لنا رأى فى خدمتنا عامة. هذا يمكن أن يهيئ لنا فرصة إيجاد الكثير من الفرص أمام رجال ونساء الشمال حتى لا تقف الصعوبات أمامهم وهم يبحثون عن أعمال لهم بعد حصولهم على التدريب المناسب. نحن نتطلع أن يكون لنا رجال ونساء من أهل الشمال فى كل فروع الخدمة عامة فى الإقليم، إذ من الواضح أن سلامة أى بلد من بلدان أو أمة من الأمم تعتمد على قدرة هذا البلد أو تلك الأمة على إدارة خدماتها من قبل أهلها ومواطنيها. ونحن عندما نسمح بأن تكون المناصب الرئيسية فى الخدمات الكبيرة والصغيرة، فى أيدى أناس آخرين. فإن الحكم الذاتى لن يكون حقيقيا وإنما عار وشنار. وسوف يترتب على ذلك كثير من الغضب والاستياء قبل أن يتمتع شعبنا بمزايا الحكم الذاتى.

= طالب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى مؤتمر لندن أن تقوم نيجيريا بالسيطرة على الموانئ والسكك الحديدية وأن يسمح لكل إقليم من الأقاليم بالوصول إلى البحر. والسبب وراء هذا الطلب واضح وجلى وهو أننا عندما لا يكون لنا منفذ على البحر سيصعب علينا تصدير منتجاتنا مثل الفول السوداني، والقطن، والمصنوعات الجلدية والجلود، أو استيراد البضائع من قبيل المنسوجات، والسيارات. إلخ.. الأمر الذى سيؤدى إلى انخفاض كبير فى تجارتنا مع الدول الأجنبية. هذا السبب هو الذى جعل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يركز على إبعاد ليجوس عن سيطرة أى إقليم من أقاليم نيجيريا.

سوف تلاحظون أن هناك بعض الخطط التى ترمى إلى إعادة تنظيم السكرتارية المركزية وتحويلها إلى كادونا، حيث ستكون تحت إشراف وزراء الحزب.

كانت تقوية المجالس المحلية كلها من بين المهام الأخرى التى تعين على المؤتمر القيام بها. والحكم المحلى، ومجالس الأحياء، ومجالس المدن، وكذلك مجالس القرية، كل ذلك يجرى إنشاؤه حتى نهيئ لعامة الناس فرصة المشاركة فى إدارة شئونهم. لقد لاحظت أن الناس لم يعودوا يخشون التعبير أو الإفصاح أو الإعراب عن استيائهم الشرعى عندما يودون التعبير عن آرائهم.

أنا أسمع الناس دوما يرددون السؤال التالى: ما الذى يدل عليه الرمز NP؟ ونحن الآن، وعلى الرغم من توضيح أهدافنا فى بيان عملنا، سوف نحاول اليوم التعبير عن تلك الأهداف تعبيرا مفصلا:

(١) هدفنا هو توحيد الشمال وجعل كل القبائل التى تعيش فى الشمال تستشعر أنها قبيلة واحدة وأنهم كلهم شعب واحد. وأهل الشمال هم فى واقع الأمر شعب واحد وذلك بسبب الزواج المختلط بين كل هذه القبائل.

(٢) نحن ننوى تأمين مصالح شعبنا وحماية ذلك الشعب من أى شكل من أشكال الخوف أو سوء المعاملة وبذلك يتمكن كل واحد من أداء عمله فى سلام وأمن ويزيد من ثروته ورفاهه.

(٣) سوف نسمح لكل إنسان فى الإقليم الشمالى باعتناق الدين الذى يريده بلا خوف أو اضطهاد.

(٤) سوف نحتفظ بكل عاداتنا الطيبة ونقويها، كما سنقوى كل أساليب الحياة التى لا تتعارض مع تطورنا الحديث وسوف نتخلى عن عاداتنا السيئة كلها. وعن الطرق والأساليب التى نعتقد أنها تعترض وتعرقل مسيرة تقدمنا.

(٥) يجب أن ننشر كل نوع من المعرفة على الجميع رجالا ونساء، صبيانا وبناتا حتى تتهيأ الفرصة أمام الجميع لفهم شئون الحياة اليومية.

(٦) نحن ننوى شغل خدمتنا عامة برجال من الشمال ونساء من الشمال وأن نراهم وهم يشغلون المواقع الرئيسية فى المستويات الصغيرة والكبيرة. =

= (٧) سوف نرفع ونقوى لواء العدالة حتى يمكن للجميع الإحساس بالعدالة دون خوف.

(٨) لن نساند أى أحد، أميرا كان أو رئيسا، مسئولا من البيض أو من أية جماعة أخرى إذا ما كان دنيئا أو لا يحترم الشعب.

(٩) سوف نساعد كل أمير أو رئيس أو أى أحد آخر من رجال السلطة الذين يتمتعون بالأمانة والذين يضعون رفاهية الشعب نصب أعينهم ويحفظونها فى قلوبهم. والحزب لن يساعد الفاسدين الذين يخدعون الجماهير أو ينكرون عليهم حقوقهم.

(١٠) نحن نود العيش فى سلام مع الجميع بما فى ذلك رجال القبائل النيجيرية الأخرى الذين اتخذوا من إقليمنا موطنا لهم، شريطة أن يكونوا على استعداد للتعامل معنا بإخلاص وولاء.

(١١) سوف نحتفظ بالموظفين الموجودين فى الخدمة عامة بالشروط التى هم عليها. شريطة أن يؤدوا لنا خدمات أمينة وأن يفهموا جيدا أننا أصحاب العمل.

(١٢) ستظل طوال سنوات قادمة بحاجة إلى خدمات الموظفين الأوروبيين وسياستنا تقوم على التعاون مع المسئولين البيض - سواء على مستوى الإدارة أو على مستوى الإدارة عامة - الذين يبذلون قصارى جهدهم لتقديم خدمات طيبة وأمينة. وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى لن يفسخ الاتفاقات القائمة أو التى ستبرمها الحكومة الجديدة. هناك أنواع متباينة من المهام المفيدة، التى سوف نطلب من الموظفين الإداريين القيام بها. ومن ثم سيكون هناك طلب كبير على خدماتهم. هذا الحزب سوف يتعاون مع موظفى الإدارة الذين يؤدون أعمالهم جيدا ولمصلحة الإقليم الشمالى. ونحن نريد من كل موظف فى الإقليم الشمالى أن يفهم أن عيشه سعيدا بيننا يعتمد على اهتمامه برفاهية شعبنا وعلى مدى اهتمامه بشعبنا. نحن نطلب من كل موظفينا الأوروبيين أداء الخدمات على نحو طيب وبلا تحيز.

(١٣) هدفنا هو تخليص الشمال من العادات السيئة والتقاليد السيئة. وأن نتعاون على الحصول على الحكم الذاتى خلال أقصر فترة ممكنة، وعلى نحو يجعل من الحكم الذاتى، إذا ما حصلنا عليه، نعمة وليس نقمة.

(١٤) هدف آخر من بين أهدافنا هو شغل مرافقنا عامة برجالنا ونسائنا وأن نعطى أبناءنا وبناتنا فرصا متساوية فى التعليم العالى .

أخيرا، أود أن أوضح للجميع موقف حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فيما يتعلق بمسألة الحكم الذاتى الحيوية والمقدر له عام ١٩٥٦... ليس هناك من شك أننا أول من يرغب فى الحكم الذاتى وأننا نبذل كل نفيس وغال من أجل الحصول على الحكم الذاتى. ونحن لا نرى أيه فائدة من وراء تحديد موعد محدد للحصول على الحكم الذاتى على الرغم من أن الجهود المبذولة والاستعداد الجارى يهدفان إلى الحصول على الحكم الذاتى فى أسرع وقت ممكن... إن ما نحتاجه فى الشمال هو زيادة الصداقة بين قبائل الشمال وتحسين مستوى معيشة هذه القبائل. وعندما نحقق ذلك سوف نقبل الحكم الذاتى على الفور.

فى اليوم التالى، يظهر الحاج ساندا Sanda، (ويستشعر أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، Sardauna شيئا من التوعك الصحى)، ويعلن الرجل استقالة إبراهيم إمام من الأمانة العامة لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ويقرأ أبو بكر تافاوا باليوا خطاب استقالة إبراهيم إمام على المؤتمر(١). ويروح يفند الاتهامات واحدة بعد أخرى. ثم يقوم أمين الصندوق أبو بكر إمام بتقديم التقرير المالى السنوى. ويجرى توزيع صور من دستور إنشاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وتجرى مناقشة الدستور فقرة بعد أخرى على امتداد ساعات عدة. وعند الساعة الثالثة صباحا يتحول الاجتماع إلى انتخاب المسئولين عن عام ١٩٥٤- ٥٥. ويتولى بللو داندجو أعمال السكرتارية، كما يجرى أيضا إعلان الرئيس عام، بلا معارض واحد، ليكون مسئولا سياسيا رئيسيا. ويتولى الإشراف على أعمال اليوم الأخير من المؤتمر.

القصة الكامنة وراء هذه الحكاية تختلف باختلاف الراوى. ونقلا عن نوح باماَّلى(٢) فإن الرئيس عام كان الحاج ساندا، وهو من أهل ليجوس، وكان نوح باماَّلى أمينا للتنظيم، وهو الذى نظم ذلك الاجتماع الذى عقد فى جوس Jos (فى عام ١٩٥٤). وقد أرسل الرجل إلى ذلك الاجتماع أناسا من كل أنحاء البلاد ومن خارج البلاد (نظرا لأن الحزب كان له أفرع فى غانا وفى سيراليون). طلب نوح باماَّلى بصفته أمينا للتنظيم، إلى الناس، حضور الاجتماع، وكان هناك حوالى ٧٥ فى المائة من الحاضرين يودون لأبى بكر تافاوا باليوا أن يتولى هو دور القيادة والزعامة. وفى اليوم السابق للاجتماع جرى استدعاء نوح باماَّلى أمام لجنة من

---

(١) فى خطاب من صفحتين موجه إلى أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، قال ابراهيم إمام إن سبب استقالته من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هو أن زعماء الحزب "أوتوقراطيون وغير منطقيين، وليسوا مخلصين لقضية الحزب... الحزب لا يهتم بآرائى الثورية الراديكالية... وأنا فى ظل هذا لا يمكننى التعايش مع السياسيات الحزبية الإمبريالية والرجعية". وفى شهر يونيو من عام ١٩٤٥ تشكلت حركة شباب برنو، وأصبح ابراهيم إمام داعيا لتلك الحركة.

(٢) نوح باماَّلى، المرجع السابق ٢٣ ديسمبر ١٩٨٣.

الزعماء – (ريبادو[١]، وماكمان بطا Bida[٢]، وباليوا، المسئول السياسى الرئيسى، وكاشيم إبراهيم)[٣] سألوه، "يا نوح، هل لك أن تخبرنا بما سنفعله فى اجتماع الغد؟ لابد وأنك استشعرت إحساس الناس فيما يتعلق بالرئيس العام؟"

---

(١) ولد محمد ريبادو فى بالالا Balalal، فى ريبادو فى مقاطعة أدموا. تلقى الرجل تعليمه فى مدرسة بولا المتوسطة. وهو وزير إقليمى شمالى للموارد الطبيعية فى الفترة من ١٩٥١ – ١٩٥٤. وفى عام ١٩٥٤ ينتقل الرجل ليصبح وزيرا فدراليا للأرض، والمناجم والطاقة. وفى سبتمبر من عام ١٩٦٠ يصبح الرجل وزيرًا للدفاع فى نيجيريا، ويظل فى ذلك المنصب إلى أن توافيه المنية فى شهر مايو من عام ١٩٦٥.

(٢) ولد على مكامان بطا فى عام ١٩٠٦، فى مقاطعة النيجر. ثم التحق بعد ذلك بكلية كاتسنا. ثم يصبح الرجل مدرسا ثم ناظرا لسنوات عدة قبل الانضمام إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

(٣) ولد كاشيم إبراهيم فى ميدوجورى فى عام ١٩١٠ الميلادى والتحق بكلية كاتسنا فى الفترة من ١٩٢٥ – ٢٩. وهو يقوم بالتدريس فى مدرسة برنو الابتدائية (التى أصبحت فيما بعد مدرسة متوسطة) مدة أربع سنوات. وفى عام ١٩٣٣ يعين الرجل أول أستاذ إقليمى زائر. وفى عام ١٩٣٥ يعينه شيخ برنوا فى منصب مهم. وفى عام ١٩٣٨ يصبح الرجل كبيرا للأساتذة الإقليميين الزائرين. وفى عام ١٩٤٢ يصبح كاشيم إبراهيم ممثلا لشيخ برنو، فى إدارة التعليم. وفى عام ١٩٤٦، يجرى اختيار الرجل عضوا خاصا فى جمعية الشمال العمومية. وفى عام ١٩٤٧ يصبح الرجل مساعدا تعليميا إقليميا، وفى عام ١٩٤٩ يصبح مسئولا تعليميا محليا. وفى عام ١٩٤٨ يسافر الرجل إلى المملكة المتحدة بصحبة المستشار السياسى الرئيسى. وفى عام ١٩٥٠ يشارك فى المؤتمر الدستورى الذى عقد فى إيبادان. وفى عام ١٩٥١ يسافر الرجل إلى السودان ليدرس نظام تأهيل المعلمين، ثم يوضع بعد ذلك فى معهد التربية والتعليم فى بختر رودا Bakhter Ruda. وفى عام ١٩٥١ ينتخب الرجل للجمعية عامة. كما ينضم أيضا إلى مجلس الممثلين فى ليجوس. حيث يصبح وزيرا مركزيا للخدمات الاجتماعية، التى تشتمل أيضا على التعليم، والصحة والرفاه الاجتماعى. وفى عام ١٩٥٣، يحضر الرجل مؤتمرًا عن التعليم الإفريقى فى المملكة المتحدة (كمبردج) ويترأس الوفد النيجيرى. وطبقا لدستور عام ١٩٥٤. يرفض الرجل السباق على منصب فدرالى. ويصبح وزيرا إقليما شماليا للتنمية الاجتماعية والمساحة. ثم يعين وزيرا لبرنو. وينهى بعد ذلك مستقبله العملى فى الوزارة. وفى عام ١٩٥٨ يعين الرجل رئيسا لكلية الفنون والعلوم والتكنولوجيا فى نيجيريا. ثم يعين بعد ذلك شيخا Senator فى عام ١٩٦٠. وفى عام ١٩٦٢ يعين الرجل محافظًا للإقليم الشمالى.

"نعم". "تقصد من؟" على حد معرفتى إنه الحاج أبو بكر تافاوا باليوا، بواقع سبعة من العشرة. وهنا قال باليوا: "أنا لا أريد أن أكون رئيسا عاما. وبناء عليه، أزور الوفود كلها وأقول لهم إننا جميعا نبايع المستشار السياسى الرئيسى". وعليه راح نوح يتجول الليل بطوله. كان هناك حوالى ٤٠٠ مندوب جاءوا من كل أنحاء البلاد وأبلغهم الرجل بذلك. قبل البعض منهم كلام نوح ورفض البعض الآخر ذلك الكلام، ولكن نوح كان يقول لهم: "هذه هى قواعد الحزب". وعندما علم إبراهيم إمام، الأمين عام، أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، سيكون هو الزعيم، قدم الرجل خطاب استقالته على الفور. وعاش المجتمعون فى دار سينما جوس لحظة من لحظات القلق والانتظار. وقبل المجتمعون استقالة إبراهيم إمام. وبعد اختيار الرئيس العام (المستشار السياسى الرئيسى Sardauna)، قاموا بانتخاب إينوا وادا Inuwa Wada أمينا عاما للحزب.

(ملاحظة: كان الناخبون الذين قاموا بالاختيار الرئيسى، يتمثلون فى اللجنة التنفيذية المؤقتة. هذا يعنى أن كل واحد من أعضاء هذه اللجنة كان زعيما فى مجتمعه. ثم قامت لجنة الحزب التنفيذية بعد ذلك بتعيين بقية الشخصيات الرئيسية التنفيذية فى الحزب)[١].

---

(١) نوح باماّلى، المرجع السابق، يستطرد الرجل فى كلامه ليقول: إن قرار أبو بكر تافاوا باليوا بالنزول كان قرارًا حكيما. وإن الجماهير كان يمكن أن تنتخب باليوا، الذى كان حكيما سياسيا كبيرا. ولكن الجماهير تبينت أن شخصا له شخصية باليوا وخلفيته لن يقدر على قيادة الحزب فى ذلك الوقت. لأن الحزب كان حزب الطبقة الوسطى بالإضافة إلى أن ٩٥ فى المائة من متعلمى شمالى نيجيريا كانوا منضمين إلى ذلك الحزب. وكانوا يحظون بمساندة كل من أمراء ورؤساء الشمال. وبحكم معرفة العقلية النيجيرية لأهل الشمال. فإن الحزب بهذه التشكيلة التى تضم هؤلاء المرموقين، سيكون بحاجة إلى شخص صاحب عقلية فكرية مرتفعة حتى يتمكن من قيادة هؤلاء المرموقين، والحصول على احترامهم وتقديرهم له. كان باليوا يعلم أنه ليس من أسرة مرموقة. (الرؤساء لن يخضعوا لأى أحد لا يجرى فى عروقه الدم الملكى) وقبل المستشار السياسى الرئيسى القرار، ولكنه لم يناور عليه. لم يصل الاجتماع إلى حد الإجماع. بعض الناس تراجعوا ظنا منهم أن باليوا هو القائد (الزعيم) الأفضل، بل إن إبراهيم إمام كان هو الآخر يتطلع أن يكون هو نفسه رئيسا عاما. أو أنه ربما كان يظن أن أبا بكر تافاوا باليوا هو الشخص الأنموذج. وغادر إبراهيم إمام المكان على الفور. وبعد الاجتماع بدءوا =

وهذا هو ميتاما سول يقدم رواية أخرى عن تسلسل تولى القيادة فى الاجتماع الذى انعقد فى جوس(١).

كان محمد السنوسى (سيروما كنو) صاحب النفوذ الأكبر فى وضع أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى منصب الرئيس عام لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان مكامان بطا وريبادو يريدان لباليوا أن يكون هو رئيس الحزب. فى عام ١٩٥٢ كان أحمد بللو وزيرا للحكم المحلى، وكان يبحث عن طريقة يحصل بها على مساندة السنوسى (فى مطلع عام ١٩٤٣). لم يكن برايان شيرود يحبذ تولى السنوسى منصب الإمارة فى كنو، ولكن تدخل أحمد بللو هو الذى أكد ذلك الاختيار فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٣. كان سنوسى قريبا للمستشـــار السياسى الرئيســى (أحمد بللو) وكان رأيه حاسما فى القرار الذى اتخذ فى جوس Jos.

= العمل. بعض الناس جرى تعيينهم لجمع المال والبعض الآخر كانوا يعملون لتوفير المواد اللوجستية الخاصة بالانتخاب. كانوا يلتقون مرة واحدة كل شهر فى كادونا باعتبارهم اللجنة التنفيذية للحزب.

ونوح بامالّى عندما يتأمل ما مضى يقيم العلاقة بين المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) وأبا بكر تافاوا باليوا على النحو التالى: كان كلاهما قويا. وكان باليوا رجلا طيب المحتد (جنتلمان). وكان من الصعوبة بمكان أن يعمل زعيم الحزب وزعيم الأمة جنبا إلى جنب، ولكنهما عملا سويا، ولم يكن العمل هينا أو لينا، ولكنهما كانا يعملان فى هدوء. لم يكن لدى باليوا طموح إلى السلطة. وكان يعرف أن المستشار السياسى الرئيسى لديه هذه المطامح. وعليه قرر باليوا تقديم يد العون لأحمد بللو. كان أحمد بللو يتطلع إلى السلطة، وكان فى بعض الأحيان يدوس على أصابع قدم باليوا. ولكن الأخير لم يكن يصدر عنه أى رد من ردود الفعل. كان باليوا لا يود السلطة وبالتالى كان يسمح لأحمد بللو بمجموعة من الأشياء.

ميتاما سول يوازن صورة العلاقة بين أحمد بللو وباليوا بالملاحظة التالية (بتاريخ ٢٧ يونيو من عام ١٩٨٤): كان باليوا فظا غليظا. والبعض كانوا يحسبون أن أحمد بللو هين ولين. كان ريبادو ومكامان بطا يودان استبدال أحمد بللو بباليوا حتى يقف فى وجه شيرود سميث. كان باليوا غليظا فى إصلاحات الحكم المحلى. وفى رفضه الجلوس على الأرض أمام الأمراء ومسئولى الاستعمار. كان الرجل عنيدا. قال أحمد بللو فى إحدى المناسبات بعد ذلك: "نحن سوف لا نعترف بإسرائيل" ورد عليه باليوا قائلا: "إسرائيل موجودة بالفعل ونحن معترفون بها".

(١) المرجع السابق، بتاريخ ٦ أغسطس من عام ١٩٨٤.

أمين السنوسى[1] (ولد محمد السنوسى) يؤكد هذه الرواية على النحو التالى:

> **نحن ننظر إلى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna باعتباره جزءا من أسرة كنو.... وليس واحدا من أسرة سكتو، وإنما هو رجل من رجال كنو. جدتنا كانت تعتبره ولدا من أبنائها. بعد مشكلة عام ١٩٤٣، بدأ المستشار السياسى الرئيسى يولى كنو اهتماما أكبر. والإشاعة السائدة هى أن المستشار السياسى الرئيسى إذا قدر له أن يفقد لقبه فى سكتو، فإن عبد الله بايرو سوف يعطيه لقبا فى كنو، والسبب فى ذلك أن كثيرا من رؤساء الأحياء فى كنو ليسوا غرباء على كنو وإنما هم من دورا Daura وزاريا. ولما كان أحمد بللو هو وعبد الله بايرو أبناء عم، فقد اعتاد أحمد بللو البقاء فى القصر مع كل من عبد الله بايرو والسنوسى. وعندما تقرر انعقاد اجتماع جوس، كان واضحا أن أبا بكر تافاوا باليوا كان على وشك السيطرة على الأصوات: وقرر السنوسى أن يكون المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو رئيس حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. من هنا رتب الرجل تسيير قطار من كنو إلى جوس، وحمّل القطار بالناخبين. كان المستشار السياسى الرئيسى هو وسنوسى قريبين من بعضهما تماما، مثل الأشقاء. كلتا شخصيتين، بمعنى أن كلا منهما كان له فكره الخاص به.[2]**

---

(١) أمين السنوسى أُخرج من الإدارة المحلية، وشق لنفسه مستقبلا عمليا فى الخدمة المدنية. التحق الرجل بجامعة إكستر (فى المملكة المتحدة) لدراسة الإدارة عامة وعاد فى عام ١٩٥٦. ثم التحق بوزارة الحكم المحلى فى كادونا فى عام ١٩٥٧ بصفته أمينا مساعدا، وفى عام من ١٩٥٨ وضع فى منصب مساعد لضابط الحى مع المسئول المحلى. وبعد ستة أشهر فى إيلورين. ذهب الرجل إلى ليجوس، بناء على تحريض من أحمد بللو والتحق بالخدمة الخارجية، وخدم فى مناصب خارجية رئيسية منذ ذلك التاريخ، ليصل فى نهاية المطاف إلى السكرتير عام للشئون الخارجية، وهى الوظيفة التى تقاعد منها بعد سبعة وعشرين عاما.

(٢) مقابلة شخصية، مع أمين السنوسى، فى ٥ سبتمبر من عام ١٩٨٣، كادونا.

وهذا رأى أبا حبيب فى هذا الموضوع:(١)

قبل الاجتماع الذى انعقد فى عام ١٩٥٤ كان الحاج ساندا هو الذى يترأس الاجتماعات، ولكن ساندا لم يكن يعرف الكثير عن الشمال، فضلا عن ضآلة تعليمه، علاوة على ارتفاع نجم المتعلمين. (اتخذ ساندا من السياسة لعبة، بدلا من العيش فى الجنوب) وأثار اجتماع جوس كثيرا من الحيرة نظرا لأن أبا بكر تافاوا باليوا كان يحظى بموافقة الكثيرين. ومع ذلك وصلت لوريات كنو Kano، التى كانت تؤيد المستشار السياسى الرئيسى Sardauna؛ يضاف

---

(١) ولد آبا حبيب فى ديكوا Dikwa فى عام ١٩١٤، والتحق بمدرسة برنو المتوسطة ثم التحق بعد ذلك بكلية كاتسنا (١٩٢٨-٣٣). (كان والده من أفراد الإدارة، إذ كان يشغل منصبا فى حى أمشاكا Amchaka) بعد أن تخرج من كلية كاتسنا، عمل الرجل مدرسا فى مدرسة ميدوجورى المتوسطة إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية، وعندها نُقل الرجل إلى كلية كادونا ثم نقل بعد ذلك إلى زاريا. ترك الرجل التعليم فى عام ١٩٤٨، وعاد إلى ديكو ليشغل منصبا فى أحد الأحياء فى الإدارة المحلية. فى عام ١٩٥٠ طلب إعفاءه من منصبه ليصبح سكرتيرا للتنمية فى قسم ديكوا. وفى عام ١٩٥٣ التحق الرجل ببرنامج بريطانى للقناصل فى المملكة المتحدة. (لاحظ أن الرجل عندما كان فى كادونا، فى عام ١٩٤٢ كان جزءا من حزب مؤتمر شباب نيجيريا الذى أصبح يطلق عليه فيما بعد اسم حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون Ncnc) ثم انتخب الرجل للجمعية العمومية فى عام ١٩٥٢، وفى عام ١٩٥٤ عين آبا حبيب وزيرا للتجارة والصناعة، وتلك كانت وزارة جديدة. واستقال الرجل فى عام ١٩٥٩. (توقفت تلك الوزارة) وعاد الرجل إلى ديكوا حيث عُيّن وزيرا لديكوا. وفى الفترة من ١٩٥٩ - ٦٠ عاون الرجل فى تجهيز المنطقة للاستفتاء. وبقى الرجل وزيرًا لديكوا حتى عام ١٩٧١، إلى أن تقاعد فى العام نفسه. شغل الرجل أيضا منصب الرئيس فى شركة سك النقود والطباعة السرية النيجيرية (ليجوس) فى الفترة من ١٩٥٣ - ١٩٦٦.

فى عام ١٩٧٢ عين أبا حبيب مفوضا للشمال الشرقى. تابعا للحكم المحلى. وفى عام ١٩٧٤ نقل الرجل إلى لجنة الخدمة عامة (الولاية الشمالية الشرقية)، إلى أن استقال فى عام ١٩٧٩ وهو يشغل منصبا سياسيا. وفى عام ١٩٧٤ عين الرجل فى هيئة تنمية حوض تشاد وأصبح رئيسا لهذه الهيئة فى عام ١٩٧٩.

إلى ذلك أن برنو كانت تؤيد المستشار السياسى الرئيسى قلبا وقالبا. واقع الأمر أن برنو / كنو / سكتو / زاريا كانت كلها تؤيد المستشار السياسى الرئيسى، بل إن الرجل كان له بعض المؤيدين أيضا فى باوتشى. جاء تأييد أبا بكر من أدماوا ومن باوتشى. كان باليوا أصغر سنا من المستشار السياسى الرئيسى فضلا عن إنه أيضا مفعم بالحس الوطنى. ولكن أصواتا كثيرة جاءت من الحكم المحلى وكانوا كلهم يؤيدون المستشار السياسى الرئيسى. كان المرشحان هما أبا بكر تافاوا باليوا والمستشار السياسى الرئيسى وكان باليوا يحظى بقبول شديد. ولكنهما كان يتعين عليهما الاستعداد للانتخابات حتى يستطيعا مقاومة حزب الاتحـــاد التقدمى للعناصر الشمالية، ولم يكن أمامهما متسع من الوقت للاستعداد لتلك الانتخابات[1].

عندما نتدبر الماضى، نجد أن العوامل الاجتماعية التى أسفرت عن انتخاب المستشار السياسى الرئيسى Sardauna زعيما للحزب (بدلا من باليوا)، كانت ترتبط بتأهيل الرجل مدرسا تلقى تعليما غربيا، وبخبرة الرجل فى الإدارة المحلية، إضافة أيضا إلى وضعه كواحد من الأسرة المالكة فى سكتو. يضاف إلى ذلك أن "عمر" أحمد بللو (٤٥ عامًا) كان نقطة وسطا بين العناصر كبيرة السن والعناصر الشابة. خلاصة القول، أن الرجل كان يرمز إلى الفئات والأحزاب الرئيسية داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، اللهم باستثناء طائفة أصحاب المال والأعمال. سوف نتناول فيما بعد عوامل الشخصية فى توليه القيادة،

---

(١) مقابلة شخصية مع أبى حبيب، فى ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى.

ولكن الواضح أن أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، Sardauna كان لديه إحساس بأنه "أقدم من باليوا" المنافس الوحيد لأحمد بللو. ألم يكن باليوا أحدث من أحمد بللو عندما كانا فى كاتسنا؟ كان أحمد بللو لديه القدرة على توحيد الحزب على نحو لم يكن متيسرا لباليوا، والسبب فى ذلك هو علاقات الرجل مع السلطة التقليدية. ومع ذلك يظل باليوا "البوابة" الرئيسة التى تفتح على الشمال الأوسط وعلى "العناصر الأصغر سنا". وهنا نجد أن أحمد بللو هو وباليوا يعملان مثل فريق واحد إلى أن وافتهما المنية.

كان أحمد بللو بمثابة الزعامة اللازمة "للجبهة الموحدة" فى أقصى شمال الإقليم. والمشكلة تتمثل فى إدخال الشمال الأوسط إلى الحزب؛ وهذا بدوره كان يتطلب من أحمد بللو وقتا كى يتمكن من ترتيب التحالفات، وبخاصة مع "الحكام التقليدين". كان مكان الاجتماع فى جوس Jos مهما من الناحية الرمزية فى الجهود المبذولة لخطب ود كل من الهضبة ومنطقة بنيو Benue.

٤- أحزاب وزعماء المعارضة:

كانت معارضة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تأتى من ثلاثة مصادر رئيسية:

١) أقصى الشمال، من الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال NEPU، ثم بعد ذلك من حركة شباب برنو ByM.

٢) الحزام الأوسط MB، الذى أطلق عليه فيما بعد اسم حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحدة UMBC. والذى كان فى بداية الأمر مجموعة من

الأحزاب العرقية محلية التوجه، مثل حزب رابطة المنطقة الوسطى MzI، واتحاد بيروم التقدمى BRU، وحزب الحزام الأوسط الشعبى MBP.

٣) حزبا الجنوب الرئيسيان (حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC فى الشرق وحزب جماعة العمل AG فى الغرب، وكل حزب منهما يرتبط بعلاقة وتحالفات مع أحزاب المعارضة فى الشمال).

كان أحمد بللو يرى أن التهديد الصادر عن هذه الأحزاب يتمثل فى:

١) حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال.

٢) حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد.

٣) حزب جماعة العمل AG.

كل حزب من هذه الأحزاب كان يهدد وحدة الشمال، الذى كان بمثابة أهم الأشياء فى إستراتيجية أحمد بللو العامة.

كان حزب الاتحاد التقدمى فى لعناصر الشمال تحت قيادة أمين كانو، وكان حزب حركة شباب برنو بقيادة إبراهيم إمام. هذان الرجلان كانا ينحدران من أسر العلماء البارزين، وكانا من علماء اللغة العربية القادرين على تمييز "الأسس الإسلامية" لمجتمع الشمال عن "الأسس الثقافية"[١]. كان كل واحد منهما ملتزما بإلغاء نظام الإدارة المحلية، ولم يكونا انفصاليين (من حيث المبدأ) يحاولان تفتيت

---

(١) كان (يوسف) والد أمين كانو كاتبا لقاضى قضاة كنو ثم أصبح بعد ذلك قاضيا. وفى القرن العشرين، كان ثلاثة ولاة من بين الولاة الخمسة فى كنو، من أسرة يوسف. درس أمين كانو اللغة العربية على يدى والده، هو والقاضى جعفر وسيجارى Cigari ولد وزيرى. تخصص الرجل فى الأدب العربى وتفسير القرآن.

إبراهيم إمام كان من أسرة كبير أئمة برنو، وكان من باحثى اللغة العربية المميزين.

الشمال[١]. ولما كان نظام الإدارة المحلية أساسيا فى إستراتيجية حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى ذلك الوقت، فإن التهديد بفوز تلك الأحزاب فى الانتخابات كان قليلا، ولكن هذه الأحزاب يمكن أن تكون مصدرا للقلق (بين الحضر بصفة خاصة) فى سائر أنحاء الشمال.

كانت أحزاب الحزام الأوسط التى توجت بحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، تحت قيادة تشكيلة من الزعماء المحليين فى المناطق غير المسلمة، وكانت تنزع فى معظم الأحيان إلى التفاخر العرقى، أو القلق بشأن علاقتهم التاريخية بالمجتمعات الإسلامية. كان باستور داود لوت[٢] هو وباتريك

---

(١) أصبح أمين كانو، يرتبط فى الذاكرة الشعبية بمدينة كنو، باعتبارها ضدا لسكتو طوال فترة حركة ولاية كنو. ومع ذلك. كانت المسألة من حيث المبدأ تتمثل فى إصلاح (إلغاء) نظام الحكم المحلى. فى سائر أنحاء الشمال، و"تحرير الشعب".

من هنا نجد أن أبا حبيب يميز إبراهيم إمام بهذه المسائل (مقابلة شخصية فى ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤). كان أبو حبيب وإبراهيم إمام صديقين حميمين. والناس يقولون إن إبراهيم إمام ترك حزب المؤتمر لأنه لم يعط وزارة من الوزارات (والتى أعطيت لأبى حبيب). كان إبراهيم إمام رجلا راديكاليا ولكنه كان يفكر دوما فى برنو قبل كل شيء. كان يود تأسيس حزب سياسى يرعى عظمة برنو، وكان الرجل راديكاليا فى هذا الأمر أكثر من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال نفسه. كان الرجل يستشعر أن حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال كان بطيئا جدا شأنه شأن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان الرجل يود إلغاء بنى الحكم المحلى لأنه كان يرى إن تلك البنى شديدة البطء. ومن ثم خسر الرجل حظوة أحمد بللو. المستشار السياسى الرئيسى Sardauna وأحس بالإحباط. (كان أبو حبيب هو وإبراهيم إمام يجلسان سويا إلى ساعة متأخرة من الليل وهما يتناقشان (حدثت المتاعب أثناء انتخابات عام ١٩٥٩).

(٢) باستور داود عباديه أصلا من منطقة بنكشين Pankshin. وفى عام ١٩٤٩ يصبح الرجل رئيسا لرابطة الشمال النيجيرية غير المسلمة، التى تحولت فى عام ١٩٥٠ إلى رابطة المنطقة الوسطى. وفى عام ١٩٥٣. وافق زعيم رابطة المنطقة الوسطى على التعاون مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وفى عام ١٩٥٥. يصبح داود لوت (الذى كان آنئذ رئيسا لحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد) وزيرا بلا وزارة فى الحكم الإقليمى الشمالى. ولكن الرجل استقال قبل إجراء انتخابات عام ١٩٥٦.

دو كوترى[١] من بين كبار الناس (حاول لوت Lot خطب ود حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فيما بعد). ولكن يوسف ساروان تاركا Tarka[٢] (من قسم تيف فى بلدة بنيو Benue) كان زعيمًا مؤكدًا لحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد.

كان حزبا الجنوب الرئيسيان لهما نظيران فى الشمال. كان حزب جماعة العمل AG يمثل "تهديدا" خاصا نظرا لأن هذا الحزب كان يخاطب دائرة اليوروبا العرقية فى منطقة إيلورين / كوارا (بصرف النظر عن إيدولوجيته الرسمية). وكان جى. آس. أولاوين Olawoyin[٣] يمثل الزعامة الرئيسية لمجتمع "الأولوو" Awolowo.

يجيء نظام التحالف الذى برز بين المعارضة فى شكل غاية فى البساطة: فقد انضم كل من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال إلى حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC كما انضم حزب حركة شباب برنو هو وحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد إلى حزب جماعة العمل AG. ويجب ألا يغيب عنا أن

---

(١) ولد باتريك دوكوترى فى عام ١٩٢٠، والتحق بالمدرسة الكاثوليكية (فى الفترة ١٩٣٢ – ٣٨)، ثم بمدرسة جوس الكاثوليكية (فى الفترة من ١٩٣٨ – ٤٠). بمدرسة تخريج القساوسة الكاثوليكيين فى إيبادان (فى الفترة من ١٩٤٠ – ٤٤). ثم يصبح الرجل متخصصا فى الغابات فى الإدارة المحلية فى جوس. ثم يسافر بعد ذلك فى عام ١٩٥٩ إلى إنجلترا لدراسة مقرر فى الحكم المحلى. ويعين الرجل مسئولا عن خزانة الحكم المحلى فى جوس، ثم يصبح بعد ذلك سكرتيرا لمجلس الحكم المحلى.

(٢) ولد جوزيف ساروان Saruwan تاركا فى بلدة إجبور Igbor فى ولاية بنيو، فى اليوم العاشر من شهر يوليو من عام ١٩٣٢. التحق الرجل بمدرسة جبوكو الابتدائية، ثم علا – كتسنا الثانوية المتوسطة، ثم بكلية المعلمين فى باوتشى. وتخرج الرجل من كلية المعلمين ويعمل مدرسا فى المدرسة الثانوية الإقليمية، التابعة للإدارة المحلية. وينتخب الرجل عضوا فى مجلس الممثلين فى عام ١٩٥٤، بصفته عضوا عن حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، الذى كان هو مؤسسة فى واقع الأمر، ثم رئيسا له. كان الرجل عضوا فى المؤتمر الدستورى النيجيرى فى عام ١٩٥٧ – ٥٨.

(٣) جوشيا Josiah سنداى Sunday أولاوين Olawoyin، من بلدة أوفا Offa، ثم أصبح أمينا عاما لرابطة اليوروباو بين الشماليين، التى تأسست فى عام ١٩٥١، لإحداث نوع من الوحدة بين قسم أيلورن Ilorin وقسم كبّا Kabba والإقليم الغربى. وجوشيا سنداى أولاوين هو السكرتير الإدارى، وهو رفيق حميم للرئيس أولوو Awolowo.

التعقيدات التى كانت تحكم ترتيب هذه التحالفات، هى وتعدد الرؤى على مستوى الأفرع، والجهود التى بذلها أحمد بللو "لخطب ود" الزعامات لتنضم إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تعد بمثابة النسيج السياسى الثرى للحياة السياسية فى ذلك الوقت.

وهذا هو ميتاما سول يقدم تحليلا لذلك الماضى والدور الذى لعبة أمين كانو فى إطار الشمال، كما يقيم أيضا الخلفية التى قام عليها حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال فى تحالفه مع حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى[1]. لم يكن أمين كانو مجرد وطنى وحسب وإنما كان شماليا أيضا بمعنى الكلمة، وكان يشترك فى ذلك مع أحمد بللو Sardauna. لم يكن أمين كانو من أولئك الذين يقبلون الحلول الوسط فى مسائل الشمال، ولكن نظرا لوطنية الرجل شديدة الوضوح، لم يكن الناس يدركون شماليته الخالصة. كان الرجل، فى كثير من الأحيان، يستشير أحمد بللو أو أبا بكر تافاوا باليوا، فى كل الأمور التى يستشعر أنها تنطوى على شىء من الخطر بالنسبة للشمال. وبعد تأسيس الحزب التقدمى لعناصر الشمال، قام حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى بالاتصال به على أمل تكوين تحالف فيما بين الحزبين. وكان أمين كانو (وميتاما سول) معترضين على هذه الفكرة، وجرى تجنيبها. ثم برزت هذه الفكرة مرة أخرى على يدى بللو إيجوم Ijumu (من "ولاية كوارا" فى صابئن جارى Sabon Gari). وفى المرة الثالثة التى طرح فيها بللو إيجوم هذه الفكرة، لم يكن أمين كانو أو ميتاما سول حاضرين وكان الآخرون مقتنعين بوجود نوع من الرباط مع حزب NCNC الجنوبى. وعندما عاد أمين كانو لم يكن سعيدا بما حدث، وقال إن حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى يتخذ من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال معبرا لتحقيق مطامح الحزب فى الشمال. كان أمين كانو يظن أيضا أن إجراء تحالف مع حزب قائم بالفعل سيجعل من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال تابعا وربيبا بدلا من تعلم السير فى الطريق الصعب، الذى يمكن أن يسفر عن تنظيم أقوى وأصلب عودا.

---

(١) مقابلة شخصية، فى يوم ٦ أغسطس من عام ١٩٨٤، فى كنو.

يرى ميتاما سول، أن أمين كانو قدم ما يظن أنه شروط يستحيل معها تحقيق مثل هذا الرباط بين الحزبين:

١) أن يسمح حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون لحزب الاتحاد التقدمي لعناصر الشمال باستعمال جريدة Comet Press، وأن تكون له حرية تعيين محرر هوساوى.

٢) يكون حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون مسئولا عن الرواتب والنفقات الخاصة بمركز رئاسة الاتحاد التقدمي لعناصر الشمال.

٣) يقوم حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون NCNC بتمويل الحملات الانتخابية لحزب الاتحاد التقدمي لعناصر الشمال بما في ذلك المركبات المطلوبة لذلك.

٤) يتعين على حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون عدم تعيين أى مرشح في الشمال، وإنما يترك الشمال لحزب الاتحاد التقدمي لعناصر الشمال.

بعد الانتخابات يقوم المرشحون الناجحون من حزب الاتحاد التقدمي لعناصر الشمال بالتحالف مع حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون فيما يتعلق بالمجال التشريعي) والمدهش لأمين كانو أن حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون قبل كل هذه الشروط، الأمر الذى جعل أمين كانو يرضخ ويوافق على التحالف بين الحزبين. لم يحدث أن رد أمين كانو مطلقا على اتهامات بيع الشمال؛ فقد كان الرجل يحب الشمال، ولكن في إطار نيجيريا واحدة. تورط أمين كانو في التحالف مع حزب المجلس الوطني لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبي، ولكنه لم يفقد اتصاله بزعماء حزب المؤتمر الشعبي الشمالي (وبخاصة أبو بكر تافاوا باليوا، نظرا لأن الاثنين كانا راديكاليان، وكان أحمد بللو الشيء نفسه أيضا). أيد أمين كانو الشمال في بعض المقاعد، وفي توزيع المتحصلات، والحاجة إلى الطابع الوطني في الخدمة المدنية الاتحادية، كما سانده أيضا في مسألة الإجماع. لم يكن

أمين كانو يود للشمال أن يسيطر على الجنوب، ولكنه كان يحس أن الشمال فيه المزيد من السكان، أو بالأحرى عدد سكانه أكبر من عدد سكان الجنوب. كان أمين كانو يطلب العدل للجميع، وأن يحصل الشمال على نصيبه العادل. ومع ذلك كان الأمراء يقفون وراء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يؤيدونه ويدعمونه، وكانت الإدارة الاستعمارية تعارض حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال (يضاف إلى ذلك أن الأثرياء من عامة الشعب كانوا يعارضون أمين كانو)، إضافة إلى أن العناصر المتعلمة كانت تود الاحتفاظ بأعمالها ومناصبها. ثار أمين كانو على استغلال عامة الشعب، وكان يؤمن بخدمة الشعب، وليس خدمة المؤسسات. لم يكن أمين كانو يسعى إلى السلطة. اتفق أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو وأمين كانو على أن يختلفا فيما يتعلق بالدور الذى يلعبه الحكام التقليديون[١].

سوف نناقش فيما بعد الدور الذى لعبه أمين كانو فى إيجاد بديل لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى أمام شبان الشمال الصغار، ولكى يخدم الدور الأنموذج أمام الموظفين المدنيين الشماليين الذين لم يكن مسموحا لهم بالمشاركة فى السياسة. كان النموذج الباكر لكل من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال يرتبط، من حيث التشكيل، بالعناصر الغربية الشابة (وبخاصة المدرسين) فى الشمال؛ وبقى هذان الحزبان على اتصال وثيق ببعضها البعض.

كانت علاقة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna بزعماء المعارضة ذات طابع عام وطابع خاص أيضا. على الصعيد العام، لم يكن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يفكر فى إطار "الحزب" وإنما فى الإطار الفردى. (من هنا، لم يكن المستشار السياسى الرئيسى معنيا لا بحزب جماعة العمل AG أو حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC وإنما الذى كان يعنيه ويهمه هو آو Awo وزيك Zik باعتبارهما شخصين وقوتين) كان تعامل المسئول السياسى الرئيسى مع المعارضة الشمالية كلها يتمثل فى محاولة كسب زعماء هذه

---

(١) المرجع السابق.

المعارضة إلى جانبه هو شخصيا، مؤكدا لهم أن هناك متسعا داخل "الجبهة الموحدة" (أى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى) لوجهات النظر كلها. كان الرجل يرسل لهؤلاء الزعماء هدايا، مثل الهدايا التى كان يرسلها لأصدقائه، وذلك من باب اهتمامه بمشكلات هؤلاء الزعماء، وكان الرجل يفصل علاقاته الشخصية بهم عن "ميدان اللعب والتنافس". (من هنا، كان الرجل يذهب إلى كنو، ويشترى المصنوعات الجلدية من شركة أحمد للتجارة، و أحمد هذا شخصية بارزة ورئيسة فى حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال. أو كان يقوم بأداء فريضة الحج مع مجموعة متباينة، ولا يتكلم فى السياسة) وعندما كان يعجز عن ضمهم إلى صفه، كان يحاول تجنب هجومهم عليه عن طريق تحاشى الهجوم عليهم أو على أشخاصهم، وذلك أملا منه فى أن تقدير هؤلاء الزعماء لعلاقته الشخصية بهم يمكن أن تجعلهم يضعون سياسة الحزب نصب أعينهم، أو بالأحرى يأخذونها بعين اعتبارهم. هذا الأسلوب الشخصى ثبت نجاحه بشكل عام، اللهم باستثناء إبراهيم إمام شخصيا الذى كان شخصية قوية ومتفردة فى حد ذاتها.

استنادا إلى ما جاء على لسان نوح بامالّى[١]، فإن أمين كانو والمستشار السياسى الرئيسى Sardauna كانت تجمعهما علاقة شخصية طيبة، على الرغم من أن هذه العلاقة لم تمتد إلى مجال السياسة. لم يكن أحمد بللو يتردد مطلقا فى مقابلة أمين كانو، كما كان معجبا بصدق أمين كانو أيضًا. (وكان المستشار السياسى الرئيسى يفيد من صدق أمين كانو وصراحته) كان اختلاف هذين الرجلين فيما يتعلق "بالحكام التقليديين" اختلافا أساسيا وجوهريا. كان المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يود الإبقاء على هؤلاء الحكام، وعلى سلطاتهم التقليدية، وأن يستفيد منهم بطريقة بناءة. ولكن المستشار السياسى الرئيسى كان يكره الظلم أو الفساد وكان فى داخله يرى أن الأمراء يتعين عليهم القيام بواجباتهم. وفيما بعد، ثبت أن علاقة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna مع تاركا كانت تقوم على الاحترام المتبادل.

---

(١) المرجع السابق ٢٣ ديسمبر من عام ١٩٨٤.

استنادا إلى ما جاء على لسان أبى حبيب[١]، فإن تحالف حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مع حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون الجنوبى جاء فى فترة لاحقة، وأحس الشمال بأنه طُعن فى ظهره. أحس أهل الشمال أنهم يتعين عليهم إنهاء وجود الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال كحزب. كان ذلك الحزب يزعم أنه حزب الفلاحين، ولكنه فى واقع الأمر، كان حليفا لحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون الجنوبى، وتأسيسا على ذلك راح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يفضح هذه الحقيقة ويهاجم هذين الحزبين على تحالفهما. أحس أهل الشمال أيضا أن هذه الفوضى كلها كانت ناتجة عن الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال، كما أحسوا أيضا بضياع احترام الشعب. من جانبه، قام حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال بالهجوم على بنية الإدارة المحلية، وكان يتطلع إلى التخلص منها. كان حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال، يود عمل الأشياء كلها فى وقت قصير. ولكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان يتطلع إلى الإصلاح، وليس الثورة. هذا يعنى أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لم يكن يود اقتلاع ثقافة الشمال من جذورها.

استنادا إلى ما جاء على لسان إينوا وادا Inuwa Wada[٢]، فإن أمين كانو إذا ما ذهب إلى كادونا فلربما التقى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، وربما جاء أمين كانو إلى منزل إينوا وادا. فى كنو فى أى وقت من الأوقات. كان الاثنان وثيقا الصلة ببعضهما ولم يحاول أحد منهما تغيير الآخر. كانا يناقشان سويا الأشياء التى تؤثر فى البلاد كلها. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى حزبا شماليا صرفا، على الرغم من وجود أفرع للشماليين الذين كانوا يعيشون فى الجنوب. وعلى سبيل القطع، فإن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لم يكن مطلقا حزبا قوميا، وإنما حزب إقليمى. كانت إستراتيجية حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تتمحور حول قدرة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna على جلب الناس من كل أنحاء الشمال إلى

---

(١) المرجع السابق ٨ أغسطس من عام ١٩٨٣.

(٢) المرجع السابق. ٥ أغسطس من عام ١٩٨٤.

مجلس الوزراء (أى من التيف، ومن الفولانيين، ومن الكانورى، والهوسا.. إلخ، ومن المسيحيين، ومن المسلمين.. إلخ). كان الشعار المرفوع يقول: "شمال واحد، وشعب واحد". كانت إستراتيجية المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى التعامل مع المعارضة فى كنو، وبرنو، وإيلورين Ilorin والحزام الأوسط تقوم على:

١) مساعدة الأعضاء المهمين والمؤثرين على الظهور.

٢) توزيع الهبات والعطايا الحكومية على المناطق كلها بلا تمييز أو تفرقة، سواء تغير أعضاء الحزب أو لم يتغيروا، و بغض النظر عن هوية المناطق سواء أكانت مسيحية أم إسلامية.

واقع الأمر، أن كلا من كبّا Kabba وإيلورين Ilorin حصلتا على منح دراسة أكثر من أية منطقة أخرى من مناطق الشمال. ولكن زعماء المعارضة الرئيسيين من أمثال أمين كانو يوسف ساروان تاركا لم يغيروا مواقفهم. من هنا راح المستشار السياسى الرئيسى يسعى إلى التفاهم مع عناصر المعارضة. وكان بوسع هذه العناصر مقابلة المستشار السياسى الرئيسى كلما أرادوا ذلك، وعادة ما كانوا يحصلون على كل ما يريدونه. كانوا يترددون على منزل المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. ولم يحدث أن قام أمين كانو أو يوسف ساروان تاركا بمهاجمة شخص المستشار السياسى الرئيسى من خلال خطاباتهم السياسية. كانا يحترمانه. كانا يهاجمان شخصيات أخرى فى الحزب. وفيما يتصل بإبراهيم إمام، فنحن نعرف أن أهل برنو شديدى العناد. ولم يصب أحمد بللو نجاحا مع إبراهيم إمام.

تزداد علاقة المستشار السياسى الرئيسى بأمين كانو تشابكا وتعقيدا فى الفترة التى أعقبت الاستقلال (وبخاصة بعد استقالة السنوسى، وحركة ولاية كنو، والتوترات التى حدثت على المستوى القومى، وحملات الردة الدينية، التى سوف نتناولها بالدرس فى القسم الثالث). الواقع أن الرجلين تغيرا تغيرا كبيرا بمرور الوقت. ولكن فى خمسينيات القرن العشرين، كان المستشار السياسى الرئيسى ينفذ خطته التى ترمى إلى المحافظة على وحدة الشمال فى وجه السيطرة المحتملة من الجنوب، كما كانت تحالفات حزب الشمال مع أحزاب الجنوب مصدر قلق لأحمد

بللو، أو إن شئت فقل: المستشار السياسى الرئيسى. وسوف يتضح لنا ذلك عندما نتناول التنافس الانتخابى الفعلى فى خمسينيات القرن العشرين. ولكن معروف أن الانتخابات تعتمد على "صياغة قواعد اللعبة"، على المستوى الدستورى الأكبر، وعلى الإشارة بصفة محددة إلى الانتخابات والإجراءات الحزبية.

٥ – صياغة القواعد:

فى كتاب "سيرتى الذاتية" الذى ألَّفه أحمد بللو، يتناول الرجل بشىء من التفصيل التغيرات الدستورية التى حدثت فى خمسينيات القرن العشرين، وبخاصة تلك التغيرات التى تخص دور الأقاليم داخل الاتحاد، والحدود الداخلية، وإجراءات الانتخاب، وتوقيت نقل السلطة إلى الوزارات النيجيرية. والشىء الوحيد الذى لم يركز عليه أحمد بللو هو الخط السياسى الأساسى الذى انطلقت منه واختتمت منه أيضا تلك المفاوضات السياسية. ومع ذلك، تظل "صياغة القواعد" قطاعا مهما من قطاعات نقل السلطة.

فى عام ١٩٤٩، يزور أحمد بللو مدينة ليجوس للمرة الأولى، ويستشعر الرجل منها "رياح التغيير". وفى كادونا يبدأ أعضاء مجلس الرؤساء النيجيريين وأعضاء الجمعية العمومية نوعا من المشاورات الدورية فيما بينهم بخصوص بعض المسائل الدستورية. وفى شهر يناير من عام ١٩٥٠ تجرى دعوة كل من أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، وأبو بكر تافاوا باليوا، ومعهما والى برنو (محمد نجلروما) لحضور مؤتمر إيبادان Ibadan، الذى التقوا فيه الوفود التى جاءت من أقاليم أخرى. وكانت المسائل الرئيسية فى ذلك المؤتمر، من وجهة نظر أحمد بللو، على النحو التالى:

> **نقطة الخلاف الرئيسية تتمثل فى إيجاد الوزراء. ونحن فى الشمال سبق أن قررنا أن ذلك لم يئن بعد: إحساسنا هو أنه إذا كان هناك إقليم آخر يرغب فى الوزراء، فنحن لن نمانع فى ذلك أو نعترض عليه، ولكننا**

نرى أننا نحن وليجوس يتعين علينا الاصطبار بعض الشيء على هذا الأمر... ومع ذلك، وفى نهاية الأمر، احتفظنا بمشاعرنا لأنفسنا ووافقنا على وجود الوزراء اعتبارا من عام ١٩٥٢.

جرى نقاش وجدل كبير حول حدودنا مع الإقليم الغربى، وقد أنهى ذلك الجدل والنقاش لصالحنا ليبقى الحال على ما هو عليه فى الوضع الراهن.

أثارت رئاسة مجلس الممثلين نقاشا مماثلا أيضا. وأصررنا على أن هذه الرئاسة لا يمكن أن تكون جنوبية، وأمكننا التوصل إلى حل وسط بشأن هذا الأمر.

كما أثيرت أيضا مسألة التمثيل فى مجلس الممثلين. المجلس التشريعى يتساوى فيه عدد الأعضاء القادمين من مختلف الأقاليم مع بعض الإضافات التى تتعلق بليجوس.. إلخ. أحسسنا أن بقاءنا فى المستقبل على قيد الحياة يعتمد على منظومة أخرى يجرى تنفيذها والعمل بمقتضاها. كانت أعدل الطرق من حولنا، وبخاصة تلك الطريقة التى كانت تفضلنا إلى أبعد الحدود تتمثل فى الاعتماد على السكان والاحتكام إلى أعدادهم. فى ذلك الوقت لم يكن لدينا تعداد سكانى منذ التعداد الذى أجرى فى عام ١٩٣١، ولذلك رحنا نعتمد على التقديرات السنوية للسكان، ولكننا توصلنا بشكل عام إلى أن الشمال يضم بين جنباته عددا من السكان يتساوى مع عدد سكان الإقليمين الآخرين مجتمعين. وهذا هو السبب الذى جعلنا نؤمن لأنفسنا (فى الشمال) عددا من الممثلين يتساوى مع عدد ممثلى الإقليمين الآخرين مجتمعين.

أضفينا على الدستور المزيد من الديمقراطية وجرى إرساء مبدأ الانتخاب. وجرى إنشاء المجالس التنفيذية فى الأقاليم، كما جرى أيضا إنشاء مجلس وزراء فى ليجوس. وجرى أيضا تقسيم الموضوعات التى تقوم الحكومة بتناولها. بعض هذه الموضوعات التى كانت محلية التطبيق، ولها قيمة محلية جرى قصرها كلية على الأقاليم.. وبقى توازن تلك الموضوعات فى يدى السلطة المركزية.

فيما يتعلق بانتخاب أعضاء لمجلس الممثلين الجدد، الذى حل محل المجلس التشريعى القديم، أبقينا على طريقة الاختيار السابقة، والتى تقوم على اختيار أعضاء هذا المجلس الجديد من بين أعضاء الجمعية العمومية ومجلس الرؤساء(١).

هذه الموافقات الدستورية أعدت المسرح لانتخابات عام ١٩٥١، ومن بعدها تشكيل الحكومات (بالوزراء) فى شهر يناير من عام ١٩٥٢. وعن طريق الاتفاق أجريت الانتخابات على مراحل. (وفى المرحلة الأخيرة فى مقاطعة سكتو، كان أحمد بللو على رأس القائمة) وأعطى أحمد بللو منصب وزير الأشغال فى الحكومة الإقليمية، ثم جرى بعد ذلك تشكيل مجلس تنفيذى(٢). واختارت الجمعية العامة ثمانية وستين عضوا (من المجلسين) ليجرى إرسالهم بعد ذلك إلى ليجوس ليكونوا من بين أعضاء مجلس الممثلين، وكان أحمد بللو من بين هؤلاء الثمانية وستين عضوا. وبعد أن جرى تعيين الوزراء الإقليميين لم تكن لهم "وزارات"، نظرا لأن القسم الأكبر من أعمال "الإدارات" كان يمضى هينا لينا وبلا معوقات. ولكن ذلك بدأ يتغير بمرور الوقت (وسوف نناقش هذا الأمر فى الفصل السابع)، وفى عام ١٩٥٣ تسند إلى أحمد بللو وزارة أخرى هى وزارة تنمية المجتمع والحكم المحلى.

---

(١) أحمد بللو، سيرتى الذاتية، المرجع السابق ص ٦٨ – ٧٠.

(٢) سكامان بطا (على) وبللو كانو Kano، ومعهما ثلاثة رؤساء: سلطان سكتو، وأمير زاريا، وأكو Aku يوكا Uka الوكارى Wukari. وانعقد ذلك المجلس أول مرة فى اليوم السادس من شهر فبراير من عام ١٩٥٢.

بحلول عام ١٩٥٣ كانت هناك حاجة ماسة إلى إجراء المزيد من المحادثات الدستورية، وجرى الترتيب لعقد مؤتمر فى لندن بهذا الخصوص. وفى الوقت ذاته دارت فى ليجوس مناقشات حامية فى مجلس الممثلين حول "توقيتات" انعقاد هذا المؤتمر.

وخلال جلسة مناقشة الموازنة فى عام ١٩٥٣ (فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر مارس واليوم الأول من شهر أبريل)، قام الرئيس إيناهارو Enaharo (وهو من حزب جماعة العمل الجنوبى) بنقل موضوع التوقيتات إلى مسألة الحكم الذاتى فى نيجيريا، وأن يتحدد موعد الحكم الذاتى بالعام ١٩٥٦. ويعارض الشماليون ذلك التاريخ، ويلقى أحمد بللو خطابا مهما[١] بهذا الخصوص، الأمر الذى جعل أهل الجنوب ينظرون إلى أحمد بللو باعتباره عقبة فى طريق "التقدم".

يعقب أحمد بللو على ذلك الحدث فيما بعد فيقول:

> **كانت يد الله تتحرك دوما، مستخدمة البشر أدوات لها على ساحة الأحداث العالمية الواسعة. ولا شىء مما كان يمكن لنا قوله أو فعله كان يمكن أن يحرك موعد الاستقلال عن وقته المحدد، أو حتى يؤجله ولو ساعة واحدة عن موعده الذى تحدد له منذ بداية الزمن نفسه. كان كل من بود توماس Bode Thomas هو وأكنتولا Akintola، مثلنا تماما فى مشيئة الله وإرادته التى تحار فيها الأفهام. وعليه ينبغى ألا نلقى عليهما باللوم، أو نقسو عليهما فيما قالاه عن هذا اليوم الموعود[٢].**

هناك معنى من معانى القدرية فى وجهة النظر هذه، وهذا المعنى لا يلغى محاولة البشر أو يستغنى عنها. ولكن هذا المعنى بمثابة إطار القيم والمعتقدات التى سيضفيها أحمد بللو على كثير من المسائل المهمة (وعلى "حكمه" على الشخصيات

---

(١) أحمد بللو ، المرجع السابق ص ١١٨، مقتطفات من الخطاب.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣١.

الرئيسية) فى التطورات النيجيرية. فى ذلك الوقت، كان يدور كلام كثير عن الانشقاق أو الانفصال. يكتب أحمد بللو عن ذلك فيقول: "كان اللورد لوجا رد واندماجه بعيدان تماما عن ذيوع صيتهما بيننا فى ذلك الوقت. كان هناك هياج لصالح الانشقاق والانفصال؛ ونحن يتعين علينا أن يكون لنا انشقاقنا وانفصالنا الخاص بنا؛ هذا يحتم علينا ألا يكون بيننا وبين الجنوب أى شىء من الأشياء التى تربطنا بهم؛ يجب أن نشق طريقنا الخاص بنا. وأنا هنا يتعين على القول أن الأمر كان يبدو مغريا تماما..."[١] ويمضى أحمد بللو بعد ذلك فى تعداد بعض الأسباب التى تجعل من ذلك الانفصال أمرًا غير طيب. وإذا ما نحينا جانبا طابع أحمد بللو المزاجى الذى يمكن أن يهدأ على الفور، لا نجد دليلا واحدًا على أن أحمد بللو خطر بباله ولو للحظة واحدة، بالقول أو بالعمل، فكرة أن يكون هناك شمال نيجيرى على شكل بلدين منفصلين. والمعروف أن الإضرابات التى قامت فى كنو فى ذلك الوقت (مايو ١٩٣٥) كانت بمثابة النيران التى أسفرت عنها التوترات الإقليمية[٢].

مقترحات الشمال: (النقاط الثمانية) مطورة على نحو يدعم فكرة الأقاليم القوية والوسط الضعيف فى الاتحاد. ويجرى تحديد المسائل التى ستجرى مناقشتها فى مؤتمر لندن، الذى حضره خمسة مندوبين من كل حزب من الأحزاب الرئيسية (إضافة إلى تمثيل بشكل أو بآخر لحزب الأقلية). ويجرى تعديل "النقاط الثمانية"، لكن، "تم الاتفاق على أن تكون الأقاليم مستقلة إلى أبعد حد ممكن، كما جرى نقاش طويل حول مسالة تخصيص مهام محددة للمركز أو الأقاليم"[٣]. وفى المؤتمر تقرر للمحافظين المساعدين أن يصبحوا محافظين، وأن تصبح "المجالس التشريعية الإقليمية ذات سيادة ومستقلة، وأنه ينبغى عدم ممارسة أية ضغوط مهما كانت لتغيير قرارات هذه المجالس فيما يتعلق بالرعايا (المواطنين)..."[٤] وتم الاتفاق

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣١.

(٢) راجع بادن المرجع السابق.

(٣) أحمد بللو، المرجع السابق ص ١٥١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٢.

على أن مقاعد المجلس الاتحادى سيجرى تحديدها على أساس عدد السكان، وأن الانتخاب لتلك المقاعد سيكون انتخابا منفصلا عن الانتخابات الإقليمية، وأنه لا يصح اعتبارا من الآن الجمع بين عضويتى المجلسين. وجرى تخصص اثنين وتسعين مقعدا للشمال فى المجلس الاتحادى (مع اثنين وأربعين مجلسا لكل من الإقليمين الآخرين، بالإضافة إلى ستة مقاعد لجنوبى الكاميرون ومقعدين لولاية ليجوس) هذا يعنى أنه سيكون هناك ١٣١ مقعدا فى الجمعية الإقليمية الشمالية. وجرى الإبقاء على نظام انتخابى يسرى على المستويين. تزايد عدد الوزراء فى الشمال إلى ثلاثة عشر وزيرا. وبرزت إشكالية مسألة الشرطة، ولكن اتفق المؤتمرون على أن تكون هناك قوة شرطية واحدة، تحت سيطرة وسيطة من المفوضين الإقليميين. وتم الاتفاق على استبعاد ليجوس عن الإقليم الغربى، كى تكون عاصمة قومية[1]. وفى النهاية جرى السماح لكل إقليم من الأقاليم باختيار التاريخ المناسب لحكمه الذاتى الإقليمى. وتحدد أيضا موعد لمؤتمر من مؤتمرات المتابعة، واتُفِقَ على أن يُعقد ذلك المؤتمر فى ليجوس فى شهر يناير من عام ١٩٥٤. وانعقد "هذا المؤتمر فى الوقت المحدد، وكان لابد من قبول الخطة المالية - التى كانت أمرا محتوما - التى كانت لصالح كل من ليجوس والاتحاد إلى حد

---

(١) تعليقات أحمد بللو فى كتاب " سيرتى الذاتية ". المرجع السابق ص ١٥٦:
عندما وجد اللورد لوجارد كلا من الشمال والجنوب، كان الرجل يخطط بالفعل لجعل كادونا عاصمة للبلاد كلها. وعلى حد فهمى، جرى إفشال ذلك التخطيط من قبل المكتب الاستعمارى نظرا لأن كادونا كانت تبعد عن الساحل مسافة تقدر برحلة مقدارها يومان.. والمؤسف أن يصدر أمر كهذا عن المكتب الاستعمارى؛ ولو نفذ ذلك لأمكن تحاشى الكثير من المتاعب المستقبلية. وكادونا، بحكم كونها فى منتصف غابة تكاد تكون غير مأهولة بالبشر، يمكن أن تكون مثالية فى مثل هذا الغرض: نظرا لوجود إمدادات وكميات هائلة من المياه، ومساحات شاسعة للتوسع، ومكان متسع لإنشاء مطار إذا ما تطلب الأمر ذلك: إضافة إلى أن كادونا كانت ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار حوالى ٢٠٠٠ قدم ومناخها طيب أيضا. واقع الأمر أن كادونا كان فيها كل ذلك الذى تفتقر إليه ليجوس. وكان بالإمكان أيضا تحاشى التهديد الذى تتعرض له ليجوس، والذى جعل من حياة المحترمين من البشر أمرا لا يطاق فى ليجوس.

بعيد. ولم يستفد الشرق أو الشمال استفادة كبيرة من تلك الخطة على الإطلاق"[١].
ويبدأ تنفيذ الدستور الجديد الذى نجم عن تلك المناقشات، فى التطبيق اعتبارا من نهاية عام ١٩٥٤. وتجرى الانتخابات فى خريف عام ١٩٥٤، وتزيد السلطات الوزارية الإقليمية، ويصبح أحمد بللو رئيسا لوزراء الإقليم الشمالى (باعتباره زعيما للحزب الإقليمى الرئيسى).

بقى الاتحاد بلا رئيس للوزراء حتى عام ١٩٥٦، يضاف إلى ذلك أن مسألة الخدمة العامة والقضاء لم يجر البت فيهما. وكانت هناك حاجة ماسة إلى توسيع الجمعية العامة. ويتحدد موعد مؤتمر لندن التالى ليكون فى عام ١٩٥٧. وتجرى الانتخابات الإقليمية فى الشمال.

يتحدد لاجتماعات لندن شهرى مايو ويونيو من عام ١٩٥٧، ويترأس أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Saradauna وفد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وتتحدد تواريخ الحكم الذاتى لكل إقليم، وتحدد عام ١٩٥٩ تاريخا لحصول الشمال على الحكم الذاتى. وزاد عدد أعضاء مجلس رؤساء الشمال زيادة كبيرة، كما زاد أيضا عدد أعضاء الجمعية العامة، والمجلس التنفيذى. وتسند إلى مسئوليات مالية متزايدة. ويجرى تأسيس مجلس للرؤساء فى الشمال[٢] لكى يقوم بالبت فى مسألة التعيين فى الوظائف والفصل منها. كما يجرى أيضا إنشاء مفوضية للخدمة الشرطية. وجرى الاتفاق على إحالة مسألة "الأقليات" فى كل إقليم من الأقاليم إلى لجنة خاصة. وجرى عمل الترتيبات اللازمة كى يقوم المحافظ عام بتعيين أول رئيس للوزراء، الذى تحدد فى شخص أبى بكر تافاوا باليوا. وتحدد عام ١٩٥٩ لإجراء الانتخابات الاتحادية (الفيدرالية)، والتى تقرر لها، للمرة الأولى، أن تكون "مباشرة" وبذلك يكون الاستقلال قد أصبح قاب قوسين أو أدنى.

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٢.

(٢) تكون ذلك المجلس من عضوين إلى أربعة أعضاء من مجلس الرؤساء التنفيذى. وأربعة أعضاء آخرين من مجلس الوزراء، بالإضافة إلى رئيس الوزراء؛ والمحافظ هو الذى يترأس هذا المجلس. ويختص بالتعيينات، والموافقة عليها، وعلى تصنيف وعزل الرؤساء فى الإقليم"، المرجع السابق ص ٢٠٥.

الجانب "الشخصى" من هذه المحاورات الدستورية المركزة خلال خمسينيات القرن العشرين، مهم من منظور الصداقات، بل ومن منظور العداوات أيضا التى يمكن أن تنشأ عن مثل هذه الأمور. هذه الفترة تعد واحدة من فترات نشاط أحمد بللو المركز، على تنظيم الوفود، والانتخابات والموافقات بالإجماع. الواضح أن العملية عبارة عن جهد جماعى، ويتضح خلال هذه الفترة استعداد أحمد بللو للموافقة على إسناد المسئوليات والأعمال عن طريق الإجماع.

لم يذق أحمد بللو طعم النوم خلال مؤتمرات لندن، ولكنه كان يختلس سنات من النوم وهو على مقعد العمل. (ولم تفهم الخادمة السبب الذى من أجله لم يستعمل أحمد بللو فراشه). كان أحمد بللو يرتدى ملابسه الشمالية بصفة دائمة، سواء أكان داخل البلاد أم خارجها، وذلك على عكس من أولئك الذين يفضلون الملابس الغربية. وبذلك يصبح أحمد بللو رمزا "للشمالية" بمعنى الكلمة.

الواضح، أن زخم الشمال فى مسالة صياغة القواعد كانت لها علاقة وثيقة بالقوة السياسية التى أرساها أحمد بللو من خلال الحزب الرئيسى، إذ كانت المهارات السياسية والتنظيمية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى مهمة جدا فى تماسك "الجبهة المتحدة" أثناء المحادثات الدستورية. هناك فى بعض الأحيان ميل إلى "شَخْصَنَة" السياسة وإعطاء السلطة لشخص واحد، فى الشمال فى ذلك الوقت: هذا الشخص الواحد هو أحمد بللو. وهذا أمر حقيقى بل وواقعى. وقد تجلت مهارة ذلك الرجل فى العمل مع الناس؛ كما أن عمله مع فريق كبير ومتباين جاء بمثابة العمود الفقرى لقوة الشمال. كان هناك تشاور على نطاق عال وكبير بين أفراد ذلك الفريق.

٦- العملية الانتخابية:

تعد الانتخابات التى جرت فى الأعوام ١٩٥١ و١٩٥٤ و١٩٥٦ ثم عام ١٩٥٩ خطوات مهمة فى التنافس على الزعامة داخل وفيما بين الأحزاب السياسية.

ولما كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى حزب جبهة موحدة، فإن الكثير من سبر أغوار الزعامة وقوتها يحدث فى عملية اختيار المرشحين فى فترة ما قبل إجراء الانتخابات. وسوف نورد هنا وصفا مقتضبا للعمليات الانتخابية ونتائجها، ثم نستعرض بعد ذلك أفكار وآراء بعض المشاركين، وبخاصة فيما يتصل بدور أحمد بللو.

كانت "قواعد" الانتخابات التى أجريت فى عام ١٩٥١ فى الشمال على النحو التالى. تعد كل مقاطعة من المقاطعات دائرة انتخابية، ويجرى تقسيمها داخليا إلى مناطق انتخابية، وتلك المناطق يجرى تقسيمها بدورها إلى مناطق ابتدائية انتخابية ومناطق متوسطة انتخابية أيضا. يجب أن يكون الناخبون (والمرشحون) من الذكور، وأن يكون عمر الناخب واحدا وعشرين عاما، وأن يكون قد سدد الضريبة المقررة عليه، وأن يكون من المسجلين فى الكشوف الانتخابية. سوف يقبل الضابط العائد (وهو بريطانى الجنسية) أى مرشح يسميه الاجتماع ويؤيده شخص واحد من الحاضرين فى أضعف الأحوال. (يتم التسجيل للترشيح فى الفترة ما بين أول أغسطس واليوم السادس من شهر سبتمبر). كل منطقة من مناطق التسجيل تكون محددة لعدد من المرشحين. فى كل منطقة من المناطق الانتخابية الابتدائية يقف المرشح ومن خلفه مؤيدوه. وفى المناطق الانتخابية الأخرى يجلس الضابط العائد (بريطانى الجنسية) فى غرفة ويمر عليه المسجلون فى القوائم الانتخابية. ويخبرونه بالمرشح الذى يفضلونه. ويقوم الضابط العائد بتمرير أسماء المرشحين الناجحين إلى المستوى التالى لإجراء المزيد من التصويت الذى يقوم به الضابط العائد أيضا. (ملاحظة: المدن الرئيسية المستثناة من هذه العملية هى: جوس، وبكورو، وكافنشان Kafanchan، وزاريا، وكنو، وكادونا، وماكوردى) ومن حق الإدارة المحلية إضافة المزيد من المرشحين فى الانتخاب النهائى.

ولما كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى Jam‹iyyar Mutanen Arewa سيعلن قيامه رسميا فى اليوم الأول من شهر أكتوبر من عام ١٩٥١ الميلادى، (وأن أحمد بللو هو وأبا بكر تافاوا باليوا سيدخلان عند هذا التاريخ)، فإن الحزب لم ينافس على تلك الانتخابات من منطلق كونه حزبا، وذلك على الرغم من أن

المرشحين على المستوى الانتخابى المتوسط سوف يدعون إلى الانضمام إلى الحزب[١].

أبلى حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال بلاء حسنا فى مدينة كنو فى الجولة الأولى[٢]. ولكنه لم يصب نجاحا فى الجولات الأعلى. هؤلاء الذين يجرى انتخابهم فى الجولة النهائية (بمن فى ذلك المرشحين المُضافين من قبل الإدارة

---

(١) فى اليوم الأول من شهر أكتوبر من عام ١٩٥١ كان لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى خمسة وستين فرعا، ويضم حوالى ٦٠٠٠ عضو. والحزب يطلق على نفسه اسم "الحزب السياسى التقدمى" ويصدر بيانا من ثمانية نقاط هى:

١) الاستقلال الذاتى الإقليمى فى إطار نيجيريا موحدة.
٢) إصلاح الحكم المحلى فى إطار منظومة إماراتيه تقدمية.
٣) لابد من الاستماع إلى أصوات الناس وصوت الشعب فى مجالس الشمال كلها.
٤) الإبقاء على المنظومة التقليدية المستخدمة فى تعيين الأمراء مع زيادة التمثيل فى اللجنة الانتخابية.
٥) حملة فى سائر أنحاء الشمال للحث على التعليم مع المحافظة على التأثير الثقافى وزيادته.
٦) القضاء على الرشوة والفساد فى سائر أنحاء الحياة فى الإقليم الشمالى .
٧) الحكم الذاتى المتدرج لنيجيريا مع الإبقاء على وضع السيادة فى نطاق الكمنولث البريطاني.
٨) شمال واحد. وشعب واحد، بغض النظر عن الدين، أو القبيلة أو المنزلة.

(٢) يحصل حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال من بين المقاعد الستة والعشرين المخصصة لخمسة مناطق فى مدينة كنو. على اثنى عشر مقعدا، ويحصل حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون الجنوبى NCNC على خمسة مقاعد، ويحصل مسئولى الإدارة المحلية على ستة مقاعد. فى حين يحصل المستقلون على ثلاثة مقاعد. وكان من بين أبرز أعضاء حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال. الذين جرى انتخابهم كل من: أمين كانو (نائب رئيس حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال)، وأبا ميكوارو Abba Maikwaru (الرئيس العام). جى. كى. بللو إيجوما (الأمين العام)، ومجاجى دامباتا Magaji Dambatta (رشح ممثلو الإدارة المحلية عددا من المرشحين يزيد على عدد المقاعد مما أدى إلى الإخلال بعملية التصويت) ويجتمع مرشحو المدينة الستة والعشرون فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر لانتخاب أربعة أعضاء هم الذين سيمثلونهم فى انتخابات الأحياء، عندما ينضمون إلى الأحياء الثمانية والعشرين الآخرين، لانتخاب ١١٩ ممثلاً للدائرة الانتخابية النهائية، التى ستقوم بدورها بانتخاب عشرين ممثلا من الجمعية العامة فى الشمال.

المحلية) هم الذين يشكلون الجمعية العمومية Assembly House المنتخبة انتخابا غير مباشر[1].

---

(١) كان أولئك الذين جرى انتخابهم على النحو التالي:

[أدماوا]

محمد محمد ريبادو، عضو من أعضاء الجمعيات العمومية

محمد أحمد، رئيس حي، موبي

م. بللو ملابو، مدير مدارس

م. إبراهيم دمسا، رئيس إدارة الزراعة المحلية في أدماوا

م. م. محمد ولد بورام، رئيس حي، جالنجو، إمارة موري

[باوتشي]

المعلم أبو بكر تافاوا باليوا، مسئول التعليم في الإدارة المحلية

المعلم جاورو، مدرس زائر، جومبي

المعلم بوبا، مشرف الأشغال، إدارة جومبي المحلية

شيرومان باوتشي، رئيس الحي.

المعلم يعقوب وانكا، مساعد الخزانة في الإدارة المحلية في باوتشي

المعلم محمد كبير، كاتب في الإدارة كاتاجوم المحلية

المعلم باوا، مشرف الزراعة، إدارة كتاجوم المحلية

[بنيو]

إي. جي. جندو مسئول الخدمة المكتبية في تيف.

إيلا يوغ محاسب بخزانة تيف المحلية.

يوغ آجارا، خزانة تيف المحلية.

ميكوندو إجبون عضو الإدارة المحلية في ماكوردي.

سيا أكا، من مدرسة بنيو المتوسطة.

وأن جامبي، صراف بخزانة تيف المحلية.

باغر ميو، ناظر مدرسة أولية.

ب. أكيجا، محرر بإحدى الصحف.

[برنو]

ستيما كاشيم، مسئول التعليم

م. إبراهيم إمام، مشرف الأعمال

= والى محمد، قاضى القضاة

آبا كيارى كورا، رئيس حى، كاجا

آبا كيارى شوا ، رئيس حى، نجور

الحاج الشيخ بوهارى، كبير الكتّاب

محمد أبا حبيب، رئيس حى باما ، قسم ديكوا

م. أومارا، مساعد مسئول الخزانة

[ايلورين]

م. سعد الأنام، رئيس الكتبة، ايلورين

م. يحيى إيلورين، مسئول التعليم

م. أحمان باتيجى، رئيس كتبة، باتيجى

[كبّا]

بطرس أشيموجو

الحاج على نجيد

الحاج عبد الملك، وكيل أتّا Atta

جى. ايه. أوهكيرى ، سكرتير ، اتحاد أجبيرا القبلى

[كنو]

الحاج محمد سنوسى، شيروما كنو

م. ماجى، أمين التنمية فى الحكم المحلى فى كنو

م. محمد باشارى، والى كنو

م. الحاج الشيخ، أمير شانو ، رئيس الحى مسئول مدينة كنو

م. يللو دانداجو ، وكيل واجى .

م. محمد اينوا وادا

جلاديما الكنوى

م. منير ، رئيس الأشغال بالإدارة المحلية

م. بللو كانو ، مسئول التعليم بالإدارة المحلية

الحاج نبيقو

إبراهيم موسى جشاش

جلاديما هاطيجيا

الحاج أبو بكر ، رئيس حى أونجوجو

= م. محمد، كازورى
الحاج عثمان جوارزو
وزير جومل
مسئول خزانة جومل المحلى
م. جبير دورا
م. مداكى هاطيجيا
[كاتسنا]
الحاج عثمان ليمان، رئيس حى، موساوا
الحاج محمد سادا نضاله، رئيس حى، كيتا
م. محمد بَشار دورا، كاتب بالإدارة المحلية
م. عبد المؤمن، رئيس حى، مالمفاشى
م. محمد عيسى كيتا، أمين التنمية
م. محمد دمّالام ، رئيس مفتشى التصحاح المحلى
م. محمد دودو ، قاضى حى
م. لادان باكى، مساعد هندسى بالإدارة المحلية
[النيجر]
م. حسان، أمير رواء، أبوجا
م. محمد لاباى، ناظر المدرسة، مدرسة بطا المتوسطة
م. على، بطا
م. عودو آناسى، المكتب المركزى، كونتاجورا
[الهضبة]
داود لوط ، بانكشين
ميخائيل عودو بوبا، وزير شندام فيما بعد
موسى نيانج ريفانج، بيروم
بانزيل فوم، بيروم
أوتا ننزام ، الجماعة
[سكتو]
م. أحمد رابا، مسئول سكتو السياسى الرئيسى
م. جنيد، رئيس وزراء سكتو

تقوم الجمعية العامة ومجلس الرؤساء بانتخاب مجلس مشترك (مكون من أربعين عضوا من الجانبين)، على أن يقوم هذا المجلس المنتخب بانتخاب الأعضاء الثمانية والستين الذين سينضمون إلى مجلس الممثلين في مدينة ليجوس[١].

= م. أبو بكر، رئيس خيالة سكتو
م. هارون، أمير جوبير كالجو
م. محمد ساني دنجيادى. أمير مجاني سكتو
م. ماشيدو، ولد سلطان سكتو
م. محمد بطا، ناظر مدرسة، مدرسة سكتو المتوسطة
م. سول عيسى. أمير كودون جوساو
م. يحيى جوساو، مساعد تعليم بالإدارة المحلية
م. محمد توريتا. وكيل جونا
مجاجن جواندو.
م. علي جومبي. رئيس حي سكتو
م. باوا ياورى، مدرس في مدرسة أولية
م. إبراهيم عاجية،، أرجونجو
[زاريا]
م. سامبو، أمير فطا
م. ميجامو، وكيل ياندوكا
م. سنوسي. مسئول الخزانة المحلية.
م. أبو بكر إمام، محرر بجريدة "الحقيقة"

(١) يشتمل أولئك الممثلون الذين سيذهبون إلى ليجوس على كل من:
أدماوا : م. أحمد، م. بللو ملابو. م. محمد ديبادو
باوتشي : م. أبو بكر تافاوا باليوا. م. باوا بولكاشوا. م. جورو جومب. م. يعقوب وانكا
بنبو : وثام جامب. السيد أى جى جند. السيد عيلا يوغ.
برنو : م. آبا حبيب. م. سعد الأنام. م. يحيى إيلورين.
كبا : الحاج عبد الملك، السيد بى. إس أشيمجو.

فى انتخابات عام ١٩٥٤، كانت هناك أيضا انتخابات أولية وأخرى متوسطية وثالثة نهائية. ويكتسح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تلك الانتخابات بنسبة حوالى ثمانين مقعدا، فى حين يحصل بقية المرشحين على اثنى عشر مقعدا[١]. والشماليون الثلاثة الذين جرى تعيينهم وزراء فدراليين هم: أبو بكر تافاوا باليوا (وزير الأرض، والمناجم والقوى العاملة) وإينوا وادا (وزير بلا وزارة). وجرى تحويل الكثير من الشخصيات السياسية الرئيسية إلى الساحة الوطنية[٢].

= كنو: م. بللو دانداجو، م. بللو كانو، م. إبراهيم موسى جشاش، م. إبراهيم وزير جومل، م. محمد جونياما مسئول تعليم هاطيجبا، م. محمد مجاجن حارى كا زورى، م. محمد منير، م. سامبو شيروما، الحاج الشيخ أمير شانو، م. عثمان جوارزو، م. وادا كنو

كاتسنا: م. عيسى كيتا، م. لادان باكى، م. محمد بشار دورا، م. محمد ولد المعلم، الحاج عثمان ليمان.

النيجر: م. عبده أناس، م. على مكاما، م. حسّان أبوجا، م. محمد لاباى.

الهضبة: السيد دواد لوت، السيد ميخائيل أبو بويا.

سكتو: المعلم أبو بكر رئيس الخيالة، م. أحمد بللو، م. على، م. باوا، م. هارون، م. ابراهيم، م. محمد بطا، م. سانى دنجيادى، م. محمد توريتا، م. سليمان عيسى، م. يحيى جوساو.

زاريا: م. سنوسى، م. أ. إمام

مجلس الرؤساء: لميدو أدماوا، أمير كاتاجوم، أمير كفىّ، رئيس وكارى، أمير بدّى، أمير باتيجى، رئيس كوتون كارفى، أمير جومل، أمير كاتسنا، أمير أبوجا، رئيس واس، أمير جوندا.

(١) حزب رابطة المنطقة الوسطى، ثلاثة مقاعد؛ اتحاد ولاية يدوما، مقعدان؛ حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى، مقعدان؛ حزب AG الجنوبى، مقعد واحد؛ حزب إجبيرا القبلى، مقعد واحد، اتحاد بيروم التقدمى، مقعد واحد؛ حزب الحزام الأوسط الشعبى، مقعد واحد؛ ومستقبل، مقعد واحد.

ملاحظة: انهزم ابراهيم إمام أمام بوكار دبشاريما: ٢٣ إلى ١٢٩

(٢) فيما يتعلق بحزب المؤتمر الشعبى الشمالى نجد أن تلك الشخصيات البارزة المتجهة إلى ليجوس كانت تضم كلا من: محمد ربادو، أبو بكر تافاوا باليوا، ميكانو دوتسى، بللو دانداجو، دى. إيه. أوجبادو، ميتاما سول، بابا دانبابا DanBappa، إينوا وادا، مختار أمير باى Bai، يحيى جوساو، أحمد فاتيكا، نوح بامالى، وآخرين. كان من بين القادة الآخرين: جى. س. أوباند، جى. أيه. جى أوهيانى، (من الحزام الأوسط).

أثناء الاستعداد لانتخابات عام ١٩٥٦ الإقليمية، تشكل تحالف بين كل من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى والعناصر الرئيسية فى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد[١].

تحضر آلاف مؤلفة الاجتماع الذى عقده حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى ميدووجورى (فى شهر يونيو من عام ١٩٥٥). وفى انتخاب عام ١٩٥٦، يجرى إلغاء الكثير من الانتخابات المتوسطة، ولكن يجرى الإبقاء على منظومة الانتخابات المبدئية (الأولية) والانتخابات النهائية، ويجرى تحديد مواعيد الانتخابات فى كل مقاطعة من المقاطعات فى فصل الخريف. (وتجرى فى تسعة عشر منطقة حضرية انتخابات مباشرة) وهنا يبدأ أمين كانو هجومة على حزب المؤتمر الشعبى الشمالى[٢].

---

(١) كان أحمد بللو قد أعلن من قبل أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى: لن يدخل فى أى شكل من أشكال التحالف مع أى حزب من الأحزاب السياسة التى تكون جذورها ومنشأها من الجنوب، أو مع أى حزب من الأحزاب التى يسيطر عليها الجنوب (جريدة المواطن النيجيرى، ١٣ يناير ١٩٥٥ ص ١) تحالف حزب الشعب الشمالى مع حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد. أسفر عن شقاق فى الحزب الأخير. كان وفد حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد الذى انضم إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يضم كلا من الرئيس، باستور داود لوت؛ والأمين عام ، أم. أدو إبراهيم؛ أمين الدعاية الميدانى، إم. إس. ايه مود، والسيد باتريك دوكوترى، عضو عن ولاية جوس Jos فى مجلس الممثلين وعضو بارز فى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد والذى ينادى بعدم دستورية التحالف ويطالب بحتمية موافقة حزب الشعب الشمالى على إيجاد إقليم باسم إقليم الحزام الأوسط. (ملاحظة: ظهر حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد فى مطلع عام نتيجة نوع من الاندماج مع رابطة المنطقة الوسطى وحزب الحزام الأوسط الشعبى) وينضم أدو إبراهيم بعد ذلك إلى تاركا فى " تمرده ".

(٢) راجع جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٣٠ مايو من عام ١٩٥٦، "الشماليون أولا، ثم الجنوبيون". ص ٥ حيث يوجد النص الكامل لبيان أمين كانو: " نود للأقاليم أن تؤقلم خدماتها عامة ولكن ليس على الطريقة التى تتبعها حكومة الإقليم الشمالى. المعادلة لابد أن تكون الشماليون أولا، ثم الجنوبيون، وفى غياب الاثنين يصبح المواطن غير نيجيرى.. لم يكن هناك تصارع بين الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، والسبب فى ذلك أن حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال كان تحت قيادته الحالية؛ ونحن نعترض على هذا الحزب لأنه يهدف أصلا إلى إبقاء الامتيازات فوق المساواة؛ وإبقاء الفقر فوق الراحة، وإبقاء العبودية فوق الحرية..." وينادى أمين كانو بإجراء انتخابات مباشرة.

فى انتخابات عام ١٩٥٦ الإقليمية، ينهزم أمين كانو أمام أحمد داناتا (ولد الحسّان دناتا) ويواصل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى سيطرته على الشمال. ومع ذلك، تقع بعض "الاضطرابات" نظرا للغضب الذى انتشرت سمومه فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى[١].

كانت انتخابات عام ١٩٥٩ الفيدرالية (الاتحادية) موثقة توثيقا جيدا، ويمكن النظر إليها على أنها أول انتخابات مباشرة فى نيجيريا[٢]. وينعقد اجتماع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى زاريا فى عام ١٩٥٧، فى حين يُعقَدُ اجتماع فى عام ١٩٥٨ فى كنو. وهنا تصبح زعامة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فريقا متمرسا[٣]. وطوال عام ١٩٥٨ تتحسن، بشكل ملحوظ، العلاقات بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى، وفى ليجوس يبدأ ريبادو Ribadu فى الحديث عن الدكتور آزكوى "كرجل دولة، وعن تفهم هذا الرجل واحترامه لخصوصيات الآخرين"[٤]. وبحلول شهر ديسمبر

---

(١) على سبيل المثال، فى زاريا نجد أن على التراكى (من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى) ينهزم أمام الشيخ ماهر (من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال)، وفى كنو؛ نجد أن هارون كاسيم (من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى) ينهزم أمام تانكو ياكاساى (من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال)؛ ونجد إبراهيم إمام (من حركة شباب برنو) يهزم الحاج دورى (من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى) فى يروا الجنوبية؛ ونجد أيضا أن حزب الاتحاد التقدمى يفوز فى كادونا العاصمة وفى مدينة جوس Jos. وفى أوفا Offa نجد أن جى. إس. أولاوين Olawoyin (من حزب جماعة العمل AG الجنوبى) يهزم حزقيال فولايون (من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى).

(٢) للمزيد عن آخر التحليلات لانتخابات عام ١٩٥٩ راجع الكتاب الذى ألفه كورفى أمادو بعنوان: الانتخابات النيجيرية عامة، فى عام ١٩٥٩ وعام ١٩٧٩. والآثار المترتبة عليها. ليجوس. ماكميلان. الناشرون النيجيريون. ١٩٨٣.

(٣) كانت زعامة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى ذلك الوقت مكونة من: أحمد بللو، رئيسا، أبو بكر تافاوا باليوا، نائبا أول للرئيس؛ محمد ريبادو نائبا للرئيس؛ آبا حبيب. أمينا عاما؛ على مكامان بطا، أمينا للصندوق؛ ايه. جى. إف. رزاق، مستشارا قانونيا.

(٤) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٩ نوفمبر من عام ١٩٥٨. "الوفاق بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى يزداد صلابة". ص ١. وبناء على ذلك يقوم حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى بمنح الميداليات الذهبية لكل من أحمد بللو، ورئيس الوزراء، وإلى أمين كانو.

من عام ١٩٥٨. يتعهد أحمد بللو Sardauna "بالغطس والسباحة سويا" مع حزب NCNC الجنوبى فيما يتصل بإدارة مصير نيجيريا[١]. ويقوم حزب جماعة العمل AG الجنوبى بمهاجمة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى باعتباره حزبا "إقطاعيا فى المقام الأول، وأن مهمته تتمثل فى مد أجل الإمبريالية الفولانية"[٢]. بعد إنهاء الانتخابات، يحصل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على أغلبية الأصوات، ويجيء بعده حزب الاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية[٣]. ويقوم الحزبان بتشكيل حكومة الاستقلال. ومن بين النتائج المحلية، تنتخب كادونا ممثلا عن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ويجرى انتخاب أمين كانو من ولاية كنو Kano.

تعطى مدركات المشاركين خلال هذه الفترة شيئا عن مدى حدة الانتخابات. وهذا هو أمين كانو يكتب فى مذكراته اليومية عقب الانتخابات فيقول: "يا له من عام عظيم حافل بالأحداث. هذا عام عظيم من منظور أنه شهد انتخابى عضوا فى المجلس الفيدرالى. ولعل الله يفتح طريق النصر لنا". وقبل الانتخابات كان أمين كانو يقول عن دور أمير كنو:

> **فى اليوم الثامن عشر من شهر مايو: أساء الناس إلى أمير كنو Kano عندما كان فى كادونا. فقد انتابت الرجل صدمة عندما علم أن خطاب المحافظ ورد فيه أن الوزراء أعلى مرتبة**

---

(١) المواطن النيجيرى. بتاريخ ١٣ ديسمبر من عام ١٩٥٨. "حزب المؤتمر الشعبى الشمالى / وحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى يتفقان". ص٦.

(٢) المواطن النيجيرى، بتاريخ ١٧ ديسمبر من عام ١٩٥٨ ص ٥.

(٣) جاءت نتائج الانتخابات الفيدرالية فى عام ١٩٥٩ على النحو التالى:

		النسبة المئوية
حزب المؤتمر الشعبى الشمالى	١٣٤ مقعدا	٤٣
حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC والاتحاد التقدمى لعناصر الشمال	٨٩ مقعدا	٢٨
حزب جماعة العمل AG الجنوبى	٧٣ مقعدا	٢٣
أحزاب أخرى	١٦ مقعدا	٥
إجمالى المقاعد	٣١٢	

من الأمراء. وترتبت على ذلك مقاطعته للحكومة وحدوث أزمة بينه وبينها. ٣ نوفمبر: يضع أمير كنو كلا من سانى جول Gule وآخرين فى السجن. ويجرى إرسال وفد إلى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. ولم يلق أحمد بللو بالا لذلك الوفد وطلب من أعضاء الوفد العودة. من حيث أتوا، ثم رفض بعد ذلك مقابلة الوفد. ٤ نوفمبر: أثيرت مسألة مهمة حول مسألة الاتفاق الذى جرى التوصل إليه مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. وهنا يتضح أنه لا يمكن الاعتماد على أى شىء يكون من قبل أحمد بللو.

وتظل مسألة "افتراس" الإدارة المحلية لحزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال عالقة بين كل من أمين كانو وأحمد بللو (المستشار السياسى الرئيسى). ويتضح أيضا أن بعض الأمراء أحسوا أن كادونا لا تود أن تخبرهم بما ينبغى القيام به.

هذا هو أمير فطأ Fada، أحمد فاتيكا[1]، عضو مهم من أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يستعرض الوضع السياسى فى ذلك الوقت. حدث أول اتصال بين أحمد فاتيكا وأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى عام

(١) مقابلة شخصية. مع أحمد فاتيكا. فى ٢٦ ديسمبر من عام ١٩٨٣، زاريا. ولد أحمد فى فاتيكا (واحدة من البلدان الفولانية الكبيرة فى إمارة زاريا) ثم التحق بمدرسة جيوا الأولية: ثم التحق بمدرسة زاريا المتوسطة. ثم التحق بكلية المعلمين فى كاتسنا فى عام ١٩٣٥ وحصل على دبلوم المعلمين. درس أحمد فى كثير من المدارس الابتدائية والمدارس المتوسطة. وفى عام ١٩٥٢ أصبح الرجل مدرسا أول زائرا، ومديرا تعليميا لزاريا كلها، على المدارس الابتدائية التابعة للإدارة المحلية. وحصل الرجل على مقرر فى الإدارة التعليمية من المملكة المتحدة فى عام ١٩٥٤، وفى الفترة من ١٩٥٤ – ٥٦ كان الرجل عضوا فى لجنة زاريا المحلية الخاصة بالتعليم. والشرطة. والبيطرة. وفى عام ١٩٥٦ خاض الرجل انتخابات الجمعية العمومية الإقليمية، ونجح فى تلك الانتخابات. وعين وزيرا متوسطا (أى سكرتيرا برلمانيا) فى المالية. ثم أصبح بعد ذلك أمينا برلمانيا. فى وزارة الزراعة. وفى عام ١٩٦١، عين الرجل وزيرا للتعاونيات والرفاه الاجتماعى. ثم أصبح (فى عام ١٩٦٣ – ٦٤) وزيرا إقليميا للصحة. وفى عام ١٩٦٥ – ٦٦ أصبح وزيرا إقليميا للإعلام.

عاد الرجل إلى زاريا بعد الانقلاب، والتحق بالحكم المحلى فى زاريا، وكان مستشارا للتعليم؛ والحكم المحلى؛ وتطوير المجتمع. (١٩٦٦ – ٧٥). وبعد إدخال الحكم المحلى، أصبح الرجل رئيسا للإدارة المحلية فى زاريا. ومع إدخال مجلس الحكم المحلى، عاد الرجل إلى مجلس الحكم المحلى فى إمارة زاريا (١٩٦٧). وفى عام ١٩٨١، عين الرجل رئيسا لمفوضية خدمة الشرطة، التى كانت تحت رئاسة الحكومة الفيدرالية.

١٩٥٢، أثناء انشغال أحمد بللو بالقيام بحملة من الحملات. كان الرجل جزءًا من الجمعية الشعبية الشمالية JMA فى زاريا. واستنادا إلى ما قاله "فاتيكا"، فإن "حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان مجرد جمعية، أو بالأحرى جمعية تنظيمية". فى ذلك الوقت، كان التنافس يجرى بين الشمال والجنوب. كان أهل الجنوب يبذلون قصارى جهدهم للسيطرة على الشماليين. كان المستنيرون المتعلمون الشماليون يحاولون إخبار الشعب بما يدور فى ذلك الحين. ومن ثم جرى تنظيم حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كيما يجذب انتباه أهل الشمال إليه (الحزب) فى محاولته تحريرهم من استعباد الجنوبيين لهم. كانوا كلما خيموا فى قرية من القرى، يحصلون على إذن بذلك من شرطة الإدارة المحلية. ثم يتجمع الناس بعد ذلك ويروحون يحكون لهم عن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ويحثونهم على الانضمام إليه بعد أن استمعوا إلى برنامجه. كان المخيمون يقولون: "الحزب وحده هو الذى سينقذكم من احتكار الجنوبيين لكم. الحزب وحده هو الذى سيعمل على إسعادكم ورفاهكم". (ملحوظة: مشكلة الحكم الذاتى حدثت بعد ذلك. لم يكن الشمال مستعدا للحكم الذاتى، ولذلك حثوا الناس على عدم قبول الحكم الذاتى. لم يكن الوقت مواتيا. وعندما يحين الأوان، أى فى حوالى عام ١٩٥٧، عندئذ يصبح الحكم الذاتى هو المسألة الرئيسية) كانت السيطرة الجنوبية مشكلة عامة. فقد كان الجنوبيون يسيطرون على كل الأسواق وعلى التجارة وعلى المال والأعمال فى الشمال. حدث ذات مرة أن كان أحمد فاتيكا مخيما فى بطا Bida مع أحمد بللو Sardauna، وعرض على المخيمين كتيبا عن مؤسسة الخطوط الحديدية، يحتوى على قائمة بكبار موظفى المؤسسة ورواتبهم. كان المستخدمون كلهم من الجنوبيين. (وأثناء انتخابات عام ١٩٥٩، كان الجنوبيون يهيمنون على مؤسسة الخطوط الحديدية.) فى عام ١٩٥١ كانت المشكلة تتمثل فى "سيطرة الجنوب". وفى عام ١٩٥٤ كانت الشخصيات الرئيسية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على النحو التالى: أحمد بللو Sardauna، باليوا، كاشيم إبراهيم، على مكامان بطا، محمد ريبادو، بطرس أشيموجو، بللو مكامان كنو، عيسى كيتا، وبللوا داندا جو. فى عام ١٩٥٦، كانت مشكلة هيمنة الجنوب مازالت قائمة، ولكن مشكلة الحكم الذاتى بدأت هى الأخرى تطل برأسها. وفى عام ١٩٥٩ كانت المشكلة تتمثل فيمن يمكن أن يقود نيجيريا. كافح حزب المؤتمر الشعبى كفاحا شديدا فى هذا الصدد.

مايزال أحمد فاتيكا يعيد إلى ذاكراتنا أنه فى الفترة السابقة لعام ١٩٥٤، كانت تحركات الحكم الذاتى من قبل الجنوبيين، تشكل تهديدا للشمال. وبناء على ذلك، ذهب أمراء الشمال إلى مجلس الممثلين فى ليجوس ووقفوا فيه موقفا قويا من هذه المسألة. (قال المرحوم جعفر، أمير زاريا، إنه إذا كان الجنوبيون مصرين على الحكم الذاتى حاليا، فالأفضل هنا هو الافتراق. وهنا راح الجنوبيون يوجهون إليه السباب واللعان، الأمر الذى أسفر عن حتمية تأمين الرجل تأمينا قويا) فى عام ١٩٥٤ أصبح حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال يشكل المعارضة القوية. كان حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال يقف منذ البداية معارضا للسلطات المحلية وكل القائمين على أمر هذه السلطات (سواء أكانوا من الولايات أم من المستوى الفيدرالى). قال حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال، إنه يعمل من أجل الجماهير، ووعد بتحرير هذه الجماهير من العمل القهرى، وإلغاء دفع ضريبة المجتمع، وإلغاء كل "المساوئ" الأخرى. فى عام ١٩٥٤، كسب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال بعض المقاعد، لا فى ولاية كنو وإنما فى إمارة زاريا (الجزء الشمالى والأحياء الشرقية)، إضافة إلى بطا Bida، ومن منطقة عاصمة كادونا. لم يحصل حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال على أى مقعد فى كنو، نظرا لأن أمير كنو، السنوسى، كان رجلا قويا. كان حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد فى منطقة الهضبة/ بنيو، كما أن يوسف ساروان تاركا أصبح زعيما لذلك الحزب. كان ذلك الحزب قويا أيضا فى جنوبى زاريا. وكانت المشكلة الرئيسية تتمثل فى القضية الدينية. كان الناس فى الشمال مسلمين. وكان الناس فى الأقسام الجنوبية من غير المسلمين. (قلة قليلة من السكان كانوا مسيحيين، وكانوا يحاولون إقناع الجنوبيين بالدخول فى المسيحية؛ وبذلك يمكن أن يقفوا ضد الشمال على أساس من الأسباب الدينية، وأعادوا إلى الأذهان الحروب القبلية التى دارت فى القرن التاسع عشر) حاول حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى وحزب جماعة العمل AG الجنوبى أيضا تحقيق بعض المكاسب فى الشمال، ولكنهما أخفقا فى ذلك. (وعلى الرغم من انضمام حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون

NCNC الجنوبى إلى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، وعلى الرغم من انضمام حزب جماعة العمل AG الجنوبى إلى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، وعلى الرغم من مساعدة الحزب الأخير المالية لهذين الحزبين) كان حزب الحزام الأوسط المتحد/ AG يحرض إقليم الحزام الأوسط (جنوبى زاريا / الهضبة / أدماوا ولكن ليس إيلورين). كانت إيلورين مع الشمال. جرى فى عام ١٩٥٦ انتخاب ثلاثة أعضاء من الجنوب ولكن لم يأخذ الشعب أحدا منهم مأخذ الجد. كان غالبية الأعضاء أميين. وكان التهديد الكبير يتمثل فى حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال، وحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC الجنوبى. وجرى أيضا وضع حد لحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد بعد الانتخابات التى أجريت بعد عام ١٩٥٩، بعد انضمام التيف Tiv إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى؛ كان هذا الحزب الأخير قد كافح كفاحا مريرا من أجل الحصول على عون وتأييد التيف Tiv. هذا العون والتأييد الذى حصل عليه حزب المؤتمر الشعبى الشمالى من التيف أدى إلى أن يسود السلام فى المنطقة ولم تكن له أية علاقة بالسياسة.

أحدثت حركة شباب برنو (إبراهيم إمام) أضرارًا كثيرة. وراح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يأخذ تلك الحركة بعين اعتباره ويضعها فى حسبانه. كانت حركة شباب برنو يودون الاستيلاء على مقاطعة برنو كلها. كانت تلك الحركة معادية لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وكانوا يشنون حربا عليه. كان إبراهيم إمام هو الذى يواجه كاشيم إبراهيم. وكان إبراهيم يرتبط بعلاقة مع تاركا، وكانت حركة شباب برنو تود أن يكون هناك حزام أوسط على شكل إقليم مستقل وليس جزءا من إقليم برنو؛ كان مؤيدو إبراهيم إمام من الأميين فى برنو كما كان يلقى تأييدا أيضا من بعض أعضاء الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال. (صحيح أن هؤلاء المؤيدين كانت لهم الأيدولوجية نفسها التى لحزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال، ولكنها لم تكن فى تحالف مع هذا الحزب).

يعلق أحمد فاتيكا تعليقا مفاده أن أمين كانو كان يحظى باحترام كبير من مؤيديه، ويقال إنه كان رجلا شديد التدين. كانوا يحترمونه بالرغم من كل تكهناته المستقبلية. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يعلم أن أحمد فاتيكا كان متعلمًا، وكان الحزب يعلم أنه يعارض بعض أفكاره. فى بداية الأمر لم يكن حزب المؤتمر الشمالى يعد أمين كانو تهديدا. ولكن الحزب بدأ ينظر إليه فيما بعد على أنه مصدر من مصادر التهديد وأنه يكسب أرضا فى هذا الاتجاه. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يحترم أفكار أمين كانو، كما كان يحترم رأيه أيضا فى كثير من المسائل الوطنية المهمة، وكان أحمد بللو يستدعيه ويوجه إليه الدعوة ليناقشه فى مسائل من هذا القبيل. كان أمين كانو ذكيا. لم يكن يتشاجر مع الناس. لم يكن يشهر سيف العداء، ولكنه كان يحتفظ بأيدولوجيته. لم تكن لتاركا المنزلة التى كان عليها أمين كانو. كان تاركا عدوانيا ولا يعرف الحلول الوسط. كانت ميوله كرْها أكثر منها سياسة. لم يكن إبراهيم إمام يحظى بالاحترام نفسه الذى كان يحظى به أمين كانو. كان إبراهيم إمام معزولا عن عامة الناس فى الشمال، اللهم باستثناء برنو. لم يكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يحترم إبراهيم إمام. وقد انفصل الرجل عن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لأسباب شخصية، لأنه كان يطمع فى الحصول على منصب فى الحزب[1].

خلاصة القول أن العملية الانتخابية خلال خمسينيات القرن العشرين تعد انتقالا إلى الأنموذج الوزارى، كما سمحت تلك الانتخابات للزعامة بالظهور، وذلك على الرغم من المنافسة الداخلية القوية، دون أن يؤدى ذلك إلى اضطراب بنى المجتمع السياسية. وظهر أن أحزاب المعارضة كانت تعكس مصالح محلية، ولكنها كانت تحظى بكنية أو بوضعية "المعارضة الموالية" داخل المنظومة البرلمانية التى بدأت تبرز للعيان. كانت إستراتيجية حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تهدف إلى "توحيد الشمال" (وهذا ما سنناقشه فى الفصل العاشر)، حتى يمكن توفير العضلات السياسية اللازمة لتعاملات الحزب على المستوى الوطنى.

---

(١) المرجع السابق.

٧ – القيم السياسية والزعامة:

يشرح أحمد فاتيكا[١] مُلَخِّصًا رأيه فى الأسباب التى جعلت رفاق أحمد بللو Sardauna يحترمونـــه خلال تلك الفترة. فى ذلك الوقت، كان الأمراء أقوياء للغاية. كان الشماليون المتعلمون يودون شخصا قادرًا على التعامل مع الأمراء تعاملا لطيفا وذكيا. كان أحمد بللو قادرًا على التعامل مع هؤلاء البشر. وكان مصدر احترام أحمد بللو، يتمثل فى روابطه الأسرية فى سكتو. من منطلق أن أحمد بللو كان حفيدًا من أحفاد الشيخ عثمان بن فودى. معروف أن أمراء الشمال الأول تسلموا بيارقهم من الشيخ عثمان وترتب على ذلك احترام هؤلاء الأمراء لكل من ينتمون إلى أسرة ذلك الشيخ. يضاف إلى ذلك أن أحمد بللو كان متعلما. يضاف إلى ذلك بساطة هذا الإنسان، وكرمه، وعطفه وسماحته الشديدة. وعلى سبيل المثال، عندما كان عضو من المعارضة يسىء إليه أو يغضبه، كان بوسع رجال أحمد بللو الإمساك بمثل هذا الشخص أو بأقاربه، ولكن أحمد بللو كان يعفو عن مثل هذا الرجل وعن أمثاله. وفيما يتصل بكرم هذا الرجل، كان عندما يتسلم راتبه، يقوم بتوزيعه على المحتاجين. كانت له مزرعة كبيرة، وكان يوزع محاصيلها على الناس. لم يكن لدى الرجل سوى شيء قليل من الملابس. فى ذلك الوقت، لو قدر لك أن تكون واحدا من وزراء أحمد بللو، وأخذت مبلغ ١٠٠ جنيه إنجليزى من أى أحد من الناس، لطردك أحمد بللو وتركك لحال سبيلك. (فقد طرد واحدا من كبار الوزراء) كان أحمد بللو Sardauna رجلا متواضعا. فى بعض الأحيان، وفى أيام الآحاد كان الرجل يقوم بزيارة بعض الوزراء فى منازلهم، بدلا من أن يقومون هم بزيارته. كان أحمد بللو يحضر إلى المجمع السكنى ويقدم الهدايا للزوجات. وكان يجلس، فى معظم الأحيان، على الأرض عندما يكون فى بيته. وكان يذهب إلى المسجد ماشيا على قدميه. وكل من كان يود مقابلته كان يتحقق له ذلك بسهولة ويسر. كان الرجل عطوفا. كان يستمع إلى مشكلات الآخرين، ويساعدهم على

---

(١) المرجع السابق، ٢٦ ديسمبر، من عام ١٩٨٣.

التغلب على تلك المشكلات. كان يساعد أصحاب المراكز العالية والأقارب وكان يتدخل بالوساطة ليصلح بين طرفى النزاع. عيبه الوحيد، الذى كان الجميع يعرفونه، كان يتمثل فى غضبه وثورته. كان الرجل متقلب المزاج، ولكنه سرعان ما كان يهدأ ويعود إلى حاله الطبيعى. ثقته بنفسه كبيرة جدا، وهذه الثقة ترتكز على خلفيته الأسرية وشخصيته الطيبة. كان يعرف أن الناس يحترمونه ويثقون به، ويخلصون له. لم يكن الرجل يتطلع أو يود إيذاء أحد من الناس، وبالتالى كان على ثقة من أن أحدا لن يؤذيه أو يضره. كان الرجل قوى الإيمان بالله. كما كان مسلما ممتازا، وكان الناس يجلّون ذلك فيه ويقدرونه. كان الرجل يرى نفسه سياسيا ورئيسا للحكومة وليس "أميرا من أمراء الشمال" Sarkin Arewa. كان الرجل يحترم أصغر الأمراء بل وأصغر الرؤساء، ولكنه لم ير نفسه ضمن طائفة الرؤساء، وهذا مظهر من مظاهر تواضع هذا الرجل. كان أحمد بللو Sardauna يعرف أن الحكام التقليديين تطيح بهم الظروف والأحداث، ولكنه كان يحترم الدستور، وكان يحس أن ذلك سوف يؤدى إلى مزيد من السلام فى البلاد. كان أحمد بللو يرى أنه إذا كان جيله قد تعلم، فإن الشمال لن يتفوق عليه أحد. كان الرجل مهموما بالشماليين لأنهم لم يكونوا يقبلون فى جامعات الجنوب. كان الشمال شغله الشاغل، وكانت الأشملة حجر الزاوية فى عقيدته، هذا يعنى أن أهل الشمال يستطيعون مقاومة هيمنة الجنوبيين على المستوى الفيدرالى وعلى مستوى الولايات. ومع ذلك كان أحمد بللو Sardauna وطنيا وإقليميا أيضا. كان الرجل يميل إلى توحيد الناس وجمعهم بعضهم إلى بعض، بغض النظر عن قبائلهم ومشاربهم. كان أحمد بللو يحس فى داخله أن قبائل الهوسا واليوروبا، والإجبو Igbos، إذا ما فهمت بعضها بعضا، فسوف تقل المتاعب والقلاقل. كان أحمد بللو يود رفع الشمال إلى المستوى الذى وصل إليه الجنوب، حتى يمكن أن يمضيا إلى الإمام سويًا جنبا إلى جنب. صوّر أحمد بللو الشمال فى عيون الدنيا. كان الرجل يركز ويهتم بتقدم الشمال، وكان يستشعر النظام والأمانة والولاء لواجبه ويعلم أن كل هذه الأمور بمثابة أسس للتقدم. كان هدف أحمد بللو هو الزراعة التقدمية والتعليم التقدمى. كان الرجل يحترم المؤسسات التقليدية والثقافات التقليدية أيضا.

وهذا هو آبا Abba حبيب[1] يستعرض دور أحمد بللو Sardauna فى الحزب وأسلوبه العام (بما فى ذلك تعامله مع الشئون التمويلية) خلال الفترة. يكسب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كل شيء فى الانتخابات الإقليمية التى أجريت فى عام ١٩٥٦، ويتعالى الصياح والصراخ فى الجنوب من أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قد خدع الشعب وغرر به. لم يكن هناك اتهامات بالرشوة. فقد كان أحمد بللو صارما فى مثل هذه الأمور. (وآبا حبيب عندما استقال من منصب الوزير لم يكن فى حسابه فى البنك سوى ٤٠٠ جنيه إنجليزى) لم يكن أحمد بللو يصفح عن الرشوة أو يعفو عنها. وفيما يتصل بماليات الحزب، كان مكامان بطا Bida أمينا للصندوق، ويعمل أيضا مع اللجنة. كان لدى اللجنة والصندوق محاسب ولذلك سار كل شيء على ما يرام. لم تكن الشركات العاملة خارج البلاد داخلة فى الموضوع، ولكن التجار المحليين ورجال المال والأعمال كانوا يساندون حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ويقدمون له المال. يضاف إلى ذلك أن الوزراء كأفراد هم والسكرتيرين البرلمانيين كان كل واحد منهم يسهم بمبلغ ١٠٠ جنيه إنجليزى شهريا. (كان الواحد منهم يتقاضى ٣٠٠٠ جنيه إسترلينى فى العام. هذا يعنى أن ثلث راتب كل واحد من هؤلاء كان يذهب للحزب). يضاف إلى ذلك أنه كانت هناك أيضا مبالغ تأتى من كتيبات الحزب وبطاقاته ومنشوراته. (بعد ذلك، وفى فترة الانقلاب، كان هناك حوالى ١,٥ مليون جنيه إسترلينى فى خزائن الحـــزب، قام العسكر بمصادرتـــها) لم تراجع الحكومة حسابات الحزب، ولكن الحكومة كانت تعرف حقيقة مرتب كل وزير من الوزراء (كما كانت تعرف حقيقة رواتب السكرتيرين البرلمانيين)، كما استطاعت أيضا مراقبة الحسابات الفردية فى البنوك. كانت الأحزاب كلها حريصة فى مسألة الحسابات والتمويل. (كان حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مدعوما أيضا من التجار ومن رجال المال والأعمال) ويمكن إيجاز دور أحمد بللو (بصفته مستشارا سياسيا رئيسيًا) Sardauna فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فيما يلى:

(١) المرجع السابق، بتاريخ ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤.

١) إحساس الرجل بأن الإستراتيجية إنما هى من اختصاص لجنة الحزب (الخاصة بتصريف أعمال الحياة اليومية وتحليل الأحزاب الأخرى). كانت اللجنة (التى تشتمل على كل من مكامان بطا، وآبا حبيب، وعيسى كيتا، وإهمان ناتيجى وآخرين) تجتمع مرة واحدة كل أسبوع. ولم يكن حضور أحمد بللو تلك الاجتماعات أمرًا ضروريًا، ولكن كان هناك اجتماع شهرى يحضره الوزراء كلهم، والسكرتيرون البرلمانيون، وكبار رجال الحزب فى المقاطعات، وكان أحمد بللو Sardauna هو الذى يرأس ذلك الاجتماع. كانت لجنة الحزب تقدم تقريرها، ثم يجرى بعد ذلك مناقشة ذلك التقرير واتخاذ القرارات اللازمة. كانت الاجتماعات الأسبوعية تعقد فى مركز رئاسة الحزب (فى كادونا)، ولكن فى معظم الأحيان كانت الاجتماعات الشهرية تعقد فى منزل أحمد بللو. كان زعماء الحزب مكونين من "رجال كبار السن" (كاشيم إبراهيم، وباليوا، مكامان بطا، ورئيس خيالة كنو، وريبادو، دبشاريما، وعيسى كيتا، وإينوا وادا) "ورجال صغار السن" (أى ميتاما سول، وإبراهيم وزيرى، والشيخ شاجارى). كان صغار السن "يقولون الحق والصدق لكبار السن" كان الجميع يتكلمون حقا ويقولون صدقا وبلا أى خوف من أحمد بللو. كان الرجل (أحمد بللو) يستمع إليهم، ثم يعرب عن رأية فى نهاية الأمر. وهنا كانت الجماعة توافق أو لا توافق على هذا الرأى. (كان ريبادو على وجه الخصوص لا يخفى مشاعره. كان أحمد بللو يحترم "الصدق"). لم يكن أحمد بللو يكره الجنوبيين. لقد بلغ حب الرجل للشمال حدا جعله يرغب فى تعليم الشمال كله، وأن يكون ذلك على أساس اقتصادى متين، وبالتالى يختفى وجود مواطنى الدرجة الثانية. ولكن كراهية الإجبو، أو بالأحرى اليوروبا لأحمد بللو نابعة من معرفتهم أن الشمال عظيم وأنهم لا يمكن أن يكسبوا ذلك السباق.

وهذا هو نوح باملّى[١] يؤكد على الجوانب التنظيمية باعتبارها مميزة عن الجوانب "الشخصية" فى الحزب. فى عام ١٩٥٤ انعقدت الانتخابات الأولى فى الوقت الذى كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يمارس فيه عمله بصفته حزبا.

---

(١) المرجع السابق، بتاريخ ٢٣ أغسطس من عام ١٩٨٣.

كان الحزب مكونا من الأمانة الوطنية (التى كان الأمين عام فيها هو كل شىء) التى كانت مسئولة أمام اللجنة التنفيذية الوطنية. وكانت المقاطعات مقسمة إلى مقاطعات شمالية وأخرى جنوبية. لم تكن المقاطعات الجنوبية مؤثرة مثل المقاطعات الشمالية اللهم باستثناء مقاطعة ليجوس، أو الأماكن التى ترتبط بصلات أو علاقات مع الشمال، مثل إيبادان، وآبيوكوتا Abeokutta، وبنين، وبورت هاركورت وأجيج Agege، كانت أمانة الحزب منظمة تنظيمًا جيدًا. (واقع الأمر أن كثيرين أُرسلوا إلى المملكة المتحدة لدراسة كل من حزب العمل وحزب المحافظين من حيث التنظيم) وفى كل عام كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يعقد اجتماعًا حزبيًا عامًا. وكان يسبق ذلك الاجتماع انعقاد اجتماعات أخرى على مستوى المقاطعات، والتى كان يجرى خلالها إعادة انتخابات العضوية. لم يكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى حزبًا واحدًا، وإنما كان صوتًا شماليًا واحدًا، ومن ثم كان يخطف أبصار الأحزاب الأخرى ويروق لها وذلك بغض النظر عن أيدولوجية تلك الأحزاب. كان أحمد بللو يعمل من خلال التنظيم. وأحمد بللو كان يتعامل مع شعب (أهل) ليجوس كان يفعل ذلك من خلال أبى بكر تيفاوا باليوا، الذى كان شخصًا شديد النظام والالتزام كما كان أيضًا على صلة بأعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى من أهل ليجوس.

ونحن نورد هنا بعض شخصيات الخدمة المدنية المهمين[1] فى تلك الفترة، وهم يبدون الملاحظات التالية. كان حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال يحظى بشعبية كبيرة لدى الشبان، الذين كانوا يعترضون على سلطات الرؤساء غير المحددة، كما كانوا يعارضون أيضا أوتوقراطية هؤلاء الرؤساء. كان حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال ينادى بأناس أكثر استنارة، يجفلون ويشمئزون من الانحناء طاعة للأمراء. كان الشباب كلهم منضمين إلى حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال. وفيما بعد، وبعد أن نشبت الصراعات وزادت مع الجنوب. فى عام ١٩٥٥ على وجه التقريب. انتقل أناس كثيرون من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر

---

(١) المرجع السابق، بتاريخ ٢٣ أغسطس من عام ١٩٨٣.

الشمال إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى جراء مشكلة الشمال – الجنوب. لم تكن الانتخابات مهمة حتى عام ١٩٥٩، فى وجود المعينين والتصويت غير المباشر. كانت الانتخابات بمثابة طلاء استعمارى بريطانى ليس إلا. ومع ذلك، كانت شخصية الجنوب تظهر فى المسائل الوطنية المهمة، إذ كان الجنوبيون يقفون وراء مصالحهم. (ملاحظة: واقع الأمر أن شباب الموظفين المدنيين لم يكونوا أعضاء فى حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال أو حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. هؤلاء الشباب لم يكونوا يحملون بطاقات حزبية، أو حتى بطاقات حزب المؤتمر الشعبى الشمالى). وفى الفترة من عام ١٩٥٢ – ٥٤ يصبح أحمد بللو الشخصية المهيمنة فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى (بصفته وزيرًا للأشغال). ويصبح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تنظيمًا شماليًا خالصًا. هذا يعنى أن من كان يراعى قيم الشمال كان يعد منتميًا إلى الحزب. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يرمز إلى الشمال وإلى تقاليده، وهى تختلف عن تقاليد وأعراف الجنوب. فى الشمال، على سبيل المثال، يستحيل أن يكون المرء وقحا مع البريطانيين. وفى الجنوب كان الناس شديدى الوقاحة مع البريطانيين. هذا يعنى أن الوقاحة تعد قيمة سلبية فى الشمال. وفى عام ١٩٥٩، ومع انتخابات الحكم الذاتى يصبح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى "مستقلا"، بل ويستقل بنفسه. ومع ذلك تظل مسألة القيم الثقافية لب النزاع والخلاف فى الشمال. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى مؤمنا "بالاحترام والتبجيل" Mutunci باعتباره مفهوما رئيسيًا وأساسيا. كان "الاحترام والتبجيل" بمثابة القاعدة الرئيسية فى اللعبة كلها. هذا يعنى أن الإنسان إذا ما افتقر إلى الاحترام والتبجيل فذلك يعنى أن هذا مؤشر سيئ فى شخص مثل هذا الإنسان. هذا يعنى أيضا أن السلوك أو بالأحرى الأسلوب كان أمرًا مهما. (وإذا ما أراد الإنسان سب إنسان آخر، فإنه يتعين عليه أن يظل مرتديا حذاءه، أو يجلس على الكرسى أمام أى مسئول من المسئولين) فى منزل أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان الناس جميعا يجلسون على الأرض. وفى حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال لم يكن التعبير عن التحدى أمام القاضى يجرى بالامتناع عن

الجلوس على الأرض. (فالقاضى نفسه كان يجلس على جلد ماعز على الأرض، وإذا ما رفض إنسان الجلوس، فذلك يعنى أنه أخل بالروتين والنظام المتبع). لقد حاولوا الاستخفاف بهذه العملية كلها. والشرطة لا تسمح بأى تصرف يكون من هذا القبيل، وكانت تلقى القبض على كل من يفعل ذلك باعتبار ذلك إخلالاً بالأمن والسلامة، وكانت توجه الاتهامات إلى كل من يسلك ذلك السلوك. قد يصل الأمر إلى حد الإعدام شنقا أو بقطع الرقاب. (ولم يحدث إلا فى فترة متأخرة من عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣، عندما قام حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بالتسامح فى مسألة "الحذاء" هذه). وفيما يتعلق بالسب الشفهى، كان مسموحا للمداحين والمغنين بالسب واللعن، ولكن بطريقة تصحيحية وبناءة، كان ذلك يمثل جزءا من ثقافة الشمال. كان الاقتصاد منظما بشكل يوحى بأهمية الرؤساء. كان الناس يسعون إلى رعاية أولئك الرؤساء لهم وتكفلهم إياهم. (كانت الأرض أيضا من بين الأشياء الأخرى التى يتحكم فيها الرؤساء) كان قدر كبير من المعارضة يقوم على فرضيات ومعطيات زائفة. واتضح أن كثيرا من الناس الذين كانوا يبدون "شماليين" إنما كانوا "يمينيين" فى حقيقة الأمر، ولكنهم كانوا فى صف المعارضة لأسباب كثيرة. (قال بعض أعضاء حزب اتحاد عناصر الشمال التقدمى بعد أن جرى انتخابهم بالانضمام إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. فقد كانوا يريدون مقدمات يدفعونها لسياراتهم). كان أمين كانو وطنيا ومدرسا. وكان يحيا حياة معتدلة. لم يكن ماديا. كان الرجل يكره الظلم الواقع من البريطانيين أو الأمراء. وكان يكشف عن قدراته الزعامية والخدمية. وبينما كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يشار إليه دوما بأسلافه، فإن أمين كانوا لم يأت مطلقا على ذكر أسلافه، وإنما كان الرجل يخاطب ويلهم الشباب الصغير. ومع ذلك، لم يكن أمين كانو مؤديا أو منجزا. (كان الرجل وحيا مثل غاندى تماما). كان أمين كانو يفتقر إلى مهارات التنظيم، وفى بعض الأحيان كان يذهب إلى بعيد بمعارضته. كان عيسى والى "بمثابة رأس" أمين كانو فيما يتعلق بمسألة المرأة. كان عيسى يتحاور مع المعلمين، كما علم زوجته أيضا قيادة السيارة، وكان عيسى والى يخرج مع زوجته، أما أمين

كانو فلم يحدث مطلقًا أن خرج بصحبة زوجته. كان أمين كانو معنيًا بتنوير المرأة طبقًا للإسلام. وكان أهل برنو يقلدون الإصلاحات التى كانت تجرى فى المناطق الهوساوية. كان بشير الذى هزم السير كاشيم إبراهيم فى الانتخابات، واحدًا من المجتمع الهوساوى. على العموم، كان حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مكونا من أناس مستنيرين، ومن الرعاع (بالإضافة إلى التجار الأثرياء وبعض الشخصيات الجسورة). كان ذلك الحزب عبارة عن قطاع مستعرض، لأسباب عدة. ومع ذلك، كانت مجموعة الإصلاح داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تشتمل على كل من باليوا (الذى كان يحرك عملية إصلاح الإدارة المحلية، على الرغم من أنه كان واحدًا من تلك المؤسسة الراسخة)، وأحمد بللو الذى كان يعارض تلك الانطباعات. (ربما كان أحمد بللو يشعر بالضيق إذا ما نعت أمين كانو بأنه اشتراكى، والسبب فى ذلك أن أحمد بللو كان يؤمن بالمظاهر وليس بالمخابر، وواقع الأمر أن أمين كانو كان اشتراكيا). كان الجناح المحافظ فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يعتمد على المراكز طمعًا فى الرواتب والمنزلة. ومن ثم كان أتباع ذلك الجناح يغيرون أراءهم (محافظة أو إصلاحية) طبقًا لمصادر القوى ومكامنها. كانت الغالبية العظمى من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى من موظفى الإدارة المحلية. كان الوزراء كلهم من حملة الألقاب التقليدية (مثل مكاما، سيروما، إلخ). كان البريطانيون يستغلون الأمراء فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ليواجهوا بهم المطالب السياسية المبالغ فيها من قبل الجنوبيين. كان البريطانيون ينظرون إلى الأمراء باعتبارهم "ممثلى الشمال". ومع ذلك، كان الأمراء يجرى إخضاعهم دومًا ولا يسمح لهم بالبروز فى الحزب. كان البريطانيون والأمراء يتظاهرون بأنهم ليسوا فى الحزب، ولكن واقع الأمر أنهم كانوا متغلغلين فيه. وعندما تحولت جمعية الشمال إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كان لابد من استقطاب الأمراء حتى يمكن جذب الجماهير إلى الحزب. كان الأمراء يحضرون دومًا المؤتمرات الدستورية. ولم يتضح إلا بعد عام ١٩٥٩ – ٦٠ أن الحزب بدأت خطاه تسبق خطى الأمراء.

خلاصة القول، أن القيادة السياسية فى الشمال، فيما بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٦٠، كانت مكونة من عناصر شبابية متعلمة، وأن تلك العناصر هى التى بدأت تشكيل الأحزاب، ولكنها وجدت أن حزبها جرى "اختطافه" منها فيما بعد[1] بأيدى عناصر تقليدية. هذه العناصر التقليدية تشتمل على كل من سلطات الإمارات ومجتمعات أو طوائف المال والأعمال المحلية، على الرغم من أن هاتين الجماعتين لم تعملا سويًا فى الماضى، وكانتا تمثلان دوائر انتخابية شديدة مختلفة وأفاقًا مختلفة أيضًا. كانت هناك أيضًا فئات سنية مختلفة ومقاطعات أخرى مختلفة. وهنا يبرز أحمد بللو كزعيم سياسى، ليرمز إلى "الجبهة الموحدة" فى الشمال، والتى كانت مكونة من العناصر الرئيسية ومن كبار السن أيضًا. ويظهر زعماء المعارضة فى الشمال، فى معظم الأحيان، على هيئة "مشكلة فريدة" يتحدث عنها كل أفراد المعارضة، وتظهر المعارضة أيضًا على شكل عدم الاتفاق المتمثل فى الخلافات العرقية، والدينية، أو الأيدولوجية. ويبرز أمين كانو كواحد من زعماء المعارضة بسبب "زعامته بالقدوة" (أى أن الناس كانوا يعتقدون أن أمين كانوا كان "يحيا حياة سوية مستقيمة")، وبسبب هجومه الشديد على المؤسسة الشمالية المركزية – أو بالأحرى البنية الإماراتية – دون أن يخرج الرجل على كثير من المعايير المجتمعية الدينية والثقافية الأخرى.

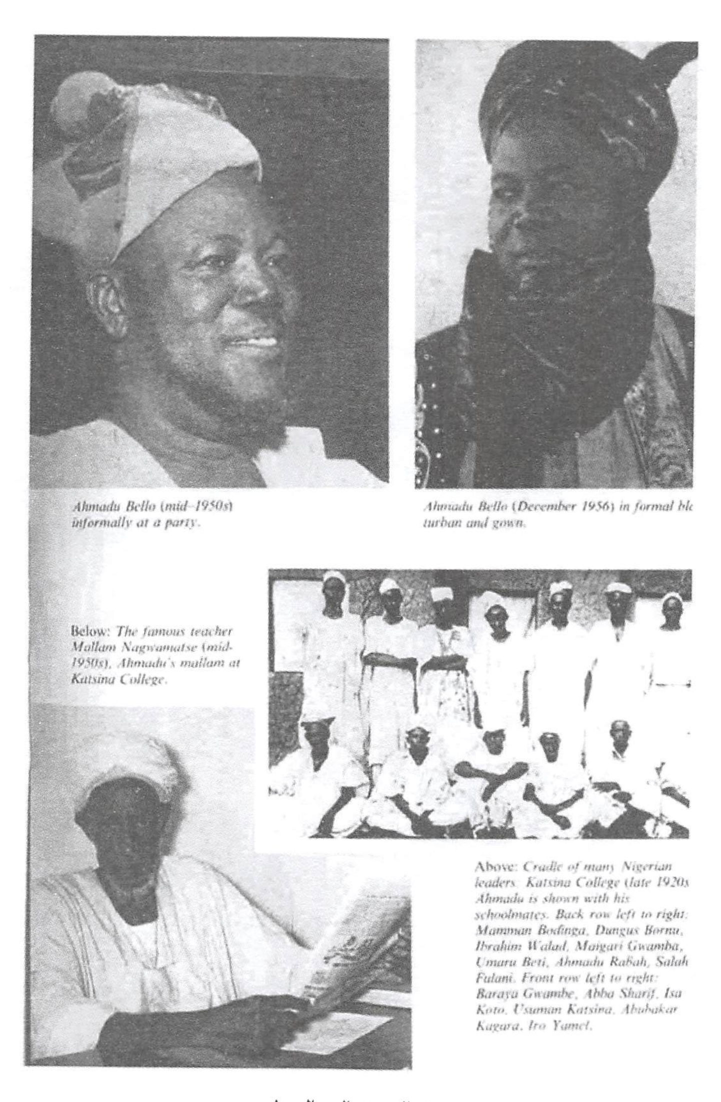
فى تلك الفترة يبرز أحمد بللو كزعيم للحزب ورئيس لوزراء الإقليم الشمالى. وهذان منصبان تتزايد سلطاتهما، ولكن تلك السلطات كانت ما تزال داخل الإطار الاستعمارى. وسلوك هذا الرجل خلال هذه الفترة يتميز بالبساطة، ويعكس "القيم" التى تبجلها "الثقافة الشمالية".

---

(١) استخدم الشيخ شاجارى هذا المصطلح لوصف العملية وذلك فى اليوم السادس والعشرين من شهر ديسمبر من عام ١٩٨٣.

الفصل السادس

الزعامة التقليدية: روابط الماضى



من اليمين إلى اليسار

أحمد بللو (ديسمبر ١٩٥٦) يلبس عمامة سوداء.

أحمد بللو (منتصف الخمسينيات) فى إحدى الحفلات.

أحمد بللو مع رفاقه فى كلية كاتسنا.

المدرس الشهير نجوامتسى (منتصف الخمسينيات) أستاذ أحمد بللو فى كلية كاتسنا.



من اليمين إلى اليسار

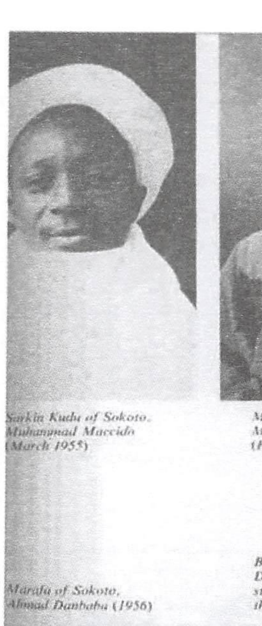
أمير جواندو، هارون (أغسطس ١٩٥٨).

سلطان سكتو أبو بكر الثالث (منتصف السبعينيات).

وزيرى السُكنى، جنيد (مارس ١٩٥٥) حلقة مهمة بين السلطان والمستشار السياسى الرئيسى.

أمير أرجونجو محمد ميرا.

مدخل مقر السلطان.







Sarkin Kudu of Sokoto, Muhammad Maccido (March 1955)

Makama of Sokoto, Muhammad Sani Dingyadi (February 1955)

Madaki of Sokoto, Abubakar (March 1955)

Marafa of Sokoto, Ahmad Danbaba (1956)

Barade of Sokoto, Ibrahim Dasuki (March 1955). He stood by the Sardauna in the crisis of 1943.

Aliyu, Magajin Gari Sok







من اليمين إلى اليسار

رئيس شرطة سكتو، أبو بكر (مارس ١٩٥٥).

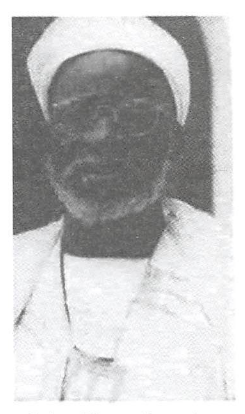
محمد سانى دنجيادى (فبراير ١٩٥٥).

محمد مارسيدو (مارس ١٩٥٥).

على مجاجن جرى (سكتو).

إبراهيم دسوقى (مارس ١٩٥٥).

أحمد دنبابا (١٩٥٦).



Shehu of Borno, Umar al Amin (March 1955)



Emir of Kano, Abdullahi Bayero (June 1953)



Emir of Kano, Muhammadu Sanusi (March 1955), Sardauna's close friend until the conflict – 1963.

Galadima of Kano (later Emir) Muhammad Inuwa (March 1955)



Ado Bayero Emir of Kano



من اليمين إلى اليسار

محمد السنوسى، أمير كنو (مارس ١٩٥٥).

أمير كنو، عبد الله بايرو (يونيو ١٩٥٣).

عمر الأمين شيخ برنو (مارس ١٩٥٥).

آدو بايرو، أمير كنو.

محمد إينوا (مارس ١٩٥٥).



Emir of Bauchi, Adamu Jumba (March 1955)



Emir of Ilorin, Sulu Gambari (July 1959)

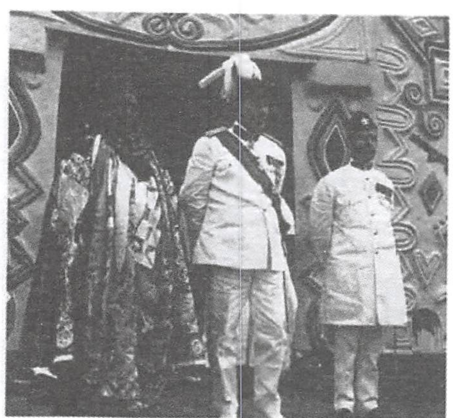


Lamido of Adamawa, Aliyu Mustafa (November 1957)

Etsu Nupe, Muhammadu Ndayko (March 1955)



Emir of Zaria, Muhammad, Aminu, a staunch ally of the Sardauna, with the Governor General, Sir James Robertson (August 1960).



من اليمين إلى اليسار

على مصطفى (نوفمبر ١٩٥٧).

سولو جمبارى، أمير هورن (يوليو ١٩٥٩).

آدم جمبو، أمير باوتشى (مارس ١٩٥٥).

أمير زاريا، محمد أمين، حليف مخلص لأحمد بللو، مع الحاكم العام السير جيمس روبرتسون (أغسطس ١٩٦٠).

محمد نادياكو (مارس ١٩٥٥)



The Sardauna greets the Tor Tiv, Gondo Aluor with the Northern Region Governor, Sir Gawain Bell, looking on (late 1950s).



Och' Idoma, Abrahan Ukpabi (March 1955)

Aku Uka of Wukari, Adi Byewi (March 1955)



Atta of Igala, Aliyu Obaje (March 1955)



Chief of Birom (Jos), Rwang Pam (March 1955)



من اليمين إلى اليسار

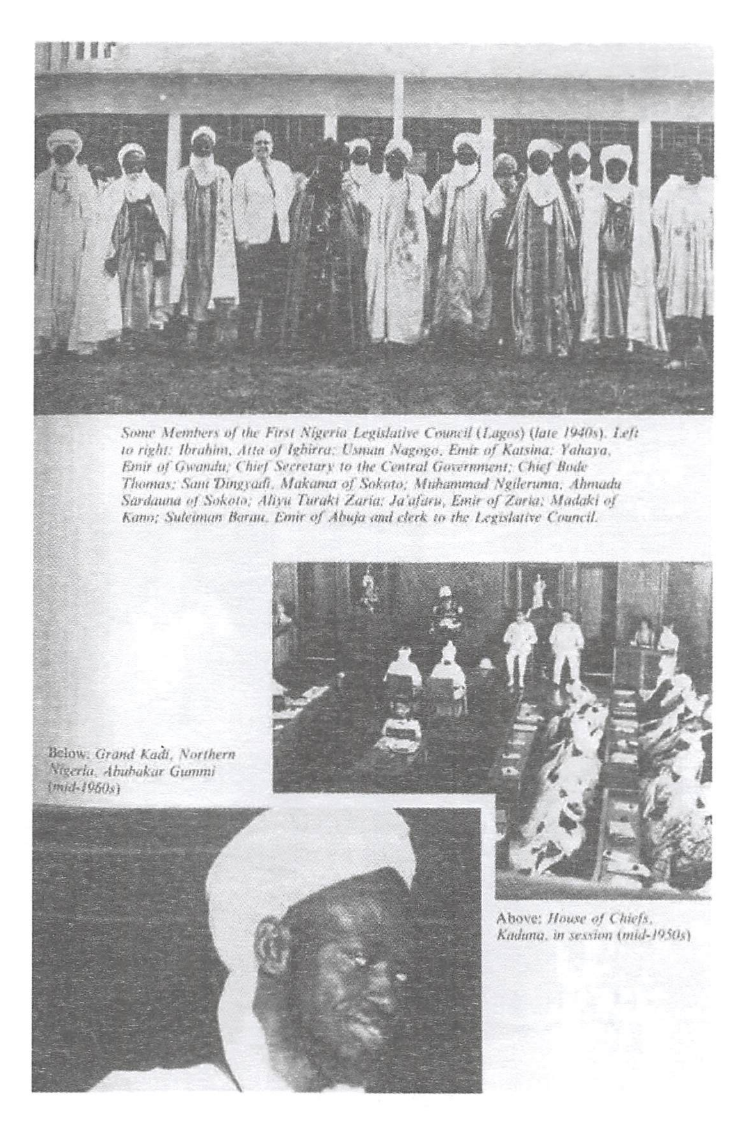
أوش عبدوما، إبراهيم أوكبابى (مارس ١٩٥٥).

أحمد بللو يحيى التورتيف، جوندو ألور مع حاكم شمال نيجيريا، السير جاوين بل (أواخر الخمسينيات).

رئيس بيرون (جوس) روانج بام (مارس ١٩٥٥).

عطا الإيجالى، على أوباجى (مارس ١٩٥٥).

آلو أوكاوكارى (مارس ١٩٥٥).



Some Members of the First Nigeria Legislative Council (Lagos) (late 1940s). Left to right: Ibrahim, Atta of Igbirra; Usman Nagogo, Emir of Katsina; Yahaya, Emir of Gwandu; Chief Secretary to the Central Government; Chief Bode Thomas; Sani Dingyadi, Makama of Sokoto; Muhammad Ngileruma, Ahmadu Sardauna of Sokoto; Aliyu Turaki Zaria; Ja'afaru, Emir of Zaria; Madaki of Kano; Suleiman Barau, Emir of Abuja and clerk to the Legislative Council.

Below: *Grand Kadi, Northern Nigeria, Abubakar Gummi (mid-1960s)*

Above: *House of Chiefs, Kaduna, in session (mid-1950s)*

من اليمين إلى اليسار

بعض أعضاء المجلس التشريعى النيجيرى الأول (ليجوس) (أواخر الأربعينيات).

مجلس الرؤساء، كادونا أثناء الانعقاد (منتصف الخمسينيات)

أبو بكر جومى، قاضى قضاة شمال نيجيريا (منتصف الستينيات).

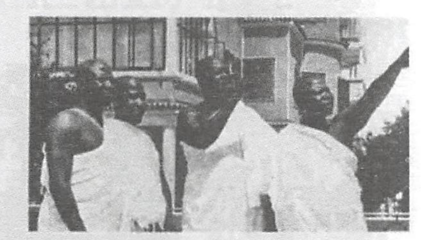




Ahmadu Bello, in Saudi Arabian headgear (December 1956)

Ahmadu Bello with Saudi Arabian Ambassador.

Right: *Pilgrimage (Mecca, 1963): Ahmadu Fatika, Waziri Ibrahim, Ahmadu Bello, Abubakar Dagwa.*



Below: *Official mission to Sudan and Saudi Arabia (1958). Left to right: Ado Sanusi, Abubakar Gummi, Dauda Adegbenro, Muhammadu Sanusi, Muhammad Ngileruma, Ahmadu Bello (chairman).*



من اليمين إلى اليسار

أحمد بللو بصحبة السفير السعودى

أحمد بللو يرتدى العقال السعودى.

الحج (مكة ١٩٦٣) أحمد فاتيكا، وزيرى إبراهيم، أحمد بللو، أبو بكر دجوا.

البعثة الرسمية إلى السودان والمملكة العربية السعودية (١٩٥٨).

١ـ آراء فى الزعامة التقليدية:

تعد فكرة "الحكام التقليديين"(١) خلال الفترة من ١٩٤٠ – ١٩٦٠، مُنْتَجًا من مُنْتَجَات الحقبة الاستعمارية، التى عمل الحكم غير المباشر خلالها على تقوية وتأصيل أشكال القيادة والسلطة السابقة. خلال الحقبة الاستعمارية كان الأمراء والرؤساء بمثابة الناطقين الرسميين بلسان شعوب شمالى نيجيريا. ومع اقتراب الاستقلال، جرى إنشاء مجلس الرؤساء أولا فى كادونا، ثم أضيفت إليه بعد ذلك الجمعية العمومية. وطوال خمسينيات القرن العشرين، نجد أن مجلس الرؤساء فى كادونا، يلعب من نواحى كثيرة، دورا تعاونيا متكافئا فى اتخاذ القرارات المهمة. يضاف إلى ذلك أن نسبة تداخل الشخصيات التقليدية فى الجمعية العمومية كانت كبيرة(٢).

---

(١) على امتداد الكتاب كله استعملت مصطلح "الزعماء التقليديين" بدلا من مصطلح "الحكام التقليديين" إحساسا منى بأن مصطلح "الزعماء التقليديين" هو الأدق.

(٢) راجع على سبيل المثال أعضاء المجلس المشترك فى عام ١٩٥٢، الذى اختار أعضاء مجلس الممثلين الفيدرالى.

الجمعية العمومية		مجلس الرؤساء	
أدماوا	بنيو	أدماوا	زاريا
محمد أحمد	السيد. أى. جى. جندو	لاميدو الأدماوى	أمير زاريا
م. محمد ريبادو	السيد بو غ أجارا	بنيو	بوتشى
إيلورين	السيد بى. أكيجا	أمير كفىّ	أمير بوتشى
م يحى ايلورين	ميكوندو إجبون	أمير النصارى	أمير جومبى
برنو	كنو	رئيس الوكارى	أمير كاتاجوم
آبا حبيب	م. بللو كانو	رئيس تيف	أمير ميساو
محمد ابراهيم إمام	م. ابراهيم	إيلورين	أمير الجماعة
شتيما كاشيم	م. محمد	أمير ايلورين	كنو
م. محمد	سيروما كانو	إتسو باتيجى	أمير كنو

كان الرؤساء chiefs (بمن فيهم الأمراء) واقعا سياسيا من وقائع الحياة فى خمسينيات القرن العشرين طوال فترة انحسار الاستعمار. كان الرؤساء بمثابة أهم الشخصيات القوية على ساحة الشمال السياسية. وفى بعض الأحوال، كما فى قسم التيف Tiv، جرى ايجاد هؤلاء الرؤساء خلال فترة الاستعمار، ولكن هؤلاء الرؤساء اكتسبوا من خلال هذه العملية سلطات تشريعية وسلطات تنفيذية فضلا عن بعض السلطات الرمزية أيضا.

= كبًا
الحاج عبد الملك
بى. إس. أشيموجو

كاتسنا
م. عبد المؤمن
م. عيسى كيتا
م. محمد بشار
م. محمد
الحاج عثمان
النيجر
م. على
م. عودو أناس
بوتشى
م. أبو بكر تافلوا بالنيوا
م. باوا بلكاشوا
م. جورو جومب

م. سامبو
أمير شانو
م. وادا كانو

الهضبة
السيد داود لوت
م. ميخائيل بوبا
سكتو
أحمد بللو
م. إبراهيم
م. جنيد وزير
م. محمد
م. سول عيسى
زاريا
م. أ. إمام
م. سنوسى
أعضاء خصوصيون
إس. أو. جيمس

أمير بوسًا
كنًا
عطا الإيجالى
عطا الإجبيرى
رئيس كوتون
كاريفى
برنو
شيخ برنو
شيخ دكوا
أمير فيكا
أمير بيو
أمير بيدى
النيجر
إتسو نوبى
أمير كونتا جورا
أمير أبوجا

أمير مطيجا
أمير كازورى
أمير جومل
كاتسنا
أمير كاتسنا
أمير دورا
سكتو
سلطان سكتو
أمير جواندو
أمير أرجونجو
أمير ياورى
الهضبة
أمير الجماعة
رئيس كانام
رئيس وامبا
رئيس واس

بانتهاء خمسينيات القرن العشرين، كان مجلس الرؤساء قد توسع ليصل إجمالى عدد أعضائه إلى ثمانية وسبعين عضوا[١]. كان فى داخل هذه الجماعة برتوكول صارم خاص بالمكانة (والراتب) بين رؤساء الدرجة الأولى، ورؤساء الدرجة الثانية، ورؤساء الدرجة الثالثة. وقد وصلت مشاركة هؤلاء الرؤساء إلى الشئون الإقليمية حتى على مستوى الرئاسات الصغيرة، الأمر الذى يجعل من هؤلاء الرؤساء وسيلة لتدعيم "الجبهة الموحدة" فى الشمال، على الرغم من أن الرؤساء، بحكم كونهم رؤساء، لا يجوز إشراكهم فى سياسة الحزب.

مع ذلك، لم تكن فكرة "الحكام التقليديين"، حتى فى خمسينيات القرن العشرين، منظومة منفردة، وإنما كانت مجموعة تضم ما لا يقل عن مائة منظومة، كل منظومة منها لها قواعدها الخاصة بها، بما فى ذلك الولاية، والشرعية، والسلطات والبيروقراطيات[*]؛ ومن بين الأمور التى تشيع بين الرؤساء ارتباطهم

---

(١) فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٩ كان الرؤساء "الجدد" يشتملون على ما يلى: (جريدة المواطن النيجيرى)، بتاريخ ٢٢ أغسطس من عام ١٩٥٩. ص ١ "١٥ عضوا إضافيا معينين من مجلس رؤساء الشمال".

جرى تعيين الرؤساء الأربعة عشرة أعضاء فى مجلس رؤساء الشمال بناء على إعلان من مكتب رئيس الوزراء، فى كادونا وذلك فى يوم الخميس. وبذلك يرتفع عدد أعضاء المجلس من ٦٣ عضوا إلى ٧٨ عضوا، طبقا لما تم الاتفاق عليه فى الدستور الجديد.

مقاطعة أدماوا: م. بايابو، رئيس مبولا. و م. يورا، رئيس لور جوطا

مقاطعة بوتشى: م. مالبكا، رئيس داس، م. عبد الله، رئيس تتجى، م. إلياس، رئيس غرب تانجيل – واجا

مقاطعة بنيو: م. عودى، رئيس تاكوم

مقاطعة برنو: م. أدامَ، رئيس شانى

مقاطعة إيلورين: م. الحسَّن، رئيس شونجا

مقاطعة كبَّا: السيد يعقوب أونيبى، رئيس إجيمو، والسيد مارك دادا، رئيس غرب ياجبا. م. إدريس، رئيس إجَّان

مقاطعة النيجر: م. أبو بكر أجوى، رئيس وشيشى، م. محمد أبوكن المعلم، رئيس تيجينا

مقاطعة زاريا: م. جبريل، رئيس مدينه جوارى، م. إشايا آندرو، رئيس جابا.

(*) المقصود بالبيروقراطيات هنا هو "تحكم موظفى الدولة وتزمتهم" (المترجم).

بالماضى، حتى وإن تغيرت أو تحورت الأشكال المؤسسية فى القرن العشرين. هؤلاء "الحكام التقليديين" يعدون، من خلال العائلات أو السلالة النسبية، أو حتى من خلال الاستمرارية المدنية، رموزا للماضى التاريخى للشعوب التى يمثلونها، سواء أكان ذلك الماضى حلوا أم مرا. هذه الحقيقة الراسخة لها، عند أحمد بللو، الأهمية نفسها، التى للحقائق السياسية الأخرى التى يتعين على الرجل مراعاتها فى تعامله مع الأمراء والرؤساء. منظور أحمد بللو هذا إلى الزعامة التقليدية هو الذى سيسمح له بالتعامل مع الزعماء التقليديين من المسلمين أو غير المسلمين على الرغم من معرفته الطيبة والجيدة للمنظومات الإسلامية. هذا يعنى أن أحمد بللو سوف ينظر إلى الزعماء التقليديين، نظرة رمزية باعتبار هؤلاء الزعماء مستودعات ورعاة للقيم الثقافية أو القيم الدينية والمعتقدات التى غزت واستحوذت على التأثير الغربى. تغيير هذه المنظومات وتعديلها وتحويرها يعد جانبا من جوانب هذه الدراسة.

عندما غير البريطانيون سياسة الحكم غير المباشر، بعد الحرب العالمية الثانية، إلى سياسة تقوم على تشجيع إرساء الديمقراطية، كانت الفترة الزمنية المتاحة لذلك التغيير قصيرة على نحو يصعب معه إعادة توجيه المنظومة بكاملها نحو كل متكامل، وترتب على ذلك وجود فترة من المنظومات المزدوجة – (التى أطلق عليها المنظومات "الحديثة" والمنظومات "التقليدية") – التى بقيت جنبا إلى جنب على امتداد سنوات عدة. تعايش تلك المنظومات مع بعضها البعض، دون أن يسفر ذلك عن تمزيق نسيج المجتمع، أمر غير عادى أثناء عملية انحسار الاستعمار، وقد يكون ذلك راجعا، إلى حد ما، إلى "المحافظين التقدميين" الذين برزوا وراحوا يركزون على قيمة التواصل التاريخى فى وقت كان التغيير الاجتماعى فيه سريع الخطى. ربما كان البريطانيون، من واقع منظورهم الخاص وخبرتهم فيما يتصل بمجلس اللوردات، يحبذون، وبلا أدنى شك التطوير التدريجى لمسألة الزعماء التقليديين، ولكن من منطلق الفرضية التى مفادها أن المنظومة "الحديثة" الأكبر مجالا قادرة على استيعاب التوترات التى يمكن أن ينطوى عليها التغيير الذى يكون من هذا القبيل. وجرى التعجيل بتحقيق بعض الإصلاحات. ومع ذلك، كانت العملية السياسية الشمالية وحدها هى التى تحدد خطى وإيقاع وأولويات ذلك التغيير.

ونحن إذا ما استعدنا تطور الأحداث الماضية نجد أن الخيارات الثلاثة المتصلة بدور الزعماء التقليديين كانت على النحو التالى:

١) إلغاء مهامهم القيادية السياسية.

٢) إصلاح الأدوار المنوطة بأولئك الزعماء.

٣) المحافظة على سلطاتهم الراهنة والإبقاء عليها.

ومعروف أن الزعماء السياسيين (والحزبيين) تختلف مواقفهم من هذه المشكلة. وبشكل عام (كما سبق أن قلنا فى الفصل الخامس)، فإن إبراهيم كانو (من حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال)، وإبراهيم إمام (من حركة شباب برنو) كانا من المؤيدين للخيار الأول فيما يتعلق بالإلغاء. فى حين كان أحمد بللو ومعه عدد لا بأس به من أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، يحبذون الخيار الثانى. يضاف إلى ذلك أن السواد الأعظم من الأمراء والرؤساء، ومعهم عدد معقول من أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كانوا يحبذون الخيار الثالث. كل خيار من هذه الخيارات له أسبابه المنطقية المتباينة، والتى تبدأ من اعتبارات الحقائق السياسية وتنتهى بالأفكار الفلسفية المتعلقة بطبيعة الحكم التقليدى أو الحكم الاستعمارى.

وعلى العكس من استعارة "اللعب" التى اصطبغت بها بعض الآراء الخاصة بالمنظومة السياسية التى جرى استيرادها من وستمنستر Westminster، نجد أن أهل الشمال لا ينظرون إلى "السياسة التقليدية" باعتبارها لعبة، وإنما هى جزء من نسيج ثقافتهم (وربما دينهم) ومن ثم فهى شديدة الواقعية عندهم. تناول هذا الواقع انطوى على كثير من الإستراتيجيات وكثير من القيم الثقافية السياسية التقليدية، ولكن من داخل إجراءات وسلطات وزارية إقليمية. ونحن إذا ما تتبعنا التفاعلات البينية بين هاتين المنظومتين نجد أنها مسألة شاقة وبالغة التعقيد، بل يمكن استكشافها من خلال بعض الحالات المهمة أو من خلال أمثله على نقاط محددة.

ولنبدأ بالفكرة التى تنظر إلى الزعامة التقليدية باعتبارها جزءا من مركب معقد مكون من منظومات فرعية كثيرة ومتعددة. النظام الهرمى الرسمى لأصحاب المناصب فى المنظومات التقليدية، وكذلك إجراءات الولاية والأسباب المؤيدة لها يشكلان خلفية مهمة فى التفاعلات بين الأطراف والشخصيات التى يمكن أن تغير "القواعد" طبقا لمتطلبات المواقف المختلفة. ومن وجهه نظر حقبة تاريخية لاحقة (تواصل خلالها انتشار "الألقاب التقليدية"، فى الوقت الذى تناقصت فيه بالفعل سلطات تلك الألقاب) يجب، بل ومن المهم أيضا التمييز بين الألقاب التى تكون شرفية أو بالأحرى غير وراثية (التى من قبيل "المدافع عن الحاكم") عن تلك الألقاب التى تعد ألقابا وظيفية بمعنى الكلمة (التى من قبيل، وزير الأعمال الأشغال، أو وزير الحرب)، وعن تلك الألقاب التى تتصل اتصالا وثيقا وواضحا بمبادئ التمثيل الخاصة بالعشائر أو السلالات النسبية، والتى يرجَّحُ أن تكون وراثية، داخل العائلات أو بينها. يضاف إلى ذلك أن كثيرا من الألقاب المهمة التى من قبيل "وزيرى" waziri، يمكن أن تدل فى إطار سياقات بعينها، على الزعامة الشرفية، أو الزعامة العملية أو حتى الزعامة الوراثية. من هنا، فإن كل إمارة من الإمارات أو رئاسة من الرئاسات تحمل العلامة المميزة لخبرتها وتجربتها التاريخية الخاصة بها[١]. يضاف إلى ذلك أنه ليس هناك أسلوب عام أو مشترك لاختيار المجالس التى تقوم على أمر اختيار أولئك الذين يمكن أن يتولوا مثل هذه الزعامة.

المنحى الثانى فى تعرف مغزى الألقاب التقليدية وأصحاب المناصب يتمثل، وبشكل تقريبى، فى محاولة تصنيف الألقاب التقليدية العامة عن طريق إيجاد شكل من أشكال العلاقة الراهنة مع الزعامة الرئيسية داخل هذه المنظومة. وأنا فيما يلى سوف أحاول إيراد تصنيف تقريبى للألقاب العامة مع بعض الأمثلة لحاملى تلك الألقاب، (خلال فترة زمنية مناسبة). والجدول رقم (٨) يوضح حاملى هذه الألقاب من المنظومة الإسلامية ومن المنظومات الفرعية الأخرى.

---

(١) للمزيد عن تفسيرات حوالى خمسين لقبا رئيسيا من الألقاب السائدة فى إمارة كنو، راجع كتاب جون إن بارن، المعنون "الدين والثقافة السياسية فى كنو"، بركلى، مطابع جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٣.

الجدول رقم (٨): الفئات التقريبية للألقاب التقليدية فى المنظومات الإسلامية الشمالية (مع بعض الأمثلة)

المهمة التقريبية	اللقب	المكان	أمثله لحاملى اللقب
١- الزعماء المركزيون	١- أمير المسلمين	سكتو	أبو بكر الثالث
	(المؤمنين)		
	(السلطان)		
	٢- شيخ (أوماى)	برنو	عمر
	٣- أمير	(الإمارات كلها)	(كثيرون)
	٤- إتسو	نوبى، آجاى، إلخ	عثمان الأمير
	٥- لاميدو	أدماوا	على مصطفى
٢- مستشارون	٦- وزيرى	سكتو، كنو... إلخ	جنيد، أبو بكر،
مقربون/ حماة	٧- ساردونا	سكتو	دوكاجى، عيسى كيتا
	٨- والى	كنو، ميورى، إلخ	أحمد بللو
	٩- يَرَاد	سكتو	سليمان، آبا كريم
	١٠- شتيما	برنو	إبراهيم دسوقى
	١١- زنًا	برنو	كاشيم إبراهيم
	١٢- مداكى	كنو، إيلورين،	بوكار ديشاريما
	(مدواكى)	سكتو.. إلخ	الشيخ أحمد، يحى
	١٣- مجاجن جارى	سكتو، كنو... إلخ	على، إينوا وادا
	١٤- مكاما	كنو، كتاجوم	على، بللو كانو
٣- أعضاء العائلات	١٥- سيروما	كنو، كتاجوم، إلخ	محمد سنوسى، محمد كبير
المقربون/ أولياء العهود	١٦- ويداى	دورا، كنو.. إلخ	بشار، أبو بكر
	١٧- جلاديما	كنو، ميوبى.. إلخ	دودا بلل
	١٨- دان إيا	كنو، زاريا، إلخ	آدو

٤- ألقاب فرعية/ ألقاب وظيفية	١٩- نافيدا	كاتسنا، بطا.. إلخ	موسى عيار عوده، ندلحى فاروق
	٢٠- دلاتو	زاريا، إلخ	إسماعيل أحمد
	٢١- مجاتا كاردا	سكتو، إلخ	معاذ لامبدو
	٢٢- تراكى	زاريا، إيلورين..إلخ	على، سانى أوكين
		سكتو، إلخ	الشيخ شاجارى
	٢٣- أمير فطا	زاريا، كنو	أحمد فاتيكا، سول جايا
	٢٤- دان مسانى	كنو	ميتاما سول
	٢٥- دان بورام	جادا	عبد الله
•	٢٦- أمير دواكى	كنو	بللو دنداجو
	ماى توتا Mai Tuta		
	٢٧- أمير شانو	كنو، سكتو.. إلخ	أبو بكر الحاج
	٢٨- أمير باكى	سكتو، إلخ	———
	٢٩- مرافا	سكتو، إلخ	أحمد
٥- زعماء السلالات النسبية أو أحياء بعينها	٣٠- أمير باى	كنو	مختار
	٣١- أمير دوتسى	كنو	ميكانودوتسى
	٣٢- أمير ماسكا	كاتسنا	الشيخ عثمان

فى إطار "الرئاسات" غير الإسلامية تتباين ألقاب كبار الزعماء مع تباين اللغة والثقافة، والشيء نفسه ينطبق أيضا على الزعماء الثانويين أو بالأحرى الزعماء الفرعيين، كما هو مبين فى الجدول (٩) أصبحت مسألة خلق "رئاسات" للمدن، أو بالأحرى إيجاد "مدن جديدة" بلا سلطات تقليدية ظاهرة تسودت فترة الخمسينيات من القرن العشرين الأمر الذى ترتب عليه خلق نوع من الصراع بين التجمعات الطائفية التى تشكل هذه المدن الجديدة. (وجوس Jos مثال على واحدة من تلك "الرئاسات" التى جرى تشكيلها. وكادونا واحدة من البلدان التى أثير فيها ذلك الخيار ولكنه لم يجر تنفيذه).

الجدول رقم (٩): ألقاب الزعماء الرئيسيين فى رئاسات شمالى نيجيريا

(غير المسلمين)(*) (مع بعض الأمثلة)

١- الزعماء الرئيسيون	١- تورتف	تف	جوندو ألور
	٢- أوهنوى (أوريجاتا)	أجبيرا	محمد سانى أومولورى
	٣- عطا	إجالا	على أوباجى
	٤- أوكلدوما	إيدوما	آبراهام أوكبابى
	٥- أكو أوكا	وكارى (جوكون)	عادى بيشيوى
	٦- أوسو	جبابى (جوارى)	
	(ليس زعيما رئيسيا)		————
	٧- "رئيس" أمير	وشيشى، كاجورو، جوس، إلخ	أبو بكر سنى، جولما أولم.
٢- زعماء ثانويون (كثيرون)			

وزارة الحكم المحلى بمثابة الذراع الرقابى للحكم المحلى فى تعامله مع الزعماء التقليديين والمنظومات السياسية على المستوى المحلى. وليس من قبيل المصادفة أن يختار أحمد بللو هذه الوزارة باعتبارها الوزارة "الرئيسية" فى خمسينيات القرن العشرين، وذلك قبل أن تحتم عليه مهام رئاسة الوزارة إسناد وزارة الحكم المحلى إلى أفراد موثوق بهم، ويتمتعون بشىء من الشرعية والخبرة داخل المنظومات التقليدية الرئيسية (وبخاصة كنو).

(*) ملاحظة: قد يكون الزعماء الرؤساء فى الرئاسات من المسلمين. ولكن الرئاسة كانت فى أساسها غير مسلمة.

٢ـ وزارة الحكم المحلى ومجلس الرؤساء:

استنادا إلى ما قاله أحمد بللو :

بعد جهد جهيد وبعد كثير من الشكوك أنشئت وزارة للحكم المحلى... فى شهر أبريل من عام (١٩٥٣). كانت فى بعض الأقاليم وزارات من هذا القبيل فى وقت من الأوقات، ولكن السير بريان Bryan لم يكن على يقين من أثر وفاعلية وزارة من هذا القبيل، على كبار الأمراء. على كل حال، فقد أخذوا هذه الوزارة فى نهاية المطاف على أنها هيئة مهمة من هيئات التنسيق. وقد أعطيت هذا المنصب، الذى احتفظت به إلى عام ١٩٥٧[١].

كانت المهمة الرئيسية من بين مهام وزارة الحكم المحلى تولى "الإشراف والتنسيق بين الحكومات المحلية (التى)... كانت من بين أهم المهام التى كلّف بها السكرتير المدنى Secretary Civil " كما كان من بين مهام هذه الوزارة تولى الإشراف والسيطرة المالية على الوحدات المحلية التى كانت تقوم بذلك الإشراف فى السابق من خلال وزارة المالية[٢]. هذا يعنى أن وزارة الحكم المحلى كانت بمثابة ضابط الاتصال بين مستويى الحكم الإقليمى والحكم المحلى. كانت الأنشطة الإدارية، والأنشطة التنموية فى مجملهما ما تزال مركزة فى المستويات المحلية. هذا يعنى أن الاثنى عشرة (بعد ذلك ثلاثة عشرة) مقاطعة كان قد جرى تقسيمها إلى أربعين "قسما" أو ما يقرب من ذلك؛ وكانت تلك الأقسام بدورها مكونة من "سلطات محلية".

(١) أحمد بللو، " سيرتى الذاتية " المرجع السابق ص ٩٤ – ٥.

(٢) المرجع السابق، ص.

يكتب أحمد بللو عن هذا الأمر فيقول:

> **كانت السلطات المحلية هى التى تقوم بتمهيد القسم الأكبر من الطرق؛ كما كانت هى التى تقوم أيضا بإنشاء المدارس الأولية كلها... كما كانت تنشئ أيضا الصيدليات والأسواق، بل ومعظم الأشياء التى تمس حياة الفرد بصورة مباشرة. كانت السلطات المحلية... مسئولة عن الأمن والسلامة فى مناطقها... هذه السلطات المحلية، من حيث مهامها، لا تختلف عن مجلس المقاطعة البريطانى، مضاف إليه بعض المهام الإضافية: التى منها تعيين القضاة فى تلك السلطات المحلية؛ كانت تلك السلطات تعين القضاة لمختلف المحاكم ومن مختلف الدرجات، وتمنحهم كل السلطات والصلاحيات؛ كما كانت تلك السلطات المحلية تشرف على أعمال المحاكم. هذا يعنى أيضا أن تلك السلطات المحلية ترتكز على أسباب تاريخية كما أن مناطق هذه السلطات المحلية لها أيضا حدود تاريخية. وهذا هو السبب وراء تباين تلك السلطات المحلية تباينا كبيرا من حيث الحجم والسكان – وهذه هى كنو التى يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين نسمة، وتلك هى سلطة بيد Bede المحلية التى فيها حوالى أربعين ألف نسمة – وهذا أيضا هو السبب وراء تباين هذه الأشكال المحرجة.. وأى تدخل فى هذه الحدود يمكن أن يكون أمرا مستحيلا ولا يطاق مطلقا[1].**

بحلول خمسينيات القرن العشرين، كانت هناك مجالس لعدد كبير من تلك السلطات المحلية (منتخبة كليا أو جزئيا)، وكانت تلك المجالس بمثابة هيئات استشارية للزعامة التقليدية. كان الحكم الإقليمى يخصص إعانات حكومية

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٧

للحكومات المحلية فى معظم المجالات، وكانت هناك بعض الجهود المبذولة من أجل التنسيق بين الإدارات الإقليمية والوزراء المسئولين عن مهام بعينها، والنظراء المحليين. يقول أحمد بللو فى هذا الصدد:

الإدارات كلها تعمل فى تنسيق منسجم مع الوزارات الإقليمية المساوية لها: هذا لا يعنى أن هذه الإدارات تشكل جزءا من الوزارة، ولكنها تحصل على التوجيهات والنصائح من الوزراء، وتخضع هذه الإدارات أيضا للتفتيش من جانب الهيئة التابعة للوزير. هذا يعنى أن هذه الإدارات تنفق أموالها فى الاتجاهات التى تحددها السلطة المحلية، وذلك بالاتفاق مع الحكومة الإقليمية. هذا يعنى أيضا أن تلك السلطات المحلية يتحتم عليها كل عام موازنة حساباتها فى الجانب الصحيح، ولكنها هى التى تحدد ذلك الذى تود تنميته وتطويره[1]... هذا يدل على أن السلطات المحلية هى التى تصرف أمورها بطريقتها الخاصة قدر المستطاع. يفهم من هذا أيضا أن الحكومة الإقليمية تتحاشى التدخل الذى لا لزوم له، فى تصرفات تلك السلطات المحلية، ومع ذلك تحتم الحكومة الإقليمية على تلك السلطات المحلية أن يكون العاملون فيها على المستوى المطلوب، هذا يعنى أن يكون التنظيم وهيئة العاملين فى تلك السلطات المحلية على المستوى الذى ترتضيه الوزارة الإقليمية المسئولة عن الموضوع نفسه[2]. نحن نقدم مبالغ كبيرة للإدارات المحلية على شكل منح، وبخاصة فيما يتعلق بالتربية والتعليم، والصحة، والشرطة، ومن الطبيعى أن تكون هناك دوما مستويات طيبة من الأداء[3].

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩

وزارة الحكم المحلى ليست مجرد وظيفة اتصالية ورقابية، وإنما هي أيضا بمثابة "بوابة" أو منفذ رئيسى للجاليات والسلطات التقليدية فى الشمال، الذى لا يشتمل على السلطات المحلية وحدها وإنما يشتمل أيضا على السياسة الخاصة بالسكان الريفيين بدءا من مستوى الإمارة إلى مستوى القرية. وزارة الحكم المحلى تعد أيضا وسيلة من وسائل تسهيل السلطات من المستوى المحلى إلى المستوى الإقليمى (والمستوى الإدارى) دون استعداء الزعماء التقليديين إلى الحد الذى يمكن أن يهدد انسجام الشمال وتناغمه.

والمستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) عندما يستقيل من وزارة الحكم المحلى فإن أول من يخلفه هو عبد الله ميكانو دوتسى. ووالد عبد الله، أو بالأحرى الأمير دوتسى Dutse (من إمارة كنو) كان من عادته أن يتصرف باعتباره الشيخ أحمد رئيس الخيالة، وكان مرتبطا ارتباطا وثيقا ببنية إمارة كنو على الرغم من أنه ليس من الأسرة المالكة. كان عبد الله هذا، قد أنهى كلية كاتسنا، أو بالأحرى كان قد تخرج من كلية كاتسنا، ثم بدأ عمله فى الإدارة المحلية فى كنو، فى وظيفة كاتب فى المكتب الرئيسى، ثم مساعدًا لكبير الكتبة، ثم مشرفا فى المستشفى، ثم كبير كتبة فى الحكم المحلى، ثم انتقل بعد ذلك إلى قسم الغابات فى الإدارة المحلية[١].

آلت وزارة الحكم المحلى بعد ذلك إلى ومبان دورا wamban Daura (بشّار) وهو من أفراد الأسرة المالكة فى دورا[٢]. ومبان واحد من أولئك الذين تعلموا تعليما غربيا، والرجل مفعم بالحماس، وهو من المقربين إلى رئيس الوزراء، الذى كان ينظر إليه كما لو كان "ولدًا" من أبنائه.

---

(١) ولد ميكانو دوتسى فى عام ١٩١٥ وقد جرى اختياره لمجلس الممثلين من دائرة دوتسى الانتخابية. واستقال الرجل من منصبه الوزارى فى شهر أغسطس من عام ١٩٦٠، ليخلف والده المرحوم أمير دوتسى. كان ميكانو دوتسى وزيرا للحكم المحلى اعتبارا من عام ١٩٥٧ إلى أغسطس من عام ١٩٦٠. قبل ذلك التاريخ كان الرجل يعمل سكرتيرا برلمانيا للمستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو). وخطاب استقالته الموجه إلى رئيس الوزراء يعكس رغبته الحقيقية فى السير على خطى والده ويصبح زعيما تقليديا.

(٢) محمد بشار (الذى كان أميرا لدورا فيما بعد) من مواليد عام ١٩٢٦، وهو حفيد من أحفاد أمير دورا. وقد وصل الرجل فى تعليمه إلى المستوى السادس المتوسط فى كلية كادونا. كان والد محمد بشار (بنتوراوا Bunturawa) رئيسا لحى من الأحياء. ثم عين بشار كاتبا فى الإدارة المحلية، ثم كبيرا للكتبة، ثم رئيسا لحى ساندامو، ثم بعد ذلك رئيسا لحى باورى Baure (راجع الفصل العاشر حيث المزيد من التفاصيل عن حياة هذا الرجل العملية).

كان سول جايا السكرتير البرلماني (أو بالأحرى الوزير المتوسط) في عام ١٩٥٧. هذا الرجل هــو الذي حل محل الوزير في عام ١٩٦٠ (أثناء انشغاله باستفتاء الكاميرون) ثم تولى الوزارة في عام ١٩٦١. وسول جايا (راجع الفصل الخامس) وهو ولد رئيس قرية جايا القوى (في إمارة كنو) والرجل على دراية أيضا بالمنظومة التقليدية.

واستنادًا إلى ما قاله أمين السنوسي[١] فإن وزير الحكم المحلي كان له دور رئيسي في عملية التواصل والتفاهم. كانت مهمة الوزير تشتمل أيضا على إبلاغ المستشار السياسي الرئيسي Sardauna بذلك الذي يدور بين الأمراء والمجالس، أو ذلك الذي يدور على مستوى الأفرع الأقل من ذلك. يضاف إلى ذلك، أن كل من كانوا يشغلون هذه الوظيفة كانوا يتصرفون بشكل مباشر باعتبارهم نوابا عن المستشار السياسي الرئيسي. وقد طالب المستشار السياسي الرئيسي بأن يكون شاغلو هذا المنصب تابعين للحكم المحلي. في بعض الأحيان قد لا يكون الأمراء على وفاق مع رؤساء الأحياء، أو قد تنعدم الثقة بين وزير وأمير من الأمراء. وهنا يتعين إبلاغ المستشار السياسي الرئيسي بذلك، ويحاول الموازنة بين هذه القوى.

على الرغم من أن رئيس الوزراء يأتي لإسناد المهام إلى وزارة الحكم المحلي، إلا أنه يحتفظ لنفسه بالسيطرة المباشرة على مجلس الرؤساء، الذي هو الهيئة الرئيسية التي لها القدرة على تأديب (أو مكافأة) الزعماء التقليديين. وقد انبثق مجلس الرؤساء عن مؤتمر لندن الذي انعقد في عام ١٩٥٧؛ ومجلس الرؤساء هيئة دائمة، فيها عدد قليل من الأعضاء الدائمين (باستثناء رئيس الوزراء والرؤساء الآخرين الذين هم أعضاء في المجلس التنفيذي). ومجلس الرؤساء مهمته تعيين الرؤساء أو تأديبهم أو ترفيعهم. واجتماعات هذا المجلس تكون في ضوء الحاجة إلى مثل هذه الأمور. (وعلى سبيل المثال، إذا ما توفي رئيس من الرؤساء، أو عندما تصدر توصية بعزله، ينعقد المجلس) ورئيس الوزراء هو الذي يرأس دوما

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٥ سبتمبر، من عام ١٩٨٣، كادونا.

الاجتماعات التى من هذا القبيل. "وأعضاء المجلس غير الدائمين" يكونون من المناطق الإدارية المعنية، إضافة إلى المناطق الإدارية المحيطة بتلك المناطق. (وعلى سبيل المثال، إذا توفى أمير كاتسنا، فإن أمراء كل من زاريا، وكنو، وسكتو، يمكن أن يشاركوا فى مراسيم هذه الوفاة. وإذا ما حدثت هذه الوفاة فى باوتشى فإن رؤساء كل من باوتشى، وبرنو، والهضبة يمكن أن يشاركوا فى مراسيم الوفاة. ومن هنا نجد أن مكونات المجلس الثلاثة هى:

١) رئيس الوزراء.

٢) رؤساء المجلس التنفيذى.

٣) الأعضاء المتعاونون أو غير الدائمين.

(ملاحظة: كان الرؤساء فى المجلس التنفيذى يتغيرون بين الحين والآخر).

المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو رئيس المجلس التنفيذى وتربطه بالمجلس علاقات متباينة:

١) المستشار السياسى الرئيسى، بحكم كونه أميرا، ومن ثم فهو يود الحفاظ على هذه المؤسسة وحمايتها، ويحاول رفع شأن الرؤساء عن طريق التشاور معهم فى الأمور كلها.

٢) المستشار السياسى الرئيسى، يمثل القوة السياسية البازغة، وبالتالى فهو يحمى الرؤساء، ولكنه ينتظر من هؤلاء الرؤساء أن يساعدوه ويدعموه سياسيا.

وإذا لم يؤيده أو يدعمه أى أحد من هؤلاء الرؤساء (بشكل عام) أو إذا ما تجاهل أى منهم أى أحد من الوزراء، فإن المستشار السياسى الرئيسى يمكن أن يعبر عن غضبه واستيائه بصور شتى، بما فى ذلك سلطاته التأديبية المخولة له من قبل الحكومة الإقليمية.

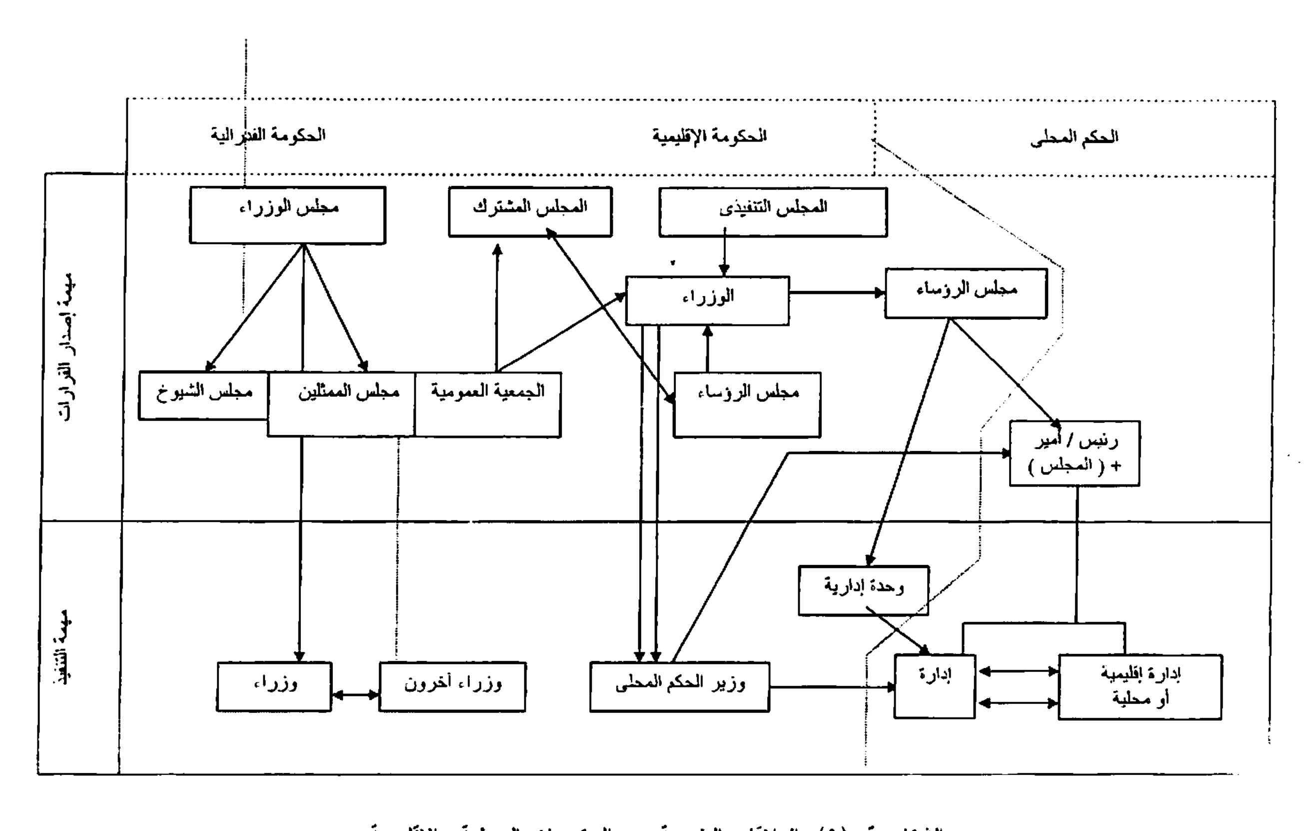
رئيس الوزراء له أيضا اتصالات مباشرة كثيرة بالمواقف الخاصة بالحكم المحلى، وبوسعه الحصول على آراء كثيرة فى المشكلات التى تظهر بين الحين والآخر. وعلى سبيل المثال، يستطيع المستشار السياسى الرئيسى، عزل رئيس من الرؤساء، وأن يعرف الأسباب الحقيقية والأسباب الرسمية. على الصعيد الرسمى، فإن الضابط الإدارى الميدانى، يستطيع عن طريق الرئيس، الحصول على المعلومات المطلوب توصيلها أو إبلاغها للمجلس. وكانت أسباب العزل من المنصب تتعلق بشكل عام بالمخالفات المالية، كما كانت تتعلق أيضا بالصراع الخطير الذى يمكن أن ينشأ بين الزعيم التقليدى ومستشاريه (أو مجلسه).

مجلس الرؤساء، الذى يتأثر تأثيرا كبيرا برئيس الوزراء، هو الذى يحمل "عصا" العزل، و"الجزرة" لصالح خلَف بعينه. هذه العصا وتلك الجزرة أصبحتا حوافز قوية فى أواخر خمسينيات القرن العشرين، حتى فى أثناء الحقبة الاستعمارية عندما كانت السلطة المطلقة فى أيدى البريطانيين.

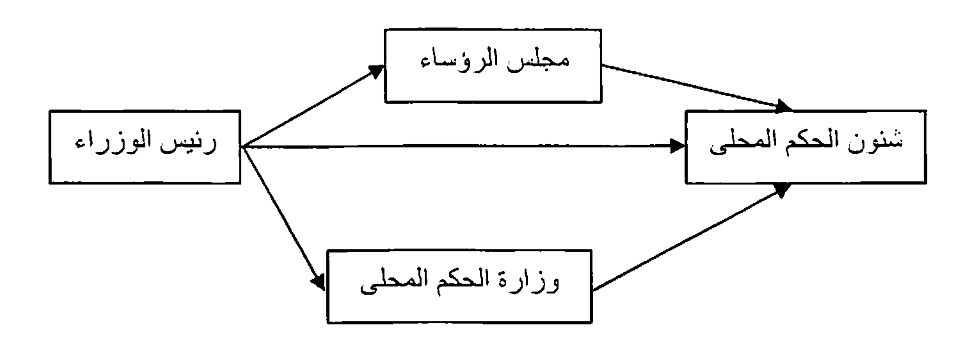
هذا الخليط الذى تمارسه وزارة الإدارة المحلية – والذى يقوم على مراقبة الأداء المالى وأداء إدارات الحكم المحلى، ومجلس الرؤساء الذى يختص بالقرار النهائى الخاص بمسألة عزل رئيس من الرؤساء أو تولى آخر – هو الذى بدأ يعطى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna حرية الحركة من خيار الوضع الراهن إلى خيار الإصلاح فى أواخر خمسينيات القرن العشرين. والشكل رقم (٩) يبين الجوانب البنيوية لهذه العلاقة بين الحكومات الإقليمية والحكومات المحلية. أما الشكل رقم (١٠) فهو يوضح العلاقات السياسية.

كان يغلب على الحراك الذى دار فى أواخر خمسينيات القرن العشرين زيادة عدد الرؤساء والأمراء تحت المظلة الإقليمية، التخفيف من وطأة طائفة الزعماء التقليديين، أو بالأحرى إضفاء الطابع الديمقراطى على هذه الفئة، وأيضا "جتمعة" هؤلاء الزعماء فى الدور المتزايد الذى يضطلع به الحكم الإقليمى فيما يتصل بأمورهم. يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى يعرف جيدا الخيارات السياسية المحيطة بالدور الذى يلعبه الزعماء التقليديون فى تلك الفترة

(بما فى ذلك "التهديد" "بالشطب" من الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال) وبوسع المستشار السياسى الرئيسى أن يلعب دور "الوسيط" فى حالات "الشطط أو التباعد". هذا الدور، والسلطات الرسمية لوزارة الحكم المحلى أو مجلس الرؤساء، يقوى قبضه المستشار السياسى الرئيسى فى مسألة الإدارة ويساعد على تحوير الدور الذى يقوم به الحكام التقليديون.



الشكل رقم (٩): العلاقات البنيوية بين الحكومات المحلية والإقليمية
(فى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين)



الشكل رقم (١٠): العلاقات السياسية بين رئيس الوزراء والسلطات المحلية

٣- إصلاح السلطات المحلية:

في عام ١٩٥٢ الميلادى، يقوم أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، بصفته وزيرا إقليميا للأشغال، بإدخال عملية إصلاح الإدارات والسلطات المحلية[1]. كان الأمراء كيانات قانوني اعتبارا من عام ١٩٣٣، وكانوا يخدمون

---

(١) راجع الخطاب الذى ألقاه المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، والمنشور فى جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٥ يونيو من عام ١٩٥٢، ص ٦ والذى نقتطف منه ما يلى:

يعلم الكثيرون منكم أن لجنة اختيار مشتركة أنشئت من شهور عدة، قبل العمل بالدستور الجديد، وكان الهدف من إنشائها هو دراسة مسألة إصلاح الإدارات المحلية. وبناء على عمل هذه اللجنة، تحرك السلطان إلى مجالس الرؤساء، ليبلغهم أن السلطات المحلية الوحيدة ينبغى أن تتحول إلى سلطات محلية من خلال المجلس. وصادق المجلس على هذا التحرك.

ونحن بدورنا فى المجلس التنفيذى، ومع اعترافنا بالحكمة التى [illegible] ذلك الإجراء. مازلنا غير راضين عن أن التشريع الحالى الذى يحكم الإدارة المحلية هو ذلك التشريع الذى ينبغى وجوده فى الظروف الراهنة.

وبناء عليه أنشأنا لجنة لدراسة نظام الإدارة المحلية القائم والتشريعات الأخرى التى تؤثر على الإدارات المحلية وأن تقوم تلك اللجنة بتقديم التوصيات فيما يتصل بالخطوط الرئيسية التى ينبغى السير عليها عند وضع نظام شامل للإدارات المحلية. =

باعتبارهم سلطات وطنية (محلية) منفردة. ونجد أن مراحل الإصلاح في خمسينيات القرن العشرين تأخذ شكلين:

١) توسيع قاعدة التمثيل في المجالس التي تسدى النصح للأمير أو الرئيس (بما في ذلك فكرة "المجالس الخارجية").

٢) التحول عن منظومة اتخاذ القرار "بواسطة الأمراء في المجالس" (التي ما يزال الأمير فيها هو المسئول) إلى منظومة "الأمراء والمجلس" التي يتحتم فيها اتخاذ القرار بأغلبية الأصوات.

يضاف إلى ذلك أن الخطاب الذى ألقاه أبو بكر تافاوا باليوا فى خمسينيات القرن العشرين أثار الكثير من التفكير فى مسألة الإصلاح، وجرى إنشاء لجنة اختيار حتى تقوم ببحث عملية الإصلاحات.

فى عام ١٩٥٤ نجد أن تقرير هدسون Hudson يوصى بإنشاء أنموذجين من الأمراء فى المجلس والأمراء والمجلس، وحبذ التقرير الأخذ بالنموذج الثانى. وجرى إصدار قانون بتلك التوصيات فى عام ١٩٥٧، وجرى أيضا وضع

= اتخذنا أيضا خطوات أخرى فى الأقاليم الإدارية كلها لتنفيذ التوصيات الصادرة عن لجنة الانتقاء المشتركة. وجرى توسيع المجالس القائمة فى مختلف الأماكن وتقويتها، وأعطيناها أيضا سلطات مالية. وشكلنا أيضا مجالس خارجية جديدة. وقمنا بتدريس دورات عن الإدارة المحلية مستهدفين بذلك توسيع المعارف وتحسين كفاية رؤساء الأحياء هم والموظفين الإداريين المحليين. وسوف تعقد أول دورة من هذه الدورات فى زاريا، فى أواخر هذا عام.

أخيرا، جرى فى كل مقاطعة، تشكيل لجان لتقدم لنا التوصيات التى تقلل من تقديم الرشاوى والفساد، وحماية المواطن العادى من الاستغلال. وبدأت بالفعل تصلنا توصيات لها معناها ومغزاها.

ونحن عندما نعود إلى مسألة التشريع، نجد أننا سمعنا الكثير وقرأنا أيضا الكثير عن الحكم المحلى فى أماكن أخرى. ولعلكم تدهشون إذا ما عرفتم السبب الذى جعلنا لا نأتى على ذكر الحكم المحلى فى هذا الإقليم. يجب ألا يغيب عنكم أننا لدينا نظام للحكم المحلى خاص بنا منذ أجيال عدة وأن الشمال فيه تقاليد إدارية راسخة منذ زمن بعيد. والذى يتعين علينا عمله حاليا هو توسيع أساس منظومة الحكم المحلى القائمة وتحديث آليات هذه المنظومة.

النصوص الدستورية اللازمة لذلك. فى الوقت نفسه، حدث تغيير تطويرى فى كثير من بنى السلطات المحلية، وقد عجل بهذا التطوير "الجناح الإصلاحى" داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وبتأييد من رئيس الوزراء.

ومن بين الطرق المستخدمة فى تصنيف السلطات المحلية، وبخاصة فى الرئاسات غير المسلمة، نجد أن طريقة التركيز والاتحاد تسمح بتجمعات أكبر فى الأغراض الإدارية، مع استمرار الاعتراف بشخصية وكيان كل وحدة من الوحدات المشاركة فى هذه التجمعات. وعلى سبيل المثال، جرى فى عام ١٩٥٤، إنشاء سلطة محلية فى مقاطعة كيًا مكونة من ستة سلطات محلية مستقلة (كوتون كارفى، وأورو، وكاكاندا، وكوبا، وإجّان، ولوكوجا تاون Town). وأطلق على السلطة المحلية الجديدة اسم "كوارا"؛ وكوارا هذا هو الاسم الذى يطلقه الناس هنا على نهر النيجر. هذا يعنى أن الرؤساء الستة يحتفظون بمراكزهم فى مناطقهم الخاصة، ولكنهم يشكلون جزءا من مجلس كوارا الفيدرالى، المكون من الرؤساء الستة، بالإضافة إلى ثمانية وعشرين مستشارا معينين من قبل مجالس السلطات المحلية فى الأحياء الستة. ويجرى تحديد عدد المستشارين فى ضوء عدد السكان فى الأحياء. ويجرى اختيار رئيس أكبر الأحياء، كوتون koton كارف karfe، ليكون رئيسا للسلطة المحلية الفيدرالية.

تصبح فكرة "مجالس المدن" وبخاصة فى المدن الجديدة، شكلا آخر من أشكال توسيع المشاركة على مستوى القاعدة. ومع ذلك، فإن معايير المشاركة تجىء من المبدأ المحلى الذى يقوم على "تمثيل المجتمعات التاريخية". من هنا، نرى أن السلطة المحلية فى زاريا تنشئ مجلسا للمدينة ليقوم بإدارة الأجزاء الرئيسية من كادونا (سابون Sabon جارى Gari وتودان Tudan وادا wada). ويجىء دستور ذلك المجلس على هدى من التوصيات الصادرة عن "اللجنة الخاصة بمستقبل إدارة المناطق الحضرية". والمجلس مكون من خمسة وثلاثين عضوا، إضافة إلى مجاجن جارى كرئيس للمجلس، ونائب للرئيس يقوم بانتخابه. ويجرى تحديد مقاعد المجلس على أساس من التجمعات الإثنية، وذلك تأسيسا على نسبة هذه

الجمـــاعات إلى العدد الإجمالى للســكان: فقد تحـــدد لإجبو ستة مقاعد، والهوسا والفولانيون خمسة مقاعد، واليوروبا ثلاثة مقاعد، والنيوبى Nupe مقعدان، وجنوب الكاميرون مقعد واحد، وإيجاد مقعد واحد، وبنين مقعد واحد، والكانورى مقعد واحد، والأفيك، والإبيبيو Ibibio مقعدان، والاتسكيرى والارهوبو مقعد واحد، والتيف مقعد واحد، وإيجالا، وإجبيرا و"القبائل الشمالية" الأخرى مقعد واحد، وغير النيجيريين مقعد واحد. يضاف إلى ذلك أن رؤساء الأقسام الإدارية الأربعة فى سابون جارى Gari، كانوا بمثابة أعضاء سابقين فى المجلس، وتقوم السلطة المحلية بتعيين أربعة أعضاء يمثلون الأقسام المهمة من المجتمع، التى جرى تجاهلها أو أثناء العملية الانتخابية. والمجلس مسئول عن إعداد الموازنة السنوية، وإنشاء لجان العمل.

وتبدأ المجالس فى اتخاذ القرارات التى تهدف إلى إصلاح الأساليب "التقليدية" المستخدمة فى تشكيل الحكومة المحلية. فى عام ١٩٥٤، نجد أن المجلس الخارجى فى قسم برنو الإدارى يجرّم تقديم الهدايا لمسئولى السلطة المحلية من قبل المواطنين. وتقديم الهدايا هذا على سبيل الرشوة هو ما يقولون له بلغة الهوسا Kudin gaisuwa. ونجد أن وزير برنو (محمد نجيلروما) يسعى من أجل التشريع الذى يسمح بإجراء بعض المراجعات والتفتيش على الفساد فى المحليات. (وقد جاء ذلك الجهد على حساب محمد نجيلروما نفسه، نظرا لأن القوى المحلية ترفض الإصلاحات التى من هذا القبيل، الأمر الذى اضطر الرجل فى النهاية إلى تقديم استقالته).

فى هذا الوقت نفسه نجد أن حزب المعارضة (حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال) بقيادة أمين، يواصل الضغط من أجل إحداث المزيد من الإصلاحات الجذرية. ويسافر أمين إلى لندن ليلقى خطابا فى مجموعة من أعضاء البرلمان، يقول فيه:

> **حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال هو حزب المعارضة الوحيد فى شمال نيجيريا وذلك اعتبارا من تاريخ تشكيل الحكومة الإقليمية فى عام ١٩٥١.. وقد**

انشغل هذا الحزب فى صراع من أجل صبغ الحكم المحلى بالصبغة الديمقراطية وإنهاء إيثار ذوى القربى بالوظائف العالية. ومنجزات حزب المعارضة هذا فى تحديث منظومة الحكم المحلى تشهد عليها الحقيقة التى مفادها أن الحكم المحلى لم يعد بعد ساحة للأسر الحاكمة وخدمهم وحشمهم[1].

يستطرد أمين كانو فى كلامه عن الانتخابات المباشرة باعتبارها علاجا للحكم المحلى الفاسد وغير الفعال فيقول:

أحزاب المعارضة الأخرى تنادى بتقسيم الشمال إلى ولايات منفصلة، الأمر الذى يسمح ببروز أنظمة جديدة للحكم المحلى والإلغاء الفورى والكامل لمنظومة السلطات المحلية. وترتيبا على ما سبق راح آبا Abba ميكوارو Maikwaru - فى عام ١٩٥٥ - (الرئيس السابق لحزب الاتحاد التقدمى)، والرئيس عام حاليا للجناح الشمالى من حزب جماعة العمل AG، ينادى بتقسيم الشمال إلى ثلاث ولايات. ويروح جى. إس. أولاوين Olawoyin، الأمين عام، يهاجم منظومة السلطة المحلية "غير التقدمية والتى عفا عليها الزمن"، ويقول إنها شبيهة "بنبيذ معتق موضوع داخل قارورة جديدة".

فى شهر مارس من عام ١٩٥٧، وقبل انعقاد مؤتمر لندن، يبدأ رئيس الوزراء أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، بتحريك مسألة تبنى تقرير هدسون Hudson الذى جرى قبوله بالفعل، وينهض الرجل أيضا، من بين

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٢٢ ديسمبر من عام ١٩٥٥، ص ٥ " استقبال خطاب م. أمين من مجلس اللوردات "عن الإصلاح الانتخابى".

الأعمال التى كان يقوم بها، بمهام إنشاء "إدارة على مستوى كل مقاطعة من المقاطعات". ويقدم أحمد بللو من الحجج ما يفيد أن تقوية مثل هذه الإدارات سيكون بمثابة همزة وصل بين الحكومة الإقليمية والحكومات المحلية، كما يعطى هذا النوع من الحكم مزيدا من الحكم الذاتى والاستقلال الذاتى لكل مقاطعة من المقاطعات. ويؤكد أحمد بللو، رئيس الوزراء، أن الحكم الإقليمى يلغى مركزية كثير من المهام، ويهدف إلى جعل الحكومة أكثر قربا من الشعب. ويخلص أحمد بللو إلى أن السياسة سوف تفضى إلى إدارة أكثر كفاية وأكثر ديمقراطية وسوف "تمكن كل مقاطعة من قولبة خدماتها فى شكل يحظى بقبول سكان المقاطعة"(١). ويعارض إبراهيم إمام هذا الاتجاه لسبب مؤداه "أن الحكومة كانت تستهدف المحافظة على الحجم الحالى للإقليم وتئد تطلعات وآمال سكان وأهل الحزام الأوسط"(٢).

فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٧، يلقى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna خطابا مهما يوضح فيه آراءه فى العلاقة بين الحكومة الإقليمية والحكومة المحلية؛ ويشير فى الخطاب نفسه إلى الحاجة إلى تشجيع الحكومة الممثلة تمثيلا ديمقراطيا سليما، والحاجة إلى "الالتزام بالقانون"، مع احترام الحريات الفردية، ويؤكد أحمد بللو مشددا على حق الحكومة الإقليمية فى التدخل فى المواقف المحلية لفرض هذه الشروط(٣).

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ١٦ مارس من عام ١٩٥٧، ص ١ "المجلس الشمالى يؤجل – تقرير هدسون أصبح مقبولا الآن".

(٢) المرجع السابق.

(٣) جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ١١ ديسمبر من عام ١٩٥٧ ص... "الحكومة توضح علاقتها بالسلطات المحلية". استنادا إلى ما يقوله أحمد بللو:

فى كل بلد من البلاد التى فيها مؤسسات ديمقراطية نجد أن العلاقة بين الحكومة الموجودة فى السلطة وهيئات الحكم المحلى يتحتم عليها تناول مشكلات محددة. ونيجيريا ليست استثناء من هذه القاعدة. من هنا فإن الحكومة الإقليمية تعتقد أن إلقاء بيان واضح عن سياستها فى هذا الموضوع ستكون له قيمته فى القضاء على الشكوك التى يمكن أن تثار بين السلطات المحلية والأحزاب السياسية المعارضة. =

- حكومة الإقليم الشمالى تعترف، أنه طبقا لنصوص الدستور. فإن الحكومة الفيدرالية تتمتع بمجالات متباينة فى الأنشطة المختلفة. والحكومة الإقليمية لها نفس هذه الميزة أيضا، وعليه نجد أن القانون يحدد مجالات بعينها للحكومة الإقليمية من ناحية ومجالات بعينها أيضا للسلطات المحلية من الناحية الأخرى.

فى نطاق الحكم المحلى، تكون الحكومة الإقليمية على استعداد لأعطاء السلطات المحلية الحرية الكاملة، شريطة أن تراعى هذه السلطات بعض الشروط وتلتزم بها. هذه الشروط مفادها أن السلطات المحلية يجب أن تحظى بثقة السواد الأعظم من المواطنين، ويتعين أيضا أن تقوم تلك السلطات بأداء المهام المطلوبة منها والمسئوليات التى تقع على عاتقها، وأنها يتعين عليها إدارة شئونها المالية بطريقة مسئولة. وينبغى عليها أيضا المحافظة على أمانتها ونزاهتها. وحيادها فى بلد موشك على الحصول على استقلاله.

يتعين على الحكومة الإقليمية. التى هى معنية تماما بالقانون والنظام والإدارة الجيدة. أن تحتفظ لنفسها بحق التدخل فى شئون الحكومة، إذا لم يجر الالتزام بالقانون والنظام والإدارة الجيدة. وهذا الحق يكفله القانون الذى ينص على تخويل الحكومة الإقليمية بعض السلطات السيادية أو الإشرافية. هذه السلطات عبارة عن سلطات مالية وتنفيذية، وقانونية وهى تتباين بين القدرة على سحب مكافأة صغيرة وسلطة المحافظ فى المجلس التى تخول له إلغاء أى قرار من قرارات التعيين التى تصدر عن السلطة المحلية. هذه السلطات بالرغم من اتساعها إلا أنها لا يمكن ممارستها بطريقة عرفية. وهذه السلطات تخضع لعقوبتين كبيرتين من جانب الحكم الديمقراطى التمثيلى، الذى يُحكّم القانون ويكفل حرية المناقشة. معروف أن السلطات المحلية أنشئت ومؤمنة ومحمية أيضا بعمليات قانونية وأية حكومة من الحكومات تحاول قمع هذه السلطات المحلية أو التعدى على حقوقها المنصوص عليها فى اللوائح، يمكن مقاضاتها طبقا للقانون. والتعدى الذى يكون من هذا القبيل. يجرى إبلاغه للصحافة ويصبح مجالا للنقاش على المستوى التشريعى الإقليمى. ويترتب على ذلك أن تصبح أية حكومة معرضة للانتقاد من الرأى عام إذا ما اتخذت إجراء غير مبرر ضد أية سلطة من السلطات المحلية.

تلك هى الضمانات التى تكلفها الديمقراطية للضعيف كى يدافع بها عن نفسه ضد القوى. وهذه الضمانات مهمة أيضا فى السياق الدستورى مثلما هى مهمة أيضا فى العلاقات الإنسانية. والحكومة الإقليمية تؤكد إيمانها العميق بهذه الضمانات وتكرس اهتمامها لمراقبة تلك الضمانات نصا وروحا. وقد تقرر معاملة السلطات المحلية كليا. بغض النظر عن انتماءاتها السياسية. معاملة تقوم على الحياد التام، وتجنب أى عمل يمكن أن يوصف بأنه نوع من الانحياز السياسى. من هنا فإن هذه السلطات المحلية يمكن أن تطمئن وتتأكد. أنها طالما التزمت بلوائحها والتزاماتها الأخلاقية. فلن تكون عرضة للتدخل غير المبرر أو النفوذ الذى لا داعى له من قبل الحكومة الإقليمية.

يعتمد التنفيذ الفعلى لإصلاحات الحكومة المحلية، إلى حد ما، على سياسة الوضع المحلى. فى ميورى (أدماوا) جرى توسيع مجلس الأمير وأصبح يضم اثنى عشر عضوا، مع ثلاثة أعضاء "مستقلين" يجرى انتخابهم لذلك المجلس؛ هذا يعنى أن هؤلاء الأعضاء الثلاثة يجب ألا يحمل أى أحد منهم أى لقب من الألقاب التقليدية، وألا يكونوا قد خدموا فى الحكم المحلى، ومع ذلك يظل توازن السلطـــة بلا تغيير فى واقع الأمر. وفى مجلس مدينة أوفا offa، على سبيل المثال، نجد أن رئيس المجلس هو أولوفا olofa الأوفى، ولكن القاعدة المنتخبة أوسع والسياسة الحزبية أكثر وضوحًا. وفى كادونا أيضا هناك أربعة مجالس مستقلة لإدارة المدينة؛ وهذه المجالس الأربعة جرى إنشاؤها طبقا لقانون العاصمة الصادر فى عام ١٩٥٦، وليس لأى مجلس من هذه المجالس الأربعة سلطة السيطرة على السوق المركزية. ولما كان كثير من أعضاء مجلس كادونا يغلب عليهم تأييد ومؤازرة حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال، فى ذلك الوقت، فقد زاد من احتمالات الصراع والتوتر زيادة كبيرة. وفى شهر مارس من عام ١٩٥٧، وفى مجلس مدينة بوكورو، تمكن التحالف المكون من حزب المؤتمر الشمالى الدستورى الجديد الجنوبى، هو وحزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال، تمكنا من حصد ستة عشر مقعدا من بين المقاعد الثمانية عشر. (وهناك خمسة مقاعد إضافية لتمثيل السلطة المحلية).

وسط هذا السياق المتغير وفى خضمه يواصل أحمد بللو عمله الدائب من أجل الإصلاح، سواء على مستوى السياسة، أو على مستوى التلقين والبلاغة الشعبية. ونرى أحمد بللو فى ذلك الوقت وهو يخاطب الجمعية العمومية قائلا: "نحن لا يمكن أن نوافق مطلقا على انزلاق السلطات المحلية إلى الوراء لتنخرط فى أساليب عفا عليها الزمن أو أساليب تبتغى الأخطاء والشرور. هذه السلطات المحلية ينبغى أن تواصل سيرها على طريق التقدم"[١].

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٩ أغسطس من عام ١٩٥٨، ص ١. مقال بعنوان "المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يحذر وحدات السلطة المحلية من استغلال ثقة الناس بها لمصالحها الشخصية".

يشارك أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى دورة الحكم المحلى التى عقدت في جامعة كمبردج فى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩، وقد حضرت تلك الدورة وفود ومبعوثون من ثلاثة وعشرين حكومة من الحكومات الاستعمارية. وفى تلك الدورة شارك أحمد بللو فى المجموعة التى تناولت موضوع "العوامل الدستورية والعوامل السياسية فى تطوير الحكم المحلى"؛ وشارك فى هذه الجماعة أيضا الرئيس روتيمى وليامز Rotimi williams . وجرى فى تلك الحلقة الدراسية مناقشة المسائل التى من قبيل دور السلطات التقليدية، ودور الأحزاب السياسية، والحاجة إلى التطوير، مناقشة مستفيضة ومفصلة. وسوف نلاحظ أن كثيرا من الخطابات العامة التى ألقاها أحمد بللو Sardauna فيما بعد، فى الجمعية العمومية، سوف تعكس ذلك الإجماع الدولى فيما يتصل بدور الحكم المحلى، اعترافا منه بأن الحكم المحلى ينبغى أن يعكس دوما أمور الواقع المحلى. من هنا، وفى شهر مارس من عام ١٩٥٧ على وجه التحديد، نجد أن رئيس الوزراء راح يحذر السياسيين فى الجمعية العمومية ويطلب منهم عدم التدخل فى شئون الحكم المحلى. ويركز الرجل على تقسيم السلطات والمسئوليات بين الحكومات الوطنية، والحكومات الإقليمية والحكومات المحلية، ويحذر الرجل الأطراف كلها ويطلب منهم عدم إدخال السياسة الحزبية إلى مجال هذا التقسيم الفيدرالى للمسئوليات[١]. ويعلن الرجل أيضا أن مسألة طلب أى مدينة من المدن أن يكون لها "رئيس" Chief أو "مجاجن Magajin جارى Gari"، الذى يحددها هم السكان المحليون، كما هو الحال فى مدينة جوس Jos[٢].

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ١٣ مارس من عام ١٩٥٧، ص ١ "لا تتدخلوا فى شئون الحكم المحلى: رئيس الوزراء يحذر أعضاء الجمعية العمومية".

(٢) المرجع السابق. أورد رئيس الوزراء ملاحظة مفادها أن جوس كان يعيش فيها ١٧٤٧٢ هوساوى، وحوالى ٤٠٦٩ من أهل الشمال، وحوالى ٦٧٤٧ من الإيبو، وحوالى ١٦٩٢ من اليوروبا.

تقرير عام ١٩٥٧ الميلادى عن المؤتمر الدستورى الذى عقد فى لنـــدن (فى عام ١٩٥٨)، يحتوى على قسم كامل عن الرؤساء chiefs، ويتناول هذا القسم كل إقليم من الأقاليم الثلاثة على حدة. فى الشمال، يتمثل الهدف فى توسيع تمثيل الرؤساء فى مجلس الرؤساء، بما فى ذلك رؤساء الطبقة الأولى، بالإضافة إلى خمسة وتسعين رئيسا غير رؤساء الطبقة الأولى. ويدخل ضمن هؤلاء الرؤساء أيضا مستشار للشريعة الإسلامية. فى الإقليم الغربى، يتعين زيادة أعضاء مجلس الرؤساء إلى ١٢٤ رئيسا، وزيادة سلطات الاعتراف بالرؤساء وتصنيفهم وبخاصة أولئك الرؤساء الذين يعملون مع المحافظ فى المجلس. وفى الإقليم الشرقى، تم الاتفاق على أن يكون هناك سبعة عشر رئيسا من الطبقة الأولى، منهم ثمانية من الحكام التقليديين، ويمثل الرؤساء الثمانية المتبقين المقاطعات التسع التى فى الإقليم. رؤساء الطبقة الثانية يجرى اختيارهم بواسطة رؤساء العشائر، ورؤساء مجموعات القرى، ورؤساء القرى، وذلك فى ضوء عدد السكان. هذا يعنى أن مجلس الرؤساء فى الإقليم الشرقى ينبغى ألا يضم أكثر من ثمانين رئيسا، يكون سبعة عشر منهم من رؤساء الطبقة الأولى، وثمانية وخمسين رئيسا من الطبقة الثانية، وخمسة أعضاء خصوصيين[١]. والمغزى من وراء كل ذلك هو وجود شيء من التشابه فى السياسات بين الأقاليم الثلاثة فيما يتعلق بموضوع الرؤساء، وليس الإقليم الشمالى هو الذى يمثل حالة خاصة. يضاف إلى ذلك أن الحقيقة التى مفادها أن أولوو Awolowo وآزكوى كانا وزيرين من وزراء الحكم المحلى فى إقليميهما فى خمسينيات القرن العشرين، تؤكد أهميه تواجد هذا المستوى فى سائر أنحاء الاتحاد.

فى الشمال يدور نقاش واسع ودراسة مستفيضة لدور الرؤساء خلال هذه الفترة. وهذه مقالات تنشر بأقلام الشبان؛ المرتبطين فى معظم الأحيان بالزعامة التقليدية. من هذه المقالات مقال بعنوان "ما الذى سيكون عليه وضع الرؤساء فى

---

(١) راجع جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٦ ديسمبر من عام ١٩٥٨ ص ٧، " تقرير عن المؤتمر الدستورى: مراكز وسلطات الرؤساء ".

المستقبل"[١]. بعض كبار المفكرين من أمثال أبى بكر إمام يقدمون مراجعات وتحليلات للتطوير الكامل للثقافة السياسية فى شمالى نيجيريا[٢]، وبخاصة مسألة التأكيد على جذور المنظومة ممثلة فى جهاد الشيخ عثمان بن فودى. وها هو أبو بكر إمام يقتبس عن الكتب المؤلفة عن فترة الجهاد ما يؤكد أن:

> **يتحتم على أميرنا أن يختار مستشاريه من بين الرجال المشهود لهم بالنزاهة والعلم والذين يكونون قادرين على إسداء المشورة المتسمة بالحكمة والتعقل. الأمير ينبغى أن يكون لديه أيضا، محاسبون خبراء وأمناء للصناديق خبراء أيضا ويكون همهم الأول والأخير المحافظة على سلامة الحسابات وسلامة الأرصدة التى تودع فى الخزانة. يتحتم على الأمير اختيار الرجال المشهود لهم بالنزاهة والعلم ويعينهم كما لو كانوا قضاة Alkalai. هؤلاء الرجال يجب أن يكونوا قادرين على تطبيق العدالة بلا خوف أو المحاباة من أى شخص غير الله. ويتعين على الأمير أن يستخدم أناسا من أولئك الذين نما فيهم حب الواجب، وشخصيتهم فوق مستوى الشبهات، رجال يقومون بعملهم بلا خوف أو محاباة. يتعين على كل أمير من الأمراء، قبل تعيين أى شخص فى أى منصب من المناصب الثقات، أن يقدر تماما السمات والصفات التى يتمتع بها المتقدم لمثل هذا المنصب. وإذا ما ثبت بعد التعيين أن أصبح الموظف ثريا من خلال الأعمال**

---

(١) راجع على سبيل المثال، الشيخ مالامى، "كيف سيكون وضع الرؤساء؟" جريدة المواطن النيجيرى ١٣ يوليو ١٩٦٠ ص ٦.

(٢) أبو بكر إمام "دستور شمالى نيجيريا قبل قدوم البريطانيين" (النص الكامل للورقة المقدمة إلى فرع كادونا – زاريا من الجمعية التاريخية فى نيجيريا، التى انعقدت فى كادونا)، جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ١٠ فبراير من عام ١٩٦٠، ص ٦.

المشبوهة، فإن كل ما يثبت أنه فوق ممتلكاته ينبغى مصادرته وتسليمه إلى الخزانة. وإذا ما تبين أن الأمير شاك فى مسألة هذا الثراء وما إذا كان من خلال وسائل مشروعة أو غير مشروعة، فإن نصف هذه الثروة يجب مصادرته، وليس الثروة كلها. ويجب على الأمير ألا يركن إلى أن قضاته ورؤساء الأحياء التابعين له، ورؤساء القرى، فوق الفساد أو أنهم فوق مستوى التفتيش والتحرى[1].

فى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، كان أحمد بللو Sardauna أو بالأحرى المستشار السياسى الرئيسى قد تعرض بشكل كبير لأدبيات إصلاح الجهاد، وكان قد طلب من هاليرى وبنجى ترجمة بعض هذه الأعمال (الكتب) الخاصة بالحكومة من اللغة العربية إلى لغة الهوسا[2]. وكان كتاب "ضياء الحكام" واحدا من تلك الكتب التى جرت ترجمتها من العربية إلى لغة الهاوسا كى يقرأه الناس، وهذا الكتاب من تأليف عبد الله بن فودى. هذا الكتاب ترجمه هاليرو بنجى، على شكل مقتطفات، فى مدينة زاريا فى عام ١٩٤٩. فى عام ١٩٥١، كان هاليرو بنجى قد ترجم أيضا بعض الأعمال لحساب جريدة جاسكيا (الحقيقة) وذلك بناء على طلب من أبى بكر إمام، ومنها على سبيل المثال كتاب "تزيين الورقات"، وهو أيضا من تأليف عبد الله بن فودى، إضافة إلى بعض الكتب القانونية.

كان أحمد بللو Sardauna، المستشار السياسى الرئيسى يرى أن إصلاحات خمسينيات القرن العشرين كان يمكن أن تكون وثيقة الصلة بمعنى إصلاحات الجهاد وإصلاحات الحكم المحلى البريطانية أيضا. وجاء الاختبار النهائى، فى فترة ما قبل الاستقلال، متمثلا فيما يمكن أن يطلق عليه اسم "إصلاح" السلطة المحلية فى سكتو. ففى شهر أبريل من عام ١٩٦٠ الميلادى، يجرى طرد واحد من رؤساء

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مقابلة شخصية، مع هاليرو بنجى، فى اليوم العاشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٨٣. سكتو.

الأحياء، ويتقاعد سبعة رؤساء أحياء آخرون، ويحصل سبعة من كتبة الأحياء على لفت نظر(١). الواضح أن أحمد بللو Sardauna كان جادًا فى مسألة الإصلاحات، وأصر على رأيه الذى مفاده أن سلطة سكتو المحلية تعد مسئولة عن المستويات التى تدنى إليها الآخرون. خلاصة القول أن أحمد بللو، بصفته مسئولا سياسيا رئيسيا، طرد عددا كبيرا من أقاربه.

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٣٠ أبريل من عام ١٩٦٠ ص ١. "إصلاحات كاسحة فى سلطات سكتو المحلية" واستنادًا إلى ذلك التقرير نرى:

تحدث حاليا إصلاحات كاسحة فى مقاطعة سكتو لتحديث إدارة الحى، التى لم تستطع مسايرة الزمن، وقد جرى إعلان تلك الإصلاحات على لسان سلطة سكتو المحلية.

أحد مؤشرات هذه الإصلاحات يتمثل فى طرد، وتقاعد، وإنذار وتنزيل رتب أولئك الموظفين من موظفى السلطة المحلية، الذين لم يستطيعوا لسبب أو آخر مسايرة التغيرات عقب القيام بجرد إدارى لإدارة حى سكتو، قررت السلطة الإدارية طرد رئيس أحد الأحياء وتقاعد سبعة آخرين.

وقد جرى طرد رئيس حى كورا نامودا، المدعو م. جاربا. وهناك أيضا سبعة رؤساء آخرين يجرى تقاعدهم اعتبارا من اليوم وهم:

الحاج يحيى، أمير بورمى، أمير باكورا، ورئيس حى باكورا؛ م. على، رئيس حى كوتاركوشى kotarkoshi؛ م. أبو بكر، أمير كايا، رئيس حى مارادوم؛ م. صالح، أمير جوبير، رئيس حى سابون برنى؛ م. محمد، أمير كنبى، رئيس حى سيلام؛ الحاج على، رئيس حى شافى Chafe؛ وأخيرا م. عبده، أمير السودان، رئيس حى ورنو.

يضاف إلى ذلك، أنه تقرر أيضا إحالة ثمانية من كتبة الأحياء إلى التقاعد، كما تقرر أيضا إرسال إنذارات ولفت نظر إلى اثنين وعشرين من رؤساء الأحياء، وأحد عشر كاتبا من كتبة الأحياء أيضا.

فى الوقت الذى يجرى فيه إما طرد أو إنذار أو تقاعد بعض كتبة الأحياء، فإن أولئك الذين أبلوا بلاء حسنا فى السنوات الأخيرة، سيقدرون ويكافأون اعترافا بجهودهم.

وفى اجتماع خاص، سيقوم السلطان والمجلس بتكريم ١٦ من رؤساء الأحياء، و٢٥ من كتبة الأحياء، وسيحثونهم على بذل المزيد من الجهد مستقبلا.

وقد قامت السلطة المحلية، فى إطار هذه الإصلاحات، بإعادة تحديد أسماء المناطق التى ستجرى زيارتها مرة ثانية بواسطة المستشارين، وسوف تقوم السلطة خلال الشهور الستة القادمة، بجرد شامل لإدارة القرى. وسوف تجرى التعديلات والتغييرات المطلوبة فى الأماكن التى يثبت أنها بحاجة إلى مثل هذه التعديلات والتغييرات.

وقد حدث جرد آخر للإدارات القضائية وإدارات الحكم المحلى. وجرى إحالة سبعة قضاة إلى التقاعد بسبب السن، وجرى تنزيل مراتب بعض القضاة الآخرين. وسيجرى إحالة قاضيين آخرين إلى التقاعد، فى حين سيحصل سبعة عشر قاضيا آخر على إنذارات.

القضاة الذين تقاعدوا هم: م. محمد شونى؛ م. أبو بكر كبىّ؛ م. الحسان الماروى؛ م. محمد العنقاوى؛ م. دلهاتو الصفوى.

على مستوى الإدارات، جرى الحكم على م. تمبارى، أمير تودو، رئيس الخدمات الزراعية فى غربى سكتو، بعامين من السجن بسبب الاختلاس، منذ أيام قلائل، فى حين جرى توقيف بعض كبار المسئولين انتظارا للمحاكمة.

وتقرر إرسال إنذارات إلى عشرة موظفين آخرين، كما سيجرى إحالة م. على، عضو مجلس الممثلين إلى التقاعد اليوم.

٤ـ ولاية وعزل الزعماء التقليديين:

عدد من تولوا الزعامة التقليدية فى الفترة ما بين تبوّء أحمد بللو لمنصب رئيس الوزراء فى عام ١٩٥٤ والحصول على الاستقلال فى عام ١٩٦٠ يقدر بعدد كبير من البشر. ويمكن إيجاز الاختيارات التى تمت فى تلك الفترة على النحو التالى:

كنو — فى اليوم الأول من شهر يناير من عام ١٩٥٤ نُصِّبَ محمد السنوسى أميرا على كنو، بعد وفاة والده عبد الله بايرو، الذى وافته المنية فى شهر ديسمبر. وكان بصحبته الشيخ أحمد، جالسا على يمينه. وكان هناك مستشارون آخرون من بينهم والى wali، وجلاديما، وأمير باى Bai، وولد عمار، وأمير شانو، ودوكاجى، والحسن دناتا، وعثمان جوارزو. وكان أحمد بللو Sardauna حاضرا ذلك الاحتفال.

جواندو — فى مطلع شهر يناير من عام ١٩٥٤ يموت يحيى، أمير جواندو، عن عمر يناهز الثامنة والخمسين. كان الرجل قد تلقى تعليمه فى كلية كاتسنا العالية وشق لنفسه طريقا فى الحكم المحلى إلى أن تولى الإمارة فى عام ١٩٨٣. ويخلفه م. هارون أمير جوبر، فى منطقة كالجو Kalgo.

تيف — فى اليوم الحادى عشر من شهر أكتوبر من عام ١٩٥٦ يتوفى ماكيرى دازكيبى Makeri Dazkpe. ويخلفه جوندو أليور Aluor، نائب التور تيف كان جوندو اليور فى الخمسين من عمره، وكان قد عين نائبا للأمير اعتبارا من عام ١٩٤٨. تلقى هذا الرجل تعليمه فى مدرسة وانون الأولية وأصبح مدرسا مساعدا فى عام ١٩٢٤. وفى عام ١٩٢٨ عين كاتبا فى الإدارة المحلية، وفى عام ١٩٣٩ رقى إلى كبير كتبة تيف فى الإدارة المحلية، وبقى الرجل فى هذا المنصب إلى

عام ١٩٥٤ (الذى صادف توليه منصب نائب الأمير). حضر الرجل دورة للحكم المحلى فى إنجلترا فى عام ١٩٥٢، وفى عام ١٩٥٤ جرى انتخابه ليكون عضوا عن قسم التيف فى مجلس الممثلين.

ياورى — فى اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر من عام ١٩٥٦ يتم تنصيب أمير ياورى، م. محمد توكور، فى مدينة يلوا Yelwa. ويحضر رئيس الوزراء هذا التنصيب ومعه أمراء جواندو، وكاتسنا، ولاميدو الادماوى، وأمير إحبيرا أوهنوى ohinoyi، وأمير فيكا، فضلا عن ممثلى السلطان.

إيلورين — فى شهر يونيو من عام ١٩٥٩ يتوفى المعلم عبد القادر، أمير إيلورين عن عمر يناهز الثانية والسبعين، بعد أن أمضى أربعين عاما فى الخدمة. قبل ذلك كان الرجل رئيسا لحى لانوا Lanwa فى الفترة ما بين ١٩١٥ – ١٩١٩. كان الرجل يشغل منصب رئيس من الطبقة الأولى، وكان قد التحق بمجلس الرؤساء الشمالى فى عام ١٩٤٧. وقد خلفه سولو جمبارى.

زاريا — فى شهر يونيو من عام ١٩٥٩، يتوفى المعلم جعفر، أمير زاريا، عن عمر يناهز الثالثة والسبعين. كان الرجل رئيسا من الطبقة الأولى وكان قد تولى ذلك المنصب فى عام ١٩٣٧. وقد التحق الرجل بمدرسة كانو التابعة للمقاطعة، مدة عام (١٩١١ – ١٩١٢)، وشق لنفسه طريقا فى الحكم المحلى، بما فى ذلك عمله رئيسا إلى أن أصبح أميرا. كان الرجل وزيرا بلا وزارة (وزير دولة) فى الحكومة الشمالية فى الفترة من ١٩٥٢ – ١٩٥٦. وحدث أن ترأس رئيس الوزراء فريقا من الوزراء الإقليميين والسكرتيرين البرلمانيين كان متوجها إلى زاريا لأداء واجب العزاء. وفى شهر سبتمبر يجرى تعيين أمير جديد، هو محمد أمين، وهو من السلالة النسبية الكتسينية. ولد محمد أمين فى عام ١٩٠٨، وتلقى تعليمه فى مدرسة زاريا

الابتدائية، ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة المتوسطة. كان الرجل واحدا من موظفى التصحيح، ثم أصبح بعد ذلك كبير مفتشى التصحيح فى الحكم المحلى فى زاريا فى عام ١٩٣١. ثم جرى تعيين الرجل أميرا لسابون جارى فى عام ١٩٣٨، وفى عام ١٩٤٠ جمع الرجل بين هذه المهام وبين منصبه كرئيس للمحكمة المختلطة حتى عام ١٩٤٤ إلى أن حصل على لقب Dan Iya، أى رئيس الحى المسئول عن منطقة سابون جارى فى زاريا.

حضر حفل تنصيب ذلك الأمير رئيس الوزراء، أحمد بللو، وسلطان سكتو، وأمير كنو، وكثير من الوزراء الإقليميين والأمراء والرؤساء (بما فى ذلك أتّاه Attah إيجالا Igala وآكو Aku الوكارى Wukari).

إيدوما فى شهر مارس من عام ١٩٦٠ الميلادى يجرى تعيين السيد آبراهام (آجين) أوكبابى ukpabi رئيسا جديدا لإيدوما. تلقى أوكبابى تعليمه، وهو أصلا من المنطقة الشرقية، التى تسببت فى إرسال بعض طلبات الاحتجاج من ممثلى المنطقة الوسطى الشمالية، وكانوا فى تلك الطلبات يقترحون أن يكون السيد أبوتا أوبكبا Obekapa مرشحا من قبلهم. ويتقدم الناس بالتماسات إلى رئيس الوزراء. كان أوكبابى يبلغ من العمر سبعة وثلاثين عاما، وكان يعمل مستشارا إداريا. تلقى الرجل تعليمه فى المدرسة المنهجية Methodist المركزية فى أوتروكبو Oturkpo، ثم جرى تعيينه صيدليا مساعدًا فى عام ١٩٤١، ثم رئيسا للحى فى عام ١٩٥٢. كان الرجل مستشارا فى عام ١٩٥٤ ثم التحق بالجمعية العمومية فى عام ١٩٥٦.

وكارى فى شهر مايو من عام ١٩٦٠ الميلادى يتوفى أكو أوكا Aku Uka الوكارى، المدعو أتوشى إجبامانو Atoshi Agbamanu وهو فى سن الثالثة والخمسين. كان ذلك الرجل قد تولى منصبه فى عام ١٩٤٦، ثم عين وزيرا إقليميا بلا وزارة فى الفترة من ١٩٥٢ – ١٩٥٦، ثم بعد

ذلك فى الفترة من ١٩٥٦ - ١٩٦٠. كانت الحكومة الإقليمية فى جنازة هذا الرجل ممثلة فى شخص كل من السيد ميخائيل عودو بوبا، وزير الرفاه الاجتماعى والتعاونيات، والسيد أبوتو أوبكبا، وزير الدولة. كان الرئيس المرحوم قد تلقى تعليمه فى مدرسة البعثة السودانية المتحدة، فى وكارى wukari، كما عمل الرجل رئيسا لحى شمال شرقى وكارى مدة أربع سنوات قبل أن يعين رئيسا. وقد خلفه آرى يبوى فى شهر مارس من عام ١٩٦١.

خلال هذه الفترة (١٩٥٤ - ١٩٦٠) جرى عزل بعض الرؤساء، أو إعفائهم من مناصبهم، أو عن طريق "الاستقالة" طواعية واختيارا. ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى.

ديكوا — فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر مارس من عام ١٩٥٤، يجرى عزل مصطفى الثالث، شيخ دكوا. كان الرجل يتولى ذلك المنصب اعتبارا من ٢٥ أبريل من عام ١٩٥٢. تخرج هذا الرجل من كلية المعلمين فى كاتسنا. وقد وجهت لهذا الرجل تهمة الحكم المطلق، واعتماده على أصحاب الحظوة، كما اتهم أيضا بفشله فى التشاور مع المجلس. وجرى تحرى صدق هذه الاتهامات فى استجواب إدارى أجراه كل من السيد ليتشورث Letchworth، و م. محمد (وزير برنو)، ومحمد لاوان.

اجبيرا — فى شهر يوليو من عام ١٩٥٤، يستقيل الحاج إبراهيم، من منصبة طواعية واختيارا. كان الرجل قد بلغ من العمر ثلاثة وستين عاما، وظل يحمل لقب "عطا" Atta طوال سبعة وثلاثين عاما، بعد أن جرى تعيينه فى اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر من عام ١٩١٧. التحق الرجل بالمدرسة العربية فى أوكينى، ثم أصبح بعد ذلك معلما من معلمى التقييم. ثم تقاعد الرجل "كيما يهيئ الفرصة أمام التغييرات الدستورية التى جرى الترتيب لها مؤخرا فى قسم إجبيرا، والتى

بمقتضاها يقوم مجلس إجبيرا، بالتعاون مع مجلس الحى ومجلس القرية بتولى مهام مستشار السلطة المحلية، وهو الأفضل فى التعبير عن آمال شعب إجبيرا[1]"

باوتشى — فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٤، يستقيل يعقوب الثالث، أمير باوتشى من منصبه طالبا إحالته إلى التقاعد، وكانت استقالته مصحوبة بالبيان التالى. "أنا أفسح الطريق أمام من هم أصغر منى سنا". ولد الأمير يعقوب فى عام ١٨٨٨، وخدم فى السلطة المحلية فى باوتشى فى الفترة من ١٩١٣ إلى أن تم تعيينه أميرا فى عام ١٩٤١. وقد خلفه آدم جومبا Jumba، الذى كان يبلغ من العمر سبعة وأربعين عاما، وتلقى تعليمه الأولى فى مدرسة كوب Kobe الأولية، ثم عيِّن كاتبا لإحدى القرى فى عام ١٩٣٩. وفى عام ١٩٤١ أصبح الرجل معلما زراعيا، وفى عام ١٩٤٣ عيِّن الرجل مشرفا على الزراعة من قبل سلطة باوتشى المحلية. وفى عام ١٩٥٢ أصبح الرجل رئيسا لحى مدينة باوتشى، ثم عهد إليه بعد ذلك بالإشراف على شئون الحى وهو يحمل لقب وزير باوتشى. (واندلعت المظاهرات عند تولى هذا الرجل منصبه، ويوجه اللوم فى تلك المظاهرات إلى المرشحين الذين خاب ظنهم وحبطت آمالهم). وجرى تنصيب جمبا فى شهر مايو من عام ١٩٥٥.

إيجالا — فى شهر يونيو من عام ١٩٥٦، يتقاعد عطا Atta إيجالا طواعية واختيارا. ويجىء فى إعلان استقالته ما يلى: " قام عمر آم أوبينى Ame Obeni، عطا إيجالا، بإبلاغ صاحب السيادة محافظ إيجالا برغبته فى التقاعد طواعية واختيارا على أن تكون إقامته خارج مقاطعة كبًا. كانت علاقات العطا مع مجلسه وشعبه قد تدهورت عبر

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٨ يوليو من عام ١٩٥٤. ص ١ مقال بعنوان "عطا إجبيرا يستقيل من منصبه".

فترة من الزمن إلى الحد الذى جعل مجلسه يقرر بالإجماع أنه لم يعد يحظى بقبولهم له رئيسا لهم.(١)" ويجرى تعيين العطا الجديد، وهو الحاج على أوباج Obaje فى اليوم العشرين من شهر أكتوبر من عام ١٩٥٦ فى منصب رئيس من الطبقة الأولى. كان الرجل يعمل مدرسا فى برامج تدريب الكتبة فى كادونا. وتسبب تعيين هذا الرجل رئيسا فى إثارة الكثير من الجدل، بعض الناس يجادلون من منطلق أن لقب العطا ينبغى أن يكون مقصورا وحكرا على الأسر الحاكمة وبالتالى يتعين أن يكون من نصيب أوبالوا أجوشى Opaluwa Ogwuche. ويزعم اتحاد إيجالا "أن ذلك كان بمثابة اغتصاب للعرش". العناصر الشابة والأصغر سنا تعارض ذلك التعيين ظنا منها أن مسألة قصر ذلك اللقب على أسر بعينها قد عفا عليها الزمن، وينبغى التخلى عنها إلى ما هو أفضل، وبخاصة عندما يكون ذلك التعيين مبنيا على العلم والشباب.

أرجونجو فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٩، يقدم محمد سيشى، أمير أرجونجو استقالته، الأمر الذى يوحى بوجود صدع بين الأمير ومؤيديه، والمستشارين المحليين ورؤساء الإدارات. وجرى تشكيل لجنة تحرى، اشتملت على السيد م. ج بنيون (عميد معهد الإدارة، زاريا) بالإضافة إلى الأمير موساوا، أمير كاتسنا، وقاضى كنو، وقد توصلت اللجنة إلى الدلائل التى تثبت هذا الخطأ الإدارى. وفى شهر يناير من عام ١٩٦٠، يجرى تنصيب الأمير الجديد لأرجونجو، محمد ميرا Mera، ويحضر هذا التنصيب رئيس الوزراء.

تيف فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠، تحوم الشكوك حول السيد بنديجا أوكبادا نائب أمير تيف، ويجرى وقفه عن العمل بعد حل السلطة المحلية فى تيف، نظرا لعجز هذه السلطة عن منع العنف.

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٥٦، ص ١ مقال بعنوان "عطا إيجالا إلى التقاعد".

إذا ما نحينا جانبا مسألتى الولاية والعزل بالنسبة للزعماء التقليديين، نجد أن قضية الرئاسات الجديدة على مستوى البلدان والمدن بدأت تثير الكثير من المشكلات. فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٧، نجد أن مجلس الإدارة المحلية فى بلدة جوس Jos يستحدث منصبا جديدا للشيروما؛ والمجلس يعرف"الشيروما" بأنه "ولى العهد" بالنسبة للرئاسة فى جوس. ويحصل بطرس روانج بام Bitrus Rwang على "الشيروما"؛ وبطرس هذا هو الابن الأكبر لروانج بام رئيس جوس. بطرس بام هذا هو أيضا زعيم المعارضة فى الجمعية العمومية، وتربطه روابط قوية بحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد. ونجم عن ذلك حدوث أزمة سياسية مع باتريك دوكوترى، السكرتير الإدارى للسلطة المحلية فى جوس، الذى استقال وتسبب فى حدوث المزيد من الانقسام داخل مجتمع البيروم. ويحتج المجتمع الهوسوى على تعيين شيروما (ولى عهد) بمثل هذا الحماس.

دور المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فيما يتصل بعملية الولاية والعزل وخلق مناصب جديدة، دور صعب، بل ويصعب تحديده أو تصنيفه إلا على المستوى الشفوى فقط، والسبب فى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna على المستوى الرسمى، يلتزم التزاما صارما بالإجراءات الواردة والمحددة من قبل مجلس الرؤساء. ومع ذلك فإن الاتصالات غير الرسمية والنفوذ غير الرسمى تبدأ فى التزايد، كما يتزايد أيضا الاتجاه عام نحو تعيين الشباب الأصغر سنا، والذين تلقوا تعليما غربيا، أو من أولئك الرجال الذين تحالفوا مع المستشار السياسى الرئيسى Sardauna (أحمد بللو) بصورة أو بأخرى. هناك مشاركون كثيرون يصرون على أن المستشار السياسى الرئيسى لم يتدخل مطلقا فى عمليات الانتقاء التقليدية فى كل مجتمع من المجتمعات، نظرا لأن الرجل يكن احتراما كبيرا للتقاليد التى من هذا القبيل. بعض آخر من الناس يقولون: إن المستشار السياسى الرئيسى كان مسئولا مسئولية مباشرة عن بعض الوظائف الكبرى. المسألة الأدهى من ذلك تتمثل فيما إذا كانت مجالس الاختيار تستطيع أو لا تستطيع قراءة ذلك الذى يدور بخلد الرجل، ومدى قدرتها على إحداث تعيينات مقبولة أو غير مقبولة من المستشار السياسى الرئيسى، وذلك اعتمادا على توجهات مجالس الاختيار نفسها.

الواضح أنه لو كان للمستشار السياسى الرئيسى وطأ ثقيل فى تعامله مع هذه القضية فلربما خسر الرجل التأييد والمساندة التى كان يلقاها من الدوائر التقليدية والدوائر السياسية الحزبية.

هناك بعض الأمثلة التى توضح مدركات هذه المسألة، على مستوى الإمارات وعلى مستوى الرئاسات أيضا. وهنا يجب ألا يغيب عنا أن مشكلة الولاية لم تثر مطلقا فى برنو Borno. والسبب فى ذلك أن الشيخ الكبير لم يكن ناشطا فى الشئون الإقليمية بشكل خاص، بالإضافة إلى أن هذا المنصب كان يحظى بكثير من الاحترام إلى الحد الذى حدا بكادونا Kaduna إلى عدم التدخل فى شئونه. فى ذات الوقت، كانت إدارة برنو الفاعلة فى أيدى أولئك الذين يثق بهم المستشار السياسى الرئيسى: وقد تمثل ذلك فى بداية الأمر فى الوالى (محمد نجيلروما) الذى رقى إلى مرتبة الوزير، ثم بعد ذلك كاشين إبراهيم عندما أصبح وزيرا هو الآخر.

من بين الإمارات نجد أن هناك ثلاث حالات مهمة هى كنو، وزاريا، وأرجونجو. ومعروف أن تولى محمد السنوسى فى كنو يعزى مباشرة، فى أغلب الأحيان إلى المسئول السياسى الرئيسى Sardauna، نظرا لأنهما كانا صديقين حميمين وكانا حليفين سياسيين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وذلك على إثر الحادث الذى وقع فى زاريا فى عام ١٩٤٣. وفى ذات الوقت يحتمل أن محمد السنوسى كان أقوى المرشحين، ومسئولا عن إدارة الحى كلها، إضافة إلى أنه كان أكبر أبناء المرحوم الذى كان يشغل ذلك المنصب من قبل[١]. يتكون مجلس الاختيار فى كنو من الأصدقاء الحميمين والمؤيدين الأشداء لمحمد السنوسى، والذين تلقى السواد الأعظم منهم تعليمهم فى كلية كاتسنا، وهم أيضا من الحلفاء المقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى. خلاصة القول: أن المسرح كان معدًا على نحو لم يكن بحاجة إلى أى تدخل من جانب المستشار السياسى الرئيسى.

---

(١) شاعت أيضا أسماء مرشحين آخرين من بينهم وامباى wambai رئيس حى كورا (أبو بكر عثمان) الذى كان عمرة سبعة وسبعين عاما فى ذلك الوقت، وتفيدا رئيس حى رنجم (محمد عثمان) البالغ من العمر ثلاثة وخمسين عاما، وولد ايان Iyan رئيس حى بيشى (أمين بايرو)، وجلاديما رئيس حى دواكن كودو (محمد اينوا). والطراقى Turaki رئيس حى كيرو (هاشم عباس). ولمناقشة هذه العملية، راجع بادن، جون " الدين والثقافة السياسية فى كنو، بركلى. مطابع جامعة كاليفورنيا ١٩٧٣ الفصل ٦.

الحال فى زاريا كان ينطوى على كثير المشكلات نظرا لأن تولى الإمارة فيها كان يعتمد على الدور السائد بين عشائر كاتسنا؛ وعشائر الملاوا وعشائر الباريبارى وعشائر الصلوبة. والسيرة الذاتية لمحمد أمين تقول إنه كان هناك إجماع كبير على تعيينه[١].

على الرغم من أن جعفر كان من عشيرة الباريبارى Barebari، وبالرغم من أن أمين كان من عشيرة كاتسنا، إلا أنهما كانا صديقين حميمين وكان أمين هو الذى يقوم بالعمل نيابة عن جعفر فى نهاية المطاف. (يضاف إلى ذلك، أن أمين كان واحدًا من أغنى رؤساء الأحياء) ومع ذلك، وبالرغم من أن أمين كان من المقربين إلى أحمد بللو Sardauna، إلا أنه كان هناك أشخاص آخرون يتمتعون أيضا بالمنزلة نفسها، وكان من بينهم (نوح بامالّى) الذى كان يحــمل لقب Magajin Gari، والذى كان ينتمى إلى عشيرة ماليوا. هناك شىء من التاريخ الشفاهى الذى يؤيد زعم الإجماع فى مسألة الولاية، ولكن هناك بعض التقارير الأخرى التى تقول: إن مجلس الانتقاء يقدم بعض القوائم التى لا تشتمل على اسم محمد أمين، والتى أعادها المستشار السياسى الرئيسى إلى أن جرى تقديم قائمة فيها ثلاثة أسماء من بينهم اسم محمد أمين، وهو الذى جرى اختياره بالفعل. وليس هناك من شك فى أن محمد أمين هو وأحمد بللو كانت تربطهما علاقة وثيقة، نجمت عن الحادث الذى وقع فى زاريا فى عام ١٩٤٣، عندما كان محمد أمين رئيسا للمحكمة المختلطة. ونحن لا نفشى سرًا إذا ما قلنا إن المرحوم الأمير جعفر، كان فى خلاف مستمر مع أحمد بللو Sardauna، نظرا لأن العاصمة الجديدة كادونا كان يجرى اقتطاعها من أراضيه التقليدية. كانت إمارة زاريا مليئة بتداخل قوى كثيرة فيها، بما فى ذلك التنافس على السلالة النسبية، وبعض الخلافات القوية بين كل من المستشار السياسى الرئيسى وجعفر (وبين جعفر والسنوسى فى كنو). فى ظل مثل هذه الظروف لابد أن يكون تأثير أو نفوذ أحمد بللو، كان قويا جدًا فى مسألة تولى أمين كانو، الذى حدث بالفعل فى عام ١٩٥٩.

---

(١) ززّاو، إيان، زانجو، الحاج سيد، تاريخ أمير ززاو الحاج محمد أمين، زاريا، مؤسسة جريدة جاسكيا، حوالى عام ١٩٧٥، ص ١٨، ١٩، ٢٩.

الحال فى أرجونجو كان دقيقا جذا فى عام ١٩٥٩. السبب فى ذلك أن أرجونجو كانت من الناحية التاريخية منافسا لكل من جواندو وسكتو، فضلا عن أن أرجونجو تمثل العامل الهوساوى فى غربى مقاطعة سكتو. وهنا يصبح وجود مؤيد مخلص وموالٍ للمستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) أمرا فى غاية الأهمية. وربما كان تولى محمد ميره Mera[١] يحظى بترحيب المسئول السياسى الرئيسى، على الرغم من حرص أحمد بللو البالغ إزاء الشكل الذى يمكن أن يتبدى عليه ذلك الترحيب والتشجيع. ومحمد ميره، صغير السن، ومتعلم وكفء أيضا. إضافة إلى أنه عضو فاعل فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

---

(١) محمد ميره، فى ١٢ سبتمبر من عام ١٩٨٣. أرجونجو. التحق محمد ميره بالمدرسة الابتدائية فى أرجونجو، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة سكتو المتوسطة فى الوقت الذى كان فيه أحمد بللو مستشارا مسئولا عن التعليم. ثم التحق الرجل بعد ذلك بكلية كادونا. (كان أحمد بللو يحضر إلى المدرسة ويتحدث إلى الطلبة) وعاد الرجل إلى أرجونجو ودرّس فى المدرسة الابتدائية (التى كان الشيخ شاجارى ناظرا لها). ثم أصبح الرجل رئيسا لحى أرجونجو فى عام ١٩٥٣. وسافر الرجل إلى المملكة المتحدة فى الفترة من ١٩٥٤ – ١٩٥٥ لدراسة الإدارة. وفى عام ١٩٥٥ أصبح الرجل مستشارا للتعليم، فى الحكم المحلى فى أرجونجو، إلى أن رقى إلى رتبة الأمير فى عام ١٩٥٩. (وبدءا من عام ١٩٥٩ – ١٩٦٦ خدم الرجل فى مجلس الرؤساء) وقبل أن يصبح أميرا، كان سكرتيرا لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى أرجونجو، وافتتح فرعا للحزب فى أرجونجو. وسافر الرجل إلى زاريا للتشاور مع أبى بكر إمام فى عام ١٩٥١ على وجه التقريب، بشأن مسألة إنشاء تنظيم لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى منطقته.

محمد ميره يعزى إلى فئة "المفكرين من شباب المدرسين" المؤيدين والداعمين لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى مطلع أيامه أكثر منه إلى نموذج الإدارة المحلية السائد فى ذلك الوقت. والمؤكد أن محمد ميره تأثر بكل من الشيخ شاجارى وأبو بكر إمام. وعندما انتقل الرجل إلى العمل التنظيمى فى منطقة أرجونجو أتيحت له فرصة أن يكون بين المتعلمين. وهنا أصبح المتعلمون كلهم معنيين بالأمر وراحوا يعقدون اجتماعات دورية. كان التركيز ينصب بالدرجة الأولى على حماية شعبنا والحصول على فرص متساوية مثلما يحدث فى الجنوب. وبالرغم من وجود شاجارى فى أرجونجو، فى الفترة من ١٩٥١ – ١٩٥٢، إلا أنه لم يكن شخصا محليا، وعاد الرجل إلى سكتو ليفتتح المدرسة المتوسطة.

وعندما أصبح محمد ميره رئيس حى فى عام ١٩٥٣، تعين عليه الابتعاد عن السياسة. فى ذلك الوقت كان أمير أرجونجو (محمد سيشى) عمًا لمحمد ميره، ولكنه فى ذلك الوقت لم يكن قد أنهى سوى المدرسة الأولية. (كان الرجل يتكلم لغة الهوسا). ثم أصبح محمد ميره سكرتيرا غير رسمى لذلك الرجل وأصبح مسئولا عن أحياء أخرى. كان من عادة محمد ميره أن يرافق الأمير إلى كادونا حاملا له أوراقه، لكى يقرأ عليه هذه الأوراق ويناقشها معه. فى ذلك الوقت، قله قليلة من الأمراء فى كادونا هم الذين كانوا يفهمون معنى التشريع الحكومى. من هنا، كانت الجمعية العمومية تتناول المسائل الحكومية، أما مجلس الرؤساء فكان يتناول المسائل المحلية. كان الرؤساء المهمون فى مجلس الرؤساء فى ذلك الوقت يتمثلون فى طلاب الكلية السابقين، مثل أمراء جواندو، لاباى، وباد Bade، وباورى وأبوجا. وكان الانقسام الرئيسى بين الأمراء المتعلمين وغير المتعلمين. كان الأمراء المتعلمون يرأسون اللجان، أو كانوا يلعبون دورا رئيسا فى الجمعية العمومية. كما كانوا يشاركون فى أنشطة حكومية إضافية، ولم تعد المسألة محكومة بكبر الإمارة أو صغرها وإنما المهم هو التعليم. وقد اتضح أن ذلك كان لصالح الإمارات، ومن هنا اتجهت النية إلى تعيين أمراء متعلمين حتى يمكن أن تستفيد منهم مناطقهم.

ونقلا عن محمد ميره، فإن المستشار السياسى الرئيسى لم يكن يتورط شخصيا فى اختيار الحكام التقليديين. ومع ذلك كان صناع الملك التقليديين هم والسياسيين المحليين قد بلغوا من القوة حدا تمكنوا معه من تنصيب مرشحهم وممارسة القوة على المستوى الإقليمى، وعلى المستوى المحلى، تأكدا منهم أن مرشحهم قد جرى اختياره بالفعل. وكان بوسع رئيس الوزراء مساعدة أى مرشح إذا ما أراد ذلك. أناس آخرون كانوا يحاولون الوقوف على ما يدور فى ذهن المستشار السياسى الرئيسى حتى يعملوا على استرضائه. والمرشح الناجح هو الذى يحاول التقرب إلى رئيس الوزراء. المستشار السياسى، من جانبه، كان يحاول الوقوف على ما يدور بخلد الناس وحقيقة مشاعرهم على المستوى المحلى، ثم يحاول بعد ذلك السيطرة على اثنين أو ثلاثة من بين الشخصيات المؤثرة فى كل منطقة من المناطق. كانت خطة المستشار السياسى الرئيسى للسيطرة على الشمال والتحكم فيه، تقوم على تعرف الرأى العام والوقوف عليه. كان الرجل يؤيد واحدًا من الناس، لكن إذا ما تبين أن الرأى العام ليس فى جانب هذا الرجل، فإنه يحاول تجنبه أو تحاشيه، وهنا يبدأ الرجل فى ممارسة نفوذه. كان المفتاح يتمثل دوما فى أهل المكان، أو بالأحرى السكان المحليين الذين كانوا يترددون بصفة دائمة على منزله فى كادونا. كانت للمستشار السياسى الرئيسى قنواته الخاصة، التى تفضى إلى المسائل المحلية كلها، وكان بوسعه الاتصال بأى أحد من أصحاب النفوذ فى أية منطقة من المناطق. خلاصة القول، أن المستشار السياسى الرئيسى كان يجمع الناس الذين كانوا على معرفة كاملة بأحوال الشمال، ثم يقوم بطرح الأفكار وتمحيصها مع هؤلاء الناس. كانت لدى الرجل شبكة معلومات ولم يكن يعتمد على موظفى الحكومة وحدهم. وأى شخص عندما كان يقدم النصح للمستشار السياسى الرئيسى كان يعلم علم اليقين أنه يحصل أيضا على النصيحة من مصادر أخرى. كان المستشار السياسى الرئيسى يجرب طرح المعلومات على الناس. كان الرجل يأخذ الكثير من التوصيات "بعين اعتباره" أو بالأحرى، يضعها فى حسبانه. كان المستشار السياسى الرئيسى يحترم الرأى العام. ولم يكن يفعل أى شىء يمكن أن يغضب مشاعر الناس. وفيما يتعلق بتعيين حملة الألقاب التقليدية كان الرجل يصغى إلى الرأى العام. وإذا ما اكتشف أى شكل من أشكال التناقض، فقد كان يحاول اكتشاف موطن الخطأ[١].

---

(١) المرجع السابق

مسألة تحسس المستشار السياسى الرئيسى للرأى العام تتجلى أيضا فى تعامل الرجل مع الحزام الأوسط، حيث اختلاف الرأى أكبر بكثير مما فى الشمال، اعتمادا على السياسات الحزبية. وهذه هى مشكلة إجبيرا (التى حدثت فى عام ١٩٥٤) تواجه الرجل، وتدخل فى صلب مسألة تحسسه للرأى العام؛ ويتضح أن هذه المسألة غير واضحة تماما وأنها تختص بوجهات النظر والمواقف الاستعمارية المحلية، وقد انتهت هذه المسألة فى الفترة الانتقالية، التى سبقت الاستقلال(١).

فيما يتصل بكل من إيدوما Idoma ووكارى Wukari، وتيف Tiv نجد أن مسألة تولى الشباب للزعامة، وبخاصة العناصر التى تلقت تعليما غربيا، والذين يتعاطفون مع الوحدة الإقليمية، تعد حلقة مهمة ضمن حلقات الإستراتيجية التى ينفذها المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. ويدور جدل كبير حول السواد

---

(٢) مقابلة شخصية مع الدكتور ايه. أى. عطا فى ١ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى كادونا. (الدكتور عطا هو ابن عطا الذى قدم استقالته). نقلا عن الدكتور عطا فإن عشيرة إجبيرا لم يجر إيقاع الهزيمة بها بأيدى الفولانيين، ولكنهم يتبعون الإسلام، وهم مسلمون قلبا وقالبا، وهم دائما يتطلعون إلى سكتو باعتبارها المرشد الروحي. كان هناك ارتداد عن الأديان الأخرى والدخول فى الإسلام (مثلما حدث فى ليجوس وفى الغرب الأوسط) وكان الجميع يتطلعون إلى سكتو، إلى أن جاء أولوو Awolowo وقال لهم، "لا تتطلعوا إلى سكتو" وزاد البريطانيون سكتو قوة على قوتها. ومع مطلع الفترة البريطانية كانت العاصمة فى لوكوجا Lokoja. كان الإجبيرا فى ذلك المكان بلا أمير لهم. ولكنهم كانوا يتكونون من عشائر مختلفة. كان البريطانيون يودون رئيسا من الطبقة الأولى، وبحثوا هذا الموضوع واكتشفوا أن جد الدكتور عطا كان رجلا ذائع الصيت. لم يكن اللقب موروثا وإنما جرى الحصول عليه بطريق الاستحقاق. (ملاحظة: بعد استقالة والد الدكتور عطا، آل اللقب إلى ممن Mamman سانى، وهو من أسرة مختلفة، والرجل ما يزال فى منصبه. لم تكن هناك علاقة خاصة بين أحمد بللو Sardauna وممن سانى). كان والد الدكتور عطا أول مسلم (فى عام ١٩١٧). كان الرجل إداريا ممتازا، ومؤيدا شديد للتعليم الغربى. كان الرجل عنيدا أيضا وصعب المراس. وكان يمضى فى طريقه إذا ما اقتنع بصحة ما يدور بخلده. ونظرا لعلاقات الرجل الوثيقة مع بعض أمراء الشمال الآخرين. فقد راح يشجعهم على إرسال أبنائهم إلى المدرسة فى أشيموتا، فى غانا. وأصيب البريطانيون وأحسوا، فى ذلك الوقت، أن زيادة جرعة التعليم سوف تقصر من عمر الإمبراطورية البريطانية. حاولوا إقناع الدكتور عطا بعدم إرسال أبنائه إلى المدارس المتقدمة. كان البريطانيون متخوفين من النتائج. وجرى نصب شرك سياسى (أى تقدير خاطئ أو بالأحرى اتهامه باستعمال الأموال العامة لمنفعته الخاصة")، وهنا تقاعد الدكتور عطا فى لوكوجا إلى عام ١٩٦٤، وهو عام الذى لقى فيه ربه. قال أحمد بللو ذات يوم للدكتور عطا " الذى كان طبيبا خاصا له – إنه فحص ملفه ولم يجد ضده أية اتهامات. كل شىء كان غامضا. كل ما فى الأمر أنهم تسببوا فى حدوث مشكله فى منطقته وأن الرجل استقال من منصبه".
ملاحظة: بعض المصادر الأخرى تشير إلى أن البريطانيين كانوا قلقين جدا من استخدام شقيق الدكتور عطا، المدعو عبد العزيز، الذى سافر إلى الشرق بسبب المعارضة التى دارت بين رؤساء الشمال. ويقال أيضا إنه عندما جرى عزل عطا فى النهاية كان هناك حراك كبير ضده فى إجبيرا. نظرا لأنه خرج عن الحدود المحددة أو الموضوعة لمنصب الرئيس التقليدى.
للمزيد عن هذا الموضوع. راجع محمد أحمد ر. "انتشار الإسلام فى أبيرالند ١٩٠٠ – ١٩٦٠". مجلة دراسات كنويه Kano Studies السلسلة الجديدة، المجلد الثانى، العدد ٢ عام ١٩٨١، ص ٢٥ – ٥٢.

الأعظم من هذه الوظائف، نظرا للطابع التجزيئى للمجتمعات المحلية والتقسيمات الحزبية فى السياسة المحلية. وإذا كانت حركات تولى الزعامة التى تمت فى هذه المناطق الثلاثة فى خمسينيات القرن العشرين، لا تعد نتيجة مباشرة للتدخل من جانب المستشار السياسى الرئيسى، إلا أن نفوذ الرجل وتأثيره كان قويا جدًا. وأحمد بللو لم يحاول شغل هؤلاء الزعماء بالسياسة الحزبية بطريق مباشر، لأنه كان يريد لهؤلاء الزعماء أن يقفوا كما لو كانوا رموزا لمجتمعاتهم داخل إطار شمالى.

٥ - بوابات وروابط الاتصال بالزعماء التقليديين:

منظومة الاتصال غير الرسمية بين المستشار السياسى الرئيسى Sardauna والزعماء التقليديين فى الشمال عبارة عن خليط من الاتصال الشخصى (إما عن طريق الجولات، أو عن طريق منزل الرجل فى كادونا)، بالإضافة إلى ما يمكن أن نطلق عليه اسم "البوابات"، أو بالأحرى الشخصيات الرئيسية التى هى بمثابة سيور لنقل المعلومات والأفكار.

المستشار السياسى الرئيسى Sardauna له فى سكتو زملاء وبوسعه التحدث معهم فى سهولة ويسر. هؤلاء الزملاء هم:

١) المجاجن جارى على (وربما كان الرجل أهم هؤلاء الزملاء).

٢) المرافا أحمد، الذى تربطه بالمستشار السياسى علاقة خاصة.

٣) الوزير جنيد.

٤) إضافة إلى أناس فولانيين متباينين، على استعداد لأن يدووا لأحمد بللو أشياء على شكل نكات وطرف غاية فى الخطورة.

سكتو على سبيل المثال يذيع صيتها فى "التآمر فى المحاكم"، ومع ذلك فإن أهل سكتو يمكن أن يكونوا صرحاء بمعنى الكلمة. يضاف إلى ذلك أن جنيد الوزير إذا ما قال شيئا لأحمد بللو، فإنه لا يتجاهل هذا الشىء مطلقا.

وفيما يتصل ببرنو، فإن رأى الكثيرين من المشاركين يتمثل فى أن البرنيين الموجودين فى كادونا يسدون طريق الوصول إلى المستشار السياسى الرئيسى ويتأكدون من أنه لابد أن يعمل من خلالهم. والرجل يسمح بذلك. وبذلك فإن هؤلاء البرنيين يحظون بموافقة الرجل ودعمه لهم. (يستشعر البعض، فى بعض الأحيان، أن هذه العلاقة الفكاهية تتحول إلى أمر مقبول ومعتمد) كاشيم إبراهيم هو الشخصية الرئيسية، والآخرين كلهم يجيئون بعده. كلهم متفقون على أنهم هم الذين يتعين عليهم إدارة شئونهم الخاصة، وأن يبعدوا الأيادى الإقليمية بعيدا عن برنو. وبالإضافة إلى كاشيم إبراهيم هناك أيضا فى ليجوس زنا بوكار دبشاريما Zanna Bukar Dipcharima. (وليس لهذا الرجل مثيل فى كادونا) وهذا هو أبا حبيب يتجلى نفوذه وتأثيره على الصعيد السياسى. وفيما يتصل بمجد نجيلروما يقول المشاركون المقربون: "فى برنو، إذا ما أرادوا تحطيم أى إنسان فإنهم يحطمونه بحق".

فى الحزام الأوسط، نجد المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يحاول جاهدا إشراك الرؤساء إشراكا مباشرا فى كثير من الأشياء. أحمد بللو يهدف من وراء ذلك إلى جعل هؤلاء الرؤساء يحسون بالأمان والطمأنينة. معروف أن الثلاثى سكتو – برنو – كنو له تاريخ طويل. والرؤساء "جزء من هذا التاريخ الطويل". ينجح أحمد بللو فى الحزام الأوسط، بشكل عام، فى جعل الناس يتطلعون إلى كادونا. ومفتاح سياسة أحمد بللو فى الحزام الأوسط يتمثل فى العمل من خلال الرؤساء والحزب.

أحمد بللو يعلم أن الرؤساء والأمراء ليسا شيئا واحدا، ولكن جزءا من مهمة أحمد بللو يتمثل فى جعل هؤلاء الرؤساء يزدادون شمالية على شماليتهم. (ملاحظة: أحمد بللو لا يعد إيلورين أو بطا من الحزام الأوسط، ولكنهما جزء من خلافة سكتو) الرؤساء الرئيسيون فى الحزام الأوسط، من وجهة نظر المستشار الرئيسى هم:

١) يوشيدوما.

٢) عطا الإيجالى.

٣) آكو يوكا الوكارى.

٤) تورتيف.

٥) رئيس جوس.

٦) رئيس شندام (التى لها تاريخ طويل مع الرؤساء وذلك على العكس من جوس).

٧) عطا الإجبيرى.

والمستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) يحترم المنصب بغض النظر عن كون شاغله مسلم أو غير مسلم. ومع ذلك وعلى مستوى العلاقات من الجانب الإجتماعى، إذا ما حان موعد الصلاة أثناء انعقاد المجلس، فإن الأمر ينطوى على شيء من الحرج لأولئك الرؤساء الذين لا يؤدون الصلاة.

أحمد بللو Sardauna يعترف أنه لا يستطيع فعل أى شيء إزاء رئيس تيف (باعتباره غير مسلم وصاحب موقف سياسى شديد التأرجح). ومعروف أن عطا الإيجالى، وعطا الإجبيرى مسلمان. وفيما يتصل "بجوارى" Gwari نجد أن فيها عددا كبيرا من الرؤساء. البعض منهم يشبهون رؤساء القرى الصغار على مستوى الإمارات. (بعد ذلك بفترة قصيرة وفى مطلع ستينيات القرن العشرين. وبعد وفاة رئيس كوتا Kuta، نجد أن مجلس الانتقاء التقليدى يوصى باختيار رئيس منًا Minna، الحاج باهاجو، الذى هو مسلم بطبيعة الحال. هناك وظيفتان مستقلتان – كوتا ومنًا – ولكن الشخص الذى يشغلهما واحد. هذا يعنى أن الوظيفتين مرتبطتان بشخص واحد، الذى له وضع خاص عند أحمد بللو؛ ويتمثل ذلك الوضع الخاص، فى أن هذا الشخص هو "بوابة" أحمد بللو إلى أهل جوارى Gwari).

يحقق أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna نجاحا نسبيا فى علاقاته مع الزعماء التقليديين فى الحزام الأوسط، اللهم باستثناء تور تيف Tor Tiv. ويشيع بين أهل الشمال أن أهل إيدوما لهم موقف غريب بحكم قربهم من الإجباويين Igbos فى الإقليم الشرقى. فقد جرت مناوشات كثيرة على الحدود بسبب النزاع على الأراضى. وقد حدا ذلك بأهل إيدوما إلى التوحد تماما مع الشمال. وبهذه الطريقة نفسها استشعر أهل إيجالا وأهل إجبيرا الضغوط الواقعة عليهم من الجنوب مما جعلهم هم الآخرين يتوحدون تماما مع الشمال. يضاف إلى ذلك أن التوترات الماضية بين جوكن Juken (وكارى wukari) وتيف Tiv، وكذلك توحد وكارى wukari مع الشمال، ربما يكون كل ذلك قد أسهم فى زيادة استياء منطقة تيف من الشمال.

ينظر كثير من المشاركين إلى الفشل فى التفاهم مع منطقة تيف، والفشل أيضا فى استغلال التور تيف "كبوابة"، على أنهما لهما علاقة بموقف التيف Tiv الذى مفاده أن الشماليين كانوا يحاولون فرض الرياسة عليهم. يزاد على ذلك أن كثيرا من عشيرة التيف كانوا لا يحبذون فكرة وجود التور تيف بحد ذاتها. كان الناس يتصايحون ويشتكون من أن منظومات أجنبية يجرى فرضها عليهم. لم يكن أهل الشمال على علم أو دراية بموقف التيف قبل مجىء الأحزاب السياسية فى خمسينيات القرن العشرين، نظرا لأن هذا الموقف كان من تدبير البريطانيين ومن صنعهم. وما إن جرى إذاعة الفكرة التى مفادها أن منظومة السلطة المحلية (الحكم المحلى) جرى فرضها على الناس، حتى هب التيف فى كل مشارب الحياة، إلى الاعتراض على تلك المنظومة (وشارك فى ذلك الاعتراض أيضا كل موظفى الخدمة المدنية فى كادونا)، أكثر من ذلك أن هذا الإحساس وجد لنفسه متنفسا من خلال الأحزاب السياسية. ونظرا للطبيعة الإقليمية للأحزاب، ونظرا أيضا لحاجة الأحزاب فى الأماكن الأخرى إلى حلفاء، فقد غامرت تلك الأحزاب خارج نطاق أقاليمها بحثا عن التأييد والمساندة. وهذا بحد ذاته يزيد من حدة الخلاف ويؤججه.

خلاصة القول أن يوسف. إس. تاركا هو البوابة المؤدية إلى منطقة تيف، بالإضافة إلى أنه هو الذى يحتكر لنفسه إمكانية الوصول إلى التيف. ونقلا عن آدم سيروما Ciroma فإن تاركا فيه جاذبية شخصية. هذا يعنى أن الرجل كان يتسم بالبساطة ويسهل الوصول إليه. كان منزل تاركا مفتوحا للجميع (شأنه فى ذلك شأن أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna). هذا يعنى أن الناس كانوا يتجولون دخولا إلى ذلك البيت وخروجا منه. يضاف إلى ذلك أن غرفة نوم تاركا لم تكن خارج هذه الحدود. هذا الرجل كان ينفق كل ما لديه على البيرة وعلى المشروبات، وعلى المسليات التى تقدم للزائرين. هذا الموقف هو الذى كان يبرر تاركا أمام أعين الناس. (كان الآخرون يستغلون المصادر فى مصالحهم الشخصية) كل ما كان يتحصل عليه ذلك الرجل كان ينفقه على الناس. كان تاركا قد أبلغ آدم سيروما مؤخرا أن المستشار السياسى الرئيسى حاول إشراكه معه فى الفترة ما بين ١٩٥٩ –١٩٦٠. وترك تاركا لدى أحمد بللو انطباعا مفاده أنه سائر على الخط نفسه. وفجأة استدار الرجل واتجه صوب أولوو Awolowo[١].

طبيعة المجتمع التيفى فى القرن العشرين (باعتبارها مميزة عن تراثيا السابق الذى يعتمد على البلدان المسوَّرة وهرميات قيادة الحرب فى منطقة كاتسنا – العلا) بأنماطه السلطوية غير الهرمية، أو التى تقوم على المساواة، تحتم عدم وجود "رئيس" أو بالأحرى "حاكم تقليدى" فى هذه المنطقة. وبدلا من هذا "الرئيس" أو "الحاكم التقليدى" ينبرى "واحد من الناس"، هو يوسف. إس. تاركا، لتولى دور الناطق باسم الشعب أو الناس. هذه الحقيقة حيّرت أحمد بللو وأربكته، وبخاصة أن الرجل اعتاد على التعامل مع مجتمعات تقليدية أشد بنية من هذه المجتمعات. (ومسألة العلاقات التى كانت تربط أحمد بللو بشعوب جوارى، الذين يكونون المجتمع القطاعى الآخر فى الشمال، سيجرى تناولها فى مرحلة لاحقة، وبخاصة فى ضوء محاولة أحمد بللو، فى مطلع ستينيات القرن العشرين، شن حملة ارتداد دينيه فى تلك المنطقة، وذلك بتشجيع من "بوابته" الحاج باهاجو).

---

(١) مقابلة شخصية، فى ٢٦ نوفمبر من عام ١٩٨٤، كادونا.

هناك فئة أخرى من "البوابات" غير الرسمية، وذلك إذا ما نحينا الزعماء التقليديين جانبا، تتمثل فى أبناء وأقارب الزعماء التقليديين، والكثيرون من هؤلاء الأبناء إما ناشطين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أو فى مجال الخدمة المدنية. والزعماء التقليديون الذين يتعاونون مع أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يرجح لهم أن يجدوا أبناءهم وأقاربهم يحظون بالاهتمام فيما يتصل بالوظائف السياسية[١]. (فى ظل هذه الظروف كانت الخدمة المدنية ما تزال تحت سيطرة الموظفين البريطانيين، الذين يعملون من خلال لجنة الخدمة المدنية الصارمة التى تقوم على الجدارة والاستحقاق). من هنا، نجد فى كادونا نفسها أعضاء من السواد الأعظم فى الإمارات والرئاسات، وهؤلاء الأفراد هم الذين يسهلون عملية التواصل غير الرسمية بين أحمد بللو Sardauna والزعماء التقليديين. قسم لا بأس به من تلك "البوابات" الموجهة صوب كادونا، عادوا فى مرحلة لاحقة إلى مناصب فى الإمارات نفسها. (ويعد آدو بايرو Ado Bayero مثالا مهما على ذلك. وآدو بايرو هذا عضو فى الجمعية العمومية ولكنه استقال منها فى عام ١٩٥٧ ليتولى منصب رئيس الشرطة المحلية wakilin Dok فى كنو. وهو أيضا من الشباب المقربين إلى أحمد بللو Sardauna، وسوف يعين فى عام ١٩٦٣ أميرا لكنو).

---

(١) هناك قصة ذائعة. مفادها أن رئيس حى ماسكا (مقاطعة كاتسنا) هو الذى أنقذ حياة أحمد بللو فى منتصف خمسينيات القرن العشرين، أثناء مطاردة الحزب المعارض له، وإصرار المطاردين على اغتياله وسط حملة من الحملات السياسية. كان أحمد بللو قد احتمى بأمير ماسكا، الذى أداته بحمايته له من مطارديه. وفيما بعد، قام أحمد بللو بالمساعدة فى التقدم السياسى لولد أمير ماسكا (المدعو الشيخ عثمان) والذى تمكن بفضل هذه المساعدة، أن يكون وزيرا إقليميا، كما ساعده أحمد بللو أيضا فى تولى رئاسة حى ماسكا، تحت اسم أمير ماسكا. هذه الوظيفة المزدوجة لا تحدث لرؤساء الأحياء نظرا لأن الأحياء تحتاج إلى رؤساء يعملون طوال الوقت. ومع مثل هذا الحال تولى شقيق أمير ماسكا منصب رئيس الحى، ولكن أطلق عليه لقب آخر.

بعض الزعماء التقليديين لا يستسيغون فكرة أن أحمد بللو، بصفته المستشار السياسى الرئيسى، له سلطة عليهم. أمير ميورى Muri الحالى، وكذلك أمير جواندو المسن هما وأمير إيلورين يسببون لأحمد بللو، كثيرا من الضيق والشدائد. صحيح أيضا أن إتسو نوبى Etsu Nupe هو الآخر مشكلة، ولكن على مكمان Makaman بطا يعد بمثابة المنفذ أو البوابة فى موقف من هذا القبيل. (فى بطا، نجد أن العرش، ينتقل حسب التقاليد والأعراف، ثلاث أو أربع عائلات، وبالتالى يكون هناك متسع من الوقت وفرص سانحة للتآمر والكيد والدس. وقد سبق أن أتينا على ذكر موقف من هذا القبيل فى زاريا نفسها).

بعض التوترات مع الأمراء والرؤساء ترجع إلى مشاريع التنمية التى ينظرون إليها وكأنها تُطبق على مجالهم التقليدى. (وقد أتينا على ذكر الموقف الذى جعل من كادونا مجرد حى صغير من مقاطعة زاريا، ثم جرى بعد ذلك فصله عن زاريا). وفى إمارة ياورى Yauri، على سبيل المثال، وأثناء بناء سد كاينجى kainji، ترتب على ذلك أن غمرت المياه جزءا كبيرا من أراضى أمير ياورى. وهنا يقوم المستشار السياسى الرئيسى Sardauna (أحمد بللو) باقتطاع جزء من أراضى كونتاجورا ويعطيه لأمير ياورى.

هناك تغيير سريع يجرى فى الشمال، ويبدو أحمد بللو Sardauna وكأنه المحرك الرئيسى لهذا التغيير. على الجانب الآخر هناك أناس كثيرون يساندون ذلك التغيير ويؤيدونه، بل إنهم هم أنفسهم لهم دورهم وفاعليتهم فى هذا التغيير، أو اتخاذ الترتيبات اللازمة لجعل الأجيال الصغيرة من أسرهم ترتبط بذلك التغيير. خلاصة القول: أن الزعامة التقليدية تدخل أيضا ضمن طيف المشاعر المؤيدة للإصلاح والمشاعر المضادة لذلك الإصلاح، فضلا عن تدخل الزعامة التقليدية أيضا فى قيم "التحديث" والمشروعات.

تعد الثقافة السياسية للزعماء التقليديين جزءا من موروث المستشار السياسى الرئيسى. والرجل يفيد من تكتيكات (خطط) توازن المنافسات العرقية والتحالفات العرقية، و"البوابات"، و"نفى الأمراء"، وقوى التوازن، وقرابات المرح، والتهديد بالعزل، فى إدارة المواقف، فى الوقت الذى يعمل فيه فى ظل إطار قانونى صارم وإطار دستورى أيضا.

٦ـ الإصلاحات القضائية فى عام ١٩٥٩:

إدارة القضاء وتحقيق العدل واحدة من المهام الرئيسية المنوطة بها وحدات الإدارة المحلية، وذلك من خلال منظومة قانونية – سواء أكانت هذه المنظومة إسلامية أم "منظومة عرفية معتادة" – تستفيد من الزعماء التقليديين باعتبارهم محاكم لا يجوز الطعن فيها واستئناف أحكامها. وفى الفترة ما بين ١٩٥٥ و ١٩٦٠ نجد جهدًا كبيرا فى اتجاه "إصلاح" هذه البنى القضائية والمبادئ القضائية أيضًا. التطور المضطرد الذى طرأ على القوى القضائية فى الفترة ما بين عهد الاستعمار وعهد الاستقلال الذى تمثل فى الانتقال من مستوى الإمارة والرئاسة إلى المستوى المحلى والإقليمى، يعد معلما وجهدًا رئيسا فى اتجاه الإصلاح فى مجال البنى والمبادئ القضائية. هذا الإصلاح يتحول إلى نقطة خلاف وتصارع كبير، فى ستينيات القرن العشرين، بين الأمراء والحكومة الإقليمية، ولكن أسس هذه الإصلاحات كانت قد وضعت فى أواخر خمسينيات القرن العشرين.

فى عام ١٩٥٥ جرى بين "زعماء الفكر" المتعلمين من أهل الشمال نقاش حامى الوطيس حول أوضاع المحاكم الإسلامية فى شمالى نيجيريا. والذى أشعل جذوة ذلك الجدل هو المعلم إيه. كى. ميتيدن Metteden، الذى كان يحبذ أن يحذو شمالى نيجيريا حذو مصر ويلغى المحاكم الإسلامية، نظرا لانحياز هذه المحاكم وتعصبها المحافظ فى تفسير الشريعة الإسلامية، والحاجة إلى إيجاد طريقة جديدة للاستفادة من القرآن، عوضا عن الكتب القانونية التى من صنع البشر، وأن تكون هذه الطريقة الجديدة هى الأساس الذى يقوم عليه تطبيق العدالة. وهنا نجد أن الصدى السياسى لذلك النقاش يتضح فى الانتقاد الضمنى الصادر عن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، والذى يتضمن الصفح عن المنظومة القضائية الموروثة. وهنا نجد أن مصر كانت مثلا تقدميا ومضطردًا وكان النقاد يستشهدون به، بل إن هذا النموذج المصرى كان ينظر إليه على أنه يرتكز على أساس إسلامى أصيل بحكم موروثاته العربية والإسلامية.

يرد نوح بامالىّ على هذا القول بأن ما يصلح لمصر قد لا يصلح لشمالى نيجيريا، ويفند المزاعم التى تقول: إن مصر لديها رؤية للقيم الإسلامية أوضح وأنقى بكثير من الرؤية التى لدى شمالى نيجيريا عن هذه القيم. ويستطرد الرجل فى جدله قائلا: "الإسلام ليس مجرد دين وإنما هو أسلوب حياة... ونحن المسلمين، يتعين علينا التمسك ببعض جوانب الشريعة الإسلامية، وبخاصة تلك الجوانب التى تتعلق بالأشياء التى من قبيل الميراث، والزواج، والوفاة. ومن الخطأ أيضا اتهام منظومة الشريعة الإسلامية بالفساد، وهو ما يدينه القرآن بشدة. الفساد والفسق هما عرض من أعراض الانحلال الخلقى الذى يشيع فى كثير من دول العالم. وأنا لا أظن أن الشريعة الإسلامية بليت بفعل الزمن وأكل الزمن عليها وشرب. العدالة، والأمانة، والصلاح الخلقى كلها"(١).

وها هو عبد الرازق، محامى فى كادونا، ويرتبط ارتباطا وثيقا بحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، يرد على المقولة نفسها، من منطلق أسباب تتعلق بالضرورة، نظرا لأن النظام القضائى فى شمالى نيجيريا يتولى ٧٥ فى المائة من القضايا، وليس فى الشمال حاليا أناس فى المنظومة الإقليمية حتى يمكن أن يُستعملوا لسد هذا العجز، أو ردم هذه الفجوة، إذا ما ألغيت محاكم القضاة(٢).

---

(١) نوح بامالى، "لابد من بقاء المحاكم الإسلامية". جريدة "المواطن النيجيرى"، بتاريخ ٢٧ أكتوبر من عام ١٩٥٥، ص ٩.

(٢) عبد الرازق، "محام يقول: الشمال ليس على استعداد للاستغناء عن المحاكم الإسلامية"، المواطن النيجيرى، بتاريخ ١٠ نوفمبر من عام ١٩٥٥، ص ٨؛ استنادًا إلى ما يقوله عبد الرازق نجد أن:
أولا، دعونا نفترض ونرحب بقرار الحكومة المصرية إلغاء بعض المحاكم الشرعية. ولكنى أعارض الإقدام حاليا على مثل هذه الخطوة من قبل الحكومة الإقليمية فى الشمال.
إنشاء المحكمة العالية الإقليمية فى الشمال يواجه بالفعل فى الوقت الراهن بعض المصاعب فى مسألة توفير القضاة ورجال القضاء.
هناك ميزانية لحوالى ١١ قاضيا جزئيا، ٥ قضاة كليين – ومع ذلك لا يتوافر حاليا سوى ٣ قضاة كليين و ٥ قضاة جزئيين، بل إن اثنين من هؤلاء القضاة الجزئيين الخمسة معينان تعيينا مؤقتا. هيئة العاملين فى هذه المحكمة العالية ليس من بينهم أى أحد من الشمال، بل إن أحـــدا من أهل الشمال =

هناك بعض الشبان الشماليين، من أمثال على عقيل (الذى كان رفيق دراسة فى كلية باريوا فى الفترة من ١٩٤٢ – ١٩٤٥). يشارك فى هذا الجدل بأن يعلى من صوت القومية النيجيرية، ويرفض التقليد الأعمى لمصر أو الغرب.

= لا ينظرون له على امتداد السنوات الخمس القادمة أن يصبح حتى ولو مجرد قاض جزئى. الشىء نفسه ينطبق على الإدارة القانونية. المفروض أن يكون هناك ما لا يقل عن عشرة مستشارين ولكن الموجود حاليا أربعة مستشارين فقط – وليس من بينهم واحد من أهل الشمال. والذى لا شك فيه أن ما يزيد على ٧٥ فى المائة من قضايا الشمال يجرى البت فيها فى المحكمة الإسلامية؛ ومن ثم، إذا أضفنا هذا العدد، إلى الخمسة وعشرين بالمئة التى يجرى البت فيها بواسطة المحكمة العليا، فإننا سوف يتضح لنا " التعطيل القانونى بشكل خطير".

يترتب على ذلك أن الشخص المتهم الذى يختار الحكم العاجل، قد لا تجرى محاكمته إلا بعد ٩ أو ١٢ شهرا من توجيه الاتهام إليه. يضاف إلى ذلك أن القضايا المدنية قد يتأخر الفصل فيها مدة عام أو عامين. مسألة زيادة عدد القضاة أمر عديم النفع، وهذا هو الأمر نفسه بالنسبة للقضاة الجزئيين والقضاة الكليين. والسبب فى ذلك أن حكومة الشمال لا تستطيع الحصول على هذه النوعيات من القضاة بأعداد كافية للمحكمة العالية الصغيرة (أول درجة). ناهيك عن المحكمة العالية الموسعة التى يمكن أن تنتج عن إلغاء المحاكم الإسلامية. لكن كيف يمكن لنا الدفاع عن زيادة أعداد القضاة والمستشارين فى مواجهه سياسة الأشملة التى تتبعها حكومتنا؟

لقد ألغت مصر المحاكم الشرعية. وهى قادرة على فعل هذا فى الوقت الراهن. أما نحن فلا نستطيع ذلك. مصر ليس فيها سياسة تمصير نظرا لأن الخدمة المدنية فيها ممصرة بالفعل. مصر لديها كليات حقوق. كما أن لديها أيضا جامعات تقوم على تدريب المحامين الذين يجرى من بينهم اختيار بعض القضاة الكليين والقضاة الجزئيين. والمستشارين، أو نظرائهم. فى مصر مالا يقل عن ١٠٠٠ محام.

أنا لهذه الأسباب أجدنى أؤكد أن حكومة الشمال لا يمكن أن تقبل فى الوقت الراهن على إلغاء المحاكم الشرعية فى الإقليم؛ ولكنى أحبذ إلغاء هذه المحاكم فى أى وقت، يكون الشمال فيه طبقا للشروط سالفة الذكر، قادرا على هذه المحاكم الإسلامية.

أنا أوافق على أن الفساد، والرشوة، والظلم، وتدخل السياسيين والتنفيذيين (فى المناطق التى يحدث فيها ذلك) فى القضايا التى تدور فى المحاكم الإسلامية لابد من إلغائه ووقفه عند حده. وأنا أؤكد للقراء أننا إذا ما نحينا جانبا الضمانات المناسبة المكفولة لكل من المتهم والمعتدى عليه، والمتمثلة فى الحق فى الاستئناف أمام محكمة أخرى، فإن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يكون قد شرع فى إعداد الدواء الفعال الناجح لعلاج هذا السرطان الذى ينخر فى نظام إدارتنا الإسلامية.

وعلى عقيل يميز أيضا بين العملية القانونية، التى يمكن أن تحدث فى المجتمع، والتى يمكن تصحيحها والفساد القانونى نفسه. إصلاح العملية القانونية وحده، هو الرد على هذا كله، ولكن الثورة ليست هى الطريق إلى هذا الإصلاح(١).

أخيرا، ومن باب التنفيس عن النغمات الحزبية السياسية الخفيضة التى ينطوى عليها النقاش، ومن باب دعم فكرة الإصلاح، نجد أمين كانو يشارك فى هذا النقاش ونراه يسترعى الانتباه إلى الطابع الصاعد للشريعة الإسلامية، ويشير إلى معايير قبول الجماهير للمحاكم الإسلامية باعتبارها مسألة رئيسة فى إلغاء أو عدم

---

(١) على عقيل، رسالة إلى المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٤ نوفمبر من عام ١٩٥٥ ص ٩. يكتب على عقيل من لندن فيقول:

أنا معجب بصديقى الطيب المُعلِّم ميتدن Metteden وهو يتكلم كلاما صريحا ومباشرا فى موضوع حيوى ودقيق إلى هذا الحد. صحيح أن أية أمة أو شعب من الشعوب يتطلع إلى الدولة الحديثة لا يمكن أن يتجاهل مسألة الفساد فى إدارة القضاء.

ومع ذلك فأنا اشعر بالقرف والامتعاض عندما أتأمل ذلك الكلام الذى يقول: إن نيجيريا يتعين عليها أن تفعل شيئا ما لأن مصر قد فعلت هذا الشىء نفسه. هذا الكلام وهذا النوع من التفكير محظور اليوم فى الشئون النيجيرية. نحن فى كل الأحيان. قد نحب المحاكاة وقد نرفض ولكن ذلك يكون طبقا لشروطنا. قد يكون ذلك خطوة على الطريق الصحيح بالنسبة لمصر عندما قامت بإلغاء المحاكم الشرعية، لو أن تجاربهم ومنظومتهم التقليدية ثبتت عدم فاعليتها. لكن، وهذا مهم، أن التصرف يمكن أن يكون مبررا، لو أن العدالة أصبحت فى متناول أولئك الذين يطلبونها من المحاكم. ونحن عندما نقول إن أدوات العدالة فاسدة لا نقصد بذلك أن القانون نفسه هو الفاسد.

المنظومة الغربية – أو بالأحرى المنظومات الغربية؟ – لا تحتكر العدالة أو تفرض الاحتكار عليها.

أنا على ثقة أن كثيرين يشاركون المعلم ميتدن قلقه واستياءه من أى شىء يمكن أن ينشر الفساد، ولكن تسرع هذا الرجل وطريقته الساذجة فى الجدل، لا يخدمان قضيته.

الحل لا يتمثل فى التخريب، ولكن فى الإصلاح والتقويم. وأنا أقول التقويم والدعم. لأننا يجب أن نعترف أن الشريعة الإسلامية من نواحى كثيرة فيها شىء من عدم الكفاية. وليس فيها ما يتناول بعض التعقيدات فى العلاقات التى نجمت عن المجتمع الحديث.

نحن يجب أن نتطلع إلى تحقيق أشياء طيبة فى مؤسساتنا التى يمكن أن نتعامل معها ونتصل بها.

نصيحة أخيرة. طالما أن إلهامنا فى هذه الأيام الأخيرة يأتينا من الغرب، أى من بريطانيا. فهذا يحتم علينا اتباع طريق التقدم البريطانى، ولا نتبع نجاح الديكتاتوريات الثورية المهزوزة.

إلغاء هذه المحاكم. والرجل يؤكد للقراء أن الاتحاد التقدمي لعناصر الشمال لن يلغى المحاكم الإسلامية إذا ما وصل الأمر إلى حد استعمال القوة، وإنما سوف يركز الاتحاد على الفساد الموجود في النظام الحالي(١).

---

(١) أمين كانو. "الاتحاد التقدمي لعناصر الشمال لن يلغى المحاكم الشرعية - ولكن القضاة النائمون وما يدور بينهم يجب أن يستيقظوا جريدة المواطن النيجيرى، ١٠ نوفمبر ١٩٥٥، ص ٨. ونراه يوافق، من بين...، وعلى الرغم من أن مصادرنا الرئيسية تتمثل في القرآن والحديث إلا أن القضاة الأول تعين عليهم اتخاذ قرارات سريعة وجديدة في المواقع التي لم يتوفر فيها الحديث حتى يمكن الرجوع إليه. هذه القرارات السريعة الجديدة جرى اتخاذها نظرا لسرعة العرب في غزو البلاد الجديدة، وبخاصة أن تلك البلاد الجديدة كانت فيها حياة وفكر مختلف عن حياة وفكر بلاد العرب".

في تلك الظروف كان المحامون المسلمون يقترضون الكثير من القانون الروماني الذي وجدوه ساريا في كثير من البلدان التي فتحوها. من هنا استطاع المحامون الرومانيون مساعدة المحامين المسلمين مساعدة كبيرة في عصر بني أمية، ولم يحس الأمويون بالخجل أو الكسوف لطلب مساعدة أو عون من هذا القبيل.

هذا يتبين لنا في الحقيقة التي مفادها أن مصطلحات عربية عدة هي عبارة عن ترجمة أمينة من اللغة اللاتينية. خذ على سبيل المثال المصطلح العربي الدال على "فقه" fiqh، الذي هو مساو دقيق لكلمة Juris prudence التي تدل على "دراسة وفلسفة القانون ومبادئه"، خذ أيضا كلمه "فقيه" Faqi، التي معناها "محام" هي ترجمة للكلمة اللاتينية Jurisprudens؛ خذ أيضا كلمة "رأي" Ra"y التي هي مساوية لاستجابة القانون الروماني، بمعنى الرأي المأخوذ به والصادر عن محام متعلم، في شأن نقطة جديدة أو صعبة من نقاط القانون. وما يعرف في الشريعة الإسلامية، باسم "استخلاص" أو "استحسان" وما يعرف أيضا باسم "الاجتهاد" كل ذلك عبارة عن صورة أمينة للرأي الذي تتخذه المدارس القانونية المتشددة.

وحكومة مصر الحديثة عندما ألغت المحاكم الإسلامية. قصدت بذلك ما يسمى بالمحاكم الشرعية، هذه المحاكم الشرعية لم تكن كثيرة في مصر أو في النظام القضائي المصري، ولكنها قل شيوعها أو ذيوعها بين الناس وأصبحت من مسئولية الحكومة المصرية.

وأنا على يقين أن المعلم نوح باماللي، بالرغم من دفاعه المستميت عن سياسة حزب المؤتمر الشعبي الشمالي فيما يتصل بالمحاكم الوطنية التي في الإقليم، سوف لن يسمح لتلك المحاكم بالبقاء إذا ما رفض المتفاوضون في كل أنحاء البلاد اللجوء إلى هذه المحاكم. وهذا هو ما حدث في مصر بالضبط.=

كانت فكرة المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) لإصلاح محاكم القضاة، فى تلك الفترة، تتمثل فى تهيئة الفرص لتحديث تعليم شباب القضاة، دون أن يؤدى ذلك إلى إغفال العلاقة التى بين منظومة محكمة القاضى ومنظومة الحكم المحلى. ويستطيع أحمد بللو، من خلال معهد الإدارة فى زاريا، وضع برامج لصغار القضاة، يصل طول البرنامج منها إلى حوالى ستة أشهر، ويهيئ لهم الفرص للحصول على حوافز عن طريق الوعود بروانب أفضل لشباب القضاة. كان البرنامج أيضا. يجرى تدريسه باللغة الإنجليزية الأمر الذى أفضى إلى نوع من التواصل بين منظومة الحكم المحلى القانونية والمنظومة القانونية الإقليمية. وهنا نجد رئيس الوزراء يؤكد أن "الإدارة الجيدة لا يمكن الوصول إليها أو تحقيقها بدون عدل أو قانون"، بل إن رئيس الوزراء يترأس بنفسه (فى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٥) حفل تخريج المرشحين المهمين من أمثال المعلم عمر، والقاضى ليمو، والمعلم عمر بشير، ووكيل كنو، والمعلم سولو Sulu جمبارى، وإيلورين، والمعلم يوسف بلجور من إيلورين، وآخرين. ويواصل أحمد بللو سياسته العامة التى تركز على التعليم باعتباره مفتاح الإصلاح فى المنظومات التقليدية.

فى شهر يوليو من عام ١٩٥٧ بدأت بالفعل بدايات الإصلاح الهيكلى مع افتتاح محكمة الاستئناف الإسلامية التى تحال إليها قضايا الاستئناف المحولة من

= ونحن عندما نتكلم عن المحاكم الإسلامية وعن المحاكم الجزئية فى مصر، ماذا نعنى؟ هذه المحاكم يرأسها فى معظم الأحيان قضاة جزئيون مسلمون ويحضرها متقاضون مسلمون أيضا.

الشريعة الإسلامية ليست جامدة ولم يحدث أن كانت كذلك. والمجتمع الإسلامى تزداد حيويته مع تغير ظروف حياة الناس، وهو يفيد إفادة ممتازة من مبدأ "الاستحسان"، الذى كان أبو حنيفة أول من أيده وتبناه. إضافة إلى أن مبدأ الاستحسان يتفق تماما مع روح القرآن، ومع ممارسات النبى.

الجزء الأخير من مقال المعلم نوح، أكثر أهمية. كان الرجل يود أن يعرف إن كان الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال سوف يلغى المحاكم الإسلامية. إذا ما جاء ذلك الاتحاد إلى السلطة. الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال لن يقدم على ذلك باعتباره فرضا مفروضا. ولكنه سوف يحترم إرادة الجماهير فيما يتعلق بالمحاكم الحالية. ولكن هناك شىء واحد لابد من عمله: سوف يتعامل الاتحاد مع "الجرى فيما بين هذه المحاكم" والتردد عليها مرارا وتكرارا، وسوف يتعامل مع القضاة النائمين الناعسين ورؤساء المحاكم الذين شاخوا بسبب تقدم العمر.

محاكم الإمارات. وفى عام ١٩٥٨ يواصل أحمد بللو Sardauna عملية الإصلاح بتعيين مجموعة من رجال القضاء تقدم له النصح والمشورة فيما يتعلق بإعادة تنظيم المنظومة القانونية والقضائية. وقد أوصت تلك المجموعة الاستشارية بإدخال قانون الإجراءات الجنائية وأن يكون ذلك القانون مبنيا على القانون الجنائى السودانى الذى هو مماثل للقانون الجنائى الباكستانى. كما أوصت اللجنة الاستشارية أن يكون القانون الشرعى مقصورا فقط على الأحوال الشخصية والعلاقات الأسرية، والقضايا المدنية الأخرى، ولكن ينبغى توحيد القانون الجنائى فى منظومة واحدة. (القضايا المدنية يقصد بها هنا: مسائل الزواج والطلاق، والنسب، والوصاية، والهبات والعطايا، والوصايا، إذا كان الأمر يتعلق بالمسلمين) كما أوصت اللجنة الاستشارية أيضا بأن يتم التعامل مع القانون التجارى وقانون الشركات طبقا للوائح تشريعية. وأوصت اللجنة أيضا أن تكون محاكم القضاة والمحكمة العالية، وكذلك المحاكم الجزئية مرتبطة بتلك القوانين الجديدة. كما أوصت اللجنة أيضا أن يكون تأديب القضاة، وتعيينهم وإبعادهم عن أعمالهم، بواسطة السلطات المحلية، وأن يكون ذلك منوطا بالحكومة الإقليمية. كما أوصت اللجنة أيضا أن يكون القسم الاستئنافى فى المحاكم المحلية التابعة للمحكمة العليا، مكونا من ثلاثة قضاة، اثنان منهما قضاة فى المحكمة العليا، وأن يكون من بينهم قاض كبير، أو قاض من محكمة الاستئناف الشرعية. وأعيد تسمية محكمة الاستئناف الإسلامية وأطلق عليها أسم محكمة الاستئناف الشرعية. وتقرر أيضا إحالة أحكام الإعدام كلها التى تصدر عن محاكم الحكم المحلى، إلى محكمة الاستئناف على المستوى الإقليمى. كما أصدرت اللجنة أيضا توصيات فيما يتعلق بتدريب أهل الشمال، وأوصت أيضا أن يجتاز القضاة الإقليميون كلهم امتحانا فى اللغة المحلية[١].

---

(١) جرى تعيين هذه اللجنة من قبل الحكومة الإقليمية وهى مكونة من السيد محمد عبد الرنات (كبير قضاة السودان) (رئيسا). والقاضى محمد شريف (رئيس لجنة باكستان القانونية)، والأستاذ الدكتور جى. إن. دى أندرسون (من مدرسة الدراسات الإفريقية والشرقية فى لندن)، والمعلم شيما كاشيم (وزير برنو)، والسيد بطرس أشيموجو، والمعلم موسى (قاضى قضاة بطا Bida).

وفى شهر يوليو من عام ١٩٥٩، نشرت الحكومة الإقليمية لائحة تضم كل قوانين الإقليم، وأطلقت على هذه اللائحة اسم قانون العقوبات لعام ١٩٥٩. وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩، يجيز مجلس الرؤساء قانون العقوبات الجديد. وتثار بعض التساؤلات حول نقاط محددة فى تلك اللوائح القانونية، مثل المسائل المتعلقة بالسكر، ولكن مفهوم الإصلاح فى حد ذاته يصبح شيئا مسلما به، نظرا لدعم رئيس الوزراء وتأييده لذلك الإصلاح. خلاصة القول: إنه لا يجوز توجيه الاتهام الجنائى لأى إنسان بناء على قانون محلى أو عرف محلى، وأن يجرى تأمين القانون الشخصى للمسلمين، وتقرر أيضًا أن تكون فى كل مقاطعة محكمة محلية، ومحاكم تابعة للحكم المحلى، وأن يجرى التزام الدقة فى الإجراءات كلها. وسوف يكون لذلك كله تأثير كبير على الحكام التقليديين.

فى اليوم الأول من شهر أبريل من عام ١٩٦٠، تقوم الحكومة الإقليمية فى الشمال بتعيين أول قاضٍ كبير، هو الشيخ عواد محمد أحمد، الذى هو أصلا من السودان، ولكن الرجل كان يعمل فى شمالى نيجيريا منذ عام ١٩٤١، عندما جرى إلحاقه على مدرسة كنو القانونية. (وفى عام ١٩٤٧ جرى تطوير مدرسة القانون فى كنو لتصبح مدرسة للدراسات العربية، وفى عام ١٩٥٣ أصبح الشيخ عواد ناظرا لتلك المدرسة).

اعتبار من اليوم الثلاثين من شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠ يجرى بذل جهد كبير، وبخاصة أن ذلك التاريخ يصادف عشية الاستقلال، لوضع هذه الإصلاحات موضع التنفيذ. وهنا يجرى إرسال التعليمات (من الإدارة القانونية، فى الإقليم الشمالى، فى ولاية كادونا) إلى كل الممثلين المقيمين، لشرح وتفسير الإجراءات الجديدة[١]. استشعر بعض رجال القانون أن كثيرا من الجوانب التشريعية الإسلامية الصارمة ليست سارية بما فيه الكفاية، وبالتالى راحوا ينظرون إلى هذه الجوانب باعتبارها حلولا وسطا فى ضوء الواقع السياسى فى تلك الأيام. معروف أن رئيس الوزراء (أحمد بللو) يوازن بين القوى المختلفة، والرجل عندما يصادف إجماعا

---

(١) راجع أرشيف كادونا ص ١٩٩ المجلد الثانى، " قانون العقوبات فى شمالى نيجيريا ".

على أمر من الأمور، يوافق دائما على الإصلاحات التى تكون من هذا القبيل. وهنا نجد أن هاليرو بنجى Haliru Binji هو وأبو بكر جومى هما اثنان من بين رجال القانون الشماليين البارزين، وأنهما سيكونا مسئولين عن تنفيذ الإصلاحات ومراجعتها، كما نجد أيضا أن هذين الرجلين، وبخاصة بعد وقت قصير من الحصول على الاستقلال، يصبح واحد منهما نائبا لقاضى القضاة والثانى قاضيا للقضاة فى الإقليم الشمالى، ونجدهما أيضا من المستشارين ومن الثقات المقربين من أحمد بللو Sardauna وبخاصة فيما يتصل بأمور الشريعة الإسلامية. وكان لكل منهما رأيه الخاص فى الإصلاحات القانونية.

نقلا عن أبو بكر جومى، كان أحمد بللو يفضل تطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد[١]، ولكن كبير القضاة فى ذلك الوقت كان أوروبيا، ومن ثم جرى قصر نشاط

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٢ مارس من عام ١٩٤٨، فى كادونا. وُلد أبو بكر جومى فى بلدة جومى، فى ولاية سكتو وتعلم اللغة العربية على يد والده، الذى كان قاضيا فى جومى. سافر أبو بكر إلى دوجونداجى للالتحاق بالتعليم الابتدائى الأول والثانى ثم التحق بعد ذلك بمدرسة سكتو المتوسطة فى الفترة من ١٩٣٥ – ١٩٤٢. ثم التحق بعد ذلك بمدرسة القضاة فى سكتو مدة عام واحد. وفى عام ١٩٤٢ التحق الرجل بمدرسة القانون فى كنو مدة أربع سنوات (إلى عام ١٩٤٦). ثم عاد الرجل إلى سكتو ليعمل كاتبا فى مكتب القاضى الرئيسى. وفى عام ١٩٤٨، عاد الرجل إلى كنو ليقوم بالتدريس فى مدرسة كنو للدراسات العربية. وفى عام ١٩٤٩ عين الرجل فى مارو Maru (مقاطعة سكتو) لتدريس اللغة العربية. وفى عام ١٩٤٩ أيضا افتتح برنامج اللغة العربية فى مدرسة كنو للدراسات العربية وسافر أبو بكر إلى هناك ليقوم بتدريس مقرر اللغة العربية المتوسط الذى يستمر مدة عامين، وبقى الرجل هناك إلى عام ١٩٥٣. ومن عام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ سافر الرجل إلى السودان مدة عامين لحضور دورة مدتها عامين فى بخستر الروضة Bakh.ter –Ruda فى الدويم. وفى عام ١٩٥٥ سافر الرجل من الخرطوم لأداء فريضة الحج. وعلى الرغم من معرفة أبو بكر جومى لأحمد بللو عندما كان كبير المسئولين التنفيذيين فى سكتو – (أى عندما كان أحمد بللو رئيسا له) – إلا أنه لم تتوثق صلته بأحمد بللو إلا أثناء الحج فى عام ١٩٥٥. وفى عام ١٩٥٦ عاد أبو بكر إلى مدرسة الدراسات العربية فى كنو، ليعمل مدرسا، لطلبة المستوى الأول. وقد عرضت على كل من أبى بكر جومى وهاليرو بنجى وظيفة أرشيفى متدرب، ولكنهما رفضا قبول هذه الوظيفة. وواصل أبو بكر جومى عمله مدرسا فى كنو. وفى عام ١٩٥٧ كان أبو بكر من بين موظفى الحج (فى جدة) ضمن وفد الحكومة الفيدرالية لأشهر قلائل، وكان عمله يتمثل فى الماليات وكل الأنشطة المتعلقة بعملية الحج. (وقد أوصى أبو بكر بأن يكون هناك متدربا نيجيريا دائما للحج فى جدة، نظرا لعدم وجود علاقات بين السعودية وبريطانيا فى ذلك الوقت، بسبب أزمة قناة السويس. كان أحمد بللو Sardauna وأبو بكر تفاءلوا باليوا=

وعمل قاضى القضاة على الأحوال الشخصية الإسلامية، وكان الاستئناف يحال إلى محكمة استئناف الشريعة. فى القضايا الجنائية، يجلس قاض شرعى مع قضاة من المحكمة الأخرى. معروف أن الأمراء كانوا قضاة حقيقيين فى محاكم الدرجة الأولى. وقاضى القضاة هو الذى يزكى القضاة الجزئيين. والمستشار السياسى الرئيسى هو الذى جمع جماعة علماء القانون إلى بعضها البعض، وجماعة علماء القانون هذه هى التى زكت أو وضعت قانون العقوبات. هذا القانون جرى تطويره فى بداية الأمر فى الهند (الباكستان)، ثم بعد ذلك فى السودان، ثم جرى إحضاره بعد ذلك إلى نيجيريا. وقد قبل المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو وأبو بكر جومى هذا القانون من منطلق أنه مبنى على الشريعة الإسلامية. أحس كل من المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) هو وأبو بكر جومى أن الناس يمكن أن يتغيروا بصورة متدرجة. قبل الحصول على الاستقلال، كان الأمير هو السلطة المحلية الرئيسية. وجرى نزع كل السلطات المخولة للأمراء. وقد أدى ذلك إلى إثارة الناس على المسئول السياسى الرئيسى Sardauna. ظن الناس أن المستشار السياسى الرئيسى قد انتزع منهم سلطاتهم، وبالتالى بدءوا يكرهونه، على الرغم من أنهم كانوا على علم بمطامح الرجل فى أن يصبح سلطانا لسكتو Sokoto. من هنا نجد أن الإصلاحات القضائية كانت نقطة تحول فى العلاقات بين المستشار السياسى الرئيسى Sardauna والأمراء(١).

= يودان لأبى بكر جومى الذهاب إلى السعودية ولكن الرجل قال: "لا" لأنه كان يريد تعليم أبنائه. وعرض المسئول السياسى الرئيسى أن يقوم هو بتنشئة أولاده نيابة عنه.. وبالتالى يحصلون على التعليم المناسب). فى عام ١٩٦٠ عندما بدأ سريان عمل محكمة استئناف الشريعة. تقدم أبو بكر للعمل فى هذه المحكمة وأصبح نائبا لقاضى القضاة. ونقل الرجل إلى كادونا. وفى أكتوبر من عام ١٩٦٠ (فى ذلك الوقت كان هاليرو بنجى مفتشا للغة العربية فى كادونا). بعد ذلك بعامين (فى عام ١٩٦٢)، أصبح أبو بكر قاض للقضاة، بعد أن عاد قاضى القضاة عواد إلى السودان.

(١) المرجع السابق.

وهذا هو هاليرو بنجى يقدم لنا رأيه ومنظوره الخاص فى عملية الإصلاحات القانونية التى جرت فى عام ١٩٥٩ الميلادى[١]. مع الحصول على الاستقلال أحس القائمون على الأمر أنهم يتوجب عليهم أن يضعوا للإقليم الشمالى قانونا موحدًا، بحيث يكون ذلك القانون مقبولا من أولئك النيجيريين، الذين يتشكل السواد الأعظم منهم من المسلمين؛ وأن يكون ذلك القانون مقبولا أيضا من غير النيجيريين (الأوروبيين والآسيويين والغانيين.. إلخ). وبناء على ذلك، قامت حكومة شمالى نيجيريا بتشكيل وفدين لزيارة البلدان التى لها ثقافات مماثلة أو مشابهة لثقافة الإقليم الشمالى، وكانت الفكرة من وراء هذين الوفدين أن يعودا ويكتبا تقريرين عن الرحلة التى قاما بها. سافر الوفد الأول إلى السودان، وكان يضم بين أعضائه

---

(١) مقابلة شخصية، أجريت مع هاليرو بنجى فى اليوم العاشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٨٣ سكتو. ولد الرجل فى عام ١٩٢٢ فى قرية بنجى. والتحق الرجل بالمدرسة المتوسطة (فى الفترة من ١٩٣٦ – ١٩٤١) ثم التحق بمدرسة القضاة فى سكتو (فى ١٩٤١ – ١٩٤٢). ثم سافر الرجل إلى كنو (١٩٤٢ – ١٩٤٦) إلى مدرسة القانون فى المقاطعات الشمالية (ثم التحق فيما بعد بمدرسة الدراسات العربية). ودرّس الرجل فى تلك المدرسة الفترة من ١٩٤٦ – ١٩٤٧. ثم نقل بعد ذلك إلى كلية كادونا ١٩٤٧ – ١٩٤٩، وقام بتدريس اللغة العربية والدين الإسلامى فى تلك المدرسة. وسافر الرجل مع المدرسة إلى زاريا (المدرسة الحكومية الثانوية)، ودرّس فى تلك المدرسة الفترة من ١٩٤٩ – ١٩٥٢. ثم عاد الرجل إلى كنو ليتلقى دراسات تأهيلية يتخرج بعدها مدرسا. (متوسط ٦. والمستوى الثانى) وذلك فى الفترة ١٩٥٣ – ١٩٥٤. كان الرجل يدرس اللغة الإنجليزية، واللغة العربية، والدين الإسلامى. (ملاحظة: كان هاليرو بنجى مستشارا قانونيا قبل ذلك) وفى عام ١٩٥٤ – ٥٥ سافر الرجل إلى السودان مدة ثمانية عشر شهرا، إلى كلية مدينه بخستر الروضة، ليحصل على دبلوم فى طرق التدريس والتربية. وفى عام ١٩٥٦. عاد الرجل إلى زاريا ليعمل فى المدرسة الثانوية الحكومية، إلى شهر يناير من عام ١٩٦٠، حيث كان يدرس اللغة العربية، ولغة الهوسا لمستوى معين من الطلاب. وفى الفترة من ١٩٦٠ – ١٩٦١. كان منسقا للدراسات العربية، فى وزارة التربية والتعليم فى الإقليم الشمالى فى كادونا، وكان وثيق الصلة بالمستشار السياسى الرئيسى Sardauna. وفى عام ١٩٦٢ عاد الرجل إلى القضاء فى وظيفة مفتش على المحاكم المحلية الخاصة بالشريعة الإسلامية ولكنه لم يستمر طويلا فى هذه الوظيفة. وفى عام ١٩٦٢ أيضا كان قائما بعمل القاضى فى محكمة الشريعة الاستئنافية (كادونا) ثم أصبح نائبا لقاضى القضاة (١٩٦٢ – ١٩٧٦، بعد إنشاء الولايات التسع عشرة). واعتبارا من عام ١٩٧٦ (حتى الآن)، والرجل يعمل قاضيا للقضاة فى ولاية سكتو.

وزير سكتو، ووالى برنو (نجلروما). وسافر الوفد الثانى إلى ليبيا وباكستان، وكان يرأسه أمير لاباى Lapai الحالى، بالإضافة إلى أشيموجو Achimugu (وهو مسيحى من الحزام الأوسط، كان قاضيا فى واحدة من المحاكم المعتادة، ثم أصبح بعد ذلك، رئيسا لمحكمة المنطقة العالية)، بالإضافة إلى محمد سانى Sani (قاضى قضاة كنو، ثم انضم بعد ذلك إلى محكمة المنطقة العالية فى كنو). كان سام ريتشاردسون أمينا للوفد وأمينا ماليا فى ذات الوقت، كما كان هاليرو بنجى Haliru Binji جزءا من الوفد. التقى أعضاء الوفدين قضاة، ومحامين عامين، وأعضاء من نقابة المحامين، وبعض الزعماء الدينيين التقليديين. وطرحوا أسئلة عن الكتب والقوانين. وقدم كل وفد من الوفدين تقريرا مستقلا. ثم قدمت الحكومة التقريرين بعد ذلك إلى المسئولين القانونيين لدراسة التقريرين وصياغة قانون العقوبات. وأعدت بعد ذلك مسودة لقانون العقوبات، ثم عين رئيس الوزراء لجنة من كبار الزعماء الدينيين فى البلاد، بالإضافة إلى بعض السياسيين والمحامين – ولكن الغالبية كانت من الزعماء الدينيين – كى تقوم بتصفح المسودة (أى مشروع القانون) وتقديم مقترحاتها، حول ما إذا كان بالإمكان طباعة المشروع أم لا. (كانت اللجنة تضم عيسى كيتا، ووزير سكتو، وهاليرو بنجى، ووالى كاتسنا، محمد بللو). واعترضت اللجنة على أشياء كثيرة. ثم أعيد مشروع القانون من جديد إلى المحامين لإعادة صياغته. وأعيد إرسال المشروع من جديد إلى اللجنة نفسها ولكنها ردته من جديد. وأرسلت مسودة ثالثة، جرت الموافقة عليها فى نهاية المطاف[١].

وهذا هو هاليرو بنجى يناقش بعض المسائل القانونية التى دار حولها شىء من الجدل. قبل صدور القانون كان الزنا قضية مدنية، وليست جنائية. (هذه القضية جنائية فى الشريعة الإسلامية). ثم قالت اللجنة بعد ذلك، إن مسألة اعتبار الزنا قضية مدنية أو جنائية يعتمد على موقف الناس منها. (من هنا نجد قاضيا بريطانيا فى جوس يقول إن الزنا قضية مدنية، ولابد من دفع تعويض للزوج. وفى سكتو، يدخل الزانى السجن) واتفق الجميع على أن النصوص يمكن أن تختلف من شعب

---

(١) المرجع السابق.

إلى شعب، طالما أن ذلك يتعارض مع الدستور النيجيرى، وأن ذلك ليس فى مصلحة السلم والأمان. ولذا تقرر فى نهاية الأمر تجريم الزنا، فى كل أنواع المحاكم.

ونحن إذا ما نحينا جانبا المشكلات الموجودة نجد أنه كانت هناك أيضا مشكلات إجرائية. فقد صدر مرسوم البدء بعمل القانون الجنائى فى ذلك الوقت، وجرى التركيز فى ذلك القانون على العناصر الإجرائية، وجرى الحكم على ذلك القانون بأنه "غير إسلامى". ولكن الناس كانوا قد سئموا النقاش ولذا جرى تمرير القانون. ولم يقدم التقرير الإجرائى إلى الزعماء الدينيين للتعليق عليه. وعلى سبيل المثال، جرى اعتبار بعض الجرائم على أنها معادية للدولة وليس للأفراد. (فى الشريعة الإسلامية، تعد الجريمة ضد الفرد وأن الفرد هو الذى يستطيع التنازل عن الحق) وعلى ذلك، فى حال القتل، وإذا ما قتل والد أحد من الناس، فإن أبناء وبنات، وأقارب المقتول المقربين يكون من حقهم الصفح عن القاتل ولا يطالبون بقتله. وهم أيضا بوسعهم أن يفعلوا ذلك بعد تسلم "الدّية"، أو أن يكون ذلك عفوا وسماحا لوجه الله. قانون الإجراءات الجنائية يعطى الحكومة حق التمييز. ولكن لإرضاء المسلمين، وردت مادة فى قانون الإجراءات الجنائية مفادها أنه فى حال محاولة القتل بعد أن يصدر القاضى الحكم بالقصاص من القاتل، لابد من أن يسأل القاضى الأقارب عن رغباتهم ويسجل ذلك كتابة، وهل يريدون تنفيذ عقوبة الإعدام أم يريدون الصفح عن القاتل. وهذا يجرى تسجيله ولكنه لا يغير شيئا فى الحكم. وهذا الحق يستعمل عندما تحال القضية إلى لجنة العفو والرحمة، التى يمكن أن تنظر فى رغبات الأقارب إذا ما كانوا من المسلمين.

هاليرو بنجى يرى أيضا أن قضايا الانتقام أو الأخذ بالثأر، أمور غير إسلامية، نظرا لأن الشريعة الإسلامية تحتم أن الشهود العدول يجب أن يكونوا ذكورا وبالغين. فى قانون الإجراءات الجنائية يستطيع أى إنسان أن يدلى بشهادته أو أن يكون شاهدًا (هذا يعنى أن المرأة يمكن أن تكون شاهدة فى القتل وفى السرقة).

في قانون الإجراءات الجنائية يمكن أن يكون المجنى عليه مجرد شاهد فقط، وأن يكون المدعى ممثلا للحكومة. وعلى ذلك، إذا جرى اغتصاب واحدة من النساء، فإنها تعد شاهدة عند المحاكمة؛ ولكن في الشريعة الإسلامية تكون هي المدعية. في قانون الإجراءات الجنائية أيضا، لا يمكن للشاهد استئناف الحكم، وإنما المدعى هو الذي يستأنف الحكم. (وقد جرت العادة ألا تذهب الشرطة إلى ما هو أبعد من ذلك، ولكن المجنى عليه يزيد اهتمامه بهذا الأمر).

وفي رأى هاليرو بنجى أيضا أن الشريعة الإسلامية، تقول: إن شاهدين يلزمان (وليس شاهد واحد) لإثبات الاتهام، وفي بعض الأحيان، كما هو الحال في الزنا، يتحتم وجود أربعة شهود من الذكور. ولكن قانون الإجراءات الجنائية يسمح بأقل من ذلك. وهناك مثال آخر، في الشريعة الإسلامية يكفى اعتراف المتهم للحكم عليه، ولكن قانون الإجراءات الجنائية لا يعد الاعتراف كافيا. من هنا يمكن طبقا لقانون الإجراءات الجنائية أن تكون المحاكمة شكلية إذا لم يحكم القاضي الجزئي على المتهم بأكثر من ثلاثة أشهر[١].

سيجرى مراجعة المسائل القانونية الإسلامية في فترة ما بعد الاستقلال. وتتضح أهمية إصلاحات عام ١٩٥٩ لأنها بدأت نقل السلطات من مستوى الإمارات إلى المستوى الإقليمي، كما أن هذه الإصلاحات استبدأت عملية التفكير في إحداث نوع من التكامل بين المنظومات القانونية في الشمال النيجيري، سواء من حيث المحتوى والإجراءات. كان علماء الإسلام الذين شاركوا في هذه العملية الباكرة ينظرون إلى أحمد بللو Sardauna على أنه يحاول التيقن من أن الأعمال تتفق مع الإسلام، وبدأ ينظر إلى المستوى "الإقليمي" على أنه "يصطبغ أكثر بالصبغة الإسلامية"، وذلك على العكس من التشريعات القانونية في مجالات بعينها؛ وأن المستوى الإقليمي يختلف عن المنظومة القضائية الموروثة على المستوى المحلي، وبخاصة أن هذه المنظومة كانت تخلط بين الشريعة الإسلامية والأعراف والتقاليد المحلية. من هنا يعد أحمد بللو Sardauna مصلحا قانونيا من قبل العناصر

---

(١) المرجع السابق.

الحديثة التى تلقت وتعلمت تعليما غربيا، وذلك على الصعيدين السياسى والإسلامى. أسلوب أحمد بللو فى الإصلاح يعتمد على الشورى والإجماع من قبل العناصر المختلفة، بالإضافة إلى خلق المواقف التى يتمكن معها التعليم المتقدم من خلق كوادر بشرية قادرة على البت فى المشكلات مستقبلا.

٧. القيم التقليدية والزعامة:

كان لأحمد بللو طوال هذه الفترة دور ثنائى تمثل فى كونه زعيما إقليميا من ناحية، وكونه زعيما تقليديا من الناحية الأخرى. شرعية أحمد بللو بين الزعماء التقليديين ترجع إلى روابطه العائلية مع الشيخ عثمان بن فودى. هذه الشرعية هى التى تسمح لأحمد بللو بأن يبدأ فى عملية إصلاح المنظومات الإماراتية التقليدية والمنظومات الشياخية التقليدية. وهو عندما يفعل ذلك، يتحرك داخل مدار الرأى عام والتشاور مع الأحزاب كلها التى لها صلة بالأمر، وهو يستهدف بذلك كله تخفيف الضغوط التى يمكن أن تحدث فى المجتمع نتيجة الغلظة أو الفظاظة. ومع ذلك، فإن مفتاح التعامل مع الزعماء التقليديين، كما هو الحال فى التعامل مع الزعماء الآخرين فى الإطار السياسى الوطنى، هو السلطة. ومع مثل هذا الحال، يمكن القول أن السلطة السياسية أسفرت عن سلطات وزارية إقليمية التى تزداد بمعدل متزايد فى أواخر خمسينيات القرن العشرين، بل إنها تزايدت بمعدل أكبر من هذا المعدل فى ستينيات القرن العشرين. وبذلك يبدو أحمد بللو رجل أعمال أكثر منه رجل فلسفة. وترتب على ذلك، أن قدم الرجل نفسه للناس بشخصيته متعددة الجوانب، فهو "مُحَدِّث" modernizer، وهو أيضا "تقليدى"، دون أن تكون له خارطة أيدولوجية يهتدى بها. صحيح أنه ملتزم بالتغيير. ولكنه ملتزم أيضا بالمحافظة على أحلى ما فى الماضى.

استنادًا إلى ما قاله أحمد طالب[1]، نجد أن أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان يكن احترامًا كبيرًا للمؤسسات التقليدية. أحس الرجل أن الرؤساء فيما يتعلق بالمشكلات المهمة يجب أن يكون لهم رأى. وهو لم يقدم على إلغاء مجلس الرؤساء، ولكنه كان يود تحديث هذه المؤسسة وإدخال الديمقراطية عليها؛ هذا يعنى تعديل المؤسسات التقليدية كيما تناسب القيم الشمالية الجديدة. وكان المسئول السياسى الرئيسى يكن الاحترام للحكام غير المسلمين، كما عمل مع الكثيرين منهم بصورة وثيقة. كان أحمد بللو يود الاحتفاظ "بشمال واحد، ومصير واحد"، ومن ثم كانت صورته الذهنية لدى الجميع صورة وسطًا.

استنادا إلى ما قاله كاشيم إبراهيم[2]، فإن المسئول السياسى الرئيسى كان يحترم الأمراء والرؤساء، ومع ذلك أحدث التغيير شيئا فشيئا. كان أحمد بللو يريد للحكم المحلى أن يكون قويا وقائما على تقاليد وموروث عريق، ولكنه ينبغى أن يكون مسايرا لاحتياجات الأزمان. أصر الرجل أيضا على حتمية إدارة الحكم المحلى إدارة حسنة. كان المستشار السياسى الرئيسى مساندا دوما لعمليات التطهير، حتى وإن طال ذلك التطهير أصدقاءه الشخصيين، مثلما حدث مع والى برنو.

فى رأى آبا حبيب[3]، أن سلطات الحكم المحلى لا يمكن أن تظل بلا تغيير. إذا كان المسئول السياسى الرئيسى يساند التغيير ويسعى إليه، ولكنه كان يسعى إلى تغيير مناسب الطابع والطبيعة. لم يكن أحمد بللو ينظر إلى الحكم المحلى باعتباره مرزبة (مطرقة) تهوى على رءوس الفلاحين. كان الرجل يستشعر أن الحكم المحلى يحترم حقوق الأفراد، وأن الفرد وحده يمكن أن يصبح شيئا ما. (ابن الفلاح يمكن أن يصل إلى القمة) كان المسئول السياسى الرئيسى Sardauna يحترم حقوق الإنسان. كانت خطة الرجل تهدف من بين ما تهدف إليه، إلى المحافظة على بنى الحكم المحلى، مع تغيير مهامها. والرجل لم يتدخل تدخلا سافرا فى السياسة المحلية، ولكنه كان يترك ذلك التدخل ليكون من جانب أهل المنطقة أنفسهم.

---

(١) مقابلة شخصية أجريت فى اليوم الحادى والعشرين من شهر يوليو من عام ١٩٨٣ فى كادونا.

(٢) مقابلة شخصية، أجريت فى اليوم السابع من شهر أغسطس من عام ١٩٨٤ فى ميدوجورى.

(٣) مقابلة شخصية، أجريت فى اليوم الثامن من شهر أغسطس من عام ١٩٨٤ فى ميدوجورى.

يرى الشيخ شاجارى[1]، أن المسئول السياسى الرئيسى كان يحترم الزعماء التقليديين، ولكنه كان يحبذ الإصلاح والإصلاحات. وبعد عودة أحمد بللو من دورة الحكم المحلى التى حضرها فى المملكة المتحدة، راح الرجل يلقى بعض المحاضرات العامة ويتحدث فيها عن تنظيم الحكم المحلى فى المملكة المتحدة. كان الرجل يقول: "هذا هو النحو الذى يتعين علينا أن نسمح به فى نهاية الأمر للممثلين المنتخبين، ومع ذلك نجد مكانا للأمراء باعتبارهم رؤساء لوحدات الحكم المحلى". كان المسئول السياسى يسعى حثيثا إلى التحديث، ولكنه واجه شيئا من المعارضة من الأمراء والرؤساء التقليديين. ومع ذلك كان أحمد بللو عل قناعة بما يفعله، وأدخل الرجل "المجالس الخارجية" مستهدفا بذلك إضفاء الطابع الديمقراطى على المجالس. وحتى فى سكتو، وعندما كان أحمد بللو مستشارا مسئولا عن الأحياء، كان الناس يجرى تعيينهم وتسميتهم عن طريق الأحياء نفسها، وكان التعليم هو الفيصل. (كان الشيخ شاجارى، ناظر المدرسة المحلى، هو وأمين كانو، الذى كان فى ذلك الوقت ناظرا لمدرسة مارو Maru، عضوين فى المجلس).

فى رأى بعض آخر من الناس، وبخاصة الجيل الشاب من الشماليين صغار السن (الذين كانوا على اتصال وثيق بالمستشار السياسى الرئيسى)، أن أحمد بللو استشعر أن النظام القديم كان صالحا ومناسبا، ولكن عندما يعرف كل عضو من أعضاء هذا النظام، مكانه، وعندما لا يكون هناك استياء أو تذمر قادما من الأسفل. استشعر أحمد بللو أن انهيار ذلك النظام، سيؤدى إلى انهيار المجتمع بأكمله. هذا يعنى أن الأساس العضوى للمجتمع كان مهما عند أحمد بللو، ولذلك مضى الرجل فى التحديث دون أن يصيب الأساس العضوى للمجتمع بالتصدع أو الشروخ. الجميل حقا، أن المستشار السياسى الرئيسى عندما كان زعيما لأعمال الحكومة المالية والأعمالية، تولى بنفسه حقيبتين:

---

(١) مقابلة شخصية، أجريت فى اليوم السادس والعشرين من شهر ديسمبر من عام ١٩٨٣ فى أبوجا.

١) حقيبة الحكم المحلى، التى كانت تمثل التقليدى.

٢) وحقيبة الأشغال، التى كانت تمثل الحديث والكفء.

كانت نفس الرجل تتوق إلى الحقيبتين. (فى تلك الأيام، لم تكن الأشغال تحظى بالرضا نظرا لأسباب تتعلق بالمال، وإنما كانت تستهدف البناء) ولو كان منصب السلطان قد خلا فى ذلك الوقت لترك أحمد بللو كل شيء وعاد إلى سكتو ليتبوأ منصب السلطان، على الرغم من أن السلطان كان يخضع لإمرة الممثل (البريطانى) المقيم فى سكتو، من ناحية، وتحت إمرة وزير الحكم المحلى من الناحية الأخرى. كان المستشار السياسى الرئيسى قد رفع منصب السلطان ليصبح وزيرا بلا وزارة (وزير دولة). (وكان من عادة السلطان أبو بكر، فى ذلك الوقت أن يردد ويقول: "إن المستشار السياسى الرئيسى ينتظر إلى أن توافينى المنية"). ولو قدر لأحمد بللو أن يصبح سلطانا فلربما أصلح، "وحدَّث" منصبى المجاجن جارى Magajin Gari والوزيرى waziri (بقليل من الحفاوة) وأحدث حفاوة حقيقية فى أماكن أخرى. ولربما حاول الرجل تنصيب سلطان سكتو ليكون رئيسا لدولة نيجيريا، ولربما ارتكز الرجل فى ذلك على آلافين أويو Alafin Oyo، وعلى أونى إيفى Oni Ife، وعلى شيخ برنو بالإضافة إلى الزعماء التقليديين فى كل من أونيتشا Onitsha وبنين Benin. كان أحمد بللو يكن احتراما كبيرا لفكرة العاهل الدستورى، أى ملك إنجلترا. كما كان الرجل يكن احتراما كبيرا لملوك السعودية، والأردن، والمغرب.

المراقبون الآخرون الذين يركزون على أحمد بللو باعتباره زعيما مسلما يؤكدون على وعيه المتزايد للفارق بين "الإمبراطورية الفولانية"، والخلافة الإسلامية. هذا الفارق، أو بالأحرى هذه المفارقة سوف تتضح بصورة أكبر خلال فترة الاستقلال. هذا يعنى، أن إصلاحات المنظومة التقليدية ستكون مرتبطة بقاعدة إسلامية حديثة، والسبب فى ذلك أن المجتمعات النيجيرية الإسلامية آخذة فى التقارب أكثر وأكثر مع العالم الإسلامى الأرحب والأوسع وذلك اعتبارا من خمسينيات القرن العشرين (راجع الفصل التاسع).

الفصل السابع

الخدمة المدنية وجيل الشباب
الروابط المستقبلية

١ـ فترات من السيطرة الاستعمارية:

عملية إنهاء الاستعمار تعنى، من الناحية العملية، ليس مجرد نقل السلطة السياسية، وإنما نقل المناصب الإدارية فى نطاق الخدمات العامة الفيدرالية والإقليمية. قوة منظومة الإدارة المحلية فى الشمال، ومحدودية حصول أهل الشمال على اكتساب اللغة الإنجليزية والتعليم الغربى، كل ذلك أسفر عن قلة عدد العاملين الشماليين فى مجال الخدمة المدنية حسب ما ورد فى إحصائية عام ١٩٥٤. هناك جهود متباينة يجرى بذلها لتحفيز الشماليين وتشجيعهم على الانضمام إلى الخدمة المدنية. والمستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) يلعب دورا مهما فى هذا الصدد. الأصل فى سياسة الأشملة التى ينتهجها أحمد بللو المستشار السياسى Sardauna، هو التأكد من أن الموظفين البريطانيين الذين سيغادرون البلاد عما قريب، سوف يحل محل السواد الأعظم منهم رجال من أهل الشمال متعلمون وأكفاء ومخلصون. هذا يعنى أن الرجل يحاول أن يبدأ من لا شىء، ومن ثم فهو يتطلع إلى الشباب باعتباره الرصيد الذى يتعين عليه إقناعه بقبول الانخراط فى الوظائف المدنية وفى التعليم. وهو يحاول فى ذات الوقت تكوين فريق من الشماليين الذين سيساعدون فى الانتقال إلى الاستقلال فيما يتصل بالخدمات الإدارية، وبإمكاننا إيجاز التطورات الرئيسية فيما يلى.

يجرى الاتفاق فى المؤتمر الدستورى الذى عقد فى ليجوس فى شهر يناير من عام ١٩٥٤، على أن نيجيريا ستكون لها خدمات عامة إقليمية وفيدرالية. ويوافق المؤتمر أيضا على تقرير Report شيك Chick الخاص بالمسائل المالية المتعلقة بالدستور. كما يُقَسِّم المؤتمر أيضا احتياطيات مجالس التسويق الأربعة (الكاكاو، الفول السودانى، زيت النخيل والقطن) بين الأقاليم الثلاثة، وتحددت فى ذات الوقت ميزانية الإقليم الشمالى بحوالى ٨,٦٠٦,٧٣٥ جنيها إنجليزيا.

في شهر فبراير من عام ١٩٥٤ الميلادى يقدم كل من السير سيدنى فيلبسون phillipson وإس. أو. أبيدو Abedo تقريرا فى مائة وأربعة وعشرين صفحة عن نيجرة الخدمة المدنية. ويأخذ التقرير بعين اعتباره مسألة ندرة المؤهلين الشماليين، ورغبة زعماء الشمال فى الاحتفاظ بالمناصب مفتوحة أمام الشماليين إذا ما توفروا لشغل مثل هذه المناصب. وأوصت اللجنة بإعطاء الشماليين أولوية وأفضلية شغل الوظائف فى المستويين الأصغر والأكبر.

فى شهر فبراير من عام ١٩٥٤ يعلن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna أن معهد الإدارة، فى زاريا، سوف يقبل ١٨٠ طالبا، بدلا من ١٢٠، وأن برامج تدريب صغار الموظفين سوف تزداد.

وفى شهر أغسطس من عام ١٩٥٥، يقدم أحمد بللو كتاب الإقليم الشمالى الأبيض الذى يعلن فيه قبول تقرير Report جورسوش Gorsuch، الذى هو عبارة عن سلسلة من التوصيات الخاصة بشروط الخدمة (بما فى ذلك التعويضات) فى الخدمة العامة. يقول أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna.

> **إذا ما نحينا جانبا مسألة التعويضات - البدلات والمرتبات - نجد أننا كنا معنيين بتلك الأجزاء من التقرير التى تشتمل على توصيات بالفرص التى سوف تتهيأ للمواطن الشمالى وتجعله يرتقى سلم التدرج من الوظائف الدنيا إلى أعلى المناصب. ونحن، من ناحية، يتعين علينا التأكد من وصول الشماليين إلى المستويات الكفائية المطلوبة لشغل وظائف الخدمة العامة؛ ومن الناحية الأخرى، يجب ألا يغيب عنا هدف أشملة وظائف الخدمة العامة فى الإقليم الشمالى[١].**

---

(١) المواطن النيجيرى، بتاريخ ١١ أغسطس من عام ١٩٥٥، ص ١ "المجلس الشمالى يناقش تقرير جورسوش".

في عام ١٩٥٦، يعقد اتحاد الخدمة المدنية الشمالى اجتماعه السنوى الأول، ويعرب الاتحاد عن قلقه إزاء التقدم البطىء لعملية الأشملة. ويطالب الاتحاد بأشملة لجنة الخدمة العامة، ويحدد الاتحاد بصورة قاطعة عدد الوظائف الخالية فى الإدارات المختلفة، ويحث على شغل هذه الوظائف بواسطة الشماليين وعلى وجه السرعة. كما يطالب الاتحاد من خلال المؤتمر بالأشملة الكاملة لمجلس المنح الدراسية، كما يطالب أيضا بأشملة هيئة التنمية الإقليمية الشمالية. الخلاصة هى أن اتحاد الخدمة المدنية الشمالى أصبح يشكل جماعة ضغط إقليمية تسعى إلى أشملة كل جوانب الخدمة العامة.

فى عام ١٩٥٦ تصبح الأولوية لإسكان الخدمة المدنية فى كادونا، وبخاصة الإسكان المقام على الطراز الإسلامى. فى ذات الوقت، نجد أن العجز فى عدد المتقدمين من الشمال لملء الشواغر يعنى أن الجنوبيين من جميع المجالات كانوا ينجذبون إلى كادونا، على مختلف المستويات. وهنا تبدأ كادونا فى الكبر والزيادة شيئا فشيئا.

فى شهر يونيو من عام ١٩٥٦ يعين أحمد كوماسى Coomassie فى منصب رئيس تعليم الكبار، وبذلك يرتفع إجمالى عدد الأفارقة فى المستوى الحكومى العالى (أى المجموعة السابعة فما فوقها) إلى أربعة أفراد فى الإقليم الشمالى. (أما الثلاثة الآخرون فهم الدكتور دمكو، والمعلم عمر جواندو، والسيد أولاجيد Olajide) هناك أيضا ثلاثة وسبعون شماليا آخرون يشغلون مستويات أخرى فى وظائف كبيرة فى الإقليم الشمالى. وهناك مائتا شمالى يجرى السماح لهم بالالتحاق بمدارس إعداد موظفى الأعمال الكتابية، ليمضوا فيها عامين فى برنامج تأهيلى. وبعد ذلك بفترة قصيرة يجرى اختيار ستة من الشماليين لتدريبهم على شغل وظائف نواب رؤساء الأحياء، وكان من بينهم أحمد جوبر ونوح محمد اللذان جرى إيفادهما لحضور برنامج "ديفنشاير" فى المملكة المتحدة. (يضاف إلى ذلك أن محمد ديكو يوسف، القائم بأعمال السكرتير الخاص لوزير الأشغال، جرى إرساله هو الآخر إلى ديفنشاير Devonshire لحضور البرنامج نفسه).

بحلول عام ١٩٥٧ كان خمسمائة من أهل الشمال قد جرى تعيينهم فى الخدمات العامة فى الإقليم، ومع ذلك كانت نسبة الشماليين إلى غير الشماليين ما تزال صغيرة. كانت المجالات الزراعية، والغابات، والطرق وكذلك التعاونيات، والمبانى، والصحة، والإسكان، والرفاه الاجتماعى، والصناعة، والطب البيطرى، كل ذلك كان ما يزال بحاجة إلى الأشملة. ويجرى تعيين الحاج سعد الأنام سكرتيرا للتوظيف فى لجنة الخدمة العامة، وبالتالى يتصرف الرجل بصفته ممثلا خاصا للمستشار السياسى الرئيسى ليعمل على تشجيع توظيف الشماليين[1]. ويعلن سعد الأنام عن وجود ٢٠٠٠ وظيفة شاغرة فى مختلف إدارات الخدمة المدنية فى الإقليم الشمالى، وأن تلك الوظائف للفنيين وموظفى "الياقات البيضاء"، وأن كل هذه الوظائف محجوزة للشماليين. ويصرح الرجل أن الحكومة الإقليمية لا تنوى "سرقة" هيئة العاملين من الإدارة المحلية، ويبدأ الرجل يتجول فى المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية ليذيع هذه الأنباء على المتخرجين من هذه المدارس.

فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٧، تلغى حكومة الشمال وظيفة مديرى الإدارات، وتستبدلهم "بمستشارين". وهذا بحد ذاته جزء من نظام التكامل الجديد بين الإدارات المختلفة فى الوزارات التى ترأسها على بطا. خلاصة القول أن مديرى الإدارات لم تعد لهم سلطات تنفيذية، نظرا لأن هذه السلطات تولاها الوزراء النيجيريون. هذا يعنى أن "المستشار" سوف يعمل من خلال السكرتيرين الدائمين ورؤساء الأقسام، وبذلك يصبح السكرتير الدائم هو المسئول التنفيذى الرئيسى مع الوزير.

---

(١) كان سعد الأنام أمينا للحكومة المحلية فى إيلورين. ويبلغ الرجل من العمر أربعة وأربعين عاما، وتعلم الرجل فى كلية كاتسنا. وعين كاتب أول فى السلطة المدنية فى إيلورين فى عام ١٩٣٣ ثم أصبح أمينا للحكومة المحلية فى عام ١٩٥٤. زار الرجل المملكة المتحدة فى عام ١٩٤٨ وفى عام ١٩٥٣. وكان عضوا فى الجمعية العمومية الشمالية فى الفترة من ١٩٥٢ – ١٩٥٦. (راجع الفصل العاشر للحصول على المزيد من التفاصيل).

في عام ١٩٥٨ يجرى إعداد ورقة بيضاء عن الحكم الذاتى، ويؤكد المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) للموظفين المغتربين أنهم لن يجبروا على ترك الإقليم الشمالى أو التخلى عن وظائفهم. ويناشد الرجل المهندسين بصفة خاصة، ويحدد وزارة الأشغال على أنها المفتاح إلى خدمة الإقليم. فى هذا الوقت نفسه، أو بالأحرى فى شهر يوليو من عام ١٩٥٨، تتخرج أول مجموعة مكونة من أربعة عشر فردا من أهل الشمال، من معهد الإدارة فى زاريا بعد أن أنهت مقرر التدريب على الخدمات الإدارية. وهذا هو المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) يتحدث إلى هذه الجماعة فيقول:

> **أنتم ستنضمون إلى مصلحة تخدم الآخرين بصورة دائمة ولابد أن تستمر فى تقديم هذه الخدمة. الناس الذين سوف تعملون بينهم، ينبغى أن يكون رفاههم، وازدهارهم ومشكلاتهم شغلكم الشاغل؛ أما مشكلاتكم أنتم فيجب أن تجىء فى المقام الثانى.. هذا اليوم مهم جدًا، بل هو أهم الأيام فى حيواتنا جميعا - فى حياتكم، وفى حياتى، وفى حياة إقليمنا - هذا اليوم يشكل بداية لما آمل أن يصبح مناسبة سنوية أى بداية انسياب الشماليين فى شرايين وأوردة الخدمات الإدارية.... نحن نسير بثقة حاليا على الطريق الذى اخترنا السير فيه طريق بناء خدمة إدارية شمالية يقوم على أمرها الشماليون. إحساسكم الرئيسى يجب أن يكون إحساسا بالفخر الفخر بأنكم تنضمون إلى خدمة فيها الكثير من المنجزات المُشَرِّفَة، الفخر بأنكم من بين أوائل الشماليين الذين انضموا إلى هذه الخدمة. الخدمة الإدارية كانت، وما تزال العمود الفقرى لهذا البلد؛ الإطاحة بهذه الخدمة الإدارية فى أى وقت من الأوقات هى بمثابة الموت خنقا أو شنقا، وبدون الخدمة الإدارية سينهار البناء بكامله[1].**

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ٩ يوليو، ص ٦ المستشار السياسى الرئيسى يركز على الخدمات الإدارية".

في شهر أغسطس من عام ١٩٥٨ الميلادى تعلن وزارة المالية أن التسعمائة موظف المغتربين الذين هم حاليا في الخدمات في الإقليم الشمالي، إذا ما استقالوا وتقاعدوا من وظائفهم في اليوم الخامس عشر من شهر مارس من عام ١٩٥٩، مع الحصول على الحكم الذاتي، فإن ذلك سوف يكلف حكومة الشمال الإقليمية مبلغ يقدر بحوالي ٥٠٠,٠٠٠ جنيه إنجليزى تعويضات ومكافآت لأولئك الموظفين، (هذا يعنى أن مبلغ التعويض الإجمالي المحدد لكل موظف من كبار الموظفين المغتربين سيكون في حدود ٩٠٠٠ جنيه إنجليزى) والحكومة لا تشجع على تقاعد أمثال هؤلاء الموظفين على الرغم من أن الكثيرين منهم كانوا عاقدين العزم على التقاعد من وظائفهم. كان هناك حوالي ٤٠٠ وظيفة شاغرة من المناصب الكبيرة وحوالي ٣٠٠ وظيفة من المستوى المتوسط في القطاع التنفيذى والمستويات المماثلة له. (جرى الاتفاق على الخطوط الرئيسية لمشروع المبلغ الإجمالي المقطوع لتلك المكافآت في مؤتمر لندن الذى انعقد في عام ١٩٥٧) ويعلن المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) أنه ليست هناك نية للاستغناء عن خدمات الجنوبيين في الوقت الراهن أو حتى في المستقبل، ويبدى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna ملاحظة مفادها أن هناك ما يقرب من ٢٠٠٠ من الجنوبيين يعملون في وظائف ثابتة في الخدمة المدنية في الإقليم الشمالي. ويؤكد المستشار السياسى الرئيسى طوال هذه الفترة على أن الأشملة تؤثر على عملية التوظيف وليس على الموظفين. وفي الوقت الذى كان أحمد بللو Sardauna يركز فيه على التزامه بحماية مصالح المغتربين والجنوبيين الذين كانوا يعملون في الخدمة الإقليمية في الشمال، راح الرجل أيضا يحذر هؤلاء المغتربين ويؤكد على "احترام العادات والتقاليد وأسلوب معيشة الشماليين، والسبب في ذلك حسبما يقول المثل العامى "عندما تكون في روما، افعل ذلك الذى يفعله الرومان"[١]".

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ٧ يناير من عام ١٩٥٩. ص ١ "الشمال سيقسو على الخونة من الناس".

فى شهر يناير من عام ١٩٥٩ يتحدث المستشار السياسى الرئيسى أيضا إلى المجلس الوطنى للمؤسسات ويؤكد الرجل على أن كل إقليم من أقاليم الاتحاد يعيش مرحلة من النمو والتطور مختلفة عن الإقليمين الآخرين، وبالتالى يتعين على كل إقليم من الأقاليم اتباع السياسة التى تصلح له فى هذه المرحلة. وفى المؤتمر الذى عقده اتحاد الخدمة المدنية الشمالى فى شهر مارس، على عدم استعداد الشمال لخفض مستوى الخدمة المدنية لمجرد استيعاب الشماليين فى الوظائف.

وطوال هذه الفترة، أى فى عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ يواصل رئيس الوزراء جولاته على الوزارات المختلفة والإدارات الحكومية المختلفة للتفتيش على الأعمال التى يقوم بها الموظفون المدنيون، ولكى يقف بنفسه على معدل الأشملة. ويقول الرجل. إنه إذا فاز حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى انتخابات عام ١٩٥٩ سوف يتأكد بنفسه من أن الشماليين فى الخدمة العامة الفيدرالية يتناسبون مع عدد السكان فى البلاد. (فى ذلك الوقت لم يكن عدد الشماليين فى الخدمات الفيدرالية يزيد على نسبة واحد فى المئة فقط).

فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠ الميلادى. عشية الاستقلال، كان السواد الأعظم من وزارات الشمال قد استقرت من حيث برامج التدريب على الخدمة المدنية. وكانت تلك الوزارات على النحو التالى:

١) وزارة **الحكم المحلى (معهد الإدارة)**: برنامج التدريب على الخدمات الإدارية. وبرنامج التدريب القانونى، وبرنامج التدريب على الأعمال الكتابية، برامج التعاونيات والاختزال.

٢) **وزارة الزراعة**: برنامج الموظفين الفنيين المساعدين (فى مجالى الميكانيكا والهندسة)، المفتشون المساعدون فى الأشغال (المبانى)، وسائقى السيارات.

في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠ أيضا، تعد لجنة الخدمة العامة، التي أصبح أبو بكر إمام عضوا دائما من أعضائها، تقريرا عن أحوال الإقليم الشمالي، ونلاحظ أنه في أواخر عام ١٩٥٩، كان هناك ٢٧٥ من الشماليين يشغلون مناصب كانت قبل عام ١٩٥٥ مشغولة بواسطة "المغتربين". واقع الأمر أن تسعة وتسعين من الشماليين كانوا قد عينوا في وظائف من هذا القبيل في عام ١٩٥٩. في الوقت ذاته، كان عدد الوظائف الشاغرة في نهاية عام ١٩٥٩ على النحو التالي:

١) عدد الوظائف الإدارية والفنية الشاغرة: ٤٦٥ وظيفة.

٢) عدد الوظائف التنفيذية: ١٣٤ وظيفة.

٣) الوظائف الفنية العالية: ٢٩٩ وظيفة.

٤) الوظائف الكتابية: ١٣٧٥ وظيفة[١].

على الرغم من حدوث تقدم كبير في عملية تدريب الشماليين على مناصب ووظائف الخدمة المدنية، إلا أن ثمار هذا التدريب لم تبدأ في الظهور إلا بعد الاستقلال. ويتحتم في تلك الفترة المحافظة على استمرار أداء تلك الخدمات، انتظارا لأن تضخ برامج التدريب دما جديدا في شرايين المنظومة. ونجد المستشار السياسي الرئيسي Sardauna يركز تركيزا كبيرا على الشباب الذين سوف ينضمون إلى الخدمة المدنية.

٢ـ آراء في الانتقال:

فترة الانتقال من الحكم البريطاني، إلى الاستقلال، وبخاصة الفترة من عام ١٩٥٤ - ١٩٦٠، من الفترات العامرة تماما بالدراما الإنسانية الفردية والاهتمامات الفردية أيضا، وسبب ذلك أن أهل الشمال انتقلوا خلال هذه الفترة إلى مواقع جديدة

(١) جريدة المواطن النيجيري، بتاريخ ٢٤ سبتمبر. من عام ١٩٦٠. ص ٦ تقرير لجنة الخدمات العامة في الشمال.

من مواقع القوة والسلطة، كما أن المغتربين فى تلك الفترة بدءوا التخطيط للعودة إلى مواطنهم أو مغادرة الإقليم الشمالى نهائيا، أو أنهم بدءوا التفكير فى البقاء فى الإقليم الشمالى ولكن بصفة وأهلية جديدة - أى بصفتهم موظفين مدنيين يعملون لحساب حكومة الإقليم الشمالى، وليس بصفتهم "سادة مستعمرين". هؤلاء الموظفون المدنيون البريطانيون الذين آثروا البقاء فى الإقليم الشمالى ينتمون إلى جيل الشباب، الذين يتمسكون بفكرة انحسار الاستعمار وانتهاج الديمقراطية. أما أولئك الموظفين الذين لم يستطيعوا التكيف مع هذا الواقع الجديد فقد بدءوا يعدون الأيام المتبقية لهم علـى التقاعد المبكر، أو يحصلوا على المبلغ المقطوع ليبدءوا الحـياة من جديد فى مكان آخر. فى ذات الوقت، كان المستشار السياسى الرئيسـى Sardauna (أحمد بللو)، يعمل على أساس من الولاء الشخصى، بمعنى أنه بدأ يسحب بعض الموظفين البريطانيين الذين سبق له التعرف عليهم واختبارهم فى سكتو، ليكونوا له مساعدين ومستشارين. ولكن خدمة القضاء، وعلى الرغم من كونها جزءًا من الخدمة المدنية، لها وجود مستقل، كما أن مسارات المستقبل العملى فى هذه الخدمة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعالم القانون البريطانى الواسع.

كان بعض الموظفين المدنيين البريطانيين الذين عملوا مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna (فى الفترة من ١٩٥٤ - ١٩٦٠ و ١٩٦٠ - ١٩٦٦) ما يزالون على قيد الحياة مع بداية هذه الدراسة، وبالتالى قدموا لنا آراء قيمة عن الفترة الانتقالية، بما فى ذلك العامل الإنسانى أو البشرى خلال هذه الفترة، سواء على الصعيد الإدارى أو الصعيد السياسى. أما أولئك الذين آثروا عدم العمل مع المستشار السياسى الرئيسى، فلربما تكون لهم آراء لها مغزاها أيضا، ولكنهم لم يتمتّعوا بالشهرة أو ذيوع الصيت. وفيما يلى نورد عينه لأولئك الذين عملوا مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna.

استنادا إلى ما قاله جون سميث John Smith[1] لم تكن هناك خطة بريطانية لإنهاء الاستعمار. ولكن الأفراد هم الذين بدءوا التحرك فى ذلك الاتجاه، وهم أيضا الذين ساعدوا على تشكيل أنواع المؤسسات التى نمت وتطورت. لم تكن قبضة الحكم البريطانى قوية. كان الناس يعبرون عن ردود أفعالهم وهم فى مكتب رئيس الوزراء. وغادر كثير من المغتربين الإقليم الشمالى نظرا لأن الوزراء الأول لم يكونوا مهتمين بالسياسة وإنما بتسيير أمورهم. (دعا أحد الوزراء لعقد اجتماع طارئ لهيئة العاملين لكى يثير مسألتين مهمتين: كان هناك عدد كبير من البعوض وعدد كبير من الإجباويين Igbos من بين الحاضرين) كانت الأحداث تتطلب إعمال السياسة. حقق بعض الرجال أغراضهم. كان الناس جميعا يدركون ذلك الذى يريده أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، وعلى الرغم من أن أحمد بللو لم يكن يكتب الكثير من خطاباته، إلا أنه كان يستأثر بالمقدمة والخاتمة أيضا.. أى أنه كان يحتفظ لنفسه بالأجزاء الإسلامية والأجزاء التى يستوحيها أو يستلهمها من الدين. كانت الأهداف واضحة تماما، ولكن الرجل كانت عيناه تتركزان على ما يدور حوله. كانت هناك موضوعات بعينها تحظى باهتمام المستشار السياسى الرئيسى Sardauna مثل:

١) إحساس الرجل بالموروث الشمالى.

٢) إسهام الشمال فى نيجيريا (قارن الشمال بإسكتلنده).

كأن أحمد بللو يتمسك بالزهو بشماليته وكان يركز أيضا على الوحدة وعلى الوطنية. كان الرجل أيضا متيمًا بتجميل كادونا (زراعة الأشجار) لم تكن الخطب ذات قيمة فى فهم المستشار السياسى الرئيسى، أو حتى فى فهم السياسة. كان الرجل يستبعد الأوروبيين جميعا من مسألة اتخاذ القرارات الفعلية.

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ١٢ أغسطس من عام ١٩٨٣، لندن. كان جون سميث يعمل فى مكتب رئيس الوزراء قبل وبعد الاستقلال.

رأى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى المغتربين مفاده "أن المغتربين ينبغى أن يكونوا مقبولين من شعبه" كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يقول لجون سميث: "سمعت من شعبى أنهم يحبونك"، (بوصفك سكرتيرا مساعدًا). قلة قليلة من السكرتيرين المساعدين هم الذين كانوا يزورون مكتب أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، وواقع الأمر أن أحمد بللو لم يكن يتواجد فى مكتبه إلا نادرا. وبمرور الزمن نقل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى مكتبه إلى منزله (فى الضاحية التى يعيش فيها النصارى) وكان الرجل يعقد مجلسه طوال أربع وعشرين ساعة. فى الجلسات المسائية كان الرجل يُصَرِّفُ كثيرا من الأمور، فى تلك الاجتماعات البسيطة والبهيجة. كان بوسع الشباب أن يتحدثوا ويقولوا ما يدور فى دواخلهم، على الرغم من أن ذلك ساعد على التملق (وبخاصة بعد الاستقلال)، الأمر الذى جعل نفوس بعض الشبان الصغار تعاف الذهاب إلى منزل المستشار السياسى الرئيسى. (وكان يجرى دعوتهم إلى حضور تلك الاجتماعات) قبل الاستقلال، كان الوزراء يجتمعون فيما بينهم فى منزل المستشار السياسى الرئيسى للبت فى بعض الأمور. وكان اختلاف أولئك الوزراء أمرا نادرا. (لم يكن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى ينال سوى قسط صغير جدًا من النوم. كان الرجل يبقى مع الجمهور حتى الساعات الأولى من الصباح، ومع ذلك كان الرجل يستيقظ عند الساعة الخامسة صباحا. لم يكن لدى الرجل متسع للعلاقات الخاصة). كانت جلسات مجلس الوزراء سريعة وعملية. (وإلى ما بعد الاستقلال، كان المحامى (المدعى) العام الأوروبى يحضر اجتماعات مجلس الوزراء) كان المستشار السياسى رئيسًا كيسا لاجتماعات مجلس الوزراء، ومع ذلك لم يكن العمل الحقيقى يتم فى اجتماعات مجلس الوزراء. لقد أنجز المستشار السياسى الرئيسى الكثير عندما أصبح رئيسا للوزراء فى عام ١٩٥٤. كانت الجمعية العمومية فى الشمال فى ذلك الوقت تعج بالنشاط والحيوية.

استنادا إلى ما قاله جون سميث، كانت مسألة الأشملة هى أهم المسائل عند المستشار السياسى الرئيسى، ولذلك كان الرجل يستاء كثيرا لتكالب الشماليين على الحصول على الاستقلال. أحس أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أن زيك zik لن يفيد الشمال كثيرا. كان بعض الموظفين الاستعماريين كبار السن يؤيدون أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى هذه المسألة؛ وكان شيرود Sharwood سميث Smith من بين هؤلاء المؤيدين. شيرود هذه كان يذهب إلى أبعد مما ذهب إليه أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى هذا المسألة. (فى عام ١٩٥٦ كان شيرود سميث يحبذ الانفصال السياسى. بل إن الرجل قدم محضرا إلى لينوكس بويد Lennox Boyd يقترح فيه حصول الشمال على الاستقلال، مستهدفا بذلك خلق بلد مثل الأردن – بلد مسلم وصديق) بعض المغتربين حاولوا تمييع "الأشملة" لأسباب سياسية، ومحاولة إحداث نوع من الموازنة بين الأشملة والمنظور الوطنى. كانت الصحافة الحكومية فى كادونا أول الداخلين فى الأشملة، ولذلك استبدلت هذه الصحافة اليوروبا الجنوبية بيوروبا إيلورين وتيف Tiv. يضاف إلى ذلك أن سكان الحزام الأوسط الأعلى (أى سكان جنوبى زاريا) كانوا ينظرون إلى كادونا باعتبارها مدينة أو بلدا من بلادهم – عموما، لم يكن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يولى أهل الحزام الأوسط اهتمامه الشخصى، لكنه على المستوى الفردى كان يحب أناسا من قبيل إجنايتوس ديرلونج Ignatius Durlong (الهضبة شندام) أو تى. و. باكو Bako (من أهل كبَّا kabba).

كان للمستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) طائفة منفصلة من بين الموظفين المدنيين البريطانيين، صحيح أن الرجل كان له بعض المفضلين والمقربين، ولكن آراءه فيما يتعلق بالسياسة الخارجية البريطانية كانت شيئا مختلفا تماما. فى عام ١٩٥٦، ومع نشوب الحرب العربية – الإسرائيلية، لم يكن أحمد بللو غاضبا أو مستاءً، ولكنه يشعر بتعاسة بالغة. كان الرجل مبتئسا لوجود البريطانيين فى السويس. (ولم يكن أحد يتوقع من المغتربين العاملين فى الخدمة المدنية الاعتراض على سياسات المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، أو حتى على فهمه للشئون الدولية).

فيما يتعلق بعلاقات المستشار السياسى الرئيسى بغيره من الشماليين، كان الرجل يعتمد اعتمادا كبيرا فى هذا الصدد، على مكمان Makaman بطا Bida الذى كان شخصا، هادئا، متقاعدا غليظ القلب وعنيدا؛ لم يكن مكمان بطا رجلا مباشرا؛ إذ كان يختلف اختلافا كبيرا عن المستشار السياسى الرئيسى. (لم تصل المستشار السياسى الرئيسى أية شكاوى عندما فشل ولد مكمان بطا فى اجتياز مقرر الإدارة) كان أحمد بللو ينزل عند إرادة أحمد كوماسّى وكأنه شقيقه الأكبر. كان المستشار السياسى الرئيسى وثيق الصلة بإبراهيم أرجونجو، ويحيى جوساو، والرجلان من سكتو. فيما يتعلق بأهل برنو، كان هناك حاجز بسيط بين الرجل وبينهم، ولكن كانت لأحمد بللو علاقة وثيقة جدًا بكل من محمد لاوان، وأحمد طالب، وهما من أهل برنو. كانت علاقات المستشار السياسى الرئيسى بكشيم إبراهيم قائمة على الرسميات. ومع ذلك كان أحمد بللو يحافظ على هذه الشكليات، مثلما كان الحال مع شيرود – سميث. كانت العروض تحدد مواعيدها بالثانية الواحدة. (وقد تضايق المستشار السياسى الرئيسى من سيكوتورى، أثناء زيارته لأنه وصل متأخرا ست ساعات عن الموعد المحدد).

كان لـــ"ملف الشرف" أهمية خاصة عند المستشار السياسى الرئيسى، وسبب ذلك أن كلا من الشيخ والسلطان كانا قد حظيا بالتكريم، وكان من الصعب الحصول على التكريم البريطانى، ولم يكن لنيجيريا حصة لدى بريطانيا من ذلك التكريم. وقد عمل شيرود جاهدا من أجل حصول المستشار السياسى الرئيسى على لقب فارس. وقد جرى تدبير هذا الأمر فى لندن، نظرا لأن لندن كانت حذرة جدًا فى مسألة إعطاء لقب فارس لشخصية سياسية قيادية. كان المستشار السياسى الرئيسى يشعر بالضيق. وكانت حجة شيرود سميث، أن نيجيريا هى بلد الألقاب، وأنه كان من محبِّذى المكافأة بالألقاب. (وقد حصل المستشار السياسى الرئيسى على لقب فارس فى عام ١٩٥٩)[١].

---

(١) المرجع السابق.

كان عدد كبير من الموظفين البريطانيين، الذين عملوا فى مكتب رئيس الوزراء قد سبق العمل لهم فى مقاطعة سكتو، وكانوا حلفاء مقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى. وهذا هو بروس جريتباتش Greatbatch[١] كان قد حضر إلى نيجيريا فى زمن الحرب (أى فى عام ١٩٤٠) وبقى الرجل مع الجيش النيجيرى إلى عام ١٩٤٥. ثم تعلم الرجل لغة الهوسا، وأرسل إلى مقاطعة سكتو فى عام ١٩٤٦، بصفته موظفا إداريا، وكان "يتلقى التعليمات من المستشار السياسى الرئيسى". Sardauna. توطدت الصداقة بين هذا الرجل وأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى ذلك الوقت، وصحبه إلى المملكة المتحدة (فى عام ١٩٤٨). وفى عام ١٩٤٨ ألحق بروس جريتباتش على مقاطعة جواندو، إلى عام ١٩٥٠، الذى عين فيه فى مقاطعة الهضبة فى منصب رئيس الحى. حافظ الرجل على اتصاله بالمستشار السياسى الرئيسى خلال هذه الفترة. بعد انتخابات عام ١٩٥١، وصلت الرجل برقية من المستشار السياسى الرئيسى يقول: "تعال إلى كادونا". وحضر الرجل إلى كادونا وأصبح سكرتيرا خاصا لأحمد بللو إلى نهاية عام ١٩٥٢. (كانا يتشاوران ويساعدان بعضهما بعضا. كلاهما كان يعارض الحكومة الاستعمارية القديمة) ثم طلب أحمد بللو من بروس جريتباتش أن يصبح سكرتيرا لمجلس الوزراء مدة عامين. وراح أحمد بللو يستفيد من جريتباتش فى تدبير أمور مجلس الوزراء. وقال المستشار السياسى الرئيسى إن أمير كنو يريد رئيسا، وكان أحمد بللو يود لرجله أن يكون فى كنو، ولذلك أوفده أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى إلى أمير كنو. وبعد عامين أبلغ جريتباتش أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أنه يرغب فى التغيير. وهنا أعاده المستشار السياسى الرئيسى إلى كادونا ليكون له سكرتيرا خاصا. ثم عمل الرجل بعد ذلك سكرتيرا لرئيس الوزراء، ورئيسا للخدمة المدنية، التى بقى فيها إلى عام ١٩٦٣، الذى ترك فيه الرجل نيجيريا وانتقل إلى الخدمة الدبلوماسية فى كينيا لمدة خمس سنوات. ضمن برنامج المساعدة الأجنبية. (ويجرى إحلال على عقيل محل هذا البروس).

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ١٧ أغسطس من عام ١٩٨٣. لندن.

نقلا عن كلام جريتباتش فإن ثمانين فى المئة من وقت هذا الرجل كان ينفقه فى مشروعات مختلفة لأحمد بللو. كان الرجل يلتقى المستشار السياسى كل صباح ويناقش معه ذلك الذى ينبغى عمله. (فى بعض الأحيان كان جريتباتش يحيى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى ويتحدث إليه بلغة الفلفولد Fulfulde، وعندها كان أحمد بللو يضحك، نظرا لأنه هو، الذى أصلا من الفولانى، لا يستطيع الكلام بتلك اللغة). كانت الخدمة المدنية فى الإقليم الشمالى شبيهة بالخدمة المدنية البريطانية. كان المستشار السياسى، بمثابة الريس Boss، وكان موظفو الخدمة المدنية والوزراء الآخرون ينفذون ما يريده المستشار السياسى الرئيسى. بعض الأشياء التى حسبها الأوروبيون مهمة، لم يكن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يعدها كذلك، ولكن الرجل كان على استعداد دوما للنظر فى المسائل الحساسة. كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى مهتما دوما بتعيينات الناس.

لم يكن جريتباتش معنيا بالجانب المالى فى أمور المستشار السياسى الرئيسى، ولكن الرجل يتذكر أن الجميع كانوا يقدمون الهدايا لأحمد بللو. كان هارون كاسيم يقدم المال لأحمد بللو. كانت مسألة لعبة تقديم الهدايا تخضع لقواعد معينة. فقد كانت مصاريف الحفلات والتمويل الشخصى يدفع نقدا. كانت الأرصدة الحكومية مستقلة تماما.

كانت العلاقات غامضة بحق بين المستشار السياسى الرئيسى وأبى بكر تافاوا باليوا، والسبب فى ذلك أن هذين الرجلين كان يندر جلوسهما مع بعضهما البعض، وكانت اتصالاتهما ببعضهما قليلة. ولكن المستشار السياسى الرئيسى هو وأبو بكر تافاوا باليوا كانا يعملان مع بعضهما على نحو أفضل مما كان يظنه الناس، ومع ذلك كان أحمد بللو هو الريس. كان أبو بكر تافاوا باليوا صاحبا لطيفا، لكن إذا ما تصادف أن كان أحمد بللو، هو وباليوا وجريتباتش فى غرفة واحدة ويتكلمون مع بعضهم بلغة الهوسا، فإن باليوا كان يبادر بتحية أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بتحية ranka shi dadē. ولم يكن باليوا يجرؤ على تحية أحمد بللو بهذه التحية أمام الناس. فى معظم الأحيان التى كان باليوا وأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يتسامران فيها كانا يتذكران أيام الدراسة يوم أن كانا سويا فى مدرسة واحدة[١].

---

(١) المرجع السابق.

يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى لم يكن يستلطف زيارته لليجوس. فقد كان الرجل يعانى من علة تحت إبطه ناتجة عن الحرارة، ولذلك كان يرى أن جو ليجوس غير مناسب له. لم يكن يرغب فى الذهاب إلى ليجوس مخافة أن يزداد عليه المرض.

هناك موظف بريطانى آخر كان يعمل دوما بصورة مباشرة مع المستشار السياسى الرئيسى. هذا الموظف هو دسموند ولسون Desmond Wilson[١]، الذى عمل سنوات عدة فى مكتب رئيس الوزراء، ثم أصبح فيما بعد نائبا بريطانيا للمفوض السامى. بدأ ولسون عمله فى سكتو وفى جواندو بصفته رئيس حى مساعد، وعندها تعرف على المستشار السياسى الرئيسى. بعد ذلك طلب أحمد بللو منه الانضمام إليه فى كادونا. وفى مهمة من المهمات، أراد أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أن يستفيد من معرفة هذا الرجل الجيدة لكل من سكتو جواندو. طلب أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى من ولسون هذا تطهير الإدارة المحلية فى سكتو من البشر الكسالى والفاسدين. ورد عليه ولسون أنه لا يملك الشجاعة التى تمكنه من القيام بذلك. ورد عليه أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى قائلا: "وأنا كذلك، لكن لابد من القيام بذلك. والغالبية العظمى من هؤلاء البشر هم من أقاربى". وعندما جرى تنفيذ ذلك، تم تسريح ثلث موظفى الإدارة المحلية عن طريق طردهم من الخدمة، وجرى توبيخ وتأنيب ثلث آخر، أما الثلث الأخير فقد جرى الإبقاء عليه، مع الإنذار. بعد ذلك، قدم أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لولسون هدية، كانت عبارة عن إنجيل مكتوب بالحبر الأخضر[٢].

ديفيد (داود) موفت Muffett[٣]، موظف شاب بريطانى آخر، صاحب خبرة فى مقاطعة سكتو، استطاع أن يقيم علاقات حميمة مع المستشار السياسى الرئيسى.

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٨٣، فى كنت.

(٢) ولسون، بروتستانتى المذهب، وزوجته إسكتلندية.

(٣) ديفيد جون موفت. عين رئيسا لحى نومان فى عام ١٩٥٥، بعد الخبرة التى اكتسبها فى سكتو وفى كادونا، ثم عين رئيسا لحى إيجالا فى عام ١٩٥٧. وفى عام ١٩٥٧ نقل الرجل إلى وزارة التجارة والصناعة فى منصب مساعد كبير الأمناء. فى عام ١٩٥٨ كان الرجل الموظف المسئول الحكومى=

فى عام ١٩٤٧ كان ديفيد موفت رئيس حى مساعد فى سكتو إلى أن عين موظفا للإحصاء فى عام ١٩٥٢. كان الرجل يقوم بثلاثة أعمال رئيسية نيابة عن المسئول السياسى الرئيسى:

١) كان ديفيد موفت فى عام ١٩٥٩ يشغل منصب كبير موظفى الانتخابات الفيدرالية فى الإقليم الشمالى.

٢) وفى عام ١٩٦٠ أصبح ممثلا مقيما فى مناطق الوصاية، التى أصبحت مقاطعة للمستشار السياسى الرئيسى بعد الاستفتاء العام.

٣) فى عام ١٩٦٢ كان الرجل هو المفوض الوحيد بالنظر فى الأمور المالية فى السلطة الوطنية فى كنو.

(وسوف نتناول البندين الأخيرين بالمناقشة فيما بعد).

بعض الموظفين الشبان البريطانيين الآخرين الذين كانوا يتعاطفون مع ما يقوم به المستشار السياسى الرئيسى، جرى تعيينهم من قبل جريتباتش فى كادونا. هذا هو جون بل Bell[1] كان يعمل تحت رئاسة جريتبانش، سكرتيرا فى عام

= فى قضية لجنة الأقليات. وفى عام ١٩٥٩ كان الرجل يشغل منصب كبير مسئولى الانتخابات الفيدراليين. وفى العام نفسه سافر الرجل إلى لندن بصفته مستشارا فى المؤتمر الدستورى النيجيرى. وفى عام ١٩٦٠ أصبح الرجل رئيسا لمنطقة الوصاية التى أصبحت مقاطعة للمستشار السياسى الرئيسى فى عام ١٩٦١. وفى عام ١٩٦٢ يصبح الرجل "موظفا للمهام الخاصة" فى مكتب رئيس الوزراء فى كادونا ثم يصبح الرجل أمينا عاما لوزارة الأرض والمسح فى سلطة كنو المدنية. قبل استدعائه فى شهر أغسطس من عام ١٩٦٢. يصبح مفوضا يختص بالنظر فى الشئون المالية للإدارة المحلية فى كنو. الأمر الذى أسفر عما يسمى " تقرير موفت ". (ملاحظة: الفعل "موفت" Muffet أصبح فعلا أساسيا فى لغة الهوسا) مع وفاة المستشار السياسى الرئيسى فى عام ١٩٦٦، قام موفت بإجراء مقابلات شخصية واسعة النطاق، وكتب رواية عن وفاة أحمد بللو. وسوف نناقش هذه الرواية فيما بعد. (راجع موفت، ننقل الحق: انقلاب عام ١٩٦٦، زاريا، شركة هداهدا للطباعة والنشر، ١٩٦٢).

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ١٥ أغسطس من عام ١٩٨٣، بيتشورث.

١٩٥١. (سافر الرجل إلى جوس بعد ذلك وأمضى فيها سنوات عدة، قبل أن يجرى تعيينه رئيسا للحى ثم ممثلا مقيما إلى عام ١٩٦١) واستنادا إلى ما قاله بل فى عام ١٩٥٢، وذلك عندما كان أحمد بللو وزيرا للأشغال، انبثق البترول من ميناء هاركورت. وطلب المستشار السياسى الرئيسى إلى شركة موبيل القيام بالتنقيب عن البترول فى سكتو. ورفضت الشركة. (خسرت موبيل بعد ذلك إبرام عقد التنقيب مع الحكومة). من بين الأمور الأخرى، قامت وزارة الأشغال ببناء منازل الوزراء فى كادونا، ومنازل الزوجات خلف هذه المبانى. هذا يعنى أن منزل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى كان فى المقدمة، ومن خلفه أربع وحدات من الغرف والمبانى التقليدية للزوجات.

استنادا إلى ما يقوله جون بل Bell، كان فى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أمر غريب. لم يكن الرجل يود التوقيع فى دفتر المقيم أثناء الرحلات، لأن ذلك يقلل من شأنه أو ينال من كرامته. بدلا من التوقيع فى دفتر المقيم كان الرجل يفضل دوما البقاء فى البلدة مع أهلها. وربما كان يتناول غداءه مع الممثل المقيم[١]. فى ذلك الوقت، وعندما يكون هناك حفلات استقبال أو حفلات للترحيب بالأوروبيين، كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يقوم بتقديم الفواكه وعصير الفواكه للشماليين، وكان يقدم المشروبات الروحية للأوروبيين. (ملاحظة: يتغير هذا الحال بعد الاستقلال. بعد أن يتوقف أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى عن تقديم المشروبات الكحولية للضيوف).

---

(١) أبدت باميلا Pamela، زوجة بل فى مذكراتها اليومية أنهم جميعا تناولوا الغداء مع المستشار السياسى الرئيسى، فى منزل الممثل البريطانى المقيم فى كنو فى اليوم الثالث من أغسطس من عام ١٩٥٢. وأنهم تناولوا الشاى مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يوم ٢٧ أغسطس من عام ١٩٥٢، والغداء فى يوم ٢٩ يوليو من عام ١٩٥٢. وأنهم جميعا كانوا يأكلون باستعمال الشوك والسكاكين. وأن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى كان يفضل التحدث بلغة الهوسا، اللهم إلا إذا كانت باميلا حاضرة؛ وعندها كان يتحدث بالإنجليزية وذلك من باب الأدب والمجاملة.

استنادا أيضا إلى ما يقوله جون بل، كان كل وزير من وزراء الشمال الأربعة له سكرتير بريطانى فى بداية الأمر. هؤلاء السكرتيرون كانوا يعينـــون ولا يختارهم الوزراء. كان مدير المرافق العامة (السيد/ هميدج) يحس بأن الوزراء كانوا "مصدر قلق"، ومع ذلك كان لابد من إبلاغهم بكل شيء. فى تلك الأيام، كان لكل وزير كاتب (إفريقى) من الدرجة الأولى، وكان له أيضا مكتب طوله عشرين قدما وعرضه عشرين قدما. كان المديرون البريطانيون بحاجة إلى التعود على فكرة الوزراء. وفيما بين الأوروبيين كانوا يطلقون على أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لقب Sardine بدلا من Sardauna، يضاف إلى ذلك أن السكرتيرين أنشأوا جمعية أطلقوا عليها اسم "صحبة حملة الغلايات المكرمة" (وذلك إشارة إلى غلايات الوضوء الخاصة بالوزراء). كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على علم بذلك، وكان يضحك ملء شدقيه كلما سمعه.

كان المستشار السياسى الرئيسى يحب الأطفال وكان على علاقة طيبة بهم. كما كان يقدم لهم الهدايا أيضا. فى ذلك الوقت، كان يقتطع ثمن تلك الهدايا من راتبه، ولم يكن يحصل على مليم واحد من المقاولين أو العقود. كان للمستشار السياسى الرئيسى Sardauna حساب فى بنك باركليز، وقد ألغى هذا الحساب فى فترة لاحقة.

كان لدى أحمد بللو مجال واحد، أصر فيه على التعامل مع أموال الحكومة بالأسلوب التقليدى. وقد أصر الرجل وطالب بأن تكون الأجور التى تدفع لسائقه وللبستانى الذى يعمل فى حديقته (وبقية العاملين معه) عن طريقه هو. فى حين كان المراجع عام يود شيئا غير ذلك. هذا يعنى أنه كان هناك خلاف فى الرأى بشأن الإجراءات المالية. كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يحمل النقود معه، فى جيبه، ويدفع لسائقه أثناء قيامهما بجولة من الجولات. (المؤكد أن السائق كان يحصل على أجره، ولكنه كان ينظر إلى أجره باعتباره قادما مباشرة من المستشار السياسى الرئيسى) [١].

---

(١) المرجع السابق.

باسل فيلبس philips واحد من السكرتيرين الخصوصيين لأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، عندما كان يتولى وزارة الحكم المحلى[١]. باسل فيلبس هذا كان فى نيجيريا بدءا من عام ١٩٤٩ إلى شهر يناير من عام ١٩٦٠. شغل هذا الباسل منصب رئيس مساعد للحى فى بلدة جومب (مقاطعة بوتشى)، وكان يعمل فى الحكم المحلى "فى المناطق الوثنية"، التى كانت تدار إدارة مستقلة، ولكنها كانت ملحقة. على رئيس حى جومب Gombe. وفى عام ١٩٥١ - ١٩٥٢، كان رئيس الحى المساعد فى بوتشى مع الممثل البريطانى المقيم، ثم نقل الرجل بعد ذلك إلى السكرتارية فى كادونا، حيث أصبح سكرتيرا خاصا لأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، فى وزارة الحكم المحلى، وكان الرجل يساعد فى التجهيز لجولات أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، وبخاصة فى منطقة الحزام الأوسط. بقى باسل فيلبس مع أحمد بللو طوال الفترة من ١٩٥٣ - ١٩٥٦، وكان يرافقه فى جولاته فى معظم الأحيان. ونقلا عن باسل فيلبس، فإن مشكلة مشاكل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى ذلك الوقت كانت تتمثل فى إحساسه بكرامته. كان الرجل بمثابة كبير وزراء الشمال، ومع ذلك لم يكن هناك برتوكول يحدد هذا الأمر. أثناء القيام بالجولات، كانت مسألة المكانة تعد أمرا مهما. (كان البرتوكول الخاص بالممثلين المقيمين، والمحافظين والموظفين الآخرين، قد أعد إعدادا جيدًا) كان الممثل المقيم بمثابة الشخصية الرئيسية فى كل مقاطعة من المقاطعات. كان العرف يقضى بأن الزائر القادم من كادونا يتعين عليه مقابلة الممثل المقيم، كما جرى العرف أيضا أن يتجه السكرتير الخاص إلى مقر الممثل المقيم لمناقشة التفاصيل. كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يتوقع من الممثل المقيم أن يبدى احترامه له وللسكرتير الخاص. كانت آراء المغتربين الآخرين سيئة حول هذا الموضوع. كان أحمد بللو يقول لباسل فيلبس: نحن نعرف حقيقتهم، ومع الحكم الذاتى سوف يخرجون. فى واحدة من المناسبات فى منطقة لافيًا Laffia، كان أحمد بللو يقوم بجولة ومعه كل من بطرس أشيموجو، وباسل فيلبس، ولكن رئيس الحى، الذى كان رجلا لطيفا، لم يكن هناك حتى يلقاهم ويحييهم، وعندما جاء رئيس الحى

---

(١) مقابلة شخصية، أجريت فى اليوم الثانى عشر من شهر أغسطس من عام ١٩٨٣، فى لندن. ولد فيلبس وتربى فى الهند، فى مناطق المسلمين.

كان يرتدى بنطالا قصيرا، وقميصا مفتوحا، ولم يكن يلبس رباط عنق. وهنا تضايق أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى. وقام رئيس الحى بدعوتهم إلى تناول الشاى ولكن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى قال له: "لا". وهنا سأل أحمد بللو رئيس الحى عن المكان الذى سينزلون فيه، وهنا أشار لهم رئيس الحى وحدد لهم استراحة Chalet صغيرة. وهنا قال أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى إنه لم يكن على ما يرام. وفضلوا الذهاب إلى استراحة صغيرة فى الغابة بدلا من الاستراحة التى حددها رئيس الحى، ولكن استراحة الغابة كانت خاوية وفارغة ولم يكن فيها أى شىء – ولم يكن معهم أية معدات من معدات التجوال – وهنا قال المستشار السياسى الرئيسى: "سوف أنام على الأرض". وقاموا بإحضار سرير كبير من النحاس الأصفر ولكن المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) بقى فى كرسيه طوال الليل.

ونقلا عن باسل فيلبس، فإن "قائمة" أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna "للإطاحة" بالمغتربين شملت كل الأعمار وكل المستويات أيضا. كان موظفو الوزارات متحصنين تحصينا جيدا، وكان لابد من إزاحتهم من أماكنهم، عن طريق التقاعد المبكر. كانت هناك خطة مكونة من ثلاثة أجزاء:

١) النقل إلى الخدمة النيجيرية.

٢) البقاء فى الوظيفة (لمدة ثلاث سنوات).

٣) النقل إلى مستعمرات أخرى. وحتم الأمر تقديم إشعار بإنهاء الخدمة بعد مرور عام. وفى الفترة ما بين ١٩٦٠ – ١٩٦٣، كانت غالبية المغتربين قد غادرت الشمال ولم يتبق سوى حفنة قليلة من البشر[١].

---

(١) بعد أن انتهت خدمة باسل فيلبس فى مكتب رئيس الوزراء عاد الرجل إلى جناح الحكم المحلى فى معهد الإدارة، فى زاريا، وأدار الرجل أول برامج "أفرقة" المناصب العليا الذى كان يقدم باللغة الإنجليزية وبلغة الهوسا أيضا. (كان البرنامج يقدم باللغة الإنجليزية لأولئك الذين من أهل الحزام الأوسط؛ وكان يقدم بلغة الهوسا لأهل الشمال) وقد ركز هذا البرنامج على طريقة إدارة المجالس، وقانون الإدارة المحلية، وعمل الكتبة المدنيين، إلخ. كانت وزارة الحكم المحلى هى التى تختار رؤساء الأحياء لحضور هذا البرنامج. كان معهد الإدارة يخضع لمكتب رئيس الوزراء مباشرة.

يذكر باسل فيلبس أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان يفضل ويرغب فى زيارة معهد الإدارة، الذى كان يلقى فيه خطابات رسمية وخطابات مرتجلة. حاول أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى توعية طلاب المعهد بأزمة الشمال. كان يقول لهم: "تخلصوا من الأجانب (الإجبو Igbos واليوروبا) واستلموا الأعمال من البريطانيين".

كانت خطة أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، فى الحزام الأوسط، تعتمد على مصادر معلوماتية جيدة، وكان الموظفون البريطانيون الإداريون الشبان مصدرا جيدا فى هذا الصدد. ومع ذلك، وعلى المستوى السياسى يرى باسل فيلبس أن الشخصيتين الرئيسيتين اللتين كانتا تعملان مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى هما: بطرس أشيموجو (الذى جاء من منطقة وثنية) وأبو بكر تافاوا باليوا، الذى لم يكن صاحب أبهة وإنما صاحب شخصية هادئة محترمة. جاء أبو بكر تيفاوا باليوا من سلالة وثنية ومن ثم لم يكن هناك مجال للمنافسة بينه وبين أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. سمح أحمد بللو لأبى بكر تيفاوا باليوا أن يصبح وزيرا أولا prime. كان الجيل السابق لأبى بكر تافاوا باليوا كله من الوثنيين. ومن ثم كان الرجل يعرفهم ويحظى بقبولهم له. (كان شبان هذه المنطقة الوثنية يتلقون تعليما تبشيريا، ثم يتحولون إلى مسلمين عندما يشبون عن الطوق حتى يمكنهم تبوأ المناصب ويسمح لهم بالزواج من أربع). كان المستشار السياسى الرئيسى يحتقر الوثنيين Suarna، ولكنه كان حصيفا على نحو لم يستشعروا معه هذا الاحتقار. كان الرجل يعى الحقيقة التى مفادها أنه يتعين عليه السيطرة على الحزام الأوسط. كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى ينظر إلى طلاب الحزام الأوسط على أنهم جزء من أمة الشمال، وكان يراوده إحساس مفاده أن الوثنيين ينبغى أن تكون لهم حقوق مساوية فى ظل حكومة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان أحمد بللو يخيم فى بعض الأماكن التى من قبيل كافنشان Kafanchan، وكان الرجل يقف فوق برميل من براميل البترول ويخطب فى الناس بلغة الهوسا ويقول لهم: "تخلصوا من البريطانيين، وأعيدوا الجنوبيين إلى مواطنهم".

يقول باسل فيلبس أيضا: إن وزارة الحكم المحلى تحولت إلى مكتب لرئيس الوزراء. كانت وزارة الحكم المحلى هى الوزارة القائدة، إذ كان من حقها فى بداية الأمر تعيين الموظفين وفصلهم وعزلهم. فى الحزام الأوسط كان الرؤساء كلهم يجرى "انتخابهم" وكانت وزارة الحكم المحلى هى التى تسيطر عليهم وتتحكم فيهم (عن طريق الخدمة المدنية). كان تعيين رؤساء الأحياء الأوروبيين والأفارقة يتم عن طريق مكتب رئيس الوزراء. كان المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يراجع دومًا حالات ولاية الرؤساء فى الحزام الأوسط. يضاف إلى ذلك أن كتبة البلدان هم ورؤساء الأحياء كانوا بحاجة إلى موافقة أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى عليهم. وقد أسفر كل ذلك عن كادر من البشر الموالين لأحمد بللو. (كان الرجل متأثرا تماما بسياسة الحزب) وبعد أن أسس المستشار السياسى الرئيسى قوته وسلطته، وبخاصة فيما يتصل بالبريطانيين، أصبحت جولاته أقل عظمة، وزادت أهميتها السياسية وبخاصة فى أواخر خمسينيات القرن العشرين. كانت إستراتيجية أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى تقوم فى الأصل على التقاء أناس من المناطق المحلية والعمل معهم. كانت هناك اجتماعات رسمية، تعقبها اجتماعات سياسية سرية، يجرى فيها اختيار الناس واختيار الأماكن التى تناسب عمل هؤلاء الناس. أسفر هذا التغيير، فى نهاية الأمر، عن استبدال الموظفين البريطانيين بشخصيات شمالية كبيرة تربطها بالمستشار السياسى الرئيسى علاقات قوية، وإبراهيم دسوقى[١] واحد من هذه الشخصيات.

ريكس نايفن Rix Niven يعد واحدًا من أصحاب الخبرات الكبيرة المقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى، ويواصل الرجل عمله بعد الاستقلال للمساعدة فى تقديم المعلومات المطلوبة لسيرة المستشار السياسى الرئيسى، الذاتية[٢]. واستنادا إلى ما يقوله نايفن، فإن المغتربين الشباب أمثال موفت Muffet بقوا فى أماكنهم شأنهم شأن بعض المغتربين الأكبر منهم سنا. ولكن المجموعة متوسطة الأعمار،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ١٥ أغسطس من عام ١٩٨٣، فى لندن.

غادرت الشمال وأبلت بلاء حسنا فى أماكن أخرى. (الكثيرون منهم يعيشون خارج لندن) بعض كبار المسئولين البريطانيين لم يكونوا على وفاق مع المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، ومنهم على سبيل المثال بريان شـــارود سميث. كان جزء من مشكلة فترة الانتقال الأزلية يتمثل فى أن الوزراء الأفارقة (وذلك باستثناء أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى) كانوا يوافقون على مواعيد الاجتماع ولكنهم لا يأتون إلى هذه الاجتماعات "إلا عندما يشاء الله". يضاف إلى ذلك أن السواد الأعظم من الوزراء لم يكونوا يفهمون المنظومة القانونية، ولم يكونوا يستلطفون المحامين أو يرغبون فيهم، على الرغم من أن هؤلاء المحامين كانوا يقومون بعمل المدعى العام الذى يقوم بشرح الأشياء وتفسيرها. ومع ذلك، كان الأفارقة معنيين تماما بالقانون الجنائى. وكانت للمحاكم المحلية أهمية كبيرة. فقد كان القضاة يعرفون الناس، كما كان استعمال الشرطة المحلية مفيدا فى إضفاء الشرعية على الإدارة المحلية فضلا عن كون الشرطة المحلية مصدرا طيبا من مصادر توفير المعلومات المحلية. (فى شرق إفريقيا، حيث توجد قوة شرطية مركزية، كانت هناك قبائل الماو ماو. وفى شمالى نيجيريا، كانت الشرطة المحلية تعرف حقيقة ما يجرى فى الإقليم) واستبدأ أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna المحاكم الشرعية، ولكن المفتشين الرئيسيين لم يديروا هذه المحاكم. حدث قدر كبير من التغيير أسفر عن أنماط زعامة جديدة[١].

الموظفان البريطانيان الرئيسيان اللذان كانا مسئولين عن البنية القانونية هما: هيدلى مارشال الذى خدم فى وظيفة المحامى العام (المدعى العام) فى خمسينيات القرن العشرين ومطلع الستينيات، وإيان لويس Lewis الذى جاء بعد مارشال. جاء إيان لويس إلى[٢] نيجيريا فى عام ١٩٥٣، وأمضى سنواته الثلاث الأولى فى منطقة جوس Jos. ثم ذهب إلى كادونا فى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٦ ليعمل وكيلا عاما وقائما بأعمـــال النائب العام (١٩٥٨ – ١٩٦٢) ثم نائبـــا عاما (فى

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مقابلة شخصية، فى اليوم السادس عشر من شهر أغسطس من عام ١٩٨٣، جرت فى بريستول.

الفترة من ١٩٦٢ – ١٩٦٦). (طوال هذه الفترة كان إيان لويس المغترب الوحيد فى المجلس التنفيذى الشمالى. يسافر إيان لويس بعد ذلك إلى ليجوس ليشغل منصب قاض فى المحكمة العليا) واستنادًا إلى ما قاله لويس، لم تكن هناك أية ضغوط من أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على أية قضية من القضايا القانونية (بما فى ذلك محاكمة إس. تاركا فى ستينيات القرن العشرين "بتهمة الخيانة"، والتى حكمت لصالحه) فى أواخر خمسينيات القرن العشرين، أوفد ثلاثة من الشماليين إلى المملكة المتحدة لحضور دورة تدريب قضائى (هؤلاء الشماليون هم: نصير، وآردو Ardo، وبللو). وفى عام ١٩٥٧ – ١٩٥٨ (وعندما كان لويس قائما بأعمال الوكيل العام حدثت أفرقة الوزارات، وأسندت إلى إيان مهمة مقابلة الوزراء للبت فى شئون النقل فى كل وزارة من الوزارات). (ملاحظة: كان إيان لويس فى ذلك الوقت يبلغ من العمر اثنتين وثلاثين عاما) كان محتما على المديرين وكبار المهندسين القيام ببعض الأشياء، فى حين تقوم الوزارات بأشياء أخرى. قسموا المسئوليات فيما بينهم. (بعض المديرين لم يعجبهم هذا التناول للمسئوليات). وفى بعض الوزارات مثل، وزارة التربية والتعليم، برزت بعض التساؤلات عن بعض المسائل وهل هى مسائل فنية أم مسائل سياسية وبخاصة ما يتعلق بتخفيض المدارس. (كان إيان لويس يرى أن هذه المسائل من صميم شئون الوزارة، وأنها ليست أمورا فنية) ومن الطبيعى أن يلجأ الأمناء الدائمون إلى طلب المشورة فى المسائل التى يظنون أنها قانونية.

فى الفترة من ١٩٥٧ – ١٩٥٨، وأثناء الاستعداد للحكم الذاتى كان كل من إيان لويس ومارشال يعملان فى لجنة الأقليات التى قامت بجمع أدلة من كل أنحاء الشمال. يذكر لويس هنا أن الأقليات كانت تشعر بالقلق إزاء "محاكم القضاة" من ناحية "والقانون غير المدون" من الناحية الأخرى. من هنا كان الأمر يستلزم وجود قانون للعقوبات. كانت هذه الفكرة مرفوضة من كل من الأوروبيين والنيجيريين. (كان الأمراء يعينون القضاة، وكان أولئك القضاة يميلون إلى المحافظة، كما كانوا على استعداد لمساعدة الأمراء أو الوزراء فى معظم الأحوال والأمور) وهذا هو

سام ريتشارد سون[١] الذى يتكلم لغة الهوسا واللغة العربية أيضا، كان مفوضا فى المحاكم المحلية وكان يحمل أيضا مع مجموعة العلماء القانونيين. كان رئيس الوزراء يقف قلبًا وقالبًا وراء الإصلاحات فى مجال العقوبات. كان من رأى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أن يكون هناك قانون مدون للعقوبات. ومع ذلك، ما هو ذلك القانون المكتوب؟ كيف يمكن تعديل ذلك القانون المدون كى يناسب أحوال الشمال، على اختلاف سكانه (وبخاصة، مع ممارسة السحر وما يتعلق به فى الحزام الأوسط)؟ هذه الإصلاحات شكلت سلسلة من الأحداث مكنت من تقديم القانون الجديد ومن تدريب القضاة (فى معهد الإدارة). كان التغيير الكبير يتمثل فى القضاء على التمييز، إضافة إلى توحيد الأنظمة. ومع ذلك، هل يمكن أن تتساوى شهادة المرأة مع شهادة الرجل؟ هذا هو جى. إن. د. آندرسون سبق أن كتب عن المذهب المالكى، ولكن برزت مشكلات خطيرة فى التطبيق، وكان لابد من تغيير المذهب. كما برزت مشكلة أخرى تمثلت فى أن المحامين لم يكن يسمح لهم بحضور المحاكم المحلية، إضافة إلى عدم وجود محامين شماليين أصلا. (ونظرا لوجود محامين جنوبيين فقط، فقد اضطر المستشار السياسى الرئيسى Sardauna إلى عدم إدراج المسائل الخاصة بالرؤساء فى الدستور الجمهورى الذى جاء بعد ذلك. لم يكن الرجل يود لمحامى الجنوب التلاعب بأمور الرؤساء).

استنادا إلى ما يقوله لويس نجد أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان يحترم المسيحيين، وكان كثير من الأوروبيين فى كادونا، يترددون بصفة دورية على الكنيسة (منهم على سبيل المثال جاوين بل Gawain Bell، وشارود - سميث. وإيان لويس، إلخ). كان المستشار السياسى الرئيسى من المؤيدين والمحبذين للاحترام المتبادل، وكان الرجل يشجع على إنشاء مدرسة

---

(١) ملاحظة: سام ريتشارد سون هو واحد من كبار المغتربين الذى تعامل عن قرب مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. عمل الرجل رئيسا للحى فى السودان، كما كان محاميا مؤهلا. فى نيجيريا. كان سام ريتشارد سون يتمتع بوضعية الممثل المقيم بصفته مفوضا. ثم يصبح الرجل بعد ذلك مديرا لمعهد الإدارة، فى زاريا، كما ألف كتبا عدة، ويسافر الرجل بعد ذلك إلى أستراليا، بصفته ناظرا لكلية التربية المتقدمة فى كانبرا.

العاصمة فى كادونا، كانت تلك المدرسة تضم خليطا من الأطفال الأوروبيين والأطفال الأفارقة. (قبل ذلك كان الأطفال الأوروبيون يلتحقون بإحدى مدارس الجيش). وهنا يجب ألا يغيب عنا أن الانتقال كان هينا لينا إلى حد بعيد(١).

هناك تباينات أوروبية أخرى كثيرة فى إدراك الأوروبيين لتداول السلطة الإدارية والسلطة السياسية فى كادونا. ويرجع جزء من التوتر الذى أصاب ذلك التداول إلى التغيير الذى طرأ على البنى وعلى الإجراءات، ويرجع الجزء الآخر إلى العلاقات المعكوسة. هؤلاء الأوروبيون الذين يستطيعون استيعاب هذه الخطوة، والقادرين على موالاة الإدارة الشمالية الجديدة، سوف يلعبون أدوارا بارزة فى تشكيل الخدمة المدنية فى فترة ما بعد الاستقلال.

٣- الجيل الأول من الموظفين المدنيين الشماليين:

تصبح روح الفريق طابعا مميزا فى الخدمة المدنية فى الشمال. أفراد هذه الخدمة يشتركون فى بعض المهارات، بما فى ذلك المستويات العالية من الكفاية فى اللغة الإنجليزية والقدرة الإدارية العالية. ويشتركون أيضا فى كود من الأخلاقيات التى تؤكد على أدوار هؤلاء الأفراد من منطلق أنهم يشكلون البنية الأساسية للحكم والحكومة. (من هنا تراجع السواد الأعظم منهم عن أن يصبحوا شخصيات عامة، وفضلوا البقاء فى خلفية الصورة) هم يشتركون فى منطق وأخلاقيات العمل العام، فضلا عن استعدادهم لتولى المهام حيثما وأينما طلب منهم ذلك. هم يشتركون فى فكره النزاهة وطهارة اليد، والمخطئ عادة ما يكتشف أمره، ويجرى إشعاره برفض الخدمة المدنية له، أو يطلب منه تقديم استقالته. هؤلاء الأفراد يحترمون الكثير من "القيم القديمة" الخاصة بالخدمة المدنية البريطانية، من حيث الاستعداد للعمل مع السلطة القائمة، ولكنهم يشتركون أيضا فى بعض الخصائص القيمة التى اصطبغت بها الخدمات الإدارية فى فترة ما قبل الاستعمار. بما فى ذلك النزاهة، والعلم، والإخلاص والنظام الصارم.

---

(١) المرجع السابق.

تقسيم الخدمة المدنية إلى مستويات ودرجات يجيء بمثابة انتقال هين وسهل عند الشماليين الذين اعتادوا وتمرسوا على ذلك التسلسل الهرمى. الدرجة لها امتيازاتها ولكن عليها أيضا مسئوليات، كما هو الحال فى التنظيم العسكرى تماما. كان هناك مبدأ محدد وثيق الصلة بالمراتب السِّنِّية. فى بعض الحالات، كان صغار السن يرأسون كبار السن، ومع ذلك كان هناك إحساس بأن الطبيعى هو أن يتداخل كبار السن مع أفراد الخدمة المدنية. هناك فارق يقدر بعامين أو ثلاثة فى تواريخ ميلاد العاملين المبلَّغة فى الخدمة المدنية، والتواريخ نفسها حسبما هى مسجلة فى السجلات العائلية. (ونحن فى هذه الدراسة نعتمد على "تواريخ الميلاد" الرسمية فقط فى أغلب الأحيان).

منظومة الفئة السنية غير الرسمية، هى التى تهيئ للشماليين العاملين فى الخدمة المدنية فرصة تصنيف بعضهم لبعض، وهى أيضا التى تجعلهم يفكرون ويتصرفون فى ضوء المجموعات السنية. وليست هناك قواعد صارمة تحدد المقصود بالمجموعة السنية، ولكن هناك إحساس بما هو مطلوب ومناسب. فى البدايات، كانت المجموعة السنية تعنى أفراد جيل بعينه. ثم شاعت بعد ذلك فكرة المجموعات السنية الخماسية (أى من خمس سنوات فأكثر). وبذلك تصبح مسألة إدراك المجموعات السنية مدخلا من مداخل تحليل نمو الخدمة المدنية فى الشمال فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين.

أول جيل من أجيال الموظفين المدنيين الشماليين يتكون من هؤلاء الذين ولدوا خلال الجيل الأول من القرن العشرين، أو بالأحرى فى الفترة من ١٩١٠ – ١٩١٩، والسواد الأعظم من أفراد هذا الجيل التحقوا بالخدمة المدنية فى أربعينيات القرن العشرين.

عميدا الخدمة المدنية فى الخدمة المدنية فى الشمال هما أبو بكر إمام (الذى تناولناه فى الفصل الخامس) وأحمد كوماسى Coomassie[(١)]. أحمد كوماسى هو أول نيجيرى شمالى يشغل منصب السكرتير الدائم فى شهر أغسطس من عام ١٩٦٠، بعد أن تسلم ذلك المنصب من السيد هـ. رنش Wrench فى وزارة الرفاه الاجتماعى والتعاونيات. حتى ذلك الحين كان أحمد كوماسى يشغل منصب نائب السكرتير الدائم فى وزارة التربية والتعليم، بحكم حياته العملية الطويلة فى مجال التعليم. ثم رقى الرجل إلى موظف إدارى من الدرجة الأولى فى عام ١٩٥٩. وبذلك يكون "الجيل الأول" من الموظفين المدنيين قد بدأ يتبوأ المراكز الرئيسية ذات المسئولية فى فترة الاستقلال على وجه التقريب.

---

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ٢٥ من شهر مايو من عام ١٩٨٥ فى كاتسنا. بدأ أحمد كوماسى تعليمه فى منطقة كوماسى، فى غانا، ولكن بعد أن أمضى الرجل عاما واحدا هناك، أوفده أبوه إلى كاتسنا، موطن الأسرة الرئيسى. وفى سن السادسة عشر (فى عام ١٩٤٢) يلتحق أحمد كوماسى بالمدرسة المحلية القديمة فى كاتسنا. ويلتحق الرجل بالصف الرابع، ولكنه قفز بعد ذلك إلى الصف السادس، الذى أمضى فيه عامين. وينهى الرجل دراسته فى عام ١٩٢٧. بعد أن أكمل ثلاثة أعوام من التعليم الرسمى. كان بوسع الرجل الالتحاق بكلية كاتسنا. ولكنه آثر أن يصبح مدرسا متدربا. وأُرسل الرجل إلى مدرسة القرية فى بلدة مانى. ليشغل منصب المدرس الأول. بقى الرجل فى مانى طيلة ثلاث سنوات. وفى عام ١٩٣٢، سئم الرجل التعليم. وتملكته رغبة العودة إلى كوماسى. وكتب الرجل إنذارا للأمير (ديكُو) الذى غضب وثار، وأجبره على أن يقطع الاثنين وعشرين ميلا إلى بلدة مانى ماشيا على قدميه. ونقل الرجل إلى كاتسنا فى عام ١٩٣٣. فى ذلك العام أيضا رافق أحمد كوماسى والده فى رحلة الحج البرى من كنو. إلى ميدوجورى، إلى كردفان، إلى الأبيُض، والخرطوم ومنها إلى جدة. كانت الجماعة تضم أربعين فردا واستغرقت الرحلة اثنين وعشرين يوما وصلوا بعدها إلى جدة. ثم أصبح أحمد كوماسى بعد ذلك أستاذا زائرا فى كاتسنا ثم بعد ذلك موظفا محليا للتربية والتعليم فى عام ١٩٤٦. وفى عام ١٩٥٢، جرى نقل الرجل إلى زاريا للاشتراك فى حملة الحرب على الجهل. وفى عام ١٩٥٦ أصبح الرجل نائبا لسكرتير وزارة التربية والتعليم الدائم. وفى عام ١٩٦٠ أصبح أول سكرتير شمالى دائم فى الإقليم الشمالى (وزارة الرفاه الاجتماعى والتعاونيات). فى عام ١٩٦٢ انتقل الرجل إلى وزارة المؤسسات والتدريب. وفى عام ١٩٦٣ أصبح الرجل سكرتيرا دائما للتربية والتعليم.

حياة أحمد كوماسى العملية واضحة تماما. وهو أصلا ابن "أمير" أو بالأحرى "رئيس" الجالية الهوسوية فى كوماسى، فى غانا، وسبق له أن أمضى فترة من حياته فى كاتسنا. أحمد كوماسى "رجل عصامى"، تعلم بفضل مجهوده الشخصى. (وهو عصامى التعليم قلبا وقالبا) ويعين أحمد كوماسى مدرسا فى التعليم الأولى فى كاتسنا. وهم ينظرون إليه باعتباره شخصا متعلما. ويوم أن كان كبار موظفى التعليم من البريطانيين، كان هو النيجيرى الوحيد. فى خمسينيات القرن العشرين، يركز الرجل على حملة القراءة والكتابة فى الشمال والتى أطلق عليها اسم "الحرب على الجهل" yaki da Jahilci، والتى ركزت على الكتابية. وركز الموظفون على أمور أخرى مثل "الكسل" lalaci "وسوء السلوك" Sakarci. هذه الحملة كانت بمثابة أكبر الجهود الشعبية قبل مجىء السياسة.

بعد حملة "الحرب على الجهل"، يصبح أحمد كوماسى موظفا إداريا فى كادونا، ويجرى ترقيته إلى منصب السكرتير الدائم(١). وينظر الناس إلى الرجل

---

(١) فى فترة ما بعد الاستقلال، يصبح أحمد كوماسى كبيرا للموظفين الإداريين الشماليين. وسوف يطلب إليه أن يحل محل جريتباتش فى رئاسة الخدمة المدنية، ويرفض أحمد كوماسى هذا العرض. ويجرى تقديم العرض نفسه بعد ذلك لأحمد طالب. ويستقر المنصب فى نهاية المطاف لعلى عقيل. (وهذا ما سوف نناقشه فى الفصل الرابع عشر) وعليه، وفى عام ١٩٦٣ وعندما يتقاعد جريتباتش من رئاسة الخدمة المدنية، يطلب أحمد بللو من أحمد كوماسى أن يكون رئيسا للخدمة المدنية. وهنا قال أحمد كوماسى: "لا" أحس الرجل أنه ليس خريجا من الجامعة وأن الإنسان إذا ما أراد السير فى هذا الطريق، تعين عليه أن يكون مؤهلا لذلك. وأبلغ الرجل هذا السبب لأحمد بللو وهنا أحس أحمد بللو بعدم الرضا. وسأله أحمد بللو عمن يمكن أن يرشح لذلك المنصب؟ أحمد طالب. ولكن أحمد طالب رفض هو الآخر. وقال المستشار السياسى الرئيسى Sardauna: أنتما ترفضان؟ وأنا لابد من حصولى على بديل على وجه السرعة. وهنا جلس أحمد كوماسى وأحمد طالب سويا. كما لو كانا لجنة. وجاءا باسم على عقيل وبابا جانا Gana. فى بداية الأمر حاول على عقيل أن يرفض، لأنه استشعر أن أحمد بللو رجل حركى وأن المرء لابد أن يكون مستعدا بصورة دائمة. وهذا استدعى أحمد بللو عقيل وقال له: "هذا هو قرار اللجنة" ورد عقيل قائلا: "لا" وهنا بدأ المستشار السياسى الرئيسى يسىء إليه ويعنفه: "الناس لن يأتوا لخدمتى. أما أنت، بحكم أنك من منطقتى لا يمكنك أن ترفض" كان عقيل يصيح ألما، ولكنه قبل فى نهاية المطاف.

فى عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ قدم أحمد كوماسى إشعارا يفيد أنه يود أن يتقاعد، ولكن أمكن إقناع الرجل بالعمل تحت رئاسة عقيل لكى يساعد فى الفترة الانتقالية. (أصبح الرجل سكرتيرا دائما فى وزارة التخطيط الاقتصادى (وزارة عقيل القديمة). وأصبح طالب سكرتيرا دائما فى وزارة المالية. وفى مطلع عام ١٩٦٥، تقاعد كوماسى من الخدمة المدنية، وعرض عليه العمل فى شركة التبغ النيجيرية. وتقاعد الرجل فى عام ١٩٧١، وعاد إلى كاتسنا.

باعتباره شخصية صلبة، وتشيع سمعة نزاهته، واحترامه لشخصه، ويذيع أيضا صيت عمله الدؤوب وخدمته العامة. (وهو الذى تزعم الإضرابات التى حدثت فى كنو فى عام ١٩٥٣، وهو الذى سوف يتزعم بعد ذلك الإضرابات التى ستحدث فى تيف Tiv).

هناك أشخاص آخرون من "الجيل الأول"، عملوا فى مجال الخدمة المدنية وهم: ر. إيه. ب. ديكوُ، ومحمد لاوان، ويحيى جوساو، وعبد الرحمن أوكين، وأحمد طالب، وعيسى كوتو، وعبد الرحمن مورا، وموسى دجاش. وكلهم أصغر سنا من أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، ولكنهم قريبين جدًا سنيا من بعضهم البعض بحيث يمكن القول أنهم ينتمون إلى مجموعته السنية.

ر. ايه. ب. دكُو (المولود فى عام ١٩١٢) طبيب مسيحى من زاريا (وهو من جالية وساسا Wusasa الهوسوية) وهو مؤسس عتيد من مؤسسى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى (راجع الفصل الخامس). هذا الرجل يترك العمل بالسياسة مع بداية العملية الانتخابية، حتى يتمكن من الاحتفاظ بوظيفته فى الخدمة المدنية. التحق الرجل بالخدمة المدنية فى عام ١٩٤١، ثم أصبح موظفا إداريا من الفئة العالية فى عام ١٩٦٢.

الدكتور محمد ممان Mamman لاوان[١] (المولود فى عام ١٩١٤) من ميدوجورى وقد التحق بكلية كاتسنا (١٩٣٣ – ١٩٣٧) ثم بكلية الزراعة فى كل من سامارو samaru وإيبادان Ibadan (فى الفترة من ١٩٣٧ – ١٩٣٩). وبحكم كونه اختصاصيا زراعيا، فقد عُين الرجل فى مقاطعة كنو فى عام ١٩٣٩ – ١٩٤٠، بصفته مغتربا. وخلال الحرب العالمية الثانية، وعندما كان روميل يحاول الاستيلاء على القاهرة، كانت القوة الجوية الأمريكية متمركزة فى كنو، وكان على "ميدوجورى" أن تنتج ما يتراوح بين خمسة إلى ستة آلاف طن من الخضراوات يوميا للمجهود الحربى، الذى أصبح هذا العمل من مسئوليته الشخصية (طوال الفترة من عام ١٩٤٠ – ١٩٤٥). فى عام ١٩٤٥ كان محمد لاوان أول موظف

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى.

زراعى شمالى، وطلب إلى الرجل أن يرسم سياسة لمقاطعة برنو. ومن باب الاستعداد لهذه الأعمال، يسافر الرجل إلى الخارج مدة ثمانية أشهر إلى السودان، ومصر، وفلسطين، والعراق نظرا لأن هذه الدول لها الظروف البيئية نفسها التى فى نيجيريا. وقد أسفر المسح الفيدرالى الحكومى عن اكتشاف نقص فى بعض الفيتامينات، ولذلك كانت هناك حاجة ماسة إلى زيادة أعداد أشجار الفاكهة. (لم يكن هناك سوى قليل من أشجار المانجو فى منازل الموظفين الاستعماريين، بالإضافة إلى ما يقرب من اثنتى عشرة شجرة من أشجار الجوافة، وهذا هو ما كان عليه الحال فى ذلك الوقت) ويسافر محمد لاوان إلى دول الشرق الأوسط، بحثا عن البذور والشتلات، وينشئ الرجل مشاتل (للمانجو، والجوافة، إلخ). وبعد سبع سنوات يصبح هناك حوالى مليونى شجرة من أشجار الفاكهة فى برنو، بالإضافة إلى أنواع راقية من أشجار المانجو. (فى عام ١٩٨٣، تنتج برنو المزيد من المانجو عن بقية سائر أنحاء نيجيريا مجتمعة). ونظرا لعدم انتظام الأمطار فى برنو (حوالى ٥ إلى ٨ بوصات فى العام) ولكن نظرا أيضا لأن الأنهار تنساب إلى بحيرة تشاد، فإن ذلك يترتب عليه طبقة من الطمى، التى تحتاج إلى الرى. لم تكن هناك أموال لدى الحكومة، ولذلك قام محمد لاوال بعمل تجربة صغيرة على حوالى ٤٠٠٠ فدان، هذا هو ما أطلق عليه اسم مشروع نهر يوب yobe؛ ونهر مبيجى Mbege. وبعد موسمين أو ثلاثة ينجح المشروع. وفى عام ١٩٦٠ يصبح محمد لاوال سكرتيرا دائما لوزارة الزراعة والغابات فى كادونا، ويبقى الرجل فى هذا المنصب إلى عام ١٩٦٨ عندما جرى تقسيم الشمال إلى ثلاث ولايات[1].

يحيى جوساو (المولود فى عام ١٩١٦)[2] يدخل أيضا ضمن المجموعة السنية للجيل الأول من موظفى الخدمة المدنية. (راجع الفصلين الرابع والخامس للوقوف على الحوار الذى دار حول هذا الموضوع) وفى عام ١٩٤٧ يساعد يحيى

---

(١) يقول الدكتور محمد لاوان إنه رفض مستقبلا عمليا فى مجال التعليم لأنه كان يفضل الزراعة. وإن جده كان فلاحا جيدا، وإنه يشجع محمد عندما كان طفلا على التفكير فى الزراعة.

(٢) مقابلة شخصية بتاريخ ١٨ من شهر يوليو من عام ١٩٨٣، فى كادونا. كان يحيى جوساو يُدرِّس الرياضيات فى كلية كادونا، وبذلك كان يعاون فى تخريج المهندسين، والأطباء، والحرفيين الماهرين الآخرين. يضاف إلى ذلك أن الرجل كان يلقن الطلاب مذهب القومية وكراهية الاستعمار.

جوساو فى رابطة مدرسى الشمال بل إنه كان أول أمين صندوق لتلك الرابطة. وفى عام ١٩٥٤، يسافر يحيى جوساو إلى إنجلترا لحضور برامج الارتباط البرلمانية بالكمنولث البريطانى، وعندما عاد الرجل، إلى بلدة، قام بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية لدراسة أنظمة التربية والتعليم. وبعد عودته عين مسئولا عن التربية والتعليم فى الإدارة المحلية فى الإقليم الشمالى. وفى شهر يونيو من عام ١٩٥٥، يجرى إلحاق يحيى جوساو على لجنة الخدمة العامة الفيدرالية، فى منصب العضو الدائم، ويشغل ذلك المنصب إلى عام ١٩٥٩ حيث يجرى تعيينه فى منصب رفيع.

شخصية رئيسة أخرى من شخصيات الجيل الأول، تتمثل فى شخص أحمد طالب (المولود فى عام ١٩١٨)[١]. أحمد طالب ولد فى يروا Yerwa (فى برنو) والتحق بمدرسة برنو المتوسطة، ثم التحق بعد ذلك بكلية كاتسنا (١٩٣٤ – ١٩٣٦)، ولكنه لم ينه دراسته فى تلك الكلية، ولكنه يعود إلى برنو للعمل فى خزينة الإدارة المحلية. ويبقى الرجل فى برنو مساعدا لأمن خزانة برنو إلى شهر مارس من عام ١٩٤٦. ويجرى ترشيح الرجل لكلية تدريب الكتبة فى زاريا (التى تحولت بعد ذلك إلى معهد الإدارة) فى الأول من شهر أبريل من عام ١٩٤٦، ليعمل مدرسا فى الكلية لمادة المحاسبة المحلية. كانت الإدارات المحلية تكفل طلابها طيلة عام كامل، يحصل الطالب بعده على شهادة. وفى نهاية عام ١٩٤٧ ينقل الرجل إلى خدمة الحكومة ويستمر فى عمله فى زاريا إلى عام ١٩٥٢. (وفى عام ١٩٤٩، وفى ظل مشروع النيجرة، يجرى ترفيع الرجل إلى سكرتير مساعد، فى الوظائف الإشرافية) وفى عام ١٩٥٢ يوفد الرجل إلى المملكة المتحدة لحضور دورة ديفنشاير Devonshire، وهى عبارة عن دورة مدتها عام واحد لموظفى الإدارة أصحاب الخبرات السابقة. ويلتحق الرجل بجامعة لندن ويتخصص فى تنمية المجتمع. (فى ذلك الوقت، كانت دورات ديفنشاير تقدم فى جامعة أكسفورد، وجامعة كمبردج، وجامعة لندن) ويعود الرجل إلى نيجيريا فى عام ١٩٥٣ ويجرى

---

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ٢١ يوليو. من عام ١٩٨٣، فى كادونا.

تعيينه فى وظيفة سكرتير المالية فى كادونا كسكرتير مساعد لماليات الإدارة المحلية، ويستمر الرجل فى هذه الوظيفة إلى عام ١٩٦٠. (ملاحظة: يتحول هذا المنصب إلى وزارة للمالية، ومع بدء الحكم الذاتى فى عام ١٩٥٩ يجرى ترقية الرجل إلى موظف إدارى من الدرجة الأولى)(١).

هناك شخصيات أخرى بين أفراد هذه المجموعة السنية، منها عبد الرحمن أوكينى على سبيل المثال. عبد الرحمن هذا مولود فى عام ١٩١٦. يضاف إلى ذلك أن قلة قليلة من الشماليين خلال هذه الفترة التحقوا بالخدمة المدنية الفيدرالية (الاتحادية) وموسى دجَّاش واحد من أولئك الشماليين الذى التحقوا بالخدمة المدنية الفيدرالية(٢). موسى دجاش ولد فى عام ١٩١٧ لأسرة من أسر الشوًا العربية. (هذه الأسرة تقيم فى منطقه كايرنوا Kirenowa) فى برنو، ثم يلتحق الرجل بالمدرسة فى ميدوجورى (فى الفترة من ١٩٢٤ – ١٩٣٤). ويلتحق الرجل بعد ذلك بكلية كاتسنا (الفترة من ١٩٣٤ – ١٩٣٨). فى ذلك الوقت كان ناظرا لكلية يوجه الطلبة إلى ثلاثة اتجاهات مهنية: الزراعة، والغابات، والهندسة. ويجرى توجيه موسى دجاش لدراسة الغابات، ويمضى فى هذه الحرفة عشرين عاما. وفى الفترة من ١٩٤٩ – ١٩٥١، يلتحق موسى بكلية القديس جون، بجامعة أكسفورد، لحضور برنامج دراسى عن الغابات. ويتجول الرجل على نطاق واسع فى كل من سويسرا، وألمانيا، ويلتقى بالمتخصصين فى الغابات. وفى عام ١٩٥٩، أى قبيل الاستقلال، ثبت عدم وجود حتى ولو شمالى واحد ضمن الخدمة العامة فى ليجوس. وقد أثار ذلك الرعب والفزع. وهنا يقوم البريطانيون بالتجوال هنا وهناك ويجمعون اثنى عشر رجلا من "كبار السن"، بغض النظر عن مجالات تخصصاتهم، وينقلونهم لإشراكهم فى الإدارة فى ليجوس. وهنا يُرقًى موسى دجاش سكرتيرا مساعدا أول.

---

(١) فى مطلع عام ١٩٦١ يجرى تعيين أحمد طالب ممثلا مقيما فى مقاطعة أدماوا لمدة ستة أشهر. وفى نهاية عام ١٩٦١ يعود الرجل إلى كادونا بصفته قائما بعمل السكرتير الدائم. لوزارة المالية فى عام ١٩٦٢. ويبقى الرجل فى هذا المنصب إلى عام ١٩٦٨، وهو العام الذى أنشئت فيه الولايات.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدجورى.

قبل هذا المنصـــب الأخير كان موسى دجاش جــزءا من "الخدمة الاستعمارية" (بدلا من الإدارة المحلية) وكان يقوم بمهام فى أنحاء الشمال. (فى الفترة من ١٩٣٩ – ١٩٤١، كان موسى دجاش فى سكتو، ولكن وجود المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى الإدارة المحلية حال بين موسى وبين مداومة الاتصال بأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى) فى عام ١٩٥٩، سافر موسى دجاش إلى جوس Jos، وتلقى اتصالاً هاتفيا: "أنت مطلوب فى ليجوس". وسافر الرجل إلى ليجوس(١). هناك بعض الشماليين الآخرين الذين عينوا فى ليجوس فى عام ١٩٥٩ ومن بينهم:

١) على البرنى (توفى)، فى البنك المركزى.

٢) المعلم نبارا Nabara (توفى).

٣) عودى هويدى (تقاعد) قطاع الكهرباء (مؤسسة الكهرباء النيجيرية، ثم بعد ذلك فى الرابطة التقدمية لعناصر الشمال).

٤) سول Sule كاتا جوم (متقاعد)، رئيس لجنة الإدارة المحلية.

٥) عمر باوتشى (مفوض الإسكان فى ولاية باوتشى). وغيرهم سيأتى ذكرهم.

لم يجر إرسال أى أحد من الإدارة المحلية إلى ليجوس، اللهم باستثناء أولئك الذين جاءوا من الخدمة الاستعمارية. كان الشماليون فى ليجوس موزعين هنا وهناك، ويحسون بالعزلة الكاملة(٢). لم يخطر ببال البريطانيين مطلقا وضع الشماليين فى ليجوس(٣).

---

(١) فى عام ١٩٦٢، أصبح موسى سكرتيرا دائما فى ليجوس إلى عام ١٩٧٤ وهو العام الذى تقاعد فيه ذلك الرجل. عين الرجل فى بداية الأمر فى وزارة المناجم والقوى، ثم بعد ذلك فى وزارة النقل والدفاع.

(٢) فى بداية الأمر كان الشماليون يسمون "الجمبارى" فى ليجوس. واليوروبا هم الذين ينعتونهم بهذه الصفة. ثم أطلق عليهم بعد ذلك لقب "معلم"، ثم بعد ذلك "الحاج". المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

كان أفراد الجيل الأول من الموظفين المدنيين الشماليين، من مقاطعات مختلفة وكان انتماؤهم أكثر للوحدة الإقليمية الأكبر منه إلى وحدات الحكم المحلى الفرعية. المهم أن بعض هؤلاء الموظفين جاءوا من برنو (محمد لاوان، وأحمد طالب، وموسى دجاش) ومن منطقة كاتسنا زاريا (أبو بكر إمام، أحمد كوماسى، الدكتور ديكو). كان عدد الشماليين قليلا جدًا فى كنو، التى فيها أكبر وأقوى منظومات الحكم المحلى فى الشمال، فضلا عن توافر المجالات العملية الجاذبة للرجال الأكفاء من الإدارة المحلية. (فى ذات الوقت، أسفر ذلك عن تقوية "المحلية" فى كنو، الأمر الذى يصل إلى حد التبارى مع المنظومة الإقليمية) القسم الأكبر من الجيل الأول من الموظفين المدنيين تلقوا تعليمهم فى كلية كاتسنا، ومن ثم كانت هناك سمات مشتركة كثيرة بينهم وبين الجيل الأول من الزعماء السياسيين الشماليين. هذا بدوره ولّد بين الجميع إحساسا متبادلا بالأهداف المشتركة. وإذا كانت القيود الاستعمارية أقل صرامة على الموظفين المدنيين المشاركين فى السياسة الحزبية، فالأرجح هو أن هذا الجيل من الموظفين المدنيين هم الذين كانوا أكثر فاعلية فى الحياة السياسية الشمالية. واقع الأمر، أن هذا الجيل الأول هو بمثابة الكادر الإدارى الذى بدأ تنفيذ خطط الزعماء السياسيين. أفراد هذا الجيل الأول هم الذين ساعدوا فى تحديد وتدريب الأجيال العديدة من الموظفين المدنيين الشماليين التى جاءت بعد ذلك. أفراد هذا الجيل الأول هم بمثابة الأدوار النموذجية فى الخدمة المدنية، والسبب فى ذلك هو مهارات هؤلاء الأفراد الإدارية العامة، والمهارات الوظيفية الخاصة (مثل المالية، والتعليم، والغابات، والزراعة، والطب).

٤ـ الجيل الثانى:

الجيل الثانى من موظفى الإدارة المحلية فى الشمال ولدوا فى عشرينيات القرن العشرين ودخلوا الخدمة فى خمسينيات القرن نفسه. والمجموعة الأولى من هذا الجيل الثانى تضم أولئك الذين ولدوا فى الفترة ما بين ١٩٢٠ – ١٩٢٤ من أمثال محمد جوجباو Gujbawu (ولد فى عام ١٩٢١)، وإبراهيم أرجونجو

Argungu (المولود فى عام ١٩٢٢)، وآبا جدّوم Abba Jiddum (المولود فى عام ١٩٢٢)، والدكتور عبد العطا (المولود فى عام ١٩٢٢)، وإبراهيم دسوقى (المولود فى عام ١٩٢٣). والمجموعة الأخرى من الجيل الثانى تشتمل على أولئك الذين ولدوا فى الفترة ما بين ١٩٢٥ – ١٩٢٩، من أمثال عمر عودى Audi (المولود فى عام ١٩٢٦)، ومحمد منجونو (المولود فى عام ١٩٢٦)، وعبد الله محمد (ولد فى عام ١٩٢٦)، ومحمد بلو Belo (المولود فى عام ١٩٢٧)، وبوكار شايب (المولود فى عام ١٩٢٧)، ومحمد جيجا Jega (المولود فى عام ١٩٢٨)، وعلى عقيل (المولود فى عام ١٩٢٨). هذان النسقان السنينان بدآ تولِّى المسئوليات الرئيسية فى خمسينيات القرن العشرين، ثم الاضطلاع بالمسئوليات الكبرى فى ستينيات القرن العشرين.

محمد جوجباو Gujbawu[1] هو أصلا من مقاطعة برنو، التحق بمدرسة القرآن الكريم، ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الابتدائية فى ميدوجورى (بروا)، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة برنو المتوسطة (١٩٣٣ – ١٩٣٨). ومحمد جوجباو من بين الطلاب الأوائل الذين التحقوا بكلية كادونا (١٩٣٨ –١٩٤١)، ثم قرر بعد ذلك الانخراط فى مجال الزراعة. ويلتحق الرجل بكلية الزراعة فى سامارو Samaru (فى الفترة من ١٩٤١ – ١٩٤٣) للحصول على دبلوم الزراعة، مع التركيز على الاقتصاد الحيوانى، والطب البيطرى، والكيمياء الزراعية، وعلم الأحياء الزراعى. ويعود الرجل ثانية إلى برنو، إلى الإدارة المحلية تحديدا، ويشغل منصب مساعد زراعى للتدريب لمدة عام (إبريل ١٩٤٣ إلى يونيو ١٩٤٤). طوال هذه الفترة، ولأسباب محلية، يترك الرجل العمل فى مجال الزراعة ويلتحق بإدارة التعاونيات فى الحكومة المركزية. يبدأ الرجل حياة عملية فى التعاونيات. ويُوفَد الرجل إلى إيبادان لمدة عام للحصول على دبلوم فى التعاونيات. ويعود بعد ذلك إلى زاريا فى وظيفة مفتش تعاونيات من الدرجة الثالثة، وكان ذلك فى مطلع عام ١٩٤٥. ويصبح الرجل مسئولا عن مقاطعات الشمال كلها فيما عدا كنو، التى يوجد فيها

(١) مقابلة شخصية فى ٩ أغسطس من عام ١٩٨٤. ميدوجورى. رواية الخدمة المدنية الرسمية عن تاريخ مولد الرجل فى عام ١٩٢١. يقال إن تاريخ ميلاده قبل هذا التاريخ.

مفتش آخر. فى تلك الفترة يعمل الرجل على تشجيع الاقتصاد فى الأنفاق، وتشجيع جمعيات الإقراض، كما اهتم الرجل أيضا بمستخدمى الحكومة والمستخدمين العاملين فى مجال المال والأعمال. (فى ذلك الوقت، كانت البنوك لا تخدم سوى الأعمال المالية الكبيرة، وبالتالى لم يكن عامة الناس يقصدون هذه البنوك للحصول على قروض الإنتاج) ويحاول الرجل أيضا إنشاء تعاونيات ائتمانية وتعاونيات للتسويق، نظرا لأن القسم الأكبر من مبيعات المنتجين كان يجرى التعامل فيه من خلال الوسطاء أو وكالات الشراء الرسمية. نوع آخر من التعاونيات هو التعاونيات "الاستهلاكية"، من النوعية الموجودة فى بريطانيا، حيث تباع السلع بأسعار أرخص من أماكن البيع الأخرى. وفى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٠ يصبح محمد جوجباو أول رجال الشمال الذين سافروا إلى الخارج لأجراء المزيد من الدراسات على التعاونيات، ويمضى الرجل عاما واحدًا فى ميدلندز Midlands (فى المملكة المتحدة) يدرس فيه التعاونيات والعلوم الاجتماعية. فى عام ١٩٥١، يعود الرجل إلى شمالى نيجيريا، مفتشا تعاونيا، ويبقى فى هذا المنصب إلى عام ١٩٥٢. ثم يجرى بعد ذلك إنشاء وزارات، وينقل الرجل بعد ذلك إلى وزارة التجارة والصناعات، ويُوفد إلى ليجوس مدة ثلاثة أشهر لحضور دورة تدريبية. (هذا وزير مفوض فيدرالى، أما السكرتير الدائم فمنصب فى كادونا) فى عام ١٩٥٢ يجرى نقل الرجل إلى وظيفة فى كنو، ويصبح مسئولا عن الشمال كله. كان الرجل دائم الحركة والتجوال، وكان مهموما بالتدريب، وتقديم النصح والمشورة لرجال المال والأعمال فى مجالات الاستيراد والتصدير والتأمين وإمساك الدفاتر البسيطة والمحاسبة والأفكار والطرق الخاصة بوكالات الشراء الرسمية والأفكار الخاصة بالبنوك وأعمال وكالات النقل، إلخ. ويُدَرِّس الرجل مقررات ويلقى محاضرات على رجال الأعمال المحليين، ثم ينقل الرجل بعد ذلك إلى وزارة التعاونيات، فى الإقليم الشمالى فى عام ١٩٥٤ (تحت رئاسة ميخائيل عودو يوبا). وفى الوقت ذاته، يُوفد الرجل إلى شرق إفريقيا مرة ثانية لحضور دورة مدتها أربعة أشهر عن التعاونيات فى بلدة موشى Moshi، وهذه الدورة من تنظيم المكتب الاستعمارى. وعند عودته، يعين الرجل فى ميدوجورى مساعدا لكبير مسجلى التعاونيات فى المنطقة (وذلك فى عام ١٩٥٤)، بحيث يغطى ثلاث مقاطعات: برنو، وأدماوا،

وباوتشى. وفى عام ١٩٥٦، ينقل الرجل إلى زاريا فى وظيفة كبير المسجلين، بحيث يكون مسئولا عن الهضبة وعن زاريا، ثم خدم أيضا فى وظيفة ناظر مدرسة التدريب الزراعى، وعميدا لمعهد الإدارة، ويستمر فى هذا العمل طيلة ثلاث سنوات (١٩٥٦ – ١٩٥٩). لم يكن الرجل يعمل مع الوزير، وإنما كان عمله مع المسجل (وهو مغترب) فى كادونا. وفى شهر مارس من عام ١٩٥٩، ينقل الرجل إلى كبّا ويبقى فيها إلى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠، فى وظيفة كبير مفتشى التعاونيات. وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠ الميلادى، يُنقل محمد جوجباو إلى كنو، ويرقى إلى مساعد للرئيس العام لمفتشى التعاونيات لمدة سبعة أشهر. وبعد الاستقلال، يجرى تعيينه فى مناصب عدة من المناصب الدائمة[١].

ناقشنا فى الفصلين الرابع والخامس المستقبل العملى لأبى جدُّوم جانا[٢]. هذا الرجل من أهل برنو، ويعمل فى كادونا طوال أربعينيات القرن العشرين وخمسينيات القرن العشرين، فى مجال العلاقات العامة، وتعليم الكبار، وفى مجال الإعلام والنشر.

سبق أيضا أن ناقشنا المستقبل العملى لإبراهيم أرجونجو فى الفصل الرابع. وفى ضوء ما تعلمه من الإدارة المحلية فى سكتو، يصبح الرجل سكرتيرا لاتحاد التنمية الإقليمية الشمالى فى عام ١٩٥٦، تحت رئاسة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، وفى عام ١٩٥٩ ينقل الرجل إلى زاريا لرئاسة مؤسسة جريدة جاسيكا (الحقيقة)[٣].

---

(١) فى شهر مايو من عام ١٩٦١، ينقل الرجل إلى كادونا ليعمل تحت رئاسة مسجلها. وفى شهر أغسطس من عام ١٩٦٢، يجرى ترقية الرجل إلى وظيفة سكرتير دائم للوزارة، تحت رئاسة أمير زاريا (أحمد فاتيكا). ويعمل الرجل فى زاريا فى الفترة من مايو ١٩٦١ إلى أبريل ١٩٦٥. ثم ينقل بعد ذلك إلى وظيفة سكرتير دائم فى وزارة الداخلية (تحت رئاسة سيرومان كاتاجوم). ويبقى الرجل فى منصب السكرتير الدائم فى وزارة الداخلية إلى شهر مارس من عام ١٩٦٧، وعندها يتقاعد الرجل من الخدمة.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ١١ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى.

(٣) مقابلة شخصية بتاريخ ١ من سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى سكتو. يعين الرجل بعد الاستقلال رئيسا للجنة الخدمات الشعبية فى عام ١٩٦١. ثم سكرتيرا إقليميا، فى كاتسنا، وفى عام ١٩٦٧ يعين الرجل سكرتيرا دائما فى وزارة الأراضى والمسح. (يتوفى الرجل فى عام ١٩٨٤)

يصبح الدكتور عبدول عطا Atta[١] شخصية محورية فى تطوير الخدمات الصحية فى الشمال، كما يصبح طبيبا شخصيا لأحمد بللو. عبدول هذا وُلِدَ فى أوكينى، ثم التحق بمدرسة أولية من مدارس الناطقين بلغة الهوسا. وفى عام ١٩٣٠، يجرى افتتاح مدرسة أوكينى المتوسطة ويصبح عبدول واحدا من الطلاب الأول فى هذه المدرسة. ونظرا لأن لوكوجا Lokoja كانت أول عاصمة للإقليم الشمالى فى ذلك الوقت، فقد كان هناك غانيون كثيرون وسيراليونيون كثيرون يديرون هذه المدرسة. والد الدكتور عبدول هو عطا الإجبيرى – (راجع الفصل السادس) – وهو من العرب المميزين. كان عطا يود لولده السفر للدراسة فى فريتون Freetown، ولكن الأستاذ الدكتور وارد Ward الأشيموتى، الذى سبق له العمل مع عطا الإجبيرى، فى جمع التاريخ المحلى، يحث عبدول على المجىء إلى أشيموتا، ويوافق عبدول ويحصل على درجته من المدرسة الثانوية، ثم يحصل على درجة فوق الدرجة الثانوية (هو وشقيقان آخران وثلاث شقيقات[٢]. فى عام ١٩٤٣

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ١ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى كادونا.

(٢) المرحوم (إبراهيم) عطا الإجبيرى، الذى استقال فى عام ١٩٥٤ وتوفى فى عام ١٩٦٤، كان مصرًا على حصول أبنائه على التعليم الغربى. كان هذا الموضوع محل شد وجذب بينه وبين شارود سميث – الذى كان يحسب أن التعليم الزائد عن الحد يمكن أن يقوض الحكم الاستعمارى – وربما كان أيضا عاملا من عوامل عزل عطا. كان إبراهيم عطا يظن أيضا أن تعليم المرأة شىء عظيم. ولذلك فإن ابنته رقية أكملت تعليمها فى أشيموتا فى عام ١٩٤٤، ثم سافرت بعد ذلك إلى المملكة المتحدة للتدرب على التمريض. فى أدنبرة (التى كان شقيقها يمارس فيها مهنة الطب)، ثم التحقت بعد ذلك بمستشفى القديس توما فى لندن. كما درست هذه الفتاة أيضا الصحة العامة فى جامعة أكسفورد، التى كان يدرس فيها شقيقها الآخر عبد الملك. ثم عادت إلى نيجيريا فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٤. وبعد أن زارت بلدة إينوجو Enugu، التى كان فيها شقيقها عبد العزيز سكرتيرا خاصا للدكتور آزكوى، قبلت العمل فى إيلورين فى الخدمة المدنية الإقليمية كزائرة صحية. وبقيت فى تلك الوظيفة مدة عام واحد. ثم خدمت بعد ذلك فى كنو مدة ثلاث سنوات (١٩٥٥ – ٥٧) قبل العودة إلى كادونا فى عام ١٩٥٧. وفى شهر أبريل من عام ١٩٥٨، جرى إلحاقها على بلدة موبى التى بقيت فيها إلى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩. ثم عملت بعد ذلك فى ليجوس مع اتحاد الإذاعة، وبعد أن تزوجت من بطرس سكوت سافرت إلى أكرا فى عام ١٩٦٠، حيث كان سكوت زوجها، يعمل فى مجال الإحصاء فى غانا.=

= وعندما توفى سكوت فى شهر فبراير من عام ١٩٦٣. عادت رقية إلى لندن، حيث يوجد شقيقها عبد الملك، الذى يشغل منصب المفوض السامى. ثم عادت رقية إلى نيجيريا فى شهر ديسمبر من عام ١٩٦٥. وبذلك تكون رقية أول امرأة شمالية فى الإدارة المدنية الإقليمية. وبعد انقلاب يناير من عام ١٩٦٦ عادت رقية إلى لندن وبقيت إلى شهر يونيو من عام ١٩٦٧. ثم عملت بعد ذلك مع السفارة النيجيرية فى بروكسل. وفى شهر ديسمبر من عام ١٩٦٧ التحقت رقية بمكتب الشئون الخارجية، إلى عام ١٩٧٠ ثم عادت إلى ليجوس، لتصبح مسئولة عن الجوازات (شئون خارجية). ثم التحقت رقية بالإدارة الإفريقية وبقيت فيها إلى شهر يناير من عام ١٩٧٦، حيث جرى تعيينها فى واشنطون فى شئون الموظفين لمدة عام ونصف (إلى عام ١٩٧٧). ثم نقلت بعد ذلك إلى روما. ثم عادت إلى ليجوس فى عام ١٩٧٨ لمرض والدتها. وفى عام ١٩٨١ عينت سفيرة وافتتحت البعثة النيجيرية فى أثينا وعادت إلى ليجوس فى شهر مارس من عام ١٩٨٣. ثم تقاعدت فى شهر أبريل من عام ١٩٨٤. (مقابلة شخصية مع رقية عطا، فى ٣٠ مايو من عام ١٩٨٥، ليجوس).

الابنة الثانية من بنات عطا الإجبيرى هى سيفى Sefi، وكانت أول امرأة نيجيرية تتولى الإشراف على التعليم فى الإقليم الشمالى. وهى حاليا سفيرة وممثل دائم لنيجيريا فى مؤسسة التربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة فى باريس. عدد كبير آخر من بنات عطا الإجبيرى خدمن أيضا فى الحياة العامة.

أبناء (إبراهيم) عطا كانت لهم أيضا حيوات عملية مميزة. فقد التحق ولده الأكبر (عبد الملك) (توفى فى العام١٩٧١) بكلية كاتسنا. ثم قام بعد ذلك بالتدريس فى الإدارة المحلية فى أوكينى قبل الالتحاق بالجمعية العمومية فى عام ١٩٥١. كان عبد الملك أول أمين للصندوق فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ثم أصبح عبد الملك مندوبا عاما فى المملكة المتحدة للإقليم الشمالى النيجيرى. ثم مندوبا ساميا بعد ذلك فى المملكة المتحدة لمدة خمسة عشر عاما. ثم عين بعد ذلك سفيرا فى باريس. وقد أطلق عليه لقب "ولى" لأنه كان شديد التقوى والورع.

الابن الثانى لإبراهيم عطا الإجبيرى، هو عبد العزيز (الذى توفى فى عام ١٩٧٣). عبد العزيز هذا انتقل من أشيموتا إلى أكسفورد لدراسة القانون والإدارة العامة. وعاد الرجل إلى نيجيريا فى عام ١٩٤٨ وكان أول رئيس حى إفريقى فى شمالى نيجيريا. والتحق بوظيفة فى الإقليم الشرقى، نظرا لأن شارود - سميث لم يكن بحاجة إلى رؤساء أحياء فى الشمال. استفاد عبد العزيز بأن راح يحث المستشار السياسى الرئيسى Sardauna (أحمد بللو) فى اجتماع كافانشان. على طلب الحكم الذاتى من البريطانيين. وعلى نحو يسيء إلى شارود - سميث، الذى كان قد أرسل تقارير سرية يقول فيها إن الإقليم الشمالى لن يطلب الحكم الذاتى فى موعد مبكر. يبدو أن المستشار السياسى الرئيسى كان يود إحلال عبد العزيز محل بروس جريتباتس فى أواخر الفترة الاستعمارية، ليكون بذلك رئيسا للإدارة =

يذهب طبيب المستقبل إلى المملكة المتحدة (جامعة أدنبرة) وينهى كلية الطب فى عام ١٩٥١. ويعمل الرجل طبيبا فى المملكة المتحدة إلى عام ١٩٥٥، وعندما يعود عبدول إلى الشمال، يعمل فى مواقع مختلفة منها، موظفا طبيا (فيدراليا). وينتقل

= المحلية، ولكن قوى مختلفة حالت بين المستشار السياسى الرئيسى وبين ذلك. ونقل عبد العزيز إلى المستوى الفيدرالى. ويصبح عبد العزيز بذلك أول سكرتير شمالى دائم على المستوى الفيدرالى؛ كان ذلك فى مجال الاتصالات، ثم بعد ذلك فى الدفاع. (كان عبد العزيز يشغل منصب السكرتير الدائم للدفاع عندما حدث الانقلاب) كان الرجل رئيسا للخدمة المدنية وسكرتيرا للحكومة الفيدرالية، فى عهد جوون Gowon الذى وافته المنية خلاله.

أبناء إبراهيم عطا الأخرون هم، حسب تدرجهم السنى:

١) الدكتور عبد المؤمن إبراهيم عطا، الطبيب الشخصى للمستشار السياسى الرئيسى.
٢) الشيخ عطا، رجل سابق من رجال الأمن فى جوس.
٣) عبد المطلب، رئيس إنتاج؛ ثم بعد ذلك مدير منطقة فى شركة موبيل للبترول.
٤) يوسف علابوارا (توفى)، رئيس الكتبة فى مركز التدريب، فى شمالى نيجريا.
٥) محمد عطا، وزارة الاتصالات: تولى بعد ذلك إدارة شركة التبغ النيجيرية.
٦) السفير عبد الله عطا، الشئون الخارجية فى عهد الجمهورية الأولى؛ حاليا يعمل مندوبا ساميا نيجيريا فى كندا.
٧) عادو إبراهيم، أحد رجال الأعمال فى ليجوس.
٨) آدم عطا، التحق بكلية كاتسنا ثم بجامعة لندن؛ درس الطب البيطرى فى بداية الأمر ثم القانون بعد ذلك. وعاد إلى نيجيريا فى خمسينيات القرن العشرين وعين مستشارا قانونيا. ثم عين بعد ذلك مستشارا قانونيا فى الرابطة التقدمية لعناصر الشمال. ثم تقاعد بعد ذلك. وعين محافظا لولاية كوارا فى الفترة من ١٩٧٩ – ١٩٨٣.
٩) عبد الله عطا، كان يعمل فى مجال علم الحشرات / فى الزراعة فى مقاطعة سكتو؛ تقاعد.
١٠) محمود عطا نائب رئيس البرتكول فى شمالى نيجيريا، ثم تحول إلى رجل أعمال بعد ذلك.
١١) على عطا، مفوض شرطى فى ولاية كادونا.
١٢) الدكتور أحمد عطا، مدير الخدمات الطبية فى أبوجا.
١٣) الدكتور معاذ، كبير أطباء إيلورين.
١٤) إدريس عطا، مهندس، مدير إدارى فى مجمع الصلب فى أجوكوتا: تقاعد.
١٥) سول عطا، كلية الشرطة، كادونا.
١٦) إدريس عطا، رائد فى الجيش.
١٧) الزبير، ضابط فى القوات الجوية.
١٨) شايب، ضابط فى الأسطول، تقاعد.
١٩) عباس، تجارة. (مقابلة شخصية، مع محمود عطا بتاريخ ٣١ مايو من عام ١٩٨٠، ليجوس).

الرجل بعد ذلك إلى الخدمة الإقليمية الشمالية ويصبح مديرا إقليميا. وفى عام ١٩٦٠، ينقل الطبيب إلى وظيفة فى كادونا ويصبح طبيبا شخصيا للمستشار السياسى الرئيسى Sardauna. (واقع الأمر أنه لا توجد وظيفة تحت مسمى "طبيب خاص". ولكن الرجل يتصرف على هذا النحو بوصفه المسئول الطبى الرئيسى فى الإقليم الشمالى. وهو أيضا مسئول عن صحة وزراء الشمال الآخرين) ويبقى الرجل فى هذا المنصب إلى عام ١٩٦٦[١].

ربما كان إبراهيم دسوقى[٢] أهم الموظفين المدنيين فى هذه المجموعة السنية (وذلك باستثناء على عقيل)، الذى يعد واحدا من أقارب أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna وصديقا من أصدقائه المقربين. (وقد سبق لنا مناقشة حياته العملية فى الفصل الرابع). بعد أن انتهى من كلية كادونا عمل الرجل فترة فى اتحاد جريدة جاسيكا (الحقيقة)، ثم فى مكتب رئيس الوزراء. ويحضر الرجل بعد ذلك دورة لمدة عام فى ديفنشاير فى كلية الملكة، بجامعة أكسفورد فى الفترة من ١٩٥٥ – ١٩٥٦. وفى الفترة من ١٩٥٦ – ١٩٥٧، يعين الرجل موظفا إداريا فى بانكشين pankshin (مقاطعة الهضبة). ثم يعين الرجل بعد ذلك مسئولا للحج فى مدينة جدة (فى المملكة العربية السعودية) وذلك اعتبارا من شهر نوفمبر من عام ١٩٥٨ إلى أغسطس من عام ١٩٦٠. وعندما تحصل نيجيريا على الاستقلال، يصبح إبراهيم دسوقى أول سكرتير، ورئيسا لدائرة محكمة العدل العليا النيجيرية. (فى عام ١٩٦١، يعود الرجل ليشغل منصب القائم بعمل السكرتير الدائم فى وزارة الداخلية) وبذلك يجمع الرجل بين مستقبل عملى فى المستوى الإقليمى ومستقبل عملى على المستوى القومى، ونظرا لعلاقة إبراهيم دسوقى الوثيقة بأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، ينظر الناس إليه باعتباره "محصنا لأحمد بللو" ضد بعض المشكلات التى تنجم عن علاقات الحزام الأوسط، ومشكلات الحجاج، وكذلك المشكلات الناجمة عن أشملة الخدمة المدنية فى الإقليم الشمالى.

---

(١) فى الفترة من ١٩٦٦ – ١٩٧٨ (عندما يتقاعد الرجل) كان الرجل يشغل منصب السكرتير الدائم للصحة، فى ولاية الشمال الأوسط. كما كان الرجل أيضا سكرتيرا للحكومة العسكرية.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ الثانى من أغسطس من عام ١٩٨٣ فى كادونا.

المجمـــوعة السنية المتأخـــرة من الجيل الثانى من الـــموظفين الـــمدنيين (أى أولئك الذين ولدوا فى أواخر عشرينيات القرن العشرين) تبدأ فى التزايد ويكثر أعداد أفرادها. ويكفى أن نورد هنا بعض الأمثلة التى توضح لنا هذه المجموعة.

هذا هو محمد ججا[١] Jega يعمل فى الإدارة المحلية فى كل من سكتو وجواندو، فى وظيفة مدرس فى الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٥٥. وفى عام ١٩٥٥ ينتقل الرجل إلى المجلس التشريعى الإقليمى الشمالى فى كادونا ليعمل مفسرا مترجما، تحت قيادة عيسى والى. وفى عام ١٩٥٧، يحضر الرجل دورة الموظفين التنفيذيين فى كادونا لمدة ستة أشهر - (ثلاثة أشهر عبارة عن محاضرات وثلاثة أشهر إلحاق للتدريب العملى). وفى عام ١٩٥٨، ينقل الرجل إلى وظيفة فى المجلس التشريعى. أو بالأحرى قائم بعمل الموظف التشريعى (المالية والأشغال). وفى شهر يناير من عام ١٩٥٩، ينقل الرجل إلى وظيفة فى مكتب رئيس الوزراء، لكى يعمل مع داود موفيت Muffett، الذى كان كبيرا لموظفى الانتخاب، فى شمالى نيجيريا. وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩، يحضر الرجل دورة فى معهد الإدارة، فى زاريا ويستمر فيها إلى شهر أغسطس من عام ١٩٦٠. وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠، يجرى إلحاق الرجل فى وظيفة مع أبى بكر كيجو، ويذهبا إلى شمالى مقاطعة الكاميرون للإعداد للاستفتاء المزمع القيام به[٢].

---

(١) مقابلة شخصية فى ١٣ سبتمبر من عام ١٩٨٣. فى سكتو.

(٢) يبقى الرجل بعد الاستقلال فى شمالى الكاميرون إلى شهر يونيو من عام ١٩٦٢، ثم يعود إلى كادونا، باعتباره كاتبا فى المجلس التشريعى (أغسطس - نوفمبر ١٩٦٢). ويعود الرجل إلى مقاطعة أدماوا (قسم نومان) فى وظيفة رئيس الحى لمدة عام (ديسمبر ١٩٦٢ - ديسمبر ١٩٦٣)، ثم يعود إلى كادونا فى وظيفة سكرتير خاص للمستشار السياسى الرئيسى Sardauna. فى الفترة من ديسمبر ١٩٦٣ إلى أغسطس ١٩٦٥. ويحصل على إجازة لمدة ثلاثة أشهر فى وزارة الإعلام، فى منصب القائم بأعمال السكرتير، إلى أن حدث الانقلاب. هذا الرجل شغل منصب السكرتير الدائم فى وزارات مختلفة فى سكتو، فى ظل عهدين: عهد عسكرى والآخر مدنى.

بوكار شايب أيضا واحد من هذه المجموعة السنية. وهو من برنو، ويتلقى تعليمه فى كلية كادونا، ثم فى كلية يابا العالية، فى ليجوس (١٩٤٦ – ١٩٤٧) ثم كلية الجامعة فى إيبادان، فى عام ١٩٤٨، قبل السفر إلى ليفربول (فى المملكة المتحدة) للحصول على درجة فى الطب البيطرى، والحصول على ديبلوم من أدنبرة فى الطب البيطرى الاستوائى. ثم يعين الرجل بعد ذلك مسئولا عن الطب البيطرى فى كل من سكتو وكنو. ويعين سكرتيرا دائما، فى وزارة الموارد الحيوانية والغابية، فى الفترة من ١٩٦١ – ١٩٦٧[١].

تعد حياة على عقيل العملية بمثابة حجر الزاوية فى الخدمة المدنية فى الإقليم الشمالى. ويصبح الرجل أول رئيس نيجيرى للخدمة المدنية، بعد تقاعد بروس جرينباتش. وعلى عقيل من بلدة شاف Chafe (فى مقاطعة سكتو) وهو يرتبط بعلاقات وثيقة مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. وسوف نتناول مستقبله العملى بالمناقشة فى أنحاء متفرقة من هذه الدراسة[٢].

٥ـ الشبان: الجيل الثالث:

ولد الجيل الثالث من الموظفين المدنيين فى ثلاثينيات القرن العشرين، هذا يعنى أن أفراد هذا الجيل كانوا فى خمسينيات القرن نفسه قد وصلوا إلى العشرينات من أعمارهم، وكان البعض منهم يتولى مناصب مسئولة فى ستينيات القرن العشرين أيضا. كثيرون من أفراد هذا الجيل كانوا يشكلون جزءا من برامج التدريب السريعة وبرامج الدرجات الجامعية التى بدأت تظهر تحت تأثير المستشار

---

(١) يصبح الرجل موظفا فيدراليا، فى منصب السكرتير الدائم فى الفترة من ١٩٦٨ – ٧٨، بعد الانقسام إلى ولايات. وفى عام ١٩٧٩، يعين الرجل سفيرا لنيجيريا فى إيطاليا. ويكون بمثابة ضابط الاتصال مع منظمة الأغذية والزراعة. ثم يصبح بعد ذلك مستشارا ووزيرا فيدراليا.

(٢) وفاة الرجل المفاجئة فى شهر يناير من عام ١٩٧١، نتيجة حادث سيارة، أحزنت الجميع. (راجع النعى المنشور فى جريدة النيجيرى الجديد بتاريخ ١ فبراير من عام ١٩٧١) وهو الشخص الوحيد الذى دفن فى بيت الشمال فى كادونا، والذى كان مقرا لأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna.

السياسى الرئيسى Sardauna. فى ستينيات القرن العشرين، نجد أفراد هذا الجيل يشكلون موجة جديدة فى الخدمة المدنية والسبب فى ذلك خبرتهم التعليمية والتربوية الزائدة. كان الكثيرون من الناس يعدونهم على أنهم أبناء المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو)، وبدءوا أيضا يشكلون منظورا جديدا فى التنمية الشمالية وعلى معدل التغيير نفسه.

هؤلاء الشبان ينقسمون إلى مجموعتين سنيتين متميزتين: هؤلاء الذين ولدوا خلال الفترة من ١٩٣٠ – ١٩٣٤، وأولئك الذين ولدوا فى الفترة من ١٩٣٥ – ١٩٣٩ (مع شيء من المرونة فى منطقة الانتقال) أفراد هاتين المجموعتين السينيتين يبلغون من الكبر حدًا يصعب معه دراستهم دراسة منظمة، ولكن بعض الأفراد البارزين منهم يمكن لنا تناولهم على النحو التالى. "مطلع الجيل الثالث" يشتمل على كل من:

١) آى. جى. دى. ديرلونج Durlong (المولود فى عام ١٩٣٠).

٢) ليمان سيروما (المولود فى عام ١٩٣٠).

٣) أحمد جودة (المولود فى عام ١٩٣٠).

٤) حسن ليمو (المولود فى عام ١٩٣٠).

٥) أبو بكر كيجو (المولود فى عام ١٩٣٠).

٦) جى. إيه. آبربايجى Aberibigbe (المولود فى عام ١٩٣١).

٧) سونداى أويني Awoniyi (المولود فى عام ١٩٣٢).

٨) محمد كاربنتر (المولود فى عام ١٩٣٢).

٩) أبو بكر عمر (المولود فى عام ١٩٣٢).

١٠) أحمد كورفى.

١١) جاربا جا (المولود فى عام ١٩٣٣).

١٢) تانكوكوتا (المولود فى عام ١٩٣٣).

١٣) يوسف جوبير (المولود فى عام ١٩٣٤).

١٤) أحمد سيروما (المولود فى عام ١٩٣٤).

هؤلاء الذين ولدوا فى أواخر "الجيل الثالث" يشتملون على:

١) جيدادو إدريس (المولود فى عام ١٩٣٥).

٢) موسى بللو (المولود فى عام ١٩٣٦).

٣) محمد إس. كانجيوا (المولود فى عام ١٩٣٦).

٤) على محمد (المولود فى عام ١٩٣٧).

٥) أبو بكر كوكو (المولود فى عام ١٩٣٧).

٦) محمد طوكر (المولود فى عام ١٩٣٩).

٧) السيد باردا Barda (المولود فى عام ١٩٣٩).

إضافة إلى كثيرين آخرين. إلقاء الضوء على الحياة العملية لبعض هؤلاء الأفراد من المجموعتين سيوضح لنا أشياء كثيرة.

ليمان سيروما[١] على سبيل المثال، ولد فى بوتسكوم potiskum (بمقاطعة برنو)، وينهى الرجل دراسته فى كلية باريوا (فى كادونا) فى عام ١٩٤٨. وينهى الرجل الصف السادس فى زاريا.

(ملاحظة: رسب الشبان العشرون الشماليون كلهم فى اجتياز اختبار القبول المؤهل لكلية إيبادان الجامعية) بعد أن التحق ليمان سيروما بمصلحة الآثار الفيدرالية فى عام ١٩٥٣، حصل على منحة دراسية لدراسة الآثار. وفى عام ١٩٥٣ – ١٩٥٤، يلتحق الرجل بمعهد الآثار بجامعة لندن؛ وفى الفترة من

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٩ يوليو من عام ١٩٨٣، فى كادونا.

١٩٥٤ – ١٩٥٦ يلتحق الرجل بالكلية الفنية فى جنوب غرب إيسكس، ثم يلتحق بعد ذلك بمدرسة الفنون. وفى عام ١٩٥٦، يلتحق الرجل بجامعة برمنجهام ويحصل على درجه الليسانس فى التاريخ (الآثار الكلاسيكية والتاريخ القديم). ويعود الرجل ثانية إلى نيجيريا فى عام ١٩٥٩، ليلتحق بمصلحة الآثار، ويعمل مع أمين المصلحة فى ليجوس، كما كان يعمل أيضا عملا ميدانيـــا فى ثرستان شو Thurstan Show فى الحفريات الدائرة فى إجبو أوكو Igbo uku . وفى عام ١٩٦١ يعود الرجل إلى كادونا للعمل فى مكتب رئيس الوزراء؛ تحت رئاسة كل من جريتباتش وبات pat جراير Grier، فى مرتبة سكرتير مساعد ثان. وهذه هى المرة الأولى التى تعطى فيها هذه الدرجة لواحد من أهل الشمال[١] (على الرغم من أن ميجارى جوامبا Maigari Gawamba وصل إلى درجة سكرتير مساعد أول فى عام ١٩٥٩).

أبو بكر كيجو kigo[٢]، من أهل سكتو، عمل مدرسا إداريا، ولكنه هو الآخر يمثل الجهود المبذولة من جانب معهد الإدارة لترقية الموظفين الشبان. فى الفترة من ١٩٧٤ – ١٩٥٦ يعمل الرجل بمهنة التدريس، وفى عام ١٩٥٧ يرسل الرجل إلى معهد الإدارة للتدريب المتقدم، كجزء من مشروع خاص أنشأه المستشار السياسى الرئيسى Sardauna. وفى عام ١٩٥٨، يُلحق الرجل على وظيفة فى ميدوجورى، كرئيس للحى وقاض من الدرجة الثالثة (تتمثل مهمته فى التعامل مع

---

(١) فى خمسينيات القرن العشرين، كان السكرتير المساعد من المرتبة الثانية يتولى أمور الإدارة المحلية، ويقوم بعمل مسودات خطابات رئيس الوزراء، ويجهز الردود المطلوبة للجمعية العمومية. فى الفترة من مارس ١٩٦٢ إلى مارس ١٩٦٣. يصبح الرجل قائما بعمل نائب السكرتير الدائم (وكان يمضى شهرين فى جوس للعمل سكرتيرا إقليميا، فى مقاطعة النيجر). وفى الفترة من فبراير ١٩٦٤ إلى ديسمبر من عام ١٩٦٤ يصبح سكرتيرا نائبا لعلى عقيل فى كادونا. وفى شهر يناير من عام ١٩٦٥، يصبح الرجل قائما بعمل السكرتير الدائم فى وزارة الموارد المائية وتنمية المجتمع إلى أن حدث انقلاب يناير من عام ١٩٦٦. ثم يصبح الرجل بعد ذلك سكرتيرا دائما فى العديد من الوزارات الفيدرالية. ثم سكرتيرا للحكومة العسكرية الفيدرالية فى نهاية المطاف.

(٢) مقابلة شخصية، فى ١٣ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى سكتو.

القضايا الصغيرة والتفتيش على محاكم المنطقة). وفى عام ١٩٥٩، يعين الرجل فى وظيفة فى منطقة الوصاية، فى ديكوا (التى تدار باعتبارها جزءًا من مقاطعة برنو)، ويواصل الرجل عمله فى المسائل الخاصة بالاستفتاء إلى عام ١٩٦٠ حيث يجرى إيفاده إلى الولايات المتحدة (إلى مدرسة الإدارة العامة فى بتسبرج)، لحضور دورة تدريبية خاصة بالأجانب لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر، إضافة إلى شهرين تطبيق على شكل إلحاق على إدارات محلية مختلفة. وفى شهر ديسمبر من عام ١٩٦٠، ينقل الرجل إلى وظيفة فى شمالى الكاميرون (الذى تديره إدارة أدماوا المحلية) وذلك استعدادا للاستفتاء، ثم بعد ذلك إلى باما فى ديكوا (التى تديرها برنو)[١].

آدم سيروما[٢] من برنو، يلتحق الصبى بمدرسة فيكا الأولية، ثم يلتحق بعد ذلك بمدرسة بوتسكوم (فى الفترة من ١٩٤٥ – ١٩٤٨)، ثم بمدرسة برنو المتوسطة (١٩٤٨ – ١٩٤٩)، ثم بكلية باريوا (١٩٥٠ – ١٩٥٥)، ثم كلية الفنون والعلوم والتقنية النيجيرية (التى أطلق عليها فيها بعد اسم جامعة أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى)، فى زاريا (فى الفترة من ١٩٥٦ – ١٩٥٨). ثم يلتحق بكلية جامعة إيبادان (١٩٥٩ – ١٩٦١)، ثم بعد ذلك إلى مكتب رئيس الوزراء فى شهر يونيو من عام ١٩٦١[٣].

---

(١) يعود أبو بكر إلى كادونا فى شهر يناير من عام ١٩٦٢، بصفته إداريا، وعلى علاقة وثيقة برئيس الوزراء. يعمل الرجل تحت الرئاسة المباشرة لمكتب رئيس الوزراء، مع وزير الدولة المسئول عن كادونا. ويظل على هذا الوضع إلى عام ١٩٦٣. وفى شهر أغسطس من عام ١٩٦٣، يسافر الرجل إلى زاريا بصفته سكرتيرا إقليميا، ثم يعود ثانية إلى ميوبى Mubi (مقاطعة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna) بصفته أيضا سكرتيرا إقليميا. وفى عام ١٩٦٤، يسافر الرجل إلى كاتسنا بصفته سكرتيرا إقليميا، ثم يعود ثانية إلى كادونا فى وظيفة السكرتير الدائم المناب فى وزارة الصحة، ويبقى فى ذلك المنصب إلى عام ١٩٦٧، ثم يعود بعد ذلك إلى سكتو.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٦ نوفمبر من عام ١٩٨٤ فى كادونا.

(٣) فى مكتب رئيس الوزراء يشغل آدم منصب سكرتير مساعد من المرتبة الرابعة، وتتمثل مهام عمله فى شئون العاملين ومشكلاتهم ومشكلات الإدارة فى كل أنحاء الشمال. كما أسندت إلى الرجل أيضا مشكلات الحج وشئونه. وفى نهاية عام ١٩٦١ يعين الرجل سكرتيرا مساعدًا من المرتبة الثانية (سياسية) إلى شهر ديسمبر من عام ١٩٦٣، حيث ينتقل إلى مامبيلا Mambilla فى وظيفة رئيس حى لمدة عام. وبعد انتخابات عام ١٩٦٤، ينقل الرجل إلى القسم الجنوبى من مقاطعة المستشار السياسى الرئيسى (جانى Ganye) كواحد من موظفى الإدارة. وفى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٥، ينقل الرجل إلى الخدمة المدنية الفيدرالية (ليجوس)، التى يبقى فيها إلى ما بعد الانقلاب. ثم يعود إلى كادونا بصفته محررا فى جريدة "النيجيرى الجديد". ثم يصبح محافظا للبنك المركزى النيجيرى، ثم وزيرا فيدراليا.

سنداى أونيى Awoniyi مثال آخر للجيل الثالث. ولد سنداى Sunday فى موبا Mopa، فى مقاطعة كبَّا Kabba (التى أطلق عليها فيما بعد اسم ولاية كوارا). يلتحق الصبى بمدرسة الثالوث، فى لوكوجا (فى الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٤٦)، ثم بكلية عبد العزيز عطا التذكارية، فى أوكينى (فى الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٤٩)، ثم كلية باريوا، فى زاريا (فى الفترة من ١٩٥٠ - ١٩٥٣)، ثم كلية الفنون والعلوم والتقنية النيجيرية، فى زاريا، إضافة إلى كلية إيبادان الجامعية (الفترة من ١٩٥٦ - ١٩٥٩). ثم يعين الرجل موظفا إداريا من الفئة الرابعة، فى الخدمة المدنية الشمالية فى اليوم الثانى والعشرين من شهر يونيو من عام ١٩٥٩، ثم يخدم بعد ذلك فى وظيفة مسئول قسم فى باوتشى وذلك فى الفترة من ١٩٥٩ - ١٩٦٠[١].

أحمد جودة، الأدماوى، أصبح واحدًا من المقربين إلى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على المستوى الشخصى، كما كان مقربا أيضا إلى على عقيل. ثم يعين الرجل سكرتيرا دائما لوزارة الإعلام، فى الفترة من ١٩٦١ - ١٩٦٦، ويعمل أيضا محررا إخباريا فى الإذاعة النيجيرية.

جاربا جا عبد القادر هو الآخر، التحق بالخدمة المدنية فى عام ١٩٦٠، ثم أصبح بعد ذلك سكرتيرا مساعدًا من المرتبة الثانية، فى مكتب رئيس الوزراء (فى ١٩٦٢ - ١٩٦٣)، ثـم سـكرتيرا خاصا للمحافـظ (فى عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤)،

---

(١) مقابلة شخصية. بتاريخ ١٠ يوليو من عام ١٩٨٥، فى ليجوس. بعد الاستقلال يمضى سنداى فترة مدتها أربعة أشهر رئيسا لأحد أحياء مقاطعة بنيو. ثم يلحق بعد ذلك كموظف إدارى على الخدمة المدنية الفيدرالية فى عام ١٩٦١، ثم ينقل إلى وظيفة فى وزارة المناجم والقوى. ثم يعّرج الرجل على الخدمة العامة الشمالية ويلتحق بمكتب رئيس الوزراء فى عام ١٩٦١ - ١٩٦٢. ثم يعين الرجل سكرتيرا للمجلس التنفيذى فى عام ١٩٦٣. ثم يعمل بعد ذلك سكرتيرا إقليميا، فى مقاطعة النيجر ومقاطعة الهضبة وذلك فى الفترة من ١٩٦٤ - ١٩٦٥.

بعد الانقلاب، يصبح الرجل سكرتيرا مساعدًا فى مكتب الحاكم العسكرى، فى كادونا، وذلك فى الفترة من عام ١٩٦٦ - ١٩٦٨، ثم يصبح بعد ذلك السكرتير الدائم الأول لوزارة المالية فى ولاية كوارا، وذلك فى الفترة من ١٩٦٨ - ١٩٧٠. ثم يصبح بعد ذلك سكرتيرا فيدراليا دائما طوال القسم الأكبر من الفترة العسكرية (الشئون الداخلية، الدفاع، البترول. ويتقاعد الرجل فى عام ١٩٧٨).

ثم إداريا لأراضى العاصمة كادونا (فى الفترة من ١٩٦٤ – ١٩٦٦) ثم كبيرا لموظفى الانتخابات الفيدرالية، فى الإقليم الشمالى وذلك (فى الفترة من ١٩٦٤ – ١٩٦٦)[١].

أحمد فيكا موظف مدنى آخر من الجيل الثالث؛ وقد طلب من هذا الرجل أن يترأس مركز التدريب الفيدرالى فى كادونا (فى الفترة من ١٩٦٢ – ١٩٦٦)، ويصبح بعد ذلك حلقة مهمة فى أشملة بعض الفئات فى الخدمات التقنية الفيدرالية[٢].

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٠ يوليو من عام ١٩٨٥، فى كادونا. ولد جاربا جا Garba Ja فى عام ١٩٣٣، والتحق بمدرسة فونتوا الابتدائية، ثم بمدرسة كاتسنا المتوسطة (فى الفترة من ١٩٤٤ – ٤٧). ثم بكلية كادونا الحكومية (فى الفترة من ١٩٤٧ – ٥٠)، ثم بكلية المعلمين العليا فى كاتسنا (فى ١٩٥١ – ٥٢). وبعد أن أمضى عامين فى التدريس فى مدرسة ثانوية حكومية فى كاتسنا، يلتحق الرجل بكلية الفنون والعلوم والتقنية النيجيرية، فى زاريا (فى الفترة من ١٩٥٤ – ٥٦)، ثم يلتحق بكلية الجامعة فى إيبادان (فى الفترة من ١٩٥٧ – ٦٠). وفى عام ١٩٦٠، يصبح الرجل سكرتيرا مساعدا، فى وزارة الزراعة والموارد الطبيعية، فى كادونا، وفى عام ١٩٦١، يصبح رئيسا لأحد الأقسام، أو بالأحرى القسم الشمالى من مقاطعة كنو، فى منطقة هاطيجا Hadeja (فى الفترة من ١٩٦١ – ٦٢)، وذلك قبل تعيينه سكرتيرا مساعدا من المرتبة الثانية فى مكتب رئيس الوزراء. وبعد وفاة أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى عام ١٩٦٦، يصبح الرجل سكرتيرا محليا، فى مقاطعة الهضبة (فى الفترة من ١٩٦٦ – ٦٨) ثم سكرتيرا للحكومة العسكرية، فى ولاية بنيو – الهضبة (وذلك فى الفترة من ١٩٦٧ – ٦٨). ثم يعين الرجل سكرتيرا للحكومة العسكرية، فى ولاية الوسط الشمالية، فى كادونا. وذلك قبل أن يتقاعد بناء على طلبه فى عام ١٩٧٥.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ١٧ يوليو فى أبوجا. آدم فيكا مولود فى عام ١٩٣٣، ويتلقى تعليمه الأولى فى فيكا، ثم فى باريوا (فى الفترة من ١٩٤٨ – ٥١)، ثم فى كلية الفنون والعلوم والتقنية النيجيرية. ثم يعمل الرجل مدة عامين فى تدريس الرياضيات والفيزياء (فى الفترة من ١٩٥٦ – ٥٧)، ثم ينقل بعد ذلك إلى علا Ala (بنيو) كاتسنا مدرسا أولا للرياضيات إلى نهاية عام ١٩٦٠. ثم يأتى الرجل بعد ذلك إلى زاريا فى وظيفة مفتش إقليمى للتربية والتعليم. ويغادر الرجل زاريا فى شهر أغسطس من عام ١٩٦٢ إلى وظيفة فى يولا، أى مفتش إقليمى أيضا للتربية والتعليم، ويتلقى الرجل برقية تطلب منه الحضور إلى مركز التدريب الفيدرالى، فى كادونا (فى سبتمبر من عام ١٩٦٢) ويبقى الرجل فى هذه الوظيفة إلى شهر يوليو من عام ١٩٦٣، ثم ينقل بعد ذلك إلى الخدمة الفيدرالية. وبعد أن يترك الرجل مركز التدريب الفيدرالى فى عام ١٩٦٨ يصبح الرجل سكرتيرا منابا لوكالة الخدمات العامة المؤقتة (فى الفترة من ١٩٦٨ – ٧٠)، ثم سكرتيرا لتلك الوكالة (فى الفترة من ١٩٧٠ – ٧٢)، ثم مفوضا ماليا فى ولاية الشمال الشرقى (فى الفترة من ١٩٧٢ – ٧٥)، ثم سكرتيرا دائما، للشئون الداخلية فى ليجوس (فى الفترة من ١٩٧٥ – ٧٩)، ثم سكرتيرا دائما لوزارة التجارة (فى الفترة من ١٩٨١ – ٨٢)، ثم إدارة الشرطة (١٩٦٣)، والاتصالات (يناير ١٩٨٤) ثم سكرتير فيدراليا دائما (فى فبراير ١٩٨٤ إلى الوقت الراهن).

حصل السواد الأعظم من موظفى الخدمة المدنية فى الجيل الثالث على شيء من التعليم الجامعى، وبوسعهم التحرك بسهولة ويسر فيما بين الخدمات الفيدرالية والإقليمية. وهم جميعا يعملون بصورة وثيقة مع المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى ستينيات القرن العشرين. (سوف نناقش فئة أخرى باكرة من الجيل الثالث فى الفصل الرابع عشر).

المجموعة السنية المتأخرة من الجيل الثالث، هى فى معظمها لا تعمل مع رئيس الوزراء فى خمسينيات القرن العشرين، ولكنها تلعب دورا مهما فى ستينيات القرن نفسه. هذه المجموعة يغلب عليها أن تكون من خريجى الجامعة، أو من الحاصلين على تدريب متقدم فى الإدارة. وأفراد هذه المجموعة جزء من البرامج التربوية السريعة التى عقدت فى خمسينيات القرن العشرين.

موسى بللو[١]، على سبيل المثال، من بلدة نومان (فى مقاطعة أدماوا)، التحق الرجل بكلية باريوا الحكومية. والرجل من المهتمين بالمحاسبة، ويقبل وظيفة للعمل فى بنك باركليز فى يولا yola. ويغضب الرجل وينتقل إلى الحكم المحلى، ثم يلتحق بعد ذلك بالخدمة الإقليمية. وعندما كان موسى بللو فى الحكم المحلى فى يولا، يوفد إلى معهد الإدارة فى زاريا (فى عام ١٩٥٨) لحضور دورة تمنح شهادة رئيس حى مساعد. فى الخدمة المدنية الإقليمية، لا يعين الموظف فى منطقته مطلقا، ولذلك أرسل موسى بللو إلى كبا kabba وإلى لوكاجا فى عام ١٩٥٩ بصفته رئيس حى مساعد، يعمل تحت إمرة رئيس حى مغترب (جون وارين). ثم يرسل موسى بللو بعد ذلك إلى منا Minna، كما يقضى أيضا بعضا من الوقت فى منطقة تيف Tiv. وفى عام ١٩٦٠، يصبح الرجل قائما بأعمال رئيس حى منا، وتصل الرجل، دون سابق إنذار، برقية من بروس Bruce جريتبانش يعينه بمقتضاها فى وظيفة فى ليجوس (جنبا إلى جنب مع أونيى Awoniyi وآدم سيروما) فى مكتب رئيس الوزراء. وبعد عام واحد، يعود الرجل إلى كادونا فى وظيفة قائم بعمل

---

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ١٩ أغسطس من عام ١٩٨٣، فى كادونا.

السكرتير الأول المساعد، ثم يصبح بعد ذلك سكرتيرا أول مساعدا فى مكتب رئيس الوزراء[١].

محمود توكور Tukur[٢] ينهى تعليمه الثانوى فى عام ١٩٥٧، ثم يلتحق بكلية الفنون والعلوم والتقنية النيجيرية، فى زاريا، ولكن طُلِب من الرجل الذهاب إلى المملكة المتحدة لدراسة الصف السادس، بصحبة خمسة أشخاص آخرين. ويسافر هؤلاء الرجال إلى المملكة المتحدة فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٨ وينهون مقررات الصف السادس. ويسمح للجميع بالالتحاق بمختلف الجامعات. ويلتحق محمود بجامعة ويلز ليدرس العلاقات الدولية ويتخرج الصبى فى شهر يونيو من عام ١٩٦٣، ويعود إلى نيجيريا، ويجرى مقابلة شخصية مع لجنة الخدمة العامة ويجرى تعيينه على الفور فى وظيفة فى مكتب رئيس الوزراء.

الحاج أبو بكر الحاج[٣] هو أصلا من سكتو، من سلالة البوهارى من عائلة الشيخ، ومن ثم فهو يعتبر أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna خالا له uncle. التحق الرجل بكلية بورنموث التقنية (بالمملكة المتحدة) (فى المستويين العادى والمتقدم)؛ ثم التحق بجامعة ريدنج فى الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٤، ويحصل منها على درجة البكالوريوس (بمرتبة الشرف) فى الاقتصاد السياسى. ويسافر الرجل مدة ستة أسابيع إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم يعود بعد ذلك إلى وزارة المالية فى ليجوس فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٤، حيث يواصل مستقبله العملى فى الخدمة المدنية[٤].

---

(١) يبقى موسى فى منصبه إلى عام ١٩٦٥، ثم ينقل بعد ذلك إلى وزارة المالية قبل الانقلاب مباشرة. وفى أواخر عام ١٩٦٧ – ٦٨، ينتقل الرجل إلى ميدوجورى فى وظيفة سكرتير دائم للمالية. ثم ينقل بعد ذلك إلى وظيفة فى هيئة تنمية شمالى نيجيريا، ويبقى هناك إلى عام ١٩٧٥. ثم يخدم الرجل بعد ذلك فى منصب السكرتير الدائم لوزارة المالية على المستوى الفيدرالى، وذلك قبل العودة إلى كادونا سكرتيرا دائما لوزارة المالية.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٣ يوليو من عام ١٩٨٣، كادونا.

(٣) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٧ يوليو من عام ١٩٨٤، ليجوس.

(١) فى ليجوس، كان أبو بكر يعمل فى القسم المالى، ثم بعد ذلك فى إدارة النقد، (١٩٥٦)، ثم بعد ذلك فى التمويل الداخلى (١٩٦٩). وفى عام ١٩٧٠، يسافر الرجل إلى لاهاى، لحضور دورة عن التصنيع فى معهد الدراسات الاجتماعية. وفى عام ١٩٧٠ يلتحق الرجل بوزارة الصناعة. وفى عام ١٩٧٢ يعود الرجل ثانية إلى وزارة المالية، وفى عام ١٩٧٥ يصبح الرجل سكرتيرا دائما، لوزارة التجارة. وفى عام ١٩٧٨ يصبح الرجل سكرتيرا دائما، لوزارة الصناعات، وفى شهر أكتوبر من عام ١٩٧٩ يصبح الرجل سكرتيرا دائما، لوزارة المالية.

بعض أعضاء هذه المجموعة السنية هم الذين التحقوا بالتعليم العالى، كما أن الكثيرين من "الشبان المحدثين" بدءوا مستقبلهم العملى فى كادونا بعد أن أنهوا المدرسة الثانوية. توكور عثمان، على سبيل المثال، (المولود فى عام ١٩٣٩)[١] هو أصلا من زاريا. وينهى الصبى دراسته فى كلية باريوا فى زاريا ويلتحق بالكلية الحكومية فى كفىّ Keffi للحصول على الثانوية العامة. ثم يلتحق الرجل بوظيفة فى وزارة الإعلام، تحت مسمى موظف صحفى من الفئة الثالثة، وفى عام ١٩٦١ رُقى الرجل إلى موظف صحفى من الفئة الأولى. وفى عام ١٩٦٣، عين توكور عثمان فى مكتب رئيس الوزراء، موظفا صحفيا (وسوف نتناول هذا الموضوع فى الفصل الثانى عشر).

قيمة الجيل الثالث لا تتمثل فى المستويات التعليمية والتربوية لأفراده (التى حصلوا عليها من الخارج فى أغلب الأحيان)، على الرغم من أن هذه المستويات تعد خطوة مهمة فى تطور الرؤى الشمالية. وحرى بنا أن نقول: إن هذه المستويات التعليمية والتربوية هى الطابع المميز لرؤى أفراد الجيل الثالث.

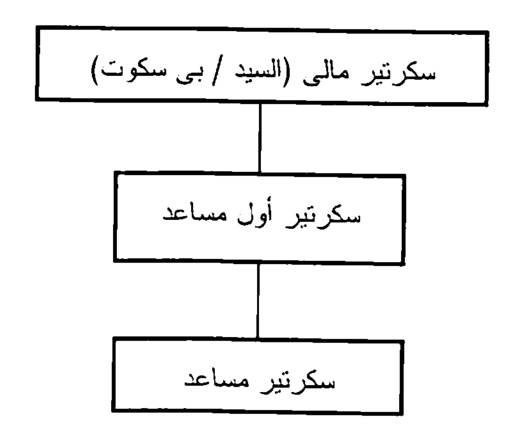
كان القسم الأكبر من أفراد الجيل الثالث يضيقون ذرعا ببطء الإدارة المحلية وكانوا يجعلون أمين كانوا قدوة لهم. ومع ذلك كانوا جميعا يرون أن الإدارة المدنية الإقليمية للشمال بحاجة إلى التغيير. وبالتالى فإن أفراد هذا الجيل يتحولون إلى جزء من الضغوط السياسية والضغوط الإدارية الواقعة على أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna عند دخوله إلى فترة الاستقلال. وعلى المستوى الإقليمى يبدأ أفراد الخدمة المدنية فى سائر أنحاء الشمال يولدون إحساسا بالترابط المجتمعى. يضاف إلى ذلك أن الاتصال المتزايد مع الخدمة المدنية على المستوى الفيدرالى (الاتحادى)، يتمخض، ولأول مرة، عن جيل من الوطنيين النيجيريين، والوطنيين الشماليين.

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٦ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى كادونا.

٦ـ توسع مكتب رئيس الوزراء:

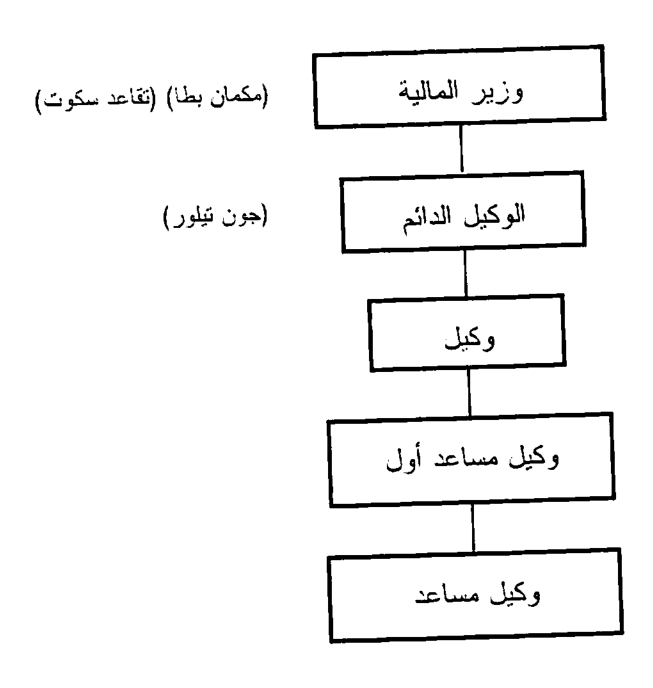
الانتقال فى كادونا من النظام الاستعمارى إلى النظام الوزارى فى خمسينيات القرن العشرين هو انتقال تركيبى إجرائى فى بعض أجزائه وإفرادى موقفى فى البعض الآخر. على المستوى التركيبى أو البنيوى نجد أن أحمد طالب[١] يوضح التغيير الذى طرأ على المالية، كما هو مبين فى الشكلين (١١) و(١٢).



الشكل (١١): البنية المالية الإقليمية فى ظل النظام الاستعمارى (مطلع الخمسينيات)

ملاحظة: فى ذلك الوقت كان أحمد طالب الموظف النيجيرى الوحيد فى هذه البنية.

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ٢١ يوليو من عام ١٩٨٣، كادونا.

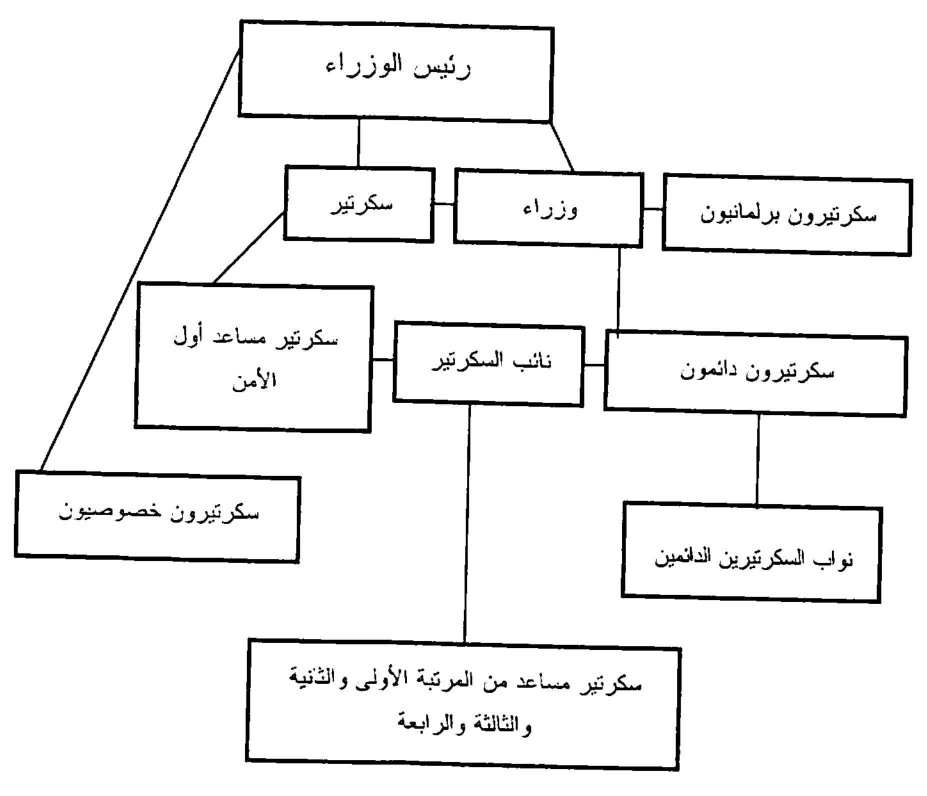


الشكل (١٢): البنية المالية الإقليمية فى ظل النظام الوزارى (أواخر الخمسينيات)

استنادًا إلى ما يقوله طالب فإن الإجراء بحد ذاته لم يحدث تغييرا كبيرا. والوزارة (التى كانت من قبل مجرد إدارة) تتقدم بمقترحات لوزارة المالية التى تقوم بدراسة هذه المقترحات (من خلال لجانها التقويمية) ثم تقوم بعد ذلك بتقديم تلك المقترحات للمجلس التنفيذى للموافقة عليها. ثم يجرى بعد ذلك تقديم هذه المقترحات للمجلس التشريعى الشمالى. (المجلس التنفيذى هو والمجلس التشريعى عادة ما يوافقان على الموازنة، طالما أن هذه الموازنة يجرى وضعها فى ضوء الخطوط الإرشادية)[١].

ظهور مكتب رئيس الوزراء، من أجل تنسيق الأنشطة بين الوزارات المختلفة، يبدأ على شكل توسّع ينطلق من وزارة الحكم المحلى، ولكنه تبدأ ملامحه تتضح وتصبح مميزة كما فى الشكل (١٣).

(١) المرجع السابق.



الشكل (١٣): المنظومة الوزارية الإقليمية ومكتب رئيس الوزراء (فى أواخر الخمسينيات)

كل واحد من السكرتيرين المساعدين له مهام محددة، المهام المالية، والمهام السياسية، والإدارة المحلية، إلخ، وكل وزير من الوزراء له سكرتير برلمانى (أى نائب وزير) (سياسى)، وله سكرتير دائم (للخدمة المدنية)، بالإضافة إلى سكرتير خاص.

فيما يتعلق برئيس الوزراء، فهو له سكرتير خاص رئيسى، علاوة على سكرتيرين خصوصيين آخرين متباينين. هؤلاء السكرتيرون الخصوصيون يتناولون ويتعاملون مع جدولة وتنظيم الأحداث الشخصية والشعبية. هذا يعنى أن هؤلاء السكرتيرين يخفضون عن الوزراء الترتيبات التى ليست من مسئولية

الحكومة، ولكنها تظل مع ذلك جزءا من المهام الرسمية. من ذلك، على سبيل المثال، أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٦ يقوم بجولة مدتها سبعة أيام فى مقاطعة سكتو، التى يصفها بأنها "خصوصية تماما". ويصحبه فى هذه الجولة سكرتيره الخاص حسن ليمو. وأثناء هذه الجولة، يلتقى رئيس الوزراء أمير كودو الجوساوى (محمد سول)، ويلتقى أيضا كبير مسئولى الإدارة المحلية، ويجرى محادثات غير رسمية مع رئيس الحى (السيد إيه. جى. وارين). يقوم بعض المسئولين فى سكتو بمقابلة رئيس الوزراء أثناء جولته تلك؛ وكان بعض مستشارى السلطان من بين هؤلاء المسئولين، وقد قام هؤلاء المستشارون بمصاحبة رئيس الوزراء إلى أن وصل إلى المنزل المخصص له. وفى اليوم التالى، يقوم رئيس الوزراء بزيارة السلطان، ويحضر اجتماعا لمجلس الإدارة المحلية. ثم يقوم بعد ذلك بزيارة المكتب الرئيسى وإدارة الأشغال، ثم يصل بعد ذلك إلى برنن كبى (جواندو)، حيث يلتقيه أمير جواندو (هارون)، نائب رئيس مجلس الرؤساء الذى جرى حله. ويقوم رئيس الوزراء أيضا بزيارة أمير أرجونجو، ويحضر اجتماع المجلس المحلى، ثم يعود بعد ذلك إلى جوساو يطير منها عائدا إلى كادونا. والسكرتير الخاص هو الذى يقوم على أمر الترتيبات الخاصة بالمتابعة.

مفتاح الانتقال الرئيسى إلى هذا النظام الجديد الذى يقوم على السكرتيرين الخصوصيين يتمثل فى إبراهيم دسوقى الذى حل محل سكرتير خاص مغترب، والذى عمل بصورة وثيقة مع المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) Sardauna طوال الفترة من ١٩٥٣ – ١٩٥٥. كان دسوقى يتولى أمر أوراق المستشار السياسى الرئيسى، ومراسلاته الشخصية، إضافة إلى الأمور المتعلقة بالضيوف والمركبات إلخ. يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى كان يكلفه بمهام غير رسمية، من قبيل المرور على الإدارات للتـأكد من عـدم "غش الشماليين أو تضليلهـم" (أى أنهم يحرمون من التدريب أو الترقية). كان إبراهيم دسوقى يجمع هذه المعلومات ويقدمها للمستشار السياسى الرئيسى، الذى يقوم هو بدورة بمناقشة الأمر مع الحكومة.

يستمر التنظيم الفعلى للخدمة المدنية، بما فى ذلك مكتب رئيس الوزراء، فى اتباع نظام الخدمة المدنية البريطانى. واستنادا إلى ما يقوله يحيى جوساو Gusau[1]، فإن العمل فى وظيفة سكرتير مع رئيس الوزراء أمر مهم للغاية. ذلك أن هذا السكرتير يكون مسئولا عن مكتب رئيس الوزراء، كما يتولى أيضا بعض الاعتبارات السياسية (فيما يتصل بالوزارات، أو الإدارة المحلية). سكرتير رئيس الوزراء هو الذى يقوم بإرسال الاستجوابات إلى الوزارة المعنية. وفيما يتصل بالترقيات، فإن السكرتير هو الذى يقوم بإرسال التوصيات والتزكيات إلى لجنة الخدمة العامة.

مع بداية أشملة الطبقة التنفيذية فى الخدمة المدنية، يتضح أن السكرتيرين المساعدين والسكرتيرين الدائمين هم أول من تأثر بعملية الأشملة هذه (يضاف إلى ذلك أيضا السكرتيرون الخصوصيون). وقد أسفرت عملية الأشملة عن إيجاد كادر من السكرتيرين الخصوصيين، والسكرتيرين المساعدين، إضافة إلى سكرتيرين آخرين ومسئولين آخرين فى الوزارات كانوا بمثابة نواة الكادر الشمالى فى كادونا.

استنادا إلى ما يقوله يحيى جوساو، فإن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان يقوم بزيارة إدارات التربية والتعليم ويحضر المواطنين الذين يصلحون للتنفيذ ويعينهم فى الإدارة. وعلى سبيل المثال، كان عبد الرحمن أوكين Okene زميل دراسة ليحيى جوساو فى عام ١٩٦٤، وكان يعمل بالتدريس، وكانت له الاهتمامات نفسها التى جلبت يحيى للعمل فى الإدارة. كان المستشار السياسى الرئيسى هو الذى يختار هيئة العاملين معه، ولم يكن الرجل يدخل مسألة العلاقات الشخصية فى مسألة التعيين أو اختيار الموظفين. وعلى سبيل المثال، نجد أن حسن ليمو (ذلك النيوبى Nupe القادم من النيجر) ربما كان أقرب الناس إلى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى (باعتباره سكرتيرا شخصيا له)، ولكن اختيار أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لهذا الرجل اعتمد على الخبرة وليس على أى شىء آخر.

---

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ١٩ يوليو من عام ١٩٨٣، فى كادونا.

استنادا إلى ما يقوله يحيى جوساو، فإن المقربين من المستشار السياسى الرئيسى هم: على عقيل، وإبراهيم دسوقى، وأحمد جوده، وحسن ليمو، وسنداى أونى Sunday Awoniyi. ويذيع صيت أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على أنه رجل غير قبلى. هذا يعنى أن الرجل كان يستلطف البشر فى ضوء صفاتهم وشمائلهم (وبخاصة الإخلاص)، وليس فى ضوء محل ميلادهم. أحمد طالب هو الآخر من المقربين جدًا إلى المستشار السياسى الرئيسى من منطلق كونه "موظفا جيدًا من موظفى الخدمة المدنية"؛ هذا يعنى أن المستشار السياسى الرئيسى كان يود لهذا الرجل أن يكون قريبا منه، ولكن أحمد طالب تراجع عن ذلك بشىء من التحفظ، نظرا لأنه لم يكن يود لنفسه أن يكون فى المقدمة أو مفضلا على أحد(١).

يقول يحيى جوساو إن الإدارة كلها كانت تجرى باستعمال اللغة الإنجليزية، على الرغم من طلاقة الموظفين الإداريين البريطانيين فى التحدث بلغة الهوسا. (كانت تجرى لهم امتحانات، وبالنسبة للوظائف الرئيسية فى الإدارة، لا يمكن لمغترب أن يرقى إليها إلا إذا كان يجيد لغة الهوسا) كان الفرع القضائى من الخدمة المدنية مفصولا عن أفرع الخدمة المدنية الأخرى، ومستقلا فى كل الأحوال، وذلك على الرغم من أن لجنة الخدمة العامة (فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين) كانت هى التى تتولى مسألة التعيينات. (وجرى بعد ذلك إنشاء لجنة الخدمة القضائية)(٢).

ذاع صيت المستشار السياسى الرئيسى Sardauna بين موظفى الخدمة المدنية الشماليين بأنه رجل مولع بدقائق الأمور والتفاصيل وأنه من محبى العمل الجاد. وهو يطلب من النيجيريين الذهاب إلى أعمالهم فى الوقت المحدد، وأن ينهوا أعمالهم على الوجه الأكمل، وأن يبقوا فى مجال عملهم إلى أن ينتهوا من الأعمال المكلفين بها، وألا يشتكوا أو يتذمروا. ويبدأ ذلك بنفسه هو باستعمال المذكرات خلال الليل ثم يعيد تلك المذكرات إلى السكرتيرين المساعدين فى اليوم التالى. (هذا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

يعنى أن الرجل كان يتصفح حوالى أربعين أو خمسين ملفا كبيرا فى الليلة الواحدة، ويدون عليها تعليقاته، بحبر أخضر اللون، وعلى كل ملف من الملفات. ويبدو أن الكادر المحيط بالمستشار السياسى الرئيسى يستوعب هذا النظام وتلك الأخلاقيات من أخلاقيات العمل).

فى ذات الوقت، نرى أن المستشار السياسى الرئيسى ينظر إلى مكتبه وإلى العاملين معه باعتبارهم جزءا من أسرته الكبيرة، وينتظر منهم أن يحيونه ويتناولون معه الطعام. يضاف إلى ذلك أن المناسبات التى تقام فى المساء فى منزل المستشار السياسى الرئيسى، تكاد تكون إجبارية عند الشماليين فى بعض الأحيان. عموما، فإن موظفى الخدمة المدنية فى مناطق الخلافة فى سكتو، هم وبعض من أهالى الحزام الأوسط يحضرون هذه المناسبات، فى حين نجد أن جماعة برنو (وهى جماعة كبيرة)، يغلب عليها العزوف عن تلك المناسبات. ولكن الغالبية العظمى من الشخصيات السياسية (أى الوزراء) يحضرون تلك المآدب.

واستنادا إلى بعض المراقبين، يمكن القول: إن المستشار السياسى الرئيسى لا يقوى على تناول الطعام وحده، وربما كان عدد الحاضرين معه لتناول الطعـــام لا يقل عن ثلاثين فردًا. وإذا كان العمل يبدأ فى الساعة السابعة والنصف صباحا، فذلك يعنى أن الناس يتناولون الأفطار فى الفترة من الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة العاشرة (ويتناولون فى الإفطار سمكا، وبيضا، وكبدا، وطحالا fura). أما الغداء فيكون فى الفترة من الساعة الواحدة إلى الساعة الواحدة والنصف (ويتناول الناس فيه العصيدة tuwon Shinkafa، والبازلاء، والبطاطس، والسلطات، إلخ) أما وجبة العشاء فتكون عند الساعة الثامنة والنصف مساء، وهى مثل وجبة الغداء. وفى أواخر فترة العصر يمارس المستشار السياسى لعبة الخماسيات، والذين يشاركونه فى هذه اللعبة يعمل البعض منهم فى الخدمة المدنية. وجدول الرجل فى هذا النشاط شبيه تماما بما كان يفعله عندما كان فى كلية كاتسنا. الفارق الوحيد يتمثل فى أن وجبات المساء تحولت إلى مناقشات طويلة كانت تستمر إلى ساعة متأخرة من الليل. (وبعدها يعود المستشار السياسى الرئيسى إلى ملفاته، ثم ينام ساعات قلائل، ويصحو مرة ثانية عند الساعة الخامسة صباحًا).

يتمثل جزء من أخلاقيات العمل فى هذه الفترة (وفى فترة لاحقة أيضا) فى إصرار المستشار السياسى الرئيسى على عدم إقحام المشكلات الشخصية أو الخاصة أو العائلية على عمل مكتبه. وهو ينتظر أداء جيدًا من هيئة العاملين معه، دونما اعتبار لكل ما يدور فى حيواتهم الخاصة. وتعويضا عن التوتر الناجم عن هذا الأسلوب فى العمل (وعن غيره العائلات والأسر)، فإن المستشار السياسى الرئيسى يركب سيارته فى فترات العصر ويقوم بزيارة أسر الموظفين العاملين معه. ويقدم لهم الهدايا، ويداعب الأطفال.

الروح السائدة فى مكتب رئيس الوزراء والإخلاص والالتزام اللذان ينجمان عن هذه الروح شيء راق تماما، ولعل ذلك يفسر مستويات الأداء الراقى، والظروف المناسبة للعمل والأداء. يضاف إلى ذلك أن حاجة المستشار السياسى الرئيسى إلى "التجوال" بصورة مستمرة لكى يرى بنفسه ذلك الذى يحدث فى المقاطعات، ولكى يجمع المعلومات ويعطى المعلومات، كل ذلك يسفر عن حياة تشبه حياة الترحال عند كثير من الناس. والنكتة المكتبية الذائعة تقول: الفولانيون لابد أن يكونوا بدوا مترحلين!

٧ـ الزعامة الإدارية:

استنادًا إلى ما يقوله الشيخ شاجارى[١]، يمكن القول أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان يؤمن بنظام الخدمة المدنية البريطانى. فقد كان الرجل يحترم الموظفين المدنيين ويقدرهم سواء أكانوا بريطانيين أم نيجيريين. كان أحمد بللو يطمح إلى خدمة مدنية قوية. لم يكن الرجل يعول على المؤهلات الأكاديمية وحدها. كان المستشار السياسى الرئيسى يؤمن أن الصفات المطلوبة فى مجال الإدارة يجرى اكتسابها من خلال التجربة العملية، وليس من خلال الدورات الأكاديمية. كان الرجل مؤمنا أيضا بأن المواطن الشمالى لديه موروث طيب من

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٦ ديسمبر من عام ١٩٨٣ فى أبوجا.

الإنجاز فى هذا المجال، "وأن ذلك شىء فى دم هذا المواطن". وكان التعجيل ببرامج التدريب يهدف إلى اللحاق ببقية البلاد فيما يتصل بمتطلبات الإدارة واحتياجاتها الحديثة. كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يعلق أملا كبيرا على الشبان الناهضين. كان الرجل يود لشباب الشمال الصاعدين أن يتباروا مع نظرائهم من الجنوب.

استناداً إلى ما يقوله محمد لاوان Lawan[١]، كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يحظى باحترام كبير من الموظفين المدنيين. كان الرجل يقول للموظفين المدنيين: "نحن السياسيين عندما نرتكب أخطاء، نتمنى منكم أن توضحوها لنا" كان المستشار السياسى الرئيسى يتشكك فى المال العام. يضاف إلى ذلك أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى كان بينه وبين أولئك الذين يعينون سكرتيرين دائمين للمرة الأولى مساحة كبيرة من التقدير والاحترام. كان أهل برنو أيضا يكنون احتراما كبيرا لذلك الرجل على الرغم من أنهم لم يكونوا يذهبون إلى منزله إلا فى أيام الصلاة فقط. (لكن أبا جدوم كان استثناء من هذه القاعدة. إذ كان يذهب إلى منزل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بصورة منتظمة)[٢].

سبق أن تناولنا من قبل دور المستشار السياسى الرئيسى بصفته "زعيما سياسيا" وبصفته "زعيما تقليديا"، وذلك من منطلق القدوة الحسنة التى كان الرجل عليها من حيث النظام وأخلاقيات العمل ومن حيث الإجراءات أمام العاملين معه وأمام العاملين فى مجال الخدمة المدنية. والعمل الحقيقى للإدارة يتمثل فى تدوين المسائل والمشكلات، وفى التشاور مع الآخرين فى حل هذه المشكلات وتطوير الخيارات. "نظام الملف" يقضى بأن يكون لكل موضوع أو مشكلة ملف خاص يشتمل على كل المعاملات الورقية الخاصة بها، كما يحتوى ذلك الملف أيضا على "محضر" أو التعليقات الداخلية، حتى يمكن الوصول إلى كل مشكلة وتتبع تاريخها والتعليقات المتصلة بها. وإن كان القدر الأكبر من هذه العملية يمكن إسناده إلى

---

(١) مقابلة شخصية، فى اليوم الثامن عشر من شهر أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى.

(٢) المرجع السابق.

بعض الأشخاص، فإن مفتاح الإدارة الناجحة يتمثل فى انتخال تلك المشكلات والتركيز على تلك المشكلات المهمة (بحد ذاتها أو باعتبارها سابقات) ثم السيطرة على تفاصيل الموقف قبل إصدار القرار. مسألة إنفاق المستشار السياسى الرئيسى لقسم كبير من حياته العملية فى إعداد هذه الملفات هو الذى زاد من خبرة الرجل فى معرفة المهم وغير المهم، كما زاد أيضا من سرعة وقدرة الرجل على فهم فحوى التقارير التى يكتبها الآخرون. هذا بدوره، شجع على كتابه التقارير الدقيقة والعميقة، وبالتالى تحديد الخيارات السياسية. والمستشار السياسى الرئيسى على استعداد للدخول فى نقاش مع الموظفين المدنيين عندما يختلف معهم حول توصية من التوصيات، وهم أيضا على استعداد أيضا لمناقشته فى الأمور المهمة. (مزاج هذا الرجل يكاد يكون معروفا للجميع، وبالتالى فإن الموظفين المدنيين، هم الذين يحددون مواعيد عرض مسائلهم المهمة عليه، فى ضوء معرفتهم لحالته النفسية) يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى لا يسمح لاختلافه فى الرأى فى المشكلات، وبالتأثير على علاقته الشخصية بالموظفين المدنيين. السواد الأعظم من هؤلاء الموظفين المدنيين يحسون أن المستشار السياسى الرئيسى يعتمد اعتمادًا كبيرا على آرائهم فى كثير من الموضوعات، على الرغم من أنه فى بعض المسائل السياسية المهمة (التى ستجرى مناقشتها فى الفصل الرابع عشر)، يعترض على أرائهم فى بعض الأحيان.

دمج الخدمة المدنية فى خدمة واحدة، بدلا من وجودها على شكل مجموعة من الأروقة المحلية أمر مهم جدًا للخدمة المدنية نفسها ولأخلاقيات هذه الخدمة. نظام الخدمة الدوارة ربما يخدم البريطانيين تماما ويناسبهم – والمقصود بالخدمة الدوارة هنا هو شيء من الخبرة من برنو، وشيء من الخبرة من سكتو مع شيء من الخبرة من الحزام الأوسط – ولكن المؤكد تماما أن هذا النظام نفسه يمكن أن يفلح وينجح فى عدم وجود خدمة مدنية متجانسة. هذا يعنى أيضا أن ما يجرى فى نيجيريا ليس هو النموذج الهندى، الذى يقوم على أجيال من الولاءات المتراكمة والأنماط السلوكية. خمسينيات القرن العشرين تمثل "الجيل الأول"، والمستشار السياسى الرئيسى هو الذى يمثل هذا الجيل. يضاف إلى ذلك أن الخبرة المشتركة

بين الأجيال الأولى من موظفى الخدمة المدنية فى كلية كاتسنا ربما تكون قد ساعدت على ترسيخ إحساسهم "بشماليتهم" فى نفوسهم، ولكن السهولة الواضحة التى انخرط بمقتضاها موظفو الخدمة المدنية فى هذه المنظومة، تعد أمرا بالغ الوضوح والتأثير أيضا. وحتى فى وجود "العلاقـــة الفكاهية" السُكّتية – البـــرنية، لا يمكن القطع بأن المناقشات شبه الإقليمية يمكن أن تزول ولا تسود بين الناس. معروف أن المستشار السياسى الرئيسى يلعب دورا رئيسيا فى المزج بين مختلف المقاطعات فى إطار الخدمة المدنية وفى خلق حوافز سلبية لأولئك الذين يودون محاباة المصالح المحلية.

المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يعى أيضا أهمية المزج بين المجموعات السنية المختلفة. اعتماد الرجل على "أصحاب الخبرة من كبار الســـن" لا يعنى مطلقا عزوفه عن إيلاء أجيال الشباب اهتماما كبيرا، والإصغاء إلى نصائحهم بغض النظر عن الشكل الذى تكون عليه تلك النصائح (وقد تصله تلك النصائح من خلال المناقشات التى تدور أثناء الليل، أو من خلال الملاحظات التى تدون على المذكرات). وفى الوقت نفسه يلزم المستشار السياسى الرئيسى نفسه التزاما كاملا بفكرة تسريع عملية الأشملة، وهو يصر أيضا على المحافظة على "المستويات القياسية"، وألا تؤدى الترقيات غير المدروسة إلى إفشال أصحابها. وسوف ندرس بمزيد من التفصيل فى الفصل التالى الجهود التى يبذلها المستشار السياسى الرئيسى للقضاء على تلك الكارثة. هذا الفصل يتناول الدورات التعليمية (والدورات الأخرى) التى يتعهدها هذا الرجل من أجل زيادة مؤهلات الشماليين ورفع شأنهم المهنى.

أخيرا، يجب أن نعلم أن المستشار السياسى الرئيسى له علاقات عمل وثيقة مع كثير من الموظفين المغتربين والوافدين، سواء فى مكتب رئيس الوزراء أو فى بقيه سائر أنحاء الخدمة المدنية. والرجل على المستوى الفردى يحترم السمات والصفات والخصائص المميزة. وهو يدرك أن البريطانيين سيرحلون، ولذلك فهو لا ينظر إليهم باعتبارهم تهديدا له. وهو يعى ويدرك أيضا أن كثيرا من "السادة

المستعمرين" غاضبين، ومكروبين من التحول الذى طرأ على ميزان القوى، كما أن الكثيرين من المستعمرين يصعب عليهم استيعاب الحقيقة التى مفادها أن الوزراء الجدد قد بدءوا يحلون محلهم ويتولون المناصب التى كانوا يشغلونها. وطبيعة المستشار السياسى الرئيسى فى مثل هذه الأمور تميل بل وتقوم على الاحترام والمحافظة على الكرامة على المستويين الشخصى والرمزى. والرجل يؤمن إيمانا قويا بقدرات الشماليين، بغض النظر عن آراء الآخرين (سواء أكانوا بريطانيين أم جنوبيين). وهؤلاء الذين يشاركون المستشار السياسى الرئيسى فى رؤيته هذه بغض النظر عن "القبيلة" (والبريطانيون يُنْظَرُ إليهم من نواحٍ كثيرة على أنهم قبيلة واحدة) هم الذين يرحب الرجل بهم للعمل معه وضمن فريقه.

الفصل الثامن

خطط التنمية

١ـ أجندة التنمية: الأشملة:

يرتبط، فى ذهن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، تحقيق القوة السياسية من خلال جبهة موحدة فى الإقليم الشمالى، بالسماح للمنطقة "المتخلفة" بعملية التنمية "واللحاق بها". والبند الرئيسى فى خطة التنمية هو تطوير القوى البشرية. ما الطريقة التى يمكن أن يسير عليها الشمال فى الإسراع بتدريب عدد كاف من أبنائه كى يَحِلّوا محل البريطانيين فى الأعمال الماهرة وشبه الماهرة، دون أن تتحول هذه الأعمال إلى أهل الساحل، أو بالأحرى النيجيريين من أهل المنطقة الساحلية، الذين يستشعر الناس أنهم سوف يغلقون هذه الأعمال على أنفسهم إلى الأبد؟ وكإجراء إيجابى بدأت العملية باستخدام أناس ليسوا من أهل الشمال، أو بالأحرى أناس من خارج البلاد، وكانوا جميعهم بعقود. وإذا ما نحينا جانبا مسألة الحصة فى النمو المتوازن بين مختلف الأقاليم النيجيرية، نجد أن كبار زعماء الشمال ينظرون إلى هذه السياسة باعتبارها أمرا ضروريا للاستقرار مستقبلا فى نيجيريا. يضاف إلى ذلك أن تباين خطى التحديث بين مختلف الأقاليم يمكن أن يزيد من النزاعات الانفصالية. وسياسة التوأمة التى تعمل فى مجال تنمية الشمال هى:

١) الأشملة فيما يتعلق بالتوظيف والتدريب.

٢) التوزيع المتساوى لموارد الميزانية على المقاطعات الاثنتى عشرة (ثلاثة عشر فيما بعد).

المستشار السياسى الرئيسى، هو الشخصية الرئيسية فى اتباع وتنفيذ هذه السياسة، التى قد تكلفه حياته فى نهاية الأمر. الأشملة تؤثر على الطبقة المتعلمة تعليما غربيا فى هذا المجتمع، كما تؤثر أيضا على المستوى العام. وعلى سبيل

المثال، فى كل أسواق مدن الشمال، من قبيل مدينة كنو Kano، نجد سوقين: سوق قديمة (أى متجانسة) وسوق جديدة Sabongari، أو بالأحرى سوق مهاجرة، وأن هاتين السوقين تتنافسان فى معظم الأحيان. ونجد أيضا أن سياسة الأشملة شائعة فى كل أنحاء الشمال على جميع المستويات. فى بعض المناطق كان الناس ينظرون إلى الأشملة على أنها ليست هى الحل الدائم، وإنما هى حل مرحلى. وفى بعض المناطق الأخرى ينظر الناس إليها باعتبارها من "حقوق الولايات" وأنها مشكلة طويلة الأزل. فى المراحل الأولية، نجد أن الإجراء المطلوب يكاد يكون واحدًا ألا وهو: تنمية التعليم والقوى البشرية.

الأسباب التاريخية والأسباب الثقافية للتفاوت بين الشمال والجنوب أقل أهمية من الحقيقة التى مفادها أن هذه التباينات فى الفترة ما بين ١٩٥١ - ١٩٦٠ كانت على أشدها وأنها كانت ناجمة عن سياسة حكومية غير دقيقة. من ذلك، على سبيل المثال، أن المنح التعليمية فى الحكومة المركزية، والتى جرى منحها على أساس من "الأحقية" تجلت فيها النسب التالية:

الجدول رقم (١٠): المنح التعليمية الممنوحة للأقاليم

	الغرب	الشرق	الشمال
١٩٤٨	٦٧	٤٠	٦
١٩٤٩	١٠٠	٦٥	٩
١٩٥٠	٨٣	٥٠	١٩
١٩٥١	٧٣	٦١	٧
١٩٥٢	٨٩	٥٨	٦
١٩٥٣	١٠٩	٥٩	٨

(المصدر: جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ١ أبريل من عام ١٩٨٤ ص١ "الشمال يحصل على أقل نصيب من المنح التعليمية المركزية").

كان إجمالى ميزانية الإقليم الشمالى فى عام ١٩٥٢ على النحو التالى على وجه التقريب:

الجدول رقم (١١): الإنفاق الحكومى فى الإقليم الشمالى، فى عام ١٩٥٢

البند	المبلغ	النسبة
١- الخدمات الاقتصادية: (بما فى ذلك الزراعة، والغابات، والطب البيطرى والصناعات المحلية، والمساحات والجمعيات التعاونية)	١٢٥٠٠٠٠ جك(*)	١٦ %
٢- التعليم: (بما فى ذلك العلاقات العامة	١٥٠٠٠٠٠٠جك	١٧%
والرفاهية الاجتماعية)	١٢٥٠٠٠٠ جك	١٦%
٣- الخدمات الطبية والصحية	١٧٥٠٠٠٠ جك	٢١%
٤- الإدارة: (بمعناها الواسع)	١٢٥٠٠٠٠ جك	١٦%
٥- الأشغال العامة: (رأسمال وصيانة)	٢٥٠٠٠٠٠ جك	٣٠%
الإجمالى	٨٢٥٠٠٠٠	١٠٠%

* نقلا عن الأرصدة الإقليمية، بما فى ذلك الأرصدة المخصصة لمجالس التسويق والإنتاج وكذلك الأرصدة المخصصة للتنمية والرفاهية.

(المصدر: جريدة المواطن النيجيرى بتاريخ ١٤ فبراير من عام ١٩٥٢، ص ٥).

يبدأ المستشار السياسى الرئيسى Sardauna برامج العمل الخاصة بتطوير وتنمية القوى البشرية فى مجال الفئات الرئيسية، وفئات الميزانية (الاقتصاد، والتعليم، والصحة، والإدارة، والأشغال). وبهذه الطريقة، يلجأ المستشار السياسى الرئيسى إلى دوره عندما كان معلما، ويستفيد من ذلك فى تخطيط البرامج، ومدى الحاجة إليها[١].

(*) جك = جنيه إنجليزى (المترجم)

(١) راجع على سبيل المثال، خطاب المستشار السياسى الرئيسى الذى ألقاه أمام مؤتمر اتحاد المعلمين النيجيرى، فى ليجوس فى شهر يناير من عام ١٩٥٥. (المصدر: جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ١٣ يناير من عام ١٩٥٥، الصفحة السابعة "خطط مسبقة لأحداث ثورة فى منظومة التعليم فى الشمال").

تشرفت جدا بدعوتكم لى لافتتاح هذا المؤتمر ويسعدنى جدا حضورى معكم اليوم. الدعوة بصفة خاصة تسعدنى، كما يعرف البعض منكم أنى كنت مدرسا فى يوم من الأيام، وكنت أهتم جدا برفاه =

= مهنة التعليم. ولو لم أكن مدرسا فإن اهتمامى برفاهكم وتدريبكم سيكون كبيرا لسبب بسيط هو أن تنمية بلدنا تعتمد إلى حد كبير على مهنة التدريس.
نحن لا يمكن أن نمضى قدما لأخذ مكاننا فى العالم إلا إذا كان لدينا عدد كبير من المتعلمين والمتعلمات لكى يديروا خدماتنا ومصالحنا التجارية. المسارعة فى إنتاج المزيد من الشباب والشابات المتعلمات هى أهم المشكلات التى تواجهنا فى هذه الأيام.
وأنتم تعلمون جميعا، أن الإقليم الشمالى ما يزال متأخرا من حيث التعليم الغربى. وهناك أسباب كثيرة جيده تقف وراء ذلك، وأنا لا أود الخوض فى هذه الأسباب حاليا. ولكن يمكن أن أقول لكم ما يلى: أنتم لا تودون البقاء على تخلفكم. وأنا أعدكم أننا سوف نلحق بالركب، مع استمرار حفاظنا على العناصر الرئيسية من حضارتنا الإسلامية. سوف نلحق بالركب عن طريق بناء مراكز جديدة للتدريب وتوسيع المراكز الحالية نظرا لأن توسيع نظامنا المدرسى يعتمد اعتمادًا كاملا على إنتاج المدرسين المدربين.
إننا فى هذه اللحظة نفكر فى خطط طموحة سوف تحدث، فى الوقت المناسب، ثورة فى منظومتنا التعليمية.
لقد لعب اتحادكم دورا مهما فى توسيع التعليم النيجيرى. وأنا على يقين من أن الدور الذى ستلعبونه فى المستقبل سيكون أكثر أهمية. وأنا يدور بخلدى جانب معين من جوانب الإسهام الذى تقدمونه. هذا الجانب هو المستويات الجيدة من التدريب.
كما تعلمون فإن الاتحادات التى من قبيل اتحادكم لها دورين مختلفين. أولا العمل على تحسين أجور المعلمين. ثانيا. يجب أن تعملوا على رفع مستوى مهنتكم والمحافظة عليها. رفع المستوى والمحافظة على المهنة يحتم عليكم حصول أفراد اتحادكم على التدريب المناسب وأن يؤدوا واجبهم على أحسن وجه ممكن.
وأنا لا يسعنى إلا أن أقول هنا: إن أهم شىء فى رفع المستويات المهنية، أقصد مستويات مهنتكم يتمثل فى الاهتمام بشخصية المدرسين. والمدرسون إذا لم يكونوا أصحاب شخصية عالية وراقية. لأن ذلك لابد أن يكون معلما أساسيا من شخصيتهم. فإننا سوف نواجه كارثة كبيرة.
الاتحادات. فى هذا البلد. تنسى الدور الثانى فى بعض الأحيان. وقد سبق أن أشرت إلى ذلك الدور. وأرجو أن تسمحوا لى بالتأكيد على هذا الدور الثانى والتركيز عليه، لأنه هو الأهم. معروف أن الاتحادات والرابطات الكبيرة فى المملكة المتحدة وفى الأماكن الأخرى لها مواقف قوية. كما تحظى أيضا بالاحترام التى هى عليه الآن من خلال الاهتمام بالمستويات المهنية لأعضائها.
ونحن. فى الشمال. نؤمن إيمانا راسخا بتدريب المدرسين تدريبا جيدًا. نحن ليست لدينا نية تشجيع التوسع غير المشروط للتعليم الإبتدائى العالى استهدافا للشعبية الرخيصة؛ والأرخص. والأوفر. والأسرع بطبيعة الحال. وعلى المدى القصير. هو افتتاح مدارس ابتدائية دون الإصرار على تدريب المدرسين العاملين فيها تدريبا جيدًا. ولكن هذه السياسة يمكن أن تكون ضربة قاصمة لعملية التنمية. وأنا أتمنى أن يكون الآخرون يفكرون فيما أفكر فيه.
من هنا، تأكدوا أنكم فى كفاحكم من أجل رفع المستويات المهنية. سوف تحظون بمساندة حكومة الإقليم الشمالى لكم. وأنا واثق أنكم تحت قيادة السيد إيسوا Essua ستنجحون فى واجباتكم تجاه المجتمع.
أنا أعلم أن أمامكم مشكلات كثيرة وصعبة فى هذا المؤتمر. ولكنى آمل أن يتوفر لكم الوقت الكافى لدراسة هذه المشكلات الخاصة برفع مستويات الكفاية المهنية.
وقبل أن أترككم لمهامكم التى تنتظركم، أود أن أقول شيئا عن رواتب المدرسين. يتردد هنا فى الأنحاء كلها أن التعويض المادى للمدرسين غير كاف: قد يكون ذلك صحيحا أو غير صحيح: وقد يكون من الصعب علىّ التعليق على هذه المسألة الصعبة. ولكنى أستطيع أن أؤكد لكم على لسان الإقليم الشمالى أن المدرسين المؤهلين. والمدربين وأصحاب الشخصيات القوية سوف يلقون دوما معاملة عادلة.

يداوم المستشار السياسى الرئيسى Sardauna، طوال هذه الفترة، على حضور اجتماعات اتحاد المدرسين، فى الإقليم الشمالى، ويحث الأعضاء كبار السن على تبنى الشبان الصغار الشماليين ويساعدون على اكتساب الخبرة والتجربة. وعلى سبيل المثال، وفى مؤتمر المهندسين المحلى الذى عقد فى عام ١٩٥٩ فى مدينة جوس Jos، نجد المستشار السياسى الرئيسى يقول:

ستعرفون أن المهندسين الشماليين بدءوا يعودون من المملكة المتحدة بعد أن حصلوا على المؤهلات الفنية المطلوبة للدخول ضمن هيئة العاملين الدائمين والأساسيين فى الخدمة المدنية، وخلال السنوات القلائل القادمة سيكون هناك مهندسون شماليون إقليميون بعد الحصول على الخبرة المطلوبة. ولكن هؤلاء المهندسين، فى الوقت الراهن لم يكتسبوا بعد الخبرة أو يتمرسوا على هذه الخبرة العملية والشاقة، وأنتم، يا كبار رجال الوزارة، يا أصحاب "الخبرة والتجربة"، أنتم الذين سيقصدكم هؤلاء المهندسين الشبان طلبا للخبرة والتوجيه والإرشاد. وأنا أعرف أنكم سوف تولونهم رعايتهم المهنية، وستبذلون قصارى جهدكم لتزرعوا فيهم أحسن ما لديكم من خبرات. يجب ألا يدللوا؛ ويتعين عليهم الوقوف وقفة الرجال، ويتحملون المسئولية ويقودون الآخرين. وهم سوف يستطيعون عمل ذلك بفضل عونكم ومساعدتكم لهم[1].

بدأت سياسة الأشملة تواجه نوعا من الهجوم فى الجمعية العمومية الشمالية، وذلك من قبل أعضاء المعارضة القليلين، المتحالفين مع الأحزاب الجنوبية، وبخاصة إبراهيم إمام، وجى. إس. تاركا Tarka. وقد أجبر هذا الهجوم المستشار السياسى الرئيسى على الدفاع عن هذه السياسة فى مناسبات كثيرة فى الجمعية العمومية. وفى شهر أبريل من عام ١٩٦٠ نجد أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يرد على ذلك الهجوم، على النحو التالى:

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٧ مايو من عام ١٩٥٩، ص ١ "تحديات الحكم الذاتى: المستشار السياسى الرئيسى يقول: لا تراجع إلى الوراء".

سيدى، لن أطيل الحديث، ولكنى أجد من الضرورى الرد على اثنين من الأعضاء الذين تكلموا فى هذه الجمعية. العضو المحترم ممثل برنو (إبراهيم إمام) الذى تكلم كثيرا عن الأشملة. وأنا أحس أن هناك شيئا من سوء الفهم، أو ربما يكون الرجل قد حصل على بعض المعلومات غير الصحيحة من بعض الشماليين المتذمرين. إبراهيم إمام يعلم أن مؤلف أى من الأعمال لا يود لنفسه أن يرى ذلك العمل مدمرا أو مقوضا.

وأنا أؤكد للعضو المحترم أننا لدينا خطة لاستبدال أى إنسان، فى حين يرى هو أننا ليس لدينا مثل هذه الخطة. ولجنة تنفيذ الأشملة ستسعد جدًا باستقبال العضو المحترم فى مكتبها، وأنا متأكد أنهم سيطلعونه على كل ما لديهم. واللجنة أيضا تعرف ما لدينا من باحثين، كما تعرف أيضا عدد الباحثين والخريجين الذين سيعودون إلى هذا البلد كل عام، وفى ذات الوقت فإن لجنة الخدمة العامة لا تستخدم الناس إلا بعد الحصول منهم على شهادة تنص على عدم وجود شماليين مؤهلين لشغل مثل هذا العمل.

وعليه، فإن سياسة الحكومة فى الأشملة هى على النحو التالى: أشملة الخدمة العامة فى الإقليم الشمالى على وجه السرعة: ضمان نسبة معقولة من الوظائف والمناصب لأهل الشمال. فى الخدمة العامة الفيدرالية: ضمان نسبة معقولة من الوظائف فى مؤسسات الدولة للشماليين؛ زيادة عدد الشماليين فى الشركات التجارية، والصناعية، وفى البنوك وفى تجارة التجزئة فى الإقليم الشمالى: توسيع مشاريع وخطط التدريب العلمى على المستوى التعليمى فى الإقليم الشمالى حتى يمكن توفير الأفراد المؤهلين المطلوبين لسياسة الأشملة.

هذه السياسة يجرى تنفيذها من خلال كل الآليات المتيسرة فى الحكومة الإقليمية؛ أى عن طريق الوزراء، والموظفين المدنيين، وسلطات الحكم المحلى، إلخ.

لقد أنشئت لجنة تنفيذ الأشملة خصيصا لتنفيذ سياسة الأشملة التى تنتهجها الحكومة[١].

بعض المراقبين الشماليين فى تلك الفترة لهم بعض التعليقات على تأثير الأشملة، التى انتهجها المستشار السياسى الرئيسى، على مرئيات أهل الجنوب النيجيرى. هناك على سبيل المثال، نائب مستشار سابق، يرى أن سياسة الأشملة أغضبت الجنوبيين، بل إنهم، يظنون إلى يومنا هذا، أن الجنوبيين ليسوا مفضلين عند المستشار السياسى الرئيسى. هناك أيضا ملاحظة أخرى مفادها أن الأقاليم الجنوبية كانت تنتهج السياسة نفسها، لـكن دون أن تفصح عنها. (هذا يعنى أنــه لا يمكن حتى ولو لمجرد مراسل (ساع) هوسوى، أن يعمل فى مكتب من المكاتب الحكومية فى إينوجو Enugu، على الرغم من وجود جالية هوسوية كبيرة فى إينوجو). فصل الخطاب، هو أن سياسة الأشملة كانت محل خلاف بين الشماليين والجنوبيين[٢].

هذا هو السير كاشيم أيضا يعيد إلى أذهاننا فكرة أن الجنوب كان أغنى وأثرى من الشمال وأكثر منه تعليما، وأن الشماليين استشعروا مسألة ظهور المشكلات إذا ما استمر ذلك التباين والاختلاف. استشعر أهل الشمال أن التعليم هو المفتاح. "من هنا وافقنا على حتمية تركيز الشمال على الشماليين".. ولكن يتعين على الشمال أيضا ادخار بعض الأماكن للشبان الجنوبيين الأكثر تعليما. من هنا، استلزم الأمر أن يكون تعيين الجنوبيين فى الشمال بعقود محددة المدة. وهنا أزداد غضب الجنوبيين. هذا يعنى أن الشخص الذى لا يحصل على وظيفة دائمة سيبقى

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ١٦ أبريل من عام ١٩٦٠، " المستشار السياسى الرئيسى يدافع عن الأشملة".

(٢) مقابلات شخصية متباينة فى سائر أنحاء الولايات الشمالية، ١٩٨٣ – ١٩٨٤.

فى موقعه بلا تقدم. كانت تعطى للجنوبيين عقود سنوية. ولو كان الشمال بنفس مستوى الجنوب لما شغلنا هذا الأمر. كان المستشار السياسى الرئيسى وطنيا، ولم يكن مجرد شخص إقليمى. ولكن الجنوب اغتال الرجل(١).

استنادا إلى ما قاله الشيخ شاجارى، نجد أن الجنوبيين كانوا يسيطرون على الخدمة المدنية فى المجالات كلها (الاقتصادية والسياسية). يضاف إلى ذلك أن الجنوبيين كانوا يميلون إلى تشغيل أقاربهم، وبالتالى لم تكن هناك فرص متاحة للشماليين. كانت مشاعر المستشار السياسى الرئيسى شديدة الحساسية فى هذا الموضوع: "حرروا الشمال من قبضة السيطرة الجنوبية". ومع ذلك كان المستشار السياسى الرئيسى وطنيا بمعنى الكلمة. كان شغل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى الشاغل هو اللحاق بالجنوب والمحافظة على نيجيريا الواحدة. كانت سياسة الأشملة التى انتهجها الرجل تهدف إلى توحيد نيجيريا وليس إلى تقسيمها... كانت السياسة تهدف إلى رفع الشمال من وهدته. كانت سياسة الأشملة بمثابة الضمان الوحيد للوحدة. ولكن الجنوبيين لم يفهموا ذلك أو يعوه فى ذلك الوقت. كان المستشار السياسى الرئيسى يفكر فى كل شيء من منظور الوحدة بين الشمال والجنوب. كان يود للشمال اللحاق بالجنوب فى المجالات كلها(٢).

هناك مراقبون آخرون يعلقون على الطريقة التى احتال بها المستشار السياسى الرئيسى على البريطانيين فيما يتعلق بمعادلة الأشملة. واستنادا إلى ما قاله أحمد طالب، فإن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى كان معنيا بمسألة تسكين العاملين الشماليين فى المناصب، وعدم الموافقة على أولئك القادمين من سيراليون، أو من غانا أو الجنوب. كان المستشار السياسى الرئيسى سعيدا بالمغتربين والوافدين، نظرا لأنه إذا ما توفر الشماليون المناسبون، تصبح مسألة استبدالهم بالوافدين والمغتربين أمرا سهلا(٣).

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٧ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٦ ديسمبر من عام ١٩٨٣. فى أبدجا.

(٣) مقابلة شخصية بتاريخ ٢١ يوليو من عام ١٩٨٣، كادونا.

ومع ذلك، وعندما يبدأ تأثير سياسة الأشملة فى الظهور، نجد أن الجالية الأوروبية نفسها تصبح شديدة الحساسية فيما يتصل بمسألة "الجودة". وأفضل مثال على ذلك، هو الاعتراض على المستشار السياسى الرئيسى عندما أصر على أن يتولى شمالى إدارة مستشفى كادونا. واستنادًا إلى ما قاله الدكتور عطا (الذى تولى إدارة المستشفى)، فإن الغالبية العظمى من الموظفين المدنيين البريطانيين كانوا يودون لذلك المنصب رجلا له خلفية أوروبية. ولكن جرى حل المشكلات وسار كل شيء على ما يرام. (يقول الدكتور عطا إن النساء الأوروبيات فى الماضى كن يعدن إلى أوطانهن ليضعن أطفالهن؛ ولكن الأمر تبدل بعد ذلك، وبقى السواد الأعظم منهن، إذ كان هو يقوم بنفسه بعملية التوليد)[(١)].

تبقى سياسة الأشملة بمثابة العمود الفقرى فى سياسة التنمية التى انتهجها المستشار السياسى الرئيسى فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين. وقد أسفر تنفيذ هذه السياسة عن جهد تربوى تعليمى هائل فى الشمال، الأمر الذى كانت له نتائج بالغة الأثر.

٢ـ التربية والتعليم والموارد البشرية:

طالت قوة الدفع التربوية والتعليمية المستويات كلها فى الشمال، بدءا من تعليم الكبار إلى التدريب التقنى المتقدم. هذه الحملة الباكرة على الجهل yaki da Jahilci[(٢)] من خلال الجهود المبذولة من قبل كل من أحمد كوماسى، وأبو بكر إمام، وآخرون، كانت مؤيدة ومدعومة بمطبوعات بلغة الهوسا انتهجتها

---

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ١ سبتمبر من عام ١٩٨٣، كادونا.

(٢) مقابلة شخصية مع أحمد كوماسى، فى ٢٥ مايو من عام ١٩٨٥، فى كاتسنا. كان هناك حوالى ١٠٠٠٠٠ فصل تعليمى فى الشمال وذلك عندما بلغت الحملة على الجهل ذروتها. كانت تلك الفصول تستمر مدة ستة أشهر وبالتالى كانت كل وحدة " تؤتى ثمارها مرتين فى العام ". كان كل فصل يحتوى على خمسة وعشرين من كبار السن. كان المدرسون يقومون ببناء كوخ يقومون فيه بتعليم التلاميذ. كانت طريقة التعليم تركز على القراءة والكتابة إضافة إلى بعض المهارات البسيطة (الصحة). طاف أحمد كوماسى أنحاء الشمال من أجل التفتيش على هذه المرافق التعليمية. وعلى الرغم من أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لم يكن وزيرا للتربية والتعليم، إلا أنه اهتم بهذا البرنامج. بل إنه أثناء جولاته كان يدون الملاحظات والمذكرات عن البرنامج الذى سيعطيه لأحمد كوماسى عند عودته إلى كادونا.

مؤسسة جريدة جاسكيا (الحقيقة) في كل من زاريا وكادونا، من خلال جهود كل من نوح بامالى، وآبا جدُوم جانا وآخرون. هذه الفترة كانت عامرة أيضا ببرامج اختيار الشبان الشماليين وإرسالهم إلى الخارج لحضور الدورات، وحضور الدورات التنشيطية فى معهد الإدارة، ووضع أساس جديد للمدارس الأولية (الابتدائية) والمدارس الثانوية.

هناك تعليق خارجى مفاده أن مقاومة التعليم الغربى فى الشمال ترجع إلى الموروث الإسلامى، بنظامه التعليمى الخاص به. ويتمكن المستشار السياسى الرئيسى من سد هذه الفجوة ويشجع النوعين من التعليم. يبدأ أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى تحديد المشكلة مبتعدا بها عن الصراع ومحولا إياها إلى نموذج يتكامل مع بعضه البعض.

كان أسلوب المستشار السياسى الرئيسى فى هذه البرامج كلها يتسم بالسرعة. بمعنى لم يكن القائمون على الأمر ينتظرون تقارير التخطيط؛ وإنما كانوا ينفذون على الفور. بمعنى أنه كان يجرى تعيين شخص كفء وتسند إليه المسئولية عن النتائج. كان الجميع يبحثون عن المختصرات التى من قبيل "المدرسة الطبية" فى كنو. كان يجرى سفر المسئولين إلى الخارج (بما فى ذلك دول الكمنولث الأخرى) لجلب المدرسين. وكان يجرى المرور على الفصول فى المدارس الثانوية، وبعد التشاور مع ناظر المدرسة، يجرى انتقاء بعض الطلبة لإيفادهم لتلقى تدريبات خاصة، بما فى ذلك الشرطة والتدريب العسكرى. (وجرى اختيار العديد من شبان مقاطعة النيجر للتدريب العسكرى بهذه الطريقة، وهم حاليا يخدمون برتب جنرالات فى الجيش النيجيرى) وعلى الرغم من تشجيع المستشار السياسى الرئيسى لتعليم المرأة، إلا أن هدفه الأساس كان ينصب على الرجال. (وخلال هذه الفترة، نجد أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، يوشك على الزواج من امرأة متعلمة تعليما غربيا، هى رقية عطا، شقيقة الدكتور عطا، ولكن العناصر السياسية المحافظة بما فيها الأمير السنوسى، لم يشجعوا ذلك الارتباط، وتذهب المرأة لمستقبل عملى خارج البلاد).

أوردنا فى الحاشية بعضا من سياسات المستشار السياسى الرئيسى التربوية والتعليمية على نحو يبين مدى عمق اهتمامات هذا الرجل، وربما يعطى ذلك فكرة عن أسلوب تحقيق هذا الرجل لأهدافه.

فى شهر يونيو من عام ١٩٥٢، وأثناء إذاعة الاهتمامات الرئيسية للإدارة الجديدة فى كادونا، نجد المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يؤكد على أهمية تعليم الكبار، وعلى التعليم الأخلاقى فى المدارس، وضرورة تحسين نوعية مدارس القرآن[١].

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ٥ يونيو من عام ١٩٥٢، الصفحة السادسة "المعركة ضد الجهل" فيما يلى نورد بعض المقتطفات من هذا المقال:

منذ أن تولينا السلطة، نحن الوزراء. أدركنا أن مهمتنا العاجلة هى التغلب على الجهل المتفشى واللامبالاة التى تعترض. حاليا، طريق التقدم السريع وتنمية بلادنا. لا تحسبوا أن هذا الجهل وتلك اللامبالاة موجودان فقط بين أفراد ذلك القطاع من السكان الذين لم تتهيأ لهم فرصة الالتحاق بالمدارس. ولا تحسبوا أيضا أن القراءة والكتابة وحدهما هما العلاج. قبل مجيء البريطانيين. كانت قطاعات كبيرة من شعبنا تقرأ وتكتب. الذى ينقصنا وينبغى علينا بناءه على وجه السرعة هو الرأى عام المستنير الذى يصعب على أصحاب الكلام المعسول التلاعب به، ويمكنه فحص عبارة ومعرفة مزاياها وبالتالى يستطيع تمييز الصالح عن الطالح من الكلام.

وهذا هو السبب بل والهدف من تكوين لجنة مكافحة الجهل التى أنجزت بالفعل قدرا كبيرا من العمل الإيجابى. المعركة ضد الجهل واللامبالاة لابد أن تدور فى المدن وفى القرى، وفى الشوارع، وفى المزارع وفى منازلنا أيضا. قلت: " فى منازلكم بالتحديد، إذ بدون تعاونكم الكامل لا يمكن تحقيق أى شيء. إخوانى الوزراء وأنا معهم نتجه إلى كل واحد منكم بأن يقوم بدوره بأن يكون على علم وبينة بأمور الإدارة المحلية، وبالأمور المتعلقة بالمصلحة الوطنية والمصلحة الدولية. حتى يمكن لكم تمييز الحقيقة عن الزيف والرياء فى الحياة العامة".

هناك لجنتان دائمتان من لجان المجلس التنفيذى جرى إنشاؤهما وتعملان بالفعل، مستهدفتان تسريع وتنسيق التنمية فى الإقليم الشمالى. إحدى هاتين اللجنتين هى لجنة التنمية الاقتصادية واللجنة الأخرى هى لجنة الرفاء الاجتماعى. واللجنتان مكونتان فى بعض أجزائهما من أعضاء المجلس والبعض الأخر أعضاء خارجين، وبخاصة أصحاب المؤهلات حتى يمكن الاستفادة من خبراتهم. ومهمة هؤلاء الأعضاء هى التأكد من أن التنمية فى هذين المجالين المهمين تمضى قدما وبسرعة وسلاسة قدر المستطاع، على أن تقوم كل إدارة من الإدارات بلعب دورها على أكمل وجه.

هناك أيضا لجنتان أخريان لهما وظائف مهمة فى حياة المجتمع. اللجنة الأولى مهمتها تحرى وفحص أساليب التعليم الحالية فى المدارس وفى المؤسسات، والتركيز بصورة خاصة على المستويات الأخلاقية، استهدافا لإنتاج مواطنين أفضل وأحسن مما هم عليه. من هنا، فإن المشكلة الكبرى الخاصة بالفساد فى الحياة العامة، والذى يسود البلاد كلها، يجرى الهجوم عليها من أجل اقتلاعها من جذورها.

اللجنة الثانية ستقوم بدراسة مشكلة التعليم الإسلامى العالى. مستهدفا بذلك تشجيع وتحسين مدارس القرآن الحالية، وإيجاد الوسائل اللازمة لتقديم يد العون إلى أولئك الذين يودون البدء فى الدراسات العليا سواء هنا فى بلادنا أو فى الخارج.

في عام ١٩٥٤، يجرى إنشاء المؤسسة الأدبية الإقليمية الشمالية، في زاريا، بميزانية تقدر بحوالى ١٣٥ جنيه إنجليزى. والهدف من إنشاء هذه المؤسسة أو بالأحرى الوكالة، هو إنتاج مادة قرائية للجمهور، وتطوير الكتب الدراسية. من خلال هذه الوكالة تصبح مؤسسة جريدة جاسكيا (الحقيقة) الطبّاع المحلى، وكان هناك أمل في أن تؤدى الخبرة المكتسبة من هذه العملية، إلى إنشاء صناعات محلية للطباعة وبيع الكتب، مع التركيز على الأدب العامى واللغة الدارجة.

في عام ١٩٥٤، يقدم المجلس الإقليمى الشمالى للمنح الدراسية، حوالى ١٦٣ منحة دراسية وتدريبية للعام ١٩٥٤ - ١٩٥٥، كان من بين هذا العدد من المنح، حوالى تسعة وثمانين منحة إلى الخارج، وحوالى اثنتين وسبعين منحة إلى زاريا، في فرع كلية العلوم والتقنية والفنون النيجيرية، ومنحتين إلى كلية إيبادان الجامعية. كانت تلك المنح في مجالات المحاسبة، واللغة العربية، والهندسة الزراعية، والفنون والهندسة المدنية، وهندسة الرى، والتعاونيات، والتجارة، والاقتصاد، والهندسة الميكانيكية، وطب الأسنان، والغابات، والحرف اليدوية، والصحافة، فضلا عن موضوعات أخرى. والطلبة الذين جرى اختيارهم لهذه المنح يمثلون عينة من كل المقاطعات الشمالية.

في شهر سبتمبر من عام ١٩٥٥، يصرح المستشار السياسى الرئيسى عندما كان في لندن، بأن الهدف العاجل لحكومة الشمال الإقليمية يتمثل في افتتاح مدرسة ثانوية واحدة على الأقل، في كل مقاطعة من المقاطعات، وأن الهدف النهائى من ذلك هو افتتاح كلية جامعية تخدم الإقليم الشمالى. (كان المستشار السياسى الرئيسى يتحدث في رابطة الطلاب النيجيريين الشماليين في بريطانيا العظمى وأيرلنده، الذين كانوا قد انتهوا من اختيار صالح إلياس رئيسا جديدا لتلك الرابطة؛ وكان محمد نصير هو الرئيس السابق لتلك الرابطة) أكد المستشار السياسى الرئيسى أيضا على التزامه بتعليم المرأة، ويقول إنه وضع حجر الأساس لمدرسة البنات الثانوية في إيلورين، وأن هناك مدرسة ثانوية أخرى للبنات يجرى بناؤها في مدينة زاريا.

في عام ١٩٥٦ تقف رابطة مدرسي الشمال وقفة حاسمة وصلبة على المستوى الإقليمي، وتؤكد أنها ليست اتحادا قبليا أو عنصريا، وإنما هي مفتوحة لجميع المدرسين. (وقد حدث ذلك للرد على المزاعم التي تقول إن الرابطة يسيطر عليها المسلمون والهوساويون) وهنا يزداد نشاط المدرسين المسيحيين الشماليين في هذه الرابطة.

في عام ١٩٥٧، أي أثناء وجود المستشار السياسي الرئيسي في لندن لحضور المؤتمر الدستوري، ألقى الرجل خطابا في مجموعة من الطلاب قال فيه: "إننا ندفع الآن الثمن العقابي لرفض مسئولينا قبول الطرق التعليمية الحديثة. ولكن ذلك جاء بمثابة درس مفيد لنا وحثنا على بذل المزيد من الجهود لتعويض ذلك الوقت الذي ضاع منا"[١]. وراح الرجل يهتم شخصيا بكثير من الطلاب في لندن، بأن راح هو بنفسه يسدد عنهم مصاريف التعليم والكتب دون الإعلان عن ذلك تشجيعا منه لأصحاب المواهب. الكثيرون من هؤلاء الطلاب لم يكونوا من أصقاع الشمال البعيدة، وإنما كانوا من إيلورين، وكبًا ومن الهضبة أيضا.

بحلول شهر نوفمبر من عام ١٩٥٨، وصل عدد الطلبة الشماليين الملتحقين بكلية إيبادان الجامعية إلى حوالي ثمانية وأربعين طالبا، وذلك من مجموع الطلبة الملتحقين بالجامعة والذين يبلغ عددهم حوالي ٩٣٠ طالبا. (في عام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ لم يكن هناك سوى خمسة طلاب فقط) كان إيا أبو بكر واحدًا من هؤلاء الطلاب الشماليين، وهو من أدماوا على وجه التحديد، وقد حصل على مرتبة الشرف الأولى (في الرياضيات) وبذلك يصبح هذا الرجل الطالب الثاني الذي يحصل على أعلى درجة في جميع المواد في تاريخ الجامعة. وتبدأ هذه الصورة الذهنية عن قدرات الشمال في التعليم العالي، في التغيير بصورة مستمرة[٢].

---

(١) جريدة المواطن الإفريقي، بتاريخ ١ يونيو من عام ١٩٥٧، "التعليم الحديث: المستشار السياسي الرئيسي يصرح أمام جمهور المملكة المتحدة: الشمال يدفع ثمن التردد في الماضي".

(٢) بدأ بعض طلاب الشمال دراسة الطب في كلية إيبادان الجامعية. منهم أحمد علي (على سبيل المثال)؛ (وهذا الصبي من كبا)؛ كان ذلك الصبي قد التحق بمدرسة أوكيني المتوسطة، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة باريوا، ولكنه تلكأ، وفضل الالتحاق بكلية الفنون النيجيرية، في زاريا. (في الفترة من ١٩٥٥ – ٥٧). ثم التحق بعد ذلك بكلية إيبادان الجامعية (في الفترة من ١٩٥٧ – ٦٣) بالمرحلة الإعدادية=

يتعاون المستشار السياسى الرئيسى تعاونا وثيقا مع مدارس البعثة المسيحية فى مقاطعة الهضبة، ويركز الرجل على الحاجة إلى المسلمين والمسيحيين لكى يعملوا سويا فى ميدان التعليم. وفى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٨، يتحدث المستشار السياسى الرئيسى إلى رؤساء البعثات التبشيرية البروتستانتسية فى جوس Jos ويؤكد على أن "الخلافات فى الدين ينبغى ألا تشكل لنا حاجزا يمنعنا من العمل سويا من أجل صالح الشعب. والمسيحيون لهم منزلة خاصة عند المسلمين فى كل أنحاء الدنيا"، ولكن الرجل يستدرك بأن تلك النظرة لم تكن متبادلة فى الماضى، وأن التسامح وعدم التعصب سمح لهما بالازدهار، وأعرب الرجل عن آماله فى التغلب على هذه الخلافات، ويمتدح أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى مدارس الإرساليات لما تفعله هذه المدارس فى مجال تعليم المرأة. ويخلص إلى أن "حكومتنا هى حكومة الشماليين: مسلمين ومسيحيين... و... ونحن نتمنى لكل الناس أن يمارسوا شعائرهم الدينية بالطريقة التى يرونها"[١] ويصرح الرجل قائلا: إن شعار "الشمال الجديد" هو "العمل والعبادة".

فى عام ١٩٥٩، تبذل جهود كبيرة من أجل توسيع تسهيلات تدريب المعلمين فى الشمال تمهيدا للاستقلال، وتشتمل تلك الجهود على ما يلى:

١) توسعات فى كلية مارو للمعلمين بهدف مضاعفة قدرتها الاستيعابية.

٢) افتتاح كلية معلمين فى كنو تمهيدا لبداية التعليم الجامعى التمهيدى فى مدينة كنو.

= من كلية الطب. وفى عام ١٩٦٣، كانت هناك اندفاعة من شبان الشمال للالتحاق بالجيش، وعليه التحق أحمد على بالجيش برتبة ملازم ثان. فى الخدمات الطبية. كان أحمد على رب أسرة فى إيبادان. وفى عام ١٩٦٤ سافر الرجل إلى يابا وبقى هناك إلى مطلع عام ١٩٦٥، حيث رقى إلى ضابط طبيب على مستوى الكتيبة، فى اينوجو Enugu، وبقى فى ذلك المنصب إلى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٥، حيث نقل إلى إسكتلنده للحصول على شهادة فى طب المناطق الاستوائية. وعاد إلى نيجيريا فى شهر مارس من عام ١٩٦٨. (مقابلة شخصية مع العقيد المتقاعد الطبيب أحمد على، بتاريخ ١٩ يوليو من عام ١٩٨٥. فى كادونا) من بين الطلاب الذين التحقوا بكلية إيبادان الجامعية فى خمسينيات القرن العشرين، أيضا إسحاق على، بى. دى. موسى، وداتى أحمد وجبرين أمين.

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٦ نوفمبر، من عام ١٩٥٨، ص ١ المستشار السياسى يقول: حكومة الشمال لا تعرقل تعليم المرأة

٣) إنشاء كلية معلمين جديدة فى ميدجورى لخدمة إقليم برنو.

٤) افتتاح كلية معلمات جديدة فى كنو.

٥) مضاعفة المستوى الثالث فى كلية أوكينى.

٦) تقديم المساعدات المالية لعدد متزايد من التسهيلات المطلوبة لمدرسى الخدمة التطوعية. وصل عدد المدرسين الشماليين المدربين فى عام ١٩٥٥ إلى ٥٨٨ معلما. وقد تضاعف هذا العدد إلى ١١٠٠ معلم فى عام ١٩٦٠.

فى شهر فبراير من عام ١٩٦٠ يقوم المستشار السياسى الرئيسى، ومعه عيسى كيتا، وأمير محمد سنوسى ومعهما ميتاما سول، وإبراهيم موسى جشاش، وميكانو دونسى وآخرون، يقومون بافتتاح مشروع التعليم الجامعى التمهيدى فى مدينة كنو. كان أولياء أمور مدينة كانوا يتلكأون فى إرسال أطفالهم للمدارس، ولكن فى الفترة ما بين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٠ يزداد عدد التلاميذ الملتحقين بالمدارس من ١٧٦٠ إلى ٣٠٠٠ تلميذا.

وفى شهر فبراير من عام ١٩٦٠ تحدث دفعة أخرى عندما يقوم أحمد كوماسى (القائم بعمل السكرتير الدائم لوزارة التربية والتعليم)، بتدشين دورة جديدة فى زاريا، جرى عقدها "للمدرسين الزائرين"، الذين جاءوا من مقاطعات شمالية مختلفة؛ كان الهدف من هذه الدورة قيام هؤلاء المعلمين الزائرين بالفحص المنظم لقانون التعليم، وأجزاء من مناهج المدارس الابتدائية، والسجلات المدرسية، ونظام العمل، وبعضا آخر من المسائل التى تهم المديرين التعليميين.

وفى شهر مايو من عام ١٩٦٠، وقبل فض الجمعية العمومية، يقوم عيسى كيتا، وزير التربية والتعليم بإعلان مفاده أن التعليم الأبتدائى الشامل الذى ناسب ظروف الإقليم الشمالى يعد هدفا رئيسا من أهداف الحكومة، حتى لا يتخلف أطفال الشمال عن بقية الأطفال فى نيجيريا المستقلة. وتلت ذلك مناقشة تمويل التعليم الابتدائى، والعلاقات الإقليمية بسلطات الحكم المحلى.

كانت خطة المستشار السياسى الرئيسى التعليمية ترمى، فى ذلك الوقت، إلى "اللحاق" بالأقاليم الأخرى. وهذا يتطلب تعبئة الرأى العام من باب دعم التعليم العام ومساندته، ومن باب التنسيق بين مختلف مستويات المشاريع التعليمية، حتى يتحقق انسياب الطلاب والمعلمين على النحو المطلوب، ومن باب تعبئة والمساعدة على حل المشكلات الأساسية المتعلقة بتمويل التعليم. كانت هناك مشكلة سيحاولون حلها فى ستينيات القرن العشرين، وتتمثل فى إحداث نوع من التناغم والانسجام بين التعليم القرآنى والتعليم الغربى. وفى ذات الوقت، كان هناك دعم مستمر، من خلال التمويل والمساندة الشعبية، لتشجيع المدارس التطوعية، وبخاصة فى الحزام الأوسط.

٣ـ معهد الإدارة:

يصبح دور معهد الإدارة فى زاريا فيما يتصل بكادر الإدارة فى الشمال، مثل الدور الذى لعبته كلية كاتسنا فيما يتصل بالمدرسين، أى أن معهد الإدارة أصبح مصدرا رئيسيا من مصادر التدريب، فضلا عن دور هذا المعهد أيضا كمكان لاكتساب القيم الاجتماعية لسياسة الأشملة الجديدة. هذا يعنى أن معهد الإدارة أصبح بمثابة أساس للشبكة الاجتماعية داخل وعبر الأجيال التى ستكون لها قوة لها وزنها فى الحياة السياسية والحياة الإدارية فى الشمال. يضاف إلى ذلك أن معهد الإدارة هو الذى يربط المستويات المحلية من موظفى الحكومة بالمستويات الأعلى من موظفى الحكومة. هذا المعهد كان تنظيمه وإدارته تحت إمرة المستشار السياسى الرئيسى مباشرة.

معهد الإدارة هذا يطور من مقاطعات الشمال كلية تدريب الكتبة التى أنشئت فى عام ١٩٤٦ فى "حى الكنغو"[١] من منطقة تودان وادا Tudan wada فى زاريا. وفى عام ١٩٥٣ يتبنى المجلس التنفيذى الشمالى مسألة التوسع فى تدريب موظفى الحكم المحلى القادمين من كل أنحاء الإقليم الشمالى، ويهتم بصفة خاصة بكتبة الحكومة، وكتبة الإدارة المدنية.

---

(١) هذه التسمية جاءت على إثر إطلاق هذا الاسم تيمنا بالكتيبة العسكرية التى جاءت من الكنغو البنجيكى. والتى تمركزت فى هذه المنطقة أثناء الحرب.

في أبريل من عام ١٩٥٤، يتحول معهد الإدارة إلى مركز تدريب رئيسى لأفراد الإدارة على المستويين المحلى والإقليمى، ويوضع مباشرة تحت إمرة وزير الحكم المحلى (المستشار السياسى الرئيسى) أحمد بللو، الذى يقوم بتحديد مفهوم ومجال هذا المركز. ولم يكن حضور افتتاح هذا المركز الجديد مقصورا على كبار الشخصيات الشمالية، وإنما حضره أيضا وزراء الحكم المحلى من الإقليم الشرقى (الدكتور آزكوى) ومن الإقليم الغربى (الرئيس اولوو Awolowo). (وكان إبراهيم دسوقى، السكرتير الخاص للمستشار السياسى الرئيسى، هو الذى قام بعمل الترتيبات اللازمة لذلك الافتتاح).

وفى عام ١٩٥٥، وتنفيذا لسياسة الأشملة فى مجال الخدمات الكتابية، يوافق المجلس التنفيذى الإقليمى على بناء أربعة مدارس لتدريب الكتبة (فى كل من سكتو، بوتسكوم، بطا Bida وأوتوركوبو) على أن يقوم معهد الإدارة بإدارة هذه المدارس الأربعة، وتتخرج الدفعة الأولى من الكتبة المدربين فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٧.

فى عام ١٩٥٥ أيضا يقوم (كاشيم إبراهيم) وزير التنمية والمسح فى الإقليم الشمالى بتدشين أول دورة لتدريب مفتشى التعاونيات الشماليين، والتى انعقدت فى معهد الإدارة، وسمح للطلاب من أقاليم الشمال كلها بالاشتراك فى هذه الدورة. وفى عام ١٩٥٥، يستقبل المستشار السياسى الرئيسى الحاصلين على الشهادة النيجيرية للعمل فى حسابات الخزانة المحلية.

وفى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٧ تبدأ دورة الموظفين الإداريين ومدتها عشرة أشهر، وهذه الدورة تزود المشاركين فيها بالتدريب على مختلف المجالات. مثل القانون، والمالية العامة، والاقتصاد، والحكم المحلى، واللغة الإنجليزية، إضافة إلى مقررات أخرى فى التاريخ الدستورى لنيجيريا، والتاريخ الاقتصادى لنيجيريا، والأديان المقارنة، والنظرية السياسية، إلخ. ويجرى التركيز على "التقنيات الإدارية"، ويجرى أيضا استعمال المنهج التعليمى لرعاية كل طالب ومتابعته متابعة دقيقة. وتشتمل تلك الدورة على الهندسة الميدانية، قراءة الخرائط، التخطيط الميدانى،

صيانة المركبات، الإسعاف، إلخ. وكان الطلاب يشاركون فى الألعاب فى فترة العصر. كان الالتحاق بتلك الدورة عن طريق لجنة الخدمة العامة، أما أولئك الذين كان يجرى اختيارهم لحضور هذه الدورة فقد كانوا يحضرونها مجانا.

كانت هيئة العاملين فى المعهد من بين الإداريين أصحاب الخبرة، وكان يجرى ندبهم من المستويين المحلى والإقليمى، ومن الخارج أيضا. ويمنح المعهد آلاف الشهادات لخريجيه فى الفترة السابقة للاستقلال (بل إن نشاط المعهد يتزايد بعد الاستقلال على نحو أكثر مما كان عليه من قبل). ويصبح المعهد مركبة لتزويد أنحاء الشمال كلها بالموظفين الإداريين، كما ساعد المعهد أيضا على خلق مجموعة من الشماليين الأكفاء فى اللغة الإنجليزية، والذين لديهم شيء من المهارات الوظيفية.

بعد أن يترك المستشار السياسى الرئيسى وزارة الحكم المحلى فى عام ١٩٥٧، ينتقل الإشراف على معهد الإدارة إلى مكتب رئيس الوزراء حتى يمكن له أن يكون على اتصال مباشر بنشاطات المعهد كلها وجوانبه المختلفة. ويفتتح أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى الدورة التدريبية القانونية، استعدادا للتعديلات التى طرأت على قانون العقوبات وفى ضوء الحقيقة التى مفادها أن الشمال ليس فيه محامين. (كان لدى الشمال فى ذلك الوقت خمسة محامين أمام المحاكم العليا) وقد جرى اتخاذ الترتيبات اللازمة لدخول الشماليين الأحد عشر المنضمين إلى الدورة، الامتحانات التى تعقدها نزل المحاكم فى لندن، وذلك بعد الانتهاء من الدورة التى تستغرق تسعة أشهر. ثم يجرى بعد ذلك إيفاد الطلبة الذين يجتازون تلك الامتحانات إلى المملكة المتحدة للحصول على المزيد من التدريب، الذى يفضى إلى العمل فى سلك المحاماة أمام المحاكم العليا. ونرى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يركز بصورة مستمرة، فى خطاباته التى يوجهها للطلاب، على أهمية "الشخصية". وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩، يقول أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لطلبة القانون: "يجب أن تضعوا فى اعتباركم أن المسألة ليست مجرد اجتياز للامتحانات، أو مجرد الوصول إلى المقدرة الفكرية أو العملية، وإنما المسألة تتعلق

بالشخصية، والجدارة، والكرامة، والأمانة وولاء الشماليين لأعمالهم."[١] ويردف الرجل قائلا: "الدورة التى ستعقد فى معهد الإدارة لن تكون سهلة، وبخاصة عند أولئك الذين تربوا بعيدا عن الأفكار الغربية وطريقة الإنجليز فى التفكير، التى تكشف عن نفسها فى قانون عام لإنجلترا كلها، ومع ذلك ينبغى ألا ييأس هؤلاء الطلاب... حقيقة مجيئى أنا، بصفتى رئيسا لوزراء الإقليم الشمالى، للتحدث إليكم يجب أن نوحى لكم بالأهمية التى تعلقها حكومة الشمال عليكم وعلى عملكم فى المستقبل. الدورة، ليس المقصود منها إضفاء المزيد من البريق على الطلبة، وإنما هى تهدف إلى تمكين الطلبة من إضفاء المزيد من البريق على هذا البلد."[٢]

فى اليوم الأول من شهر يوليو من عام ١٩٦٠، يفتتح جناح الحكم المحلى فى معهد الإدارة برنامجا تدريبيا يعد أضخم برامج التدريب على الحكم المحلى فى إفريقيا كلها. وتحضر هذا البرنامج فرق من المدربين من مقاطعات الشمال الخمسة (أدماوا، إيلورين، كنو، الهضبة ثم زاريا)، ثم ينضم إليهم بعد ذلك مساعدو رؤساء الأحياء المساعدين فى كل مقاطعة من تلك المقاطعات الخمسة. وبعد أن تنهى تلك الفرق تلك الدورة، أو بالأحرى ذلك البرنامج، يعودون إلى مقاطعاتهم، ويتولون مسئولية برامج التدريب على نطاق واسع فى مقاطعاتهم، ويكون الإشراف عليهم مباشرة من قبل معهد الإدارة.

معهد الإدارة، شأنه شأن الجهود الأخرى المبذولة فى مجال تطوير القوى البشرية أثناء هذه الفترة، يحتاج إلى قدر كبير من التنسيق بين الحكومتين المحلية والإقليمية. هذا يعنى أن المتدربين لم يكونوا يُنتجون فى فراغ، وإنما طبقا لمسارات عملية محددة من قبل. التركيز على توازن الفرص بين المقاطعات، وحتمية اجتياز امتحانات صعبة هما اللذان أديا إلى جودة الموظفين على المستوى الإقليمى. أما أولئك الذين لم يحصلوا على الدرجات المطلوبة فكان يجرى نقلهم إلى مجالات أخرى.

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٥ سبتمبر من عام ١٩٥٩، ص ١ مقال بعنوان "دورة قانونية تبدأ فى زاريا: المستشار السياسى الرئيسى، يركز على الجودة".

(٢) المرجع السابق.

٤ـ التنمية الصناعية والتجارة:

استنادا إلى ما يقوله أحمد طالب[١]، فإن خطة المستشار السياسى الرئيسى الخاصة بالتصنيع تتمثل فى محاولة إقامة صناعات لتصنيع المواد الخام المتوفرة محليا وبخاصة فى مجال المنسوجات ومصانع زيت الفول السودانى. ومدينة كنو، لها الأولوية الأولى فى الصناعة نظرا لتوفر المواد الخام والقوى البشرية فضلا عن الخبرة التجارية. (كادونا لا ينظر إليها باعتبارها مركزا صناعيا، وإنما من منظور أنها هى العاصمة الإدارية. ويجرى فى مرحلة لاحقة جذب الصناعات الإقليمية إلى كادونا بسبب موقعها المتوسط من ناحية وكونها مقرا للحكومة الإقليمية من الناحية الأخرى. هناك أيضا عامل رئيسى أيضا فى تنمية كادونا تنمية صناعية يتمثل فى كون هذه المدينة أبعد مدن الشمال على خط السكة الحديد، فضلا عن أن إمدادات المياه فيها تكفى لإقامة صناعة المنسوجات) تهدف سياسة المستشار السياسى الرئيسى إلى مزج الملكية العامة بالملكية الخاصة (بنسبة حوالى خمسين بالمائة) اعتمادًا على الأهمية الإستراتيجية للصناعة. على سبيل المثال، فإن صناعة المنسوجات فى كادونا، التى هى بمثابة الصناعة الأولى فى هذه المدينة، فيها بعض الأسهم المملوكة للحكومة الإقليمية وأسهم مملوكة أيضا للقطاع الخاص. هذا النموذج نقل أيضا إلى مجال صناعة المنسوجات فى الشمال، أو بالأحرى إلى شركة مغازل الشمال، إلخ. فى كنو نجد أن الشركة التجارية لمواطنى كنو، هى ورجال المال والأعمال المحليين من أمثال بابا دان بابّا Baba dan Bappa تنتهج نموذجا عبارة عن خليط من القطاع الخاص والنظام التعاونى، فى مجال إنتاج المنسوجات. وكنو تعد فريدة بحد ذاتها بسبب كبر العائلات التجارية فيها، والتى منها عائلة دانتاتا Dantata على سبيل المثال. وفى الأماكن التى تتواجد فيا تلك الأسر التجارية الكبيرة، نجد أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يحاول العمل من خلال هذه الأسر[٢]. (ورد ذكر تأثير إبراهيم موسى جشاش على هذه الصناعة، فى الفصل الخامس).

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢١ يوليو من عام ١٩٨٣، كادونا.

(٢) المرجع السابق.

يستطرد أحمد طالب ويقول إن الإدارة الرئيسية للتنمية فى تلك الفترة تتمثل فى مجلس التنمية الإقليمى الشمالى[١]. بعد ذلك، وعندما تأسست شركة الاستثمار النيجيرية الشمالية، دخلت فى مشاريع تجريبية أكبر مساندة منها لسياسة الحكومة. ونجد أيضا شركة الاستثمار النيجيرى الشمالى المحدودة تركز تركيزا شديدا على المشروعات الاقتصادية التجارية المضمونة. (ونجد أيضا شركة الاستثمار النيجيرى المحدودة تبدأ العمل مع اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى واتحاد تنمية الكمنولث). يضاف إلى ذلك أن بنك الشمال تأسس فى عام ١٩٦٠ وكانت حكومة الإقليم الشمالى هى المالكة للأسهم كلها. ويدخل هذا البنك أيضا مجال الاستثمارات الصناعية، (فى البداية، كان البنك مختلطا، قطاع عام وقطاع خاص، وكان كثير من اللبنانيين يملكون أسهم القطاع الخاص. بعد ذلك، وبعد قرار أو مرسوم خاص يصبح البنك مملوكا بكامله للولايات الشمالية العشرة)[٢].

استنادا إلى ما قاله أحمد طالب، فإن المستشار السياسى الرئيسى لم يكن يعبأ أو يشغل باله بمسألة رأس المال المستثمر (عام خاص؛ محلى أجنبى)[٣]. كل ما كان يهم هذا الرجل هو "اللحاق" بالمناطق الصناعية، فضلا عن ثقة الرجل بأن الحكومة تستطيع مراقبة الشركات فى عملها فى إطار من القانون. كان الرجل ملتزما بالمواطنة، ولكن ليس على حساب التقدم. رأس المال والتقنية نادران، وكل مورد من الموارد المتيسرة ستجرى تعبئته. ومع ذلك بدأ الرجل يقف ضد الجالية اللبنانية المتخندقة فى تجارة التجزئة فى كنو وبخاصة فى مجال المنسوجات المستوردة.

---

(١) هذا المجلس تحول فيما بعد إلى ما يسمى اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى ثم أصبح بعد ذلك اتحاد التنمية النيجيرى الشمالى. ثم أصبح فى نهاية المطاف شركة تنمية نيجيريا الجديدة يضاف إلى ذلك أن شركة الاستثمار النيجيرى الشمالى المحدودة كانت عبارة عن مشاركة بين اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى واتحاد تنمية الكمنولث، واستمرت تلك المشاركة إلى عام ١٩٧٤ عندما اختفى اتحاد تنمية الكمنولث.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

في شهر سبتمبر من عام ١٩٥٥، يجرى إعلان عنصر مهم من خطة المستشار السياسى الرئيسى الصناعية: أى إعلان قيام شركة المنسوجات فى كادونا؛ إجمالى تكلفة هذه الشركة المحدودة وصلت إلى ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيه إنجليزى، وكان الاتفاق بين شركة داود هوايت هد وأبنائه ليمتد، فى مدينة روتينستول Rawtenstall، فى مقاطعة لانكشير، ومجلس التسويق الإقليمى الشمالى ومجلس تطوير الإنتاج الإقليمى الشمالى. كان المصنع مزودًا بحوالى ١٤٠٠٠ مغزل، وحوالى ٣٠٠٠ نول آلى، ويبدأ عمل ذلك المصنع فى عام ١٩٥٧. وقد اكتتب كل من مجلس التسويق ومجلس تطوير الإنتاج بحوالى ثلثى رأس المال أى بواقع ثلث لكل منهما، أما الثلث الباقى فقد جاء من هوايت هد Whitehead الذى يقيم له فرعا فى نيجيريا. وتصدر الشركة أيضا إصدارا قيمته ٥ فى المائة على شكل قرض يأخذه المجلسان.

حتى ذلك الحين، كان محصول القطن النيجيرى الشمالى يصدر إلى الأسواق الخارجية. كان إنتاج المنسوجات القطنية المبدئى يقدر بحوالى ٤٠٠٠٠٠ ياردة سنويا، ارتفع إلى ١٢٠٠٠٠٠٠ ياردة خلال ثلاث سنوات. كانت شركة هوايت هد هى التى توفر العمالة الفنية وتدريب الشماليين على العمل فى هذه الصناعة. على أمل القيام بهذا العمل بدلا من المقيمين فى أسرع وقت. هذا المصنع يعد أحدث المصانع التى من هذا النوع.

بذلك يصبح اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى بمثابة أداة الاستثمار الرئيسة عند المستشار السياسى الرئيسى فيما يتصل بتشجيع وتوجيه سياسة الاستثمار فى الإقليم الشمالى خلال هذه الفترة. رئيس اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى هذا هو واحد من أولئك المشهود لهم دوما بالثقة مثل الحاج على فى زاريا. اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى ليس معنيا فقط بالتنمية الصناعية وإنما بسلسلة طويلة من مشروعات التنمية. كان رأس المال المتاح لاتحاد التنمية الإقليمى الشمالى فى ذلك الوقت عبارة عن مبلغ صغير.

وبناء على ذلك، يوافق اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٨ على مبلغ ١٦١٩٧٥ جنيها إنجليزيا على شكل قروض ومنح لمختلف مشروعات التنمية فى كل أنحاء الشمال. من بين هذا المبلغ حوالى ١٠٠٠٠ جنيه إنجليزى قرض للإدارة المحلية فى كاتسنا، ويخصص القرض لسوق المدينة؛ ١٥٠٠ جنيه إنجليزى لإنشاء موقف سيارات فى كونتاجورا؛ ٢٠٠٠٠ للإدارة المحلية فى أدماوا لإعادة بناء سوق ميوبى Mubi؛ ومبلغ على شكل منحة للإدارة المحلية فى أرجونجو لتغطية تكاليف جسر من الصلب على نهر سكتو، ومبلغ ١٨٠٠٠ جنيه إنجليزى لمشروع إعادة التوطين فى شندام؛ ومبلغ ١٥٠٠ جنيه إنجليزى للبحث عن موارد للحجر الجيرى فى الإقليم؛ ومبلغ ١٥٠٠٠ جنيه إنجليزى للأبحاث التجريبية على بذور الزيت فى مصنع تصنيع الزيت من البذور فى الشمال، وبالتحديد فى منطقة زاريا؛ ومبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه إنجليزى مساهمة فى تكلفة صناعة مقترحة للسكر فى منطقة بسيطة Bacita؛ ومبلغ ٢٣٤٧٥ جنيها إنجليزيا لشق الطرق الفرعية فى الإقليم الشمالى؛ ٤٠٠٠٠ جنيه إنجليزى لحفر الأبيار فى برنو؛ ٢٥٠٠ جنيه إنجليزى لإجراء دراسة جدوى لإقامة فندق حديث فى كل من كادونا وكنو.

صدر أيضا فى عام ١٩٥٨ قرار من اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى يقضى بإنشاء شركة نقل جديدة، أصبحت مثارا للجدل والأخذ والعطاء. ويقرر اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى شراء شركة النقل الغربى من السيد على عرب، وتعيينه مديرا إداريا للشركة الجديدة (المتحدة للجر) لمدة خمس سنوات. وجرى تمويل هذه الصفقة بمبلغ ٢٥٠٠٠٠ جنية إنجليزى من رصيد اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى، ومن اتحاد تنمية الكمنولث، اللذان يكونان فيما بينهما مجلس إدارة الشركة الجديدة (مع على التراكى بصفته رئيسا لمجلس الإدارة). الهدف من الشركة هو التوسع فى النقل البرى فى الشمال. كان الجدل الدائر حول عملية الشراء مرتبطا بالسياسات الحزبية من ناحية ونقاد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الذين بدءوا يدعون أن حكومة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تحابى مؤيدى حزب المؤتمر الشعبى

الشمالى من خلال إقحام نفسها فى المشروع. ويرد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على ذلك الزعم بما يفيد أن الحكومة ملتزمة بتحريك دنيا المال والأعمال فى الشمال بعيدا عن أيدى الأجانب. هذه المشكلة سوف تظهر بصورة أكثر حدة فى ستينيات القرن العشرين، عندما يجرى تشجيع الكثيرين من أبناء البلد الأصليين العاملين فى مجال المال والأعمال، والذين يؤيدون ويساندون حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، على أن يكونوا بمثابة الجيل الأول من رجال الصناعة فى الشمال.

وفى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٩، يوافق المستشار السياسى الرئيسى على مبلغ ٥٥٠٠٠٠ جنيه إنجليزى على شكل قروض من اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى إلى الأفراد. هذه القروض تتراوح بين ٢٥٠٠٠ جنيه إنجليزى للأشخاص لشراء مركبات تعمل بالقوى فى منطقة ريفرين Riverain و١٥٠٠٠٠ جنيه إنجليزى للتاجر من أبناء البلد لكى يؤسس مؤسسته الخاصة بالنقل البرى. سياسة تقديم القروض المنتجة للأفراد سينتج عنها خلق طبقة من رجال المال والأعمال الشماليين العاملين فى الصناعة والتجارة الإقليمية، ولكن ذلك يفتح الباب أيضا لتوجيه اتهامات المحاباة والمحسوبية. ويصر اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى نفسه على تقديم القروض بصورة مباشرة. (ونظرا لأن كل أهل الشمال تقريبا وبخاصة رجال المال والأعمال منضمين إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، فإن المشكلة من هذا المنطلق تصطبغ بالصبغة الداخلية داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى) فى مثل هذه الأمور، نجد أن الخدمة المدنية تلعب دورا مهمًا فى فحص المشروعات الإنتاجية، وفى تقييم أحقية رجال المال والأعمال للقروض. هناك قرضان سوف يثيران أكبر قدر من الجدل داخل الخدمة المدنية، وهما يتعلقان بالمنطقة الخاصة بعمليات الحج، ويخصان بصفة شخصية كلا من محمود دانتاتا Dantata (الذى يدخل السجن فى نهاية المطاف) وهارون كاسيم (الذى يتأخر فى سداد القرض).

في الوقت ذاته كانت جاليات المال والأعمال اللبنانية (والسورية) تشكو مر الشكوى من أن الحكومة الإقليمية كانت تحاول تدميرها. وفى شهر يوليو من عام ١٩٦٠ يدخل اتحاد الوسطاء الشماليين الموحد فى تنافس مباشر مع اللبنانيين فيما يتعلق بمسائل تطهير التجارة، وتقوم الحكومة الإقليمية بإنشاء لجنة للتجارة، قامت بزيارة العواصم المحلية كلها، ودونت بعض الملاحظات عن المشكلات العامة التى تواجه توسع تجارة التجزئة، وتشير اللجنة بصفة خاصة إلى مسألة المنافسة المزعومة غير العادلة فى مجال تجارة التجزئة أمام كل من السوريين واللبنانيين وأمام البيوت التجارية الكبيرة التى يملكها المقيمون. وتصدر للجنة تعليمات بتدوين توصياتها التى تمكن الحكومة الإقليمية من إعادة هيكلة مجال التجارة وذلك من باب تشجيع تجار الشمال على أخذ حصة أكبر من حصتهم فى مجال التجارة والمال والأعمال[١].

فى شهر يناير من عام ١٩٦٠ يفتتح المستشار السياسى الرئيسى المقر الجديد لأول بنك وطنى فى الإقليم الشمالى، الذى أطلق عليه اسم بنك الشمال، وكان مقره فى كنو. ويبدى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى ملاحظة مفادها أن من المناسب للبنك أن يكون فى كنو، التى كانت مركزا للتجارة منذ قرون، وأن ذلك المركز كان يربط الشمال بكل أجزاء عالم البحر الأبيض المتوسط. وينادى الرجل بالمنافسة الشريفة بين بنك الشمال والبنوك البريطانية الأكثر رسوخا وتمرسا، مثل بنك باركليز. وبنك غرب إفريقيا؛ ويقول الرجل أيضا: إن النشاط البنكى عمل يتطلب نظاما على أعلى درجات النزاهة. وفى فترة الاستقلال يتحول بنك الشمال إلى أهم مؤسسة مالية. ويجرى افتتاح أفرع للبنك فى كل من كادونا، وليجوس، وجوس، وميدوجورى، وفى مراكز تجارية أخرى، ويتخذ فرع بنك

---

(١) كان أعضاء اللجنة على النحو التالى: زنًا مصطفى ليسو (من إدارة برنو المدنية، مستشار الحكم المحلى والإعلام) (رئيسا للجنة)؛ آدو بايرو (من إدارة كنو المدنية. رئيس الشرطة)؛ عبد الرازق (عضو خاص فى المجلس التشريعى الشمالى)؛ محمد سالى (قاضى مبتدئ. من كنو)؛ محمد بالا كفى (عضو ممثل لأراضى العاصمة كادونا فى الجمعية العمومية)؛ وإبراهيم داميدا (وزارة التجارة والصناعة) (سكرتيرا).

الشمال فى كادونا. من مبنى اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى مقرا له، ويصل رأسماله الاسمى إلى حوالى ٢٥٠٠٠٠ جنيه إنجليزى، مقدمة من اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى، ومجلس التسويق الشمالى ومن رجال المال والأعمال من أبناء البلد الأصليين. أما الشريك الأجنبى فكان ممثلا فى بنك إنترا Intra اللبنانى. وفى مرحلة لاحقة أوشك بنك إنترا اللبنانى على الانهيار ولكن بنك الشمال كان محصنا تحصينا جيدا الأمر الذى خفف من آثار ذلك الحدث المروع الذى وقع لذلك البنك فى مقره الرئيسى فى بيروت.

أسفر نمو المؤسسات التنموية والمؤسسات التمويلية فى الشمال فى أواخر خمسينيات القرن العشرين عن ظاهرة جديدة، تتمثل فى بداية ظهور النقابات العمالية والإضرابات. فى بداية الأمر، اتخذ العمل الصناعى شكل الوفود العمالية. ففى شهر أبريل من عام ١٩٦٠ أضرب حوالى ١٦١٧ عاملا من عمال مصنع النسيج المحدود فى كادونا، على إثر طرد واحد من مبعوثيهم، لتقصى مسألة المكافآت. (ويجرى بعد ذلك إعادة ذلك المبعوث إلى عمله) وهكذا نرى أن النمو العمالى المنظم فى ستينيات القرن العشرين أصبحت له مضاعفات سياسية، سواء فى الإطار الوطنى (مثلما حدث فى إضراب عام ١٩٦٤) أو فى السياق الشمالى، حيث يبدأ الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال العمل بصورة وثيقة مع حركة النقابات التجارية.

استنادا إلى ما يقوله إبراهيم أرجونجو[١]، الذى كان سكرتيرا لاتحاد التنمية الإقليمى الشمالى، فإن قرارات هذا الاتحاد الفعلية كانت تصدر عن مجلس الإدارة، ولكن الأمر كان يحتم موافقة المستشار السياسى الرئيسى على هذه القرارات. يضاف إلى ذلك أن أحمد بللو، بصفته المستشار السياسى الرئيسى كان هو الذى يعين أعضاء المجلس. كان الرجل معنيا بصفة خاصة بالموازنة بين مختلف مناطق المقاطعات الشمالية، حتى لا ينظر الناس إلى اتحاد التنمية الإقليمى الشمالى على أنه يحابى مناطق بعينها على حساب مناطق أخرى. كانت فكرة التنمية المتوازنة فى مجال الصناعة والتجارة معلما آخر من معالم خطة (إستراتيجية) التنمية فى الشمال.

---

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ١١ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى سكتو.

ومع ذلك، وفى إطار هذه النظرة القائمة على التنمية المتوازنة، حدث توحد واضح فى كنو، أظهر المدينة فيما بعد على أنها مركز صناعى. بعد ذلك، ومع ازدياد قوة كادونا، تصبح تلك المدينة بمثابة الموقع التالى من مواقع الصناعات الخفيفة. ويجرى تشجيع رأس المال الأجنبى تشجيعا كبيرا، ولكن ذلك كان يجرى بالتعاون مع المجالس الإقليمية الشمالية. ويجرى أيضا تشجيع رجال المال والأعمال المحليين على المشاركة فى الصناعات الخفيفة.

٥ - روابط البنية التحتية: الطرق والسكك الحديدية، والتليفونات:

استنادا إلى ما يقوله إبراهيم أرجونجو، فإن مسألة تطوير الطرق، وبخاصة الطرق الفرعية، كانت من بين الأنشطة الرئيسة، لاتحاد التنمية الإقليمى الشمالى، وذلك من أجل العمل على وصول المنتجات إلى الأسواق[١]. كانت مجالس التسويق تقدم المنح عن طرق الأرباح التى كانت تجنيها من الفول السودانى والقطن. هذه المنح ساعدت على شق طريق زمفارا Zamfara الواصل بين (جيجا آنكا) وتنمية منطقة جوزا Gwoza؛ "استهدافا لإنزال الناس من الجبال والتلال إلى الوديان". وجرى تشجيع الناس على إنتاج ثمار جوز الهند فى كبًا، كما جرى أيضا تشجيع المزارع السمكية. وفضلت اللجان المحلية أن تكون الأولوية للطرق الفرعية، وذلك على الرغم من أن السياسة لم تكن تركز على الطرق فى عام ١٩٦١. كانت النقود قليلة، وكان سياسو الإدارة المحلية يضغطون طلبا للمعونات المحلية[٢].

صحيح أن الطرق الفرعية تشكل مسألة محلية، حتى فى وجود التمويل الإقليمى. يضاف إلى ذلك أن مسألة إنشاء منظومة من الطرق الداخلية المحلية فى الشمال هى من الأعمال المهمة، ولكنها مع ذلك تظل جزءا من خطة التنمية فى الشمال. هذه المنظومة ليست سوى أسلوب أو طريقة من الطرق التى تجعل السكان

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

المحليين على علم واتصال بالتطورات التى تجرى على المستوى المركزى، كما تسمح لهؤلاء الناس بوصول منتجاتهم إلى السكك الحديدية التى تبدأ هى الأخرى فى الظهور خلال هذه الفترة. وفى عام ١٩٥٧، على سبيل المثال، نجد أن طريق وادى زمفارا، الذى يبلغ طوله ١٥٠ ميلا، ويمتد من جيجا إلى آنكا وجوساو، هو الذى يربط إمارة جواندو بالمنظومة الأكبر. وقد تبرز فى بعض الأحيان، مشكلة إقامة جسر من الجسور التى تكلف الكثير وتستنزف الكثير من الوقت.

على كل حال، فإن الخطة الرئيسية التى تقوم عليها عملية الربط، غاية فى البساطة. مكونات الشمال الرئيسية – أى سكتو، وكنو، وميدوجورى، وجوس – يجرى الربط بينها بطريق برى يؤدى إلى كادونا، وكادونا بحد ذاتها مربوطة مع ليجوس بطريق برى. وبذلك تصبح كادونا عقدة مواصلات رئيسية. (الطريق من جوس إلى الإقليم الشرقى غير معبد إلى حد بعيد) وكادونا تكاد تكون مركزية فى الشمال، فضلا عن أنها تقع أيضا على الخط الحديدى المؤدى إلى ليجوس.

ونحن إذا ما ألقينا نظرة على الطرق الهزيلة أو بالأحرى التى ليس لها وجود فى الإقليم الشمالى فى ذلك الوقت، نجد أن جولات المستشار السياسى الرئيسى الدائمة وكذلك جولات الوزراء الآخرين إنما تذكرنا بأهمية الطرق فى مسألة انسياب وصول البضائع، والرسائل والناس أيضا. والمعروف أن المعاملات تزداد ازديادا كبير كلما تطورت الروابط بين الطرق الرئيسية والطرق الفرعية، وذلك على الرغم من أن الكثير من هذه الطرق عبارة عن طرق موسمية تظهر فقط فى موسم الجفاف، ولكنها يستحيل المرور خلالها فى موسم هطول الأمطار فى فصل الصيف.

نظرا لأن زراعة المحاصيل النقدية تشكل العمود الفقرى فى خطط التنمية فى الشمال (وهذا هو ما سنناقشه هنا) فإن مسألة نقل المنتجات تعد عملية مهمة وحيوية للغاية. خطوط السكك الحديدية موجودة هنا فيما بين كنو وليجوس منذ عام ١٩١٢، وبين مقاطعة سكتو (جوساو) وليجوس منذ عشرينيات القرن العشرين. وكانت الأولوية فى خمسينيات القرن العشرين لتمديد الخط الحديدى ليصل من

جوس إلى ميدوجورى. اتحاد السكك الحديدية النيجيرية يدخل فى إطار المسئولية الفيدرالية ومن ثم فهو يتبع الوزير الأول، أبو بكر تافاوا باليوا وآخوين (مثل آر. إيه. نجوكو، وزير النقل الفيدرالى). ومع ذلك فإن تمديد الخط الحديدى إلى برنو يعد مسألة سياسية بالغة الأهمية فى الشمال، ولذلك فإن رئيس الوزراء والوزير الأول يتعاونان تعاونا وثيقا من أجل ضمان مضى العمل قدما.

فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٨ يشارك الوزير الأول فى إزالة أشجار الأثل استعدادا لمد الخط الحديدى من كورو Kuru (على بعد حوالى عشرين ميلا من جوس) إلى ميدوجورى. كان عقد ذلك التمديد قد وقع فى لندن قبل ذلك بأربعة أشهر، مع شركة هندسية لها سابق أعمال خبرة فى إفريقيا (شركة استيرلنج استالدى). وجرى تدبير الأرصدة الفيدرالية المطلوبة لذلك عن طريق قرض من الولايات المتحدة الأمريكية. ويشارك المستشار السياسى الرئيسى فى حفل الافتتاح؛ ويشير أثناء الاحتفال إلى أن هذا الخط الفردى هو أطول الخطوط التى جرى تنفيذها فى نيجيريا فى السنوات الأخيرة. ويؤكد أحمد بللو أن ذلك الخط ليس مشروعا منفصلا، وإنما هو جزء من منظومة للنقل جرى التخطيط لها استهدافا لتوسيع التجارة. مد الخط الحديدى إلى برنو سيجرى ربطه بامتداد الرصيف الذى يجرى بناؤه فى ميناء هاركورت. هذا الخط الحديدى سوف يسهل افتتاح المقاطعات الغنية بالزراعة فى كل من باوتشى وبرنو، وسوف يسمح أيضا بزيادة الاتصال والتجارة مع شرقى نيجيريا. (فى ضوء التقارب الذى حدث فى عام ١٩٥٨ بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون NCNC، وتحالفهما على المستوى الفيدرالى فى عام ١٩٥٩ أصبح لمسألة الروابط والمواصلات بين الشمال والشرق قيمة كبيرة فى ذلك الوقت) وصل إجمالى تكاليف تمديد الخط الحديدى البرنى إلى ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه إنجليزى. ويغطى الخط حوالى ٤٠٠ ميل.

بعد ذلك بعام (فى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩)، جرى مد سبعة عشر ميلا من الخطوط الحديدية، ويقوم المقاولون حاليا ببناء الجسور والمعابر عند علامة الميل السابع والأربعين. وفى المنطقة الواقعة خلف تافاوا باليوا وباوتشى يجرى بناء جسور كبيرة فى كل من ميجوجو Maijuju وباجل Bagel. وجرى التغلب على مشكلات الاستيلاء على الأراضى. وجرى توقيع عقود إضافية مع الشركات المقيمة، التى منها على سبيل المثال شركة ألمانية مسجلة فى نيجيريا باسم السادة ستراباج (نيجيريا)، المحدودة، لتقوم بتنفيذ وصلة السكة الحديدية من باوتشى إلى جومب Gombe وميدوجورى. وتبدأ إقامة المناطق السكنية فى باوتشى لسكنى العاملين فى الخط الحديدى. العمل شاق وبطىء. وسوف يستغرق إكمال الخط مالا يقل عن ست سنوات أخرى. ومع ذلك فإن أساسيات هذه الوصلات بين الشمال والجنوب يجرى وضعها، وسوف يؤدى ذلك إلى زيادة التفاعل البينى بين الأقاليم.

بجانب الطرق ووصلات السكك الحديدية الداخلية، يجرى أيضا تطوير شبكة الاتصالات التى لها أهمية إستراتيجية أيضا. كانت هناك اتصالات تليفونية قديمه بين كادونا وليجوس، ولكن مسألة وجود اتصالات عصرية ومحسنة بين العاصمة الإقليمية والعاصمة الوطنية تصبح أمرا ملحا. وفى شهر فبراير من عام ١٩٥٩، يفتتح المستشار السياسى الرئيسى الاتصال التليفونى "العالى التردد جدًا" بين كادونا وليجوس. (ويجرى بعد ذلك افتتاح تلك الخدمة للجمهور) ويشهد حفل الافتتاح محادثة على اللاسلكى بين وزير الاتصالات الفيدرالى والطيران، الرئيس إس. إل. اكنتولا (فى ليجوس)، والمستشار السياسى الرئيسى Sardauna (فى مكتبه فى كادونا). المنظومة الجديدة تعمل من خلال أربعة عشر محطة لاسلكية عالية التردد جدًا، وتسمح أيضا بأربعة عشر دائرة اتصال مع كادونا. ويؤكد أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على أهمية الاتصالات التليفونية فى مسألة التكامل فى الشمال، ويؤكد أيضا على أهمية الاتصالات بين الشمال والجنوب. ومع ذلك، ولأن السواد الأعظم من إدارات التليفونات والتلغراف كان يقوم على أمرها نيجيريون من الجنوب، فإن طرق الاتصال التقليدية القديمة، بما فى ذلك إيفاد أشخاص مهمين بالرسائل المهمة، كان يجرى استعمالها طوال المرحلة الباكرة من مطلع الاستقلال.

تشتمل تقنية اتصالات البنية التحتية على النقل والاتصالات السلكية وبالتالى فإن هذه التقنية يتزايد تعقيدها يوما بعد يوم. السواد الأعظم من هذه المشروعات تسند إلى الشركات المقيمة التى لديها الخبرة والتقنية المطلوبة لمثل هذه المشروعات. يضاف إلى ذلك أن مسألة العلاقات المالية بين الحكومات المختلفة والمقاولين المقيمين يغلب عليها أن تكون مسألة سياسية فى فترة ما بعد الاستقلال. يجىء ذلك عشية الاستقلال، بمثابة تطور ممتاز وقيم تمثل فى الابتعاد عن الاحتكار البريطانى المتمثل فى رأس المال الأجنبى والتقنية الأجنبية، والاهتمام الزائد من قبل الشركات الأوروبية الأخرى بعملية التنمية النيجيرية (بما فى ذلك الشمال).

اعتراف المستشار السياسى الرئيسى Sardauna بأهمية مصادر التقنية الأجنبية، هو الذى حمله على القيام ببعض الجولات الخارجية، بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية (خلال صيف عام ١٩٦٠)، فضلا عن زيارته أيضا لأجزاء كثيرة من أوروبا. هذه الجولات، أدت هى الأخرى إلى الحث على تسريع التنمية، والتقليل من ضرورة اكتساب شباب الشمال للتعليم المطلوب.

٦ـ الزراعة: وضع خطط التنمية:

ينظر المستشار السياسى الرئيسى للزراعة لا باعتبارها مجرد مكون مهم من مكونات خطة التنمية فى الشمال، وإنما من منطلق أن الزراعة هى الأساس فى أسلوب الحياة فى الشمال. لم يغب عن ذهن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أيضا، بصفته سياسيا، مسألة أن الناخبين فى انتخابات عام ١٩٥٩، كان من بينهم حوالى ٨٠ فى المائة من الفلاحين. والرجل مؤمن بالطبيعة العضوية للمجتمع، وإذا كان الرجل لا يهتم اهتماما خاصا بمسألة إعادة تشكيل النظام الاجتماعى، فهو لديه إحساس بأن هذه البنية الاجتماعية الكلية يمكن تعبئتها من أجل التنمية. نظرية "الجبهة الموحدة" التى يثق بها المستشار السياسى الرئيسى، تعتمد اعتمادًا كبيرا على المكون الريفى، كما يحس الرجل من نواحٍ كثيرة بمزيد من الارتياح لوجوده

فى مثل هذا الوسط، وذلك على العكس من الأوساط الحضرية سريعة التغير. والفلاحون لا يقتصر دورهم على إنتاج الغذاء وتصدير المحاصيل، وإنما هم داخلون أيضا ضمن بنية الحكومة المحلية، وذلك من خلال الضرائب والالتزامات المتبادلة. الفلاحة عمل تجارى أسرى، والأسر هى الوحدات الأساسية فى المجتمع.

المستشار السياسى الرئيسى ينظر إلى نفسه باعتباره "فلاحا" هو الآخر (مثلما هو "معلم" و"إدارى" أيضا). مسألة إنشاء أحمد بللو "لمزرعة نموذجية" عندما كان رئيسا لحى رباح، هى وخبراته الفلاحية الأخرى، هما اللذان يجعلان هذا الرجل يثق فى أن الفلاحين إذا ما جرى تعليمهم وتدريبهم على تحسين محاصيلهم، وكيف ينوعون هذه المحاصيل فإنهم يستجيبون لمثل هذا التعليم والتدريب. والرجل يؤمن أن هذه النتيجة لن تكون مجرد قاعدة تصديرية زراعية فى الاقتصاد، وإنما ستمكن الشمال من تشجيع إنتاج الغذاء وتصدير الحاصلات.

تعد سياسة الحكومة الإقليمية فيما يتصل بالأرض استمرارا للاعتقاد التقليدى القديم الذى مفاده أن الأراضى كلها "ملك الدولة". وأن حق الانتفاع Usufruct التى حدده الحكومة. وإذا ما أرادت الحكومة استرداد هذه الأرض لصالح أغراض التنمية (تمديد خط السكك الحديدية فى برنو على سبيل المثال)، فإنها تدفع للمنتفع بهذه الأرض "علاوة إزعاج"، وتعوضه عن النباتات أو الأشجار القيمة الموجودة على هذه الأرض. فى ذلك الوقت، كان الجزء الأكبر من الأراضى الزراعية قد جرى تخصيصه بواسطة السلطات المدنية، على الرغم من أن الحكومة الإقليمية فى المناطق الحضرية الجديدة، بدأت تنظيم وتقنين هذه العملية[١].

---

(١) فى شهر يوليو من عام ١٩٦٠، قام السيد أبوتو أوبكبا Obekpa القائم بعمل وزير الأرض والمساحة، بشرح سياسة الحكومة الإقليمية بشأن الأرض. كان غير النيجيريين يودون الحصول على حقوق انتفاع بالأرض طبقا لقوانين الخدمة المدنية، حتى يديروا أراضيهم ويدفعوا الإيجار للسلطة المدنية. وكانوا يريدون أيضا تخصيص التوسعات على أساس ٨٠ فى المائة للشماليين و٢٠ فى المائة لغير النيجيريين. ويمكن للبعثات التبشيرية التقدم للحكومة للاستفادة من حق الانتفاع من خلال الممثل المقيم، لكى تقوم ببناء المدارس والمستوصفات على هذه الأراضى.

يرى المستشار السياسى الرئيسى Sardauna أن المشكلة الرئيسية عند الفلاح الشمالى لا تتمثل فى الأرض، (الوفيرة)، أو العمل (نظرا لأن العمل يعتمد على البنية الأسرية وعلى أسواق العمل الموسمية)، وإنما المشكلة الرئيسية تتمثل فى الماء. ولذلك كان المستشار السياسى الرئيسى يشجع الحلول المحلية لهذه المشكلة، ويشجع أيضا مشروعات الرى كبيرة الحجم. هذا يعنى أن أحمد بللو لم يكن يهتم بالأبحاث طويلة الأجل، وإنما كان اهتمامه ينصب على تطبيق ما هو معروف بالفعل. والرجل على استعداد لتشجيع جيل من الفلاحين الشبان على "التقدم" من خلال البرامج التعليمية، ولكن نداءه لشباب الفلاحين ينصب على تعظيم قيمة وأهمية الفلاحة، فى وقت بدأت تبرز فيه الخلافات حول موضوع الزراعة والفلاحة.

مسألة التمويل الزراعى مرتبطة بالجهود التى يبذلها المستشار السياسى الرئيسى فى اتجاه ربط الفلاحين ربطا مباشرا بالمنظومة الإقليمية. قبل ذلك كان الفلاحون مرتبطين بالشبكات المحلية والمدنية الخاصة بالتسليف والتسويق. فى خمسينيات القرن العشرين، وضعت الأسس الخاصة بمشروعات للائتمان الزراعى التى تعد بمثابة ارتباط مباشر بكادونا. وأعضاء المعارضة لا تغيب عنهم المضامين التى ينطوى عليها هذا الارتباط. الآلية الرئيسية لائتمان أن يكون من خلال وزارة الرفاه الاجتماعى والتعاونيات. هذه الوزارة بدأت فى إعطاء قروض التعاونيات الزراعية المحلية. قروض هذه الفترة كانت على شاكلتين. أولا، قروض جمعيات التسويق التعاونى، يجرى تسجيلها ومنحها قبل الموسم، وهذه القروض يجرى توزيعها على الأعضاء لشراء البذور والأسمدة، ولتأجير العمالة (إن تطلب الأمر ذلك). هذه القروض مبررة شعبيا من منطلق أنها تعفى الفلاح من الوقوع فى براثن المرابين (المقرضين) الحضريين. ثانيا، قروض الحصاد، بمعنى منح القروض للجمعيات لتقوم بشراء المحاصيل مباشرة من أعضائها، "دفع مقدمة لشراء المحصول"، لبيع هذه المحاصيل بيعا تعاونيا فى الأسواق. (فى ستينيات القرن العشرين، تمنح القروض تشجيعا "للزراعة المختلطة").

في شهر أبريل من عام ١٩٦٠ بلغ إجمالى قروض ما قبل الموسم حوالى ١,٠٧٠,٠٠٠ جنيه إنجليزى، وبلغ إجمالى قروض شراء المنتوجات حوالى ٥٦٠,٠٠٠ جنيه إنجليزى، هذه المبالغ تصل إلى ضعف المبالغ التى جرى صرفها قبل ثلاث سنوات. يضاف إلى ذلك أن معدل السداد البطيء كان يشكل قلقا للحكومة نظرا لوجود عجز شديد فى الموظفين الذين يمكن أن يقوموا بالتفتيش على الجمعيات التعاونية والإشراف عليها. ويقوم الوزير (ميخائيل عودو بوبا) بتقييم المسحوبات المكشوفة من كل جمعية من الجمعيات التعاونية. وهنا يشكو بعض أعضاء الجمعية العمومية من أنهم لم يستطيعوا الحصول على النماذج المعدة للقروض، ويشكو البعض الآخر من أن هذه القروض لم تصل أبدا إلى أيدى الفلاحين.

يرجع تمويل الاقتصاد الريفى فى تلك الفترة، فى بعض أجزائه، إلى التركيز الزائد على إنتاج محاصيل التصدير. هذا يعنى أن الاقتصاد مكتفى ذاتيا فيما يتصل بإنتاج الغذاء الأساسى، والخطة ترمى إلى زيادة دخل الفلاح وزيادة الدخل الحكومى من خلال العوائد التصديرية. هذا يعنى أيضا أن منظومة مجلس التسويق، الذى يجرى من خلال تثبيت أسعار المحاصيل التصديرية بالنسبة للفلاح على أن يعاد استثمار الفائض من خلال المجالس فى البنية الأساسية الزراعية هو النمط السائد فى كل أنحاء عالم الاستعمار البريطانى فى ذلك الوقت. ففى شمالى نيجيريا نجد مجلس تسويق الفول السودانى، ومجلس تسويق القطن، هذان المجلسان هما المحولان الرئيسيان لمشاريع الطرق المغذية (الفرعية)، وهما المسئولان عن إعادة تشكيل السوق المحلى، وهما المسئولان أيضا عن استئصال ذبابة التسى تسى فى خمسينيات القرن العشرين، وهما أيضا المسئولان عن تقلبات أسعار السلع الدولية؛ وهذا يعنى أن مجالس التسويق تدعم المنتجين وتقدم لهم الإعانات. ومجالس التسويق هى خليط من مشروع استقرار الأسعار ومشروع ضريبة التنمية. وهنا نجد أن المصروفات غير المباشرة تكاد تكون فى أضيق الحدود. كانت كل أطياف الرأى السياسى الشمالى، تؤيد هذه المنظومة وتدعمها فى ذلك الوقت، ولم يكن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna استثناء من ذلك.

يحاول المستشار السياسى الرئيسى إحداث تغيير يتمثل فى الانتقال من تصدير المواد الخام الزراعية إلى المنتجات المصنعة، التى تربط وزارة الزراعة بوزارة التجارة والصناعة. وعلى سبيل المثال، نجد آبا Abba حبيب، وزير التجارة والصناعة يتفاوض حول ترتيب معقد لإنشاء مصنع لطحن بذرة القطن فى الشمال. وهذا بدوره سيؤدى إلى إنتاج الزيت والكسب من بذرة القطن. (هذا يعنى أن ذلك الزيت يمكن استخدامه فى الطهى، أو فى عمل السمن الصناعى. أما الكسب فيستخدم فى تغذية المواشى) هذا يعنى أيضا أن الكسب يمكن استخدامه فى دعم علف الماشية فى الشمال، وأن الزيت سيجرى تصديره بأسعار مرتفعة وبمعدل اقتصادى مرتفع أيضا.

فى نطاق الخدمة المدنية، يقوى الاهتمام بالتخطيط الشامل وبالأبحاث فى مجال الزراعة. فى حين نجد المستشار السياسى الرئيسى غير مهتم بالتخطيط طويل الأجل، هذا لا يعنى أن الرجل كان يعرقل هذا الجانب فى الخطة الزراعية. وعليه، يجرى فى شهر أغسطس القيام بمسح شامل للموارد الزراعية والحيوانية فى الإقليم الشمالى، على أن يقوم بذلك المسح فريق مكون من اثنى عشر متخصصا من منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة، هى وإدارة التعاون الدولى (وأن تقوم هاتان الهيئتان بتمويل ذلك المسح) هذه التوصيات سوف تساعد على تحديد أهداف التخطيط بالنسبة لخطة التنمية الاقتصادية التالية، بدءا من عام ١٩٦٢. ويشارك فى هذا المسح خبراء فى المجالات التالية: الأبحاث الزراعية، والاقتصاد الزراعى، والغابات، وتقديم القروض، والتعليم الزراعى، ومصايد الأسماك، والاقتصاد الحيوانى، والطاقة المائية، والائتمان والتسويق.

يهتم المستشار السياسى الرئيسى بتطوير القوى البشرية فى الشمال، وبتطوير التعليم فى المجال الزراعى وينحو الرجل منحاه المعروف الذى يقوم على بدء البرامج التعليمية على كل المستويات. وينظر الرجل إلى دوره على أنه دور ملهم ومحفز للشبان الصغار الذين سيشاركون فى برامج التدريب. وعلى سبيل المثال، نجد المستشار السياسى الرئيسى، فى شهر يونيو من عام ١٩٦٠ فى حفل

افتتاح مركز التعليم الزراعى فى منًا Minna، ويؤكد على أن الزراعة والفلاحة هما دم الحياة فى الإقليم الشمالى. ويؤكد الرجل على أن الشمال بحاجة إلى الأطباء والمدرسين وبحاجة أيضا إلى المهندسين؛ وفوق كل ذلك، يرى الرجل، أن الشمال بحاجة أيضا إلى الفلاحين التقدميين. ويشجع أحمد بللو المدرسين على غرس هذه الفكرة فى أذهان الناس لأنها هى التى تولد لدى الناس حب الأرض، أرض الإقليم الشمالى، التى هى ميراث يتعين علينا بذل كل ما فى وسعنا من أجل الحفاظ عليه للأجيال والذرية؛ وأن نعلم أطفالنا أن العمل بالفلاحة، وأن كون الإنسان فلاحا لا ينقص من قدره ولا يقلل من شأنه[١]. ويشجع الرجل نوادى صغار الفلاحين ذات الصلة بمراكز التعليم الريفى، والتى تتكون من خريجين، وطلاب.

يرجع اهتمام المستشار السياسى الرئيسى بالمياه إلى خبرته التى اكتسبها عندما كان فى سكتو التى عانى فيها الفلاحون والرعاة من نقص المياه. واستنادًا إلى ما يقوله أحمد طالب[٢]، فإن المستشار السياسى الرئيسى كان لديه إحساس قوى بمسألة المحافظة على المياه الناتجة عن موسم الأمطار، لاستخدامها فى موسم الجفاف. كانت سياسة الرجل تقوم على بناء السدود الصغيرة. وفى إطار صيغة التنمية المجتمعية الذاتية، راح أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يشجع السلطات المحلية على حفر حفر كبيرة rafki يمكن استخدامها فى جمع وتخزين ماء المطر. وبالتالى يمكن استعمال هذه الحفر فى مشروعات الرى المحلى وفى تربية وسقيا الماشية. (لم تكن مشاريع الرى على نطاق واسع خيارا واردًا فى تلك الفترة بسبب التمويل) لأن هذه المشروعات جرى التخطيط لها فى ستينيات القرن العشرين، وجرى تنفيذها فى سبعينيات القرن نفسه.

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٥ يونيو من عام ١٩٦٠، ص١. الفلاحون يجب أن يفخروا بمهنتهم.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢١ يوليو من عام ١٩٨٣.

وهذا هو الشيخ شاجارى Shagari يؤكد على هذه الصورة التى رسمناها للمستشار السياسى الرئيسى، عندما يقول إنه على الرغم من عدم إيمان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بالأبحاث، إلا أنه لم يكن يعرقل القيام بها أو الوقوف فى طريقها. كل ما فى الأمر أن المستشار السياسى الرئيسى كان يحس أن الأبحاث تستغرق وقتا طويلا. كان الرجل يود الوصول إلى نتائج عاجلة ولا يحبذ الانتظار عشرات السنين. وعندما كان الشيخ شاجارى يتولى فى ليجوس منصب وزير التنمية الاقتصادية عثر على بعض الملفات والتقارير عن بعض الأنهار الميتة فى إقليم سكتو. (هذا يعنى أن الناس كانوا يظنون أن أنهار سكتو يمكن أن تجف وتتحول المنطقة إلى صحراء) ما الذى يمكن عمله؟ هذه المسائل كانت بحاجة إلى الدراسة. تناول الشيخ شاجارى الملف وذهب به إلى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، الذى قرأ الملف وعلق عليه قائلا إن الوزيرى عباس سبق أن قال: إن الشيخ عثمان بن فودى سبق أن قال بأن الجميع سوف يتعين عليهم مغادرة هذا المكان فى يوم من الأيام بسبب شح الماء. وهنا أردف المستشار السياسى الرئيسى قائلا: "إذا كان الشيخ قد قال ذلك؛ فأنا لا أستطيع إيقاف ذلك أو منعه". وهنا رد عليه الشيخ شاجارى قائلا: "لكن بوسعنا تأخير ذلك". وهنا قال المستشار السياسى: "وهو كذلك، اذهب ونفذ ذلك". وهنا أبدى الشيخ شاجارى الملاحظة التالية: "سوف تستغرق الدراسة عشر سنوات". وهنا رد عليه المستشار السياسى الرئيسى قائلا: "ماذا تعنى؟ أنا لست مهتما بهذا الأمر. اذهب لحال سبيلك". (أصر شاجارى على موقفه، وأجريت الدراسة بالفعل) ويبدى الشيخ شاجارى ملاحظة مفادها أن المستشار السياسى الرئيسى لم يكن يهتم اهتماما علميا بمسألة الأنهار، لكن الرجل لم يقف فى طريق الأبحاث التى أصبحت فيما بعد أساسا لمشروعات رى كبيرة فى ولاية سكتو[1].

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ شاجارى، فى ٢٦ ديسمبر من عام ١٩٨٣.

في خمسينيات القرن العشرين كانت غريزة المستشار السياسي الرئيسي في مسألة الزعامة بالقدوة، تركز على الحاجة العملية إلى وجود مزارع يمكن أن تكون بمثابة بيان عملي أمام أعين البشر. وقد قام المستشار السياسي الرئيسي بنفسه بتطوير اثنين من هذه المزارع إحداهما في باكورة Bakura (في مقاطعة سكتو)، في كادونا بالقرب من طريق زاريا[1]. ولما كانت الأرض كلها ملكا للحكومة،

---

(١) مقابلة شخصية مع محمد جياتودن. بتاريخ ٢٩ أغسطس من عام ١٩٨٣ في كادونا. (كان جياتون كبير سكرتيري المستشار السياسي الرئيسي في ستينيات القرن العشرين).

مزرعة باكورة مساحتها ميل واحد مربع (أي حوالي ٦٤٠ فدان إنجليزي). ويجري تحديد أرض هذه المزرعة في عام ١٩٥٩-٦٠. وفي عام ١٩٦٠ يجري شق الطريق الرئيسي المؤدي إلى المزرعة. وفي عام ١٩٦١ يجري بناء منزل (بواسطة عبده جوساو) مكون من غرفة استقبال وثلاثة غرف نوم. لم يكن في المنزل ماء من خلال شبكة المياه الرسمية أو طاقة كهربية ولكن "الجانب الرابع" من المزرعة كان عبارة عن بحيرة يجري حصولها على الماء من خلال الأنهار. عاون السيد منجو (كبير الموظفين الزراعيين في المزرعة) في اختيار موقع المزرعة. زرع المستشار السياسي الرئيسي ثلاث مناطق:

١) منطقة الموالح.

٢) الأرض المرتفعة (زرع فيها السرغوم، والفول.. إلخ).

٣) الركن الجنوبي (مستنقع) خصصه للمحاصيل المروية.

واشترى المستشار السياسي الرئيسي بعد ذلك جرارين. بالإضافة إلى بعض المعدات. واقترضت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة الأرض مدة عامين للقيام بمشروع تجريبي (بالقرب من البحيرة) لزراعة الأرز. والقمح والطماطم. وأنشأ المستشار السياسي الرئيسي مزرعة للدواجن، خلال الفترة من ١٩٦٣ -٦٤، وكان يربي فيها أيضا الإوز والبط والدواجن. كان المستشار السياسي الرئيسي مهتما أيضا بتربيه الماشية؛ واشترى الرجل ثورا كنديا اسمه "كوكو"، لكي يجري التهجين مع السلالات المحلية.

[ملحوظة: " كوكو " اسمه الآن شيكا] كان لدى المستشار السياسي الرئيسي حوالي خمسين رأس من الماشية. وكان الرجل يقوم بتوزيع الماشية المهجنة على الناس. كان مدير المزرعة يدعى أحمد بن بابا، مرافقا بلدة سكتو. ونسيب المستشار السياسي الرئيسي (بعد عام ١٩٥٦). كان ذلك المشروع يطلق عليه اسم "أحمد وأحمد" (أ. أ). وراح أحمد بللو يشجع الآخرين على اتباع الفلاحة الحديثة. وفعل الكثيرون ذلك (بما فيهم دبشاريما). (مقابلة شخصية. مع عبده جوساو. بتاريخ ١١ مايو من عام ١٩٨٥). ويجري تمويل المزرعة عن طريق قرض، يقوم أحمد بن بابا بسداده بعد وفاة المستشار السياسي الرئيسي. (مقابلة شخصية. مع إبراهيم دسوقي بتاريخ ٩ مايو من عام ١٩٨٥ في سكتو).

كانت مساحة مزرعة زاريا التي كانت تقع خارج كادونا ضعف مساحة مزرعة باكورة. ولم يكن فيها منزل. كان من رأي أحمد بللو نقل الماشية من باكورة إلى كادونا لتبين أن كانت ستنفق أو تبقى على قيد الحياة. كان أحمد بللو يذهب إلى المزرعة في المساء. كانت المزرعة منطقة رعي. (عبده جوساو المرجع السابق).

وتحت وصاية رئيس القرية أو رئيس الحى، فإن الأرض كان يجرى تخصيصها له عن طريق رؤساء الأحياء. وكانت الإدارة الفنية لهاتين المزرعتين تتم بواسطة المسئول الزراعى الهندى الغربى المسئول عن استئجار الجرارات (والذى يدفع المستشار السياسى الرئيسى راتبه له بصورة مباشرة، وليس من قبل الوزارة)[١]. فى باكورة، كان المستشار السياسى الرئيسى يزرع القمح بطريقة الرى، كما كان يزرع أيضا أشجار الفاكهة، وأشجار الموالح، والمانجو، والجوافة، وفواكه أخرى. فى ستينيات القرن العشرين يقوم المستشار السياسى الرئيسى بميكنة المزرعتين، بأن أضاف لكل منهما جرارا ومحراثا. واستنادا إلى ما يقوله محمد لاوان، فإن المستشار السياسى الرئيسى لم يكن يبيع إنتاج المزرعتين، ولكنه كان يعطى القسم الأكبر منه على شكل هدايا للناس[٢]. خلاصة القول أن المستشار السياسى الرئيسى يصبح طوال هذه المدة مشغولا بالفلاحة الحديثة ويجعل من ذلك وسيلة يوضح بها ذلك المنتج عالى الجودة الذى ينتج عن "الفلاحة التقدمية". يضاف إلى ذلك أن هذا الاهتمام يدعم صورة المستشار السياسى الرئيسى عن نفسه باعتباره فلاحا[٣].

خلاصة القول أن إستراتيجية التنمية الزراعية تدور حول السياسات التالية:

١) الاكتفاء الذاتى من المحاصيل الغذائية.

٢) الأولوية الأولى لمحاصيل التصدير.

٣) بذل الجهود لتنمية الصناعات ذات الصلة بالزراعة.

٤) خطط للائتمان الزراعى للفلاحين.

---

(١) مقابلة شخصية مع محمد لاوان فى ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤، ميدوجورى.

(٢) المرجع السابق.

(٣) يبدى محمد حياتودن ملاحظة مفادها أنه بعد وفاة المستشار السياسى الرئيسى أخذت جامعة أحمد بللو مزرعة باكورة وتولت أمرها شركة تنمية نيجيريا الجديدة. المرجع السابق. فى عام ١٩٦٤ يقيم المستشار السياسى الرئيسى مزرعة تجريبية أخرى مساحتها حوالى ٥ أفدنة إنجليزية، على هضبة مابلاً لزراعة البن وتربية الماشية. وهذا ما سنناقشه فى الفصل الخامس عشر).

٥) برامج تعليمية ريفية للفلاحين الكبار مع التركيز على الأساليب الحديثة.

٦) مشروعات للمياه والرى.

أسلوب المستشار السياسى الرئيسى فى هذه الأمور يحكمه العمل. والرجل لا يثبط الهمم، ولكن يحتمل ألا يكون فاهما للتخطيط والبحث العلمى طويل الأجل الذى سيبرز فى ستينيات القرن العشرين ويبدأ تنفيذه فى السبعينيات. والرجل يفضل استعمال المزارع كأسلوب يثبت به لرفاقه وزملائه، وللفلاحين المحليين ذلك الذى يمكن إنجازه عن طريق الاستفادة من التقنية الموجودة بالفعل. هم الرجل الأول يتمثل فى التأكيد على احترام الزراعة باعتبارها مهنة من المهن.

٧- أسلوب التنمية: العمل الجرىء والبرامج التصادمية:

يتمثل مفتاح تعامل المستشار السياسى الرئيسى مع التنمية فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين فى العمل الجرىء والبرامج التصادمية. هذا الأسلوب يستهدف اللحاق "بركب التقدم". كما نجد أيضا الإحساس بالمنافسة مع الأقاليم (والدول الأخرى) يستحوذ على فكر المستشار السياسى الرئيسى. ولكن التنافس يبدأ من نقاط ليست متساوية. والأمر يحتم اتخاذ إجراءات جذرية وصولا إلى النقطة التى تتوازن عندها المنطقة الداخلية مع المنطقة الساحلية فى كل جوانب التنمية. تحقيق ذلك، يحتم على أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna مقاتلة البيروقراطية المتجذرة فى الشمال، والتى يغلب عليها اعتراض طريق الشمال وإبطاء خطاه. وهنا تستعد أعداد كبيرة من المقيمين لمغادرة الشمال تحت أى ظرف من الظروف، ولا تبدى اهتماما بالبرامج الجديدة.

عدد كبير من الشبان الذين استفادوا من برامج المستشار السياسى الرئيسى التصادمية، مازالوا يذكرون أسلوب الرجل باعتباره مَعلّما رئيسيا من معالم خطة التنمية التى كان الرجل ينفذها فى خمسينيات القرن العشرين. أحس المستشار السياسى الرئيسى أن المسارات المعتادة لتنمية القوى البشرية كانت بطيئة جدًا فى

كثير من الحالات، وأنها سوف تسفر عن مزيد من التأخير والتخلف فى الإقليم الشمالى. فى منتصف وأواخر ستينيات القرن العشرين، يدرك المستشار السياسى الرئيسى مدى الاحتياجات (التى من قبيل الاحتياج إلى الأطباء، والمعلمين، والكتبة، والمحامين، والإداريين)، وأنه أثناء تشجيعه لعمليات التنمية فى تلك المجالات، كان يعد أيضا لبرنامج تصادمى، جاء بمثابة نواة للبرامج الدورية التى جاءت بعد ذلك. كان المستشار السياسى الرئيسى جريئا، والأهم من كل ذلك، أن الرجل أصاب نجاحا فى السواد الأعظم من هذه البرامج، على الرغم من القصور الذاتى العام، وعلى الرغم أيضا من الطابع غير المسبوق لهذه البرامج[١].

تعد المدرسة الطبية فى كنو واحدًا من هذه البرامج التصادمية، فقد أنشئت هذه المدرسة لتخريج "أطباء". مدرسة القانون أيضا فى زاريا، برنامج آخر من هذه البرامج التصادمية، وكذلك مدرسة تدريب الكتبة فى زاريا، كل هذا عبارة عن أمثلة لهذه البرامج الناجحة. فكرة منح شهادة فى المحاسبة كانت من بنات أفكار المستشار السياسى الرئيسى، والتى أدت بعد ذلك إلى منصب نائب رئيس الحى.

هذا هو المستشار السياسى الرئيسى يأخذ العمال الحرفيين العاديين ويرسلهم إلى الخارج لتلقى التعليم الفنى. الرجل يأخذ بيطارا من بلدة ميدجورى (اسمه تومسو Tomsu) ويرسله إلى المملكة المتحدة كى يتعلم الجوانب الحديثة لهذه المهنة. ويرسل أناسا آخرين إلى إيران ليتعلموا صناعة السجاد. ويوظف الرجل البعثات الأولى من أشباه المهنيين والمهنيين الذين جاءوا من باكستان ومن الهند، ومن مصر لكى يساعدوه فى تلك البرامج التصادمية. ويستخدم الرجل فى هذه البرامج أيضا جيلا من شباب المدرسين والمعلمين البريطانيين.

استنادا إلى ما يقوله الدكتور عطا Atta[٢] نجد أن خطة المستشار السياسى الرئيسى وراء تدريب الشماليين فى مجال الطب تهدف إلى تخريج "مساعدين

---

(١) رأى مبنى على مقابلات شخصية فى عام ١٩٨٣ – ٨٤.

(٢) مقابلة شخصية، بتاريخ ١ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى كادونا.

طبيين" من المدرسة الطبية فى كنو، التى كانت تديرها الوزارة، والتى كان مقرها فى مستشفى المدينة. هذا يمكن أن يسفر عن إنتاج "أطباء" جدد على امتداد ثلاث أو أربع سنوات. فى ذات الوقت كان بعض آخر من الشماليين يلتحقون بمستشفى كلية الجامعة فى إيبادان (ثم بعد ذلك بجامعة أحمد بللو). وقد رفضت المؤسسات المهنية الطبية على اختلاف أنواعها الاعتراف بالمنهج الطبى الكنوى Kano، وبالتالى لم يعد لذلك المنهج مستقبل عملى. ولكن المنهج أدى الغرض منه. فقد أنتج ذلك المنهج ثلاثة عشر طبيبا للمقاطعات الثلاثة عشر، وجاء هؤلاء الأطباء بمثابة عون كبير. كان هؤلاء الأطباء مدربين على الجراحة، وبخاصة طب الولادة. كان برنامج كنو الطبى تحت إشراف أطباء بريطانيين ولذلك كان جيد النوعية(١).

---

(١) المرجع السابق. توجه بعض التقييمات الأخرى المزيد من النقد إلى برنامج كنو الطبى أو بالأحرى مدرسة كنو الطبية. واستنادا إلى ما يقوله الدكتور أحمد على (مقابلة شخصية بتاريخ ١٩ يوليو من عام ١٩٨٥، فى كادونا)، نجد أن فكرة إنشاء مدرسة طبية نشأت فى عام ١٩٥٢ – ٥٣، واستمرت مدرسة كنو الطبية إلى عام ١٩٦١ – ٦٢، عندما أصدر المستشار السياسى الرئيسى قرارا بإلغائها. لم يكن المجلس الطبى قد اعترف بتلك المدرسة، ولكنها خرجت مساعدين طبيين، مؤهلين ويحملون ترخيصا وإجازة فى كل من الطب والجراحة. كانت مدرسة لابا تمنح إجازة تحت اسم "مدرسة لابا الطبية". ولكن برنامج هذه المدرسة كان أطول وأكمل من برنامج مدرسة كنو الطبية. التحق كثير من خريجى مدرسة كنو الطبية بالجيش بما فى ذلك الدكتور ريمى Rimi (يعمل حاليا لواء ومديرا عاما للخدمات الطبية فى القوات المسلحة)؛ والدكتور إم. آجبو. والدكتور أى. جوانى. والدكتور إس. إس. سمكايا. بعد إلغاء مدرسة كنو الطبية أوفد المستشار السياسى الرئيسى الخريجين إلى القوات المسلحة لإعادة تدريبهم؛ تحت إشراف السلطات الفيدرالية. بعض هؤلاء الأطباء لهم عياداتهم الخاصة (منهم الدكتور إتسن آدوم، والدكتور أمودو ألوكو) بعد الحرب الأهلية أوفد أولئك الأطباء إلى الخارج للحصول على شهادة فى الصحة العامة. كان أحمد بللو متحمسا لذلك البرنامج. وكان الممثل المقيم يختار طالبا واحدًا كل عام من كل مقاطعة. ربما كان المستشار السياسى الرئيسى يحاول وضع أسس مدرسة طبية كاملة. ولكن مع مطلع ستينيات القرن العشرين، أصبح واضحا أن طلاب الشمال يستطيعون مواصلة تعليمهم فى المدارس الطبية الأخرى. فى ذلك الوقت تأسس برنامج مدرسة كنو الطبية، ولم يكن فى ذلك الوقت فى الإقليم الشمالى سوى مدرستين ثانويتين (باريوا وكفى)، ولكن كل مقاطعة كان فيها مدرسة متوسطة. وكانت تلك المدارس هى التى تمد مدرسة كنو الطبية بالطلبة. خلاصة القول هى أن مدرسة كنو الطبية كانت إجراء مؤقتا. وربما كان "الطب الشعبى" أفضل مما كان موجودا. يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى أدرك فى نهاية الأمر عجزه عن تبرير انخفاض المستوى الطبى فى تدريب طلبة الشمال.

استنادا إلى ما يقوله الدكتور عطا، فإن المستشار السياسى الرئيسى كان يتشاور دوما مع المتخصصين. كان الرجل "مؤمنا وواثقا بأخيه الإنسان". من حيث التطبيق والممارسة كان الرجل متواضعا ويعرف كيف يتعامل مع المشكلات. كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يقرب الناس إليه طلبا للمشورة الفنية. وعندما كان الرجل يزور مصر أو باكستان كان يستقدم الأطباء من خلال أيوب خان أو الرئيس عبد الناصر. كان المستشار السياسى الرئيسى يعرف مشكلات الشمال وأحس أيضا أن الشمال يقف وراءه. أحس الرجل بأن عليه تحريك الشمال إلى الأمام. كان الرجل بحاجة ماسة إلى سير الشماليين فى ركب التقدم ومسايرة، أو يحجز لهم أماكن فى ذلك الركب. من هنا فإن خطة الرجل فى التوظيف كانت تقوم على أساس استبدال الشماليين بالمتخصصين الأجانب[١].

عندما زارت لجنة النجرنة Nigerianization الثنائية (المكونة من أديب وفيلبسون Adeb Philipson) الشمال فى مطلع خمسينيات القرن العشرين، أوردت تلك اللجنة مرارا تقاريرها معارضة المستشار السياسى الرئيسى لهذه النجرنة، واستنادًا إلى ما يقوله المراقبون المقربون، فإن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يقول: إنه يفضل وجود البريطانيين على وجود الجنوبيين. وهنا قصد أديب جمهورا من الناس وراح يسأل عن ذلك. ويقول المستشار السياسى الرئيسى إن ذلك يعكس وجهه نظر الشمال. (حدث ذلك عقب مناقشات ليجوس وإضرابات كنو). وهنا يبادر أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بحملة أشملة الإقليم الشمالى. هذا يعنى أن الرجل يثق بأبناء الشمال، وأنهم قادرون على عمل أى شيء[٢].

كثير من أصحاب المهن والمحترفين فى الشمال (الذين كانوا فى الأربعينيات من أعمارهم فى عام ١٩٨٣ - ١٩٨٤)، ومنهم الأطباء، ونواب المستشارين، والمحامون، والمديرون، إلخ، ينظرون إلى أيام المدرسة الثانوية فى خمسينيات

---

(١) المرجع السابق.

(٢) رأى مبنى على مقابلات شخصية، فى كادونا فى شهر أغسطس من عام ١٩٨٤.

القرن العشرين ويروحون يتذكرون الزيارات التى كان المستشار السياسى الرئيسى يقوم بها. كانوا يرون أحمد بللو على أنه رجل رابط الجأش فى مواجهته للأجانب. كان الرجل يتمتع بحضور كارزمى. كانت سيارة نقل كافية لنقل المجموعة من كلية باريوا إلى منزل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى كادونا. كان الرجل يجلس على الأرض بطريقة بسيطة للغاية. كان يتحدث مع الصبية عن الشرطة، ومدى أهمية تلك الشرطة لسياسة الأشملة. وشجع بعضا آخر من الصبية على الالتحاق بالجيش. لم يكن الرجل يرغب أو يود لأى أحد من أهل الشمال الخيبة أو ضياع المستقبل. كان الرجل يحس نوعا من الفخار. "وإذا ما فشلت، فإنه يسقطك من حسابه، كما لو كنت فطيرة حارة سقطت من بين يديه". كان بوسع الرجل التخلص من أولئك الذين يخذلوه. كان له طريقه الخاص. هو واثق بنفسه لثقته بالله (سبحانه وتعالى)، ويثق بالشباب صغار السن. فى ذلك الوقت لم يكن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى منتفخ الأوداج، أو محاطا بالمنافقين. كان الرجل بسيطا، جريئا، وكان بوسعه توفيق البشر عما يفعلونه ليعيدوا توجيه حيواتهم على نحو جاء بمثابة الأسس التى ارتكز عليها تطوير الشمال وتنميته[١].

يزاد على ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان بوسعه تعرُّف الناس فى المراحل الباكرة من حيواتهم العملية، وبخاصة مهنة التدريس، وكان يحاول إعادة توجيه هؤلاء الناس إلى مجالات أولويات أخرى، وبخاصة فيما يتعلق بالمهن والحرف. فى منتصف خمسينيات القرن العشرين وقع الاختيار على بعض المدرسين لتنفيذ القانون. (يجرى اختيار ميتاما سول، ولكنه يرفض ذلك، قائلا: إنه يود العمل بالسياسة. ويوافق المستشار السياسى الرئيسى على ذلك)[٢].

القدرة على التغلب على الروتين الحكومى الذى تفشى فى أواخر الفترة الاستعمارية تحتاج من صاحبها أن يكون شخصا له خلفية بيروقراطية وسلطة سياسية، وصاحب مهارات اجتماعية يستطيع بها تحاشى أو تجنب التباهى من

(١) رأى، مبنى على مقابلات شخصية، مع المحترفين فى كل أنحاء ولايات الشمال ١٩٨٣ – ٨٤.

(٢) مقابلة شخصية بتاريخ ٦ أغسطس من عام ١٩٨٤ فى كنو.

ناحية والأحقاد المهنية من الناحية الأخرى. الناس تذكر المستشار السياسى الرئيسى فى هذه الفترة على أنه واحد من رجال الأحداث والأعمال، ولكن الرجل لم يكن غليظ القلب عندما يصل الأمر إلى حد التعامل مع المحترفين. هذا يعنى أن الرجل كان بوسعه تعبئة هؤلاء المحترفين لتحقيق أغراضه. وفيما يتصل بطلابه، كان النظام الصارم فى الشمال يقوم دوما على الحقيقة التى مفادها أن الطلاب يمكن توجيههم إلى مسارات عملية متباينة. هذا يعنى أن كل جيل من أجيال مدرسى الشمال المتعلمين، والإداريين، والمحترفين، قد مر بهذه العملية. وتبقى بعد ذلك مسألة التأكد من نجاح هذا النظام فى فترة الاستقلال.

يذكر الناس المستشار السياسى الرئيسى Sardauna على أنه "ضد القبلية" فى كل ما يتعلق ببرامج التنمية. كان الرجل يجوب المقاطعات الاثنتى عشرة، وكان يحاول فى كل مقاطعة تحديد بعض الناس الذين لديهم مؤهلات فى مجالات خاصة. كان يشجع أمثال هؤلاء الناس، بمن فيهم: اليوروبا الشماليون، والإجبيريين، والإيجالا، والجوكون، والبيروم، والهوسا، والفولانى، والكانورى، والنيوبى، وآخرون كثيرون (مسلمون ومسيحيون). كل هؤلاء راحوا ينظرون إلى سياق الإقليم الشمالى، الذين سيمارسون فيه حياتهم العملية، على أنه امتداد لقبيلتهم أو إقليمهم وأنه يخلق للجميع كيانا وشخصية جديدة هى "الشمالى". أدرك الجميع أن المستشار السياسى الرئيسى يفتح أبواب الأعمال كلها أمامهم، وأنهم لا يجرءون على تبديد آماله فيهم.

الفصل التاسع

المسائل الدينية

كانت مشكلات الشمال الرئيسية فى خمسينيات القرن العشرين تتمثل فى السياسية واللحاق بركب التنمية ولم تكن المشكلات الدينية ذات بال. إذ لم تكن فترة الاستعمار قد انتهت بعد، ولم يحتم الأمر مواجهة المشكلات الخاصة بالعلاقات غير المستقرة بين الحضارات الدينية (وجماعات التنظيم الداخلة فى هذا الموضوع) إلا فى ستينيات القرن العشرين. كانت المسائل الدينية فى ذلك الزمن الباكر يغلب عليها أن تكون مسائل إدارية، من قبيل التعليم الإسلامى، ودور المحاكم الشرعية، وعلاقة الحكومة بمدارس الوكالات التطوعية، والمسائل المتعلقة بالقانون والنظام والتى تنتج عن النزاع الذى يثور بين الحين والآخر بين الجماعات المسلمة المحلية.

مع ذلك، وعلى المستوى الأصغر، فإن خمسينيات القرن العشرين، تُعد بمثابة الأساس لما يمكن اعتباره تطورًا كبيرًا له مضامين بعيدة الأثر، أو بالأحرى زيادة حدة التقاء الصيغ الإسلامية فى شمالى نيجيريا مع الأشكال الدولية للإسلام. فى تلك الفترة كانت مركبة التواصل تتمثل فى أداء فريضة الحج فى مكة (فى المملكة العربية السعودية). وسوف يكون للصحوة الدولية الناتجة عن ذلك أثرها الكبير على الشئون الدينية المحلية.

ونحن فى هذا الفصل سنورد بعض التفاصيل الخاصة بموضوع هذه الرابطة الدولية، كما سنورد فى الفصل أيضًا مسحًا موجزًا للمشكلات والمسائل الداخلية. على المستوى الشخصى، نجد أن أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، يبدأ فى الدخول ضمن تلك الصحوة التى تقوى وتعزز توحده مع زعماء الجهاد. ومن بين الأشياء الأخرى نجد المستشار السياسى الرئيسى يغير اسمه بأن يضيف إليه كلمة "بللو" Bello، ليصبح اسمه "أحمد بللو"، وذلك من باب تعزيز ارتباطه بمحمد بللو، الذى لم يكن مجرد إدارى ألمعى وداعمٍ لخلافة سكتو، وإنما كان أيضًا زعيمًا روحيًا.

١- آراء فى الحج:

فى القرن التاسع عشر لم تكن فكرة أداء فريضة الحج تحظى بتشجيع من زعامة الخلافة فى سكتو[١]. كان عامة الناس يقومون بأداء فريضة الحج، بأن يسلكوا طرقًا مختلفة (إما عبر تشاد ثم السودان، ثم بالبحر إلى جدة، أو قد يذهبون شمالاً إلى طرابلس ثم ينحرفون شرقًا إلى مسارات وطرق البحر الأبيض المتوسط). مع ذلك كان الحج يستغرق سنوات عدة، بل إن الكثيرين من الحجاج لم يكونوا يعودون إلى أوطانهم. فى بعض الحالات كانت الطبقة الحاكمة تقوم بأداء فريضة الحج من باب مسايرة الظروف الصعبة الداخلية، أى كنوع من "الهرب" Hijira. بعض الزعماء الكبار فى خلافة سكتو قاموا بتلك "الهجرة" فى زمن الاحتلال البريطانى، وكان من بينهم الماى ورنو Mai Wurno . والجاليات السكانية من شمالى نيجيريا فى تشاد، والسودان، والمملكة العربية السعودية خير شاهد على عظمة هذه الحركات الاجتماعية.

لم يشجع البريطانيون عملية الحج. فقد كانت سياستهم ترمى إلى منع التواصل بين مختلف قطاعات المجتمع الإسلامى الوطنية. وكان البريطانيون يخشون بصورة خاصة حدوث تواصل واتصال بين شمالى نيجيريا والسودان تحسبًا لمقاومة الثورة المهدية للاستعمار. فى خمسينيات القرن العشرين، وعندما أوشك السودان على الحصول على الاستقلال (١٩٥٦)، وفى ضوء العلاقات الراسخة مع الزعامة التقليدية فى شمالى نيجيريا، بدأ البريطانيون لا يخشون من التهديدات المترتبة على الحج. واقع الأمر، أن أمراء الشمال ينظرون إلى الحج باعتباره حافزًا كبيرًا ومكافأة كبيرة على "السلوك الطيب". يضاف إلى ذلك أن

---

(١) للحصول على المزيد من التفاصيل عن مشاركة نيجيريا فى الحج، بالإضافة إلى قائمة طويلة بالمراجع المتصلة بالموضوع، راجع التقرير الصادر عن فريق أبحاث الحج، فى معهد الإدارة بجامعة أحمد بللو، تحت عنوان: مشروع أبحاث الحج، نيجيريا، زاريا، فى عام ١٩٨٤. الملحق رقم ٢ بصفة خاصة، حيث توجد مجموعة من المراجع عن الحج، ومكة، والمدينة المنورة.

وسائل النقل بدأت تتحسن إلى حد إمكانية القيام برحلة الحج على "وجه السرعة"، وهو مالا يؤدى إلى إبعاد زعماء الشمال عن مسئولياتهم الداخلية فترات طويلة من الزمن. ونظرًا لأن زعماء الشمال بدءوا يزورون لندن بصورة منتظمة، من أجل المحادثات الدستورية، فقد أصبح بوسع هؤلاء الزعماء التوقف لأداء فريضة الحج وهم فى طريق عودتهم من لندن إلى نيجيريا.

فى عام ١٩٥٤، يتخذ المستشار السياسى الرئيسى الترتيبات اللازمة لقيام عيسى كيتا بأداء فريضة الحج وحده، وبتسهيلات من الحكومة، وأن يقوم الرجل بكتابة تقرير مطول عن الحج ويقدمه لكل من رئيس الوزراء والوزير الأول. ويسافر عيسى كيتا لأداء فريضة الحج بصحبة أحد أفراد اليوروبا من غربى نيجيريا، ومعهما يعقوب شتيما، وهو واحد من خدم أمير كنو. فى ذلك الوقت كان عدد الذين يسافرون من نيجيريا لقضاء فريضة الحج يتردد بين ٣٠٠ و ٤٠٠ حاج رسمى. ويزداد اهتمام المستشار السياسى الرئيسى بعملية الحج[١].

فى عام ١٩٥٥ يجرى تعيين عيسى كيتا أميرا للحج Amir-al-Hajj، وهنا يقوم المستشار السياسى الرئيسى بأول رحلة له للحج. واستنادا إلى ما يقوله عيسى كيتا فإن المستشار السياسى الرئيسى كان منفعلاً جدًا بحجته الأولى. فقد تركت تلك الحجة لدى الرجل انطباعًا هائلاً. ويزداد ورع هذا الرجل المسلم، ويعقد العزم على إدخال الوثنيين فى نيجيريا فى دين الإسلام. ويواصل المستشار السياسى الرئيسى أداء فريضة الحج كل عام ويعزز علاقته بالأسرة الحاكمة فى المملكة العربية السعودية[٢].

كان المستشار السياسى الرئيسى يؤدى العمرة إما فى شهر رمضان إن تيسر له ذلك، أو فى موعد فى منتصف الفترة السابقة للحج.

(١) مقابلة شخصية مع عيسى كيتا، فى ٢٦ نوفمبر من عام ١٩٨٤، فى كادونا.

(٢) المرجع السابق.

واستنادًا إلى ما يقوله عيسى كيتا[١]، وعلى الرغم من أن العمرة يمكن القيام بها فى أى وقت من الأوقات، إلا أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى كان يفضل القيام بالعمرة بعد الحج بمدة خمسة أو سبعة أشهر، وكان ذلك كله يعتمد على جدول أعمال الرجل. ويحاول الرجل أيضًا التنسيق لهذه العمرة بما يتفق وجدول أعمال الزعماء السعوديين، الذين أصبحت تربطهم به علاقات وثيقة. (كان الملك عبد العزيز مريضًا بصفة دائمة، إذ كان يعانى من مشكلات فى القلب وفى الكلى، وكان دائم السفر للخارج للعلاج. ويتولى الملك سعود العرش بعد الملك عبد العزيز، ولكن الملك فيصل عزله عن العرش فى عام ١٩٦٤).

استنادًا إلى ما يقوله إبراهيم دسوقى[٢]. عندما كان فى المملكة العربية السعودية، فإن المستشار السياسى الرئيسى كان يزور ويحترم كل المتدينين. كان المرحوم الملك فيصل من المقربين جدًا إلى المستشار السياسى الرئيسى، حتى قبل أن يصبح فيصل ملكًا للسعودية. كانت تربط أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بالملك فيصل علاقات وثيقة للغاية؛ وكانت "أمور كثيرة تحدث بمجرد التحدث إلى الملك فيصل". كان فيصل ينظر إلى بلده مثلما ينظر المستشار السياسى الرئيسى إلى نيجيريا؛ أى باعتباره وريثًا لسلالة نسبية تقوم على "الملكية"، والتى لها مسئوليات دينية، وأن هذا البلد بدأ يدخل فترة من التحديث، وأن النظام الإدارى لابد أن يسود هذه الفترة، كما ينبغى أيضًا إلزام "الأمراء" بالانتظام والنظام، وبخاصة فيما يتعلق بعلاقاتهم بالخزانة العامة[٣].

يبدى إبراهيم دسوقى ملاحظة مفادها، أنه عندما كان فى مكة فى عام ١٩٥٥، زاد اهتمام أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بالحج، وأصبح بعد ذلك يكفل بعض الناس ويأخذهم معه لأداء فريضة الحج، وذلك من باب الكرم. كان المستشار السياسى الرئيسى يوزع أيضًا الهدايا والعطايا على الفقراء فى المملكة

---

(١) المرجع السابق

(٢) مقابلة شخصية. فى ٣ أغسطس من عام ١٩٨٣. كادونا.

(٣) المرجع السابق.

العربية السعودية، وإلى المعلمين، وإلى المطوفين. (كان المستشار السياسى الرئيسى يوفد إبراهيم دسوقى فى معظم الأحيان لتوزيع الصدقات على أفقر الفقراء وكبار السن، ويشدد عليه ألا يقول لهم عمن قدم لهم المساعدة – الله يعلم) [١].

يذكر أبو بكر جومى أن المستشار السياسى الرئيسى قام بحجته الأولى فى عام ١٩٥٥، وأنه تعرف على جومى، الذى سبق له التعرف عليه فى سكتو قبل سفره للدراسة فى الخرطوم. ولما كان الملك سعود لا يستطيع التحدث بالإنجليزية، فقد كان أبو بكر جومى يقوم بدور المترجم مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى. جومى الذى كان يقوم هو الآخر برحلة حجه الأولى، عاون المستشار السياسى الرئيسى وساعده فى كثير من مناسك الحج. (وإذا ما استثنينا عام ١٩٥٦، نجد أن أبا بكر جومى كان يقوم بالحج والعمرة بصحبة المستشار السياسى الرئيسى كل عام إلى أن لقى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى ربه)[٢].

هذا هو عيسى كيتا يلقى لنا المزيد من الضوء على العلاقة بين المستشار السياسى الرئيسى، والحجاج النيجيريين، والسلطات السعودية[٣]. يزداد ارتباط المستشار السياسى الرئيسى بفكرة الحج، إلى الحد الذى جعله يشجع المسلمين كلهم على أداء هذه الفريضة، ويتطوع لقيادتهم لا كأمير للحج وإنما بصفة شخصية. وهو يؤكد على إلزامية الحج (منحيًا جانبًا توفر المال والترتيبات الأخرى). طوال أسبوعى الحج (وأسبوع العمرة) يأخذ المستشار السياسى الرئيسى معه من نيجيريا جلود الفهود وريش النعام كهدايا للأسرة المالكة. وفى جدة تلتقيه الأسرة المالكة ويتبادلون معه الهدايا. وتحضر الأسرة المالكة لتحس بقربها الشديد من المستشار السياسى الرئيسى. (وعندما يلقى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى ربه فى عام ١٩٦٦، يصدر الملك فيصل، فى سابقه نادرة الحدوث، أمرًا بالصلاة على روح أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى مساجد المملكة العربية السعودية كلها) كان الملك سعود على عرش المملكة العربية السعودية عندما قام أحمد بللو

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٢ مارس من عام ١٩٨٤، فى كادونا.

(٣) المرجع السابق، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٧ نوفمبر من عاد ١٩٨٤.

المستشار السياسى الرئيسى بالحج أول مرة، ولم يكن الملك سعود يتحدث الإنجليزية ولذلك كان أبو بكر جومى يقوم بدور المترجم بينهما. كان الملك سعود مبذرًا ولذلك تجمع إخوانه وعزلوه (ويعتلى فيصل عرش المملكة). وحتى قبل اعتلاء فيصل عرش المملكة، كانت له علاقة وثيقة بالمستشار السياسى الرئيسى. وفيصل نفسه تعلم فى الولايات المتحدة الأمريكية ويتحدث الإنجليزية. ولذلك كان الرجل يتواصل مباشرة مع أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، وكانا يناقشان دومًا المشكلات سويًا. ويصبح الملك فيصل صديقًا شخصيًا للمستشار السياسى الرئيسى، الذى يقوم بزيارته فى منزله فى المدينة المنورة[١].

يبدى عيسى كيتا أيضًا ملاحظة مفادها أن الحج يجرى فيه اجتماعان. أولهما هو حفل الغداء المعتاد الذى يقيمه الملك لرؤساء الدول، وفيه يقدم لكل رئيس دولة طلى مستقل، مصحوبًا بقدر كبير من أغانى المرح والثناء. ثانى هذين الاجتماعين، هو اجتماع زعماء المسلمين، الذى عادة ما يحضره أبو بكر جومى نيابة عن المستشار السياسى الرئيسى، نظرًا لأن هذين الاجتماعين كانا يجريان باللغة العربية، والمستشار السياسى الرئيسى لا يود لنفسه إحراجًا بسبب عدم معرفته اللغة العربية. (تجرى بعد الحج اجتماعات أخرى كثيرة، ويبقى أبو بكر جومى فى مكة، فى حين يعود المستشار السياسى الرئيسى إلى نيجيريا)؛ أثناء بعض الرحلات، كان عيسى كيتا يطلب من مختلف الزعماء النيجيريين مرافقة المستشار السياسى الرئيسى، وفى بعض الأحيان الأخرى كان هؤلاء الزعماء هم الذين يطلبون هذه الرفقة. كان يجرى تنسيق مثل هذه الأمور مع السعوديين. كان المستشار السياسى الرئيسى يحب دومًا السفر مع الجماعة[٢].

سوف نتناول فيما بعد بعضا من هذه الأمور بالمزيد من التفصيل. وفى هذه المرحلة، من الأهمية بمكان التعرف على المغزى الشخصى والاجتماعى للحج بالنسبة للمستشار السياسى الرئيسى، والنحو الذى بدأ الحج يرتبط من خلاله بالشئون النيجيرية.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

٢- ترتيبات الحج:

تشتمل ترتيبات الحج على الإمدادات العامة التى يحتاجها الحجاج النيجيريون، وتظهر خلال هذه الفترة، واحتياجات الحج الخاصة بالمستشار السياسى الرئيسى هو والمرافقين له، والإمدادات العامة التى تتمثل فى النقل، والترتيبات الخاصة بالتأشيرات، إضافة إلى التسهيلات الداخلية فى كل من السودان والمملكة العربية السعودية.

فى عام ١٩٥٢ يجرى عمل ترتيبات الحج فى الشمال عن طريق الطيران، على أن تقوم بهذه المهمة مؤسسة الخطوط الجوية فى غربى إفريقيا. ويجرى إعداد جواز سفر خاص بالحج تسرى صلاحيته مدة ستة أشهر. (وصلاحية الجواز العادى خمس سنوات) هذا يعنى أن الحاج النيجيرى الذى ينوى البقاء مدة تزيد على ستة أشهر، أو يريد التوقف فى أماكن أخرى غير المملكة العربية السعودية والسودان لابد من حصوله على جواز سفر عادى. وجوازات سفر الحجاج يمكن الحصول عليها من مركزين فى الشمال (المكاتب المدنية فى كل من كانو وميدوجورى)، ورسوم الجواز الواحد عشرة شلنات.

فى شهر أبريل من عام ١٩٥٥، يقوم أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى برحلة قصيرة إلى المملكة العربية السعودية، على كفالة حكومة الإقليم الشمالى، لكى يقوم بدراسة مشكلات الحجاج النيجيريين ودراسة الإجراءات التى لها تأثير على الحجاج. ويصحبه فى هذه الرحلة القصيرة الحاج محمد السنوسى (أمير كنو)، والحاج إبراهيم موسى جشاش (عضو الجمعية العمومية الشمالية) الذى يقوم بدور المترجم، والسيد آر. إى. جرسول Greswell، سكرتير وزارة الحكم المحلى الدائم. يطير هذا الوفد إلى طرابلس، حيث يزور أفراده عددًا من كبار الشخصيات، من بينهم المفتى وبعض المسئولين فى مسجد الكرامنلى. ثم يطير الوفد بعد ذلك إلى القاهرة، حتى تستضيفهم الحكومة المصرية، ويلتقى أعضاء الوفد الطلاب

النيجيريين الذين يدرسون فى القاهرة. ثم يطير الوفد بعد ذلك إلى جدة، ثم يواصل سفره إلى مكة، وكان شهر رمضان قد دخل بالفعل، ولكنه كان ما يزال فى بداياته. وفى المدينة المنورة يمضى الوفد ليلة واحدة فى الصحراء ويؤدى صلاة الجمعة فى المدينة المنورة. ويعود الوفد بعد ذلك إلى نيجيريا عن طريق طرابلس.

يقوم المستشار السياسى الرئيسى، أثناء وجوده فى المملكة العربية السعودية، بدراسة أربع مشكلات تتصل بالحجاج النيجيريين:

١) خدمات المطوف، الذى يعين لإرشاد الحجاج النيجيريين فى مكة والمدينة المنورة.

٢) عدم توفر الإقامة اللازمة للحجاج النيجيريين.

٣) النقص فى التسهيلات الطبية.

٤) الترتيبات الخاصة بالاستقبال فى ميناء جدة وفى مطارها.

وأثناء مناقشة هذه المشكلات مع المسئولين السعوديين، يحصل الوفد النيجيرى على تأكيدات مفادها أن الأراضى المقدسة فى الحجاز هى ملك للمسلمين فى كل أنحاء الدنيا وملك لله. وأن المملكة العربية السعودية ليست سوى خادمة فقط لهذه الأماكن المقدسة. وفى اليوم الثامن عشر من شهر يوليو من عام ١٩٥٥ يقوم المستشار السياسى الرئيسى برحلة الحج لأول مرة وذلك بطريق الجو من ولاية كنو. وكان بصحبة الرجل كل من إينوا وادا Inuwa Wada (وزير الأشغال الفيدرالى)، ومحمد ريبادو (وزير الأرض الفدرالى والمناجم والقوى)، ويحيى مدواكن (وزير الصحة الإقليمى)، وعلى مكمان بطا (وزير التربية والتعليم والرفاه الاجتماعى الإقليمى)، وأمراء جواندو، كنو، وبيو Biu، ووزير برنو، وقاضى قضاه كنو، وساركن شانو كنو، ورئيس إجون Eggon. وتعود هذه الجماعة من رحلة الحج فى اليوم الرابع من شهر أغسطس. ويجرى المستشار السياسى

الرئيسى هو والأمير محادثات مطولة مع الضباط السعوديين(١). ويزورون أرصفة الميناء ومنازل الإقامة.

بعد عودة الوفد، عينت حكومة الشمال الإقليمية، ثلاثة ممثلين لها لتقديم يد العون والمساعدة للحجاج النيجيريين فى مطار كنو فيما يتعلق بالجمارك، والهجرة والتمويل. ويتبع ذلك تعيين موظفى الحكومة الفيدرالية ليقوموا بالسفر إلى الحجاز للإشراف على راحة الحجاج النيجيريين. هؤلاء الثلاثة هم: عيسى كيتا (وزير الأشغال الإقليمى)، والحاج يعقوب الكنوى Kano، والحاج عثمان ماتى من الإدارة المدنية فى كاتسنا (مسئولاً طبيًا). وجرى إقامة مخيم جديد للحجاج النيجيريين الذين يصلون إلى جدة بطريق البحر. ويؤكد رئيس الوزراء على أن الحج إذا كان مسألة شخصية إلا أن التعاون المشترك بين كل من الحكومة الإقليمية والحكومة الفيدرالية يعد أمرًا ضروريًا لتوفير الأمن والراحة للحجاج النيجيريين.

فى شهر يونيو من عام ١٩٥٦، يقوم رئيس الوزراء بأداء الحج للمرة الثانية. وتقوم الحكومة الفيدرالية، بناء على توصيات الحكومة الإقليمية، بتعيين مسئولى الحج بمن فيهم الحاج عثمان ليمان (كاتسنا) ممثل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى الجمعية العمومية الشمالية، والذى اكتسب صفة رئيس بعثة الحج النيجيرى. وعينت الحكومة أيضًا موظفًا للاتصالات الإدارية، هو الحاج أحمد دانبابا Danbaba (سكرتير التنمية فى سلطة سكتو المدنية)؛ هذا الرجل يتكلم العربية بطلاقة، ويقوم الرجل بمرافقة أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، ومعه أفراد عدة من الخدمات الطبية، من بينهم الطبيب ف. سالو Salawu، أحد المسلمين من غربى نيجيريا، تخرج فى مدرسة يابا الطبية، وخدم سنوات عدة فى الإقليم الشمالى، ويتكلم لغة الهوسا بطلاقة. وهنا بدأت بعض الأحزاب السياسية المعارضة

---

(١) كان من بينهم الشيخ طاهر رضوان، الوزير المسئول عن وزارة الخارجية، والشيخ عبد الرحمن السديرى، قائمقام (محافظ) جدة؛ والشيخ أحمد قنديل، مدير إدارة الحج السعودية، ومندوب الخطوط الجوية العربية السعودية.

تدعى أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يحاول إقامة الدولة الثيوقراطية(*)، ويود الانضمام إلى الكتلة العربية.

فى هذه الحجة كان المستشار السياسى الرئيسى مسافرًا بصفته الشخصية. وكان بصحبته م. أبو بكر، مدواكى سكتو، وبعض الشخصيات الأخرى. ويقوم عدد كبير من وزراء الشمال[1] بوداع المسافرين فى كنو، وذلك بعد تأكيد المستشار السياسى الرئيسى على أنه إذا كان زعماء الأمة يخشون الله ويخافونه، فإن المواطنين سيفيدون من ذلك تمامًا.

فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٦، نشرت تعليقات سياسية كثيرة فى نيجيريا عن زيارة القاهرة والمملكة العربية السعودية؛ وذهبت بعض هذه التعليقات إلى أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تربطه علاقة وصلة وثيقة بالمؤتمر الإسلامى فى مصر، وأن العقيد أنور السادات (وزير الدولة المصرى) أعلن أن المستشار السياسى الرئيسى قد وجه الدعوة إلى الرئيس عبد الناصر لزيارة الإقليم الشمالى. كان بعض النيجيريين ينظرون إلى العلاقات مع مصر والمملكة العربية السعودية على أنها تشكل نوعًا من التهديد السياسى. (ويستنكر حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كل هذه الاتهامات، ويوضح أن المؤتمر الإسلامى بدأ اتصالاته فى نيجيريا مع حزب مجموعة العمل فى الإقليم الغربى، ولم يزر الإقليم الشمالى إلا فى فترة لاحقة. ويؤكد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى سياسته المعلنة الخاصة بالحرية الدينية، وتكافؤ الفرص أمام الأشخاص مختلفى الأديان).

فى شهر يناير من عام ١٩٥٨، تعلن الحكومة الإقليمية الشمالية عن تأسيس شركة جديدة لنقل الحجاج فى الإقليم الشمالى. ويطلقون على هذه الشركة اسم شركة الحرمين المحدودة؛ وتكتتب حكومة الشمال الإقليمية فى مائة سهم قيمة كل سهم منها جنيه إنجليزى واحد، ويصل إجمالى رأسمال هذه الشركة إلى ٤٥٠٠٠

(*) الدولة الثيوقراطية: الدولة الدينية (المترجم).

(١) كان من المودعين الحاج على مكمان بطا (وزير التربية والتعليم)، والحاج على تراكن زاريا (وزير التجارة والصناعة)، والحاج إبراهيم مجاجن جارى أرجونجو السكرتير حديث التعيين فى هيئة تنمية الشمال.

جنيه إنجليزى. وبالتالى يجرى تمثيل الحكومة فى مجلس الإدارة. وتتمثل مهمة هذه الشركة التى اتخذت من كنو مقرًا لها، فى النقل البرى والنقل الجوى للحجاج، وتقديم خدمة جيدة ورخيصة.

فى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٨ تبدأ المضامين السياسية للحج فى الظهور على السطح من جديد، وجاء ذلك مصادفا لاستعداد البلاد للانتخابات الفيدرالية فى عام ١٩٥٩. ويتهم حزب جماعة العمل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بإبرام اتفاق مع الرئيس جمال عبد الناصر، يتم بمقتضاه تقديم مبلغ ضخم للحزب. هذا الزعم، ساقه السيد إيه. إل. ريوان Rewane السكرتير السياسى للرئيس أوبافيمى أولوو Obafemi Awolowo، رئيس وزراء غربى نيجيريا، والرئيس الفيدرالى لحزب جماعة العمل، وقد ورد ذلك الزعم فى مقال نشرته صحيفتان من صحف ليجوس فى اليوم الثامن من شهر سبتمبر[١]. ويرد أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على النحو التالى:

> **أنا أنتهز الفرصة حاليًا قبل اتخاذ أى إجراء. أود فى المقام الأول أن أوضح تمامًا، أنه بغض النظر عن الدعاية المغرضة التى يمكن أن ينشرها أى إنسان وفى أى مكان، فإن ذلك لن يوقف المسلمين فى كل أصقاع الأرض عن القيام بمناسكهم الدينية السنوية.**
>
> **هذا النقد يجىء بمثابة تحفيز للمسلمين كلهم بما فى ذلك مسلمى غربى نيجيريا. يضاف إلى ذلك، أن المسلمين لم يحدث مطلقًا أن علقوا على أولئك المسيحيين الذين يحجون إلى روما أو إلى أماكن أخرى. يضاف إلى ذلك، أن إلصاق الاتهامات السياسية بالشخصيات الإسلامية**

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ١٣ سبتمبر من عام ١٩٥٨، ص ١. المستشار السياسى الرئيسى ينكر وجود أى اتفاق مع الرئيس جمال عبد الناصر.

البارزة، الذين من بينهم أمير جواندو وأمير كنو، اللذان قاما بأداء فريضة الحج هذا العام، يعنى الإساءة إلى سمعة الدين الإسلامى ولعن وإهانة فريضة الحج المقدسة نفسها.

لقد أحيا حزب جماعة العمل كراهيته للإسلام والمسلمين، على الرغم من أن عددًا كبيرًا من المسلمين يعيشون فى مناطق الإقليم الغربى. ويمضى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى إلى التأكيد من جديد على أن سياسته ترمى إلى إدخال الإقليم الشمالى فى علاقة وثيقة وكاملة مع الكمنولث البريطانى ويصرح الحزب بصورة قاطعة أنه لم يحدث مطلقًا أن دخل أو سعى إلى مفاوضات أو أية علاقات أخرى مع الرئيس جمال عبد الناصر أو الجمهورية العربية المتحدة.

وأنا أود أيضًا إبلاغ حزب جماعة العمل ومؤيديهم أن الأخوة فى الإسلام أقوى من أخوة الدم، وعليه فإن المسلمين حيثما وجدوا فى العالم، فهم إخواننا فى الدين.

فى اليوم الثالث والعشرين من شهر يونيو من عام ١٩٥٩، يعود المستشار السياسى الرئيسى من الحج، الذى التقى خلاله الملك سعود، وتسلم كتبًا من حكومة المملكة العربية السعودية على سبيل الهدية للمكتبة الإقليمية الشمالية فى كادونا. وكان كل من محمد ريبادو، وإينو وادا Inuwa Wada وآخرون فى معية المستشار السياسى الرئيسى. ثم يعود أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى إلى سكتو فى أجازة ولكى يستعد للانتخابات الفيدرالية القادمة.

فى اليوم السادس والعشرين من شهر مايو من عام ١٩٦٠ يلحق المستشار السياسى الرئيسى بآخر طائرات الحج عند إقلاعها من كنو، تلك الرحلة التى أطلق عليها اسم "رحلة الشخصية المهمة جدًا". كانت تلك هى رحلة الحج السادسة بالنسبة لأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، وكان بصحبته أمير جواندو

(الحاج هارون)، وأمير كنو (محمد السنوسى)، وأمير كازورى (محمد آدم)، وأمير نصراوا (م. عمر)، وأمير باتيجى (م. عمر). وكان بصحبة أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أيضًا كل من محمد ريبادو (الوزير الفيدرالى لشئون ليجوس)، وإينوا وادا (الوزير الفيدرالى للأشغال والمسح)، والشيخ شاجارى (الوزير الفيدرالى للتنمية الاقتصادية) وعيسى كيتا (الوزير الإقليمى للتربية والتعليم). يضاف إلى ذلك، أن هذه المجموعة كانت تشتمل أيضًا على وزير سكتو (جنيد)، ومدواكن سكتو (أبو بكر)، والشيخ إبراهيم نباس (الكاولاكى السنغالى). أثناء الحج قام الملك سعود بتحية النيجيريين وهنأهم على تعجيلهم بالاستقلال، وقام الرجل بتقديم الهدايا لكل من الأمراء والوزراء. (ويحصل المستشار السياسى الرئيسى على سيف فى غمد من الذهب، كما يحصل أيضًا على ساعة ذهبية وبعض الملابس) كانت رحلة الشخصية المهمة أول رحلة تعود إلى مطار كنو. ويبدأ الحج بعد ذلك يأخذ خصائص الوفد الدبلوماسى عالى المستوى.

٣- بعثة الحجاج النيجيريين (١٩٥٨):

يجرى تنظيم بعثة الحج النيجيرية فى عام ١٩٥٨ بواسطة الوزير الأول (أبو بكر تافاوا باليوا)، بهدف العمل على تحسين العلاقات مع السودان والمملكة العربية السعودية، وبهدف إعادة التفاوض بشأن كثير من الترتيبات الخاصة بالحجاج، والتفاوض أيضًا بخصوص الأعداد الكبيرة من النيجيريين المقيمين فى السودان وفى المملكة العربية السعودية. كانت البعثة عاجلة نظرًا لأن المملكة العربية السعودية كانت قد قطعت علاقاتها مع بريطانيا بسبب غزو السويس فى عام ١٩٥٦، وبالتالى لم تكن هناك علاقات رسمية بين نيجيريا والمملكة العربية السعودية، اللهم إلا من خلال المكاتب الجيدة التابعة لباكستان. كانت البعثة مكونة من المستشار السياسى الرئيسى رئيسًا، إضافة إلى كل من محمد السنوسى (أمير كنو)، والحاج دى. إس. إد جبرنو Adegberno (وزير الحكم المحلى، فى

غربى نيجيريا). كان يساعدهم أبو بكر جومى (الذى كان من قبل وزيرًا نيجيريا للحج فى مدينة جدة)، وآدو Ado سنوسى (ولد محمد سنوسى)[١]. وتتعامل البعثة بمنتهى الدبلوماسية وعلى أعلى المستويات، وتعد مثالاً جيدًا على زعامة المستشار السياسى الرئيسى على المستوى الدولى. وهذه البعثة تعد مثالاً على التبصر فى علاقات العمل الطيبة بين المستشار السياسى الرئيسى والوزير الأول (أبو بكر تافاوا باليوا). وهنا يتضح أيضًا أن العلاقة الحديثة بين المستشار السياسى الرئيسى والسنوسى لها مغزاها هى الأخرى وسوف يجرى تناولها فيما بعد. وهنا يبدأ الرجلان الأصغر سنًا (آدو السنوسى، وأبو بكر جومى) يتدخلان فى المسائل التى تخص المستويات الأعلى. كان عدد المقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى، والذين أوكل الرجل إليهم بعض مسئوليات من شئون الحج، خلال هذه الفترة يشتمل على كل من: (على عقيل، وأبو بكر جومى، وإبراهيم دسوقى، ومحمد نجلروما) ويؤكد على أهمية هذه المسألة. يضاف إلى ذلك أن العلاقة الوثيقة بين المستشار السياسى الرئيسى وولى العهد (ورئيس الوزراء) فيصل يجرى توضيحها من خلال هذه البعثة السرية.

---

(١) ولد أدو سنوسى فى اليوم الخامس من شهر سبتمبر من عام ١٩٣٠ ويلتحق بمدرسة جدان ساركى الإلزامية (فى الفترة من ١٩٣٨ – ٤٢)؛ ثم بمدرسة كنو المتوسطة (فى الفترة من ١٩٤٢ – ٤٦)؛ ثم بكلية باريوا (فى الفترة من ١٩٤٦ – ٥٠)؛ ثم بكلية شيسترهاوس. فى ميدلسكس فى إنجلترا (فى الفترة من ١٩٥١ – ٥٢). ثم يصبح الرجل مساعدًا فنيًا فى سلطنة كنو المدنية. ثم كاتبًا فى مركز رئاسة الخدمات الطبية فى كادونا (فى الفترة من ١٩٥٣– ٥٤). وفى شهر أغسطس من عام ١٩٥٤، يعين الرجل مفتشًا فى سلطة كنو المحلية. وفى عام ١٩٥٦؛ يجرى انتخاب الرجل للجمعية العمومية الشمالية. ثم يصبح بعد ذلك كاتبًا فى سلطة كنو المدنية، وفى عام ١٩٦١ يعين الرجل رئيسًا لمجلس التسويق الإقليمى الشمالى. ويلحق الرجل بوالده فى آزار Azare فى عام ١٩٦٣. ثم يعين مرشحًا لتولى منصب الإمارة فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٣. ثم يصبح بعد ذلك قنصلاً فى اللجنة النيجيرية العليا فى السودان، وبعد تولى عدة مناصب عالية فى وزارة الخارجية، يصبح سفيرًا لنيجيريا فى المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٨٤.

فى اليوم العاشر من شهر فبراير من عام ١٩٥٨، يكتب الوزير الأول، أبو بكر تافاوا باليوا، للمستشار السياسى الرئيسى معبرًا له عن قلقة حول ترتيبات الحج، وبخاصة ما يتعلق منها بالعلاقة مع السودان، وخطط الحكومة الشمالية فى اتجاه تأسيس شركة لرعاية شئون الحج[١].

المذكرة التى تلقاها المستشار السياسى الرئيسى حول شئون الحجاج تلخص المشكلات الخطيرة للحجاج النيجيريين فى السودان. وهذه المذكرة تثير مسألة الوضع الدبلوماسى للتمثيل النيجيرى فى التعامل مع هذه المشكلات. الحكومة السودانية تطلب من اتحاد نيجيريا الفيدرالى تعيين موظف حج مساعد فى منطقة الأبيض نظرًا لأن عدد الحجاج النيجيريين المارين عبر السودان يستحيل التعامل معه بواسطة موظف واحد من الخرطوم. هناك سكان يقدرون بحوالى ٢١٠٠٠ نيجيرى فى الأبيض، وضعهم غير محدد، كما أن هناك بعض المشكلات اللوجستية فى نقل حجاج البر، وتحويلهم من النقل البرى إلى النقل بالخطوط الحديدية.

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى ب م ١٨ إس ٧. شئون الحجاج: البعثة النيجيرية إلى المملكة العربية السعودية والسودان. رسالة من الوزير الأول فى الاتحاد الفيدرالى. رقم ٥:١٥٥٩ إس ١٠٤... أرسل لك صورة من المذكرة المرسلة رسميًا للسكرتير الدائم بخصوص هذه المقترحات الأخيرة، التى تود السلطات السودانية، وبلا أدنى شك مناقشتها معك أثناء الزيارة التى ستقوم بها هذا الشهر. من هنا يتعين علينا بطبيعة الحال بذل كل ما فى وسعنا للاحتفاظ والمحافظة على حسن نية السودان. ويبدو لنا أن أحسن ما يمكن تقديمه لهم يتمثل فى هذه الشركة التى تفكر حكومة الشمال فى تأسيسها لرعاية شئون الحجاج. سوف يتبين لك من المذكرة أن اقتراحك يقضى بأن تقوم الشركة، بعد تأسيسها، بوضع أو تعيين أحد موظفيها فى الأبيض لمساعدة السلطات المحلية على حل المشكلات المرورية فى تلك المنطقة. إذا كانت هذه الفكرة تروق لك، وإذا كانت مقبولة من السودانيين؛ فذلك يحتم علينا التغلب على مشكلة السيادة، وبذلك نتمكن من المحافظة على الطابع الدبلوماسى لمكاتبنا الحالية الخاصة بالحج فى كل من الخرطوم وجدة.

من هنا فأنا أعلق أملاً كبيرًا جدًا، على أن نتمكن من تأييد اقتراحنا بشأن الاستفادة من الشركة على هذا النحو.

المخلص

أبو بكر باليوا

والحكومة النيجيرية الفيدرالية لا تود تعيين موظف إدارى فى بلدة الأبيض، نظرا لأنهم يودون الحفاظ على وجودهم فى السودان عند المستوى الدبلوماسى وليس على المستوى (الإدارى)، وهم يودون أيضًا لمكاتب الحجاج فى كل من الخرطوم (وفى جدة فى المملكة العربية السعودية) أن تبقى على المستوى الدبلوماسى فقط، أو إن شئت فقل "سفارات فى طور الجنين"(١). فكرة تأسيس "شركة" للتعامل مع المشكلات الإدارية فى الأبيـــض، حظيت بمباركة الحكومة الفيدرالية وحكومة الشمال الإقليمية لها.

شركة الحرمين المحدودة، أسسها هارون كاسيم الكنوى Kano، بمساعدة من الحكومة الإقليمية الشمالية. وجرى ترتيب النقل الجوى مع شركة حجير Hajair. حجاج البر يشقون طريقهم إلى بلدة ميدوجورى، ثم يعبرون بعد ذلك كلا من تشاد والسودان، وهنا يتعين تأسيس وجود هذه الشركة (الحرمين المحدودة) فى هذين البلدين أيضًا. هذه الشركة ستقوم بمعاونة الحجاج على طول هذا الطريق البرى، وبخاصة فى السودان، والمشكلات التى سيجرى التفاوض بشأنها مع السودان أقل حدة وأقل إلحاحًا من المشكلات التى ينبغى التفاوض بشأنها مع حكومة المملكة العربية السعودية، التى بدأت تحكم قوانينها ونظمها فيما يتعلق بالأعداد الكبيرة من الحجاج الذين يأتون من غرب إفريقيا. فى شهر يوليو من عام ١٩٥٧، اقترح السعوديون إبعاد ٢٠٠٠٠ من مواطنى غرب إفريقيا (معظمهم من النيجيريين)، وأوضح السعوديون أنهم لم يعودوا يودون بعد للمواطنين من غرب إفريقيا الإقامة أو العمل فى المملكة العربية السعودية. وهنا بدأ عدد من النيجيريين فى السعودية يفكرون فى الهجرة والنزوح إلى السودان من جديد، ولكن السودانيين رفضوا استقبالهم. كما أرسل السعوديون أيضًا مذكرة إلى الحكومة السودانية مفادها أن الحجاج لن يستطيعوا مغادرة السودان إلى السعودية بدون جواز سفر وطنى. واشتكى الحجاج النيجيريون فى السعودية مر الشكوى من أتعاب المطوفين وأسعار

---

(١) المرجع السابق.

الخدمات. كما حرم السعوديون أيضًا الدخول عن طريق البحر الأحمر، وبالتالى يصبح الحجاج النيجيريون الذين يعبرون البحر الأحمر نازحين غير قانونيين ويجرى سجنهم.

كان الهدف من الوفد المرسل برئاسة المستشار السياسى الرئيسى Sardauna هو زيارة السودان والمملكة العربية السعودية بغرض بناء علاقات شخصية، والحصول على موافقة كبار الشخصيات فيما يتعلق بالحج فى هذين البلدين(١).

كان على عقيل موظفًا للحجاج النيجيريين فى جدة، أما محمد نجلروما (والى برنو) فكان مبعوثًا نيجيريا خاصًا، كان المستشار السياسى الرئيسى يعمل مع هذا الرجل منذ أن كانا سويًا فى كلية كاتسنا. ويقوم نجلروما بإعداد موجز مختصر عن

---

(١) المرجع السابق. النقاط التى سيجرى بحثها فى كل من السودان والمملكة العربية السعودية تشتمل على:

١- السلطات السودانية:

(١) فتح حدود السودان هذا العام أمام حجاج البر.

(٢) المشكلة العامة للحجاج النيجيريين الذين أمضوا سنوات فى السودان وهم يشقون طريقهم من مكة وإليها.

(٣) السماح بدخول السودان للحجاج النيجيريين. الذين قد يرحّلون من المملكة العربية السعودية، والذين يودون العودة إلى هذا البلد.

(٤) وضع وكلاء فى الأبيض والمراكز الأخرى فى السودان لرعاية الحجاج النيجيريين، ومسألة أن يكون هؤلاء الوكلاء ممثلين لشركة الحرمين المحدودة.

(٥) الشروط التى ستعمل بمقتضاها شركة الحرمين المحدودة فى السودان.

٢- السفير السعودى ورئيس الوزراء السعودى:

(١) تأكيد قاطع بقبول وثائق السفر هذا العام فى كل من المملكة العربية السعودية، ومن السفير فى الخرطوم من أجل الحصول على تأشيرة الدخول.

(٢) مسألة إمكانية قبول وثائق السفر مستقبلاً.

(٣) التهديد بإبعاد الأعداد الكبيرة من النيجيريين الذين استوطنوا المملكة العربية السعودية (راجع صفحة ١ الفقرة ٣ (أ).

(٤) الشروط التى ستعمل بمقتضاها شركة الحرمين المحدودة فى المملكة العربية السعودية.

(٥) مسألة أتعاب المطوفين (راجع ص ١ الفقرة ٣ جـ).

خلفية "مشكلات النيجيريين الموجودين فى المملكة العربية السعودية"[١]. ويقدر نجلروما عدد النيجيريين الموجودين بما يتراوح بين ٢٠٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ نيجيرى فى مناطق مكة، وجدة، والمدينة، والطائف. ووافق وزير الداخلية على قيام الوفد بعمل إحصاء، بحيث يوضح هؤلاء المسموح لهم بالإقامة طبقًا للقانون وتصريح الإقامة، وأولئك المطلوب منهم مغادرة البلاد. وتمنح الجنسية السعودية لأولئك الذين ولدوا فى المملكة العربية السعودية، بعد التقدم بطلب للحصول على الجنسية، على أن يخضع ذلك لمجموعة من الضوابط (بما فى ذلك معرفة اللغة العربية، و"حسن السير والسلوك"، والحصول على جواز سفر رسمى). ويجوز للأشخاص الذين أقاموا مدذا طويلة فى المملكة العربية السعودية التقدم للحصول على الجنسية، ولكن يتعين على مثل هؤلاء الأشخاص أن تكون لديهم جوازات سفر سارية المفعول توضح تواريخ الدخول إلى المملكة العربية السعودية. (تصريحات الإقامة يجرى منحها على جوازات السفر الوطنية، ولكن السواد الأعظم من النيجيريين لديهم وثائق سفر فقط، وإن لم يكن لديهم أى شىء على الإطلاق).

يوجز نجلروما أيضًا المشكلات الخاصة بالمطوفين فيقول: "المطوف، هو الرجل الذى يقوم بإرشاد الحاج من وقت دخوله إلى حين مغادرته البلاد. المطوف عادة ما يكون مركز رئاسته فى مكة وله وكلاء فى كل من جدة والمدينة المنورة. وكل حاج له الحق فى اختيار المطوف الذى يريده، ومن هنا فإن المطوفين كلهم جرت العادة أن يعلنوا عن أنفسهم فى البلاد الإسلامية كلها فيما عدا بلدان غرب إفريقيا. حجاج غرب إفريقيا كلهم، كانوا إلى وقت قريب جدًا مرتبطين بمطوف واحد اسمه بوكار شرف، اللهم باستثناء السنغاليين هم وأهل ليجوس الذين يتبعون المطوف برهان سيف الدين. الناس لا يشكون من برهان، الذى جرت العادة أن يعامل زبائنه معاملة طيبة. ومع ذلك، ونظرًا لكبر عدد الحجاج النيجيريين، الذى يقدر بحوالى ١٥٠٠٠ حاج، فإن بوكار شرف يعجز عن الاهتمام بحجاجه مثلما يفعل برهان سيف الدين. هناك ادعاء يقول إن بوكار يندر أن يقابل حجاجه وإن

---

(١) المرجع السابق. ١٤ فبراير، ١٩٥٨م.

وكلاء هذا المطوف وأتباعه (فى جدة وفى مكة) يجمعون كل أنواع الرسوم غير الضرورية. يضاف إلى ذلك أن وكيل هذا المطوف فى جدة مسئول أيضا عن احتجاز كثير من الحجاج الذين فشلوا فى دفع الأتعاب أو الزيادات. مكتب هذا الوكيل مسئول عن ضياع أو فقدان وثائق السفر. وثائق مكتب هذا الوكيل تقول إن عشرين وثيقة سفر فقدت خلال شهرين. وإذا ما استثنينا الموظفين العاملين مع هذا المطوف نجد أن النيجيريين لا يحبذون ولا يحبون الاستمرار مع بوكار شرف، كمطوف لهم ولا حتى مع وكيله فى جدة باعتباره الوكيل الوحيد للحجاج. ولم يجر بعد تلقى أى رد من السلطات السعودية بالسماح لثلاثة أو أربعة من أصل نيجيرى بالعمل مطوفين. هناك مطوفون من البلاد الإسلامية كلها. وإذا ما أتيحت الفرصة فإن الوفد قد يسعى للحصول على هذا الامتياز بالنسبة لنيجيريا[١].

فى اليوم الثامن عشر من شهر فبراير من عام ١٩٥٨، يصل الوفد النيجيرى إلى الخرطوم ويلتقى رئيس الوزراء فى مكتبه، ويزور أيضًا وزير الخارجية، ويزور أيضًا كلا من السفير البريطانى، والسفير السعودى، والسفير الباكستانى، ويبدأ المفاوضات. وبعد أيام عدة، يسافر الوفد إلى جدة حيث يوجد على عقيل. وينزل الوفد فى فندق كاندارا بالاس، وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر فبراير، يرسل المستشار السياسى الرئيسى مذكرة دبلوماسية إلى صديقه فيصل[٢]، ويرفق بتلك المذكرة قائمة شكاوى النيجيريين من الحج.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

بعثة حسن النوايا النيجيرية

فندق كاندارا بالاس

جدة

٢٤ فبراير من عام ١٩٥٨.

أنا أشكر لكم جزيل الشكر إتاحة الفرصة من قبل سموكم لأعضاء وفدى ولى أنا شخصيا لمناقشة بعض المشكلات التى تقلق المسلمين النيجيريين الذين يزورون الأراضى المقدسة. علمنا بأن حكومة صاحب الجلالة سوف تعض بالنواجز على شئون الإسلام مصدر تشجيع للمسلمين فى كل أنحـاء =

التقرير الذى أرسلته بعثة الحج النيجيرية إلى الوزير الأول فى نيجيريا يقع فى ثمانية عشر صفحة، (بالإضافة إلى الملاحق)[1]، ويجىء هذا التقرير بمثابة الأساس للعلاقات المستقبلية بين نيجيريا وكل من السودان والمملكة العربية السعودية. قدرة المستشار السياسى الرئيسى على إثارة الموضوعات على أعلى المستويات، ومعرفته الدقيقة للتفاصيل الخاصة بمنطقة أو مجال كل مشكلة من هذه المشكلات كانت بمثابة الأساس المتين لعلاقات دبلوماسية غاية فى الجودة فى المراحل الأولى من حياة الأمة النيجيرية. فقد توصلت المفاوضات مع السعوديين إلى بعض الاتفاقات، ولكن أهم من كل ذلك أن هذه المفاوضات كانت أساسًا للتفاهمات المستقبلية بشأن المسائل ذات الاهتمام المتبادل. كما يشمل التقرير أيضًا على عملية وإجراءات الوفود التى نقتطف منها ما يلى.

غادرنا كنو عند الساعة الحادية عشر والنصف من مساء يوم الاثنين المصادف للسابع عشر من شهر فبراير ووصلنا إلى الخرطوم فى ساعة مبكرة من صباح يوم ١٨ فبراير. وعلى الفور جرى اصطحابنا إلى المقر الرسمى

= العالم. التقدير الذى أوليتمونا إياه. وبخاصة فى مناسبة لقائى بسموكم تؤكد لنا إيماننا بالأخوة الإسلامية.

نحن نعلم أن التدفق السنوى لكثير من الناس من مختلف الجنسيات والعادات خلال فترة زمنية قصيرة لابد وأن يشكل مشكلات إدارية كثيرة، ولكن بفضل الله. وبفضل حكمة خادم الحرمين يمر الحج بأمن وسلام كل عام. نحن نعلم أن أهلنا يشكلون جزءًا من هذا العبء الملقى على عاتق إدارة سموكم، وبخاصة أنهم من بينهم نسبة كبيرة من الحجاج ضعيفى الحال. فى الماضى كانت حكومة صاحب الجلالة تتحمل هذا العبء وحدها. ونحن هنا لتحمل مسئوليتنا فى هذه الأمور. ونحاول تحسين أحوال حجاجنا. وسوف نزيد بلا أدنى شك من جهدنا فى هذه الأمور.

صاحب السمو الملكى
الأمير عبد الله الفيصل
وزير الداخلية – جدة.

(١) المرجع السابق.

لرئيس الوزراء، وكان ذلك قبل مضى ساعة كاملة على وصولنا إلى الخرطوم... وقام سعادة رئيس الوزراء سيد عبد الله بك خالد بنفسه بزيارتنا.... (وتلا ذلك نقاش متباين، ولكن المفاوضات الرئيسية جرت عند زيارتنا للخرطوم ونحن عائدين من المملكة العربية السعودية إلى نيجيريا).

عندما وصلنا مطار جدة وجدنا هناك الحاج محمد (نجلروما)، وعلى عقيل (من بعثة الحج النيجيرية)، ووجدنا أيضًا ممثلاً لسفارة باكستان، كما وجدنا أيضًا كمال آدم أحد مدراء شركة الحرمين المحدودة. والعجيب حقًا هو فشل السفارة الباكستانية فى إعداد أى برنامج لنا، على الرغم من إلحاح موظفينا الملحقين عليهم مرارًا فى طلب إعداد مثل هذا البرنامج. ويبدو أن اتصال السفارة الباكستانية بالحكومة السعودية بطىء جدًا وغير مثمر فى بعض الأحيان.

فى يوم السبت المصادف لليوم الثانى والعشرين من شهر فبراير، قمنا بزيارة وزير المالية، الشيخ محمد سرور الصبَّان. استقبل الوزير الوفد استقبالاً وديًا. وأثناء الحديث ركز الوزير على أهمية الاتصال الشخصى ووعد الرجل بتقديم كل العون اللازم والمطلوب لبعثة الحج النيجيرية.

فى يوم السبت المصادف لليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير، التقى الوفد وزير الداخلية صاحب السمو الملكى عبد الله الفيصل، فى المقر الرئيسى لوزارة الداخلية فى جدة. كان بصحبة الأمير عبد الله غاطى السكرتير

(الأمين) العام للوزارة، وكان برفقة الوفد كل من الحاج محمد نجلروما، والمعلم على عقيل من بعثة الحج النيجيرية.

أوضح رئيس الوزراء أنه والوفد المرافق جاءوا فى مهمة خيرة تعبر عن النية الحسنة، وأن مهمتهم الأولى هى التعبير عن شكر الشعب النيجيرى وامتنانه للعون والمساعدة التى لقيها الحجاج النيجيريين من الإدارة السعودية. وتمنى الرجل ازدهار الصداقة بين الشعبين، وأردف الرجل قائلاً: طالما استمر الموقف الراهن فإن الحكومة النيجيرية لن تتردد فى السعى إلى طلب المزيد من التعاون من الحكومة السعودية فى المسائل المتعلقة براحة الحجاج. وجاء رد الأمير متضمنًا سعادته البالغة بلقاء الوفد وتمنى للوفد أن يحس بالراحة والطمأنينة لأنه يعتبر السعودية بلدهم الثانى. وأضاف الأمير أن الملك مهتم بشئون الحجاج وأن الحكومة ستفعل كل ما فى وسعها لراحة الناس القادمين لقضاء المناسك الدينية. وصرح الأمير أن الوفد إذا ما كانت لديه مشكلات محددة فإن وزارته يسعدها النظر فى المشكلات والعمل على حلها.

وهنا تكلم رئيس الوزراء عن مسألة استعمال وثائق السفر النيجيرية فى الحضور لأداء الحج فى مرات قادمة. وأوضح الرجل أن وثيقة السفر لها صلاحية جواز السفر تمامًا. وأوضح أيضًا أنه سيجرى استبدال تلك الوثيقة بجواز سفر وطنى. وأوضح أيضًا أن كثيرًا من المصاعب ستنشأ عن إجبار نيجيريا على استعمال جوازات

السفر، بدلاً من وثائق السفر فى أداء الحج. ولفت رئيس الوزراء الانتباه أيضًا إلى إنهاء احتكار الطوافة بالنسبة للنيجيريين وذلك عن طريق استقالة بوكار شرف، أو تخليه عن هذا العمل، وقال أيضًا إن الحكومة إذا ما عينت بعض النيجيريين للعمل كمطوفين، فإن ذلك سيكون بادرة طيبة على حسن النوايا.

أخيرًا تناول رئيس الوزراء المشكلة التى واجهت مكتب الحجاج النيجيرى عند نقل الحجاج فى رحلة العودة إلى نيجيريا، وتمثلت فى عدم وجود تسهيلات الصرافة. واقترح رئيس الوزراء شيئًا من التسهيلات مع الحجاج فى رحلة العودة من باب المشاركة فى الجهود المبذولة لإعادة الحجاج إلى بلادهم.

قال الأمير إنه استمع إلى هذه النقاط ووعد بالتعاون فى حلها. ومع ذلك، طلب الأمير تقديم طلب بهذه الموضوعات حتى يمكن له متابعة الاهتمام بهذه المسائل المثارة. وبناء على هذا الطلب قام رئيس الوزراء بتقديم رسالة نيابة عن الوفد. ونحن نرفق صورة من ذلكم الخطاب فى نهاية هذا التقرير، تحت عنوان الملحق د.

فيما يتعلق بالبند (الثالث) من الموضوعات التى سنناقشها فى المملكة العربية السعودية. فقد حصلنا على ردود فورية. ولا يتبقى على الحكومة النيجيرية سوى القيام بعمل الإحصاء المطلوب. ونحن نود التنويه هنا إلى أنه إذا لم يجر إرسال الموظفين المطلوبين إلى المملكة العربية السعودية فسوف يستحيل القيام بذلك الإحصاء.

قررنا بعد ذلك عقد اجتماع مع الشيوخ والرؤساء من أصل نيجيرى ويقيمون فى جدة ومكة. وبعد تقديم التحية طلبنا منهم التوحد والتعاون مع مكتبنا، لأنه عن طريق هذا التوحد والتعاون سوف يتمكن المكتب من تقديم خدمات مفيدة للجميع. وقلنا إنهم ينبغى أن يُشرّفوا اسم نيجيريا وينسون الأحقاد التى لا قيمة لها. حضر الاجتماع عدد كبير من الناس وكان جو الاجتماع مفعمًا بالود والصداقة.

فى اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير، والمصادف ليوم الأربعاء، سافرنا جوًا إلى الرياض وكان بصحبتنا بعثة الحج النيجيرية. التقانا فى المطار مندوبون من قبل صاحب الجلالة الملك، وصحبانا إلى الفندق الذى حجزوه لنا. وفى وقت لاحق من اليوم نفسه قمنا بزيارة صاحب الجلالة فى القصر الملكى وقدمنا له فرائض الاحترام والتقدير. أعرب صاحب الجلالة فى استقباله لنا عن رغبته فى مساعدتنا ومساعدة المسلمين الآخرين الذين يأتون إلى المملكة العربية السعودية. وأكد لنا صاحب الجلالة أن الأراضى المقدسة هى للمسلمين كلهم من سائر الأنحاء التى يفدون منها على المملكة، وأن من واجبه مساعدة هؤلاء المسلمين. قدمنا للملك مجموعة الهدايا المقدمة من الحكومة الفيدرالية، والتى أعرب عن شكره وامتنانه. ووضع الملك تحت تصرفنا ثلاث سيارات صالون، منها سيارة كانت لاستعمال الملك شخصيًا، ولكنها أصبحت مخصصة حاليًا للزائرين المهمين الذين من مرتبة رئيس الوزراء، والرؤساء، إلخ. صحبونا فى جولة خلال المدينة والقرى المجاورة بها. ومدينة الرياض تنمو

بسرعة كبيرة، والبنايات تظهر هنا وهناك مثل عش الغراب. وقد اكتمل بناء وزارات جديدة وسوف تنقل الوزارات قريبًا من جدة.

دعينا إلى تناول الغداء مع بعض ممثلى الحكومات. كان هناك مبعوثون من العراق، ومن الأردن، وكانوا قد حضروا للقاء الملك.

قبل مغادرة الرياض أرسل جلالة الملك هدايا لكل واحد منا لكى تكون تذكارًا للزيارة وهذا ما يماثل التكريم فى البلدان الأخرى.

لقد ترك استقبال الملك لنا انطباعًا طيبًا فى نفوسنا، كما حظينا بالانطباع نفسه أيضًا جراء استقبال رجال الملك لنا. عبرنا للملك، ولرجاله عن شكرنا وامتناننا، وشكر وامتنان حكومتنا، وشكر وامتنان الشعب النيجيرى للمساعدة التى نلقاها والتى سبق أن لقيناها.

فى يوم الجمعة الموافق للثامن والعشرين من شهر فبراير سافرنا بطريق الجو إلى جدة. ووجه وزير المالية الدعوة إلى رئيس الوزراء للحضور إلى منزله حيث التقاه هو ونائبه. وأعرب الوزير عن سرور لاستقبال الوفد فى المملكة العربية السعودية وأسعده أن يسمع من رئيس الوزراء أن جلالة الملك استقبل الوفد استقبالاً طيبًا. وأشار وزير المالية الذى كان مسئولاً أيضًا عن شئون الحج إلى الرسائل التى أرسلت له، والتى نرفقها هنا بهذا التقرير على شكل الملحقين جـ، د، وسأل الوزير عن تأخير رئيس الوزراء واحدا من الرجال لمتابعة الموضوع. وأبلغ رئيس الوزراء وزير المالية السعودى أن السيد على عقيل

المقيم فى جدة يرعى شئون الحجاج النيجيـريين. وطلـب وزير المالية إلى رئيس الوزراء إعطاء خطاب تزكية منـه للسيد على عقيل حتى يتمكنوا من تـسوية النقـاط كلهـا المثارة فى الرسالتين. وأعطيت صورة من الرسـالة إلـى السيد على عقيل، ونحن نرفقها هنا بهذا التقرير تحت اسم الملحق ف.

وبذلك ينتهى عملنا فى المملكة العربية الـسعودية التى أقمنا فيها إقامة طيبة ثم غادرناها إلى الخرطوم. (١)

تشتمل توصيات البعثة، من بين ما اشتملت عليه على ما يلى:

المكتب النيجيرى:

توصى البعثة بأن يتولى أمر مكتب الحج النيجيرى فى جدة شخصية مسلمة فى مرتبة الوزراء وأن تكون لـه صلاحيات دبلوماسية. السفارة الباكـستانية التـى ترعـى شئون نيجيريا لا تقدر على القيام بهذه المهام على نحـو يخدم مصالح الحجاج النيجيريين. نجح الوفد فى مهمته فى المملكة العربية السعودية وذلك بفضل الاتصالات الشخصية وليس بفضل جهود السفارة الباكستانية. يضاف إلى ذلـك أن السفارة الباكستانية تواجه المزيد من المشكلات فيمـا يتعلق باللغة، أكثر من المكتب النيجيرى.

فى ضوء ذلك، نحن نوصى بتعيين شخصية مسلمة من مرتبة الوزراء. وأن يكون من الإقليم الـشمالى، فـى المكتب النيجيرى فى جدة بأسرع وقت ممكن. وينبغـى أن يكون فى ذلك المكتب سكرتير فنى من مرتبة إدارية عالية

---

(١) المرجع السابق.

لتصريف الأمور الإدارية في المكتب. وفيما يتعلق بالمشكلات اللغوية الخاصة بحجاج غرب إفريقيا، فنحن نوصى بتعيين أحد مسلمى اليوروبا، من موظفى الخدمة المدنية فى الإقليم الغربى، لشغل هذه الوظيفة فى مكتب نيجيريا فى جدة.

ونحن هنا نؤكد من جديد على أن يبدأ هذا المكتب عمله فى أقرب وقت ممكن، والسبب فى ذلك أننا نحس أن السفارة الباكستانية إن كانت عاجزة عن بذل الجهود المطلوبة للحصول على تأشيرة لموظفينا (الحاج محمد والسيد على عقيل) تسمح لهم بالذهاب إلى الخرطوم كلما شاءوا ذلك. وهنا لنا أن نتصور ذلك الذى يمكن أن يحدث إذا ما تدفق الحجاج طلبًا لتأشيرات دخول المملكة العربية السعودية أو مغادرتها.

ونحن نوصى بشدة على إدارة المكتب النيجيرى فى جدة اعتبارًا من الآن فصاعدًا على اعتبار أنه سيكون نواة للسفارة النيجيرية مستقبلاً فى المملكة العربية السعودية. رفع شأن المكتب النيجيرى فى جدة سيمكننا من تحقيق الغرض الذى أنشئ من أجله هذا المكتب.

أتعاب المطوف:

نود أن نوصى هنا أن رسوم المطوف يجب أن تدفع من الآن فصاعدًا مع دفع رسوم الحج سواء أكان بطريق البر أم الجو. تقوم الشركة، أو أية هيئة أيا كانت بعد ذلك بدفع هذا المبلغ لحساب الحكومة الفيدرالية التى ستقوم هى الأخرى بتحويل ذلك المبلغ لحكومة المملكة العربية السعودية. وسوف يوفر ذلك على حجاجنا المتاعب السابقة

لاستعادة جوازات سفرهم وتسليمها إليهم بواسطة وكـــلاء المطوف. نحن نعلم أن الأوان فات فيما يتعلق بحجاج البر هذا العام؛ ولكن يمكن لذلك أن يطال حجاج الجو هذا العام. وسوف تنخفض الأتعاب.

موظفو الأبيض وجنينه:

طبقًا لما ورد فى التقرير، فقـد وافقـت سـلطات السودان على العمل مع ممثل شركة الحرمين المحـدودة. ويجب الاتصال بحكومة الإقليم الشمالى حتى تكلف شـركة الحرمين المحدودة بتعيين الأشخاص المناسبين.

مخيم الخرطوم:

أزعم أنها ستكون إشارة طيبة إذا ما قدمت منحـة للإنشاء دفعة واحدة. وسوف يؤدى هذا العمل إلى إسـعاد حكومة السودان وإسعاد مواطنينـا عنـدما يـدركون أن الحكومة ترعى مصالحهم رعاية طيبة(١).

يضيف المستشار السياسى الرئيسى ملاحظة شخصية فى نهاية هذا التقرير، وهذه الملاحظة تعبر عن أسلوب أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى وعن انطباعاته أيضًا.

وأنا بصفتى رئيسًا للبعثة يتعين على التعبير عـن تقديرى لعمل الفريق الذى أداه أعضاء البعثة وسـكرتيروهم. كانوا جميعًا يتحلون بالـصبر عنـدما يـتم اسـتدعاؤهم للمشاركة فى المناقشات أو عندما يترددون علينا لزيارتنا. وعليه يتعين على أن أطلب من الحكومـة الفيدراليـة أن تكتب لهم وتشكرهم على العمل الجيد الذى قاموا به والذى أدى إلى وضع نيجيريا على خارطة الحكومتين.

---

(١) المرجع السابق.

المملكة العربية السعودية:

ختامًا أود أن أضيف أن البعثة قد أنجزت بحق ذلك الذى طُلب منها، أى توطيد الاتصالات الشخصية وتأكيد حسن نوايا المسئولين الذين لهم صلة بفريضة الحج فى البلدين. وأصعب الأماكن فى التعامل هى المملكة العربية السعودية. وأنا يسعدنى القول إنه: بدءًا من السكرتير فى الوزارة ومرورًا بالوزير ووصولاً إلى صاحب الجلالة الملك فقد رحّب الجميع بزيارتنا ووعدونا بتقديم كل المساعدات الممكنة. ويؤسفنى القول أننا لم نستطع تلبية سوى عشرة فى المائة من الدعوات التى قدمت لنا من كبار الشخصيات فى جدة ومكة.

الكعبة كلها مغطاة بالكسوة والجزء الوحيد الذى يمكن رؤيته هو الحجر الأسود والركن اليمانى. والحجر الأسود موضوع داخل صندوق له فتحتان. وأنا سعيد بما أقوله معتمدًا فيه على بعض الشخصيات البارزة التى حصلت على امتياز دخول الكعبة والصلاة فيها، وفى الوقت ذاته اصطحبونا إلى أعلى القلعة وصلينا هناك. مبلغ علمى أنى أول الناس من غرب إفريقيا الذين أتيحت لهم هذه الفرصة. وإذا ما نحينا جانبًا الهدايا التى وصلتنا من الملك والتى ورد ذكرها فى الفقرة ٢٤ من التقرير، أقول: إن الملك أعطانى كسوة (أى قطعة من غطاء الكعبة) وهذا تكريم كبير.

اتضح أن النيجيريين المقيمين فى المملكة العربية السعودية كانوا فى غاية السعادة عندما رأونا، وأيضًا عندما سمعوا من خلال الإذاعة الاستقبال الحار الذى لقيناه من صاحب الجلالة الملك، وفى كل مكان.

أقترح أن تكتب الحكومة الفيدرالية إلى حكومة المملكة العربية السعودية، من خلال القنوات الرسمية، لتعبر لها عن شكرنا لها على المساعدات كلها التى قدمت لنا طوال مقامنا فى بلدهم.

وأنا شخصيًا أكتب حاليًا لأولئك الأفراد الذين التقيناهم والذين سهلوا لنا مهمتنا.

السودان:

الشىء نفسه ينطبق على السودان. فقد التقينا كل الشخصيات المهمة فى هذا الشأن وأكدوا لنا مساعدتهم لأهلنا فى كل وقت.

يسعدنى القول: إن النيجيريين كلهم المحيطين بالخرطوم وأم درمان، كانوا يحسون بأنهم فى وطنهم أثناء زيارتنا. وآمل أن يستمر ذلك الجو. وأنا أكاد أجزم أنه سيستمر[١].

٤ـ متابعة بعثة الحجاج النيجيريين:

دور أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى كممثل رسمى للحكومة الفيدرالية النيجيرية غير معترف به اعترافا كاملاً. وهذا هو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna يتحول إلى دبلوماسى فاعل نيابة عن الوزير الأول، وتصبح علاقات

---

(١) المرجع السابق.

العمل بين الاثنين على ما يرام، ومثمرة وتقوم على المساعدة المتبادلة. وهذا هو الوزير الأول يرسل للمستشار السياسى الرئيسى مذكرة يعبر فيها عن شكره وتقديره لأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على توليه رئاسة بعثة الحجاج النيجيريين[١] (وهذا هو ما فعله الحاج آدجبنرو Adeegbenro، الذى يبدو أنه هو الآخر استمتع بالرحلة والرفقة)[٢]. وهنا يتبع أبو بكر تافاوا باليو، تلك المذكرة

---

(١) من أبى بكر تافاوا باليوا إلى المستشار السياسى الرئيسى. بتاريخ ١٨ مارس من عام ١٩٨٥. رقم القيد ٥٥٥٨٠ أى ١٥ سى ١٣٥.

سعدت جدا بتلقى تقريرك المنتظر عن مهمتك إلى السودان والمملكة العربية السعودية.

زال الشك الذى كان يخيم على حج هذا عام بفضل العمل الذى قمت به أنت فى البلدين. هذا يعنى أن بوسعنا الآن المضى قدمًا فى اتخاذ الترتيبات اللازمة تأسيسًا على علمنا أن خططنا مبنية على واقع حقيقى وليست كما كانت من قبل. على سلسلة من التقارير المتضاربة. لقد أرسيت أسس العلاقات الودية بين نيجيريا وهذين البلدين وسوف نستفيد من ذلك كثيرًا من نواحى كثيرة وليس فقط فى الأمور المتعلقة بالحج.

أنا أدرس توصياتك دراسة متأنية وأصدرت تعليمات بأن التوصيات العاجلة ينبغى البدء بها. وأنا يساورنى القلق بصورة خاصة حول مسألة أتعاب المطوف، وأتمنى أن نصل إلى ترتيب مناسب، مقبول من الأطراف كلها، وخلال فترة وجيزة.

قرار إرسال وفد إلى هذين البلدين وأنت على رأس ذلك الوفد جاء مليئًا تمامًا بالنتائج التى أمكن التوصل إليها. وأنا بالنيابة عن الحكومة الفيدرالية، أرسل إليك أنت. وأمير كنو. وكذلك الحاج آدجبنرو خالص شكرى وتقديرى لما قمتم به.

يسعدنى الموافقة على اقتراحك بأن تقوم الحكومة الفيدرالية بالتعبير عن شكرها وتقديرها لهذين البلدين على ما قدماه من مساعدات لبعثتك.

أبو بكر تافاوا باليوا

(٢) من آدجبنرو إلى المستشار السياسى الرئيسى. بتاريخ ٨ أبريل من عام ١٩٥٨، رقم القيد ٢٥١١١٥.

أشكرك وأعرب لك عن تقديرى لترأسك لبعثة النوايا الحسنة التى أوفدها الوزير الأول لنيجيريا الاتحادية، إلى كل من السودان والمملكة العربية السعودية فى شهر فبراير الماضى. وأنا يتعين على أن أقول وبمنتهى الصراحة بأنى تمتعت فعلاً بصحبتك وصحبة أمير كنو طوال مقامنا فى هذين البلدين.

وأنا مفعم بالأمل بأن الحجاج النيجيريين سوف يفيدون من الآن فصاعدًا من النتائج التى ترتبت على هذه البعثة التى كان لنا جميعا شرف العمل من خلالها.

بطلب إلى المستشار السياسى الرئيسى يقضى بمتابعة الأخير لبعض المسائل المتبقية، وبخاصة وثائق السفر، خلال رحلته التالية إلى المملكة العربية السعودية (أثناء موسم الحج)، الذى أوشك على الدخول[١]. سوف يفيد المستشار السياسى الرئيسى من فترات رحلات الحج التى يقوم بها فى تحسين مصالح النيجيريين فى كل من السودان والمملكة العربية السعودية. والجهود كلها تتركز على إدخال مسلمى الإقليم الغربى ضمن مسلمى الإقليم الشمالى أيضا.

يعود المستشار السياسى الرئيسى إلى المملكة العربية السعودية أثناء رحلة الحج فى الفترة ما بين ١٩ يونيو و٢ يوليو من عام ١٩٥٨. فى هذه الفترة يقوم الرجل بترأس عملية مالية وإدارية معقدة أبلغت عنها بعثة الحج النيجيرية.[٢]

(١) من باليوا إلى المستشار السياسى الرئيسى، بتاريخ ٢٣ من شهر مايو من عام ١٩٥٨ رقم القيد ٤٠٥ \ ١ ١١ \ ٥٥٥٨٣

تذكر أنك أثرت مع السلطات السعودية خلال زيارتك الأخيرة إلى المملكة العربية السعودية، مسألة قبول هذه السلطات لوثائق السفر التى يحملها النيجيريون وذلك بدءا من موسم حج عام ١٩٥٨. وبناء على نتيجة المناقشات التى أجريتها، قمت بتحرير رسالة إلى صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل، وهذه الرسالة شكلت الملحق " د " من التقرير الذى أعددته أنت عن الوفد.

لعل الفرصة تتاح لك لإثارة هذا الموضوع مرة ثانية أثناء زيارتك للحجاز. وقد لا نستطيع على الفور تعيين شخصية. فى جدة، من المستوى الذى يسمح لصاحبه للقيام باتصالات قوية حول الموضوعات التى على هذه الدرجة من الحساسية. ويبدو لى أن زيارتك المزمع القيام بها تعد فرصة ممتازة لمتابعة محادثاتك السابقة الناجحة على أمل إقناع السلطات السعودية بقبول وثائق السفر لعدة سنوات قادمة.

أكون شاكرا إذا ما أبلغتنى أنك سيكون بوسعك إثارة هذه المسألة فى زيارتك القادمة.

المخلص،

أبو بكر... باليوا

(٢) الجمعة الموافق للسابع والعشرين من شهر يونيو: قام رئيس الوزراء بصحبة كبار الحجاج النيجيريين وممثلى بعثة الحجج النيجيرية بتقديم فرائض الاحترام لصاحب الجلالة، ملك المملكة العربية السعودية، فى مخيمه الملكى فى منى. وقد جرت العادة أن يستقبل جلالته مختلف وفود الحجاج فى يوم عرفة. وتبادل رئيس الوزراء التحية مع جلالة الملك وأعضاء الأسرة المالكة.

الثلاثاء الموافق لليوم الأول من شهر يوليو: بناء على طلب رئيس الوزراء جرى الترتيب لعقد اجتماع بينه وبين صاحب السمو الأمير فيصل ولى العهد، رئيس وزراء المملكة العربية السعودية. وقد جرى ذلك الاجتماع فى مكتب مجلس الوزراء. وكان بصحبة رئيس الوزراء كل من السيد على =

أصبحت المفاوضات التى جرت مع السعوديين جزءا من عملية مستمرة، ولكن هذه العملية كانت هينة لينة بفضل العلاقة الوثيقة بين فيصل، ولى العهد السعودى، وأحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى. على الجانب النيجيرى أصبحت المشكلة تتمثل فى التوصل إلى شكل من أشكال التمثيل الدبلوماسى خلال

= عقيل، مسئول الحجج النيجيرى، وكام سالم، نائب رئيس الشرطة. وخلال تبادل التحيات أعرب رئيس الوزراء عن شكر حكومة نيجيريا وشعبها وامتنانهما للتسهيلات التى يجرى تقديمها للحجاج النيجيريين من قبل الحكومة السعودية. وأعرب الرجل عن أمله فى الاستمرار فى حل المشكلات الخاصة بالحجاج بنفس روح الأخوة والتعارف. وأبدى ولى العهد اهتماما كبيرا بمعرفة المزيد عن نيجيريا بأن راح يطرح أسئلة عن تركيبة الشعب النيجيرى وإمكاناتها الاقتصادية. ثم بدأ رئيس الوزراء الحديث عن النقاط التالية:

أ) مكان مكتب نيجيريا: أبلغ رئيس الوزراء ولى العهد أن حكومة نيجيريا الفيدرالية تنوى فى المستقبل تقوية تمثيلها تمهيدا لتحسين الخدمات المقدمة للحجاج. وعندما يحين ذلك الموعد ستكون الحكومة النيجيرية بحاجة إلى مكان مناسب لتأسيس مكتب دائم لبعثتها، وتمنى رئيس الوزراء على الحكومة السعودية أن تنظر بعين الرعاية إلى الطلب المقدم وتقدم قطعة الأرض اللازمة لإقامة مبنى البعثة. وقال ولى العهد إن حكومته رحبت بكل الإجراءات المحسوبة لتحسين رفاهية الناس الذين يأتون إلى بلادها. وأننا عندما نتقدم بالطلب فسوف يجرى النظر فيه طبقا للقوانين المعمول بها فى المملكة.

ب) قضية الحوالة المصرفية المسحوبة من بنك آخر: أشار رئيس الوزراء إلى قضية عام الماضى التى تورط فيها أحد النيجيريين فى عملية سرقة حوالات مصرفية من نيجيريا والتى قدمت لصرفها من أحد البنوك فى جدة. ونتيجة لهذه القضية جرى وضع الشخص الذى قدم هذه الحوالات، وهو زكريا عبد الرحمن، فى السجن منذ عام الماضى. وهذا الشخص مطلوب حاليا للإدلاء بشهادته أمام محكمة نيجيرية فى الإجراءات الجنائية الناجمة عن هذه السرقة. كما أن السلطات النيجيرية تود أيضا أن يمثل أمام المحكمة النيجيرية المدعو سيد باموده الذى قدمت له هذه الحوالات أول مرة والذى قيل إنه أقرض زكريا مبلغا بضمان هذه الحوالات. ومطلوب أيضا أن يقوم أحد ضباط الشرطة السعودية بمساعدة المحكمة النيجيرية فى هذا الصدد. ومطلوب من الحكومة السعودية الإفراج عن الحوالات للاطلاع عليها فى نيجيريا. وأن حكومة نيجيريا سوف تتحمل الأعباء المالية المترتبة على سفر الأشخاص المعنيين وتتعهد بضمان عودة زكريا من نيجيريا إذا ما كان مطلوبا من الحكومة السعودية. وقال ولى العهد السعودى إنه لم يكن مستعدا لمناقشة ذلك الأمر وبخاصة أن ذلك الحدث وقع عندما كان سموه فى الخارج. وطلب إلى رئيس الوزراء أن يعطيه فرصة يطلع خلالها على هذه القضية. ووعد رئيس الوزراء بإرسال ملخص لهذه القضية إلى ولى العهد السعودى. ونحن نرفق هنا ذلك الملخص. (أرشيف كادونا الوطنى، المرجع السابق. بعثة الحجاج النيجيريين، جدة، ٢ يوليو من عام ١٩٥٨).

فترة الانتقال إلى الاستقلال، أى عملية تفعيل الترتيبات مع شركة الحرمين، التى بدأت تلعب دورا نشطا، واعتبار مشكلة الحجاج شأنا حكوميا خالصا. ويصبح إبراهيم دسوقى الممثل النيجيرى الرئيسى فى الكثير من هذه المشكلات، وأصبح الرجل يتصرف بناء على اتصالات وثيقة مع المستشار السياسى الرئيسى[١]. أصبحت المعاملات الصادرة من مكتب رئيس الوزراء فى ليجوس (وهو الذى يتناول الشئون الخارجية)، توجه مباشرة إلى رئيس الوزراء الشمالى. وتظهر بعض الرسائل المكتوبة بخط اليد وبلغة الهوسا فى الملفات المرسلة مباشرة من إبراهيم دسوقى إلى المستشار السياسى الرئيسى، والموقعة باسم "أخيك الأصغر" Stanenka. وفى المملكة العربية السعودية أصبح إبراهيم دسوقى بمثابة كبير ممثلى المستشار السياسى الرئيسى، وبالتالى أصبح من حقه الاتصال بالدوائر الحكومية العليا.

على المستوى الشخصى والمستوى السياسى نجد أن العلاقات بين المستشار السياسى الرئيسى والحاج هارون كاسيم تزداد قوة على قوتها، وتتحول شركة الحج فى كنو إلى تنظيم فاعل ومعقول، إذا ما أخذنا بعين اعتبارنا المصاعب التى كانت تكتنف دنيا المال والأعمال فى ذلك الوقت. وهذا هو هارون كاسيم يتخذ الترتيبات

---

(١) فى عام ١٩٥٨ ينقل إبراهيم دسوقى من الخدمة المدنية فى الإقليم الشمالى إلى فرع الشئون الخارجية فى مكتب الوزير الأول، ليكون موظفا مسئولا عن الحجاج النيجيريين فى جدة. ويعود الرجل إلى مكتب رئيس الوزراء اعتبارا من ديسمبر من عام ١٩٦٠، فى وظيفة مساعد كبير الأمناء. ثم يعود مرة ثانية ليكون مسئولا عن الشئون الخارجية من المرتبة السادسة فى الخدمة العامة الفيدرالية فى شهر مايو من عام ١٩٦١، ثم يعود بعد ذلك إلى الإقليم الشمالى فى أواخر العام نفسه، ليشغل منصب السكرتير الدائم فى وزارة الحكم المحلى.

اللازمة مع شركة سابينا لتوفير النقل الجوى المطلوب(١). يجرى تنظيم النقل البرى عن طريق التنسيق من خلال مكتبى الحجاج فى كل من الخرطوم وجدة.

يجرى تناول الحسابات المالية بطريقة رسمية، مع محاسبة ومراجعة كاملة(٢). وتتمثل المشكلة فى احتياج هارون إلى المزيد من رأس المال لتأسيس الشركة، ولذلك نجد الرجل فى عام ١٩٦٠، يطلب قرضا مقداره ١٥٠٠٠ جنيه

---

(١) أرشيف كادونا الوطنى، كنو، فى ١١ أغسطس من عام ١٩٦٠.

السير الحاج بللو.

رئيس وزراء الإقليم الشمالى

كادونا.

سيدى.

أرى أن من واجبى إبلاغ سعادتكم عندما كنتم خارج البلاد أثناء رحلة العودة الخاصة بالحجاج من جدة وإليها هذا عام. أن الجسر الجوى تم بنجاح بواسطة شركة سابينا. مثلما فعلت الشىء نفسه فى رحلة الذهاب وعلى نحو أرضى الجميع.

لم يحدث قبل هذه المرة أن نقل مثل هذا العدد الكبير من الحجاج فى هذا العدد القليل جدا من الأيام. بعد أن اتخذت الترتيبات اللازمة بالتعاون مع شركة سابينا وهيئة الموظفين العاملين معى. وقد أعرب الحجاج جميعا عن تقديرهم لما قمنا به.

تثبت الحقائق أن الخدمة الجيدة التى أدتها سابينا، والتى قامت بها خدمة لحجاجنا. تتحسن عاما بعد عام من حيث النوع، وكذلك الخدمة الأرضية التى استطعنا تقديمها بالتعاون مع شركة سابينا هذا العام أيضا؛ وبذلك يكون الحجاج قد تكبدوا أقل التكاليف، ونعموا بالراحة والأمن والسلامة. وهو ما يحصل عليه المسافرون فى كل أنحاء الأرض.

المخلص

الحاج هارون كاسيم

(٢) أرشيف كادونا الوطنى، المرجع السابق. أرشيف كادونا رقم ١٨ "ترتيبات الحجاج"، ١٩٦٠. ملاحظات شهر مارس من عام ١٩٦٠.

إنجليزى. وهنا نجد السكرتيرين النيجيريين المساعدين فى مكتب رئيس الوزراء يتساءلون عن هذا القرض[1].

تتحول مسألة اختيار ممثلى الحجاج النيجيريين إلى واحدة من مسائل المسلمين السياسية. وهنا نجد السكرتيرين المساعدين يحيلون هذه المسائل إلى مكتب رئيس الوزراء مباشرة، وهناك بعض الملاحظات الخطية (بما فى ذلك الملاحظات التى دونها المستشار السياسى الرئيسى) فى الملفات، وأن هذه الملاحظات توضح الحاجة إلى نوع من "التوازن" بين الممثلين والمندوبين. ونجد المستشار السياسى الرئيسى يعتمد اعتمادًا كبيرا على أبى بكر جومى باعتباره كبير ممثليه. وفى شهر مارس من عام ١٩٦٠، نجد آبا بكر جومى يرى أن يكون الممثل الثانى للمستشار السياسى الرئيسى هو الحاج سانى كافانجا[2].

ويبدى السكرتير المساعد ملاحظة تقول: "الحاج... لقد زكى أبو بكر (سانى كافانجا) تزكية شديدة من منطلق أداء الرجل لفريضة الحج مرتين فضلا عن أن الرجل من العلماء. والرجل يعتقد وأنا معه أن الحاج سانى سيجعل الجمهور يظنون أن اختيار سانى سوف يجعل الجمهور يحس أن امتيازا من هذا القبيل لا يكون مقصورا على الحكومة وموظفى السلطة المدنية وحدهم"[3].

---

(١) مركز الحجاج فى كنو. طلبت شركة الحرمين قرضا إضافيا مقداره ١٥٠٠٠ جنيه إنجليزى. وقدم طلب هذا الطلب لوزارة المالية. وهنا بدأت وزارة المالية تثير التساؤلات حول ما إذا كانت شركة الحرمين تود الاعتماد على منحة الحكومة الإقليمية. آخذة فى اعتبارها قرضين منفصلين مقدار كل منهما ٥٠٠٠ جنيه إنجليزى (أى ١٠٠٠٠ جنيه إنجليزى)، كانت قد أعطيت للشركة بالفعل. وقد أحيل الأمر إلى سكرتير شركة الحرمين. من مساعد السكرتير الأول فى الوزارة.

وهنا كان لابد لمساعد السكرتير الأول التأكد ما إذا كان السكرتير الدائم فى وزارة الطيران الاتحادية سيصدر الترخيص باسم الحاج هارون كاسيم، الذى سبق أن تقدم بطلب فى هذا الخصوص. وهذه مسألة غاية فى الأهمية لأنها ستمكن الوكلاء من معرفة المصدر الذى يمكن أن يرسلوا عليه إيداعاتهم. وسيجرى إرسال الملفات المناسبة إلى كنو.

راجع الملفات ب. م ١٨، ب. م ١٠. S. ٩. S. ٨. S ١٨

(٢) سانى كافانجا مرتبط ارتباطا وثيقا بالأمير السنوسى، وهو زعيم رئيسى فى الطريقة الإخوانية التيجانية.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ١٠ مارس من عام ١٩٦٠.

عشية الاستقلال أصبحت عملية الحج لا مجرد عملية لوجستية كبيرة، تنطوى على السماح بنقل العفش، وسلم الأجور، والتداول النقدى وجداول رحلات الطيران؛ وإنما أصبح الحج أيضا حدثا رئيسيا فى الحياة الدينية فى الإقليم الشمالى، إذ بدأ الحج يضع أعدادا متزايدة من مسلمى الإقليم الشمالى فى أوضاع تجعلهم يتصلون ويتواصلون مع العالم الإسلامى الأوسع، بدءا من السنغال ومرورا بالمملكة العربية السعودية وباكستان. وهنا أصبح مكتب رئيس الوزراء يتعامل تعاملا مباشرا مع شئون الحج كلها، ويقوم أيضا بالتنسيق مع مكتب الوزير الأول فى ليجوس. هذه التسهيلات المتزايدة أيضا هى التى ستنمى الاهتمام بالتعليم الإسلامى، والحاجة إلى أسس سليمة ترتكز عليها المعرفة الدينية. يضاف إلى ذلك أن سمعة النيجيريين فى المملكة العربية السعودية إنما هى خليط من الاحترام الزائد للموروثات الإسلامية فى نيجيريا، إضافة إلى إحساس مفاده أن عامة النيجيريين الذين يقومون بأداء فريضة الحج هم "من البسطاء" bush، نظرا لأن الكثيرين منهم لا يعرفون الأركان الأساسية فى فريضة الحج.

٥ - تجدد الاهتمام بالتعليم الإسلامى:

استنادا إلى ما يقوله الشيخ جلدانشى Galadanci[١] نجد أن المستشار السياسى الرئيسى كان معنيا بمساعدة الحكومة لمدارس البعثات التبشيرية، فى حين لم تكن الحكومة تساعد مدارس القرآن. كان المستشار السياسى الرئيسى يهدف إلى تنظيم مدارس القرآن على نحو يجعلها تلعب دورا فى نيجيريا الحديثة، وبالتالى يمكن أن يعطى هذه المدارس المساعدات المناسبة التى تحصل عليها المدارس الأخرى من الحكومة. وكان من رأى الرجل أن يواصل العمل مع المعلمين أملا فى الوصول إلى حل معقول لهذه المشكلة. ينظر المستشار السياسى الرئيسى إلى

---

(١) الشيخ جلدانشى من كنو، وقد عين الرجل ناظرا لمدرسة كنو للدراسات العربية فى مطلع ستينيات القرن العشرين. ثم أصبح بعد ذلك مديرا لكلية عبد الله بايرو. ثم مستشارا منائبا لجماعة سكتو.

هذه العملية باعتبارها واجبا عليه. وعلى امتداد الحملات السياسية التى قام بها أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى Sardauna كان الرجل يقول للناس: إنه سوف يقدم يد العون والمساعدة لمدارس القرآن. وهنا يبدأ نشر مقالات حول هذا الموضوع فى جريدة جاسكيا Gaskiya. وتتحول هذه المسألة إلى قضية شعبية(١).

استنادا أيضا لما يقوله جلدانشى، نجد أن المستشار السياسى الرئيسى يعمل على تشجيع تدريس اللغة العربية والمعارف الدينية الإسلامية فى المدارس، ويستشعر أن ذلك يمكن تنفيذه إداريا، دون أن يشكل ذلك أية عقبة من العقبات السياسية من خلال الوزارات. مسألة مدارس القرآن هذه مسألة حساسة للغاية. ويصدر المستشار السياسى الرئيسى أمرا لوزارة التربية والتعليم بتعيين "منسق للدراسات العربية"، وبذلك يصبح هالير بنجى أول شخص يتبوأ هذا المنصب. بعد الاستقلال، وعندما يرقى بنجى إلى نائب لقاضى القضاة، أعطى منصب المنسق للحسينى أحمد(٢).

كانت مدرسة الدراسات العربية فى كنو طوال خمسينيات القرن العشرين بمثابة المعهد الرئيسى فى الشمال لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية. هذه المدرسة لا تقوم فقط بتدريب المتخصصين القانونيين، وإنما تقدم التدريب أيضا فى موضوعات مختلف ذات علاقة بالتعليم. الواقع أن كل المتخصصين فى اللغة العربية حاليا فى الشمال تخرجوا فى هذه المدرسة (شأنها فى ذلك شأن المدرسين الذين لهم صلة بكلية كاتسنا، والإداريين الذين تخرجوا فى معهد الإدارة).

فى عام ١٩٥٢، يشكل المجلس التنفيذى الإقليمى الشمالى لجنة مكونة من ثلاثة عشر عضوا خاصة بالتعليم العالى الإسلامى، ويطلب من اللجنة إعداد بعض التوصيات، ويقوم أفراد اللجنة بتقديم تلك التوصيات فى تقرير من ثمانى صفحات. ويمكن تلخيص هذه التوصيات فيما يلى:

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ١٥ أغسطس من عام ١٩٨٤، فى كنو.

(٢) الحسينى أحمد، هو ولد المرحوم أمير كازورى (وشقيق الأمير الذى تولى الإمارة)، وقد حصل الرجل على درجة فى اللغة العربية (من جامعة لندن). ثم أصبح الرجل بعد ذلك شخصية فاعلة فى كازورى.

يجب على مدرسة الدراسات العربية تقديم بعض التسهيلات للطلاب الذين ليست لديهم خلفية تعليمية غربية أو شيء قليل من هذه الخلفية.

يجب تمديد المنهج العام فى مدرسة الدراسات العربية من عامين إلى أربعة أعوام على أن يجرى إحضار المدرسين من السودان.

يجب الاعتراف بأن طلاب الشمال سيكونون مدرسين محتملين، ويتحتم إرسال البعض منهم إلى كلية بختر الروضة فى السودان لحضور دورة مدتها ثمانية عشر شهرا. (المدرسون الآخرون يجب أن يحضروا دورة مدتها عام فى مدرسة الدراسات العربية).

طلبة القانون، أصحاب الكفاءات، يجب إلحاقهم بكلية الجامعة، فى الخرطوم لدراسة الشريعة لمدة ثمانية عشر شهرا.

المدرسون المتمرسون القادمين من السودان يتعين عليهم عمل دورات للمدرسين الزائرين ومدرسى اللغة العربية فى المدارس.

ينبغى تعيين الشيخ عوض، الذى وصل إلى مدرسة الدراسات العربية قادما من السودان فى منصب ناظر هذه المدرسة.

يجب تخصيص ستة منح دراسية إلى كلية بختر الروضة وذلك على أساس من الدرجات النهائية فى الامتحانات. ويتعين أن تشتمل دورة كلية بختر الروضة على علم اللاهوت والأدب العربى العام.

يجب الاستمرار فى إدارة مدارس القرآن كمؤسسات خاصة، ولكن آداب الأخلاقيات ينبغى أيضا تدريسها فى هذه المدارس.

هذه التوصيات يجرى تنفيذها فى عام ١٩٥٤ من قبل وزارة المعارف والرفاه الاجتماعى. فى شهر أبريل من عام ١٩٥٤، يبدأ واحد وعشرون معلما ممن ليس لديهم خلفية تعليمية غربية أو شىء من هذه الخلفية دراستهم فى مدرسة الدراسات العربية، ويدرسون مقررا متقدما فى اللغة العربية وعلم اللاهوت فى مقرر دراسى مدته أربع سنوات، ينتهى بالحصول على شهادة أو إجازة. وينظم الشيخ عوض دورتين دراسيتين لتحسين تعليم القرآن، وحضر هاتين الدورتين مدرسو اللغة العربية الزائرين ومدرس أول اللغة العربية. بعد حضور امتحانات المسابقة، غادر ستة من الطلاب ولاية كنو فى شهر يونيو إلى كلية بختر الروضة، وكان من بين هؤلاء الطلاب كل من جلدانشى، وجومى، وحسّان جوارزو، وبيبى فاروق، وهاليرو بنجى، وأبو بكر إمام. وقررت الحكومة إضافة قسم للمطبوعات العربية إلى مكتب الأدب فى زاريا لطباعة مطبوعات تتناول الأخلاقيات باللغة العربية لاستعمال هذه المطبوعات فى مدارس القرآن.

بحلول عام ١٩٥٩ أصبحت مسألة توسيع مدرسة الدراسات العربية أمرا ملحا عند وزارة التربية والتعليم؛ من هنا كان عيسى كيتا وزير التربية والتعليم يعمل بطريقة وثيقة مع المستشار السياسى الرئيسى. وقد ترأس عيسى كيتا الوفد المسافر إلى الخرطوم. من أجل التعاقد مع مدرسين للعمل فى الشمال ولمقابلة المدرسين الذين سيعملون فى مدرسة الدراسات العربية. وهذا بحد ذاته يعكس قرار الحكومة الإقليمية بتوسيع مدرسة الدراسات العربية حتى يمكن أن تنهض بتدريب مدرسى لغة عربية للمدارس الإعدادية (المتوسطة)، وتدريب المدرسين الذين يدرسون اللغة العربية والموضوعات الإسلامية للتدريس فى المدارس الثانوية، ولوضع منهج للدراسات الإسلامية العالية، إضافة إلى دورة فى القانون.

في شهر أكتوبر من عام ١٩٥٩، جرى اختيار أربعة من بين طلاب اللغة العربية فى الشمال، ثم جرى إيفادهم إلى لندن لبرنامج دراسى مدته ثلاث سنوات فى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، هؤلاء الطلاب هم: الشيخ جلدانشى، وحسَّان جوارزو، وحميد القاضى، وبشير سمبو Sambo.

الدور الذى لعبه أبو بكر جومى كمدرس للدراسات العربية، فى مدرسة الدراسات العربية طوال هذه الفترة، هو الذى يجعل أبا بكر جومى على اتصال مباشر بالشبان الصغار، الذين سيبرزون فى الشمال كمتخصصين فى اللغة العربية، والذين يشاركون الرجل فى كثير من قيمه المتعلقة بالحاجة إلى التعليم الغربى، فضلا عن الأشكال الدولية من اللغة العربية والمعارف الإسلامية.

يواصل المستشار السياسى الرئيسى تشجيعه لبرامج التدريب الدورية، والدورات التصادمية، التى تساعد على ملء الفراغات بطريقة مؤقتة. اتخاذ قرار بإلحاق طلاب ليست لديهم خلفية تعليمية غربية أو شىء قليل من هذه الخلفية يتعارض مع الرأى الرسمى لكثير من علماء التربية فى الشمال فى ذلك الوقت. وسوف نرى تكرار هذه العملية بعد الاستقلال فى كلية عبد الله بايرو Bayero فى كنو.

حدث فى ذات الوقت إحياء عام للتعليم الإسلامى فى المدارس غير الحكومية، وبخاصة فى مدارس التعليم العالى التى يديرها المعلمون[1]، الذين يجرى تمويلهم تمويلا سخيا من قبل رجال المال والأعمال الشماليين الذين بدءوا يستفيدون من سياسات المواطنة التى تتبعها الحكومة، ويدركون أن التعليم الإسلامى يعد وسيلة من وسائل الوفاء بالإحسان والخير الذى يحث عليه الدين. فى بعض الحالات، كانت تتعالى بعض النغمات السياسية الفوقية. وفى عام ١٩٥٨ تقوم الجاليتان اللبنانية والسورية بالتبرع بحوالى ٣٠٠٠ جنيه إنجليزى، لبناء مدرسة إسلامية فى جوس تتسع لحوالى ٥٠٠ طالب.

---

(١) راجع بادن، جون، الدين والثقافة السياسية فى كنو، بركلى: مطابع جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٣.

فى منتصف خمسينيات القرن العشرين يدور بين الموظفين المدنيين من أهل الشمال "وقادة الفكر" قدر كبير من النقاش حول سلسلة طويلة من الموضوعات الخاصة بالمحكمة الشرعية ووضع المرأة. كانت تلك المناقشات تدور باللغة الإنجليزية أو بلغة الهوسا، ولكن جذور هذه المناقشات تضرب فى أعماق العلوم العربية القديمة، التى تلقاها كثير من هؤلاء الشبان طوال نشأتهم. هذه "الراديكالية" تعنى العودة إلى أصول الدين وأعرافه، ومحاولة تصنيف وإبراز هذه الاختلافات والفروق. وأشهر مثال على ذلك يتجلى فى سلسلة المقالات التى كتبها عيسى والى عن "الوضع الحقيقى للمرأة فى الإسلام"، التى نشرت على شكل سلسلة فى جريدة "النيجيرى الجديد" خلال شهرى يوليو وأغسطس من عام ١٩٥٦(١). والرجل من بين ما يقوله فى هذه المقالات يشن هجوما على تعدد الزوجات وعلى خلوة الزوجة. وعيسى والى هو ولد سليمان الكنوى Kano، ويعد من العلماء المتفقهين فى تفسير القرآن، والتاريخ الإسلامى والفكر الإسلامى أيضا.

المناقشات الدائرة حاليا حول الموضوعات والإصلاحات تعتمد اعتمادا كبيرا على المعارف القديمة ونحن عندما نسترجع الماضى لتأمله والاستفادة منه، نجد أن قوة أمين كانو، تتمثل وبلا أدنى شك، فى دوره السياسى، وربما أيضا تأثيره على جيل شباب الشمال، وترتبط بوضعه كباحث إسلامى من أعلى المستويات، أى قدرته على تفسير القرآن.

---

(١) راجع المقال الذى كتبه عيسى والى بعنوان "الوضع الصحيح للمرأة فى الإسلام". مجلة المواطن النيجيرى. بتاريخ ١١ يوليو من عام ١٩٥٦، ص ١. "ليس هناك مبرر لتعدد الزوجات". ٢١ يوليو من عام ١٩٥٦ ص ٣؛ "الإسلام يقر المساواة بين الجنسين" ١٨ يوليو من عام ١٩٥٦، ص ٦. "ماذا يفعلون فى البلدان الأخرى". ٨ أغسطس ١٩٦٤ ص ٥؛ " محمد أدان الوضع القديم للمرأة " ١٤ يوليو من عام ١٩٦٤ ص ٣. "الاختلاء بالنساء غريب على الإسلام". ٢٨ يوليو من عام ١٩٥٦، ص ٥؛ "المحظيات والعبيد. حقائق"، ٢٥ يوليو من عام ١٩٥٦، ص ٦.

هناك صحوة فى القطاعين الغربى وغير الغربى فيما يتعلق بالحاجة إلى التعليم الإسلامى. والعلاقات مع العالم الإسلامى التى تنتج عن الحج والروابط الأخرى، تعلق آمالا جديدة على مهارات اللغة العربية والمعارف المبنية على الإسلام. ومن داخل الإخوانيات الإسلامية tarikas، تبرز أشكال جديدة من الزعامات؛ هذه الأشكال لها صلة أو مرتبطة بالتعليم الإسلامى، بأشكاله المختلفة، كما تسعى هذه الزعامات أيضا إلى "تحديث" الخيارات داخل إطار إسلامى بدلا من الإطار الغربى. وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فى فترة ما بعد الاستقلال، ولكن أسس هذه الأشكال كلها جرى وضعها فى خمسينيات القرن العشرين، وهنا بدأ المستشار السياسى الرئيسى يدرك أن تنافسه الحقيقى فى التحديث لن يكون مع الجنوبيين، وإنما مع الشماليين داخل إطار الإصلاح الإسلامى، وبخاصة أن الكثيرين من هؤلاء الشماليين بدءوا ينظرون إلى محمد السنوسى، أمير كنو، على أنه زعيم.

٦- المؤسسات الدينية المحلية:

تتشابه سياسة المستشار السياسى الرئيسى بشأن المؤسسات الدينية المحلية مع سياسته فى الأشملة بشكل عام. ولذلك يحاول الرجل تطوير جبهة موحدة وتجنب الانقسامات الداخلية. وهو يرى أن الشمال إذا ما قسم دينيا على شكل مسلمين – مسيحيين، أو على شكل جماعات دينية متباينة، فإن ذلك قد يفضى بالشمال إلى التجزؤ إلى طوائف سياسية غير فاعلة. مفهوم الوحدة هذا هو الذى يشجع المستشار السياسى الرئيسى على التركيز على الوسائل التى يمكن بها تجميع الجماعات بعضها إلى بعض خلال الفترة الأخيرة من عهد الاستعمار. وفى ضوء تقارير لجنة الأقليات التى يشرف عليها البريطانيون فى تلك الفترة، نجد أن أعينا كثيرة كانت مركزة على الشكاوى التى كانت تأتى من الحزام الأوسط. (واقع الأمر، أن بعض المصالح السياسية كانت تحاول تأجيج مثل هذه الشكاوى) الشيء الذى لا يتضح للملأ هو تلك الانقسامات المتزايدة داخل المجتمع الإسلامى نفسه، وبخاصة عندما تتزعم كنو مسألة تشجيع الطريقة التيجانية، وذلك على حساب الطريقة القادرية التقليدية والتى ترتبط بولاية سكتو.

على المستوى الأصغر، نجد أن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى الشمال النيجيرى تتسم بتاريخ يقوم على التعاون، باستثناء قلة قليلة جدًا من حالات الصراع المباشر. كان منظور الحكومة الإقليمية الشمالية، فى ذلك الوقت يتمثل فى فكرة "أهل الكتاب"، التى أوجزها على (وزير الخدمات الاجتماعية الإقليمى) عندما كان يتحدث إلى المجلس الاستشارى الطبى الإقليمى فى عام ١٩٥٢: "أنتم وأنا، مسيحيون ومسلمون، "أهل كتاب" نتشارك فى كثير من المعتقدات. وينبغى ألا يصعب علينا طى خلافاتنا سويا يدًا واحدة لنهاجم الشرور التى تحيط بنا، ونهاجم الفقر، وسوء الحظ، واعتلال الصحة". ويستطرد الرجل فى كلامه إلى أن يأتى على ذكر الاحترام المتبادل الذى قام بين المسيحيين والمسلمين فى شمالى نيجيريا، ولكن الرجل يردف قائلا:

> **فى الماضى، الذى لم يحدث أن تعثر فيه الاحترام مطلقا، حدثت بعض الهنات التى لم يكن التفاهم فيها مكتملا. يبدو أن المسيحيين، يصعب عليهم إدراك أن المسلم مخلص لدينه، مثلما المسيحى مخلص لدينه أيضا، وأنه لا يقل استعدادا عن المسيحى فى ابتياع الراحة من أمراضه الجسدية على حساب روحه الأبدية. وتأسيسا على ذلك، يجب ألا نتوقع من حكومة بلد مسلم فى الأساس، أن تقوم بطريقه مباشرة أو غير مباشرة بتقديم الإعانات لبعثة تبشيرية مسيحية جُبِلَتْ على تخريب عقيدة الإسلام فى تلك المناطق التى ترسخت فيها هذه العقيدة لتصبح دينا للناس. وعلى العكس من ذلك يتعين علينا نحن المسلمين ألا نتسرع وننظر إلى كل إعلان عن النحلة المسيحية، سواء أكان ذلك فى مستشفى من مستشفيات البعثة التبشيرية أم فى مستودع من مستودعات الدواء، على أنه هجوم مدبر على ديننا،**

ويجب ألا ننكر على كثير من المــواطنين المــسيحيين
فى هذا الإقليم مظاهر الارتياح الدينى التى اختاروهــا
لأنفسهم ويرتاحون إليها[١].

فى عام ١٩٥٦، ومع وصول المنافسة إلى ذروتها مع الحزام الأوسط، ومع بروز "الحرية الدينية" كجزء من المناقشات الدستورية، تبدأ بعض التوترات فى الظهور على مستوى سكان المناطق الريفية. وقام زعماء حزب المؤتمر النيجيرى الشمالى (أنصار الإسلام) بإدانة "الميول الانفصالية" التى لدى المبشرين فى الإقليم الشمالى، والذين يلامون على الجو المضطرب القائم بين الشمال المسلم ومنطقة الحزام الأوسط[٢].

فى المنظومات الإماراتية، وبخاصة فى المحيط الجنوبى، نجد أن الجماعات المسيحية المحلية تشكو من ضعف التعاون مع السلطات المدنية، وراحت تنظم مجموعة أو سلسلة من ردود الفعل السياسية التى انتهت إلى صدور تقرير لجنة الأقليات. هذه الشكاوى فى إطار نظام الإمارات يغلب عليها أن تكون قادمة من إيلورين Iloein، ومن النيجر، ومن أدماوا، وزاريا. ومع ذلك هناك أيضا "أقليات" مسلمة مهمة فى المقاطعات التى من قبيل مقاطعة الهضبة، حيث توجد أقليات مسلمة مهمة فى كل من لافيا، ونصراوا، وكيفىَ Keffi[٣].

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٩ مايو، من عام ١٩٥٢، ص ٣ "المسيحيون والمسلمون يمكن أن يعملا سويا".

(٢) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ٣٠ مايو من عام ١٩٥٦، ص ١٢، "إدانة المبشرين فى مؤتمر إسلامى".

(٣) فيما يتصل بمسألة عدم التعاون بين المسيحيين والمسلمين تقول إحدى الروايات:

ترجع بدايات هذا التحرك غير الضار والذى كان كارثة بخلاف ذلك (أى هذه الحركة الانفصالية فى الشمال) إلى عام ١٩٤٩، عندما قامت مجموعة من المسيحيين الشماليين فى تودن ودا wada، فى زاريا وراحت تطالب السلطة المدنية فى زاريا بالسماح لها ببناء كنيسة فى تودن ودا حتى يوفروا على زوجاتهم وأطفالهم مشقة الذهاب إلى كنيسة وساسا والعودة منها. ورفضت السلطة المدنية فى زاريا إعطاء هذا التصريح. وهنا بدأت المتاعب. ولست أدرى إن كان ذلك الطلب بإيحاء من بعثات =

أعقب ذلك نقاش على صفحات الصحافة الشعبية، وفى المناقشات الدستورية. وبعد مزيد من التدقيق، جرى تأجيل المسائل الدستورية لأسباب مفادها أن الاستقلال يمكن أن يتأخر موعده إذا ما حدثت إعادة التنظيم على مستوى كبير فى نطاق حدود منظومات الحكم المحلى والإقليمى فى الشمال. مع ذلك، وترتيبا على ما سبق، فإن زعماء الشمال السياسيين الإقليميين، بمن فيهم المستشار السياسى الرئيسى كانوا يستشعرون مدى الحاجة إلى أن يبدون عادلين فى سياساتهم فى المناطق غير المسلمة من الشمال. فى بعض الحالات، كانت هناك محاولات لتوفير الأعمال لأشخاص مؤهلين من بين المسيحيين فى الشمال؛ وعندما كان المستشار السياسى الرئيسى يقوم بجولة فى الشمال جرت العادة أن يرافقه واحد من الوزراء المسيحيين (مثل بطرس أشيموجو، أو ميخائيل عودو بوبا)، أو بعض الموظفين المدنيين المسيحيين الشماليين (منهم دورلنج Durlong وأوينى Awoniyi على سبيل المثال).

= التبشير المسيحية الأوروبية. ولكن يمكن لنا افتراض أن الجماعات التبشيرية. قامت بناء على رفض السلطة المدنية إعطاء ذلك التصريح. بالترويج لذلك الاستياء وهى التى شجعت على حملة المتاعب هذه. إذ عقب ذلك الرفض مباشرة. انهالت الشكاوى على الحكومة الإقليمية ثم بعد ذلك إلى حاكم نيجيريا السير جون ماكفرسن. وقد بلغنى أن ماكفرسن فى رده على الشاكين، قال إنه بوصفه مسيحيا فهو يتعاطف مع هذه المجموعة ولكنه ليس فى وسعه فعل أى شيء نظرا لأن المشكلة أثارت بعض السياسات المتشددة وأحالت المجموعة إلى السلطة الإقليمية. وصلت الشكوى إلى لندن. واليوم يوجد كثير من الناس غير الراضين عن هذا الأمر. معروف أن المبشرين المسيحيين فى الشمال. بل وفى كل أنحاء الدنيا، منظمين تنظيما جيدا. وسواء صدّقت أو لم تُصدّق. فإنهم يتدخلون فى سياساتنا الداخلية من خلال هذه التنظيمات. من يمكن أن ينكر أن المناداة بالحرية الدينية، التى كانت أصداؤها تتردد فى اجتماعات المجالس المسيحية فى كل من جوس وفى الإقليم الغربى، بل وحتى الصياح الذى جاء على لسان رئيس فى النقاش الذى دار حول محكمة الاستئناف الإسلامية، لم تكن دليلا على وجود أصابع التنظيم التبشيرى المسيحى فى هذا الأمر؟ انتبهوا، أنا لست ضد الحرية الدينية. بل إنى أودها وأرغب فيها. ولكن ما أحاول لفت الانتباه إليه هو الخوف من أننا إن دونا فقرة فى دستورنا حول هذا الموضوع فذلك يعنى أننا استأصلنا هذه الحرية، وندعو إلى القلاقل. ونودع الحياة الآمنة المتناغمة. حركة الحرية الدينية يمكن أن تكون كارثة. بقلم دنباتا مجاجى. جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ٢٠ يونيو. من عام ١٩٥٦. ص ٦.

المستشار السياسى الرئيسى، بحكم كونه رئيسا لوزراء الإقليم الشمالى. يركز اهتمامه على "رسالة عيد الميلاد" السنوية، التى يؤكد فيها، فى معظم الأحيان، على الطابع الطفولى الذى تتسم به هذه المناسبة، ويركز فيها أيضا على العمل سويا على شكل وحدة واحدة حتى يمكن لأجيال الأطفال فى المستقبل أن يعيشوا سويا فى سلام وازدهار فى إقليم الشمال.

فى خطابه الذى ألقاه يوم عيد الميلاد فى عام ١٩٥٧، نرى رئيس الوزراء (أحمد بللو) يتناول مسألة العلاقات بين المسلمين والمسيحيين تناولا مباشرا، ويطلب من أهل الإقليم الشمالى أن "ينسوا خلافاتهم ولا يضعوا فى أذهانهم سوى أخوّة البشر أمام الله" ويحث الناس على أن المسلمين والمسيحيين يحب أن يتعايشوا فى سلام وأمان، ثم يردف قائلا: "قد تكون تبايناتنا كبيرة، ولكن الأشياء التى توحدنا أقوى بكثير من الأشياء التى تفرقنا..."(١).

يركز رئيس وزراء الإقليم الشمالى فى خطابه بمناسبة عيد الميلاد فى عام ١٩٥٩ على سياسة التسامح الدينى التى تنتهجها، ويعبر الرجل عن امتنانه للبعثات التبشيرية المسيحية لما تقدمه هذه البعثات للإقليم الشمالى. والنقاط الرئيسة فى هذا الخطاب الشعبى (الذى نقلته هيئة الإذاعة النيجيرية عشية عيد الميلاد) تعد جديرة بالاهتمام (الإضافات التى بالخط الإيطالى من عندياتى):

> **هنا فى شمالى نيجيريا... لدينا أناسا كثيرون من أعراق مختلفة، ومن قبائل مختلفة، ومن أديان مختلفة وكلهم متحدون بعضهم ببعض بالتاريخ المشترك، والمصالح المشتركة، والمثل المشتركة. قد يكون اختلافنا كبيرا ولكن الأشياء التى توحدنا أقوى من الأشياء التى تفرقنا. وفى مناسبة مثل هذه المناسبة أجدنى أذكر الشعب دوما بسياستنا التى تقوم على التسامح الدينى. والأسر**

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ٢٨ ديسمبر من عام ١٩٥٧، ص ١. "رسالة عيد الميلاد: رئيس الوزراء يقول: تناسوا الخلافات الدينية".

كلها على اختلاف نحلها ومذاهبها وألوانها يجب أن تعتمد على هذه التأكيدات؛ نحن لا نقصد محاباة دين بعينه على حساب دين آخر. ومن باب حفاظنا على القانون والنظام، فقد عقدنا العزم على أن يكون لكل إنسان مطلق الحرية فى ممارسة معتقداته طبقا لما يمليه عليه ضميره. ومن المناسب فى هذا اليوم المشهود، ونيابة عن وزارئى وبالأصالة عن نفسى أن أشكر وأعبر عن امتنانى للبعثات التبشيرية كلها. أنا أعرف أن الحكومة الإقليمية تحاول جاهدة مساعدة البعثات التبشيرية ماليا على شكل منح، وأعرف أيضا أن هذه المساعدات مكنت البعثات من توسيع مجال عملها. اسمحوا لى هنا أن أختم حديثى برسالة شخصية: وأنا أرسل تحياتى إلى المسيحيين من أبناء شعبنا بمناسبة هذا اليوم العظيم عندهم، يوم عيدهم. دعونا ننسى الخلاف بين الأديان ونتذكر أُخوّتنا أمام الله، وأن نكرس أنفسنا من جديد للأعمال الكبيرة التى تنتظرنا(١).

أدراك المستشار السياسى الرئيسى أن أى اضطراب ينتج عن أسباب دينية فى الشمال ستكون له نتائج وتداعيات بالغة الأثر على إستراتيجية "الجبهة الموحدة"، التى يحس الرجل أنها أمر ضرورى لتصحيح مظالم الفترة الاستعمارية فيما يتصل بالمحاباة الساحلية. ويواصل الرجل مسيرته طبقا لخطة "أهل الكتاب"، من منظور أن هذه الخطة أمر ضرورى لسياسته العامة، ومن منطلق احترامه الشديد لكثير من الأفراد الذين عمل معهم عبر السنين، سواء أكانوا من البريطانيين أم النيجيريين، الذين كانوا يدينون بالمسيحية. السؤال الذى كان يحيّر المستشار السياسى الرئيسى هو لماذا تفضل أية جماعة من الجماعات البقاء على وثنيتها فى الوقت الذى يمكن أن تدخل فيه فى الإسلام أو تعتنق المسيحية.

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٣٠ ديسمبر من عام ١٩٥٩. ص ١. "رسالة رئيس وزراء الشمال بمناسبة عيد الميلاد: التأكيد على سياسة التسامح الدينى التى تنتهجها الحكومة".

بينما كان الانتباه فى الشمال مركزا على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى هذه الفترة، كانت هناك ظاهرة أخرى لها احتمالات تداعيات بعيدة الأثر، هذه الظاهرة هى العلاقات التى بين الجماعات الإسلامية نفسها فى الشمال. ويبدو أن وعى الشعب لهاتين المسألتين لم يكن كما ينبغى، على الرغم من أن الضغوط بدأت تتجمع على مستوى المواطنين الريفيين، وهو ما يظهر فجأة ويستحوذ على الانتباه العام.

وتأسيسا على ذلك، يقوم أعضاء الشرطة المدنية فى أرجونجو، فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٥ بإلقاء القبض على حوالى ثلاثين عضوا من الطريقة التيجانية أثناء أداء الصلاة فى مسجد أرجونجو الكبير. وتقع بعض الإصابات، ويجرى تفتيش منزل الحاج أبو بكر، الزعيم المحلى للطريقة التيجانية، بحثا عن "خطابات إثارة الفتنة والشغب" الصادرة عن الشيخ إبراهيم كاولاك Kaolack. كان قد جرى قبل ذلك إلقاء القبض على أربعين شخصا آخرين من أتباع الطريقة التيجانية فى أرجونجو وحكم على كل واحد منهم بالسجن مدة شهر وذلك "لعرقلة الطريق" أثناء عودة الأمير من المسجد.

وفى شهر إبريل من عام ١٩٥٦، جرى قتل أربعة أفراد وإصابة الكثيرين فى مقاطعة سكتو (حى عيسى وحى زرمى)، نتيجة الاشتباكات التى دارت بين أتباع الطريقة التيجانية والطريقة القادرية. هذا الحادث أعقبه حادث آخر وقع فى بلدة يامبيكى Yambiki. وتروج فكرة مؤداها أن أتباع الطريقة التيجانية يحاولون منع أتباع الطريقة القادرية من أداء صلاة المغرب.

وفى عام ١٩٥٧ يتزايد التوتر بين الطريقتين التيجانية والقادرية، وبخاصة فى مقاطعة سكتو، وهنا تقوم الحكومة الإقليمية بتنفيذ سياسة التسامح الدينى، على أن يكون ذلك التسامح فى إطار القانون والنظام. لم تكن الحكومة الإقليمية تعارض التبشير الإسلامى الصادر عن التيجانية أو القادرية، ولم تكن الحكومة تعمل على حظر أى نشاط من هذه الأنشطة، وكانت الحكومة تتمنى ألا تستعمل سلطاتها فى منع الاختراقات التى ينجم عنها اضطراب أمن الناس وسلامتهم[١].

---

(١) فيما يتصل بالبيان الكامل الذى أصدرته حكومة الشمال الإقليمية، يرجى مراجعة جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٩ نوفمبر من عام ١٩٥٧، ص ١. "الحكومة توضح موقفها من المسألة الدينية".

هناك مضامين سياسية خطيرة لانتشار التيجانية بين أفراد الشعب، وهذا ينتج، وإلى حد بعيد، عن زيادة شعبية الشيخ إبراهيم نياس Niass الكولاكى، الذى بدأ يزور مقاطعة كنو (والشمال) اعتبارا من عام ١٩٥١(١). وعندما بدأت العلاقات الوثيقة تتوطد بين الشيخ إبراهيم ومحمد السنوسى فى كنو (قبل وبعد أن يصبح السنوسى أميرا)، نجد أن الشيخ إبراهيم يمثل أيضا حركة من حركات الإصلاح الجذرى، وهذه الحركة تركز على أهمية التعليم (باللغة العربية) كما تركز أيضا على الروابط الدولية. ويحظى الشيخ إبراهيم بالقبول عند جماعة كبيرة من شبان الشمال الذين لم تتح لهم فرصة الحصول على التعليم الغربى، والذين يمكن ألا تؤثر عليهم منظومة السلطة المحلية التقليدية، بالشكل التى كانت عليه فى فترة الاستعمار. اتصال السنوسى بالحركة التيجانية يهيئ له قاعدة على المستوى الريفى الأساسى تعطيه قدرا كبيرا من المساندة، كما سهلت له بزوغه فى ستينيات القرن العشرين باعتباره زعيما دينيا رئيسيا من وجهه نظره هو.

عملية التنافس بين التيجانية المعدلة (وبعد ذلك القادرية المعدلة، بزعامة نصير كبارا) والأشكال التقليدية لكل من التيجانية والقادرية، هى عملية أو محاولة سليمة، بالإضافة إلى أن تلك القلة القليلة من حالات العنف جرت إدانتها من قبل أولئك الذين يشغلون مناصب الزعامة. ونحن عندما نسترجع الماضى طلبا للدروس المستفادة نجد أن من الواضح أيضا أن تنظيم الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال كان يشجع على قيام بعض المصادمات المباشرة فى مقاطعة سكتو استهدافا لإحراج السلطان، بوصفه الزعيم التقليدى للقادرية، ودفعه إلى التطرف، الأمر الذى يجىء على شكل استهزاء بفكرة "التسامح الدينى"، عند مرحلة حرجة من المناقشات التى كانت تجرى حول الدستور فى عام ١٩٥٧ (٢). (هذا يعنى أن مجموعة من أتباع الطريقة التيجانية الشبان جرى إرسالها من كنو إلى سكتو، لخلق مواقف تحتم قيام السلطات بالرد عليها. كانت هذه المواقف فى المناطق التى لم تتأثر بالتاريخ فى سكتو، والتى من قبيل زمفارا أو أرجونجو).

---

(١) للمزيد عن تفاصيل هذه الزيارة، راجع كتاب بادن. جون الدين والثقافة السياسية فى كنو. الذى سبق الإشارة إليه.

(٢) نقاش غير رسمى مع أمين كانو، طوال سبعينيات القرن العشرين.

لم ينجر المستشار السياسى الرئيسى إلى مسألة العلاقات التيجانية القادرية فى خمسينيات القرن العشرين. تحالف الرجل الطبيعى، فى إطار السياسة التقليدية، ينصب على الوقوف إلى جانب السنوسى فى مواجهة السلطان. السنوسى شخصية بارزة فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وهو أيضا من بين الشخصيات البارزة فى الإقليم الشمالى. ومع ذلك، نجد أن المستشار السياسى الرئيسى لا يود توجيه أى نوع من الابتذال أو الاحتقار لمنصب السلطان، وتحدث بين أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى وتنظيم الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مشادة بشأن هذا الأمر. كان المستشار السياسى الرئيسى يبحث دوما عن وسائل تجميع الناس بعضهم إلى بعض خلال ستينيات القرن العشرين، وكان الرجل يحاول لعب دور الوسيط.

فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٩، يساند المستشار السياسى الرئيسى فى الجمعية العمومية مشروع القانون الذى سيطلق سراح المعلم سعيد بن حياه، الذى كان منفيا ومحددة إقامته فى منزله طوال خمسة وثلاثين عاما بناء على تعليمات من السلطة الاستعمارية التى تشككت فى أنشطته المرتبطة بالحركة المهدية فى السودان. ومعروف أن سعيد بن حياه من نسل الشيخ عثمان بن فودى، وهو يعد زعيم الحركة المهدية فى نيجيريا. ويجرى تحرير سعيد بن حياه من القيود، باعتبار ذلك جهدا من الجهود المبذولة فى سبيل "الوحدة" عشية الاستقلال. وعلى الرغم من ذلك لم يشجعوا الرجل على الاستقرار فى سكتو، الأمر الذى جعله يواصل إقامته فى كنو[١].

يبدأ ظهور دور المستشار السياسى الرئيسى كوسيط بين الأحزاب الإسلامية، فى البروز فى عشية الاستقلال، عندما تحال المناقشات المحلية والنزاعات المحلية إلى كادونا طلبا للمشورة. وقد جرت العادة أن يستأنس المستشار السياسى الرئيسى برأى كل من هاليرو بنجى وأبو بكر جومى فى العمل كوسطاء. من هنا، فإن السكان المحليين استدعوا أثناء النزاع الذى دام أربع سنوات

---

(١) راجع سعيد، أسماء جاربا، "سيرة الشيخ سعيد بن حياه: الأمير الملكى المنفى ١٩٢٣ – ٥٩"، رسالة لدرجة البكالوريوس، جامعة بايرو. كنو، قسم التاريخ، يونيو ١٩٨٣.

على إمامة مسجد إجبيرا الكبير اثنين من الوسطاء هما: هاليرو بنجى (منظم الدراسات العربية) وأبو بكر جومى (من مدرسة الدراسات العربية فى كنو)، ليستمعا إلى شهادة المتنافسين على إمامة ذلك المسجد وهما: عبد الرحيم يحيى تاج الدين (الذى يشغل وظيفة الأمام) والحاج أحمد روفاى، الذى يقول إنه هو الأحق بالإمامه. بعد أن استمع الشيخان بنجى وجومى إلى ما قاله المتنافسان، قررا أن أحدًا منهما لا يصلح لتولى إمامة المسجد، وأوصيا بأن يحل موسى جلاديما محلهما. ووافق السكان المحليون، وجرى إلباس الرجل عمامة الإمامة بواسطة أبو بكر جومى، "باسم رئيس وزراء الشمال، السير أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى فى سكتو".

يرى المستشار السياسى الرئيسى دوره فى المجال الدينى خلال هذه الفتـــــرة على أنه قوة للتوحيد.

وعندما أيد الأمير السنوسى زعامته وبعد استيائه من نقل السلطات من الأمراء إلى الحكومة الإقليمية، يصبح ذلك الدور التوحيدى الذى يقوم به المستشار السياسى الرئيسى أمرا أكثر صعوبة.

٧- القيم الدينية والزعامة:

لم ينظر المستشار السياسى الرئيسى إلى نفسه باعتباره زعيما دينيا فى تلك الفترة، وإنما كان يعد نفسه زعيما سياسيا، أو بالأحرى يقوم بزعامة عامة متعددة الأبعاد. لم تكن الزعامة الدينية قد برزت بعد على المستوى الإقليمى،؛ يضاف إلى ذلك أن الباحثين الشباب فى اللغة العربية الذين تعلموا فى لندن وتلقوا تعليمهم بالإنجليزية، مثل هاليرو بنجى وأبو بكر جومى كانوا يعدون جزءا من الخدمة المدنية: الزعامة الدينية موجودة فقط على المستوى المحلى، حيث يلقى الأئمة والفقهاء احتراما كبيرا. وينظر للدور التاريخى لكل من سلطات سكتو وشيخ برنو، فهما يعدان مرجعان دينيان كل فى مجاله. وشيخ برنو رجل متقدم فى السن ويندر

أن يسافر خارج برنو. والسلطان يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياسة البريطانية التى تقوم على الحكم غير المباشر فى الشمال، على الرغم من أن منصب السلطان يُنظّر إليه على أنه "أمير المؤمنين" Sarkin Musulmi. فى الإطار السكانى الأوسع فى الشمال، يعرف الناس المستشار السياسى الرئيسى على أنه "الزعيم الظـــافر"، وليس مصلحا دينيا. (وهذا ما سنناقشه فى الفصل الحادى عشر).

مع ذلك هناك عنصر آخر فى عملية ارتفاع المستشار السياسى الرئيسى إلى مستوى الزعامة الدينية فى فترة ما بعد الاستقلال. يتمثل هذا العنصر فى توحُّد هذا الرجل المتزايد مع أسلاف فترة الجهاد. ونظرا لأن المستشار السياسى الرئيسى ليس فقيها دينيا أو زعيما روحيا، فهو يفضل التوحد مع محمد بللو، الذى اشتهر بدعمه للخلافة وتأسيسها كمنظومة من منظومات العمل. هذه الهوية البللية Bello، تؤكد أيضا على ارتباط الرجل بسلالة بللو (وذلك من باب التقابل مع سلالة أسرة العتيق)، وذلك من منظور أن المستشار السياسى الرئيسى مازال مرشحا لتولى السلطنة طوال هذه الفترة. (من المتفق عليه أنه لو مات السلطات خلال هذه الفترة، لكان أحمد بللو أبرز المرشحين لتولى هذا المنصب).

فى الفترة من ١٩٥٨ – ١٩٥٩، يبدأ المستشار السياسى الرئيسى فى استعمال اسم "أحمد بللو" بصورة متكررة، وبدأ ذلك الاسم يظهر فى الشعر الشعبى. ويبدأ ذلك الشعر الشعبى فى تتبع نسب هذا الـــرجل Salsala إلى أن يرده إلى النبى محمد (ﷺ). وهذا بحد ذاته يعد ميراثا زعاميا روحيا. رد علاقات السلالة النسبية إلى حركه الجهاد (نظرا لأن المستشار السياسى الرئيسى لم يزعم فى ذلك الوقت أنه من نسل النبى) ربما كان نتيجة لزيادة اتصالات الرجل بالأشكال الدولية للإسلام، وبخاصة المملكة العربية السعودية، حيث يوجد جزء من شرعية هذا الرجل متمثل فى موروث الجهاد فى غرب إفريقيا. معروف أن السلالات السعودية محددة تحديدا جيدا، كما أن تسمية الرجل بلقب "بللو" Bello يقلل من شرعية نسب الرجل.

في نطاق إطار ولاية سكتو، نجد بعدا روحيا في تصرفات وأعمال أحمد بللو. فالرجل يزور مقابر أسلافه في كل زيارة من الزيارات التي يقوم بها إلى سكتو. يضاف إلى ذلك ولاءه للسلطنة، ينتج عنه دور ديني قوي. (وقد سبق أن تناولنا الفرق بين دور التفقه في الدين، وهو ذلك الدور الذي تنهض بأعبائه عائلة الوزيري، ودور الزعامة الروحية الذي يعد جزءا من تنظيم السلطنة).

مع ذلك، حدث في عام ١٩٥٩ تغير وتحول في احتمالات وصول أحمد بللو المستشار السياسي الرئيسي إلى السلطنة. واستنادًا إلى عيسى كيتا، عندما كان بصحبة أحمد بللو في سكتو لحضور احتفالات الحكم الذاتي (مارس ١٩٥٩)، قام المستشار السياسي الرئيسي بإقامة حفل غداء للجميع... الأمراء والوزراء. وبعد تناول الغداء انصرف عيسى كيتا هو والمستشار السياسي الرئيسي ودخلا وحدهما في غرفة من الغرف، وقال أحمد بللو: "لم أتوقع قط حدوث ذلك. بينما كنت جالسا قال لي أحد المعلمين: 'أنت لا يمكن أن تكون مطلقا سلطانا في يوم من الأيام، ولكن السلطان سيأتي إلى منزلك ويصبح بوسعك أنت أن تستدعيه'. حسبت ذلك الرجل مجنونا أو مخبولا. لم يخطر ببالي قط أن ما قاله يمكن أن يحدث"[١].

استنادا إلى ما قاله عيسى كيتا، تعد صلاة الاستخارة عملا عاما في سكتو للتنبؤ بالمستقبل. كان أحمد بللو يؤمن بالاستخارة، وكان كلما خرج أو سافر يقابل واحدًا أو اثنين من المُعلِّمين. أو كان يقوم بنفسه بهذه الصلاة. ففي ساعة متأخرة من الليل يصلي الرجل ركعتين، ويتلو شيئا من القرآن، ويطلب من الله أن يبين له إن كان العمل المقصود خيرا أم شرا[٢].

إحساس المستشار السياسي الرئيسي بألا يكون سلطانا، والذي دعمته استشارة المعلمين، ربما يكون هو الذي حدا بالرجل إلى تصريف طاقاته في دوره الإقليمي بصفته "رئيسا لوزراء الشمال". في أواخر فترة الاستعمار، لم يكن لذلك أية مضامين دينية؛ بل كان الأمر على العكس من ذلك تماما. هذا الدور سوف يتحدد بصورة أدق في فترة الاستقلال إلى حد ما.

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ٢٦ نوفمبر من عام ١٩٨٤، كادونا.

(٢) المرجع السابق.

تجلِّى زعامة المستشار السياسى الرئيسى فى مسائل الحج ربما يكون هو الذى قوَّى صورة هذا الرجل فى أذهان الناس على أنه زعيم بالمعنى الدينى لهذا المصطلح. افتقار المستشار السياسى الرئيسى إلى التحدث بالعربية يعنى أن الرجل يعتمد اعتمادًا كبيرا على أبى بكر جومى فى بعض الأمور الخاصة بالسياق الإسلامى الدولى؛ اعتماد المستشار السياسى الرئيسى على أبى بكر جومى شبيه باعتماده أيضا على وزيرى جنيد فى بعض الأمور المحلية والإقليمية. يضاف إلى ذلك أن وزيرى جنيد يُعد بمثابة ضابط اتصال دولى أيضا مع المستشار السياسى الرئيسى.

ثقة المستشار السياسى الرئيسى بنفسه كزعيم، وناطق باسم موروث إسلامى قيم فى غرب إفريقيا، لها تأثير على طريقة تعامله فى إطار اتصالاته الإسلامية الدولية، وبخاصة مع العالم الغربى. الرجل على قناعة تامة بأن موروث خلافة سكتو الإسلامى هو موروث حقيقى مثل موروثات العالم الغربى. احترام الرجل لهذه المسألة وتفاخره بهذا التراث أصبحا أمرين مهمين فى إعادة تحديد وتشكيل نظرة العرب إلى أهل غرب إفريقيا. هذا هو المستشار السياسى الرئيسى يطالب بالاحترام، ويجاب إلى طلبه، بأن يحظى على الاحترام المطلوب داخل العالم العربى الإسلامى الأوسع. يضاف إلى ذلك أن علاقة أحمد بللو الوثيقة بولى العهد الأمير فيصل، والتى تسهلت بفضل حديثهما بالإنجليزية، تقوم على المساواة فيما بينهما، أو بالأحرى هى علاقة ندين. هذا يعنى أن العالم العربى بدأ ينظر إلى غرب إفريقيا من خلال منظار جديد.

الطريقة العامة التى جعلت غرب إفريقيا على اتصال أوثق مع العالم الإسلامى الأوسع جاءت فى واقع الأمر من نتائج الحرب العالمية الثانية، والتطورات والتغييرات التى طرأت على علاقات القوى، وعلى عملية إنهاء الاستعمار، وزيادة وسائل النقل. وهنا يتعين القول: إن إبراهيم نياس السنغالى كان واحدا من كبار زعماء غرب إفريقيا المسلمين، وهو الذى أدى إلى توثيق علاقات غرب إفريقيا مع العالم الغربى المسلم. إبراهيم نياس هذا هو الذى بدأ يتولى أدوار

الزعامة الدينية فى نيجيريا فى هذه الفترة[1]. ارتباط إبراهيم نياس هذا ارتباط نشط بالطريقة التيجانية، بوصفه زعيما من زعماء الطريقه التيجانية بعد إصلاحها، هو

---

(١) للمزيد عن موضوع إبراهيم نياس وعلاقته بشمالى نيجيريا، يرجى مراجعة كتاب بادن Paden، جون المعنون: الدين والثقافة السياسية، فى كنو. بركلى، مطابع جامعة كاليفورنيا فى عام ١٩٧٣ فى الفصلين ٢ – ٣. بعض جوانب اتصالات إبراهيم نياس الباكرة مع شمالى نيجيريا يمكن ايجازها فيما يلى:

إبراهيم نياس (المولود فى عام ١٩٠٠ والذى توفى فى عام ١٩٧٤) واحد من شيوخ الولف Wolof المقيمين فى كاولاك Kaolock فى السنغال – الدعم الذى يأتى لهذا الرجل من خارج السنغال، مصدره الرئيسى شمالى نيجيريا. إبراهيم نياس هذا من عمال صب الحديد، ولكنه يدعى اتصال نسبه بالنبى محمد (ﷺ) عن طريق سلالة نسبية من المغرب. وإبراهيم واحد من أحفاد رفاق مؤسس الطريقة التيجانية فى مطلع القرن التاسع عشر. والد إبراهيم هو عبد الله، وهو أحد الزعماء البارزين فى الطريقة التيجانية فى سنجامبيا Senegambia. قبل الحرب العالمية الثانية يصبح إبراهيم شيخا لعبد الله بايرو. وأميرًا لكنو، ثم أمير أيضا لمحمد السنوسى.

يمر إبراهيم نياس على كنو أثناء قيامه برحلة الحج، ويشكل الرجل شخصية كارزمية تساعد على توحيد أحزابا مختلفة من الطريقة التيجانية فى كنو. ثم يمر إبراهيم نياس خلال كنو مرة ثانية فى عام ١٩٤٤ وهو فى طريقه لأداء فريضة الحج ويجرى الرجل المزيد من الاجتماعات مع الأمير. بعد الحرب يسافر بعض شباب كنو إلى كاولاك للدراسة على يد إبراهيم نياس. وفى عام ١٩٥١ يجيء إبراهيم نياس مرة ثانية إلى كنو وهو فى طريقة إلى مكة، ويظهر الرجل للمرة الأولى أمام حشد عام فى كنو، مما يؤدى إلى المزيد من التدعيم لوضعه فى كنو، من ناحية، وتدعيم وتقوية روابطه مع محمد السنوسى من الناحية الأخرى. ثم يزور الرجل كنو مرة أخرى فى عام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ وهو فى طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج. وهنا يتبوأ السنوسى منصب الأمارة فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٣. وبذلك تصبح لإبراهيم نياس علاقات قوية مع غرب إفريقيا، وشمال إفريقيا، والشرق الأوسط، ويصبح الرجل بمثابة همزة الوصل بين تيجانيه غرب إفريقيا والعناصر الدونية لهذه الطريقة. موقف الرجل "المعدل" من الإسلام له علاقة بالتركيز الشديد على "التحديث" و"التعليم". ولكن الرجل يشجع على تعلم اللغة العربية باعتبارها وسيلة لتحقيق هذين الهدفين. وفى شمالى نيجيريا يتحدى ابراهيم نياس بعضا من زعماء الطريقة التيجانية التقليديين. ومن بينهم الأمير جعفر فى زاريا الذى لا يتحرك مع الأزمان أو يسايرها. ويتحول إبراهيم نياس إلى نموذج دورى جذاب فى أعين كثير من الشبان الشماليين "الذين لم ينالوا قسطا من التعليم الغربى". والرجل كاتب محترف فى المسائل الإسلامية. ويصبح الأمير السنوسى الممثل الرئيسى لإبراهيم نياس فى شمالى نيجيريا.

الذى يقلل من قبول هذا الرجل لدى السلطات السعودية، التى هى من حيث المبدأ تعارض الطرق الصوفية، وأن هذه المعارضة جزء من موروث هذا السلطان الوهابى. معروف أن إبراهيم نياس له قدرة فريدة على الارتباط بالمجتمعات الإسلامية الأكبر، بما فى ذلك المؤسسة السعودية نفسها. ولما كان إبراهيم نياس يؤدى فريضة الحج مع الأمير السنوسى هو والمستشار السياسى الرئيسى، وأنهم يسافرون سويا لأداء هذه الفريضة فى معظم الأحيان، فإن ذلك ستكون له مضامين ومدلولات كثيرة فى فترة ما بعد الاستقلال.

يبدأ رئيس وزراء الشمال فترة زعامته للشمال تحت اسم "أحمد المستشار السياسى الرئيسى" Sardauna، وفى عشية الحصول على الاستقلال أصبح يلقب "الحاج أحمد بللو". ومع ذلك، نجد أن متطلبات تدعيم المجتمع فى الإقليم الشمالى هى التى منعته من الانخراط فى أدوار دينية مباشرة فى ذلك الوقت. الرمزية المتعددة لزعامة أحمد بللو، هى التى أدت إلى التأويل، فى بعض الأحيان، الذى مفاده أنه قد يكون نسخة حديثة من المصلح الإسلامى.

الفصل العاشر

دعم مجتمع الشمال

١ـ آراء فى الإقليمية:

عشية الاستقلال كان الإقليم الشمالى من نيجيريا أكبر وحدة سياسية فى إفريقيا كلها، باستثناء مصر، فيما يتصل بالسكان. فى هذا الإقليم الشمالى مئات اللغات ومئات الجماعات العرقية، وعناصر دينية متباينة، وموروثات تاريخية متضاربة. من هذا الخليط من الأشياء غير المتجانسة، يحاول المستشار السياسى الرئيسى خلق مجتمع سياسى متلاحم. وهنا تعترضه عقبات كثيرة.

تتشابه نظرية المستشار السياسى الرئيسى فى تشكيل المجتمع مع تلك النظرية التى كانت سائدة فى زمن الخلافة فى سكتو، وتتمحور هذه النظرية حول بعض المبادئ الرئيسية:

١) تحديد أهداف وأغراض عامة للمجتمع.

٢) تشجيع الشبكات كبيرة الحجم على نحو أكبر من المجتمعات الصغيرة.

٣) استعمال الأسرة ومنظومة الفئة السنية فى الربط بين المجتمعات المختلفة.

٤) الربط بين المجتمعات عن طريق "المداخل" أو الوسطاء.

٥) حماية "الحدود" بمراكز متقدمة يقيم فيها الموالون.

٦) استخدام العلاقات والصلات الفكاهية لتخفيف التوترات.

٧) إنشاء تحالفات والسيطرة على المنافسين المعارضين.

٨) معاملة الوحدات التكوينية معاملة عادلة تقوم على المساواة.

٩) تطوير عاصمة جديدة لتكون رمزًا للمجتمع.

هذه المبادئ سيجرى شرحها وتوضيحها فيما يلى، كما سندرس أيضًا معالجات المستشار السياسى الرئيسى لكل قطاع من القطاعات الرئيسية فى الإقليم الشمالى.

الهدف والغرض المشترك الذى يميزه المستشار السياسى الرئيسى بأنه هو الذى يوحّد الإقليم الشمالى يتمثل فى الإحساس بالظلم فى مجال التنمية، والرجل يقدم من الأدلة ما يثبت أن أهل الشمال عانوا من هذا الظلم على أيدى النظام الاستعمارى. والبريطانيون أنفسهم هم مرتكبو هذا الظلم، كما أن النيجيريين الجنوبيين هم المفضلون وهم أيضًا الذين يمشون فى ركاب، بل هم خدم الفترة الاستعمارية. هذا الجدل يصدق على كثير من المجتمعات فى الشمال، بل إنه مبدأ رئيسى. يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى يحاول تأكيد وتثبيت الإحساس بالاحترام الثقافى المرتبط بماض تاريخى؛ وأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يحس أن ذلك الاحترام الثقافى هو الذى يربط أهل الشمال بعضهم إلى بعض فى مصير واحد. والرجل يصر على أن الشمال من حقه المحافظة على هذه العناصر، عناصر ثقافة وتاريخ الجنوب التى لها معناها ومغزاها.

ميل المستشار السياسى الرئيسى إلى منظومات الصّهر الكبيرة بدلاً من منظومات الشطر الصغيرة، يعنى أنه على الرغم من الشكليات المظهرية، إلا أن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى هو الناطق الرسمى الرئيسى بلسان معاداة القبلية فى الشمال. وإذا كان أحمد بللو (المستشار السياسى الرئيسى) يقبل بفكرة المجتمعات التاريخية (التى عادة ما تقوم على اللغة أو القرابة) باعتبار أن هذه الفكرة هى المستوى المحلى للمجتمع السياسى إلا أنه مصمم على خلق مجتمع يتسامى عن هذه الخصوصيات. والرجل يشير إلى "مجتمع الشمال" Jama"ar Arewa باعتباره مجتمعًا متعدد الأجناس. والشخصية الجديدة التى يريد الرجل إيجادها هى شخصية "الشمالى" dan Arewa، التى تتسامى عن مسائل القبلية والدين، أو المنطقة. هذه الفكرة تقوم على مجتمع ناطق كله باللغة الإنجليزية على الرغم من أن لغة الهوسا هى لغة التعامل فى الوقت المناسب. وهذا لا يعنى أن المجتمع مجتمع "هوسوى".

يستعمل المستشار السياسى الرئيسى المنظومة الأسرية فى تدعيم هذا المعنى الجديد. ومع بداية ظهور الاختلاط بين عناصر الشمال، وبخاصة فى عاصمة كادونا، تبدأ أيضًا تحالفات جديدة عن طريق الزواج، وهو ما يعكس إحساس الشمال بالمجتمع. وهذا هو المستشار السياسى الرئيسى يرتب لحالات زواج بين أسرته وبين كبار الشخصيات فى كنو. وهناك حالات زواج أخرى تربط بين أدماوا وجواندو Gwandu، أو بين كاتسنا وسكتو. بل إن هناك روابط مهمة أيضًا بين سكتو وبرنو. هذا الزواج يغلب عليه الالتزام بالخطوط الدينية، وبالتالى فإن الجماعتين الفرعيتين الرئيسيتين اللتين تبرزان فى الشمال هما المجتمع المسلم والمجتمع المسيحى.

تستخدم منظومة التدرج السنى المضاعف فى ربط المنظومة الشمالية، نظرًا لأن الشباب والكبار يختلطان بعضهما ببعض على نحو إستراتيجى يؤدى إلى خلق مهارات التكافل والخبرة فيما بينهم. يضاف إلى ذلك أيضًا أن حركة الشباب المتعلم من الناس، فى سائر أنحاء المقاطعات المختلفة، ليست سوى سياسة محسوبة لتعريض هؤلاء الشباب إلى المجتمع الأكبر، بدلاً من الإبقاء عليهم بطبيعتهم المحلية فى مواطنهم التى يقومون فيها.

فكرة "المداخل" إلى الزعماء التقليديين سبق أن ناقشناها فى الفصل السادس، ولكن هذه الفكرة تعد جزءًا من منظومة أكبر من الوسطاء فيما بين المستشار السياسى الرئيسى والمقاطعات المختلفة. فى بعض الحالات نجد هؤلاء الوسطاء يعملون بصفتهم ممثلين للمستشار السياسى الرئيسى وليسوا من منطقة بعينها. (وهذا سيصبح بمثابة منظومة المفوض المحلى فى ستينيات القرن العشرين، حيث نجد هؤلاء المفوضين يعملون "ضباطًا للاتصال"). فى بعض الحالات الأخرى، نجد هؤلاء المفوضين مجرد أناس محليين جرى إشراكهم فى المنظومة الإقليمية، ولكنهم يحتفظون بمصداقيتهم على المستوى المحلى، ومن ثم فهم يربطون المنظومة الفرعية بمنظومة المجتمع الأكبر (وبخاصة الرؤساء الإقليميين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى).

فكرة "الحدود" قد تبدو غريبة على المجتمع الإقليمى على المستوى الوطنى الصغير، ولكن حدود الشمال يجرى تعزيزها وتقويتها من خلال سيادة الأشملة على اختلاف أنواعها، نظرًا لأن هذه السياسة تعلق أهمية كبرى على المواطن. ونظرًا لأن المنظومة الوطنية تقوم فى المكان الذى تلتقى عنده الحدود، فإن مفتاح الأمر كله يصبح فى ليجوس. المستشار السياسى الرئيسى يعين أناسًا مخلصين وموالين يتشاورون مع ليجوس ويخوضون معارك "الحدود" إذا ما تطلب الأمر ذلك. كان من عادة أحد وزراء الشمال الفيدراليين القول: "الأفضل أن يقف المرء على رأس الثعبان بدلاً من الوقوف على ذيله". يضاف إلى ذلك أن ليجوس ليست مكانًا مفرحًا أو آمنًا للشماليين، وأن قلة قليلة من الشماليين هى التى تذهب إلى ليجوس بمحض إرادتها. ومع ذلك هناك إحساس بالولاء للمجتمع الشمالى الذى يقدر هذه التضحيات.

يجرى التعامل مع التوترات التى تقع داخل المجتمع الشمالى عن طريق العلاقات الفكاهية، وبخاصة عندما تتعلق تلك التوترات بصراع جرى فى الماضى، كما هو الحال بين الفولانيين والكانوريين، أو بين الفولانيين والتيف Tiv، أو بين الهوسا والجوارى، إلخ. على المستوى الفردى، وعلى المستوى الجماعى أيضًا نجد أن هذه النكات يجرى تطويرها ورسم نمط معين لها، وبذلك تخفف من تلك التوترات. والمستشار السياسى الرئيسى شهير بقدرته على إدارة العلاقات الفكاهية، التى من قبيل نوعية نكات كنو – سكتو، أو من نوعية سكتو – برنو، أو حتى من نوعية سكتو – الحزام الأوسط.

نظرية بناء التحالفات على إدارة المنافسين المعارضين والتحكم فيهم سيجرى التعامل معها بالمزيد من التفصيل فيما بعد، ولكن المستشار السياسى الرئيسى يتسود هذه التقنيات، لا بين القطاعات الرئيسية فى المجتمع الشمالى، وإنما بين القطاعات الصغيرة والهامشية جدًا فى المجتمع. أسلوب المستشار السياسى الرئيسى "فى خطب ود" الزعماء المحليين الكبار يرجع إلى حسبة عنيدة فيما يتصل بميل الزعماء المحليين إلى الإغواءات أو الإغراءات.

مسألة المساواة فى المعاملة بين الوحدات التكوينية قد يدور حولها الجدل عند تطبيقها، ولكن السواد الأعظم من المراقبين يتفقون على أن هذه المسألة كانت مبدءًا رئيسيًا من مبادئ الحكومة الإقليمية الشمالية بشكل عام والمستشار السياسى الرئيسى بشكل خاص. الموظفون المدنيون لهم بطاقات إنجاز، كما يجرى أيضًا تسجيل الإعانات التى تقدم لكل مقاطعة من المقاطعات. (وسوف نتناول هذا بالمزيد من التفصيل فيما يلى).

أخيرًا فإن مسألة التطوير الواعى لعاصمة جيدة ترمز لمجتمع جديد، تعد مطلبًا رئيسًا من مطالب الإحساس بالوحدة فى الشمال. من هنا نجد كادونا تصبح وطنًا ثانيًا لكثير من الشماليين، كما تصبح عقدة أيضًا تنساب من خلالها البضائع والرسائل والناس. هذا يعنى أن كادونا جرى تصميمها بطريقة حديثة لترمز إلى أهداف الحكومة الإقليمية، ومع ذلك فهى تستوعب كثيرًا من الأنماط الثقافية الشمالية من خلال النمط السكنى المجاور لها. هذا يعنى أن كادونا لا ينظر النيجيريون إليها على أنها مدينة لجماعة بعينها؛ واقع الأمر أن جوارى Gwari هى التى تضم جماعة من السكان الأصليين، ومع ذلك فهى مدينة للنازحين إليها من كل أنحاء الشمال، بل ومن كل أنحاء البلاد بصفة عامة.

فى خمسينيات القرن العشرين نجد أن فكرة "الإقليمية" يدور من حولها جدل كثير (ويستمر ذلك الجدل إلى ما بعد ذلك)، ولكن مبادئ وممارسات تدعيم المجتمع لها وزنها فى تفهم المستشار السياسى الرئيسى من ناحية، وتفهم تاريخ نيجيريا من الناحية الأخرى، والسبب فى ذلك أن هذه المبادئ تصبح جزءًا من ثقافة الشمال السياسية.

يرى المستشار السياسى الرئيسى المكونات الرئيسية للشمال، أنها تتمثل، من الناحية العملية، فيما يلى:

١) إمارات مقاطعات الخلافة السُكُتيَّة (أدماوا، باوتشى، بدا Bida، إيلورين، كنو، كاتسنا، سكتو، ثم زاريا).

٢) برنو.

٣) مقاطعات الحزام الأوسط (كبًا، الهضبة، بنيو Benue).

يحس المستشار السياسى الرئيسى أنه يمكنه الاعتماد على القسم الأكبر من الإمارات فى نظام الخلافة القديم فى سكتو، على الرغم من أن كنو عبارة عن ذلك الجزء من تلك المنظومة، الذى يقترب إلى حد بعيد جدًا من أن يكون له دور ذاتى شبه مستقل، بسبب وضع كنو المدنى، وبسبب ثرائها وقوتها وتاريخها الذى يقوم على الزهو بذاتيتها واستقلالها الخاص بها. يضاف إلى ذلك أن كلا من كاتسنا ودورا Daura على ود مع المستشار السياسى الرئيسى، ولكن زاريا لها دور غامض وغير واضح، بسبب سياساتها الداخلية، وبسبب بتر كادونا عن زاريا. والناس ينظرون إلى باوتشى باعتبارها حدًا من حدود المنظومة القديمة، ومن ثم فهى موالية ولاء خاصًا. وإيلورين ينظر الناس إليها على أنها مُفَجِّرَةٌ للمشكلات نظرًا لتداخل الثقافات السياسية مع الإقليم الغربى، ولكن فى المنظومة القديمة كانت إيلورين "حدًا"، وكان ولاؤها أمرًا مفروغا منه.

فى عام ١٩٥٩ نجد أن مشكلة شمالى الكاميرون الخاصة تصل إلى ذروتها، بعد إجراء أول استفتاء لتحديد ما إذا كان أهل هذه المنطقة يودون الانضمام إلى نيجيريا أو يستمرون تحت الوصاية إلى أن يفكروا فى خيارات أخرى. هذا بحد ذاته يصبح تحديًا مهمًا للمجتمع الشمالى، وبعد الفشل فى ضم هذه المنطقة فى عام ١٩٥٩، نجد المستشار السياسى الرئيسى يبذل جهودًا مضنية للتأثير على نتيجة الاستفتاء فى عام ١٩٦١.

نجد أيضًا أن المشكلة الدستورية للأقليات تشكل طوال هذه الفترة تحديًا آخر لفكرة المجتمع الشمالى.

وهذه هى "لجنة ولنك Willink للأقليات" تستجيب لمسائل الولايات المنفصلة فى الشمال، ولكن أثناء التنفيذ، يزداد سقف التوقعات وتتضارب بعضها مع بعض.

نجد أيضا أن إستراتيجية التكامل التى ينتهجها المستشار السياسى الرئيسى مع مجتمع الشمال، تقوم فى أساسها على تكامل الصفوة، وبمقتضى هذه الإستراتيجية يرتبط كل قطاع من القطاعات بالكل الأكبر عن طريق منظومة تمثيلية، تمثل الزعامة شبه الإقليمية. وفى مرحلة لاحقة (أى بعد الاستقلال) تجرى

محاولة لتحقيق نوع أشمل من أنواع التكامل "الجماهيرى". لم تكن خطة المستشار السياسى الرئيسى للقيام بجولة فى الشمال، سواء قبل أو بعد الاستقلال - وعلى الرغم من ضعف تسهيلات البنية الأساسية - بمثابة اتصال على مستوى الصفوة لاستبعاد المواطنين العاديين الأصليين. معروف أن السياسة الانتخابية تحتم أن تكون الأحزاب كلها أحزابا "جماهيرية"، يضاف إلى ذلك أن الحملات الانتخابية المستمرة (والتى تحدث على مدى عامين تقريبا طوال هذه الفترة)، تتيح للمستشار السياسى الرئيسى مخاطبة الاجتماعات الشعبية فى كل قرى ومدن الشمال.

يصر كثير من المراقبين المشاركين المقربين، فى هذه الفترة، على أن المستشار السياسى الرئيسى لا يطور لغة الهوسا باعتبارها لغة للشمال، وإنما هى تتطور باعتبارها ظاهرة مستقلة. هناك شيء من الجدل حول أن الناس لم يأسفوا لتعلم لغة الهوسا أو استعمالها وأنها كانت مفيدة جدًا فى حيواتهم اليومية. كان التكلم بلغة الهوسا فى شكلها "السوقى" market (أى مستوى الكلمات الخمسمائة)، وأن الناس فى ذلك الوقت كانوا يميزون الهوساويين و"الفولانيين". وفى الوقت الذى نجد فيه اللغة "الفولانية" متميزة بتراكيب الطبقة الحاكمة نجد أن "لغة الهوسا" خلو من هذه التراكيب (على الرغم من استيعاب لغة الهوسا وثقافتها للغة "الفولانية". مسألة تحول لغة الهوسا إلى لغة تعامل فى كل أنحاء غرب إفريقيا، بما فى ذلك غانا والسنغال، ومسألة أنها كانت مفيدة فى السودان ونافعة أيضا فى جدة، عززت من مكانة هذه اللغة باعتبارها "أوسع تواصلا عن اللغات الأخرى". تجار الهوسا يغلب عليهم الاستقرار فى كل مكان، الأمر الذى أدى فى نهاية المطاف إلى زيادة أهمية لغة الهوسا باعتبارها لغة سوق ولغة تعامل)[١].

---

(١) يروى موسى دجاش قصة مفادها أنه عندما زار قرية مومى Mumiyi فى أدماوا فى عام ١٩٤٢ باعتباره من موظفى وزارة الغابات، أحالوه إلى " أمير الهوسا "، وهو رجل يكاد يكون وحيدًا. وسأله موسى، " أين الهوسا؟ " وأجابه أمير الهوسا قائلا: " إنهم قادمون " Suna Zuwa. وعندما زار موسى دجاش القرية نفسها فى عام ١٩٥٧، كان عدد الهوساويين أكثر من عدد المواطنين الأصليين. (مقابلة شخصية بتاريخ ٨ أغسطس من عام ١٩٤٨، فى ميدوجورى).

يصر كثير من الرفاق المقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى على أن الرجل كان ينظر إلى الشمال فى إطار نيجيريا ككل؛ كما أحس الرجل أيضا أن الفيدرالية ينبغى أن تتحرك تحركا سريعا على نحو لا يخدع مصالح الشمال. كانت الفكرة الرئيسية تتمثل فى مسألة لحاق الشمال بالركب ثم التوصل بعد ذلك إلى أشكال تلك الفيدرالية. أحس الناس أن المستشار السياسى الرئيسى كان يشخصن الأشياء، بل إنه كان يرى الشمال وكأنه ملك له هو شخصيا. وفى نطاقه الشخصى، كان الرجل يربط الشمال "بعدم التوازن الكبير فى السلطة الذى ورثه الشمال عن الفترة الاستعمارية"(١). كان المستشار السياسى الرئيسى يعرف حقيقة الضعف الذى يعترى الشمال. وهو شخصيا سبق أن أهين فى ليجوس، عندما كان هناك فى خمسينيات القرن العشرين لحضور مجلس الممثلين. وأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يعلم أيضا أن كلا من أبى بكر تافاوا باليوا هو وريبادو Ribadu قد عانيا أيضا عندما كانا فى ليجوس. لم يكن المستشار السياسى الرئيسى يود لامبادو Mbadiwe أن يفرض على الشمال. وعندما كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يهدد بالانسحاب، كان رفاقه الأوفياء من الخدمة المدنية (أى على عقيل وأحمد طالب) يحولون بينه وبين ذلك، وكان الرجل يستجيب لطلبهما. أحس المستشار السياسى الرئيسى أنه مضطر إلى محاربة كل من أوكبارا Okpara، وزيك Zik، وأولوو Awolowo حفاظا على الشمال(٢).

نظرات أهل البيت إلى مفاهيم المستشار السياسى الرئيسى الخاصة بقطاعات المجتمع الشمالى تختلف، ولكنها تتفق كلها من حيث الخطوط الرئيسية. أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لم ينظر إلى برنو أو كنو باعتبارهما مركزين من مراكز المعارضة، على الرغم من أنه كان ينظـــر إلى أمين كانو على أنه ولد "لكى يكون مثيرا للمتاعب"، بل إنه تشاجر مع إبراهيم إمام حول مسألة المناصب

---

(١) يقتبس الناس، من أهل الشمال، عن الرئيس Chief أديبو Adebo قوله إنه من المؤسف حقا ألا يصبح أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى رئيسا لوزراء نيجيريا كلها، لأنه لو حدث ذلك لأصر على تساوى خطوات التنمية فى كل أنحاء نيجيريا.

(٢) مقابلات شخصية متنوعة فى الولايات الشمالية. ١٩٨٤ – ٨٤.

داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان المستشار السياسى الرئيسى ينظر دوما إلى برنو باعتبارها "المقاطعة رقم ٢"، وكان الرجل يتلاعب بالعلاقة الفكاهية التى بين الكانورى والفولانى. كانت علاقة كنو ترتبط إلى حد ما بالسنوسى وتدور حوله، ومع ذلك كان المستشار السياسى الرئيسى يعرف أن أى أمير من أمراء كنو كان يحس بأنه أكثر ثراء وأكثر أهمية من أى أمير من أمراء سكتو، ومن ثم لابد أن تكون هناك غيرة وتنافس. كان المستشار السياسى الرئيسى يحس أن إبراهيم موسى جشاش كان "رجلا خطيرا"، نظرا لوضعه فى كنو بحكم أنه من رجال الأعمال الأثرياء، ولم يكن له حلفاء دائمين. (كان المستشار السياسى الرئيسى يخشى من تحول هذا الرجل عن موقفه) كان المستشار السياسى الرئيسى ينظر إلى زعماء أدماوا على أنهم أناس "متغطرسن".

كان من رأى المستشار السياسى الرئيسى أن التيف Tiv هم الذين يشكلون العقبة أو المشكلة الرئيسية. كانوا يبدون دوما مضربين. كان من عادة أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى إرسال عشرة أو خمسة عشر موظفا من موظفى الإدارة إلى منطقة التيف، بل وصل به الأمر إلى حد جعل السواد الأعظم من موظفى الإدارة الشماليين خلال منطقة التيف لفترات قصيرة، كى يتعرفوا "المشكلات". كان من رأى المستشار السياسى الرئيسى أن تاركا Tarka هو أخطر الخصوم، كما أحس الرجل أيضا أن البعثات التبشيريه قد استولت على تاركا، كما أحس أيضا أن هؤلاء المبشرين كانوا يودون تحطيم الشمال[١].

لم يكن المستشار السياسى الرئيسى يرى أن الهضبة تمثل أية مشكلة من المشكلات، كما كان له فيها أصدقاء وحلفاء طيبين: رئيس بيروم Birom، بطرس بام Pam (الذى كان كاتبا له)، وباستور لوط Lot، وميخائيل عود بوبا Buba، إلخ، ومع ذلك، كانت مقاطعة جوس تحتوى على أعداد كبيرة من الأعضاء المشاغبين المكونين للاتحاد التقدمى لعناصر الشمال. وقد أمضى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فترة طويلة فى جوس لتهدئة الموقف. وكأن أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى هو الذى كون العلماء والقساوسة فى جوس[٢].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

كانت منطقة أوفا Offa (فى إيلورين) تشكل المنطقة الأخرى من مناطق المشكلات "أى منطقة الضرب تحت الحزام فى الشمال" ومع ذلك كان ما يقرب من ثمن موظفى الخدمة فى الشمال من إيلورين. كان المستشار السياسى الرئيسى يفكر فى شطب هذه المنطقة، ولكنه تراجع عن ذلك فى نهاية المطـــــاف، على الرغم من أنه يعرف أن ذلك أمر صعب، كما أن "أولاوين" Olawoyin كان هناك دوما يثير القلاقل بصورة مستمرة(١).

وهكذا نجد أن آراء المستشار السياسى الرئيسى الشخصية ترتبط بخططه الإستراتيجية، ومع ذلك فإن سياسات الرجل الإقليمية على درجة عالية من الدقة. هذا يعنى أن المستشار السياسى الرئيسى كان على استعداد لإخضاع ما يحب وما لا يحب للنظام والانضباط مستهدفا بذلك تدعيم وتقوية المجتمع الأكبر.

٢- تطوير عاصمة جديدة: كادونا:

هذه هى كادونا المركز الجديد للشمال الجديد، والتى ستصبح القلب السياسى، والإدارى، والمالى لمجتمع الشمال. هذا يعنى أن كادونا سوف ينظر إليها المستشار السياسى الرئيسى باعتبارها "بلده"، وباعتبارها أيضا رمزا للقيم "التقدمية المحافظة" التى يعتنقها الرجل.

وجهات النظر "الرسمية" البريطانية الخاصة بمسألة نمو كادونا يمكن إيجازها فيما يلى. فى عام ١٩١٣ قام لوجارد Lugsard باختيار كادونا عاصمـــة لا للشمال وحده وإنما لنيجيريا كلها. وفى ظل بعض الظروف والأسباب العملية بما فى ذلك التكلفة واصلت ليجوس دورها كعاصمة للبلاد. فى ذلك الوقت كانت كادونا غابة من غابات السافانا Savanna، ومرتعا للتماسيح (Kada هو اسم "التمساح" فى لغة الهوسا). من هنا جاء الاســـم "كادونا" Kaduna. كانت زونجيرو Zungeru

---

(١) المرجع السابق.

مقرًا للحكم فى الأيام الأولى، ولكن الأنشطة الحكومية تحولت إلى كادونا فى عام ١٩١٧. كانت كادونا قريبة من زاريا، وبخاصة من ناحية المكان الذى كان فيه مركز الرئاسة العسكرية فى ذلك الوقت. كان الخط الحديدى المؤدى إلى زاريا يمر خلال كادونا، التى كانت أكثر ملاءمة للمقيمين بسبب مناخها المناسب وماءها الوفير.

فى عام ١٩٥٦، وصل عدد سكان كادونا إلى حوالى ٣٠٠٠٠ نسمة، وأصبحت بمثابة قاعدة إدارية وعسكرية. هناك حوالى ٢٥٠٠ جندى، وكانت حامية الجيش مكونة من الكتيبتين الأولى والرابعة من اللواء النيجيرى، ومن البطارية الأولى من مدفعية الميدان، ووحدات السرب السادس والثلاثين المستقل من سلاح جيش غرب إفريقيا، ومن مهندسى الصيانة وقطاعات الإشارة والشرطة العسكرية. أصبحت كادونا أيضا المركز الرئيسى لحركة السكة الحديد فى الشمال، كما كان فيها أيضا أكبر عقدة مواصلات للسكك الحديدية، إذ كانت تتعامل أسبوعيا مع مالا يقل عن ٢٥٠ قطارا. كل ذلك يساعد بدوره على تدافع الجنوبيين بأعداد كبيرة، وهؤلاء الجنوبيون يشكلون أكثر من نصف السكان. كما تدفق على كادونا أيضا السواد الأعظم من السكان الأجبيين Igbos. معروف أيضا أن كلية الشرطة فى الإقليم الشمالى تقع فى كادونا؛ هذه الكلية تقدم مقررات دراسية شرطية لحوالى ٥٠٠ فرد من أفراد شرطة الإدارة المحلية سنويا. كانت كلية الشرطة الحكومية قد نقلت إلى زاريا، وأصبحت المبانى السابقة مقرات لكل من المركز التجارى، المعهد الفنى، والمدرسة الثانوية الفنية. معروف أيضا أن معهد غرب إفريقيا لأبحاث الأمراض الناتجة عن عض الحشرات موجود أيضا فى كادونا. خلاصة القول أن كادونا أصبحت فى عام ١٩٥٦ مدينة للجنود، ولرجال السكك الحديدية، والإداريين، والمعاهد والمؤسسات التعليمية والنازحين الجنوبيين.

من المنظور "الإفريقى التقليدى"، نجد أن كادونا لم يحدث مطلقا أن خلت من السكان أو كانت غير مأهولة فى يوم من الأيام، وإنما كانت منطقة رئيسية من مناطق الجاباجى Gbagyi (أو إن شئت فقل الجواريين Gwari)[1]، الأمر الذى يعكس الهيكل الفردى القطاعى لهذه الفئة من السكان.

والاسم "كادونا" Kaduna ليس مأخوذا من الكلمة الهوسوية Kada (التى معناها تمساح)، وإنما هو مأخوذ من الكلمة "الجابياجية" Kaduana، التى معناها عبور نهر القواقع[2]. كادونا إحدى بلدان جوارى Gwari، ولكن هذا الشعب الأصيل جرت إزاحته إلى الحدود الخارجية وأُخذت الأرض عنوة من أصحابها. لم

---

(١) الكلمة Gwari مصطلح هوساوى يشير إلى شريحة أو فئة عرقية من غير الهوسا، ويحمل فى دلالته أيضا معنى "الوثنية". هذا المصطلح له بعض الأشكال الأخرى مثل: Gwali و Goali، و Gbari، التى يجرى استعمالها للدلالة على المعنى نفسه. فى عام ١٩٧٩ اجتمع الاتحاد الوطنى للطلاب الجابياجيين للنظر فى مشكلة اسمهم. وقرر المجتمعون اختيار الاسم جاباجى Gbagyi، وهو المصطلح الذى يشيع استعماله حاليا بين الناس أنفسهم. (راجع الاتحاد الوطنى لطلاب الجاباجى)، "نحن جاباجيين ولسنا جواريين Gwari: إعلان عام"، جريدة النيجيرى الجديد، بتاريخ ٣٠ يناير من عام ١٩٧٩، ص ١٣. المصطلح Gwari ما يزال يستعمله الناس إلى يومنا هذا. فى عام ١٩٨٤ كان عدد السكان الجواريين يقدر بحوالى ٤ – ٥ مليون فى نيجيريا، الأمر الذى يجعل من هؤلاء السكان مجموعة عرقية كبيرة (راجع أوستن إيا شيرى، فى مقاله المعنون: "الجواريون: شعب وثقافة". جريدة الديموقراطى الأسبوعية. بتاريخ ٨ يناير من عام ١٩٨٤ الصفحة الخامسة). يرجع الجاباجى تاريخهم إلى منطقة برنو التى كانوا سكانا أصليين فيها، ولكنهم جرى طردهم من برنو أثناء دخول الإسلام إلى هذه المناطق. وهم يرجعون نزوحهم إلى منطقة كاتسنا، إلى شرقى زاريا، وإلى منطقة برنن جوارى. بعض مؤرخى الجاباجى يرجعون انتشار هذا الشعب إلى فترة الجهاد من القرن التاسع عشر؛ عندما تبعت فئة من شعب الجاباجى أمير زاريا الهارب إلى أبوجا واستقروا معه هناك. هؤلاء الناس موجودين فى أبوجا، القسم الخاص بالنصارى، وموجودين أيضا فى كوفون Kofon كارف Karfe من مقاطعة كبًا Kabba؛ وموجودين أيضا فى كادونا المدينة. وفى جيوا Giwa، وفى إجابى Igabi، وفى كاشيا Kachia، وفى كاجورو، Kajuru، وفى منطقة كادو فى زاريا. وفى قسم كونبا جوراهم موجودين فى منطقة وشيشى. (نانا إف. بيانيكو. موضوعات عن التاريخ الجاباجى، جوس، قسم طباعة المتحف الوطنى، ١٩٧٩). راجع أيضا إبراهيم. إم. كورى، "الدين الجاباجى التقليدى"، رسالة ماجستير. جامعة جوس، ١٩٦٠. راجع أيضا يوسف شيكو. "تفهُّم حكايات الجاباجى الشعبية". رسالة دكتوراه، جامعة الشمال الغربى، الإذاعة، التليفزيون، الأفلام، أغسطس ١٩٨٤.

(٢) تواصل شخصى مع، الدكتور يوسف شيكو، ٣ نوفمبر من عام ١٩٨٤. زاريا. الكلمات الأصلية هى Oka بمعنى قوقع، du بمعنى يعبر؛ udna بمعنى نهر.

يكن هناك رؤساء Chiefs فى تلك المنطقة نظرا لأن هؤلاء الجابياجيين لا يؤمنون بالرؤساء. كان للسكان الأصليين من بين هؤلاء الجابياجيين علاقات طيبة مع الهوساويين النازحين إلى هذه المنطقة، وقد طوروا لأنفسهم علاقات فكاهية (التى يقولون لها abokanwas أو wasanni بلغة القوم) مع شعب كاتسنا وشعب دورا وبصفة خاصة بسبب التوترات التى حدثت فى الماضى، وبسبب الحاجة إلى المضى قدما بعضهم مع البعض الآخر. فى زاريا، كان أمراء عدة لهم أمهات جواريات Gwari؛ يضاف إلى ذلك أن عددا كبيرا من الشخصيات السياسية البارزة والمرموقة، والذين يعتبرهم الناس من "الهوسا" هم، فى حقيقة الأمر، من أمهات "جوارية". هؤلاء الجابياجيين لا يؤمنون "بالتمرد" على السلطة القائمة، ولا يؤمنون بالعنف، وبالتالى لم يكونوا "مشكلة" أمام المجتمعات الأكبر من مجتمعهم التى يعيشون فيها(١) مسألة أن كادونا لم يحدث أن كان لها "رئيس" Chief هى بمثابة الاعتراف بقاعدة "جواريه"، أو إن شئت فقل "الجابياجية" للمجتمع الكادونى Kaduna.

---

(١) المرجع السابق. ثقافة الجلباجى السياسية من الثقافات التى تؤمن بالمساواة التامة بين البشر. هناك رئيس القرية Osa ولكن مجلس الكبار مهم جدًا. منظومة المرحلة العمرية ليست جيدة التنظيم كما هو الحال بين الإجباويين Igbos، ولكنها مهمة. هؤلاء الناس يؤمنون بالإله الواحد، ولكنهم يؤمنون أيضا بالوساطة عن طريق الآلهة الوسيطة (الحرف S عند هؤلاء الناس = Oshna، وصيغة الجمع ashana) التى هى محاكيات imitations للإله. هذه الآلهة الوسيطة لا يعبدها هؤلاء الناس، ولكنهم ينظرون إليها باعتبار هذه الآلهة وسطاء لدى الإله. الذى يطلقون عليه اسم Shekwoi الذى يوجد على مسافة تبلغ من البعد حدًا تجعل الإله غير معنى بالشئون البشرية. لدى هؤلاء الناس اعتقاد بأن الله عادل ولن يتخلى عن الناس. من هنا فإن هؤلاء الناس لا يؤمنون بالعنف، وإلا فإن الإله سيعاقبهم. (هؤلاء الناس بعد أن هُجِّروا بسبب مشروع سد شيرورو، بطل أو توقف استخدام السلاح ضد الحكومة). الكلمة الدالة على " الموت " لا وجود لها فى لغة " الجاباجاى " ، والكلمة الموجودة بدلا من هذه الكلمة هى " الانفصال " Separation، راجع معنى فصل " القمح " عن " التبن " الجسد عندما يموت، تذهب الروح إلى الجنة Aku لتسكن مع الإله، هذا إن كان صاحب هذه الروح رجلا طيبا. وإذا لم يكن الشخص طيبا فإن العقاب يكون عن طريق المسخ إلى أشكال دنيا من الحيـــاة الحيـــوانية. ومع ذلك، فإن القصاص لا يحدث بعد الوفاة، وإنما فى الحياة. ليست هناك ملكية، وكل قرية من القرى منطوية على نفسها. " نحن لا نعبد الملوك. ولكننا نعبد الله. " كل شىء يحدث عن طريق الإجماع فى المجتمع الجاباجى. ومن ثم فهم لا يستطيعون مقاومة الملكية واسعة النطاق وإمبراطوريات الهوسا هى والإمبراطوريات الأخرى فى أسلوب التوسع. أصبحت الهجرة بمثابة الشكل الذى يعبرون به عن الاحتجاج. فى خمسينيات القرن العشرين وستينيات القرن العشرين تحول الكثير من الجواريين إلى المسيحية أو الإسلام. ولكن السواد الأعظم من هذا الشعب ما يزالون يؤمنون بالمعتقدات التقليدية.

هناك منظور آخر لكادونا وذلك من وجهة نظر النازحين إليها (وبخاصة الجنوبيين) الذين يسيطرون على الحياة السياسية فى كادونا طوال خمسينيات القرن العشرين. فى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٧ يجرى تأسيس أربعة مجالس محلية فى الأراضى التابعة لكادونا العامة؛ والتى قامت بتأسيس هذه المجالس الأربعة هى الحكومة الإقليمية فى الشمال:

١) مجلس وسط كادونا (يضم ثلاثة وثلاثين عضوا)، من بينها صابون جارى Sabo Gari ، ضيعة الإسكان الجديدة، وقرية كبَّا Kabba.

٢) مجلس غرب كادونا (يضم ثلاثين عضوا) من بينها تودان وادا Tudan wada.

٣) مجلس جنوب كادونا (يضم ثلاثين عضوا) من بينها ماكيرى، كاكورى الهوسا، كاكورى جوارى، وقرى برناو.

٤) مجلس شمال كادونا (يضم ثلاثة وثلاثين عضوا). من بينها كاو Kawo وقرى إنجوان شانو.

وفى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٧ نجد حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال هو وحزب المؤتمر الشمالى الدستورى يفوزان فى الانتخابات بفعل التحالف فيما بينهما، ويحصلان على معظم المقاعد (ثمانية وستون مقعدا مقابل تسعة وخمسين مقعدا لبقية الأحزاب كلها)، ويستحوذ هذا التحالف على ثلاثة مجالس من بين المجالس الأربعة. ويحصل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى(١) فى تلك الانتخابات على ستة وأربعين مقعدا من بين ١٢٧ مقعدا. وهنا ينظر الناس إلى كادونا باعتبارها "مدينة جديدة" يسيطر الجنوبيون فيها على الحكم المحلى.

---

(١) ١) مجلس وسط كادونا: تحالف الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مع حزب المؤتمر الشمالى الدستورى إحدى وعشرين مقعدا. تحالف حزب مجموعة العمل مع حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، ١٢ مقعدا: حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، لا شيء.

٢) مجلس شمال كادونا: تحالف حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مع حزب المؤتمر الشمالى الدستورى. إحدى وعشرين مقعدا، حزب المؤتمر الشعبى الشمالى اثنى عشر مقعدا.

٣) مجلس جنوب كادونا: حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، عشرين مقعدا. تحالف الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مع حزب المؤتمر الشمالى الدستورى، عشرة مقاعد.

٤) مجلس غرب كادونا: تحالف الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مع حزب المؤتمر الشمالى الدستورى، ستة عشر مقعدا؛ حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، أربعة عشر مقعدا، اتحاد المتقاعدين، مقعد واحد..

"الإقليميون الشماليون" لا ينظرون إلى كادونا، من حيث المبدأ، باعتبارها مكانا يصلح للعيش فيه، وإنما على أنها مقر للإدارة، ومن ثم فهى مكان "للزيارة". وهنا تبدأ فكرة بيت الضيافة فى التطور والنمو. "الشماليون" لا يجدون أنفسهم فى كادونا، وإنما فى المناطق الخاصة بأوطانهم. هذا يعنى أن الشماليين يحسون بأنهم "مخيمون" خارج ديارهم فى كادونا. وهم يرون كادونا على أنها من الأماكن التى يسيطر عليها الجنوبيون، والعلاقات معهم ليست على ما يرام فى معظم الأحيان. ومع ذلك فإن المسئولية الإدارية عن كادونا هى فى أيدى الحكومة الإقليمية الشمالية، ومن ثم فإن تشكيل مستقبل كادونا يكون فى أيدى السياسيين والموظفين المدنيين فى الشمال. وفى فترة الاستقلال نجد أن كادونا أصبح لها نغمة "شمالية".

استنادا إلى ما يقوله أبو بكر كيجو[١]، نجد أن حيازة الأرض فى كادونا كانت خليطا من السيطرة الحكومية والتخصيص التقليدى لرئاسة القرية. ونظرًا لأن الأرض كلها كانت "ملكا للدولة"، فقد أوليت المبانى الحكومية ومشروعات التنمية اهتماما كبيرا من قبل هيئة التخطيط التى كان يرأسها مدير أملاك كادونا العاصمة. كانت هيئة التخطيط تستعين بالخبراء من بين مهندسى المدينة والمهندسين الآخرين، وخصصوا أقساما وقطاعات من البلد للاستعمالات المختلفة. وجرى إرسال المذكرات لرئيس الوزراء لمعرفة إن كان الأمر يتطلب المزيد من التحرى والتدقيق، وكان يجرى إرسال تلك المذكرات بعد ذلك للمجلس التنفيذى للموافقة عليها. كان مدير أملاك أراضى العاصمة كادونا رئيسا أيضا للجنة التخصيص، التى هى مسئولة عن تخصيص الأراضى. كان من حق مدير أملاك العاصمة الاتصال المباشر بالمستشار السياسى الرئيسى، ولكن الحالات القليلة جدا التى تدخل فيها المستشار السياسى الرئيسى تدخلاً مباشرًا كانت طفيفة إلى حد بعيد. (فقد تدخل المستشار السياسى الرئيسى فى مسألة تحديد مواقع مصانع المنسوجات، التى كانت تشكل عنده أهمية أولى) وواقع الأمر أن تخطيط كادونا تم بطريقة "المحترفين"، أى

---

(١) مقابلة شخصية، بتاريخ ١٣ سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى سكتو. كان كيجو مديرا لأراضى أملاك كادونا العاصمة.

بالاعتماد على المتخصصين فى الخدمة المدنية ومن أماكن أخرى. (كان المستشار السياسى الرئيسى يجارى المشروعات كلها) مسألة تخصيص الأراضى صغيرة المساحة للأفراد كانت حكرا على مدير اللجنة، بعد أن يكون قد جرى تخصيص الأرض بالفعل من قبل اللجنة. كانت وزارة الأراضى والمسح تعتمد القرارات. وكانت هيئة التخطيط هى التى تتحكم فى التصميم الإنشائى الرئيسى، الذى من قبيل الشوارع الرئيسية، إضافة إلى القواعد الخاصة بتقسيم المناطق وإعادة التوطين، وذلك طبقا لسياسة تقوم على مناطق عالية الكثافة وأخرى منخفضة الكثافة.

هؤلاء المعنيون بالإدارة فى كادونا يقولون: إن تخصيص الأراضى كان يتم طبقا "للأفضلية"، وأن المستشار السياسى الرئيسى لم يكن يود إعطاء قطعا أو مساحات من الأرض لأعضاء حزب المؤتمر الوطنى الشمالى وحدهم. من بين الأشياء الأخرى، كان أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى متخوفا من أن يقوم رئيس وزراء الإقليم الشرقى بالانتقام من الشماليين الذين يعيشون فى الإقليم الشرقى. كان بوسع أى إنسان (بما فى ذلك الجنوبيين) الحصول على الأرض إذا ما كان مقيما فى كادونا، ولم يكن هناك تمييز عنصرى. وجرى تخطيط كادونا على شكل مدينة حديثة. كان المستشار السياسى الرئيسى يرغب فى أن تكون كادونا "مدينة حديثة" تقوم على الإدارة والصناعات الخفيفة (المنسوجات على سبيل المثال). (وهو يفضل أن تعتمد كادونا بصفة أساسية على الصناعة الثقيلة).

خلاصة القول: إن تخطيط كادونا دارت عجلته فى خمسينيات القرن العشرين، ولكن فى جو يقوم على العداء والاعتراض، وفى وقت كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هو الذى يسيطر على الحكومة الإقليمية، وكان تحالف حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال مع حزب المؤتمر الشمالى الدستورى الجديد، هو المسيطر على الحكومات المحلية، وعلى القرى الهوسوية التقليدية والقرى الجواريه Gwari، التى كانت ما تزال جزءا من المدينة، ويديرها سكانها الأصليون. هناك مسجد صغير لصلاة الجمعة على الطريق المؤدية إلى كنو، ولكن المدينة هى فى الأساس مقر لمركز من مراكز الرئاسة الاستعمارية.

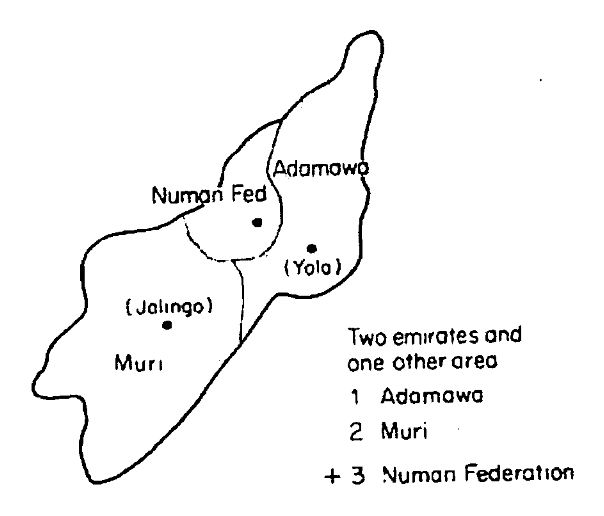
مع كل ذلك، تظل كادونا بمثابة العقدة الرئيسية فى المجتمع الشمالى الناهض. الناس يأتون من كل أنحاء الإقليم الشمالى لزيارة كادونا، وينظرون إلى منزل المستشار السياسى الرئيسى باعتباره المركز الذى يجرى فيه التفكير والتخطيط للشمال الجديد. ويجرى الترحيب فى منزل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بالمسلمين وبالمسيحيين، وبكل الناس الذين يأتون من كل أنحاء الشمال؛ ويجلس كل هؤلاء على الأرض، ويتناولون الطعام، ويستمعون إلى الحديث أو يتكلمون. وأصبح لكل أمير من الأمراء الرئيسيين وكل وزير من الوزراء منزلا فى كادونا؛ وكان يجرى فى تلك المنازل أيضا تفاعلا غير مباشر أيضا، كما كانت السكنى متوفرة أيضا فى هذه المنازل. ومع ذلك كان مركز كل هذا العمل وكل هذا النشاط يتمثل فى رئيس الوزراء، الأمر الذى جعل كادونا منعكسا لرؤية ذلك الرجل لكل من الماضى والحاضر، والمستقبل.

٣ـ الروابط مع مناطق الإمارات:

تبلغ مجموعة العلاقات السياسية بين المستشار السياسى الرئيسى والمقاطعات الإماراتية من التعقيد حدًا يصعب معه استعراض هذه العلاقات عند هذه المرحلة. وأنا أحسب أن تلخيص هذه العلاقات وإعطاء بعض أمثلة من الديناميات الأساسية فى كل مقاطعة من المقاطعات، واستخدام "المداخل" فى الوصول إلى المقاطعات، مع شيء من الطريقة المستخدمة فى إحداث توازن، يمكن أن يعطينا شيئا من التبصر فى مدى التعقيد والتشابك الذى يكتنف تدعيم تلك المقاطعات فى إطار المجتمع الإقليمى الشمالى. المقاطعات الإماراتية الثمانية (أدماوا، وباوتشى، إيلورين، وكنو، وكاتسنا، والنيجر، وسكتو، وزاريا) تعد بمثابة العمود الفقرى فى المجتمع الإقليمى الشمالى. وأى انفصال خطير فى هذه الكتلة يمكن أن يؤدى إلى إنزال الخطر بالمحاولة كلها.

الخارطة رقم (٤)

Map 4
Adamawa Province
with Native Authority areas



مقاطعة أدماوا مع مناطق السلطات المدنية

مقاطعة أدماوا عبارة عن تركيب معقد من الكيانات العرقية والدينية. يضاف إلى ذلك أن مقاطعة أدماوا مسئولة عن إدارة أراضى شمالى الكاميرون (باستثناء دكوا) طوال هذه الفترة (دكوا هذه أصبحت مقاطعة من مقاطعات المستشار السياسى الرئيسى فى عام ١٩٦١). وفيما يلى نورد مناطق السلطة الوطنية التابعة لأدماوا كما هو مبين على الخارطة رقم ٤.

يوجد فى المنطقة فيما بين أدماوا ومنطقة شمالى الكاميرون ما يزيد على مائة لغة متميزة / جماعات عرقية، من بينها:

١) الهوسا والفولانى.

٢) المارجى Margi.

٣) الموموى Mumuye.

٤) باشاما.

٥) جوكون Jukun[١].

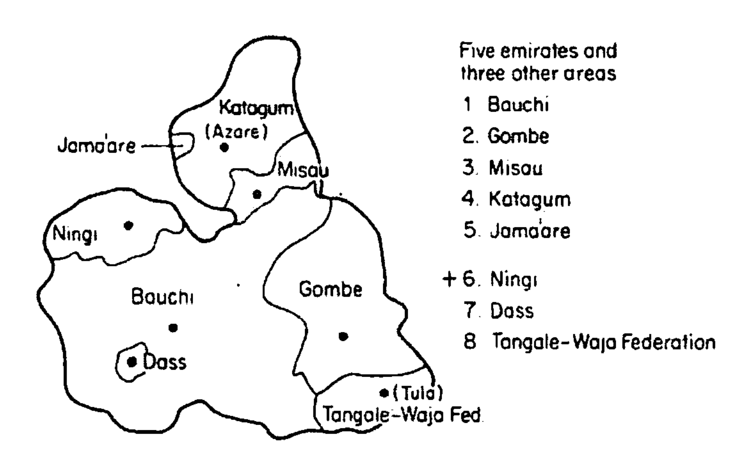
إمارتا أدماوا وميورى هما القوة السياسية الرئيسية فى المقاطعة، ومعروف أن يولا yola، وجميتا Jimeta، وجالنجو يغلب عليها الميل إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. بعض الجماعات العرقية الأخرى (الباشاما على سبيل المثال) تميل إلى التحالف ضد النظام الإماراتى وبالتالى فهى تفضل الانضمام إلى الأحزاب السياسية الجنوبية. من هنا فإن احتمال حدوث انقسام شمالى – جنوبى داخل هذه المقاطعة يعد أمرا مرجحا بل ومتكرر الحدوث.

---

(١) وكارى wukari جزء من مقاطعة بنيو، ولم يجرى إضافة وكارى إلى ولاية كونجولا إلا بعد إدخال نظام الولايات التسعة عشر. ومع ذلك يظل عدد الجوكون فى أدماوا أمرا له معناه إلى يومنا هذا.

الخارطة رقم (٥)

Map 5
Bauchi Province
with Native Authority areas



مقاطعة باوتشي مع مناطق السلطات المدنية

يبدأ المستشار السياسى الرئيسى فى الاعتماد على ثلاثة "مداخل" رئيسية طوال هذه الفترة: محمد ريبادو، عبد الله دابنورام جادا[١]، كما بدأ الرجل يعتمد أيضا على مدخل كان يتمثل فى عبد الله أبو بكر[٢]. (ثم بعد ذلك على بوبا آردو[٣] وأحمد ريباود[٤]).

كان أحمد جوده هو وموسى بللو من بين موظفى الخدمة المدنية فى أدماوا فى ذلك الوقت. (ويضاف إليهما بعد ذلك كلا من إينوا آدم[٥] ومحمود توكور).

---

(١) وُلد عبد الله دابنورم فى عام ١٩٢٤ على وجه التقريب، فى بلدة جاوا، فى مقاطعة أدماوا، ثم التحق الصبى بمدرسة القرآن الكريم إلى أن بلغ سن الثالثة عشرة. وفى عام ١٩٣٧ يلتحق الرجل بمدرسة يولا الإلزامية (الابتدائية)، وفى عام ١٩٤٠ يلتحق الرجل بالمدرسة المتوسطة فى يولا، وينهى الرجل الدراسة فى هذه المدرسة فى عام ١٩٤٤. ثم يلتحق الصبى بعد ذلك بإدارة الزراعة التابعة للإدارة المحلية، فى وظيفة مساعد زراعى، ثم يلتحق بعد ذلك بدورة تدريبية زراعية مدتها أربع سنوات فى مدرسة الزراعة فى سامارو، فى زاريا. ويعود الرجل فى عام ١٩٥٤ ويصبح مشرفا على الزراعة فى الإدارة المحلية فى أدماوا. وفى عام ١٩٥٥ يصبح الرجل رئيسا لحىٍّ جادا. كان الرجل قد سبق له الانضمام إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى عام ١٩٥٠، وأصبح نائبا لرئيس الحزب فى فرع يولا. فى عام ١٩٥٦ يجرى انتخاب الرجل لعضوية الجمعية العمومية فى الشمال، ثم يصبح (فى عام ١٩٥٧) وزيرا للصحة الحيوانية وشئون شمالى الكاميرون. ثم يصبح الرجل بعد ذلك رئيسا للجنة الخدمة العامة فى كادونا. وبعد الانقلاب يصبح الرجل ضابطا إداريا فى الولاية الشمالية الشرقية، ثم يصبح بعد ذلك رئيسا للجنة الشكاوى العامة فى ولاية كونجولا، قبل أن يحال إلى التقاعد.

(٢) عبد الله أبو بكر يعمل فى الإعلام وهو من المقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى، وقد عين بعد الانقلاب ضابطا إداريا فى الولاية الشمالية الشرقية. ثم عين بعد ذلك مديرا للميزانية فى ولاية كونجولا.

(٣) يصبح بوبا أردو مدعيا عاما فى ستينيات القرن العشرين. ثم بعد ذلك وزيرا للعدل فى يولا.

(٤) عين أحمد ريبادو وزيرا فيدراليا فى عام ١٩٦٦، ويحمل فى عام ١٩٦٦ رسالة إلى المستشار السياسى الرئيسى مفادها "أنهم سيقتلوه" ويصبح الرجل بعد ذلك مفوضا على الولاية الشمالية الشرقية، ثم يعمل بعد ذلك فى وظيفة سفير فى النيجر.

(٥) إينو آدم، أصبح مساعدًا للمستشار السياسى الرئيسى فى نهاية المطاف. ثم أصبح بعد ذلك كبيرًا للموظفين التنفيذيين وسكرتيرا دائما.

كان كل من لاميدو Lamido أدماوا (أو بالأحرى على مصطفى) هو ولاميدو ميوبى Mubi (أو بالأحرى أحمد وزيرى)[١] اثنين من بين الحكام التقليديين الذين كانوا يَستَعْملون "مداخل" إلى أشخاص معينين.

كان "المدخل" السياسى الرئيسى فى أدماوا يتمثل فى محمد ريبادو، الذى كان فظا، غليظ القلب، صاحى الذهن وقادرًا على اتخاذ القرارات الحاسمة[٢].

ديناميات مقاطعة باوتشى هى الأخرى معقدة وبخاصة فيما يتصل بالتحزب العرقى والدينى. هذه المقاطعة تضم خمس إمارات، إضافة إلى ثلاثة مناطق رئيسية غير مسلمة (ننجى، وداس Dass، واتحاد تنجال - واجا)، كما هو مبين على الخارطة رقم (٥).

بشكل عام، نجد أن باوتشى وجومب Gombe ومعهما الإمارات يؤيدون حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، فى حين نجد بعض الأقليات المسيحية، مثل الكالتونجو Kaltungo والبليرى Biliri، متحالفون مع الأحزاب المتمركزة فى الجنوب. هناك أيضا تسابق وتنافس بين جومب Gombe وباوتشى، وهذا التنافس لابد من احتوائه والسيطرة عليه.

بدأ كثير من الأحزاب الصغيرة أو بالأحرى "الاتحادات" تتكاثر ويزداد عددها. وعلى سبيل المثال، نجد اتحاد كاتا جون الشعبى، ينادى فى منتصف خمسينيات القرن العشرين بتقسيم الإقليم الشمالى إلى أربع ولايات، فى ظل نيجيريا الموحدة فيدراليا. وينادى أتباع ذلك الاتحاد بتأييد ودعم الهجوم الذى يشنه الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال على نظام الحكم المحلى[٣].

---

(١) كان أحمد وزيرى زميلا للمستشار السياسى الرئيسى فى كلية كاتسنا. وقد أوفده المستشار السياسى الرئيسى إلى كل من المملكة العربية السعودية والقاهرة. وفى صيف عام ١٩٦٠ وصل الرجل إلى كنو للمساعدة فى إنهاء الأمور المتعلقة بالحج.

(٢) تقول المعلومات الشفاهية إن محمد ريبادو عندما سئل ذات مرة عن الصحيفة التى يقرأها أجاب قائلا: "أنا لا أقرأ الأخبار. وأنا الذى أصنع الأخبار. وأنا أقرأ القرآن".

(٣) يشتمل أولئك الموظفون على: محمود عبد الله (رئيسا)، والحاج نا (نائبا للرئيس)، مداكى جابسيا (نائبا للرئيس)؛ مختار عبد الله (سكرتيرا)، وبللو دانوما (أمينا للصندوق).

في شهر أغسطس من عام ١٩٥٨ تحدث موجة من العنف في باوتشي، حيث قامت الجماهير بالهجوم على مركز رئاسة تحالف حزبي هاب الشعبي – وجماعة العمل، وينقل إلى المستشفى على أثر ذلك العنف السيد إبراهيم ديمس رئيس حزب هاب الشعبي.

كان "المدخل" السياسي الرئيسي إلى باوتشي يتمثل في أبي بكر تافاوا باليوا، رئيس الوزراء. ثم بعد ذلك في محمد كبير، وسيرومان كاتاجوم، الذي هو من أهل آزاري Azare، والذي أصبح فيما بعد وزيرا إقليميا شماليا للشئون الداخلية، كما كان يمثل أيضا قوة سياسية رئيسية(١).

اشتملت "مداخل" الخدمة المدنية على أبي بكر عمر(٢)، وأحمد كاري(٣) وسولي كاتاجوم(٤)، وأبي بكر توجّار(٥).

---

(١) ولد محمد كبير في أزار Azare في عام ١٩٢٩، وعندما انتهى من تعليمه المدرسي في عام ١٩٤٩ بدأ العمل في الإدارة المحلية، وحضر أيضا بعض دورات الحكم المحلي في المملكة المتحدة. وشغل الرجل منصب رئيسا للحي قبل ترقيته. وجرى انتخابه للجمعية العامة الشمالية في عام ١٩٥١ وعام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٥٧ أصبح الرجل سكرتيرا برلمانيا في وزارة الأراضي والمسح. كما شغل أيضا منصب وزير دولة. ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للداخلية في عام ١٩٦٠. (وواصل الرجل تعلم اللغة العربية عندما كان وزيرا). وأصبح بعد ذلك أميرا لكتاجوم.

(٢) شغل أبو بكر عمر منصب السكرتير الخاص الرئيسي لأحمد بللو. وكان الرجل في منزل ضيافة أحمد بللو عندما اغتاله القتلة. قبل ذلك كان الرجل رئيسا إداريا لكادونا، كما كان أيضا سكرتيرا مساعدًا في مكتب رئيس الوزراء. وتولى الرجل بعد الانقلاب مناصب إدارية كبيرة متباينة. فقد عين سكرتيرا دائما في ولاية الشمال الشرقي. ثم أصبح بعد ذلك سكرتيرا للحكومة. في ولاية باوتشي. وعين الرجل بعد ذلك رئيسا لوكالة الأنباء النيجيرية. كما أصبح عضوا في مجلس اتحاد الإذاعة الفيدرالية النيجيرية. (مقابلة شخصية. بتاريخ ٢٧ يوليو من عام ١٩٨٥. باوتشي. راجع الفصل التاسع عشر).

(٣) أحمد كاري هو السكرتير الخاص الرئيسي لرئيس الوزراء. وهو الذي كان ينقل الرسائل بين رئيس الوزراء والمستشار السياسي الرئيسي. بعد الانقلاب، أصبح الرجل سكرتيرا لمجلس التسويق في كنو، قبل تقاعده.

(٤) سول كاتاجوم: كاتب في الجمعية العمومية، وهو من المقربين جدا إلى عيسى والي. في مطلع ستينيات القرن العشرين يصبح الرجل رئيسا للجنة الخدمة العامة الفيدرالية.

(٥) مقابلة شخصية. مع أبي بكر توجّار. بتاريخ ٢٦ مايو من عام ١٩٨٥ في كنو. ولد توجّار في قرية أودوبو udubo، في مقاطعة باوتشي؛ في عام ١٩٣٣، أنهى الرجل تعليمه الابتدائي في أزار Azare. ثم التحق بعد ذلك بمدرسة باوتشي المتوسطة. والتحق الرجل بعد ذلك بمدرسة الصحة في كنو. ثم ذهب إلى زاريا بعد ذلك في خمسينيات القرن العشرين. والتحـــق الرجل بالعمـــل الحكومـــي فـــي=

تتصل السياسة المحلية فى مقاطعة إيلورين بالعلاقات بين الإمارات الأربع (انظر الخريطة رقم ٦)، وداخل إمارة إيلورين هناك مركب معقد من العوامل التاريخية النابعة من العلاقات اليوروباوية - الفولانية فى القرن التاسع عشر. (أمير إيلورين "فولانى" الهوية - وليس باللغة فقط - وسط سكان غالبيتهم من اليوروبا) داخل هذه المقاطعة بشكل عام، هناك العناصر غير اليوروباوية (الاجبيرا والنيوب، والبورجو، إلخ) هؤلاء السكان هم الذين يحدثون نوعا من التوازن مع العناصر اليوروباوية. (والمعروف لعامة الناس، أن العناصر غير اليوروباوية موالية لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى).

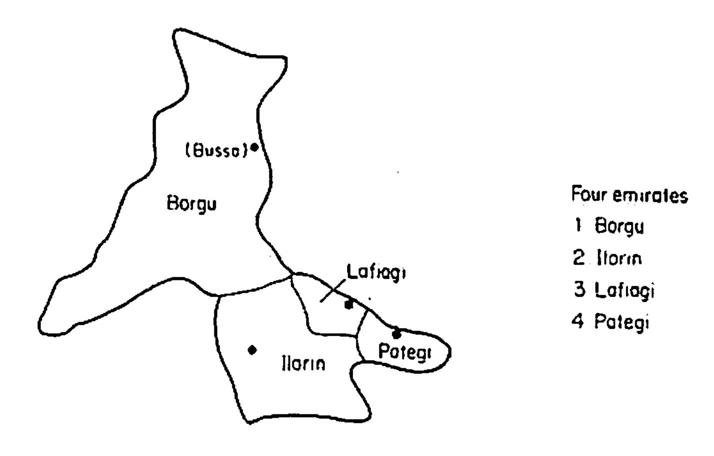
إيلورين Illorin لها ثلاثة "مداخل" سياسية رئيسية هى يحيى مسئول التعليم فى إيلورين (وزير الصحة الإقليمى)[1]،

= وظيفة مفتش إنتاج، حيث كان يشرف على الزراعة من أجل التصدير (الفول السودانى والقطن). وعمل الرجل فى جوساو فى عام ١٩٥٠ - ٥٢، ثم لحق بعد ذلك على جومب، ثم استقال بعد ذلك واتجه صوب العمل لحساب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ويجرى استخدامه بعد ذلك بواسطة أستاذه أبو بكر تافاوا باليوا. ويتمركز الرجل فى زاريا، ليعمل تحت إمرة محرر جريدة " الحقيقة ". أبو بكر مكاما. ويصبح توجّار سكرتيرا ميدانيا وطنيا لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ويسافر الرجل فى كل أنحاء البلاد، بحثا عن مصلحة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. فى عام ١٩٥٦ يجرى انتخاب الرجل سكرتيرا للإعلان الوطنى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وفى الفترة من ١٩٥٨ - ٦٤ يعمل الرجل مديرا للأبحاث فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ثم يستقيل الرجل فى عام ١٩٦٤ نتيجة بعض المشكلات مع بعض زعماء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

(١) مقابلة شخصية مع يحيى مدواكن إيلورين. بتاريخ ٢٠ مايو من عام ١٩٨٥ فى إيلورين. اسمه يحيى أوريوكو. ولد فى إيلورين فى عام ١٩٠٧. وهو ولد عبد القادر بوبولا Popoola، من إيرن إيل Ile. يتعلم الرجل فى مدارس القرآن وفى المدارس الابتدائية حتى عام ١٩٢٢، ثم يلتحق بعد ذلك بكلية كاتسنا. فى الفترة من ١٩٢٢ - ٢٨. (كان الرجل فى الصف الطلابى الثانى). ويعمل مدرسا فى كلية كاتسنا. فى الفترة من ١٩٢٨ - ٣٠ (فى تدريس التاريخ والجغرافيا والرياضيات)، ثم يعود بعد ذلك إلى إيلورين ليعمل فى مدرسة إيلورين الثانوية الحكومية فى عام ١٩٣٠. ويعمل الرجل ناظرا فى هذه المدرسة طوال الفترة من ١٩٣٤ - ٤٧. وعندها يلتحق الرجل بالسياسة فى الجمعية العمومية الشمالية. فى عام ١٩٥٢ يصبح الرجل وزيرا تحت حكم المستشار السياسى الرئيسى - (أحد الوزراء الستة الأول) - ويخدم الرجل فى وزارة الصحة إلى عام ١٩٥٧. فى عام ١٩٥٥ عين الرجل مسئولا عن التعليم فى إيلورين. ويعود الرجل إلى إيلورين من جديد ويبقى فيها إلى عام ١٩٥٩. ويترك الرجل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وينضم إلى حزب آخر بسبب شىء من سوء الفهم، ولكنه يعود ثانية إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى عام ١٩٥٩. ثم يصبح عضوا فى مجلس سكك حديد نيجيريا فى الفترة من ١٩٦٠ إلى حدوث الانقلاب (١٩٦٦) ويتخذ من إيلورين مركزا له ينتقل منه إلى ليجوس. علاقته بالمستشار السياسى الرئيسى تبدأ من أيام وجودهما فى كلية كاتسنا.

الخارطة رقم (٦)

Map 6
Ilorin Province
with Native Authority areas



مقاطعة إيلورين مع مناطق السلطة المدنية

وسعد الأنام[1]، فى الجمعية العمومية، ثم عبد الرازق الذى يشغل منصب المستشار القانونى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. (فى عام ١٩٥٦، يبدو أن يحيى ترك حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ليلتحق بتحالف حزب تلاقا Talaka برابو Parapo الإيلورى مع حزب جماعة العمل، ولكن الرجل يعود فى عام ١٩٥٩ إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمال من جديد) فى عام ١٩٥٩، يصبح الأمير الجديد، سولو جمبارى[2] Sulu Gambari "مدخلا" رئيسيا إلى إيلورين. هناك بعض الموظفين المدنيين الشبان من اليوروبا الذين يعيشون فى

---

(١) مقابلة شخصية مع سعد الأنام فى ١٩ مايو من عام ١٩٨٥ فى إيلورين. التقى سعد الأنام المستشار السياسى الرئيسى فى كلية كاتسنا، حيث كان رئيسا مساعدًا لمجمع المستشار السياسى الرئيسى فى منزل إيليلا. (بقى سعد فى ذلك المنصب طوال الفترة من ١٩٢٩ - ٣٣). ويعمل الرجل بالسياسة من خلال أحمد بللو فى عام ١٩٥١. ثم يلتحق بالجمعية العمومية. فى ذلك الوقت كان الرجل يعمل فى الحكم المحلى فى إيلورين رئيسا للكتبة. ويجرى انتخاب سعد لعضوية مجلس الممثلين. ويمنى الرجل بالهزيمة فى انتخابات عام ١٩٥٦. أمام مرشح حزب جماعة العمل. وفى عام ١٩٥٧ يلتحق الرجل بالحكومة الإقليمية الشمالية سكرتيرا للتوظيف (لجنة الخدمة العامة). ويجوب الرجل مؤسسات الشمال مشجعا الطلاب وينصحهم وينبههم إلى الوظائف التى تنتظرهم. وفى عام ١٩٦٠ يسافر الرجل إلى لندن بصفته سكرتيرا للوكيل عام، وبعد ذلك بثلاثة أشهر ينجح الرجل فى أن يكون وكيلا عاما (١٩٦٠ - ٦٣). ثم ينسحب الرجل من الخدمة العامة فى الإقليم الشمالى ويلتحق بالخدمة الفيدرالية، ليصبح مديرا إداريا لأكبر الشركات التى تديرها الحكومة، ألا وهى الشركة النيجيرية لتسويق المنتجات. ويبقى فى ذلك المنصب إلى عام ١٩٦٨ وهو تاريخ تقاعده من الخدمة.

(٢) مقابلة شخصية مع سولو جمبارى فى يوم ١٩ - ٢٠ مايو من عام ١٩٨٥، فى إيلورين. ولد الرجل فى عام ١٩١٥، وفى الفترة من ١٩٢٢ - ٢٩ يلتحق الرجل بمدرسة القرآن الكريم. ويلتحق بالمدرسة الأولية فى عام ١٩٣٠، ثم يلتحق بعد ذلك بمدرسة إيلورين المتوسطة. ويلتحق بعد ذلك بالإدارة المدنية فى وظيفة مسجل مساعد فى عام ١٩٣٧. ثم يرقى إلى مسجل فى عام ١٩٤٤، ثم مسجلا للإمارة كلها فى عام ١٩٥١. ويحضر الرجل دورة قضائية فى معهد الإدارة. فى زاريا، فى الفترة من ١٩٥٥ - ٥٦. ثم يعين مفتشا على المحاكم الوطنية. ثم يعين بعد ذلك أميرا لإيلورين فى اليوم الثلاثين من عام ١٩٥٩. ثم يصبح بعد ذلك وزيرا بلا وزارة فى الإقليم الشمالى. فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠، ثم يعين بعد ذلك عضوا فى مجلس الوزراء الإقليمى. ويبقى فى ذلك المنصب إلى شهر يناير من عام ١٩٦٦. بعد تأسيس الولايات، يصبح الرجل رئيسا لمجلس رؤساء ولاية كوارا، فى مايو من عام ١٩٦٧. والرجل يتحدث الإنجليزية، والهوسا، ولغة اليوروبا.

إيــلورين. المعــروف أن المرحوم يوسف جوبــير، الإيلورى، كان واحدًا من قــدامى نواب رؤساء الأحــياء، كما كان سكرتيرا خاصا لرئيس الــوزراء. وتثبت إيــلورين أنها تشكــل تحــديا كبيرا للمستشار السياسى الرئيــسى، والســبب فى كل ذلك هو الجهــود المبــذولة لفصل إيلــورين عن الشــمال، على أن تكون جزءا من الإقليم الغربى، أو جزءًا من إعادة تنظيم الأقاليم داخل الشمال. فى التحرى الذى قامت به لجنة الأقليات، نجد المستشار السياسى الرئيسى يؤكد على الروابط التــاريخية مع الشمــال، ويقلل من شأن العوامل العــرقية[١]

---

(١) انتقل الآن إلى موضوع إيلورين. ويبدو لى أن هذا الموضوع، بلا أدنى شك، هو أصعب الموضوعات وأشد الموضوعات التى تواجه الحكومة الإقليمية، تعقيدا. نحن فى هذه المسألة أمام مقاطعة كانت طوال مائة وخمسين عاما جزءًا لا يتجزأ من كتلة كبيرة من هذا البلد الذى نما حاليا وأصبح يعرف باسم الإقليم الشمالى.

إيلورين ترتبط بالشمال من حيث التاريخ، والدم، وإذا ما سلمنا بوجهات نظر المؤلفين الثقات فيما يتعلق بشعب الهوسا، نجد أن الإيلوريين من أصل هوساوى. ولكن مثلما حدث فى الماضى فى بعض الأماكن الأخرى من العالم، وما ترتب على ذلك من نتائج مأساوية. فقد ارتفعت الأصوات والصراخ، وجاءت هذه الأصوات وذلك الصراخ من خارج المنطقة، وراحت تنادى باتحاد إيلورين كلها أو جزء منها مع الإقليم الغربى. ولم نعرف بوضوح ذلك الذى كانت تنشده تلك الأصوات وذلك الصراخ.

كان مؤيدو الوحدة يفضلون ترك هذه المسألة عائمة بلا تحديد، أملين من وراء ذلك بلا شك، فى أن ينتهزوا الفرصة مع استمرار النقاش بدلا من إلزام أنفسهم بأشياء بعينها. هذا يعنى أن التفكير فى التخلى عن إيلورين من قبل الإقليم الشمالى ستكون له آثار وخيمة. وحكومتى لا يمكن أن تفكر فى استسلام ذلك العدد الكبير من البشر – وأنا على يقين من أنهم أقلية، بل إنى أعتقد جازما أن آرائى تعكس آراء الأغلبية الساحقة من الناس الذين يهمهم الأمر – الذين يتحدثون ويتحالفون معنا من حيث اللغة والعادات والمعتقدات والتاريخ.

لن نتخلى عن النيوبى Nupes والباتيجى Pategi واللفياجى Lafiagi؛ لن نتخلى عن شعب البورجو. نحن نحاول فى وجود طلب مبرر لإبعاد أى جزء من المقاطعة عن تشريع حكومتى. الرأى العام فى إيلورين تغير بفعل مصلحة الحزب وبفعل المساعدة المادية التى استهدف الحزب من ورائها تكسير ذلك النفوذ – وأنا أعتقد أن هذا النفوذ يستهدف الاستقرار – الذى يمارسه الإقليم الشمالى على الاتحاد النيجيرى.

تحقيق هذا الهدف، استلزم التركيز على القبلية والذى لا شك فيه أن ذلك أسفر عن أضــرار كبيــرة، لا فى الشمال وحده وإنما فى نيجيريا كلها، وذلك عن طريق إظهار الصراع الدائر بين القبائل وعن طريق إظهار التفكك أمام اللجنة التى أسفرت عن إحياء ذلك الشر من جديد، بعد أن حسبنا عبر سنوات قليلة أنه مات وانتهى نهاية طبيعية. =

- نحن نرى أن بقاء إيلورين ضمن الإقليم الشمالى هو أمر مبرر تاريخيا. وعندما قام سيادة الحاكم العام بتحرى مسألة مراجعة الحدود الإقليمية، عاونا، نحن أهل الشمال، هذا التحرى معاونة طيبة بكل ما أوتينا من قوة. وجاء الأمر فى صالحنا. ولو جاء الأمر فى غير صالحنا لقبلنا ذلك عن طيب خاطر.
نحن نأسف لأن الآخرين لم يحترموا حكم صاحب السعادة الحاكم عام، وأسفنا أيضا لأن هؤلاء يرون أن من مصلحتهم السياسية المساس بوحدة الإقليم الشمالى الذى لا ينشد أية مصلحة أو منفعة فى شئونهم الداخلية، ولكنه ينكر على هؤلاء حق التدخل فى شئوننا.
هذه الحرب الضروس استعرت طوال قرون بين الإجباويين Igbas والإيباديين Ibadans، وبين الإكتيين Ekitis والإجبومانيين Igbominas وبين اليوروبا والأشجوبيين Oshogbos على شكل تحالفات مستمرة. وتحالفات متغيرة، وتحالفات مضادة، وعلى شكل غدر وخيانة.
لقد راقبنا باهتمام تلك الصراعات التى تدور فى الإقليم الغربى حول عزل الحكومة لواحد من الحكام الطبيعيين. لم يكن هذا الأمر يعنينا فى شيء، ولذلك لم نعترض، ولكننا هنا فى الشمال لدينا احترام فطرى ودائم لأسرنا الحاكمة، بغض النظر عن الأسر الملكية التى ينتمون إليها، ونحن نتردد كثيرا فى التفكير فى مجرد نقل واحدة من إماراتنا القديمة إلى حكم حكومة أخرى. هذا يعنى أن مفهوم البنية الإماراتية كله سوف يتعرض للخطر نتيجة لذلك، كما أن الارتباط الذى دام خمسين عاما مع الشمال سوف ينتهى إلى لا شيء. هذا يعنى أيضا تخلينا عن شيء لصالح أناس هم أصلا ليسوا أصحابه أو مالكين له.
هناك قسم من البلاد، كان فى أيام الأمراء عبارة عن غابة مفتوحة، وكانت تحتله القبائل، التى من أصل يوروبَّاوى Yoruba، ولكنها ليست من أصل يوروبّاوى خالص؛ وأن هذه القبائل بحكم ضعفها وانقسامها وقلة حيلتها كانت تتطلع إلى قبول هيمنة الأمراء المتحاربين حماية لأنفسهم من الغدر والخيانة والتضليل من قبل أناس يدعون أنهم من أبناء جنسهم.
استطاعت هذه الجماعات الصغيرة منذ زمن بعيد، وفى ظل حماية الحكومات المتعاقبة، أن تنمو وتتكاثر، وبخاصة خلال الخمسين عاما الماضية، إلى أن أصبحت تشكل كيانا عدديا كبيرا. تتعالى حاليا صيحات "الاتحاد مع الغرب". الذى يريده هؤلاء الناس، لا يتمثل فى الاتحاد مع الغرب، وإنما هم يريــدون الاستقـــلال. هذا النـــزوع الطبيعى إلى الاستقلال، هو الذى جعلهم يتأثرون ويطالبون بما يسمونه قمع الحكم الإقليمى وضغوطه عليهم، وجعلهم يطالبون بالوحدة مع منطقة أخرى سيكون استقلالهم فيها أقل مما هم عليه الآن. هنا.
لن ينسى الشمال مطلقا البتر الاضطرارى لمقاطعة إيلورين. هذه البتر ستكون له مضاعفات بالغة الخطورة. نحن على قناعة تامة أن إيلورين إذا ما تركت لشأنها بعيدة عن التوتر الناتج عن الشعور القبلى، وإذا ما هيأنا لها جوا هادئا تعمل فيه، فإن ذلك سيؤدى إلى وجود حكم محلى فى إيلورين، يسمح للجماعات العرقية كلها – مهما اختلفت أنواعها ومشاربها – بأكبر قدر ممكن من الحكم الذاتى الذى تحققه أية دولة من الدول الحديثة.
يقال ويتردد هنا فى بعض مدن الشمال إن إيلورين إذا ما انضمت إلى الإقليم الغربى فإن ذلك سيكون تخلصا طيبا من هذه المقاطعة. هذا الرأى تكذبه حكومتى وتستنكره. نحن لا نود التخلص من مسئوليتنا لمجرد أن منطقة من المناطق بدأت تشكل لنا مشكلة صعبة، وقد فعلت إيلورين الشيء نفسه قبل مجيء الأوروبيين. هذه المقاطعة غير عادية من حيث التكوين، بل إنها تكاد تكون فريدة، ولكن هذا ليس مبررا لزعزعة ثقتنا بأولئك الذين يثقون بنا. -

- سبق أن أكدت مرارا أن الإزعاج والقلق الناتجين عن الوحدة بين إيلورين والإقليم الغربى، ترجع أصولهما إلى حد بعيد، إلى أماكن خارج الإقليم، ولم يستطيعا الانتشار بفضل الحماية التى تكفلها الحكومة الإقليمية للعمليات الديمقراطية التى ظهرت فى هذه المنطقة.
فى إيلورين، جرّب الشمال إقامة الديمقراطية – هذه التجربة كانت مساوية، إن لم تكن أكثر تقدما من أية تجربه أخرى فى أى جزء آخر من أجزاء نيجيريا. وإذا كان انفصال إيلورين سيصبح نتيجة لهذه التجربة، فأنا أخشى تماما مذاق هذه التجربة ومذاق الديمقراطية سوف يصبح مذاقا مرًا إلى الحد الذى لن يهيئ للتجارب المماثلة الفرصة كى تؤتى ثمارها وأكلها، بل إن ذلك سوف يؤثر على تقدم الإقليم الشمالى كله نحو الديمقراطية.
نحن لا نخجل مما حققناه فى إيلورين، ولا نخجل أيضا من تعاملنا مع الأقليات الأخرى التى تشكل جزءا من إقليمنا الشمالى العظيم. ولكننا لن نطيق أو نتحمل الهجوم علينا من قبل الأحزاب الأخرى وصحافتها العميلة التى تتقنع بالديمقراطية والكلام المعسول، الذى لا يهدف إلا إلى تحطيم وتدمير المكانة التى حققها الإقليم الشمالى فى الفيدرالية النيجيرية.
هناك نقطة واحدة أخرى أود أن ألفت إليها انتباه اللجنة قبل أن أترك مسألة إيلورين وانتقل إلى بعض الملاحظات التى اختتم بها هذا الحديث. إن خصومنا سوف يحاولون، وبلا أدنى شك، استغلال التعبير الديمقراطى فيما يتصل بشئون الحكم المحلى، والمؤكد أيضا أننا سيجرى الهجوم علينا من باب نظام الانتخاب الخاص بالجمعية العمومية فى الإقليم الشمالى. ولعلنا هنا نتذكر بعض الحقائق ونستفيد منها. وإيلورين مثال يجب أن نأخذه بعين اعتبارنا. والسبب فى ذلك أن بعض الانتخابات فى إيلورين كانت انتخابات مباشرة. كان هناك حوالى ١١٤ ألف صوت. من بين هذا العدد كانت نسبة الذين ضيعوا أصواتهم تقدر بحوالى ٣١,٢ فى المائة (أى حوالى ٣٢٥٦٢ صوتا). هذا يعنى أن تسعة وستين صوتا ضاعت من بين كل مائة صوت صالحة للتصويت؛ ومن بين أولئك الذين أدلوا بأصواتهم ذهبت أصوات خمسة عشر شخص منهم إلى تحالف حزب جماعة العمل مع حزب آخر؛ ولم يصوت لصالح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى سوى أثنى عشر صوتا، ومعروف أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هو الحزب الذى شكلت منه حكومتى؛ كما صوت أربعة أشخاص لصالح بعض الأحزاب القبلية الأخرى. كان ذلك هو الموقف فى عام ١٩٥٦، عندما جرى انتخاب الجمعية العمومية الحالية.
كان حال الأحزاب فى الانتخابات الأولية للحكم المحلى، فى المنطقة على النحو التالى:

حزب المؤتمر الشعبى الشمالى	٥٢٥ مقعدًا
حزب أكيتى إجبومينا بارابو	٣٥٣ مقعدًا
حزب إيلورين تلاكا بارابو	٣٠٤ مقعدا
اتحاد اكيتى الفيدرالى	١١٠ مقعد
حزب جماعة العمل	٤٨ مقعدًا
أحزاب أخرى	١٦٠ مقعدًا

هذه الأرقام هى الأقرب إلى الصحة، وسوف يتضح أن عدد المؤيدين لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى يفوق أعداد المؤيدين لأى حزب من الأحزاب الأخرى بحوالى ١٧٢ صوتا. جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٥ فبراير من عام ١٩٥٨، الصفحة السادسة.

ونحن هنا نقتبس جزءًا كبير من خطاب المستشار السياسى الرئيسى إلى لجنة الأقليات حول مشكلة إيلورين؛ وهذا الاقتباس يوضح موقف المستشار السياسى الرئيسى من هذه المشكلة.

مقاطعة كنو Kano مكونة من أربـــع إمارات (انظر الخريطة رقم ٧)، ولكنها تعد أكثر المقاطعات تجانسا من حيث السكان فى نيجيريا كلها، سكان كنو كلهم يتكلمون لغة الهوسا. وإمارة كنو هى المسيطرة، والقسم الأكبر من التعقيدات فى إمارة كنو يرتبط بالتحزبات بين العائلات المهمة، ويرتبط أيضا بإحساس كنو عام بالاستقلال الذاتى، وتباين سكان هذه المدينة الكبيرة، كما يرتبط أيضا بوجود حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال.

"المدخل" السياسى الرئيسى إلى كنو يشتمل على عبد القادر كوجونا، ميتاماسول، إينوا وادا، وسول جايا، وبللو انداجو، وميكا نو دوتس Dutse، وبللو كانو، وإبراهيم موسى جشاش، وسانى جيزاوا، ورلوانو عبد الله، وعثمان بابورا[١]. يضاف إلى ذلك روابط القوة من خلال البنية الزعامية التقليدية، وبخاصة محمد سنوسى (أمير)، والشيخ أحمد، ومختار، وآدو بايرو (رئيس الشرطة، ثم أصبح أميرا بعد ذلك).

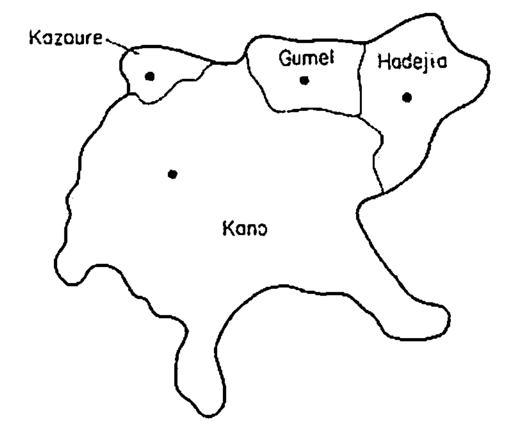
هناك قلة قليلة من الموظفين المدنيين جاءوا من كنو، وذلك من قبيل تفضيل هؤلاء الموظفين للعمل مع السلطة المدنية (الحكم المحلى) فى كنو. البعض من هؤلاء المدنيين يعملون على المستوى الفيدرالى (منهم عيسى والى، وألفا والى، وعودى هويدى، وأمين سنوسى، وإينوا دوتس). فى القطاع التجارى نجد أحمد بللو يبتكر روابط نافعة ومفيدة مع هارون كاسيم، ومع أسرة دانتاتا ومع أسرة جشاش التى تتجاوز الحد التجارى – السياسى. وهناك أيضا نصير كبارا، ونجد أيضا مدرسة الدراسات العربية التى هى بمثابة المدخل الذى يدخل المستشار السياسى الرئيسى منه إلى شعب كنو.

---

(١) كثير من مداخل كنو جرى التعرف عليها فى الفصلين ٥، ٦ وسوف نناقش ذلك فى الفصل الثالث عشر.

الخارطة رقم (٧)

Map 7
Kano Province
with Native Authority areas



مقاطعة كنو ومناطق السلطة المدنية

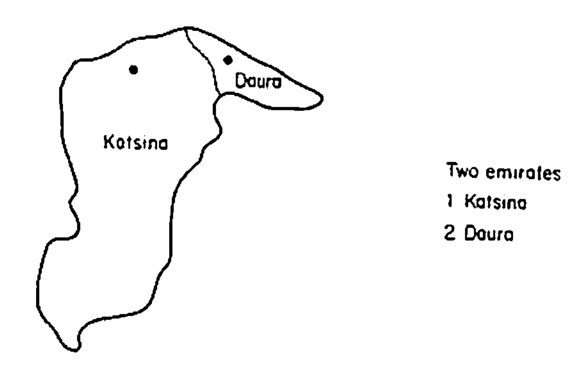
تتكون مقاطعة كاتسنا من إمارتين (كاتسنا ودورا) وهى مقاطعة متجانسة نسبيا. (انظر الخريطة رقم ٨). ومقاطعة كاتسنا واحدة من "المناطق الآمنة" بالنسبة للمستشار السياسى الرئيسى (اللهم باستثناء فونتوا وجنوبى كاتسنا) وسوف يحصل الرجل على بعض الموالين المؤيدون من هذه المناطق. على المستوى السياسى هؤلاء المؤيدون هم موسى عيا آدوا Adua[١]، ومحمد بشار[٢]،

(١) مقابلة شخصية، مع موسى عيار آدوا، كاتسنا، ٢٥ مايو من عام ١٩٨٥. يلتحق موسى بكلية كاتسنا فى الفترة من ١٩٢٥ – ٣٠. ويدرس فى الكلية نفسها فى الفترة ١٩٣٠ – ٤٥. وفى الفترة من ١٩٤٥ – ٥٣ يصبح مديرا للتراخيص فى مديرية الزراعة، التابعة للإدارة المحلية فى كاتسنا. فى الفترة من ٩٥٣ – ٥٩ يصبح الرجل عضوا فى المجلس المحلى مسئولا عن الحكم المحلى. وفى عام ١٩٥٩ يشتغل الرجل بالسياسة ويصبح وزيرا فيدراليا للمؤسسات وفى الفترة من ١٩٦٠ – ٦٦ يصبح وزيرا فيدراليا لشئون ليجوس – ويتقاعد الرجل فى عام ١٩٦٦. كان الرجل يلعب الخماسيات مع أحمد بللو فى كاتسنا، ويلتقيه فى عام ١٩٥٣ أثناء قيام أحمد بللو بجولة فى كاتسنا.

(٢) مقابلة شخصية مع محمد بشار، أمير دورا، بتاريخ ٢٦ مايو من عام ١٩٨٥، دورا. وُلد محمد بشار فى عام ١٩٢٥ – ٢٦، ودرس فى مدارس القرآن والمدارس الابتدائية إلى عام ١٩٣٦. التحق بمدرسة كاتسنا المتوسطة فى عام ١٩٤٢، ثم بكلية كادونا (باريوا) ١٩٤٥ – ٤٧. ثم يلتحق بعد ذلك بمدرسة كنو للدراسات العربية، وينهى الفصل المتوسط السادس فى كنو. ويطلب منه أمير دورا العودة فى وظيفة كاتب فى المكتب الرئيسى للإدارة المدنية فى دورا؛ ويشغل الرجل هذه الوظيفة بالفعل فى عام ١٩٤٨ – ٤٩. ثم يلتحق بعد ذلك بكلية تدريب الكتبة، فى زاريا، ويعود إلى دورا فى وظيفة مساعد كبير الكتبة فى عام ١٩٥٠. وينتخب الرجل للجمعية العمومية فى عام ١٩٥١، ويلتحق بحزب المؤتمر الشعبى الشمالى بعد الانتخاب. ويجرى اختياره أيضا لمجلس الممثلين فى ليجوس. وفى عام ١٩٥٣ يعين الرجل مستشارا فى دورا، ويصبح مسئولا عن الإدارة القانونية. ثم يعين الرجل بعد ذلك رئيسا لحى من الأحياء فى منطقة ساندامو. التى هى حى صغير. فى عام ١٩٤٥ يسافر الرجل إلى المملكة المتحدة لحضور دورة قنصل بريطانى، لمدة أربعة أشهر فى الحكومة المحلية. وعند عودته يحضر الرجل مقابلة شخصية لكى يعين رئيسًا مساعدًا لأحد الأحياء، فى ايلورين. ويحثه المستشار السياسى الرئيسى على الحضور إلى كادونا للخدمة فيها؛ وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٧ يصبح الرجل سكرتيرا برلمانيا لوزارة الإدارة المحلية (تحت رئاسة ميكانو دوتس). ويبقى الرجل فى منصب رئيس الحى، فى باورى Baure. ولكنه كان فى إجازه بلا راتب. ويسافر الرجل إلى المملكة المتحدة لدورة مدتها سنة فى كلية جنوب ديفون التقنية. وعند عودته فى عام ١٩٥٩ يصبح الرجل سكرتيرا برلمانيا فى وزارة صحة الحيوان والموارد الغابية (تحت رئاسة الوزير دانبوارام جادا). بعد الاستفتاء الذى أجرى فى عام ١٩٥٩، يجرى إلحاق الرجل على حملة الاستفتاء التالى. ثم يصبح الرجل وزيرا للحكم المحلى فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠. وفى عام ١٩٦١ يلتحق الرجل بالبعثة الاقتصادية النيجيرية المسافرة إلى آسيا، وأوروبا، والشرق الأوسط وبعض المناطق الأخرى (حوالى خمسين دولة). وفى عام ١٩٦١ ينشئ المستشار السياسى الرئيسى وزارة جديدة للاقتصاد والتخطيط، التى كانت من قبل عبارة عن فرع صغير من مكتب رئيس الوزراء. وفى عام ١٩٦٢ يصبح محمد بشار وزيرا للتخطيط الاقتصادى، ومسئولا عن مجالس التسويق وشركة تنمية نيجيريا الجديدة. وبعد الانقلاب الذى حدث فى شهر يناير من عام ١٩٦٦ يتقاعد الرجل ولكنه يعين أميرا لدورا فى عام نفسه. ويجرى توقيف الرجل فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٦. فى عملية تحقيق مع مجالس التسويق وشركة تنمية نيجيريا الجديدة. ويعود الرجل إلى منصب الأمير فى شهر مارس من عام ١٩٨٦.

الخارطة رقم (٨)

Map 8
Katsina Province
with Native Authority areas



مقاطعة كاتسنا مع مناطق السلطة المدنية

وعثمان لادان باكى[١]، وعيسى كيتا، ومحمد نصير، والشيخ عثمـــان[٢]، وعثمـــان ليمان وآخرون. وأمير كاتسنا هو وأمير دورا مدخلان رئيـــسيان أيـــضا. وهنـــاك بعض كبار الموظفين المدنيين من أمثال، أحمد كوماسى، وكلهم من كاتسنا.

مقاطعة النيجر يغلب عليها التعقيد العرقى، مع وجود أغلبية هوساوية، وفولانية، ونيوبية وأقليات جوارية Gwari مثل الكدارة، والكاكاندا، والجنانة Gananana، إلخ. والهوسا الفولانيين هم والنيوبى، وبعض من الجوارى يؤيدون ويدعمون حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كما أن خليطا من الجُوارى، والنيوبى، وآخرون يفضلون التحالفات الجنوبية (انظر الخريطة رقم ٩).

"المدخل" الرئيسى إلى مقاطعة النيجر هو على مكمان بدا. يضاف إلى ذلك عثمان الأمير، ودلهاتو بدا، ونداجى فاروك وكلهم مهمون. وعمر آجاى سكرتير الإعلان الوطنى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ومن بين الموظفين المدنيين، حسن ليمو، وعمر أودى[٣] وهما شخصيتان مهمتان، وساندا نواياكو (سمى إنسو نيوبى فيما بعد) كان هو الآخر موظفا مدنيا فى ذلك الوقت[٤]. الحاج أحمد باهاجو يعد هو الآخر مدخلا إلى "الجوارى".

---

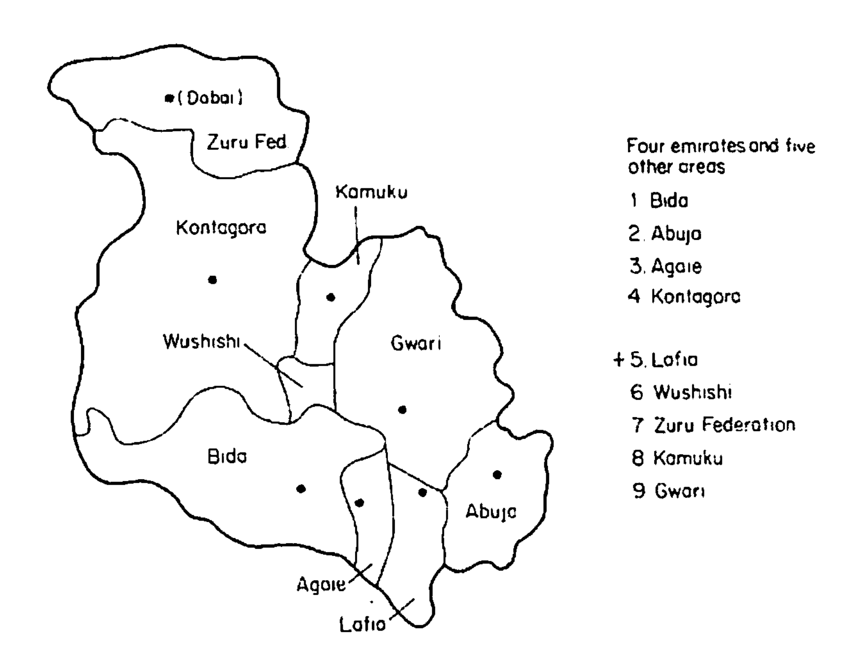
(١) ولد عثمان لادان باكى فى عام ١٩٦٢ وهو حفيد أمير دنو، رئيس الجمعية العمومية.

(٢) ولد الشيخ عثمان فى عام ١٩٢٥. ويلتحق بمدرسة كاتسنا المتوسطة قبل التحاقه بالإدارة المدنية، التى عين فيها كاتبا فى مالومفاش وكيتا. يحضر الرجل فى عام ١٩٥٢ دورات الحكم المحلى فى زاريا، وفى عام ١٩٥٥ يزور المملكة المتحدة لحضور دورات فى الحكم المحلى. ويخسر الرجل فى انتخابات مجلس الممثلين فى عام ١٩٥٤، ولكنه يجرى اختياره للمجلس الإقليمى فى عام ١٩٥٦ حيث يعين سكرتير برلمانيا لرئيس الوزراء، وفى عام ١٩٥٧ يصبح وزيرا للداخلية.

(٣) عمر أودى إدارى لأراضى العاصمة كادونا.

(٤) ساند نداياكو يسافر إلى باريوا ولندن: ثم يعين رئيسًا لأحد الأحياء فى كنو، قبل إرساله إلى ليجوس. فى عام ١٩٦٢ – ٦٣ يصبح الرجل سكرتيرا مساعدا. ويبقى مع الخدمة المدنية الفيدرالية إلى أن يجرى تعيينه فى وظيفة أخرى فى عام ١٩٧٤.

الخارطة رقم (٩)

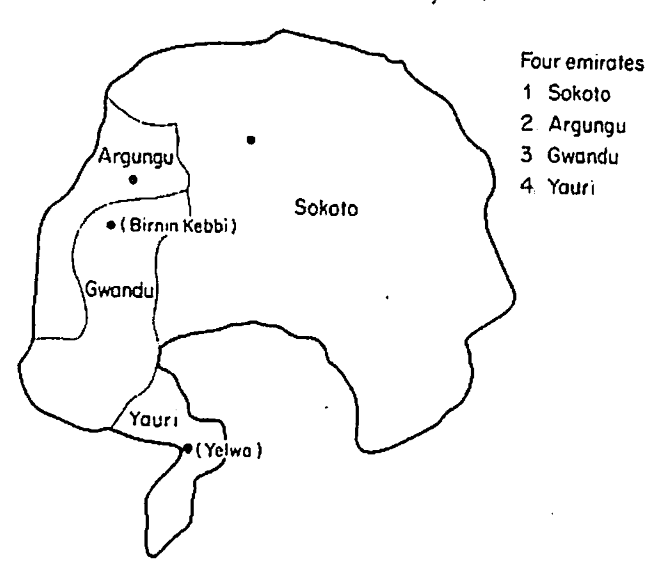


مقاطعة النيجر مع مناطق السلطة المدنية

سكتو مقاطعة "آمنة" عند المستشار السياسى الرئيسى، ولكنها ما تزال معقدة هى الأخرى. (راجع الخريطة رقم ١٠) هناك أربع إمارات (سكتو، جواندو، آرجونجو، وياورى) وهذه الإمارات فيها شيء من العلاقات التاريخية المتوترة. كانت أرجونجو (كبِّى Kebbi) تتخذ من سكتو موقفا عدائيا طوال القرن التاسع عشر والقرن العشرين. الياورى واحدة من ولايات الهاوسا ولها تاريخ مستقل عن تاريخ سكتو، وهى مكونة من صيادى الأسماك على طول نهر النيجر، وهؤلاء الصيادون لهم اتصالات كثيرة مع كونتاجورا Kontagora فى مقاطعة النيجر. داخل إمارة سكتو نجد أن مناطق جوساعو، وكورا – نامودا، وتلاتا مفادا، وكذلك آنكا Anka، كلها تعرف باسم "زمفارا"، وهذه المناطق لديها نزعات انفصالية قوية. الجزء الشمالى من الولاية موالى تماما لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، فى حين نجد المناطق الجنوبية (والشرق) هامشية.

هناك بعض "المداخل" المؤدية إلى سكتو، وواقع الأمر أن المستشار السياسى الرئيسى يعد بمثابة "المدخل" الرئيسى فيما بين المقاطعة والحكومة الإقليمية. والمعروف أن أمير جواندو (هارون الرشيد) وأمير أرجونجو (محمد ميره) حليفان. معروف أيضا، أن وزيرى جنيد، والمجاجين جارى على، هما وعمر وزير جواندو ومعهم آخرين كل هؤلاء يدخلون ضمن البنية التقليدية. وفى إطار الخدمة المدنية هناك إبراهيم دسوقى، وأبو بكر كيجو، وهاليرو بنجى، وأبو بكر جومى، وأبو بكر توناو، ويحيى جوساو، وإبراهيم أرجونجو، وعلى عقيل، ومحمد جيجا، وأبو بكر كوكو، وآخرون كثيرون، كل أولئك عبارة عن حلفاء ورفاق مقربون. وعلى المستوى الفيدرالى (الاتحادى) نجد كلا من الشيخ شاجارى يمكن أن يكون "مدخلا" من المداخل إلى مقاطعة سكتو.

الخارطة رقم (١٠)



مقاطعة سكتو مع مناطق السلطة المدنية

مقاطعة زاريا معقدة هى الأخرى بسبب التحزبات الموحدة داخل البنية الإماراتية فى المنطقة الوسطى، وفى داخل المناطق غير الإسلامية فى برنن جوارى Gwari Birnin، وداخل اتحاد الجماعة. (انظر الخريطة رقم ١١) شمالى زاريا يغلب عليه أن يكون مؤيدا للاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية (وبخاصة فى مدينة زاريا)، فى حين نجد أن جنوبى زاريا يغلب عليه عداؤه لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، عاكسا بذلك شيئا من الحساسية الدينية العرقية لدى الأقلية وبخاصة حول مناطق كواى Kwai، وكاشيا Kachiya وكافانشان Kafanchan.

تتمثل "المداخل" السياسية الرئيسية إلى زاريا فى كل من نوح بامالى(١)، وأحمد فاتيكا(٢) وتراكى على(٣) (الذى خسر مقعده بصورة مؤقتة فى خمسينيات القرن العشرين بسبب عدم مساندة الأمير له). وفيما بين الحكام التقليديين نجد أن علاقات المستشار السياسى الرئيسى مع الأمير جعفر ليست علاقات وثيقة، يضاف إلى ذلك أن هذا الجعفر لا يقدم مطلقا يد العون لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وعلى العكس من ذلك نجد أن علاقات المستشار السياسى الرئيسى مع الأمير محمد أمين، خلف هذا الجعفر، تعد علاقات وثيقة تماما. فى نطاق الخدمة المدنية، نجد عددا كبيرا من موظفيها هم من أهل منطقة زاريا، ومنهم محمد حياة الدين، وأبو بكر إمام، وعبد الرحمن مورا، وجيدادو إدريس، وآخرون. كما نجد أيضا قاضى القضاة فى زاريا (محمد لوال) من المقربين جدا إلى المستشار السياسى الرئيسى بسبب ما جرى فى عام ١٩٤٣. وإذا ما سلمنا بالانقسامات الموجودة داخل الزعامة الإماراتية التقليدية نجد أن زاريا معقدة بصفة دائمة. وهذا هو نوح بامالى الذى خاب أمله فى الترشيح للإمارة فى عام ١٩٥٩ يصبح "مدخلا" إلى ليجوس.

---

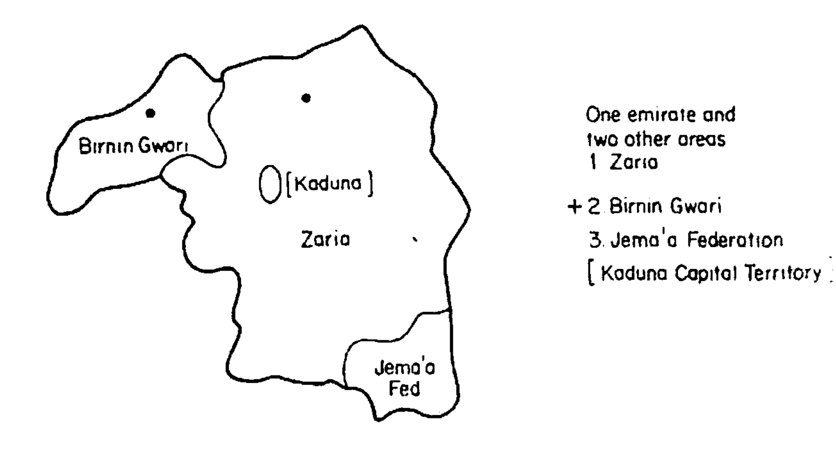
(١) راجع الفصل الخامس.

(٢) راجع الفصل الخامس.

(٣) ولد تراكى على فى عام ١٩٠٨ وتلقى تعليمه فى مدرسة زاريا المحلية وفى مركز تدريب كاتسنا، حيث حصل على المؤهل فى عام ١٩٢٨. ويعمل الرجل فى الحكومة فى كاتسنا فى عام ١٩٣١. عمل بالتدريس، وعمل محاسبا، ثم أصبح رئيسا لفرع حزب المؤتمر الشعبى فى زاريا، وانتخب للجمعية العمومية، ثم أصبح وزيرا إقليميا فى عام ١٩٥٥. فى ١٩٥٧ عين رئيسا لهيئة تطوير الإقليم الشمالى.

الخارطة رقم (١١)

Map 11
Zaria Province
with Native Authority areas



مقاطعة زاريا مع مناطق السلطة المدنية

خلاصة القول أن هناك قلة قليلة من المناطق الآمنة داخل مقاطعات الإمارات التسع. كل مقاطعة من هذه المقاطعات قابلة للانقسام بسبب التحزبات الداخلية. هناك مناطق كثيرة بها أقليات دينية - عرقية قوية بحاجة إلى الاقتناع بأنها هى الأخرى جزء من المجتمع الشمالى. الخليط المكون من السياسيين، والزعماء التقليديين، والموظفين المدنيين يغلب عليه أن يكون له دور فاعل فى تحقيق الربط مع المقاطعات الإماراتية. مقاطعة كاتسنا تبدو أحد الأماكن القليلة التى يعتمد فيها المستشار السياسى الرئيسى على دعم وتأييد كاملين. الأمر ليس كذلك فى سكتو، الذى أدى تنافسه الطويل والمستمر مع السلطان فيها إلى انقسام دائرة انتخابية موالية للسلطان، وبالتالى لا يستطيع المستشار السياسى الرئيسى الحصول على التأييد والدعم الكاملين. وعلى الرغم من كثرة "المداخل" السياسية "والمداخل" التقليدية، نجد أن كنو تعتمد اعتمادا كبيرا على حسن طوية الأمير السنوسى، التى بدأت تتضاءل.

٤ـ الروابط مع برنو:

تنقسم برنو فى أغلب الأحيان إلى ثمانية أطوار:

١) البدايات ممثلة فى دار الإسلام Dar al Islam، وقيام السّيف Sayfawa فى أواخر القرن الحادى عشر؛ (يمثل السيف المسلمين الأوائل، الذين ذاع عنهم أنهم جاءوا إلى برنو من اليمن، والزعيم الرئيسى السيف ينعتونه بلقب "الماى" mai).

٢) التخلى عن كانم وإعادة تأسيس السَيف فى برنو (غربى بحيرة تشاد).

٣) فترة الخلافة (القرن الخامس عشر - مطلع القرن التاسع عشر) مع وجود العاصمة فى برنى Birni جازارجامو Gazargamu.

٤) قيام الكانمى (توفى فى ١٨٣٧) بسبب الضغوط الواقعة عليه من خلافة سكتو (وعاصمته فى كوكاوا).

٥) فترة رابح Rabeh (سبع سنوات)؛ فى عام ١٨٩٣ يغزو رابح مدينة برنو ويؤسس عاصمة جديدة فى دكوا.

٦) ١٩٠٢، الحكم غير المباشر والمحمية الشمالية؛ (مع وجود العاصمة فى يروا Yerwa / ميدوجورى).

٧) فترة السلطة الوطنية.

٨) الاستقلال.

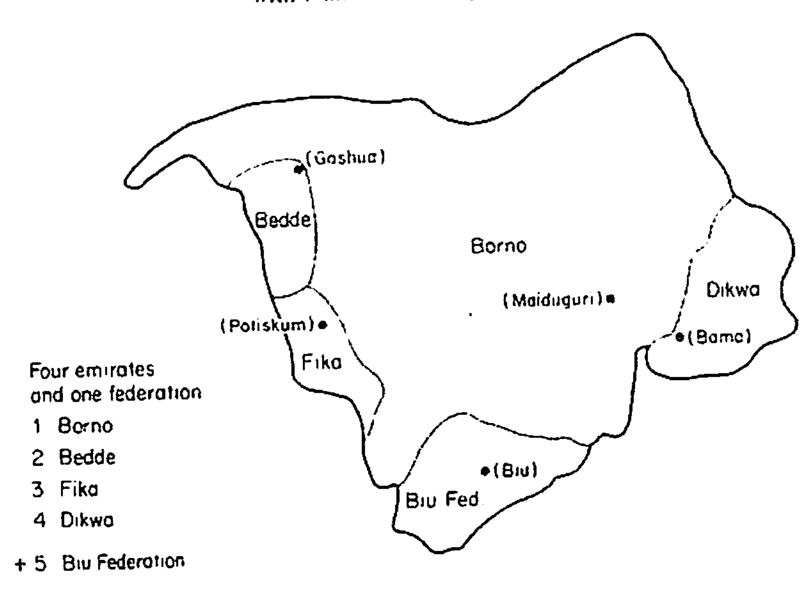
خلال فترة السلطة الوطنية تتحول إمارة برنو إلى نواة لمقاطعة برنو، ومعها كل من إمارات بدِى Bedde، وفيكا، ودكوا (بعد عام ١٩١٨). يدخل أيضا ضمن هذه المقاطعة كل من اتحاد بيو Biu غير المسلم (إمارة بيو Biu). (راجع الخريطة رقم ١٢) داخل إمارة برنو يظل التنافس السياسى مستعرا بين أحفاد السيف، وأحفاد الشيخ الأمين الكانمى فى ميدوجورى وأولئك الذين فى دكوا Dikwa على الرغم من أنهم كلهم يتكلمون لغة الكانورى.

بعض من السيف، أو بالأحرى السلالة الأصلية لملوك برنو، ينظرون إلى الكانمبو Kanembu (أو بالأحرى أحفاد الشيخ الأمين فى القرن التاسع عشر) على أنهم "مُغتصبون"، على الرغم من تأكيدهم على أن المهم فى برنو هو الدين[١]. هذه المفارقة تعكسها بعض التحزبات فى الحياة السياسية فى برنو.

هناك أيضا شيء من التنافس فى المقاطعة (وبيو) بين إمارة برنو والإمارات الغربية. كل من فيكا، وبدى Bedde وبيو لها لغتها الخاصة، وهيكل سلطتها الخاص بها (هذا بالإضافة إلى مدينة فلفولد Fulfulde التى تعد مشاعا فى المنطقة). دكوا متأثرة تأثيرا بثقافة العرب الشوّا Shuwa. "الأجانب" يرون أن سكان برنو

(١) مقابلة شخصية مع أبى جدّوم Jiddum جانا، فى اليوم الحادى عشر من شهر أغسطس من عام ١٩٨٤ فى ميدوجورى. يشتمل السيف فى إطار الحياة السياسية الإقليمية فى الشمال على أبى جدُّوم جانا، ووالى محمد نجيلروما (حفيد مباشر للمايات mais)، وزنًا كاردليما، وشتيما كانورى. ويشتمل الكانمبو Kanembu على بابا جانا وآخرين كثيرين.

الخارطة رقم (١٢)



مقاطعة برنو مع مناطق السلطة المدنية

كلهم يطلق عليهم اسم الباريباري Barebari، لكن على المستوى الداخلى هناك فروق كثيرة(١).

آبا جدُّوم جانا Abba Gana يورد رواية من التاريخ الشفاهى مفادها: أن كل "القبائل" التى كانت فى إمبراطورية كانم – برنو قبل البريطانيين، هى من سلالة طُبُّول أوال Tubbul Awal، اليمنية. والكانورى ينقسمون إلى قبائل كثيرة، بما فيها الشوًّا. والحال نفسه ينطبق على الإمبراطورية القديمة أى مارجى Margi بعض من سكان بيو، أو بالأحرى البابور Babur، ينظر الناس إليهم باعتبارهم "أمراء سود" جاءوا من برنن جازارجامو Birnin Gazargamu. شعب الباما Bama هو أيضا من الكانورى، والناس ينظرون إلى أفراد هذا الشعب باعتبارهم أحفاد "لمردة" giants من ساو Sau وقد رفض الدمبيون Dumbuwa هم والمارجى Margi الدخول فى الإسلام. وشعوب بيو Biu (وهم دمبيون أيضا) الذين تربطهم قرابة بالجوكون Jukun الدخول فى الإسلام فى القرن العاشر أو الثانى عشر ونزحوا عن البلاد. أما وثنيو Pagans جوزا Gwoza، الذين يبعدون مسافة تقدر بحوالى ثمانين ميلا عن ميدوجورى، فقد صعدوا إلى الجبال، ورفضوا الارتداد عن وثنيتهم. وما يزال السواد الأعظم من هؤلاء الناس يعيشون فى تلك الأماكن التى صعدوا إليها. فى بوتكسوم Potiskum، نجد أن الأسرة المالكة من سلالة البوليوا Bolewa ولكن أفرادها يتكلمون اللغة الكانورية أيضًا. هناك أيضًا جماعات أخرى كثيرة أصغر من ذلك. بادى Badde (ويصح فيه أيضا Bedde) هى قبيلة من القبائل؛ وقد ذهبت هذه القبيلة إلى جازارجامو، ولم تعرف من الذى كان أميرًا فى هذه المقاطعة. وخدعهم أحد الناس وقال لهم: "انظروا، هذا رداء جميل". وَعُيِّن الرجل أميرا على البادى Badde.(٢).

عموما، سيحصل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على دعم ومساندة كاملين من شعوب إمارات برنو، على الرغم من نشوء اثنين من تحديات الوحدة الإقليمية

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

من هذه المنطقة. المناطق الأخرى التى ليست تابعة لإمارات برنو يجرى إدخالها فى تحالف، ولكنها تظل معرضة للاستثارة من قبل الأحزاب السياسية الخارجية.

الحركتان "الوطنيتان البرنيتان" اللتان لهما وزن هما: حركة شباب برنو، بزعامة إبراهيم إمام، واتحاد ولاية برنو، بزعامة آبا Abba جدُّوم جانا. وهذه حركة شباب برنو تتحالف مع حزب جماعة العمل وتطالب بتقسيم الشمال. (راجع الفصل الخامس). اتحاد ولاية برنو ليس حزبا سياسيا وإنما هو "تنظيم ثقافى"، يطالب ببلد مستقل، أو بولاية مستقلة فى أضعف الأحوال.

خلاصة القول: إن حركة شباب برنو جرى طردها من برنو. ففى عام ١٩٥٧ صدر حكم على إبراهيم إمام بالسجن مدة تسعة أشهر من قاضى محكمة واج waje المحلية، بسبب حالتين من حالات الفساد الرسمى[١]. وفى شهر يناير من عام ١٩٥٨ يقوم كبير الممثلين المقيمين بإبطال ذلك الحكم، ولكن أدى ذلك إلى تفاقم المشاعر المحلية. وفى أواخر عام ١٩٥٨ تقع اشتباكات بين مؤيدى حزب حركة شباب برنو ومؤيدى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يسقط فى إثرها بعض القتلى. وفى عام ١٩٥٩ تحدث المزيد من الاشتباكات والعنف ويجرى إحراق منزل إبراهيم إمام. وفى شهر أغسطس من عام ١٩٦٠ يقع اشتباك آخر يسفر عن مقتل أحد عشر شخصا، وهنا يلتقى كل من إبراهيم إمام والمستشار السياسى الرئيسى لقاء مباشرا فى محاولة منهما لوقف ومنع هذا العنف. ويجرى فرض غرامات على أعضاء تحالف حزب حركة شباب برنو مع حزب جماعة العمل، كما يجرى أيضا توقيع غرامات على أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الذين اشتركوا فى تلك الاشتباكات أو إدخالهم السجن. تزداد خطورة تحدى الوحدة

---

(١) حُكم على ابراهيم إمام بالسجن مدة ستة أشهر لقبوله "رشوة" قبل ذلك بأربع سنوات من واحد من شعب الزمتاما. كان يشغل من قبل منصب رئيس حى جوبيو. المفروض أن إبراهيم طلب حصانا من ذلك الزمتامى. عندما كان عضوا فى مجلس الشيخ. يقول إبراهيم: إن الحصان قدم له كهدية. وطلب من إبراهيم إعادة الحصان. ولكن الحصان كان قد مات. ويحكم أيضا على ابراهيم بالسجن ثلاثة أشهر لاستخفافه بالمحكمة.

الإقليمية، وبخاصة فيما يتصل بمسألة إمكانية انتشار العنف من داخل الحزب إلى بعض الجوانب الأخرى من المجتمع. وهنا تصبح مسألة "تسوية" موقف إبراهيم إمام أمرا مهما بالنسبة لكاشيم إبراهيم، وينتهى الأمر إلى نفى إبراهيم إمام من برنو؛ ويستمر ذلك النفى إلى سبعينيات القرن العشرين. ويقف المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو) وراء هذا الحل ويؤيده.

الحركة الثانية (اتحاد ولاية برنو) لا يشكل تهديدا سياسيا، وإنما هو تحد أيدولوجى للوحدة الإقليمية. كان أبوجدوم جانا هو والمستشار السياسى الرئيسى صديقين حميمين على امتداد السنوات فى كادونا، ومع ذلك أحدثت حركة اتحاد ولاية برنو صدعا بين هذين الرجلين. وجرى نفى آبا جدوم جانا إلى لندن تحت مسمى الممثل عام لشمالى نيجيريا، إلى أن يتمكن من تبديد طاقاته فى كثير من الأنشطة الإقليمية؛ أو بالأحرى عن طريق اتحاد صحيفة جاسكيا (الحقيقة).

استنادًا إلى ما يقوله آبا جدوم جانا، فإنه أصبح فى اليوم الرابع من شهر سبتمبر من عام ١٩٥٦ رئيسا عاما لاتحاد ولاية برنو. وتتلخص أهداف ذلك الاتحاد فيما يلى:

١) خلق ولاية لبرنو (أى قرن جديد).

٢) تأسيس جامعة لبرنو.

٣) إنشاء مسجد مركزى أو رئيسى، يطلق عليه اسم مسجد الشيخ الأمين؛ (لم يكن هناك سوى مسجد صغير فى ذلك الوقت).

٤) إحداث نوع من التكامل بين كل الولايات والشعوب التى من أصل برنى.

بمن فى ذلك أولئك الذين يعيشون فى النيجر، الذى يقال إنه يحتوى على حوالى نصف مليون من البارىبارى، إضافة إلى العرب، والتشاديين والسودانيين. (هؤلاء الناس إذا لم يتمكنوا من أن يكون لهم بلدهم الخاص بهم، فإنهم يودوا أن تكون لهم ولاية فى نيجيريا) ويستمر وجود اتحاد ولاية برنو إلى اليوم الخامس عشر من شهر يناير من عام ١٩٦٦، عندما أصدر العسكريون قرارا بتحريم

وحظر التنظيمات الثقافية والسياسية جميعها. وهنا يغضب من هذه الفكرة ويستاء لها كل من هاماني ديورى (فى النيجر) وأحمد أهدجو (فى الكاميرون). كان آبا جدّوم جانا من المؤمنين بخلق ولايات داخل برنو. (لم يحدث من قبل غزو برنو. وكانت برنو قد دعت البريطانيين ليجلبوا معهم التجارة والتعليم. كانت برنو قد دخلت فى الإسلام فى القرن العاشر أو الحادى عشر. قبل ذلك بخمسمائة عام كان شيوخ برنو قد سافروا إلى مكة، وكان إدريس ألوما Alooma قد ساهم فى بناء الأزهر وقدم أموالا لملك مصر) كان اتحاد ولاية برنو يود عقد مؤتمر خاص بالحدود والتقسيم، إحساسا من أعضاء الاتحاد بأن الحدود الدولية مصطنعة[١].

يذكر آبا جدّوم جانا أن المستشار السياسى الرئيسى قال له: "يا آبا، هل تنافسنا؟" وفى عام ١٩٥٨ يجرى "ترحيل" آبا جدوم إلى لندن التى بقى فيها إلى عام ١٩٦١. ويكتب الرجل بعد ذلك رسالة إلى المستشار السياسى الرئيسى يقول له فيها: إنه يشعر بالوحدة فى المملكة المتحدة ويود العودة طالما إنه "شخص اجتماعى". (يضاف إلى ذلك أن منصب الوكيل عام انحطت قيمته بعد الاستقلال) وهنا يقوم المستشار السياسى الرئيسى باستدعاء آبا إلى نيجيريا. على الرغم من تعاطف آبا جدوم جانا مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، إلا أنه لم ينضم إلى أى حزب بسبب مركزه ومكانته فى الخدمة المدنية. ويبقى اتحاد ولاية برنو، بلا زعامة، داخل نطاق الأفكار المتنافسة، والمساندة للحركة الوطنية ومؤيدة لها[٢].

يرى آبا جدوم جانا أنه على الرغم من عدم تأييد اتحاد ولاية برنو للانتخابات إلا أنه كان يتحرك فى اتجاه إنشاء ولاية. كان المستشار السياسى الرئيسى قد جرى تحذيره من اتحاد ولاية برنو، وأحس الرجل أن هذا الاتحاد يحاول تقسيم أرض جده، وذلك من منطلق ادعاء المستشار السياسى الرئيسى بأن الشمال ملك له. ومع ذلك هناك إحساس بين أهل برنو، "نحن الذين أنشأنا نيجيريا؛ وأننا كنا الولاية الأولى". كانت برنو شهيرة تماما فى الشرق، أو بالأحرى فى كل من السودان ومكة. كانت المملكة العربية السعودية تعرف برنو هى والمستشار

(١) مقابلة شخصية. فى اليوم الثامن من شهر أغسطس من عام ١٩٨٤، فى ميدوجورى.

(٢) المرجع السابق.

السياسى الرئيسى، ولم تكن تعرف نيجيريا. كان المستشار السياسى الرئيسى منصفا لبرنو من الناحية السياسية، ولكن اتحاد ولاية برنو لم يكن مدرجا فى كتاب الحسنات عند المستشار السياسى الرئيسى(١).

كانت "المداخل" إلى سياسة برنو والاتصالات مع المنظومة الإقليمية تمر من خلال سلسلة من التحويرات فى خمسينات القرن العشرين، وكانت تلك التمريرات تعتمد على المنافسة الشخصية. ويأتى أخطر هذه التحويرات من محمد نجيلروما (والى برنو)(٢) على شكل تحدٍ لكاشيم إبراهيم(٣).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد نجيلروما: من مواليد عام ١٩٠٨ فى ياروا فى (ميدوجورى)، ويلتحق الرجل بمدرسة ياروا الابتدائية وكلية المعلمين فى كاتسنا. ويعين الرجل مدرسا فى مدرسة يروا الابتدائية، كما يشغل بعد ذلك وظيفة كاتب فى مكتب قاضى القضاة، ثم يعين فى عام ١٩٣٤ كبيرا للكتبة فى المكتب الرئيسى. وفى عام ١٩٤٢ يلبس عمامة المستشار القانونى الثانى لمجلس الشيخ ووالى برنو. فى عام ١٩٤٩. يرقى الرجل إلى مستشار قانونى أول. وفى عام ١٩٤٧ يعين الرجل فى الجمعية العمومية فى الشمال بصفته ممثلا لبرنو. ثم يجرى انتخاب الرجل فى عام ١٩٥١، ويصبح أول وزير للموارد الطبيعية. وفى عام ١٩٥٣، يصبح الرجل وزيرا لبرنو. ثم رئيسا للإدارة المدنية فى برنو، ثم نائبا لرئيس الجمعية العمومية فى الشمال. ويترأس الرجل المجلس الخارجى لقسم برنو، كما يترأس أيضا المؤتمر السنوى لرؤساء الأحياء. نائبا عن الشيخ. وعندما لا يتمكن الشيخ من حضور الاجتماعات كان هو ينوب عنه.
ينظر الناس إلى محمد نجيلروما باعتباره "رجلاً كانوريًا خالصًا". فقد تلقى الرجل تعليمه باللغة العربية على أيدى والده. الذى كان قاضيا فى ميدوجورى. ومحمد نجيلروما من خلف مايات Mais السيف. كان اسم محمد فى المدرسة "المعلم كاكا المعلم". وكان من المقربين جدًا إلى المستشار السياسى الرئيسى. وعندما أصبح الرجل وزيرا فى برنو ذاع صيته تحت اسم "الرجل الحديدى". نظرا لغلظته وصلابته. كان الرجل يود تطهير الجميع، ولكن الناس كانوا ينظرون إليه هو نفسه باعتباره مكشوفا ومعرضا فيما يتصل بموضوع تقديم الهدايا. كان الرجل صاحب علم. وبعد أن تقاعد الرجل من منصب الوزير. واصل تأييده ومساندته لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى شئون السياسة المحلية. انشرح صدر المستشار السياسى الرئيسى للأعمال التى كان يقوم بها ولذلك رتب المستشار لتقليد ذلك الرجل بعض المناصب فى السفارات، فقد عمل مبعوثا خاصا فى السودان والمملكة العربية السعودية. ثم بعد ذلك مبعوثا خاصا لدى الأمم المتحدة، ثم بعد ذلك مبعوثا خاصا فى القاهرة. ثم تقاعد الرجل بعد ذلك. وتوفى الرجل فى حادث سيارة وهو فى طريقه إلى كادونا لحضور اجتماع لجنة كبار الشخصيات الكانورية العاملة فى كادونا (فى عام ١٩٦٨). يصف الناس علاقة نجيلروما مع السير كاشيم. فى بعض الأحيان بأنها "علاقة رجلان يتنافسان".

(٣) السير كاشيم إبراهيم ينحدر من أسرة من معلمى القرآن. كان أسلافه يبيعون المراوح المصنوعة من ريش النعام فى بلدة كوكاوا، ودرس الرجل القرآن. كان والده يدعى إبراهيم لاكانو. وكانوا يعتبرونه رجلا متدينا من أهل كوكاوا، ولكنه يعيش فى ميدوجورى. كان شقيقه الأكبر مصطفى. قاضيا (توفى بعد عام ١٩٦٨ – ٦٩). للمزيد عن حياته العملية راجع الفصل الخامس.

كان الاثنان رفيقين وصديقين للمستشار السياسى الرئيسى. بذلك نرى أن كاشيم كان هو "المدخل" فى عام ١٩٥٦ عندما يحل محل نجيلروما فى منصب الوزير، وينتقل نجليروما إلى "المنفى" فى وزارة الخارجية. معروف أن شيخ برنو(١) رجل كبير السن ويعتمد على الوزير فى إدارة برنو.

فى شهر يوليو من عام ١٩٥٦، يتوصل مجلس التحقيق الذى أمر بتشكيله الوزير محمد نجيلروما إلى إلقاء القبض على ثمانية مسئولين من السلطة المدنية، ووجه إليهم تهمة اختلاس مبلغ ١٣٢٠٠٠ جنيه إنجليزى. ووجه الاتهام نفسه إلى تسعة آخرين. ويقوم مجلس مدينة برنو بإرسال وفد إلى الممثل المقيم، ويقدم شكوى حول انهيار العلاقات مع الوزير محمد نجيلروما، الذى اضطر إلى الاستقالة من منصبه. ويعين كاشيم إبراهيم بدلا منه.

ونحن عندما نتأمل أحداث الماضى كى نستفيد منها، نجد أن المستشار السياسى الرئيسى لم يكن متورطا أو معنيا بالسياسة الداخلية فى برنو، وهى المعنية بتغيير الوزراء. فى عام ١٩٥٦، كانت برنو ماتزال عالما بحد ذاته. ويواصل المستشار السياسى الرئيسى عمله مع كاشيم إبراهيم، ويتخذ من الترتيبات ما يسمح لنجيلروما بالمشاركة فى شئون الحج.

على الرغم من أن كاشيم إبراهيم أصبح "المدخل" إلى برنو بعد محمد نجيلروما، إلا أن هناك آخرون كثيرون من برنا كانت لهم علاقات عمل وثيقة مع المستشار السياسى الرئيسى ويقومون أيضا بتوفير المعلومات المطلوبة، وهذا بحد ذاته يعكس أدوارهم التقليدية وأدوارهم الإقليمية أيضا. على الصعيد السياسى نجد أن هذه الشخصيات تشتمل على أبا حبيب(٢)،

---

(١) ولد الشيخ عمر بن محمد الأمين الكانمى فى عام ١٨٧٣. وهو ولد الشيخ قيارى بن محمد الأمين الكانمى. شغل هذا الرجل منصب شيخ دكوا فى الفترة من ١٩١٧ – ٣٧. فى عام ١٩٣٧ يصبح الرجل شيخا لبرنو. وفى عام ١٩٦٠، يبلغ الرجل من العمر سبعة وثمانين عاما، ويلقى ربه فى عام ١٩٦٧.

(٢) للمزيد عن أبا حبيب راجع الفصل الخامس.

وزنًا بـــوكار Bukar دبشاريمـــا[١]، وشتيمـــا على منجونو[٢]، وإبراهيم بيـــو[٣]،

---

(١) يعد زنا بوكار دبشاريما من العصاميين، الذين اعتمدوا على سواعدهم ولم يكن من ورائهم عون أسرى أو ثراء موروث. (كان والده رئيسا لقرية فى دبشارى، فى إمارة دكوا) ادعى الرجل أنه من "الكانورى"، ولكن أهل ميدجورى ينعتون أهل المنطقة التى منها زنا بأنهم "جامارجيون" Gamargu، أى من الكانور "أشباه المسلمين". يلتحق زنا بمدرسة دكوا الإلزامية. ثم بعد ذلك بمدرسة برنو المتوسطة، ثم بكلية كاتسنا. عين الرجل مدرسا فى بداية الأمر، ثم عمل بعد ذلك موظفا فى شركة جون هولت (للأموال والأعمال) فى ميدوجورى. وفى عام ١٩٤٧ يلتحق الرجل بحزب المؤتمر الشمالى الدستورى الجديد، ثم بعد ذلك مندوبا للحزب نفسه فى لندن. ويلتحق الرجل بحزب المؤتمر الشعبى الشمالى بعد تأسيسه، ويعين وزيرا فى ليجوس طوال هذه المدة. وهو واحد من السياسيين الأذكياء، بل إنه واحدا من السياسيين المتعلمين النجباء. والناس ينظرون إليه باعتباره "مدخلا" بين برنو وليجوس وبخاصة عندما كان وزيرا للنقل، والتجارة والصناعة والحرف. وهو فى خطه السياسى يقترب من برنو أكثر من اقترابه للمستشار السياسى الرئيسى. على الرغم من أنه لم يكن "يهرب" إلى ليجوس ويسعى إليها. لم يكن الرجل على وفاق تام مع الأمراء التقليديين مثلما كان السير كاشيم. فى الفترة ما بين ١٩٦٦ – ١٩٦٩ يصبح الرجل واحدًا من رجال المال والأعمال فى ميدوجورى ويحقق ثراء كبيرا. ويموت الرجل فى حادث جوى فى عام ١٩٦٩، خارج نطاق مطار كنو، عندما تحطمت به طائرة خاصة كانت فى طريقها إلى بوتسكوم.

(٢) وُلد شتيما على منجونو Mongouno فى عام ١٩٦٢ فى قرية زنكاليا فى منجونو. ووالده واحد ممن ذاع صيتهم فى الزراعة، ولكنه يلقى ربه قبل أن يولد له شتيما. يتلقى الصبى تعليمه فى مدرسة منجونو الإلزامية، ثم فى مدرسة برنو المتوسطة (١٩٣٩ – ٤٤)، وفى الفترة ما بين ١٩٤٤ – ١٩٤٧ يلتحق الرجل بكلية المعلمين فى باوتشى. يقوم الرجل بالعمل فى مهنة التدريس فترة قصيرة، ثم يلتحق بعد ذلك بكلية كاتسنا العالية (١٩٤٩ – ٥١). ثم يلتحق بالكلية النيجيرية للفنون والعلوم والتقنية، بناء على منحة من حكومة الشمال الإقليمية. فى عام ١٩٥٨ يسافر الرجل فى منحة إلى جامعة أدنبرة ويحصل على شهادة فى عام ١٩٥٩ فى الأنثربولوجيا الاجتماعية. ويعود الرجل إلى نيجيريا فى عام ١٩٥٩. ليصبح أول سكرتير للتعليم فى السلطة المدنية فى شمال نيجيريا. وفى العام نفسه يعين الرجل مستشارا للتعليم فى سلطة برنو المدنية. ثم يتحول الرجل إلى سكرتير برلمانى فى عام ١٩٥٩. وفى عام ١٩٦٠ يصبح الرجل سفيرا للنوايا الحسنة لنيجيريا فى كثير من الدول، بما فى ذلك الأمم المتحدة. ثم يصبح الرجل بعد ذلك وزيرا فيدراليا للمناجم والطاقة، ثم وزيرا للداخلية. وطوال الفترة العسكرية، يواصل الرجل عمله فى ليجوس ويتقاعد فى عام ١٩٧٥. رافضا الوظائف كلها، على الرغم من عمله نائبا أول لراعى جمعية من جمعيات الشمال.

(٣) يقال إن إبراهيم بيو حقق ذاته من خلال التعليم وليس من خلال الألقاب التقليدية. وينتقل الرجل من مدرسة برنو المتوسطة إلى إدارات الأشغال فى بيو بصفته مشرفا على الأشغال. ويجرى انتخاب الرجل للجمعية العمومية لتمثيل بيو Biu على الرغم من قربه للمستشار السياسى الرئيسى. ويقال إنه كان مؤدبا مع الجميع، وإنه كان متدينا وجادًا. ويعين الرجل وزيرا للإعلام فى الحكومة الإقليمية.

والوزير إبراهيم[١]، ومصطفى (إسماعيل) منجونو[٢]، وزنّا عمر بنشيك[٣]، وآخرون.

يشكل موظفوا الخدمة المدنية البرنيين حوالى ثلث الوظائف العليا فى الإقليم الشمالى، ولهم تأثير كبير على الانسجام الإقليمى. وهؤلاء الموظفون يشتملون على بوكار الشايب Bukar Shaib[٤]، وأحمد طالب[٥]، وكام سالم[٦]، محمد لوان، وموسى دجاش Daggash، ومحمد جوجباو، وبابا Baba جانا[٧]، وليمان سيروما،

---

(١) الوزير إبراهيم هو ولد أحد الأئمة فى كونداجا، بالقرب من ميدوجورى، يسافر الرجل إلى دماتورو (التى يقيم فيها شقيقه) وبعد أن ينتهى من دراسته فى كادونا يرشح من قبل السلطة المدنية لمنصب وزير فيدرالى. وهو من "التقدميين" وتربطه بالسير كاشيم علاقة مصاهرة.

(٢) مصطفى (إسماعيل) منجونو يلتحق بمدرسة برنو المتوسطة، ويصبح الرجل أول طبّاع فى الإدارة المدنية. يحصل الرجل على دورة فى الطباعة فى عام ١٩٤٨ - ٤٩، ويصبح عضوا فى الجمعية العمومية. (ويساعده والى محمد على ذلك) ثم يصبح الرجل بعد ذلك وزيرا، وذلك عن طريق والى محمد ونفوذه لدى المستشار السياسى الرئيسى. وبعد انقلاب عام ١٩٦٦ يعود الرجل إلى ميدوجورى رئيسا لحى ياروا. ويلقى الرجل ربه فى عام ١٩٧٥ بسبب المرض.

(٣) زنّا عمر بنشك: ولد فى عام ١٩٢٠. التحق بمدرسة برنو المتوسطة، ثم التحق بعد ذلك بإدارة الأشغال فى وظيفة حفار آبار. ويحصل الرجل على عضوية حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ويصبح ممثلا له فى مجلس الممثلين. ثم يصبح بعد ذلك مفوضا محليا. ويقال إنه كانت تربطه بالحزب علاقات وثيقة، ولكنه لم يكن من المقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى. (وفى عام ١٩٨٤ يصبح رئيسا لحى ميدوجورى).

(٤) بوكار الشايب هو ولد لوان الشايب (رئيس قرية من القرى). أمه ابنة واحد من مسئولى الشيخ المهمين.

(٥) أحمد طالب ينحدر من أسرة من أسر كبار الأئمة فى ميدوجورى. والده اسمه عثمان وأمه من كونروجا.

(٦) كام سالم هو ولد أحد المعلمين العرب فى دكوا. وهو ينحدر أصلا من عرب الشوا من الجانبين. التحق الصبى بمدرسة دكوا الابتدائية، ثم بمدرسة ميدوجورى، ثم بكلية الشرطة فى كادونا (فى عام ١٩٤٢). ثم أصبح مفوضا لشرطة شمالى نيجيريا، ثم مفتشا عاما للشرطة على المستوى الفيدرالى.

(٧) بابا جانا (ولد فى عام ١٩٢٤ وتوفى فى عام ١٩٧٥) ينحدر من عائلة شتيما كوبورى (كانمبو)، وهو واحد من صناع الملوك. وهو أصلا من بلدة دماتورو Damaturu التحق الصبى بمدرسة برنو المتوسطة، وبكلية كادونا، ثم سافر بعد ذلك إلى المملكة المتحدة لحضور دورة ديفنشاير Devonshire. عمل الرجل موظفا مدنيا فى ميدوجورى، وفى زاريا، وفى كادونا، ثم يصبح بعد ذلك وكيلا عاما فى لندن، ثم سفيرا فى اليابان، ثم سكرتيرا دائما فى ليجوس (للشئون الخارجية)، وفى عام ١٩٧٣ يعين وزيرا فى برنو. وهم يعتبرونه أمينا ويمكن الاعتماد عليه. وهو أيضا تقدمى.

وآدم سيروما، وآدم فيكا، وببا جميتا Babba Jimeta، وإبراهيم داميدا، وشتيما أحمد لبرتى[١]، آبا جدوم جانا[٢]، وآخرون. فى داخل الجيش، كان الشبان البرنيون الصغار يتحركون باتجاه رتب الضباط العظام، وكان من بينهم كور محمد[٣]، وزاك ميملارى Maimalari[٤]، وأبوجو لارجيما Largema[٥].

من بين الزعماء التقليديين، وعلى الرغم من تأثير الشيخ الكبير ونفوذه، كان الشيخ مصطفى[٦]، وموا Moi فيكا، وأمير دكوا (عمر)، وأمير دكوا المتقاعد (آبا ماستا) كلهم كانوا على اتصال مباشر مع المستشار السياسى الرئيسى. نظرا لأن

---

(١) شتيما أحمد لبرتى (أو بالأحرى أحمد مختار): هو من بلدة ليبرتى Liberty Town، التى أنشئت بعد إلغاء تجارة الرقيق على أيدى البريطانيين. وهو ابن لرئيس قرية بام بامّارى Pam pammari. ويعمل الرجل موظفا مدنيا ومحاميا، كما يعمل أيضا محاميا حكوميا. (بعد إنشاء الولايات يجىء الرجل إلى ميدوجورى رئيسا للإدارة القانونية، مدعيا عاما. وفى عام ١٩٨٤ يعمل الرجل رئيسا لمستشفى التدريب الجامعى).

(٢) آبا جدُوم جانا هو ولد شتيما محمد موسك Muske، رئيس قرية شيتيمار Shetimar (جنوب غرب ميدوجورى)، الذى يلقى ربه فى عام ١٩٢٦. والدته هى جومسو Gumsu، وهى من منجونو، ومن أسرة من المحظيات من كانورى الكوبورى Kuburi (كانمبو). حصل آبا جدوم على هذا الأسم عندما كان فى المدرسة فى بنشك Benishek. التحق الصبى بالمدرسة المتوسطة، التى كان أبو حبيب يعمل فيها مدرسا، ثم انتقل بعد ذلك إلى كادونا، حيث عثر على "المجتمع العلمى" الذى قدم إليه احتجاجه. للمزيد عن حياة هذا الرجل العملية يرجى مراجعة الفصلين الرابع والخامس.

(٣) كور محمد من بلدة باما، وهو من عائلة من عرب الشوًا العلماء والباحثين فى دكوا. التحق عندما كان صبيا بمدرسة برنو المتوسطة ثم التحق بالجيش بعد ذلك. واغتيل الرجل فى شهر يناير من عام ١٩٦٦.

(٤) زكريا مايملارى، من أسرة فولانية فى نجورو، وكان والده رئيسا لقرية مايمالارى Maimalari. يلتحق الصبى بمدرسة برنو المتوسطة، ثم بكلية كادونا، ثم ينخرط بعد ذلك فى الجيش. وفى الفترة من ١٩٥٠ – ٥٣ يلتحق بالكلية الحربية البريطانية (مع عمر لوان، المتقاعد حاليا، وهو من بنشك) واغتيل الرجل فى شهر يناير من عام ١٩٦٦.

(٥) أبوجو لارجيما من دمبوا Dumbuwa، جنوبى برنو، وهو من سلالة المارجى. وقد اغتيل الرجل فى شهر يناير من عام ١٩٦٦.

(٦) الشيخ مصطفى (ولد فى عام ١٩٢٤) وأصبح شيخا فى عام ١٩٧٤ / ٧٥، وخلف عمر بن جرباى (١٩٢٤– ٧٤). الذى يعد أكثر من مجرد باحث عربى، وقد خلف الشيخ الكبير (عمر الأمين) فى عام ١٩٦٧. الشيخ مصطفى كان عضوا فى الجمعية العمومية فى عام ١٩٥٦، ثم أصبح سكرتيرا برلمانيا، فى الفترة من ١٩٦١ – ٦٦، فى وزارة الأراضى والمسح. الشيخ مصطفى هو الابن الوحيد من بين أبناء الشيخ الكبير، الذى تلقى تعليما غربيا، ويسافر الرجل مع أبيه إلى كادونا ليعمل كاتبا لوالده. لم يكن الرجل مقربا إلى المستشار السياسى الرئيسى، ولكنه كان على وفاق تام معه. (وفى عام ١٩٨٤، كان الرجل يشغل منصب شيخ برنو).

مسألة خلافة شيخ برنو لم تُثَرْ فى الفترة ما بين ١٩٥٢ و ١٩٦٦، الأمر الذى لم يهيئ الفرصة لتدخل المستشار السياسى الرئيسى. ويتضح هنا أيضا أن كثيرين من صناع الملوك التقليديين كانوا رفاقا مقربين إلى المستشار السياسى الرئيسى[١].

داخل مجتمع المال والأعمال، كان هناك على كونوكو، Kotoko[٢]، وهو "مدخل" رئيسى. كان المستشار السياسى الرئيسى على اتصال مباشر بالباحثين المسلمين (من أمثال بابا Baba كورا إمام)[٣] وذلك عن طريق أبو بكر جومى فى مدرسة كنو للدراسات العربية.

تعقيدات ومشكلات برنو السياسية تحير المراقب الخارجى، أو بالأحرى الغريب أو الأجنبى على هذه المنطقة، وهذا يشجع المستشار السياسى الرئيسى على البعد عن تلك المشكلات، ويكتفى بالتعامل معها من خلال "المداخل". يضاف إلى ذلك أن علاقات المستشار السياسى الرئيسى الفكهة مع أهل برنو تسمح له بمدى كبير وواسع من الاتصالات غير الرسمية مع القطاعات كلها. والمستشار السياسى الرئيسى ينظر بصورة أو بأخرى إلى برنو باعتبارها من مستوى واحد مع المقاطعات الإماراتية الثمانى مجتمعة (باستثناء كنو). من هنا فإن تمثيل برنو فى الخدمة المدنية يعد عاليا على غير العادة. على كل حال، فقد ظلت برنو فى أواخر

---

(١) يشتمل صناع الملوك على كل من: ١. شتيما كانورى؛ ٢. شتيما كوبورى؛ ٣. كيجاما؛ ٤. المعلم تراب؛ ٥. إبراهيم واداى. أخيرا، أضيف وزيرى إلى المجلس. (أدخل وزيرى إلى برنو فى عشرينيات القرن العشرين، على يدى شتيما كولو. الشقيق الأكبر لبابا جانا. وجرى بعد ذلك إعادة شتيما كولو إلى مارجى).

(٢) على كوتوكو من المنطقة الناطقة بلغة الكوتوكو فى الكاميرون، من قرية جولفى. شبَّ الصبى ميدو جورى كسائق سيارة، ولم يحصل على شىء من التعليم الغربى، ويصبح بعد ذلك شخصًا نيجيريا طبيعيًا. ويبنى لنفسه عملاً تجاريًا، وهو مقرب جدًا إلى المستشار السياسى الرئيسى. ومخلص للشركا شيمه، وذاع حيث كرمه. ويصبح مقالاً شهيرًا.

(٣) باباكورا إمام هو ولد الأمام ماشيديما؛ التحق الصبى بمدرسة عربية محلية. ثم تلقى تعليما قانونيا فى كنو. والرجل عضو فى الجمعية العمومية (ممثلا لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى). وكان الرجل قاضيا لحى جيدام فى مطلع خمسينيات القرن العشرين.
وهو يخدم أيضا (مع أبى بكر جومى) فى محكمة الاستئناف الشرعية فى الشمال. وبعد تأسيس الولايات أصبح الرجل قاضيا للقضاة فى ميدوجورى. وهو يرتبط بقرابة مع أحمد طالب. ومتزوج من ابنة. أبى بكر جومى. وهو يضع أبا بكر جومى فى مقام والده فى مجال الشريعة (وفى عام ١٩٨٤ يصبح الرجل قاضيا للقضاة فى برنو).

الفترة الاستعمارية تحتفظ بطابع ذاتى قوى هو أقوى بكثير من طابعها "الشمالى". يضاف إلى ذلك أن قسما من مهمة المستشار السياسى الرئيسى يتمثل فى تشجيع الهويات المركبة حتى يتسنى لبرنو أن تزداد ارتباطا بالإقليم الشمالى. فى مطلع فترة الاستقلال، أدى تعيين إبراهيم محافظا Governor للإقليم الشمالى إلى تدعيم هذه الرابطة.

٥ـ الروابط مع مقاطعات الحزام الأوسط:

تتراوح علاقات المستشار السياسى الرئيسى مع مقاطعات الحزام الأوسط الثلاثة (كبًا kabba، والهضبة، وبنيو Benue) بين العلاقات الودية، والبين بين والعداء. معروف أن حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد له قوته فى بعض أجزاء هذه المناطق، كما أن هذا الحزب يطالب بتقسيم الإقليم الشمالى. وسوف تتولى لجنة الأقليات دراسة المطالبة بإنشاء ولايات، دراسة مفصلة.

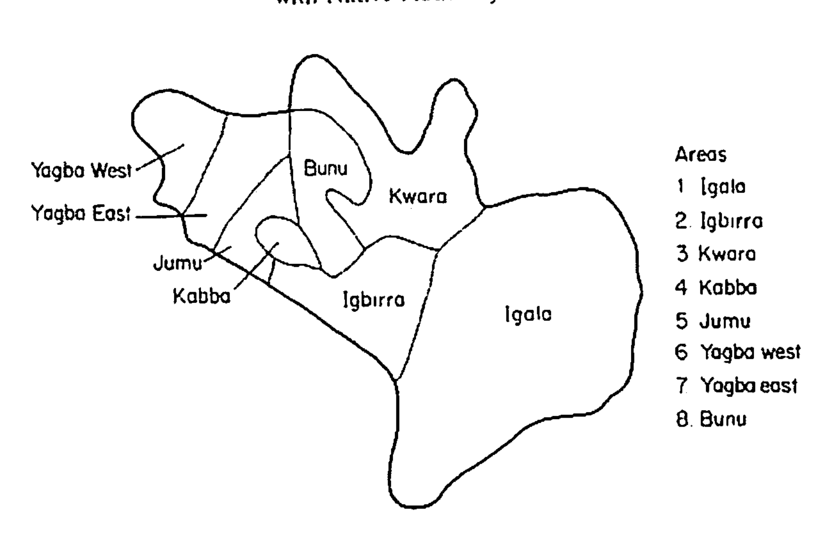
مقاطعة كبًا واحدة من المقاطعات "الصديقة" قلبا وقالبا، وهى تقوم على تحالفات فى كل من إجبيرا Igbirra وإيجالا Igala اللتان تكونان القسم الأكبر من المقاطعة[١]. (راجع الخريطة رقم ١٣) يمكن التعويل على قسم كبير من مقاطعة كبًا فى تأييد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، والفضل فى ذلك يرجع إلى مقاومة أهل كبًا التقليدية للقوة السياسية اليوروبية Yoruba التقليدية. "والمدخل" الرئيسى لتلك المقاطعة يتمثل فى رجل يدعى بطرس أشيموجو Peter Achimugu (وهو وزير من الوزراء)[٢]. فى إيجالا أيضا هناك "مداخل" سياسية عدة إلى المستشار

(١) كانت مقاطعة كبًا قد عبرت نهر النيجر فى ذلك الوقت، واستمالت بعض المناطق مثل دكينا Dekina وأنكبا Ankpa وأيداه Idah، والتى أصبحت فيما بعد جزءا من ولاية بنيو.

(٢) ولد بطرس أشيموجو فى إيجالا فى عام ١٩٠٢. قسم إيداه. تلقى الصبى تعليمه فى مدرسة إيداه الحكومية. ثم التحق بمدرسة كادونا المتوسطة. فى أونيتشا. يعمل الرجل بعد ذلك فى وظيفة فى السلطة المدنية فى إيجالا ويصبح وزيرا للموارد الطبيعية فى الإقليم الشمالى. ويتقاعد الرجل من هذه الوظيفة فى عام ١٩٥٧ ويصبح رئيسا للحكم المحلى فى سلطة ايجالا المدنية. كان الرجل عضوا أيضا فى لجنة إصلاح قانون العقوبات فى عام ١٩٥٩. ويحصل الرجل على شهادة من معهد الإدارة فى منظومة العقوبات الجديدة. ثم يصبح بعد ذلك رئيسا للمحكمة المحلية، فى مقاطعة كبًا. فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠. (راجع الفصل الرابع عشر).

الخارطة رقم (١٣)

Map 13
Kabba Province
with Native Authority areas



مقاطعة كبّا مع مناطق السلطة المدنية

السياسى الرئيسى؛ من بينها دان Dan أوجبادو Ogbadu (وزير الدولة)، بى إيه أوباجى Obaje (عضو مجلس الممثلين) والحاج عبد القادر (عضو الجمعية العمومية). ومن قسم إجبيرا، نجد هناك أيضا بعض "المداخل" إلى المستشار السياسى الرئيسى من بينها: جى يو أوهكيرى Ohikere (وزير الأشغال)، إيه آجاى Ajay (وزير) وإم كوكورى عبدول[1] وكلها شخصيات رئيسية. وداخل الخدمة المدنية نجد كلا من عبد الرحمن أوكين Okene والدكتور عبدول عطا، وهما من أوكين، ومن كبار المؤيدين للمستشار السياسى الرئيسى. يدخل اتحاد إيجالا التقسيمى فى تحالف رسمى مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. فى الوقت نفسه تظهر جماعات إيجالية معارضة، منها على سبيل المثال اتحاد إيجالا التقدمى، والذى أطلق عليه فيما بعد اسم اتحاد إيجالا. ونجد أيضا أن ترقية عطا الإيجالى إلى رئيس من الدرجة الأولى يحظى بدعم كبير، وبذلك يصبح عطا "مدخلا" آخر. ويجرى تقديم الكثير من ضروريات الحياة للمنطقة[2]. هناك عدد كبير من كبار موظفى الخدمة المدنية ينحدرون من مقاطعة كبًا (أوينى Awonyi، آد Ade جون John، وعبد الرحمن أوكين، إلخ).

---

(١) مقابلة شخصية مع أم. كوكورى عبدول، بتاريخ ٢٩ من شهر مايو من عام ١٩٨٥، فى ليجوس. كوكورى عبدول من أوكين. وهو موظف بيطرى حكومى فى خمسينيات القرن العشرين. وللرجل دور نشط فى اتحاد اجبيرا القبلى: وهذا الاتحاد معنى بمشكلات سوء الإدارة فى السلطة المدنية. فى عام ١٩٦١ يخوض كوكورى عبدول الانتخابات الإقليمية ضد أوهكيرى ويفوز فيها. ويعين أوهكيرى الذى هو من أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، رئيسا لهيئة الموانئ النيجيرية. الواقع أن المستشار السياسى الرئيسى كان قد موّل الطرفين بنسبة ٥٠ فى المائة لاتحاد إجبيرا القبلى (مع وعد بالتعويض بنسبة مائة بالمائة فى حالة الفوز)، ومائة بالمائة لمرشح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ونظرًا لأن المشكلات كانت محلية، فإن اتحاد إجبيرا القبلى لم يمتنع فى الدخول فى تحالف مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على المستوى الإقليمى. وهنا عين كوكورى عبدول سكرتيرًا برلمانيا دائما (وزيرًا صغيرًا) فى وزارة الإعلام (تحت رئاسة إبراهيم بيو؛ وبعد ذلك أحمد فاتيكا). ويبقى الرجل فى ذلك المنصب إلى أن حدث الانقلاب.

(٢) يدخل فى ذلك أيضا تحسين طريق إيداه – أنيجبا Anyigba، ورصيف إيداه، والجسر الموجود على طريق ألاديفا Aladefa، وتركيب ثلاثة مصانع كبيرة للزيت، ومد المياه للريف، وجرى أيضا تطوير المدارس الابتدائية والثانوية فى المنطقة.

مقاطعة الهضبة لها تعقيدها الخاص بها إذ بها حوالى ٢٠٠ لغة / أقلية عرقية – يوجد حاليا فى الهضبة اثنتان وخمسون جماعة عرقية – تتأثر تأثرا كبير بالتبشير المسيحى. مناطق الهضبة فى معظمها عبارة عن "اتحادات" مكونة من جماعات كثيرة أصغر بكثير جدًا من الاتحادات المكونة لها. (انظر الخريطة رقم ١٤) والجماعات الرئيسية فى الهضبة هى: البيروم Birom، والأنجاس Angas، والأنكيوى Ankwei، والمادا Mada، والباشا Bassa، والهوسا، والفولانى بالإضافة إلى بعض من التيف Tiv. وبشكل عام نجد أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قوى فى مناطق الهوسا ومناطق الفولانى. (لافيا، كيفى Keffi، النصراوا) إضافة إلى أكوانجا Akwanga، ومانجو Mango وأجزاء من شندام Shendam.

فى مدينة جوس نفسها، التى هى الموقع التقليدى للمجتمع الهوساوى، والذى جاء الكثير من أفراده من كنو، نجد الناس منخرطين فى الحزب التقدمى لعناصر الشمال، ومن هنا راح المستشار السياسى الرئيسى يساند البيروم بأن وفَّر لهم رئيسا من الجوس (الذى يسمونه بونج جوم Bong Gwom) بدلا من الرئيس الهوساوى الثابت (الذى يسمونه "أمير" Sarkin "جوس" Jos). ويغلب أن نرى هنا أن التحالفات هى مع تحالف الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال – حزب المؤتمر الشمالى الدستورى الجديد، أو مع تحالف حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد – وحزب جماعة العمل، وهذا كله يظهر فى بنكشين Pankshin ولا نتائج. مدينة جوس خليط من عناصر كثيرة، وهنا نجد أن حكومة حزب المؤتمر الشعبى الإقليمية تدخل فى صراع مباشر ضد حكومة تحالف الاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية – وحزب المؤتمر الشمالى الدستورى الجديد المحلية.

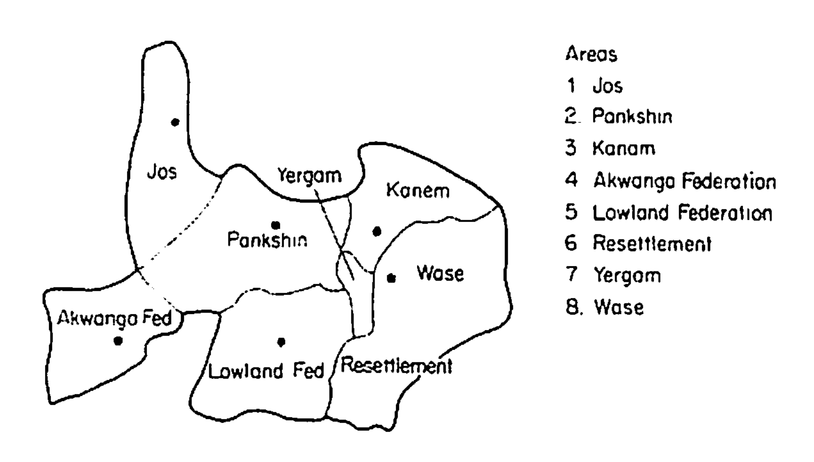
المدخل الرئيسى السياسى لمقاطعة الهضبة هو ميخائيل أودو بوبا (وزير)، وهو من شندام[١]. يضاف إلى ذلك أن المستشار السياسى الرئيسى له أيضا

---

(١) ميخائيل عودو بوبا كاثوليكى رومى. ويتكلم لغة الأنكيوى. وهو يمثل منطقة مسيحية خالصة. وهو وزير إقليمى ورفيق عمل للمستشار السياسى الرئيسى. (مناقشات متباينة، بتاريخ ٢٥ يوليو من عام ١٩٨٥، فى كل من شندام وجوس).

الخارطة رقم (١٤)

Map 14
Plateau Province
with Native Authority areas



مقاطعة الهضبة مع مناطق السلطة المدنية

تحالفات مع باستور Pastor داود David لوت Lot (مؤسس رابطة المنطقة الوسطى، وزعيم حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد فى عام ١٩٥٥) الذى يدخل فى تحالف مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى عام ١٩٥٦، ليدخلا سويا فى تحالف مع جناح من أجنحة حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد).[١] ميخائيل عودو بوبا (وزير شندام) مقرب إلى المستشار السياسى الرئيسى بصفة خاصة، ويرافقه فى السفر بصورة منتظمة. عيسى إبراهيم الجوسى، هو الرئيس الإقليمى المناب لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ولكنه أقرب إلى أبى بكر تافاوا باليوا منه إلى أحمد بللو. ومن بين موظفى الهضبة المدنيين الذين يعملون بصورة وثيقة مع المستشار السياسى الرئيسى: يحيى كواند Kwande[٢]، أجناتيوس دورلنج Durlong[٣]،

---

(١) مقابلة شخصية مع باستور داود لوت، بتاريخ ٢٦ يوليو من عام ١٩٨٥، فى جوس جرى تفويض باستور فى عام ١٩٣٨، وراح يعمل فى باثيام، ضمن بعثة السودان التبشيريا المتحدة، التى أطلق عليها فيما بعد اسم كنيسة المسيح فى نيجيريا. وفى عام ١٩٥١ يصبح الرجل عضوا فى الجمعية العمومية الشمالية. وقد ساعد الرجل فى تكوين رابطة المنطقة الوسطى "لأننا مسيحيون" ولأنه تبين أن المسلمين يهيمنون على الشمال. كان رئيس بيروم ورئيس الكاجورو مسيحيين، ولكنهما أثرا على داود لوت فيما بعد وجعلاه يقيم علاقة مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى "لأنهم هم الزعماء. ونحن الإخوة الصغار" ثم أصبح داود لوت وزيرا إقليميا، ولكنه استقال بعد ذلك، على الرغم من بقائه عضوا فى الجمعية العمومية الى عام ١٩٦٦. وعلى الرغم من كونه عضوا أيضا فى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد إلا أنه لم يكن فى المعارضة. كانت زعامة الجناح المعارض من حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد فى يدى يوسف تاركا، وكانت تحصل على تأييد قوى من مقاطعة بنيو أكثر منه من مقاطعة الهضبة.

(٢) مقابلة شخصية، مع يحيى كواند، بتاريخ ٢٥ يوليو من عام ١٩٨٥، فى جوس. يحيى ناطق بلغة الأنكيوى، وهو من منطقة شندام، وزميل مقرب من ميخائيل أودو بوبا. جده رئيس محلى، كان قد "سلم" والده إلى معلم محلى صديق، ومن ثم أصبح الرجل مسلما. (راجع أيضا الفصل الرابع عشر).

(٣) كان إجناتيوس ديرلونج Durlong أهم الموظفين المدنيين فى مقاطعة الهضبة، الذين وصلوا إلى مرتبة السكرتير الدائم للتربية والتعليم. والرجل أيضا ناطق بلغة الأنكيوى، وهو كاثوليكى رومى. ثم يصبح بعد ذلك سفيرا لنيجيريا فى هولندا، ثم فى اليابان. (مناقشات، ستلا ديرلونج Durlong، ٢٨ يوليو، من عام ١٩٨٥، كادونا).

سول كولو[١]، وسلطانماينر[٢]، وعبده أبو بكر[٣]، إضافة إلى كلمنت Clement وجوزيف جموا لك Gomwalk[٤]. فى الجيش كان يعقوب جوون[٥] هو وجيمس بام[٦] اثنين من الشماليين المخلصين. على الجانب الآخر نجد، باتريك دوكوترى، سكرتيرا لحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، ويعمل بصورة وثيقة مع يوسف تاركا من أجل تقسيم الشمال[٧]. يدخل رئيس جوس، المعلم روانج بام، فى صراع مستمر مع مستشاريه فى الإدارة المدنية، وفى شهر أغسطس من عام ١٩٥٩، تصدر لجنة التقصى والتحرى توصيات[٨]، وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩، يجرى طرد باتريك Patrick دوكوترى Dokotri من الخدمة (كان الرجل سكرتيرا إداريا فى سلطة جوس المدنية).

---

(١) كولو، كان سكرتيرا دائما فى وزارة الدفاع الفيدرالية فى زمن الانقلاب. ثم خدم بعد ذلك سفيرا لنيجيريا فى المملكة المتحدة وفى سويسرا.

(٢) ماينر، شاب يعمل مساعدا لرئيس الحى فى قسم سكتو فى مطلع ستينيات القرن العشرين. وبعد تأسيس الولايات يصبح سكرتيرا لحكومة ولاية الهضبة العسكرية.

(٣) تولى عبده أبو بكر منصبا أمينا من بعد موسى بللو، وكان سكرتيرا لوكالة الخدمات العامة المؤقتة. ويصبح بعد ذلك. سكرتيرا لحكومة ولاية الهضبة العسكرية

(٤) كلمنت جومولك Gomwalk أصبح سكرتيرا مساعدا وضابط حى. ويلتحق الرجل بعد ذلك بوزارة الخارجية. كان شقيقه جوزيف جومولك يعمل فى الشرطة. وقد عينه المستشار السياسى الرئيسى بعد ذلك فى ليجوس. ثم يصبح بعد ذلك محافظا لولاية بنيو - الهضبة.

(٥) راجع الفصل العشرين، للمزيد من المعلومات عن يعقوب جوون.

(٦) جيمس يعقوب بام من منطقة جوس، وقد تربى فى بعثة السودان التبشيريه المتحدة (التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم كنيسة المسيح فى نيجيريا)، ولكنه يتحول إلى مسيحى أنجليكانى عندما ينتقل إلى كادونا. ويصبح الرجل رئيسا لأركان الجيش النيجيرى ولكنه يغتال فى ليجوس فى شهر يناير من عام ١٩٦٦ بأيدى من قاموا بالانقلاب. وتلتحق زوجته إليزابيث بالخدمة المدنية فى عام ١٩٥٣، التى تعمل فيها بين المواصلة والانقطاع إلى عام ١٩٦٥. كانت قد التحقت بكلية المعلمات فى كنو، ثم التحقت بكلية الأعمال الكتابية فى زاريا، وفى عام ١٩٥٩ أصبحت سكرتيرة خاصة فى مكتب السكرتير المالى، فى مكتب الخدمة المدنية. كان أحمد بللو يحضر فى بعض الأحيان لتحيتها. (مقابلة شخصية. إليزابيث بام، ٢٦ يوليو، ١٩٨٥، جوس).

(٧) للمزيد عن مشكلات حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد والتحويرات التى حدثت فيه. راجع كتاب يحيى، إيه. دى. المعنون: نظام السلطة المحلية فى شمال نيجيريا، ١٩٥٠ - ١٩٧٠، زاريا. جامعة أحمد بللو. ص٣٢ وص١٥٢-١٥٤.

(٨) للمزيد عن لجنة التحرى. راجع جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٢ أغسطس من عام ١٩٥٩ ص١ مقال بعنوان " تقرير تقصى عن النزاع بين جوس والمجلس"

يغلب أن تهيمن مشكلات التيف Tiv ومسائلهم على مقاطعة بنيو. (راجع الخريطة رقم ١٥). من بين الجماعتين الأخريين، نجد أن الأيدوميين Idoma ينقسمون بصورة أو بأخرى فى ولاءاتهم السياسية، ولكن يغلب عليهم تأييد ومساندة السياسات الإقليمية. ويعد زعيم الأيدوميين (أبراهام أوكبابى) "مدخلا" رئيسيا. ولكن "المدخل" السياسى الرئيسى يتمثل فى أبوتو Abutu أوبكبا Obekba (وزير دولة). هناك "مدخل" آخر يتمثل هو الآخر فى جى. سى. أوباند Obande (الذى عين وزير دولة فيدرالى فيما بعد)، إذ يمكن الوصول عن طريق هذا المدخل إلى منطقة الأيدوما. فى نطاق الخدمة المدنية، نجد إدوين أجبو Edwin Ogbu شخصية مهمة(١). ونجد أيضا بعض الاتحادات الأيدومية تنقسم متحولة إلى شراذم تؤيد وتساند حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، أو شراذم تساند وتؤيد حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد.

فى تقسيم الوكارى Wakari، نجد آكو أوكا Aku Uka حليفا أساسيا لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وصديقا للمستشار السياسى الرئيسى؛ هذا التحالف يسفر عن مساندة إقليمية قوية. يرى بعض المراقبين أن زعماء التيف ينظرون إلى المستشار السياسى الرئيسى باعتباره صديقا من أصدقاء الجوكون Jukun، ومن ثم فهم يعادون المستشار السياسى الرئيسى(٢). وهنا نجد أن كلا من جولى Jollyj تانكو Tanko يوسف وعثمان سانجارى Sangari "مدخلان" رئيسيان إلى الجوكون.

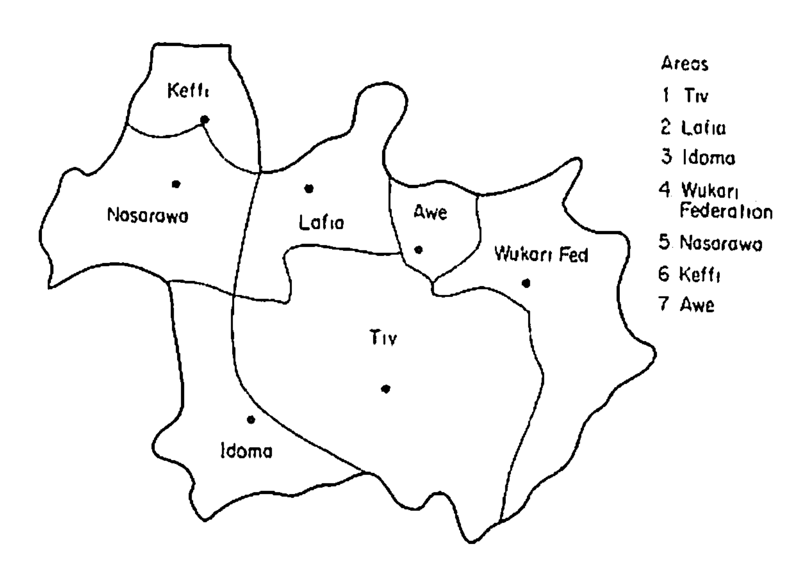
---

(١) ولد إدوين أجبو فى عام ١٩٢٦ فى أوتنكون Utonkon ويلتحق بكلية بثيون - كوكمان فى ولاية فلوريدا، بالإضافة إلى التحاقه أيضا بجامعة ستانفورد. وهو سكرتير مساعد فى وزارة المالية (فى كادونا) فى عام ١٩٥٧؛ وفى عام ١٩٦٠ يصبح الرجل سكرتيرا لشئون الطلاب. فى اللجنة النيجيرية العالية فى لندن، ثم سكرتيرا فيدراليا للجنة الخدمة العامة فى عام ١٩٦٠ إلى ١٩٦٢؛ ثم يعمل بعد ذلك سكرتيرا دائما لوزارة العمل الفيدرالية فى عام ١٩٦٢ -٦٣؛ وفى عام ١٩٦٣ إلى ٦٦ يصبح الرجل سكرتيرا دائما لوزارة المالية الفيدرالية؛ وبعد الانقلاب يصبح الرجل سكرتيرا دائما، لوزير الخارجية الفيدرالى، وذلك فى الفترة من ١٩٦٦- ٦٨. وفى عام (١٩٦٨) يصبح الرجل ممثلا دائما لدى الأمم المتحدة: وقد ترأس اللجنة العليا التى أوفدت إلى جاميكا، واليرباوس، وترينداد، وتوباجو فى عام ١٩٧٠.

(٢) ملاحظة: أوضح زعماء الجوكون فى عام ١٩٧٦ رغبتهم فى عدم البقاء مع التيف فى ولاية بنيو. وعليه جرى نقل الوكاريين Wukari إلى جونجله، وهى المكان الذى يتقارب فيه شعب الشامبا Chamba تقاربا كبيرا مع الجوكون من الناحية التاريخية.

الخارطة رقم (١٥)

Map 15
Benue Province
with Native Authority areas



مقاطعة بنيو مع مناطق السلطة المدنية

يشكل قسم التيف مصدرا رئيسا من المصادر المعارضة لسياسة المستشار السياسى الرئيسى الإقليمية. والمعارضة هنا بزعامة كل من يوسف تاركا وإسحاق شاهو Shaahu[١] تبلغ من القوة حدًا يصعب معه وجود "مداخل" حقيقية إلى المستشار السياسى الرئيسى فى هذه المنطقة.

تتمثل "مشكلة الحزام الأوسط" فى فصل الولايات عن الإقليم الشمالى. والأمر ليس واضحًا فيما سيكون عليه البديل فى حالة انفصال هذه الولايات، يضاف إلى ذلك أن الكثير من هذا التشرذم الذى يصطبغ به أولئك المعادين للإقليمية، يعكس الاختلاف وعدم الاتفاق السائد بين هؤلاء الناس. فى عام ١٩٥٦، نجد أن الانقسام فى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد يرجع فى بعض جوانبه، إلى باستور لوت Lot بوصفه رئيسا عاما لحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، والذى يركز على أواصر البقاء ضمن الإقليم الشمالى. ومن هنا نجد أن بيان حزب مؤتمر الحزام الأوسط، فى عام ١٩٥٦ يشتمل على ما يلى:

> **التحالف الذى جرى بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، هو الذى وضع حزب مؤتمر الحزام الأوسط فى وضع يقدم فيه المشورة لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى من أجل مصالح الشعب فى الحزام الأوسط خلال فترة حكم حكومة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وهذه الحكومة كانت كلها من الإقليم الشمالى.**

---

(١) ولد إسحاق شاهو Shaahu فى اليوم السابع من شهر مارس من عام ١٩٣٥ فى جبوكو. ويلتحق بالمدرسة الثانوية الحكومية فى كاتسنا علا Ala. ثم يلتحق بإدارة الأشغال العامة، ثم يلتحق بعد ذلك بمدرسة الهندسة فى كادونا. وهو زعيم المعارضة فى الجمعية العمومية الإقليمية الشمالية فى الفترة من ١٩٦٤ -٦٦. بعد الانقلاب، يصبح الرجل مفوضا فى وزارات مختلفة داخل ولاية بنيو - الهضبة. ثم يصبح مديرا لهيئة تنمية حوض نهر بنيو الأسفل. ثم يعين بعد ذلك وزيرا فيدراليا.

إقليم الحزام الأوسط – لا ينوى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد استبدال سيطرة بأخرى من الخارج. وهذا لن يكون فى مصلحة شعب الحزام الأوسط. فى ظل الظروف السائدة نحن نحس أن تأسيس إقليم مستقل، أمر غير عملى، على الرغم من رغبة البعض فى ذلك. ونحن نرى أنه فى ظل ذلك العدد المعقول من ممثلينا فى المجلس التشريعى الأقليمى، سنكون فى وضع يسمح لنا بالمشاركة الفعالة فى إدارة الحكومة، وبذلك يمكن المحافظة على مصالح شعوب الحزام الأوسط[1].

بحلول شهر يناير من عام ١٩٥٧، كانت هناك ثلاث فئات منشقة على حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، أول هذه الفئات تتمثل فى لجنة الحدود التى كان يوسف تاركا يترأسها. هذه اللجنة أوصت بإقليم للحزام الأوسط يضم كلا منا أدماوا، بنيو، إيلورين، كبًا، النيجر، الهضبة، جنوبى زاريا وجنوبى مقاطعة باوتشى. ويوافق تاركا Tarka أيضا على أن تكون كادونا جزءا أيضا من الحزام الأوسط. وهذا هو باتريك دوكوترى ينادى ويحث على إسقاط كادونا من الحساب لأن ذلك من "ضرب الخيال". ونجد فى هذا الوقت نفسه المعارك الرئيسية التى تدور داخل حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد تدور حول إعادة تعيين وتحديد الأقسام الداخلية داخل المقاطعات نفسها، كما نشاهد أيضا سلسلة طويلة من "اتحادات الولايات"، وتأخذ تلك الاتحادات فى التكاثر والازدياد، ومن هذه الاتحادات على سبيل المثال، اتحاد ولاية ألاجو الذى يطالب بقسم مستقل من ولاية لافيا Lafia، على أن يطلق على ذلك الاتحاد بعد ذلك اسم تقسيم الألاجو Alago، وأن يشتمل على أربعة أحياء: روما، وكينا Keana، وآسيكس، وأوبس Obis، إضافة إلى جزء من آواى Awai.

---

(١) جريدة، المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٥٦، الصفحة السادسة، مقال بعنوان: بيان حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد.

فى عام ١٩٦٠، نجد المظاهرات فى تيف Tiv تحل محل الحوار والنقاش فيما يتصل بمسألة الإقليمية. ويقدم المستشار السياسى الرئيسى تقريرا كاملا إلى الجمعية العمومية يفصل فيه مختلف حالات العنف، ويُحمِّل الحكومة الإقليمية مسئولية إعادة القانون والنظام، بأقل حد ممكن من استعمال القوة(١). وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠، وفى عشية الاستقلال، يجرى حل السلطة المدنية فى تيف من قبل الحكومة الإقليمية الشمالية، ويجرى تعيين واحد من كبار رؤساء الأحياء بدلا من الرئيس السابق.

ونحن نجد آراء المستشار السياسى الرئيسى الخاصة بالنظام شبه الإقليمى فى الشمال، وبخاصة فى الحزام الأوسط، ضمن خطاباته التى ألقاها أمام لجنة الأقليات فى عام ١٩٥٨.. وفيما يلى نورد بعض الأفكار التى وردت فى هذه الخطابات.

> **جدى الكبير، كان الشيخ عثمان بن فودى (رحمه الله)؛ جدى، هو وجدى الكبير كانا سلطانين فى سكتو، وجدى الكبير كان هو السلطان بللو. وأنا من الفولانيين من عشيرة الستورانكاوا ToronKawal. ولكنى لا أخاطبكم اليوم مثل رئيس وزراء الإمبراطورية الفولانية. أنا أخاطبكم بصفة رئيس وزراء الإقليم، المتباين ولكنه متحد، وأخاطبكم أيضا كرئيس لحزب يزعم أنه يحصل على أكبر قدر ممكن من التأييد من مقاطعة من المقاطعات، ومن كل قسم، بل ومن كل حى من الأحياء.**
>
> **هذا القلق والإزعاج المترتب على تقسيم وتفكيك الإقليم الشمالى، لا ينبع من رغبة نابعة من الناس أنفسهم،**

---

(١) للمزيد عن النص الكامل للملاحظات التى أبداها المستشار السياسى الرئيسى يرجى مراجعة جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٣ من شهر أبريل من عام ١٩٦٠، الصفحة السادسة. مقال بعنوان "حقائق مدونة عن إضرابات بنيو".

وإنما جرى زرع هذا القلق فى نفوس الناس بواسطة قلق وإزعاج مستوحى فقط من دوافع سياسية لأحزاب همها الأول، بل ومصلحتها الأولى، تقع خارج هذا الإقليم. لو قدر لهذا القلق أو الإزعاج النجاح فإنه سوف يقضى على ذلك التأثير المستقر المضطرد، الذى نقتنع به نحن أهل الشمال، على أنه هو الدور الرئيسى الذى يتعين علينا لعبه فى المضى قدما فى عملية الاتحاد.

على المستوى المحلى نجد أن حكومتى خطت خطوات كثيرة سوف تساعد على زيادة استقلالية وحرية العمل فى المقاطعات والسلطات المحلية التى تضم هذه المقاطعات.

نحن هنا فى الشمال ابتكرنا نظاما للحكم يعمل على ربط الرؤساء ربطا وثيقا بالشئون الحكومية اليومية. نحن نؤمن أن الرؤساء لديهم معرفة لا مثيل لها برغبات شعوبهم. هناك مثل هوسوى مفاده أن الرئيس هو رمز شعبه. والحكومة الإقليمية لديها حصيلة كبيرة من المعلومات وذلك بفضل روابط الصداقة الوثيقة وروابط المصلحة التى بين الوزراء والرؤساء. ولو قدر لنا أن نخسر ثقة هؤلاء الرؤساء فإن موقفنا سيكون بالغ الصعوبة... ولهذا السبب فنحن نفكر فى زيادة عدد مقاعد الرؤساء فى مجلس الرؤساء وسوف يصدر بذلك إعلان فى القريب العاجل. هؤلاء الرؤساء سيكونون من منطقة الريفرين Riverain، وسوف تسعد حكومتى بصفة خاصة، عندما يصبح مجلس الرؤساء، بل ويستمر فى أن يكون بمثابة المكان الذى يجرى فيه السهر على مصالح الجماعات القبلية الصغيرة من خلال تمثيل أكبر بكثير من

مجرد العدد الحقيقى لهذه الجماعات الصغيرة. نحن هنا فى الشمال لا تقيدنا نظريات متحجرة أو جامدة عن وضعية الرؤساء وتمثيلهم على نحو يتناسب مع أعداد السكان، وبناء عليه، نستطيع أن نعطى أقلياتنا تمثيلا طيبا فى التشريع وعلى نحو أكبر بكثير عما يجدونه فى الأقاليم الأخرى.

ففى الإقليم الشمالى من الناحية الاقتصادية نماء جعل من الإقليم وحدة متكاملة. وسوف يستحيل علينا التنبؤ بما يمكن أن يسفر عنه ذلك التدخل فى الأساس الاقتصادى. معروف أن الصدمة التى تصيب المريض بسبب عملية جراحية كبيرة يمكن أن تودى بحياة مثل هذا المريض. والصدمة التى يمكن أن تصيب اقتصادا له مثل هذه الأبعاد المهلهلة، التى يمكن أن تترتب على ولاية فى الحزام الأوسط، يمكن أن تكون لها آثار تجعل الطرفين فى وضع يحاول كل منهما فيه البقاء على قيد الحياة.

وأنا يتعين على، فى واقع الأمر، أنا ووزرائى، أن نوضح أننا نتعرض لنقد متزايد من بعض المناطق فى "أقصى الشمال" لأننا نصرف نسبة مئوية كبيرة من الأرصدة المتاحة، للإقليم ككل، على تنمية "الحزام الأوسط". هؤلاء منا، الذين هم أصلا من أقصى الشمال يجرى اتهامهم دوما بإهمال مناطقنا الخاصة، التى تسهم فى الدخل العام بنصيب أكبر مما يسهم به الحزام الأوسط.

لقد أجلت إلى أواخر كلامى.. الحديث عن ذلك الذى يهمنا فى الشمال، وهو القناعة الدينية والأخلاقية والروحية لأفراد شعبنا.. يكفينى أن أقول إن الحكومة الإقليمية مهتمة بإنشاء نظام يسمح لأصحاب النوايا الطيبة بالحرية الكاملة فى ممارسة دينهم، شريطة ألا يساء

استعمال هذه الحرية، أو السماح لها بتهديد المحافظة على القانون والنظام. لقد اقترحت الحكومة الإقليمية نفسها إدخال هذه الحرية الدينية ضمن الدستور... واسمحوا لى أن أقول هنا كلمة عن الإسلام. الإسلام ليس مجرد دين وحسب، لمن يعتنقوه، وإنما هو أسلوب حياة. المسلم الحقيقى لابد أن يشعر دوما أنه يمشى دوما طبقا لمشيئة الله. ومع ذلك، لعل اللجنة تتأمل وتعمل الفكر فى المكانة العالية والاحترام والتقدير الذى يكنه المسيحيون لأتباع الإسلام. سار الأمر على هذا الحال والمنوال منذ زمن النبى، وعلى الرغم من أنه فى بعض الأحيان كانت الاعتبارات السياسية، ولعلنا نكون صرحاء، ونقول: إن التطرف الضال من كلا الجانبين كان يعكر صفو هذه الواجهة، إلا أن هذا الاحترام والتقدير يظل حقيقة واقعة. نحن المسلمون ليس بيننا وبين المسيحيين أى خلاف أو عداوات. نحن نؤمن أن وجود دينين عالميين جنبا إلى جنب، فى جو من السلام والصداقة ليس مجرد أمر ممكن التحقيق، وإنما هو أمر يدخل تحقيقه فى نطاق قوانا وسلطاتنا.

تفعيل منظومة حزبية حديثة أمر جديد علينا فى الشمال. يجدر بنا القول: إن نمو هذه المنظومة جرى معظمه خلال السنوات السبع الأخيرة، أو بالأحرى خلال العقد الأخير. أقاليم أخرى جرى إخضاعها لهذه القوى لفترات أطول من ذلك، على الرغم من أنه لم يكن واضحا لنا أنهم أفادوا من ذلك فائدة كبيرة. كان يبدو دوما أن الناس كانوا يظنون أننا نتلاعب بالسياسة من أجل السياسة. ومع ذلك، يمكن القول: إن أغلبية الناس فى هذه

الأقاليم الأخرى أصبحوا أكثر منا نضجا، هنا فى الشمال، من الناحية السياسية. نحن نقف على أعتاب محاولة كبيرة وفرصة كبيرة أيضا. ولكن الكثيرين من شعبنا فى الشمال يفتقرون إلى النضج السياسى الذى يمكنهم من الاستفادة من هذا التغيير إلى أبعد حد ممكن. إذا ما حدث نتيجة هذا الهياج من أجل تقسيم ذلك الإقليم العظيم، والذى يتبناه ويشجعه أشخاص يبحثون عن مصالحهم السياسية، إذا ما حدث أن أثر ذلك على وحدة الشمال أو أضر بها، عندئذ فأنا أخشى تماما، أن نمر من خلال بوابات الرجوع إلى الخلف لنعود إلى القبلية، والتعصب الدينى والعنف بدلا من المرور عبر بوابات المستقبل فى طريقنا إلى طريق الازدهار والرفاه الذى يمتد أمامنا[١].

يستمر الجدل حول الحزام الأوسط طوال خمسينيات القرن العشرين. ومن خلال هذا الجدل نجد مؤيدى الحزام الأوسط يلجأون فى معظم الأحيان، إلى النظريات العرقية الخاصة بالنظام الفيدرالى. من بين المقترحات الشائعة عن ولاية الحزام الأوسط ذلك الاقتراح الذى ينادى بتقسيم يضم أربع جماعات عرقية رئيسية هى: النيوبيين Nupes والتيفيين Tivs والبيروميين، والباشاميين Bachamas. يرى بعض الفيدراليين الشماليين (من أمثال عبد الرازق) الذين يردون على هذه المقترحات، أن هناك أكثر من ٢٠٠ لغة، وأكثر من ٣٠٠ لهجة فى الحزام الأوسط وحده، وأن مسألة إنشاء ولاية على العرق فى نيجيريا إنما ستكون مسألة سخيفة ومدعاة للسخرية. وهذا هو محمد ريبادو (الوزير الفيدرالى للمناجم والطاقة) أكثر صراحة وأقل تنظيرا. وهو يقول: إن أى تحرك يهدف إلى اقتطاع ولو بوصة

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٥ فبراير من عام ١٩٥٨ الصفحة السادسة والثامنة، مقال بعنوان "خطاب المستشار السياسى الرئيسى إلى لجنة الأقليات".

واحدة من أرض الإقليم الشمالى يمكن أن ينتهى إلى سفك الدماء[1]. وهنا نجد المستشار السياسى الرئيسى هو الذى يحدث توازنا داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، بين "الصقور" (الذين يريدون المحافظة على الإقليم الشمالى مهما كان الثمن) "والحمائم" (الذين يودون التفاوض بشأن المزيد من الحكم الذاتى المحلى للمقاطعات).

٦ـ مشكلة شمال الكاميرون:

شمال الكاميرون من مناطق الوصاية التابعة للأمم المتحدة، ويرجع ذلك إلى وضعية الكاميرون إذ كان مستعمرة ألمانية قبل الحرب العالمية الأولى. شمال الكاميرون يديره البريطانيون، ولكنه من الناحية العملية، ملحق على مقاطعتى أدماوا وبرنو. وفى ظل أمل حصول نيجيريا على الاستقلال تثور مسألة انضمام شمالى الكاميرون (وجنوبى الكاميرون أيضا) إلى نيجيريا، أو إلى الكاميرون، أم أنه سيتبع خيارًا آخر. وترى الأمم المتحدة إجراء استفتاء يجرى من خلاله الوقوف على رغبات الناس فى شمالى الكاميرون. وإذا كانت هذه المسألة تشكل مسألة وطنية فى نيجيريا، فهى بالتالى تعد معضلة من معضلات الإقليم الشمالى أيضا، نظرا لأن هذه المسألة سوف توسع المجتمع الشمالى من اثنتى عشرة مقاطعة إلى ثلاث عشرة مقاطعة. ونجد أن الاستفتاء الذى أجرى فى عام ١٩٥٩ يسفر عن تأجيل اتخاذ قرار بشأن هذه المسألة، التى يجرى البت فيها فى عام ١٩٦١. وفى الفترة ما بين عام ١٩٥٩ والعام ١٩٦١، نجد المستشار السياسى الرئيسى ينظر إلى مشكلة شمالى الكاميرون باعتبارها واحدة من المسائل بالغة الأهمية، ويخصص بعضا من مساعديه السياسيين لمحاولة التأثير على نتيجة الاستفتاء.

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ١٥ يناير من عام ١٩٨٥، الصفحة الأولى، مقال بعنوان " أية محاولة تهدف إلى تقسيم الشمال ستنتهى بسفك الدماء: الوزير الفيدرالى يدلى بذلك أمام المؤتمر الذى عقده فى كنو حزب المؤتمر الشعبى الشمالى".

كان السؤال الذى تردد فى عام ١٩٥٩ يدور حول إمكانية بقاء شمالى الكاميرون مدة أطول تحت وصاية الأمم المتحدة. هناك ستة أحزاب رئيسية داخلة فى هذه الحملة: منها أربعة أحزاب نيجيرية (حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وتحالف حزب جماعة العمل – حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، وتحالف حزب المؤتمر الشمالى الدستورى – الاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية، وحزب حركة شباب برنو) وحزبان من الكاميرون (حزب شمال الكاميرون الديمقراطى، وحزب الكاميرون الواحد). كانت السياسات المعلنة من هذه الأحزاب تسير على النحو التالى. كان شعار حزب شمال الكاميرون الديمقراطى يقول: "شمال الكاميرون للكاميرونيين". وكان ذلك الحزب يطالب بتمديد فترة الوصاية وصولا إلى تحقيق هذا الهدف؛ وكان الحزب يقول أيضا: إن زعامات المناطق والأحياء، وكذلك مناصب القضاء هى والمناصب الإدارية الأخرى يشغلها النيجيريون فى الوقت الراهن. أما تحالف حزب جماعة العمل – حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، فكان يدعو إلى الانفكاك عن الشمال، وبالتالى عبر ذلك التحالف عن أسفه للمحاولة الإقليمية الشمالية التى ترى أن شمال الكاميرون عاجز عن إدارة شئونه الخاصة. ولكن تحالف حزب المؤتمر الشمالى الدستورى مع الاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية، يرى أن افتراس أعضاء حزب المعارضة من قبل السلطات المدنية فى شمال نيجيريا يعنى أن الديمقراطية لن يكون لها مكان فى شمال الكاميرون، إذا ما قام الإقليم الشمالى الذى يتحكم فيه حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، بضم شمال الكاميرون إليه. حركة شباب برنو هى الأخرى كانت تؤيد استمرار الوصاية، التى يقولون عنها، إنها الفرصة التى هيأها الله لشمال الكاميرون كى يتحرر أهله من "القمع والرعب الشمالى". كان من رأى حزب الكاميرون الواحد تحاشى قيام أية علاقات مع نيجيريا. ونجد أيضا أن اللجنة المركزية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا تعرب عن رغبتها فى أن يصبح شمالى الكاميرون جزءًا من نيجيريا.

فى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩، تصدر الحكومة الإقليمية الشمالية تعليمات لمسئوليها ولموظفى السلطات المدنية بأن يكونوا على الحياد أثناء إجراء

الاستفتاء.. وهنا نجد أن المستشار السياسى الرئيسى يكتب إلى أمين كانو وإلى يوسف تاركا مستفسرا عن مساعدتهما وتأييدهما لأتباع حزبهما فى الكاميرون الذين يفضلون "الانفصال عن نيجيريا"، ويطلب الرجل أيضا من الأحزاب السياسية كلها الامتناع عن المشاركة فى حملة الأراضى.

أسفر الاستفتاء عن قرار بالاستمرار تحت الوصاية. وهنا يغادر الحاج عبد الله دنبورام جادا (وزير شئون شمال الكاميرون) على وجه السرعة، إلى نيويورك، ومعه عيسى كيتا لتمثيل حكومة الشمال الإقليمية فى المحادثات التى ستجرى فى الأمم المتحدة عن الخيارات المستقبلية. (كان شعب جنوب الكاميرون قد فضل الانفصال عن شرقى نيجيريا، ويدور حديث عن ربط شمال الكاميرون وجنوبه فى مجلس تشريعى واحد).

وهنا نجد أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، بصفته زعيما لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى – وهو الحزب الوحيد الذى أيد وساند استمرار ارتباط شمال الكاميرون بنيجيريا – يغضب للنتائج التى أسفر عنها الاستفتاء[١]. ويدين أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، علانية المسئولين البريطانيين الذين شاركوا ونظموا الاستفتاء، ويلومهم لاستيائهم من اتجاه نيجيريا صوب الاستقلال[٢]. ولما كانت الانتخابات الفيدرالية فى نيجيريا على الأبواب وبالذات فى شهر ديسمبر، فقد جاء إجراء ذلك الاستفتاء بمثابة إحماء لبعض الأحزاب النيجيرية، وهنا بدأ حزب

---

(١) صوت حوالى ٩٠ فى المائة من إجمالى عدد المصوتين البالغ ١٢٩٠٠٠ صوت. صوت لصالح استمرار الوصاية من بين هذه الأصوات ٧٠٤٠١ مواطنا؛ فى حين صوت لصالح إنهاء الوصاية والانضمام إلى نيجيريا بعد حصولها على الاستقلال فى عام ١٩٦٠ حوالى ٤٢٧٩٧. (فى جادا كانت الأصوات لصالح الارتباط بنيجيريا. فى دكوا كان المصوتون منقسمين. فى قطاع بنيو صوتت الأغلبية لصالح استمرار الوصاية).

(٢) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ١٤ نوفمبر من عام ١٩٥٩. الصفحة رقم ١. مقال بعنوان "رئيس وزراء الشمال يدين المسئولين البريطانيين". رئيس الوزراء يقول إن نتيجة الاستفتاء سببها "النشاطات التخريبية من قبل المسئولين البريطانيين الذين نظموا الاستفتاء"... الذين أرادوا "الاحتفاظ بالمنطقة "جنة للبيض".

المؤتمر الشعبى الشمالى يأخذ حذره هو الآخر. فى حين نجد أن حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال يرحب بنتائج الاستفتاء ويصفها بأنها تصويت بعدم الثقة فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. وهنا نجد أمين كانو يطالب الوزيرين المعنيين بالاستقالة (عبد الله دنبورام جادا Danburam Jada، وآبا حبيب Abba Habib).

فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٩، تشكل حكومة الشمال الإقليمية لجنة رباعية لتحرى أفضل الطرق لإعادة تجميع أراضى الوصاية على شكل أقسام إدارية جديدة وعلى أسس وترتيبات جديدة أيضا. كانت تلك اللجنة برئاسة المعلم محمد توكور (أمير يورى)؛ أما أعضاء اللجنة الآخرين فهم: المعلم جوامنا (رئيس كاجورو Kagori): الحاج الشيخ أحمد (رئيس خياله كنو)؛ والسيد دى. إتش. للويد - مورجان (القائم بعمل السكرتير الدائم فى وزارة الصحة)؛ مع المُعلِّم على عقيل، بصفته سكرتير اللجنة. والهدف من ذلك التقصى هو البحث عن الطرق التى تعطى مزيدا من الاستقلال الذاتى للناس وللشعب فى المناطق المختلفة على مستوى الحكم المحلى.

فى شهر مارس من عام ١٩٦٠، أصدرت اللجنة تقريرا، أصدر المستشار السياسى الرئيسى على أثره فى اليوم الأول من شهر أبريل من العام نفسه إعلانا مفاده أنه سيجرى تشكيل قسمين جديدين وثلاثة سلطات مدنية فى أراضى الوصاية الشمالية. وأن هذه الأقسام والسلطات سيتم تزويدها بمسئولين من الحكومة الإقليمية الشمالية. وأن شئون شمال الكاميرون[١] فى المجلس التنفيذى ستكون من مسئوليات المستشار السياسى الرئيسى المباشرة.

سوف لا يكون للقسمين أية روابط مع إمارة أدماوا. يضاف إلى ذلك أن جى جوزاGwza، سَيَكوِّن سلطة جوزا المدنية الجديدة، ولن يرتبط مع دكوا بأية

---

(١) سوف يتكون القسم الجنوبى من أراضى الوصاية من مناطق نصراوا، ويلوا، وسوجو، وتونجو، وجاشاكا، ومامبلا. وسوف يشتمل أيضا على منطقة الوصاية فى فير Verre التى جرى اقتطاعها من أدماوا. وسيكون مركز الرئاسة الدائم فى جانى Ganye (وعلى الرغم من وجوده مؤقتا فى جادا). وستكون فى القسم سلطتان مدنيتان مستقلتان: سلطة شامبا المدنية (فير، نصراوا، يلوا، سوجو، وتونجو) وسلطة جاشاكا - مابيلا المدنية (جاشاكا ومامبلا). قسم الوصاية الشمالى وسوف يتكون من أحياء بيلل Belel، وزمو Zummo، وميوبى، ومايو - بانى، وجوبونادا، ومداجالى. (زمُّو ومايو - بانى مستقطعتين من إمارة أدماوا) وسيكون مركز الرئاسة فى ميوبى Mubi.

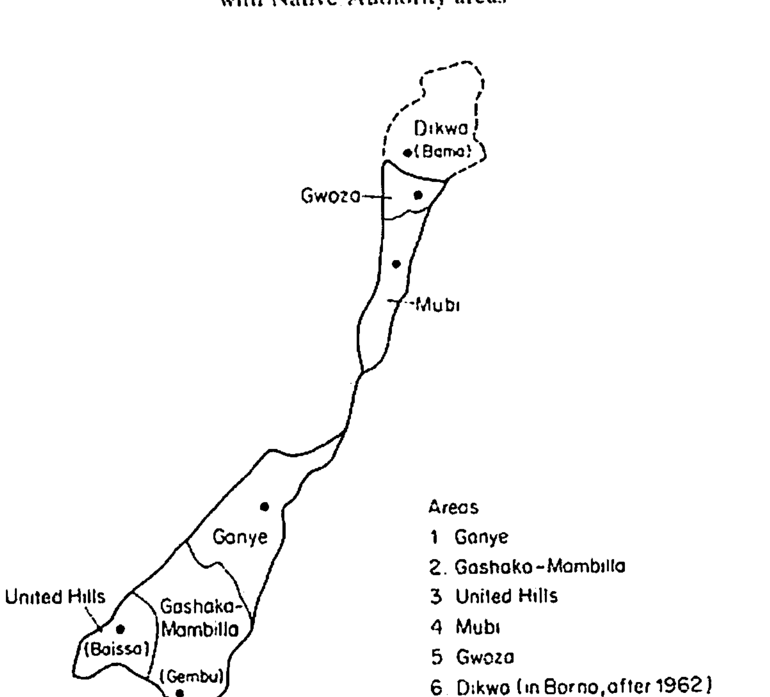
علاقات. وسوف يجرى اختيار رؤساء قرى جديدة فى إمارة دكوا. كما أن السلطة المدنية الفرعية فى التلال المتحدة لن تكون ضمن أى تقسيم من هذين التقسيمين، ولكنها ستبقى سلطة مدنية مستقلة. وتصدر الحكومة قرارا مفاده أن المحاكم العادية فى جنوبى أدماوا – أى محاكم السياسة – إنما تعد محاكم غير شعبية، وبالتالى فهى تلغيها. ويجرى استبدال تلك المحاكم بمحاكم فيها قضاة، وفيها مقيمون للحكم بين غير المسلمين. وتلغى الحكومة أيضا اللجنة الاستشارية الكاميرونية التابعة للجنة التنفيذية، وتشكل لجنة استشارية جديدة كلها من مجالس السلطة المدنية على أن يجرى انتخاب أعضاء هذه اللجنة من المنطقة فى وقت قريب.

فى اليوم الأول من شهر مايو من عام ١٩٦٠ يجرى إنشاء مقاطعة جديدة يطلق عليها اسم مقاطعة أراضى الوصاية الشمالية، وعاصمتها فى ميوبى – (راجع الخريطة رقم ١٦). ويلتقى المستشار السياسى الرئيسى أعضاء حزب شمالى الكاميرون الديمقراطى فى كادونا لشرح بعض الإصلاحات. ويقول المستشار السياسى الرئيسى: إن الكاميرونيين فى مناطق الوصاية هم "شماليون"، وأنهم كانت تربطهم بالشمال علاقات قبل زمن طويل من مجىء الإدارة الأوروبية. ويعرب الوفد عن امتنانه لانتقال المسئولية من لاميدو Lamido الأدماوى إلى المستشار السياسى الرئيسى. ويبدى مراقبو المنطقة ملاحظة مفادها أن شعارات الانسحاب بدأت تختفى، كما بدأت تخف أيضا حدة المشاعر المعادية للبولا.

تبدأ فى شهر أغسطس من عام ١٩٦٠ استعدادات جديدة لإجراء استفتاء ثان، تقرر له أن يجرى فى عام ١٩٦١، على أن يصوت فيه كل من الرجال والنساء. وسيكون موضوع الاستفتاء هو مسألة انضمام أراضى الوصاية إلى نيجيريا أم إلى الكاميرون. بدأت فرق الأمم المتحدة فى الوصول. على الرغم من مسئولية الحكومة البريطانية عن إجراء الاستفتاء. وفى أواخر شهر أغسطس يقوم المستشار السياسى الرئيسى بجولة إلى منطقة الوصاية ويلتقى الرجل بالزعماء المحليين أصحاب النفوذ. ويقوم المستشار السياسى الرئيسى بزيارة جانى Ganye، وميوبى، ومدرسة البعثة الكاثوليكية الرومية، كما يزور باسا Bassa، ويزور أيضا

الخارطة رقم (١٦)

Map 16
Northern Trust Territory
(later Sardauna Province)
with Native Authority areas



منطقة الوصاية فى الشمال (مقاطعة المستشار السياسى فيما بعد) مع مناطق السلطة المدنية

مجلس حى جوبوناوا Gubunawa فى ميشيكا، ويلقى خطابا فى مجلس السلطة المدنية فى جوزة Gwoza ويزور أيضا مجلس حى مداجالى Madagali فى جولاك. ثم يعود الرجل ثانية إلى جانى ليفتتح عيادة خارجية فى إحدى المستشفيات، ويفتش على العمل المتبقى فى المستشفى.

فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠، وفى عشية يوم الاستقلال، يبدأ العد التنازلى، بحيث يصبح الزمن المتبقى على إجراء الاستفتاء خمسة أشهر بالتمام والكمال. يبدأ المستشار السياسى الرئيسى فى استقبال الوفود من أهل منطقة الوصاية الذين يؤكدون له مساندتهم ومعهم أهل التلال المتحدة. وفى أواخر شهر سبتمبر يقوم المستشار السياسى بزيارة ثانية إلى المنطقة، ويلقى خطابا فى أهل التلال المتحدة فى باسّا Baissa ويؤكد لهم أنه يثق بهم. ويحل الاستقلال على نيجيريا وحملة شمال الكاميرون على أشدها.

ونحن عندما نتأمل الماضى طلبا للدروس المستفادة، نجد أن الفشل فى كسب استفتاء عام ١٩٥٩ يعزوه كثير من المراقبين المقربين إلى انعكاس نسبى لعدم مبالاة مؤسسة أدماوا، تلك المؤسسة التى أدارت منطقة الوصاية طوال سنوات، لم يتخللها سوى بعض الزيارات التى كانت تقوم بها الأمم المتحدة من حين لآخر، أو بالأحرى كل أربع سنوات ولمجرد التفتيش على بعض المدارس. مؤسسة أدماوا ظنت أن استفتاء عام ١٩٥٩ يمكن ان يكون أمرا سهلا. ولذلك أساءوا تقدير حجم المعارضة ووزنها. ومن بين الأشياء الأخرى أن الرئيس أهيدجو Ahidjo رئيس الكاميرون كان يمول المعارضة تمويلا سخيا. يضاف إلى ذلك أن الناس على المستوى المحلى كانوا مستائين، وبخاصة أولئك الذين "خارج المؤسسة" فى ميوبى Mubi (والذين كانوا أصلا من الفولانيين، ولكنهم كانوا يعكسون انفصالا بين يولا وميوبى). كانت المعارضة القائمة فى جانى Ganye تقوم على أساس عرقى. (يضاف إلى ذلك أن شعب الشامبا فى المنطقة المحيطة بجانى كانوا معارضين أيضا) فى الشمال كان إيا أوبا Iya Uba (ذلك المساعد الزراعى) يتزعم المعارضة. فى الجنوب، كان فيليب ماسين Macen يتزعم المعارضة. وبشكل عام كان أتباع

حزب المؤتمر الشعبى الشمالى موالين لنيجيريا، فى حين كان أتباع حزب مجموعة العمل معارضين لنيجيريا. خلاصة القول أن دانبورام جادا هو وأبا حبيب بذلا قصارى جهديهما فى الاستفتاء، أما لاميد فقد كان خاملا وبلاحراك.

القرار الذى اتخذه المستشار السياسى الرئيسى بإبعاد السيطرة على المنطقة من أدماوا، وأن يديرها هو بنفسه أدت إلى خلق دينامية جديدة. ويقوم المستشار السياسى الرئيسى بإرسال بعض موظفيه المدنيين الموثوق بهم، ومنهم أبو بكر كيجو، وممان جيجا إلى المنطقة. ويذهب داود موفيت Muffet إلى كادونا من أجل الانتخابات التى ستجرى فى عام ١٩٥٩، ثم يقوم بعد ذلك بإجازة، يعود منها فى شهر أبريل. ويعينه المستشار السياسى الرئيسى ممثلا مقيما فى المنطقة. ويرقى موفيت إلى نائب المدير فى شهر أبريل بعد الحصول على الاستقلال. ويعين أبا بكر كيجو مع المدير (الذى كان السير بيرس وين- هاريس فى ذلك الوقت). واستنادا إلى ما يقوله أبو بكر كيجو، قال المستشار السياسى الرئيسى لموفيت Muffet، "إياك وأن تضيع منك المنطقة". وموفيت يعرف من أين يؤكل الكتف. وإذا كان المستشار السياسى الرئيسى يرغب تحقيق أمر ما فإن موفيت قادر على فرض وتحقيق ذلك الشىء[1]. وهنا يقوم المستشار السياسى الرئيسى بإبعاد "مداخل" أدماوا من البشر (محمد بشار ودابنورام جادا) عن الصورة. ويعين المستشار السياسى الرئيسى محمد بشار، الذى أبلى بلاء حسنا فى الحملات الانتخابية الفيدرالية فى عام ١٩٥٩، لرئاسة الفريق السياسى الذى سيقوم على أمر تنظيم الاستفتاء. ويستبقى المستشار السياسى الرئيسى لنفسه المسئولية المباشرة، ويداوم بعد ذلك على القيام بجولات إلى المنطقة لتفقد أحوالها. يتأكد المستشار السياسى الرئيسى من وجود مساعدى رؤساء أحياء فى المنطقة وأنهم يتصرفون تصرفات مناسبة. ويجرى انتخاب مجالس الأحياء كلها من جديد، بحيث تعكس التجانس

---

(١) مقابلة شخصية، مع أبى بكر كيجو وممان جيجا، فى اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٨٣، فى سكتو.

السكانى[١]. سوف نتناول حملة عام ١٩٦١ الانتخابية والنتائج التى ترتبت عليها فى الفصل الثانى عشر. واقع الأمر أن هذه الحملة ونتائجها يمثلان امتدادًا للانتخابات الإقليمية التى جرت فى عام ١٩٦١.

٧ـ دعم وتقوية مجتمع الشمال:

ينظر المستشار السياسى الرئيسى إلى مجتمع الإقليم الشمالى باعتباره اتحادًا داخل اتحاد آخر. هناك بنية مكونة من خمسة أطر، وبالإضافة إلى الأسرة، هناك أيضا المجتمع المحلى، والمجتمع الفردى، والمجتمع الإقليمى وكذلك المجتمع الوطنى، وكل مجتمع من هذه المجتمعات له سلطاته وشرعيته. الوحدة الأساسية فى هذه المجتمعات هى الأسرة الممتدة عبر أجيال عدة (أى أنها ليست أسرة فردية). على المستوى المحلى، نجد المستشار السياسى الرئيسى يؤمن بالتواصل التاريخى للمجتمعات، بغض النظر عن المعايير التى يستخدمها الناس على المستوى المحلى، فى تحديد هوية أنفسهم: سواء أكانت عرقية، أم دينية، أو تاريخية مركبة، أو متعددة الأعراق. يرى المستشار السياسى الرئيسى أن هذه المعايير هى الكتل التى تبنى منها المجتمعات الأكبر، وأنها تكون سريعة التغير فى بعض الأوقات، وهى بمثابة مرساة للقيم والمعتقدات التى تحافظ على استمرارية التغييرات الأخرى. هذه الوحدات المحلية تأتى بأشكال وأحجام مختلفة. مجتمع المستوى الفردى يكون إلى حد ما مجتمعا متسقا إداريا، ومجتمعًا يتزايد فيه الاتساق ويقل فيه الصراع، طبقا للمعايير البراجماتية. (وبذلك، يستطيع إبعاد منطقة الوصاية الشمالية عن سيطرة أدماوا وذلك من قبيل تسهيل الموقف وتيسيره) أما المستوى الإقليمى فهو يتحدد من ناحية عن طريق كل من المجتمع والتفاعل بين العوامل التاريخية؛ كما يتحدد المستوى الإقليمى أيضا عن طريق الاتساق الإدارى الموروث عن الفترة الاستعمارية. هذا يعنى، فى رأى المستشار السياسى الرئيسى،

---

(١) المرجع السابق.

أن أى تغيير جوهرى فى الأقاليم خلال خمسينيات القرن العشرين، سوف يسفر عن نكسة لمجتمعات البنية الأساسية، والبنية التنموية وللجهود البنيوية فى المجتمع الكبير، وبخاصة أن تلك الجهود بدأت تؤتى أكلها. ويرى المستشار السياسى الرئيسى أن الجهود المبذولة لتفتيت الشمال والقضاء على وحدته إنما هى ناتجة عن مسائل توازن السلطة على المستوى الوطنى؛ هذا التوازن تحاول أحزاب الجنوب بمقتضاه عكس نقل عملية السلطة إلى الإقليم الشمالى، حتى يستمروا فى الحصول على نصيب الأسد من الموارد.

يستشعر المستشار السياسى الرئيسى أن مسئوليته الأولى تتمثل فى الإقليم الشمالى، طالما أنه هو الذى يشغل منصب رئيس الوزراء. ومع ذلك، لا يرى المستشار السياسى الرئيسى أى تناقض بين الإقليمية وبناء الأمة على المستوى الفدرالى. واقع الأمر، أن المستشار السياسى الرئيسى يحس أنه عن طريق إستراتيجية التنمية المتساوية وحدها يمكن تحقيق الاستقرار طويل الأمد هو والوحدة الوطنية. والرجل يعتمد بصورة كبيرة على "مواقعه المتقدمة" أو بالأحرى "مداخله" فى ليجوس، فى المشاركة أو التوسط فى عملية توزيع الموارد من ناحية والحلقات المتصلة ببعضها البعض من ناحية ثانية على المستوى الوطنى. والرجل يعرف جيدا مدى احتياجه إلى الوصول إلى البحر، وإلى ليجوس، وهذا كله سوف يساعد على إيجاد روابط مع ميناء هاركورت Harcourt فى الإقليم الشرقى لكى يغير من اعتماده على الإقليم الغربى، مسألة ما إذا كان المستشار السياسى الرئيسى، كان يرى فى ذلك الوقت، أن البنية الإقليمية الفيدرالية بمثابة حل طويل الأجل لعملية بناء الأمة فى نيجيريا هى مسألة افتراضية، نظرا لأن الرجل سوف يقتل فى غضون ست سنوات من الحصول على الاستقلال. ومع ذلك. فإن أفكار الرجل عن تكوين المجتمع أكثر وضوحًا من أسلوبه وسياسته فى فترة ما قبل الاستقلال. الرجل يؤمن بتطوير المجتمعات ولا يؤمن "بالإبداع الذهنى" للمجتمعات. ومن ثم، ونظرا لتطوير المجتمعات. ونظرا أيضا لميله إلى المجتمعات الكبيرة بدلا من المجتمعات الصغيرة فى عملية التطوير. فالأرجح هو ابتكار أو تطوير ترتيبات إدارية جديدة قادرة على استيعاب التفاعل البينى المتزايد بين هذه

المجتمعات، فضلا عن استيعاب التكافل الذى يحدث بين هذه المجتمعات. والمستشار السياسى الرئيسى يعارض المجتمعات التى تقوم على أسس عرقية وذلك على المستويات العالية من التنظيم الإدارى والسبب فى ذلك أن الرجل يحس أن ذلك يمكن أن يزيد من حدة الصراع. كما أنه يعارض فكرة الخصوصية العرقية معارضة شديدة. وهو يميل إلى وجود ائتلاف مكون من منظومتين عقديتَين على المستويين الإقليمى والوطنى، كأن يكون ذلك الائتلاف مكونا من المسيحية والإسلام على سبيل المثال. عند هذا الحد، نلمس تسامح الرجل مع العداء التقليدى، ولكنه يحس أن ذلك العداء سوف يتطور بطريقة طبيعية فى المسيحية والإسلام. (بعد الاستقلال، سنجد الرجل يحاول تسريع عملية الارتداد والتحول على نحو يدور من حوله الكثير من الجدل) اهتمام هذا الرجل بتكوين المجتمع على المستوى الوطنى يتمثل فى أن الانحياز الكامل ضد "الداخل المتخلف" سوف يفضى إلى افتراض مفاده أن النموذج الساحلى - الغربى لبناء الأمة، هو الطريق الوحيد، أو بالأحرى هو أنسب الطرق لتحقيق هذا الهدف. ونجد المستشار السياسى الرئيسى يقاوم فكرة بناء الأمة، ولكنه لا يرفض فكرة "مجتمع المصير"، الذى سوف يتحول إلى نيجيريا مستقبلية.

سجل المستشار السياسى الرئيسى فى دعم وتقوية المجتمع فى الإقليم الشمالى خلال السنوات الست السابقة للاستقلال (التى كان خلالها رئيسا للوزراء) يبين أن الرجل كان يدعم ويساند الإقليمية الشمالية إلى حد بعيد جدا، اعترافا منه أن البنية الإقليمية فى نيجيريا موروثة من عهد استعمارى ما يزال الناس يشكلون جزءا منه. أحمد بللو لا ينشئ الإقليم الشمالى، ولكنه يلحمه إلى بعضه ليكون منه قوة مترابطة ومنسجمة. تقنيات هذا الرجل وخططه مستقاة من موروثة الثقافى السياسى: أى التركيز على الأهداف والقيم العامة، والتأكيد على أهمية المجتمع الكبير. واستعمال المنظومات العائلية والفئات السنية فى عملية الربط، وتعيين الموالين فى مناطق المشكلات أو بالأحرى "المداخل". واستعمال العلاقات الفكاهية، وإدارة المنافسات المحلية من خلال قوى متوازنة، والمساواة فى التعامل مع الوحدات المكونة للمجتمع، وتطوير عاصمة جديدة لترمز إلى المجتمع الجديد.

خلط هذا الرجل للمهارات الإدارية والسياسية بعضها ببعض هو بحد ذاته عملية برجماتية إلى حد بعيد. والرجل يرتاد المناطق ويتكلم إلى أهلها، ويفكر معهم فى الحلول المعروضة، ويختار من بينها ذلك الذى يمكن أن يفيد المصلحة المحلية والمصالح الإقليمية. من هنا تصبح مسألة انسياب المعلومات بصورة مستمرة أمرا مهما للمنهج الذى يطبقه. ويتحول منزل الرجل فى كادونا إلى مركز للزوار الذين يفدون عليه من كل أنحاء الشمال. يضاف إلى ذلك أن استفادته من سلطات التعيينات (أو بالأحرى نفوذ الرجل فى عملية التعيين) فى القطاعات التقليدية والقطاعات الحديثة، هى التى تسمح له بوضع الشخصيات الرئيسية فى الأماكن الإستراتيجية. فى مواقف بعينها نجد الرجل يتخذ الترتيبات اللازمة "لترقية" "المعارضة" المحلية ووضعها فى أماكن نائية، تماما مثلما حدث له عندما "رقوه" ذات مرة وطلبوا منه الإشراف على الأحياء فى مقاطعة جوساو، وبالتالى أبعدوه عن مراكز السلطة فى سكتو.

ومع ذلك، ومن خلال عملية تدعيم المجتمع وتقويته، نجد الرجل يتمتع بسلطات وقوة غير محدودة. واقع الأمر أن الرجل كان مقيدا فى كثير من الأحيان بفعل العوامل السياسية، والاستعمارية، والدستورية وكذلك العوامل القانونية، ناهيك عن عوامل توفر الموارد. هذا الرجل يتعين عليه تدعيم سلطته الذاتية، وهذا هو ما يفعله بالفعل حتى يتمكن من تعبئة مجتمع الإقليم الشمالى.

الفصل الحادى عشر

قيم وزعامة

١ـ آراء فى الزعامة:

مع حصول نيجيريا على الاستقلال، برزت فى الشمال والجنوب مجموعة محدودة من الزعماء. والذى يهمنا ونحن نستفيد من دروس الماضى هو ذلك المشترك الذى بين هؤلاء الزعماء: هؤلاء الزعماء حصلوا جميعهم على تعليم غربى، وتلقوا تدريبًا مهنيًا، وكانوا جميعهم يشتركون فى نظرة حديثة نسبيًا إلى الأمور. هؤلاء الزعماء ينقسمون انقسامًا خطيرًا وواضحًا فيما يتصل بالخطط وبعض المسائل، ومع ذلك فهم يشتركون فى فكرة نيجيريا الموحدة داخل منظومة فيدرالية يدور من حولها الجدل. من هنا نرى أن هناك آراء كثيرة حول الطابع المناسب للزعامة داخل هذا الإطار.

ونحن عندما نتأمل الماضى، نجد أن كثيرًا من أصحاب هذه الآراء، وبخاصة الشماليين منهم، يشتركون فى أمور كثيرة فيما يتعلق بالزعيمين الجنوبيين البارزين: الرئيس Chief أولوو Awolowo والدكتور آزكوى Azikiwe. أصحاب هذه الآراء يرون أن الرئيس أولوو محام، وإدارى قدير، ورجل دقيق، والأرجح أنه أكثر الناس ارتيابًا، ولا يتعاطف مطلقًا مع الموروث الشمالى، ويبحث دومًا عن حلفاء محليين فى الشمال ضمن فئة إنفصالية؛ كما أن علاقات الرجل سيئة مع المستشار السياسى الرئيسى (أحمد بللو)؛ وينصب نفسه متحدثًا رسميًا بلسان المصالح "اليوروباوية" من جهة ومصلحًا فى الموروث المضاد للنظام الملكى Oba من ناحية أخرى. أصحاب هذه الآراء ينظرون إلى الدكتور آزكوى باعتباره صحافيًا، وكاتبًا، ومدققًا، وسياسيًا وحدويًا (وليس فيدراليا)، ويعى جيدًا فائدة التحالف مع الشمال؛ ونظرًا لأن الدكتور آزكوى تربى فى الشمال ونشأ فيه فالناس ينظرون إليه على أنه من المتعاطفين الكبار مع الموروث الشمالى. كما ينظر الناس إليه أيضًا باعتباره ناطقًا رسميًا باسم المصالح الإجباوية Igbo، وليست للرجل سلطة تقليدية تمكنه من الدخول فى كفاح ضد منطقته التى ينتمى إليها.

على المسرح الشمالى، وإذا ما نحينا جانبًا المستشار السياسى الرئيسى، نجد شخصيتين رئيسيتين هما أبو بكر باليوا وكشيم إبراهيم. الناس ينظرون إلى أبى بكر تيفاوا باليوا باعتباره واحدًا من الذين تلقوا تعليمًا غربيًا، وباعتباره شخصًا دقيقًا وملتزمًا، ومحترمًا للسلطة وأنه راديكالى (وليس ثوريا) فى مسألة إصلاح الحكم المحلى. ونظرًا لأن الرجل يمتهن التدريس، فالناس ينظرون إليه باعتباره وسيطًا بين مصالح الشمال – (التى يحددها المستشار السياسى الرئيسى فى معظم الأحيان) – ومصالح الأمة. والرجل يحظى باحترام قطاعات المجتمع كلها، كما أن للرجل خلفية عائلية "مشتركة". كاشيم إبراهيم، يراه الناس باعتباره واحدًا من المدرسين الأُول، الذين يطمحون إلى إصلاح السلطة التقليدية بطريقة حديثة، ولكن دون تغيير فى البنى الأساسية. وينظر الناس إليه بصفته ممثلا لبرنو، وبصفته شخصا دقيقا ومدققا، ومواظبا ومنتظما وصاحب علاقات طيبة مع المستشار السياسى الرئيسى.

زعماء المعارضة الثلاثة فى الإقليم الشمالى هم: أمين كانو، وإبراهيم إمام، يوسف. إس. تاركا. أمين كانوا من أسرة قاضى القضاة فى كنو. هذا الرجل تلقى تعليما غربيا، وهو راديكالى فيما يتعلق بمفهوم التحرير بالنسبة للبشر بشكل عام، وهو من المعادين لبنية أو تركيبة السلطة المحلية، وهو شديد الدقة، وشجاع ونظيف ولا يتأثر بفعل الفشل المستمر فى المعارك الانتخابية، والرجل بسيط فى أسلوبه، والشماليون على اختلاف مشاربهم يكنون له الاحترام والتقدير، بمن فيهم المستشار السياسى الرئيسى نفسه. وأمين كانو مدرسا (مُعلِّم) بحكم المهنة وبحكم تعليمه أيضا. أما إبراهيم إمام فهو من أسرة أحد القضاة فى برنو، وهو صاحب تعليم عال، ومدقق، وراديكالى فيما يتصل بإصلاح بنية السلطة الوطنية (المحلية)، كما أنه راديكالى أيضا فيما يتصل بتحرير الإنسان بشكل عام، وهو فخم الأسلوب، وواثق بنفسه. ويقال إنه هجر الحزب الرئيسى لأسباب تتعلق بالكرامة الشخصية، وأسباب تتعلق بالغيرة، وعدم تقدير المنشأة أو المؤسسة الشمالية له تقديرا طيبا؛ يوسف.إس. تاركا هو الآخر مدرس بحكم مهنته وتعليمه، وهو رجل نشيط ودقيق، وهو واحد من الذين يطلق عليهم اسم "رجال المهمة الواحدة" (هذه المهمة الواحدة

أو القضية الواحدة هى: إنشاء ولايات للتيف والمناطق المحيطة بها)، وهو سمسار سياسى جيد، ولا تربطه علاقات طيبة بالمستشار السياسى الرئيسى، الذى لم يهتم به، والأرجح أنه لم يتناول مسألة التيف تناولاً جيدًا.

فى عشية الاستقلال نجد أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بين الزعماء الرئيسيين. والناس ينظرون إلى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى باعتباره خليطًا من "الحديث والتقليدى". فهو مدرس وإدارى، وله اهتمامات كبيرة "بالفلاحة الحديثة". ومع ذلك، نجده يتطلع إلى لقب سلطان سكتو التقليدى. أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يعى جيدًا الموروث النيجيرى فيما قبل الاستعمار، كما أنه يعى أيضًا حتمية خلط القديم بالجديد. والرجل ميّال إلى تشجيع الآخرين على تولى مقاليد "التحديث" والأخذ بأسبابه، وذلك على المستوى الشخصى (الملبس وأسلوب الحياة). والرجل مصر على حدوث "التحديث" فى مجال التعليم والتنمية الاقتصادية. وهو له مستويات عالية من الطاقة، وهو يكرس جهده كله لعمله، الأمر الذى يحد من حياة الرجل العائلية. وهو ينظر إلى الشمال باعتباره أسرته الممتدة، ويعمل حتى ساعة متأخرة من الليل خدمة لأسرته. وفى خمسينيات القرن العشرين ينفرد الرجل بكونه أقدر الإداريين فى الشمال، بل إنه ربما يضارع "أولوو" فى القدرات الإدارية بشكل عام (أى أنه هو أفضل إدارى فى أنحاء نيجيريا كلها). (معروف أن آو Awo يرجع الفضل له فى تنظيم منظومة التعليم الابتدائى، كما ينسب إليه أيضًا فضل الطرق الفرعية فى الإقليم الغربى). أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى يرتبط بعلاقات، منذ أيام دراسته، بكل رفاقه، والرجل صاحب ذهن يقبل الأفكار، ويتقبل المقترحات، وهو ينتهج سياسة المنزل المفتوح. والرجل، فى هذه الفترة بالذات، بسيط للغاية: تراه يجلس على الأرض مرتديًا ثيابًا بسيطة بيضاء اللون ويأكل بيده من طبق عام. وهو لا يتردد فى التوقف أثناء الجولات التى يقوم بها، كى يؤدى الصلاة مع سائقه، أو مع أبسط البسطاء من الناس. وهو سريع الغضب وسريع الصفح أيضًا. وهو حريص فيما يتعلق بالمسائل التمويلية الشعبية، وهو كريم وسخى من أمواله أو مالياته الشخصية، وينتهج وجهة النظر التقليدية فى تقديم الهدايا. والرجل صاحب قوى متعددة، قوى قديمة وقوى حديثة،

كبار وصغار، فى سائر أنحاء الإقليم الشمالى، مسيحيون ومسلمون. وهو يفعل كل ما يفعله بطريقة شخصية، وهو شهير أيضا "بكرمه". والرجل فى اتجاهه صوب المعارضة يحاول جاهدًا العمل على كسبها إلى جانبه. والرجل فى هذه الفترة يثق بنفسه وبقدراته ثقة عمياء، وأنه قادر على تحقيق النجاح السياسى وعلى النجاح أيضا فى مجال التنمية الاقتصادية، اللهم باستثناء تورطه من جديد فى العالم الإسلامى، عن طريق الحج. والرجل يصر على إحداث نوع من التوازن فى المكافآت والجوائز داخل الإقليم الشمالى، ومع ذلك فهو صاحب مواجهات فى تعامله مع الجنوب. وسياسة الرجل الأساسية لا تعرف الحلول الوسط فيما يتعلق بنقل القوة وتحويلها إلى الشمال ومع عملية الأشملة. من هنا نجد الرجل ينهج نهجًا مختلفا فى التعامل مع الجنوب؛ فى هذا المنهج نجد الرجل (وهو يرتدى العمامة واللباس الوطنى الشمالى) يتصرف على نحو يوحى بالعظمة، والكرامة والمحافظة على مسافة بينه وبين الآخر.

يسلم أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، فى حياته الشخصية بالزواج التقليدى والأنماط العائلية؛ ومع ذلك نجده يشجع بناته على تلقى التعليم الغربى. وهو صحيح البدن، قوى، ويمارس التدريبات الرياضية إن توفر له الوقت وبخاصة رياضة لعبة الخماسيات. ينظر إليه الكثيرون باعتباره "شابًا يلبس ساعة يد". فى حفلات الاستقبال، نجد هذا الرجل يقدم المشروبات للقادمين من الإقليم الغربى هم وأهل الحزام الأوسط، ولكنه هو نفسه لا يقرب المشروبات الروحية. "مذاقات" هذا الرجل من النوع "الأرستقراطى"، عندما يرفه عن نفسه، وهو أيضا يزجى وقت فراغه فى الرماية، كما يرعى النوادى الرياضية. هذا الرجل يطمح إلى العودة إلى الحياة البسيطة، يود أن يكون سلطانا، وقد هدد فى أحيان كثيرة بالاستقالة من منصب رئيس وزراء الإقليم الشمالى.

عملية تدعيم السلطة عند أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، تنتهج نهج الثقافة السياسية التى سادت الخلافة فى سكتو. أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، من الذين يؤمنون بأن الزعامة ينبغى أن تقوم على الفائدة والمنافسة (والخاسرون فى مثل هذه المنافسات يذهبون إلى المنفى فى بعض الأحيان)؛ وأحمد

بللو، المستشار السياسى الرئيسى، منافس عنيد داخل الأحزاب وفيما بينها. وهو يرى أن التحضير للزعامة يجب أن يقوم على التعليم والتدريب، والزعماء غير المتعلمين (سواء أكانوا محدثين أم تقليديين). وهو يرى أن انتخاب الزعامات يجب أن يقوم على الإجماع من قبل ممثلى القطاعات الرئيسية فى المجتمع؛ وفى نطاق الإقليم الشمالى، يرى أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، أن هذه القطاعات الرئيسية تتمثل فى الزعماء التقليديين، ورجال المال والأعمال، والإداريين، والمحترفين المتعلمين، وفى الزعماء الدينيين. (الرجل يؤمن بالإجماع المجتمعى بدلاً من نموذج المجتمع المتصارع) وهو يرى أيضًا أن الفئات السنية المختلفة مسئولة عن مختلف مجالات المسئولية. وهو يوقر من هم أكبر منه سنا وينتظر أن يحترمه من هم أصغر منه. ومن رأيه أن المهمة الرئيسية للزعامة تتمثل فى الاستمرار التاريخى داخل المجتمع، ومن هنا نرى الرجل يؤكد على "الإصلاح" بدلاً من التغيير الجذرى. وهو أيضًا يحترم مؤسسة السلطة، ولا يعنى هذا بالضرورة شاغلى هذه السلطة، والرجل على استعداد لعزل أولئك الذين يحس أنهم "كسالى وفاسدين". وهو أيضًا ممن يؤمنون بأن السلطة يجب أن يقرها الجمهور ويعترف بها. وهو ينشرح صدره للأغانى الشعبية التى تعترف بشرعيته. وهو ينظر إلى تقديم الهدايا باعتبارها جانبًا رسميًا من جوانب الزعامة؛ هذا يعنى أن تبادل البضائع والسلع المادية إنما يشير إلى التكافل، ويوحى بشىء من الرفاه المشترك. وهو أيضًا من المؤمنين باتخاذ القرارات عن طريق الإجماع، وليس عن طريق الانفراد. وهو أيضًا من المؤمنين بأن الزعماء يجب أن يُخوّلوا السلطة لأولئك الذين يكونون مسئولين عن الأداء؛ والرجل يثمن غالبًا البيروقراطية غير الفاسدة والتى على درجة عالية من الكفاية والتى تسهل عملية انسياب المعلومات، واتخاذ القرارات والتنفيذ. وهو يرى دور الزعامة يتمثل فى تدقيق وتحديد القيم الرئيسية فى المجتمع، وكذلك فى تحديد الأولويات. ومع ذلك فإن الزعيم الجيد هو الذى يكون خليطًا متجانسًا من القوى داخل المجتمع. والرجل لديه القدرة على الارتفاع فوق مستوى الكيان الفردى، كيما يرمز بطريقة مركبة إلى المجتمع الأكبر. والرجل يؤمن أن الزعامة ينبغى أن لا تكون بمثابة تدريب على إثراء الذات، وأن الحاكم فى نهاية الأمر مسئول أمام الله عن كل أعماله وأفعاله.

مسألة استجابة الناس لأحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، فى إطار الإقليم الشمالى مسألة معقدة وتحتاج إلى تحليلها بالرجوع إلى الماضى. معروف أن الآمال المرتقبة تتغير عبر الزمن، كما أن الفترات الباكرة تختلط بالفترات اللاحقة. هذا يعنى أن صحافة اليوم يغلب عليها السير فى ركاب الأحزاب السياسية، أو بالأحرى تنتهج الخطوط التى يسير عليها الحزب السياسى، يضاف إلى ذلك أن هذه الصحافة ليست هى المرشد الأمثل للتفكير الشعبى. صحافة الجنوب ترى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى على أنه تقليدى، وإقطاعى، وقبضاى، وجاهل، وأنه صنيعة بريطانية، ويعمل على تعطيل الحصول على الاستقلال. أما صحافة الشمال المتعاطفة مع الرجل فترى فيه حاميًا لثقافة الشمال، ومصلحًا، وإجتماعيًا، وبطلاً من أبطال سياسات اللحاق بالتقدم الاقتصادى. والكتاب الذى نحن بصدده هنا لا يُعْنى بدراسة تفاصيل الصور التى من هذا القبيل دراسة مفصلة، يضاف إلى ذلك أن هذه الدراسة لا تهدف إلى إلقاء الأضواء على العمليات العميقة التى يجرى من خلالها تدعيم السلطة فى الثقافة السياسية الشمالية.

سوف نختار ثلاثة أبعاد فقط هنا من أبعاد الصورة الذهنية لتقوم بتحليلها بعد ذلك:

١) الشعر الهوسوى الذى يبدأ فى التطور خلال هذه الفترة، ويحدد "خصائص" الزعامة ذات العلاقة بالمستشار السياسى الرئيسى.

٢) الأصوات الرافضة، وبخاصة أمين كانو الذى يسير هو الآخر على نهج الثقافة السياسية السُكْتِيَّة Sokoto مستهدفًا بذلك الهجوم على منظومة السلطة فى الشمال.

٣) الآراء الدولية فى المستشار السياسى الرئيسى (بما فى ذلك الآراء الغربية، والآراء الإفريقية، وكذلك الآراء الإسلامية).

٢- شعراء سكتو: خصائص الزعامة:

سوف نتتبع تطور الشعر الهوسوى الخاص بخصائص الزعامة عند أحمد بللو، على امتداد ثلاث فترات زمنية فى هذه الدراسة: فترة ما قبل الاستقلال، ومطلع الاستقلال، وفترة ما بعد الانقلاب. ونحن سنركز فى هذا الفصل على الفترة من ١٩٤٩ – ١٩٦٠، وبخاصة "عشية الاستقلال". كثير من الشعراء الذين يكتبون ويتغنون فى هذه الفترة هم من أهل سكتو، ويقدمون منظورًا للزعامة شديد التميز، نظرًا لأن هذا المنظور يعكس معايير الزعامة فى خلافة سكتو ويعكس هذه المعايير على المناطق القومية والمناطق الإقليمية الأوسع. يضاف إلى ذلك أننا نجد المستشار السياسى الرئيسى من خلال هذه الأشعار مرشح نشط لتولى السلطنة، ويشتهر بأن له علاقات مع السلطان الذى يشغل المنصب. من هنا نجد أن بعض أشعار سكتو عبارة عن نوع من توازن العوامل داخل الإطار السكتى Sokoto. ومع ذلك نجد أن التدقيق الشعبى لهذه الخصائص، والتى هى فى معظمها خصائص دينية، يتتبعها الناس فى سكتو، وتبدأ فى الانتقال أيضًا إلى السياق الأوسع، مما يضطر المستشار السياسى الرئيسى إلى الارتقاء إلى مستوى هذه التطلعات.

اخترنا أربعة من شعراء سكتو لتوضيح هذه الموضوعات. هؤلاء الشعراء الأربعة حسب الترتيب هم: صالح جنكيطى، وعلى طنداو، وجاربا ولد كيانا، وجاربا ماى تاندو شنكافى. كل واحد من هؤلاء الشعراء الأربعة له أغان (قصائد) مسجلة، ماتزال تذاع فى كل أنحاء الشمال. وليس بالإمكان تحديد التواريخ المحتملة لتلك الأغانى فى كل الأحوال، ولكن الوقت التقريبى لهذه الأغانى يكاد يكون معروفًا من السياق. (وعليه، ونظرًا لحصول أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، على لقب "فارس") فى عام ١٩٥٩، فإن وضع لقب Sir يوضع أمام اسم أحمد بللو فى هذه الفترة تقريبًا. يضاف إلى ذلك أن الإشارة إلى الرجل باسم "أحمد بللو"، المستشار السياسى الرئيسى، تظهر أن ذلك كان فى أواخر خمسينيات القرن العشرين، على الرغم من أن الشعر يرجح لهم أن يكونوا قد استعملوا اللقب

"بللو" قبل أن يستعمله الرجل نفسه. وبالإمكان، فى بعض الأحيان تحديد موعد إذاعة أية أغنية من الأغنيات عبر شبكات الإذاعة الإقليمية. (ملاحظة: القصائد كلها مكتوبة بلهجة سكتو الهوسوية).

صالح جنكيطى من أوائل الشعراء / المغنين الهوسويين الذين بدءوا ينظمون الشعر عن موضوع المستشار السياسى الرئيسى. جنكيطى مولود فى جوساو Gusau (سكتو) وهو من المقربين إلى سلطان سكتو (أبو بكر الثالث). أمضى صالح جنكيطى حوالى خمسين عامًا ظل يغنى خلالها فى سكتو وفى أماكن أخرى إلى أن وافته المنية فى عام ١٩٧٣. وأغانى الرجل تدور حول الزعامة التقليدية. وهو من بين المغنين المحترمين ومن بين الموسيقين الحساسين فى بلاد الهوسا.

كتب صالح جنكيطى، فى أواخر خمسينيات القرن العشرين، قصيدة عن المستشار السياسى الرئيسى؛ هذه القصيدة بعنوان "أصول أحمد بللو"، المستشار السياسى الرئيسى، SalsalarAhmadu Bello. تقول لازمة الأغنية: "أحمد يستعد للعالم؛ رفعك الله وعظّمك". وفيما يلى نورد تفسيرًا وشرحًا مناسبا لهذه القصيدة[١].

(١) أحمد يستعد للعالم / رفعك الله وعظمك.

(٢) تكرار البيت الأول.

(٣) اصغوا إلى كلام سَمُوّه / حفيد معاز، ولد إبراهيم / كل ما يقوله مقبول. (تكرار للبيت).

(٤) أحمد يستعد للعالم من جديد / إن الله وحده هو الذى يرفعك.

(٥) عملك يصعب تعلمه / الناس رأوك واعتراهم الخوف، / لأنه فى المقام الأول / شخصيتك تشبه شخصية على بابا Alu Babba.

(٦) تكرار البيت الرابع.

---

(١) هذه القصيدة، منقولة من شريط، من إذاعة نيجيريا، فى كادونا، فى عام ١٩٨٤.

(٧) أسد اصطدم بفيل / ولاحظنا الأثر على جسده.

(تكرار للبيت نفسه)

(٨) تكرار البيت الرابع.

(٩) أولئك الذين يودون توجيه الضغط، ضغطهم لن يؤثر على الجبل / هذا الذى يفعلونه لا جدوى منه.

(١٠) سلالة وأصل أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى / ترجع إلى النبى الكريم / (تكرار).

(١١) ينحدر من فاطمة إلى أحمد / الشيخ مزَّمل وأيضا سنوسى، مصطفى/ مع حياة وموسى، توكر، وعقبه / إبراهيم، عبد الله، سنكيو / عبد الصمد / نصير، سراج، هارون، أحمد، سالس / عثمان، محمد فودى / الشيخ عثمان، ممان بللو؛ أبو بكر ماى رباح / إلى إبراهيم / لقد سمعت أصل أحمد بللو / المستشار السياسى الرئيسى ولد الحسن.

(١٢) تكرار البيت الرابع.

(١٣) أنجب النبى فاطمة / فاطمة أنجبت الحسن / والحسن أنجب ممَّان، / وممان أنجب عيسى / عيسى أنجب ممان، وممان أنجب تنيم المقرئ، / وتنيم أنجب أحمد / أحمد أنجب الطاهر / الطاهر أنجب عُود / وعود أنجب يوشع / يوشع أنجب الحسين / الحسين أنجب هاشم / وهاشم أنجب حلموس / وحلموس أنجب عبد الرازق / وعبد الرازق أنجب عبد الله / وعبد الله أنجب عبد الحميد الطاهر / عبد الحميد أنجب أحمد / أحمد أنجب حسمات / وحسمات أنجب صالح / وصالح أنجب عبد الرازق / وعبد الرازق أنجب على دبيك / على دبيك أنجب سعيد أحمد / سعيد أحمد أنجب محمد / محمد أنجب حواء / حواء أنجبت الشيخ عثمان / الشيخ عثمان أنجب مامان (محمد) بللو / محمد بللو أنجب أبو بكر / أبو بكر أنجب إبراهيم / إبراهيم هو والد أحمد المستشار السياسى الرئيسى.

(١٤) من ذا الذى عنده هذه الخلفية / من ذا الذى يمكن أن يتفوق عليه فى الدنيا كلها، / بل وحتي فى الآخرة، لن يصل إليك. (تكرار)

(١٥) تكرار البيت الرابع.

(١٦) اصغوا إلى كلام سموه، / حفيد معاز، ولد إبراهيم، / كل ما يقوله مقبول.

(١٧) تكرار البيت الرابع.

(١٨) خلفية المستشار السياسى الرئيسى أحمد بللو / هى بصدق من النبى. (تكرار).

(١٩) من فاطمة إلى أحمد / الشيخ، مصطفى وسنوسى، مصطفى / مع حياة وموسى، حقوب / إبراهيم، عبد القادر، سولمى، عبد الصمد / سراج، هارون، حمزة، عثمان، محمد فودى، الشيخ عثمان / مامان بللو، أبو بكر ماى رباح، / إبراهيم / أنتم سمعتم أصل أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، ولد الحسن.

(٢٠) تكرار البيت الرابع.

(٢١) أسد اصطدم بفيل / لاحظنا التأثير على جسده. (تكرار).

(٢٢) تكرار البيت الرابع[١].

فى هذه القصيدة، نرى المغنى وهو يحث المستشار السياسى الرئيسى على بذل المزيد من الجهد استعداد للتعامل مع الشئون العالمية. ومن يريد أن يكون عظيما يتعين عليه مواجهة صعوبات كثيرة وتحديات كثيرة، وأن الطريق الوحيدة لمجابهة هذه التحديات هو بذل المزيد من الجهد، مع الاستعانة بالله. المستشار السياسى الرئيسى فى هذه القصيدة يشار إليه بتعبير "صاحب السعادة" Maigirma.

---

(١) راجع الأصل الهوسوى لهذه القصيدة فى الملحق رقم ٢٠٢.

المغنى يربط المستشار السياسى الرئيسى بكل من السلطان معاذ والسلطان حسن jikan mu"azu dan Hassan ، وبذلك يضع المغنى، أحمد بللو بصورة مباشرة ضمن سلسلة أولئك الذين يستحقون تولى السلطنة. الرمز إلى (أحمد) باستعمال الفيل، والرمز إلى (أبى بكر) باستعمال الأسد الثالث رمز له مغزاه والسبب فى ذلك أن الأسد أقل قوة من الفيل. الرمز إلى المستشار السياسى الرئيسى بصفته جبلا dutse، ومن ثم فهو راسخ، يعنى عدم جدوى معارضة المستشار. ويشير أيضًا إلى تماسك شخصية الرجل. رد سلالة الرجل النسبية إلى النبى مسألة مهمة تماما، والسبب فى ذلك أن الآخرين (ومن بينهم المستشار السياسى نفسه) سوف يزعمون هذا الزعم فى ستينيات القرن العشرين، على الرغم من أن السواد الأعظم من الباحثين يتفقون على أن الشيخ عثمان بن فودى لم يزعم هذا الزعم نفسه. مسألة الارتباط بين المستشار السياسى الرئيسى والنبى (ﷺ) فى الزمن الشعبى تضفى على المستشار السياسى مجموعة من "البركات" والقوى الوطنية. يضاف إلى ذلك أن الإشارة بصورة مستمرة إلى الرجل باعتباره "أحمد ولد الحسن" يخلق صورة فى الذهن عام عن الولاية المباشرة (وتجاهل أبا بكر الثالث) لمنصب السلطنة. من ذا الذى يتفوق على هذا الرجل من حيث الميراث؟ إن الفيل سوف يهزم أى أسد من الأسود التى يمكن أن تقف فى طريقه، وبالتالى سيكشف الأسد عن شاماته.

الشاعر على ولد طنداو مولود فى بلدة شونى shuni (فى ولاية سكتو). واسم التدليل لهذا الشاعر هو "طنداو"، وقد اكتسب ذلك الرجل هذا الاسم لأنه كان يبيع العلف الحيوانى عندما كان صبيا. الرجل من مواليد عصر السلطان تمبارى، ووالده على فودى واحد من المعلمين الشهيرين، وقد علَّم الرجل ولده تعليما دينيا. يبدأ طنداو مستقبله الغنائى العملى معتمدا على نفسه، والرجل شهير بذاكرته اليقظة، إلى الحد الذى يجعله قادرا على إعادة أية أغنية من الأغانى بعد أن يستمع إليها للمرة الأولى فقط. وهذا هو ممثل السلطان ardo فى شونى، يشجع الرجل، ويجمع له مجموعة من الموسيقيين. وعندما كان طنداو فى شونى، كان من عادته أن يقوم بزيارة بلدة رباح ويزور أحمد بللو. ويزيد ارتباط الرجل بِمُمَثِّل السلطان فى شونى (الذى هو واحد من الناخبين التقليدين الذين ينتخبون سلطان سكتو).

ويقوم طنداو بالسفر داخل نيجيريا وخارجها، ويزور حى دوسو dosso فى جمهورية النيجر. ويظهر فى أغانى طنداو التعليم الدينى الذى حصل عليه الرجل فى صباه. هذا الرجل شهير بالإساءة إلى سمعة بعض الحكام التقليديين الذين وصفهم بأنهم لا يفهمون ولا يعون المسئولية. وقد كتب الرجل قصيدتين عن المستشار السياسى الرئيسى، هاتان القصيدتان توضحان المنظور التالى:

١) "أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى فى سكتو" Ahmedu Bello Sardaunan Sakkwato.

٢) "مستشار سكتو السياسى الرئيسى" Sardaunan Sakkwato. وسوف نتناول القصيدتان فيما بعد لنستخرج منهما الرموز الواردة عن الزعامة.

(أحمد بللو مستشار سكتو السياسى الرئيسى[١])

(١) فى الأصل، كسب الرجل، / حفيد بن فودى صاحب الحظ السعيد / أحمد صاحب الثروات العتيدة / يجب أن نسارع ونتبع بللو، ولد الشيخ قبل أن يخلِّفنا القطار وراءه.

(٢) يا مسلمين، لا تسمحوا للشيطان بخداعنا، / من ذا الذى يمكن أن يعصى حفيد الشيخ، / سوف يواجه غضب الله فى الآخرة / يجب أن نسارع ونعجل باتباع بللو، ولد الشيخ / قبل أن يخلفنا القطار وراءه.

(٣) يا مسلمين، لا تسمحوا للشيطان بتضليلنا / من ذا الذى يمكن أن يعصى حفيد الشيخ / سوف ينساه الله فى يوم الحساب.

(٤) قد يكون الاسم هو الاسم، لكن الجزاء يختلف / حاليا أحفاد الشيخ كلهم فضة. / (لكن) هذا هو الذهب / قد يكون الاسم هو الاسم، لكن الجزاء يختلف / حاليا أحفاد الشيخ كلهم فضة / هذا هو الذهب.

---

(١) شريط مسجل، وحدة التوثيق الشفهى، قسم اللغات الإفريقية والنيجيرية، جامعة أحمد بللو، زاريا.

(٥) أبو بكر ماى Mai رباح، ولد بللو، / زعيم الشعب فى مجاجن جارى Gari، آلو جومبى، / كلما وصلت إلى العالم، يجرى تكريمك / بعد ذلك فى الآخرة، / وترى الشيخ، المصلح، مع النبى، ومع مجتمعك كله / أحمد، لعل النبى يبارك بسبب الشيخ.

(٦) قمر ليلة الصلاة لطيف النظر إليه / الرؤية تستمر طوال الليل / حتى يستمر الذكر، عثمان الأحمد / إرادة الله، لاشك أن الله قد بارك فيك.

(٧) تكرار البيت السادس.

(٨) كل من ليجوس وساحل الذهب، حينما تذهب / ينبغى، يا أحمد، أن يكون لك موضوع / فى أية مدينة تقضى فيها الليل، / أنت لا تخرج على النظام / أنت تملك كل واحد وتملك الجميع.

(٩) تكرار البيت الثامن.

(١٠) أنا أبدأ وأذكِّرك / بوعد قطعناه / إذا ما أراد الله.

(١١) تكرار البيت العاشر[١].

يؤكد الشاعر على أن المستشار السياسى الرئيسى يكسب الناس إلى جانبه لأنه صاحب موهبة كبيرة، ولديه قدرة قوية على المباركة، وأن هذه القدرة راجعة إلى صلة وعلاقة الرجل بالشيخ (عثمان بن فودى). مصطلح "ثروات" arziki فى هذا السياق لا يعنى الثروة، أو المقتنيات الدنيوية، وإنما يعنى "البركة"، "الحكمة" أو "الخير". الصورة واضحة تماما وهى لقطار يتحرك قاصدا محطة بعينها، وقد ترك الناس خلفه، لأنهم لم يستطيعوا اللحاق بالقطار. الدعوة إلى الحذر من إغواءات الشيطان هى التى توصلنا إلى العبارة التى مفادها أن رفض اتباع أحمد بللو سوف يسفر عن غضب من الله فى الآخرة. أحمد يتبع مشيئة الله وإرادته. الرمز الرئيسى

---

(١) للمزيد عن النص الهوسوى، راجع الملحق ٢- ٣.

فى القصيدة والذى يتمثل فى الشيخ عثمان بن فودى هو بمثابة الشرعية الأساسية لعملية الزعامة، لكن داخل هذه السلالة النسبية نجد أن بعض أفرادها أكثر جدارة بتلك الزعامة (أى أن البعض "ذهب") والآخرون ("فضة"). فى المقطوعة الخامسة من القصيدة، تجرى مخاطبة أحمد، كما لو كان جده، السلطان أبو بكر ("أبو بكر الرباحى")، واحترام سلطان هذا الرجل ينسحب أيضًا على أحمد بللو. الإشارة إلى الشيخ عثمان بن فودى وإلى النبى هو وشعبه وهم جميعًا فى الجنة، تمثل حافزًا قويًا للناس على أتباع أحمد بللو، المبارك من الشيخ عثمان ومن النبى. شعبية المستشار السياسى الرئيسى يجرى تشبيهها بالمتعة التى يجدها الناس عندما تقع أعينهم على قمر الصلاة. هذا يعنى أن الناس ينتظرون مقدم أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى. يزاد على ذلك أن مصطلح "الذكر" mumbari"ah فى المقطوعة السادسة له مضامين دينية وهو يعنى ذكر الأمور الدينية أو إعلام الناس بها. فى المقطوعة الثامنة، نجد أن الإشارة إلى ليجوس وإلى ساحل الذهب تعنى المدى الواسع لنفوذ المستشار السياسى الرئيسى وقوته. ومع ذلك فالرجل لا يخرج على القواعد أو يكرهها وبخاصة فى الأماكن النائية. ونجد الإشارة الواردة فى المقطوعة العاشرة عن وعد من الوعود، لها مغزى شخصى ولكنها ليست واضحة تمامًا للمستمع العادى. كما نجد أيضًا المصطلح المستعمل للدلالة على لفظ الجلالة هو الكلمة الهوسوية Sarki، التى يمكن أن يكون معناها "أمير" فى بعض السياقات الأخرى، أو قد تعنى "ملك" أو حتى "رئيس حى". المغزى عام للقصيدة هو ربط المستشار السياسى الرئيسى دينيًا وسياسيًا مع أسلافه، ومع البركة الربانية.

القصيدة الثانية التى ألفها على طنداو عنوانها "مستشار سكتو السياسى الرئيسى"[1] Sardaunan Sakkwato، وهى عبارة عن دفاع قوى عن أحقية أن يصبح المستشار السياسى الرئيسى سلطانًا لسكتو.

---

(١) الإذاعة النيجيرية. كادونا. المرجع السابق.

(١) الملك الموهوب الذى يساعد المسلمين، / لا أحد يفوقك، / ولد الشيخ لقد ملكت الشرق.

(٢) يا هوسا، من جرؤ على تحديك ينبغى أن يتوقف / رجالا ونساءً، اتبعوا المستشار السياسى الرئيسى / فهو ينعم ببركة أبى بكر الأول. لقد غلب كل أحفاد الشيخ الآخرين على أمرهم.

(٣) أحمد، سيد رباح الكبيرة، / هؤلاء الذين يحسدونك (ينتقدونك) يجب أن يكونوا مستعدين للمستقبل.

(٤) تكرار البيت الثالث.

(٥) اليوم، تحديك، أو تبديد وقتك / سوف أغلق فمى ولن أكشف نفسى / حتى لا أعرض نفسى للمعاناة.

(٦) يا أحفاد بللو، تذكروا الأبطال السابقين / أبا بكر الرَّبَاحى، حفيد المصلح، / هذا هو المكان الذى أتيت منه بلا أدنى شك / نحن نصلى لله كى نصل / إلى حظنا الذى هو فى المستقبل القريب.

(٧) تكرار البيت السادس.

(٨) أحمد، يجب أن أُعْطى ثوبًا لحصان. يجب أن أُعطى ثوبًا من طراز آزبن Azbin / تلك هى الأشياء التى أطلبها (استجديها) منك / بعد ذلك ستبقى الكلمات.

(٩) تكرار البيت الثامن.

(١٠) يا زعيم المخلوقات البشرية، ذلك الذى قلته / لى هو قول الحكمة / لقد صلينا من أجلك يا مستشار السياسة الرئيسى، من أجل أن تصل بركاتك / إلى بركات الأبطال السابقين.

(١١) تكرار البيت العاشر.

(١٢) تكرار البيت الخامس.

(١٣) تكرار البيت الثالث.

(١٤) كل من لديه الصبر سوف يحقق هدفه / كل من لديه الصبر سوف يتمتع فيما بعد / يجب التوقف عن الشك، سوف تتحكم فى العالم.

(١٥) تكرار البيت الثالث.

(١٦) ستحكم سكتو سواء أكان ذلك اليوم أم غدًا، يا أحمد عندما تصبح سلطانًا، / لن يكون لدينا يومًا للحزن سواء أكنا كبارًا أم صغارًا، / دع جانبًا قضاءك لليل حزينًا، / طالما أنك وصلت إلى بركة الشيخ / أيها المستشار السياسى الرئيسى، ليس لدينا شك، ونحن نعرف أن الذهاب لنا.

(١٧) عندما تصبح سلطانًا، أحمد أبو تحقيق رغبات الناس كلهم / بيت بللو، وبيت أبو بكر الرباحى / عندما دخلته ذهبنا جميعًا إلى الجنة.

(١٨) تكرار المقطوعة الثالثة.

(١٩) تكرار المقطوعة الخامسة.

(٢٠) تكرار المقطوعة الخامسة[١].

الإشارة إلى "الملك الموهوب" Sadaukin Sarki تشير إلى حامل لقب تقليدى، ولكن الشاعر يضيف قائلا: "الذى يساعد المسلمين" Mai taimakon Musulmi. الإشارة أيضا إلى "الشرق" Gabas، يمكن أن تكون إشارة إلى الإمارات الشرقية في خلافة سكتو وربما كانت إشارة أيضًا إلى برنو. فى المقطوعة الثانية نجد أن كلمة "هوسا" تشير إلى شعب سكتو، والناس يحضون على أن أى تحد طائفى لسلطة المستشار السياسى الرئيسى من داخل الإمارات ينبغى مقاومته. فكرة النقد الطائفى

---

(١) للمزيد عن النص الهوسوى راجع الملحق ٢ – ٤.

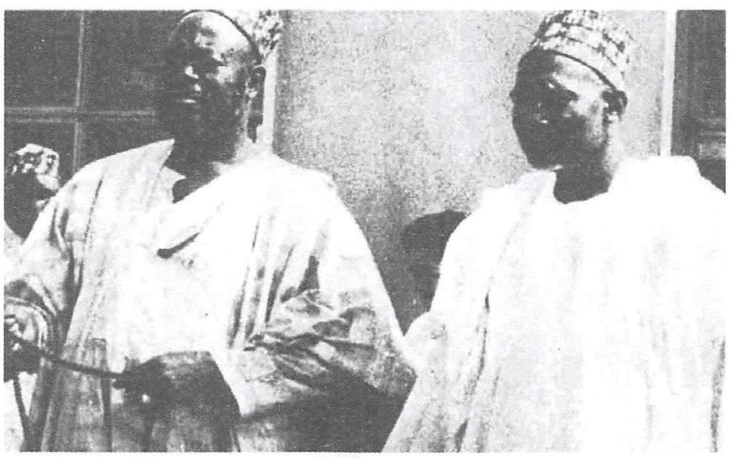


Ahmadu, Sardauna of Sokoto, as Minister of Local Government, Kaduna, grappling with problems of regional government (October 1953)



Aminu Kano, leader of NEPU (1960s), a the salient opposition leader during the Sardauna's time in government. Their relationship was correct and at times cordial.

Ahmadu Bello, with Abubakar Tafawa 'Balewa (Prime Minister), in harness but sometimes pulled apart by federal and regional demands (1960s)



من اليمين إلى اليسار

أمين كانو، زعيم حزب الاتحاد التقدمى لعناصر الشمال (فى الستينيات).

أحمد، مستشار سكتو السياسى الرئيسى، ووزير الحكم المحلى (أكتوبر ١٩٥٣).

أحمد بللو مع أبى بكر تافاوا باليوا (رئيس الوزراء).



Lancaster House Conference (May 1957). The 'Northern' team left to right: Inuwa Wada, Abubakar Tafawa Balewa, Ahmadu Bello, Aliyu Makaman Bida.

Lancaster House Conference (May 1957). Left to right: Abdulmalik Atta, Aliyu Makaman Bida, Ahmadu Bello, Muhammad Ribadu.



من اليمين إلى اليسار

مؤتمر لانكستر (مايو ١٩٥٧) من اليسار إلى اليمين: إينوا وادا، أبو بكر تافاوا باليوا، أحمد بللو، على مكمان بدا.

مؤتمر لانكستر (مايو ١٩٥٧) عبد الملك عطا، على مكمان بدا، أحمد بللو، محمد ريبادو.



Kashim Ibrahim, later Governor of Northern Nigeria (February 1956), a schoolmate, friend, government colleague and the major gateway to Borno.



Aliyu Makaman Bida, Ahmadu Bello, Usman Nagogo (Emi of Katsina) (1960s), a quiet but firm councillor. The Emir a Makaman helped to balance some of the more extreme positions advocated by others.



Above: *House of Assembly, Kaduna in session (mid-1950s), scene of some of the Sardauna's oratorical triumphs.*

Left: *Alhassan Dantata, a leading merchant in Kano (mid-1950s). His family benefited from the Regional Government's increase in support for indigenous merchants and industrialists.*

من اليمين إلى اليسار

على مكمان بدا، أحمد بللو، عثمان ناجوجو (فى الستينيات).

كاشيم إبراهيم، حاكم شمال نيجيريا (فبراير ١٩٥٦) رفيق أحمد بللو فى الدراسة.

الجمعية العمومية أثناء الانعقاد فى كادونا (منتصف الخمسينيات).

الحسنًا دونتاتا، من كبار تجار كنو.



...bubakar Tafawa Balewa, ...e Prime Minister visits ...aduna (July 1961)



Shehu Shagari, an important part of the Lagos team.



Governor General Dr Azikiwe, former leader the NCNC and Ahmad Bello (February 1961)

Participants at the NPC Party Conference, Kaduna (May 1958)



من اليمين إلى اليسار

الحاكم العام الدكتور آزكوى الرئيس السابق لحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون.

الشيخ شاجارى، ركن مهم من أركان فريق ليجوس.

أبو بكر تافاوا باليوا، رئيس الوزراء يزور كادونا (يوليو ١٩٦١).

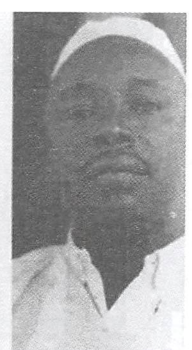
المشاركون فى مؤتمر حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كادونا (مايو ١٩٥٨).



Aliyu Turaki of Zaria (March 1955)



Othman Ladan Baki of Katsina (April 1965)



Ibrahim Musa Gashash of Kano (March 1955)

Yahaya, Madawaki of Ilorin (March 1955)



Umaru Gwandu (December 1956)



G. U. Ohikere of Kabba (1955)



من اليمين إلى اليسار

أبطال الساعة – الوزراء الثلاثة الذين حضروا جنازة أحمد بللو

إبراهيم موسى جشاش الكنوى (مارس ١٩٥٥).

عثمان لادان باكى (إبريل ١٩٦٥).

على طراقى الزارى (مارس ١٩٥٥).

جى. يو. أوهكيرى (١٩٥٥).

عمر جواندو (ديسمبر ١٩٥٦).

يحيى مدواكى (مارس ١٩٥٥).



Chief J. S. Olawoyin, a leading opposition member (AG) from Offa (Ilorin). He was never afraid to pose a challenge.

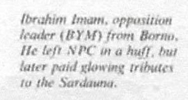


Muhammad Bashar, Minister for Economic Planning. He did well in the Northern Cameroon Plebiscites and was one of the intermediaries with the Middle East.



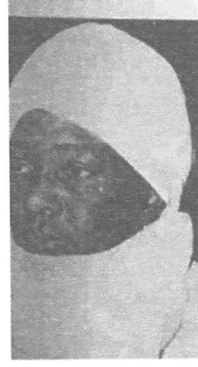
J. S. Tarka, opposition leader (UMBC) from Tiv Division. He had a mutual respect for the Sardauna, but was an unflagging advocate for minority rights.

Sule Gaya, Minister for Local Government. He helped to ride the whirlwind of the Muffett probe.



Ibrahim Imam, opposition leader (BYM) from Borno. He left NPC in a huff, but later paid glowing tributes to the Sardauna.

Isa Kaita, Minister for Education.







من اليمين إلى اليسار

يوسف تاركا، زعيم المعارضة فى حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد.

محمد بشار، وزير التخطيط الاقتصادى.

الرئيس أولاوين: زعيم المعارضة (حزب جماعة العمل).

عيسى كينا، وزير التعليم.

إبراهيم إمام، زعيم حزب حركة شباب برنو.

سول جايا، وزير الحكم المحلى.



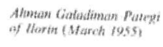


d Alanamu of Ilorin
rch (1955)

Abba Habib of Borno
(1955)

Pastor David Lot of
Plateau (February 1955).
He was a prominent figur
in the North, a friend and
colleague in the political
emancipation of the North

Achimugu of Kabba
uary 1952)



Ahman Galadiman Pategi
of Ilorin (March 1955)

Michael Audu Buba,
Wazirin Shendam, of
Plateau, a favourite of the
Sardauna (February 1955)







من اليمين إلى اليسار

باستور داود لوت من الهضبة (فبراير ١٩٥٥).

أبو حبيب البرنى (١٩٥٥).

سعد الأنام الإيلورى (مارس ١٩٥٥).

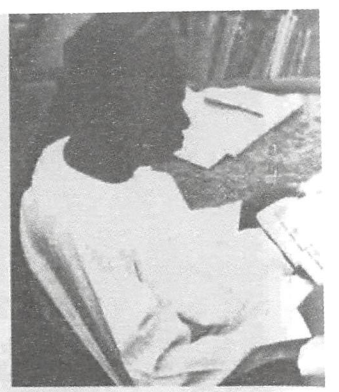
ميخائيل عودو يوبا، من المقربين إلى أحمد بللو.

أجمان جالاديمان ياتيجى (مارس ١٩٥٥).

بطرس أستيموجو (يناير ١٩٥٢)



Mallam Abubakar Gummi (recent photo): A prominent scholar who advised the Sardauna on religious and judicial matters.



Mallam Aminu Kano, at home in his stu Apart from politics, 'Mallam', as he is popularly known, was an authority on Islamic law and tafsir (i.e. Qur'anic interpretation)

Mallam Haliru Binji



Sheikh Ibrahim Kaulaha



من اليمين إلى اليسار

المعلم أمين كانو، فى مكتبه بيته بعيدا عن السياسة.

المعلم أبو بكر جومى، عالم كبير.

الشيخ إبراهيم كولاها.

المعلم هاليروبنجى

هذه موجودة أيضًا فى المقطوعة الثالثة، كما نجد أيضًا فى سائر أنحاء القصيدة إشارات إلى المعارضين الذى يعارضون المستشار السياسى الرئيسى داخل النظام الهرمى فى سكتو. والشاعر يذكر المستشار السياسى الرئيسى بأسلافه وبعظمتهم. (وهو "الشاعر" يطلب أيضًا لباسًا وحصانًا) وفى المقطوعة العاشرة، نجد "أقوال" المستشار السياسى الرئيسى يجرى تحميلها بمضمون دينى. الإشارة إلى "الصبر" hankuri أو hakuri تعد صفة من الصفات التى لها وزنها فى شخصية الزعماء. والشاعر يعبر عن ثقته الكاملة فى نجاح أحمد بوصفه سلطانًا، فى سلالة بللو وأبى بكر الرباحى (العتيق). والإشارة إلى أحمد بللو "سيد" الشرطة، ليست سوى إشارة سياسية داخلية. خلاصة القول، إن الشاعر يعترف بالطابع التنافسى فى الثقافة السُكتية السياسية، ويحض المستشار السياسى الرئيسى على السير على الطريق الذى سلكه أسلافه.

٣ـ مزيد من شعراء سكتو: السير على طريق الشيخ وبللو:

شاعر سكتو المدعو جاربا garba ولد Dan كيانا Kyana له ثلاث قصائد رئيسية من قصائد تلك الفترة، هذه القصائد تتناول صفات الزعامة التى فى المستشار السياسى الرئيسى. هذه القصائد تربط المستشار السياسى الرئيسى بالشيخ عثمان بن فودى، وتركز على صفات الشجاعة والتصميم إضافة إلى حماية ذلك الرجل للدين. وأخيرًا سوف نتناول أعمال شاعر شاب آخر يدعى جاربا Garba التندى Mai Tandu الشنكافى Shinkafi، الذى يتناول الموضوعات التى سبق الإشارة إليها.

القصيدة الأولى التى كتبها ولد كيانا عنوانها: "هو يتبع الشيخ باحترام وكرامة" Da Martaba Yaka Bishehu.(١)

---

(١) شريط من الإذاعة النيجيرية، كادونا. ١٩٨٤.

(١) إنه يتبع الشيخ بكرامة واحترام، / لأنك ملك Sarki / الكذب يجب ألا ينقل إليك / يجب أن تتقدم إلى الأمام، يا بطل الحسن، فأنت الملك.

(٢) تكرار المقطوعة الأولى.

(٣) فى منزل الشيخ لا يوجد زعيم Bajimi سوى ولد إبراهيم / حتى أهل الماضى يتركوك، / ناهيك عن الصغار.

(٤) تكرار المقطوعة الأولى.

(٥) تكرار المقطوعة الثالثة.

(٦) هو يتبع الشيخ باحترام وكرامة / الكذب يجب أن لا ينقل إليك / أمض قدمًا مستعدًا يا حسن / أنت الملك.

(٧) الفهد damisa لا يتحمل اهتمام الصيادين. أيها الأبناء. الفيل Giwa يحتل الغابة ويفعل كل ما يريد.

(٨) إذا سمعت عن سعادة الناس بفأر من الفئران، فذلك يعنى أنه ليس هناك أرنب / ذلك الذى لا يملك، ينبغى إعطاءه كيكة (فطيرة) من الفول.

(٩) تكرار المقطوعة السادسة[١].

المقطوعة الأولى تشير إلى أن المستشار السياسى الرئيسى "يتبع الشيخ"، وتشير إليه أيضًا على أنه "ملك" Sarki، أو أنه هو المفضّل، أو البطل؛ عند السلطان حسن. المقطوعة الثالثة، تصور المستشار السياسى الرئيسى باعتباره أعظم أحفاد الشيخ، فى الماضى والحاضر. والمقطوعة السابعة عبارة عن مثل المقصود منه الكشف عن عجز خصوم المستشار السياسى الرئيسى وقلة حيلتهم فى مواجهة قوة الرجل. يضاف إلى ذلك أن صورة المستشار السياسى الرئيسى الذهنية التى تجعل من الرجل "فيلاً من فيلة الغابة" (أو بالأحرى ملك الغابة) يجرى تأكيدها

---

(١) شريط من الإذاعة النيجيرية، كادونا، ١٩٨٤.

والتركيز عليها. فى المقطوعة الثامنة نجد الشاعر يسخر من خصوم المستشار السياسى الرئيسى. "أولئك الذين لا يملكون" (أو بالأحرى الخصوم) يجب أن يُعْطوا فطيرة من الفول، (أو بالأحرى طعامًا معتادًا، وليس لحمًا حقيقيًا). القصيدة تربط المستشار السياسى الرئيسى باعتباره خلفًا للشيخ (عثمان بن فودى)، وتؤكد القصيدة أيضًا على قوة الرجل وسلطته، كما تسخر أيضًا من المعارضة.

القصيدة الثانية التى ألفها ولد كيانا عنوانها "البطل الذى لا يقهر، أَبُ مراسل الأمير" Gagarau Namijin Duniya uban jakada[1].

(١) بطل لا يقهر، أبُ مراسل الأمير jakada، / لا أحد يواجهك، أحمد الفيل القبضاى toron giwa.

(٢) تكرار المقطوعة الأولى.

(٣) أعظم الأبطال، أبُ المراسل، / لا أحد يواجهك. / أحمد الفيل.

(٤) بطل لا يقهر، أبُ المراسل، / لا أحد يواجهك. / أحمد الفيل، / الفيل، الابن المخيف من أبناء إبراهيم، / شىء كبير فوق المدخل، ولد إبراهيم، / ادفع كل من يقف فى طريقك، أيها الفيل.

(٥) تكرار المقطوعة الأولى.

(٦) ذهب بسلام / وعاد بسلام. (تكرار) / أيها الفيل المخيف، يا ولد إبراهيم / مدمِّر ضريح أبى بكر Garba.

(٧) تكرار المقطوعة الأولى.

(٨) ذهب بسلام / عاد بسلام. (تكرار)

(٩) تكرار المقطوعة الأولى.

---

(١) شريط الإذاعة النيجيرية، كادونا، ١٩٨٤.

(١٠) حقق أهدافه / ولد الحسن المنتقم / إذا كان هناك شيء / ستفعله / ولد الحسن المنتقم / لو أن هناك شيء ستفعله.

(١١) تكرار المقطوعة رقم ١.

(١٢) أنت تفعل أشياءك / ولد الحسن المنتقم / لو أن هناك قتالاً، فسوف يخوضه.

(١٣) تكرار المقطوعة رقم ١.

(١٤) كل ما يقال له / يتركه كما لو كان لم يسمعه؛ / إنه يترك وحسب. (تكرار).

(١٥) تكرار المقطوعة رقم ١[١].

الشاعر يؤكد عظمة المستشار السياسي الرئيسي من خلال الكلمات الرمزية التي من قبيل "الذي لا يقهر" gagarau. المصطلح "أبُ مراسل الأمير" uban jakada قد يشير إلى قوى المستشار السياسي الرئيسي على تابعيه. في المقطوعة الثالثة، مصطلح "البطل العظيم" gangaho، عبارة عن كلمة بلا معنى المقصود منها بث الخوف في أذهان الخصوم، وتوضيح بروز القوة. (هذا المصطلح قد يشير أيضًا إلى رجل كبير، أو ريس، أو حاكم). يضاف إلى ذلك أن الإشارة إلى المستشار السياسي الرئيسي بصورة مستمرة باعتباره فيلا قبضايا Toron giwa المقصود منه أيضًا هو زرع الخوف في أذهان الخصوم. في المقطوعة السادسة، نجد أن الإشارة إلى تجوال المستشار السياسي الرئيسي (الغدو والرواح بسلام) تعني البركة. (قد يشير ذلك أيضًا إلى تجربة بعينها، مثل الذهاب إلى جوساو، ثم العودة أخيرًا إلى سكتو) التعبير "مدمر الأضرحة، أنت يا أبا بكر" له مضامين دينية، ومغزى سياسي محلي. الإشارة إلى المستشار السياسي الرئيسي باعتباره "ولد الحسن، المنتقم" يترك للمستمع افتراض ذلك الذي يجري الانتقام له، أو قد يكون ذلك إنذارًا عامًا للخصوم كي يعيدوا تفكيرهم، نظرًا لأن المستشار السياسي الرئيسي منتقم. الإشارة إلى

(١) الأصل الهوسوي موجود في الملحق ٢ – ٦.

القتال، أو التحدى، توضح شجاعة المستشار السياسى الرئيسى. فى المقطوعة الرابعة عشرة، يلاحظ الشاعر عادة المستشار السياسى الرئيسى فى تجاهله للنقد والاتهامات، والمضى قدمًا فى تنفيذ أهدافه.

القصيدة الثالثة التى ألفها ابن كيانا عنوانها "إنه يسير على طريق الحسن وإيرو" Shi Yai Yi Halin Hassan dairo (ملاحظة: الكلمة "إيرو" تصغير لكلمة "إبراهيم") [١].

(١) إنه يسير على طريق الحسن وإيرو / ولد عمر يستعد للمعارضة.

(٢) تكرار المقطوعة الأولى.

(٣) الطفل لا يعرف أنه طفل / إلى أن يذهب ويرى / لأنه لا يقوى على الوقوف إلى جانب ولد الحسن، جوهى Gohe. (كلمة "جوهى" هى المصطلح السُّكتى المستخدم للدلالة على"أحمد").

(٤) تكرار المقطوعة رقم ١.

(٥) سحابة Hadari تُضعِفُ أشعة الشمس / المستشار السياسى الرئيسى الذى يضعف أشعة كل إنسان؛ / كائنًا من يكون، سوف تتفوق عليه.

(٦) تكرار المقطوعة رقم ١.

(٧) ولد عمر استعد للمعارضة.

(٨) تكرار المقطوعة رقم ٨.

(٩) فى الماضى، عندما تقوم حرب / غير المؤمنين arna علموا بنجواماتسى / بعض الناس هم الذين فعلوا الحرب التى خاضها فى الماضى، عندما كانت تندلع الحروب / غير المؤمنين علموا بنجواماتسى / لم يذهب محارب إلى رباح بالحرب.

---

(١) الأصل اليوسوى موجود فى الملحق ٢ – ٦.

(١٠) تكرار المقطوعة رقم ١.

(١١) لولا مجىء الشيخ إلى سكتو / لتحتم علينا أكل الكلاب بدلاً من الخراف / نحن الآن متطهرين ونعرف الوضوء / ونعرف كيف نصلى صلاة صحيحة.

(١٢) تكرار المقطوعة رقم ١.

(١٣) لولا إنشاء الشيخ لسكتو، / لتحتم علينا أكل الكلاب بدلاً من الخراف. نحن الآن متطهرين ونعرف الوضوء / ونعرف كيف نصلى صلاة صحيحة.

(١٤) تكرار المقطوعة رقم ١[(١)].

فى هذه القصيدة يجرى تشبيه المستشار السياسى الرئيسى بالسلطان حسن، ومع والده "إيرو" (أى إبراهيم رئيس حى رباح). كما نجد استعداد المستشار السياسى الرئيسى للخصوم موضوعًا أساسيًا فى القصيدة كلها. هؤلاء الخصوم يجرى فى المقطوعة الثالثة تشبيههم بالأطفال؛ هذه المقطوعة الثالثة تشير إلى المستشار السياسى الرئيسى بالاسم "جوهى" Gohe، الذى هو عبارة عن اختصار محلى للاسم "أحمد". الإشارة إلى المستشار السياسى الرئيسى باعتباره سحابة تحمى من أشعة الشمس القوية يمكن أن يكون لها معنى خاص فى حرارة سكتو. فى المقطوعة التاسعة، نجد إشارة إلى عمر نجواماتسى، الذى كان واحدًا من مجاهدى القرن التاسع عشر/ كان محاربًا فى منطقة كنتاجورا Kontagora، هذه الإشارة هى علامة إيجابية، أو بالأحرى رمزا إيجابيا إلى الشجاعة فى السياق السُكتى Sokoto. الشاعر فى هذه القصيدة يشبه محاربى رباح (بما فيهم المستشار السياسى الرئيسى) بجسارة نجواماتسى. فى المقطوعة الحادية عشرة، نجد أن الإشارة إلى الشيخ عثمان توضح كيف أن هذا الرجل أنقذ الناس من أن يتحولوا إلى وثنيين، ودلهم على الطريق الصحيح. التوازى فى هذه القصيدة ينسحب أيضًا على المستشار السياسى الرئيسى.

---

(١) الأصل الهوسوى موجود فى الملحق ٢ – ٦.

شاعر سكتو الرابع المدعو جاربا Garba التندى الشنكافى، أصغر سناً من الشعراء الآخرين، ونراه يغنى فى عشية الاستقلال، فى قصيدته التى اختار لها عنوان "السير أحمد، حفيد الشيخ. ولد محمد" (أى محمد بللو) Sa Ahmadu Jikan Shehu dam Mamman[١]. القصيدة أقل حدة فى مواجهتها للخصوم (بمن فيهم السلطان أبو بكر)، وهى تُعنى أكثر بسمات المصالحة عند المستشار السياسى الرئيسى، إضافة إلى ميراثه لعباءة الزعامة من الشيخ (عثمان بن فودى)، ومن محمد بللو.

(١) السير أحمد، حفيد الشيخ، ولد محمد، / المكرم من أبى بكر.

(٢) السير أحمد حفيد الشيخ.

(٣) بللو، ولد محمد / المستشار السياسى الرئيسى المُعَالِج، / يكسب الرجال إليه؛ أسد، والد بشار الآبى.

(٤) تكرار المقطوعة الأولى.

(٥) السير أحمد هو الشيخ وبللو / أحمد هو الشيخ وبللو / نحن نؤمن أنك أبو بكر الرباحى والعتيق / كلما خطط الشيخ / أحمد موجود بالفعل فى ذلك / يقيم العلاقات ويرتب الزيجات / هو لا يردد النفاق / أجدادك طالبوا بذلك / وحولوا الوثنيين إلى الإسلام / أحمد ينادى / الكفرة، فى كل مكان يذهب إليه، تجده يعظ / المستشار السياسى الرئيسى لم يتخلى عنه.

(٦) تكرار المقطوعة رقم ١.

(٧) الطفل، يُقال، إنه لا يعرف النار / إلى أن يلمسها / النار يجب أن تكون صغيرة / الطفل عندما يلتقى نارًا كبيرة للشوى / يقول من بعيد، "أماه، دعينا نسلك طريقًا آخرًا / أُماه، إذا كان ذلك هو الطريق الذى ستسلكينه. / فدعينا نبقى إلى أن تخمد النار".

---

(١) الإذاعة النيجيرية، كادونا، المرجع السابق.

(٨) أحمد، حفيد الشيخ، ولد محمد، / بللو ولد محمد، / المستشار السياسى الرئيسى الشافى / قد الرجال، محمد، والد بشار من أبى بكر.

(٩) قلتُ، الحجر لا يمكن وضعه على رأس عادٍ / ولد حمزة الحظيظ جدًا / المستشار السياسى الرئيسى والد أبو Abu / أنت الضوء الذى يزيل الظلام / وأنت سعادتك زلق فى الخطوات كلها / يا أعظم أبناء بللو، مصيدة تمنع التنفس / نحن نحيى ولد الحسن / القتال الذى يدور مع العنيد.

(١٠) تكرار المقطوعة الأولى / تكرار المقطوعة الأولى.

(١١) ابن الشيخ، المطر الذى يشفى الجفاف / بناية الله التى لا تتزحزح / البَراد الذى يجعل الكبار يقتربون من النار / عندما سمعت المثل الذى يقول إن كل من يريد الدخول / ينبغى أن يدخل حتى يمكن أن يكون قريبًا. نحن فى المنزل / يا ولد الشيخ، الغابة الموجودة فى الخلف مغلقة / يجب أن تتوقف عن التشاور مع أهل الشرق / الذى تريد عمله معهم، يجب أن تعمله / أحمد، حتى فى أيام الحروب / السير أحمد، حتى فى أثناء الحرب / لا أحد استطاع أن يهزم جدك.

(١٢) السير أحمد، حفيد الشيخ، ولد محمد / بللو، ولد محمد / المستشار السياسى الرئيسى الشافى / دعوته أسدًا، والد بشار، من أبى بكر. (تكرار المقطوعة).

(١٣) جبهة القطار التى يصعب مواجهتها، / قلت سحابة، شافيًا، / كل من سمع تحذيرها يجب أن يعود إلى المنزل / العظيم، ولد زارتو مجاجارى Magagari، أولادى / لقد رأيت ذلك الذى يمكن عمله، انتبه / بللو، ذلك الذى قدره الله، من ذا الذى يستطيع تغييره / إلا المتحكم فى السماء والأرض / قضايا الله ليس فيها استئناف / نشكر الله؛ تحول إلى التعلم.

(١٤) تكرار المقطوعة الأولى.

(١٥) يا أولادى، أنا أحيى بللو، ولد إبراهيم / أنا أحيى بللو، ولد إبراهيم / حفيد أبى بكر الرباحى / سفينة مستعملة لعبور النهر / ما يريده الله، أنت تريده / لقد تمنع بهذا العالم / لأنك أعددت (العسل) / من ذا الذى يلمسك بدون موافقتك / هل هناك ما هو أحرُّ من سلة من الفـلفل / وأكثر حرارة من الشجرة الحارة نفسها / ذلك الذى سيلمسك سوف يعد مشروبات أحر بمعدل خمسة أضعاف.

(١٦) تكرار المقطوعة الأولى.

(١٧) بللو، ولد محمد، / المستشار السياسى الرئيسى، والد آبو / أسميته أسدًا، ولد بشير من أبى بكر. (تكرار المقطوعة).

(١٨) السير أحمد، حفيد الشيخ، ولد محمد، / مُكرِّم أبا بكر[١].

هناك نوع من التوحد بين المستشار السياسى الرئيسى وكل من الشيخ (عثمان بن فودى) ومحمد بللو، وإشارة إلى أن المستشار السياسى الرئيسى يعد شريفًا ومكرمًا من السلطان أبى بكر. الإشارات الواردة عن المستشار السياسى الرئيسى باعتباره شافيًا لا تعنى المدلول الحرفى لهذه الكلمة، وإنما هى تعنى الشفاء من الفقر، والجهل، والجوع، التى هى بمثابة الأمراض التى يعتقد الشاعر أن المستشار السياسى الرئيسى يعالجها. (كلمة maganin تتضمن القوة والسحر). ("باشار" فى المقطوعة الثالثة قد تعنى ومبان دورا Wamban Daura، نظرًا لأن المستشار السياسى الرئيسى كان يعد "والدًا له") الصور الذهنية التى فى المقطوعة الخامسة، والخاصة بقيام المستشار السياسى الرئيسى بترتيب الزيجات، هى من الأشياء التى ينتظر أن يقوم بها الحكام التقليديون. الشاعر يذكر المستشار السياسى الرئيسى أن أسلافه حولوا الوثنيين إلى الإسلام. فى المقطوعة السابعة، يستعمل الشاعر مثلاً ليميز به بين شخصية المستشار السياسى الرئيسى وشخصيات

---

(١) النص الهوسوى موجود فى الملحق ٢ – ٨.

خصومة. (التعبير "حرارة النار" يدل على أن الخصوم لا يتحملون الوقوف فى وجه المستشار السياسى الرئيسى) المقطوعة التاسعة مليئة بالثناء والغزل، وفيها صورة حجر ثقيل لا يمكن التعامل معه إذا ما حُمل بطريقة خاطئة. فى المقطوعة الحادية عشر، الصورة للمستشار السياسى الرئيسى باعتباره مطرًا يزيل الجفاف. الإشارة إلى "فقيه الله"، توحى بأن الاحتكام إلى الله فيما يتعلق بالصواب والخطأ. الشاعر يحض المستشار السياسى الرئيسى على عمل كل ما هو ضرورى لأهل الإقليم الشرقى، والسبب فى ذلك أن أحدًا لم يستطع إنزال الهزيمة بجد المستشار فى الحرب. فى المقطوعة رقم ثلاثة عشر يستعمل الشاعر صورة جبهة القطار والسحابة (أى فى شهر أغسطس، أثناء الموسم المطير حيث يكثر السحاب المنخفض)، ويشير الشاعر أيضًا إلى عدالة قضية المستشار السياسى الرئيسى مع الله. فى المقطوعة الخامسة عشر، تستخدم صورة السفينة القائمة بعملية العبور. أحمد بوسعه التمتع بالدنيا، نظرًا لأنه عاون على إعداد ظروف أفضل. الشاعر يحض المستشار السياسى الرئيسى على التعامل بلا رحمة مع أولئك الذين لا يحترمونه. هؤلاء الخصوم غير المنظمين سوف يجدون المستشار السياسى الرئيسى أشد حرارة من الشجرة الحارة نفسها.

القصيدة زاخرة بالصور الثرية. هذه القصيدة من النوع التوفيقى فى الإطار السُكتى Sokoto، ولكنها قاسية وهجومية على "الأعداء الخارجيين". موروث الشيخ هو ومحمد بللو هو عبادة الزعامة، والمرشد إلى العمل.

٤- صور الشمال الذهنية عن الزعامة:

يغلب على التصوير فى الشعر السُكُتِى أن يدور حول الدور الرئيسى الذى يلعبه زعماء الجهاد، الذين ينحدر منهم المستشار السياسى الرئيسى. هذا يعنى أن صفات أولئك الزعماء تنتقل إلى ذلك الرجل. ومع ذلك، إذا كانت خلافة سكتو أيام

الشيخ عثمان تضم ثمانية مقاطعات من بين الاثنتى عشرة مقاطعة التى يشتمل عليها الإقليم الشمالى، فإن مقاطعة برنو وثلاث مقاطعات من الحزام الأوسط لم يجر إدخالها ضمن الخلافة، كما أن تصوير الجهاد يغلب عليه إثارة الذكريات الخاطئة. هناك، فى المجتمع الشمالى الناطق بلغة الهوسا، نجد مجموعة من الصور الذهنية عن المستشار السياسى الرئيسى، والتى تشير إلى خصائص الرجل وصفاته فى ضوء الصور الإنسانية أو الطبيعية، وذلك بدلاً من الصور الذهنية الدينية أو السلفية. ويصعب علينا تحديد نتائج أصول هذه الصور الذهنية. المؤكد أن هذه الصور الذهنية شاعت مع مطلع الاستقلال، وهناك بعض الدلائل على أن الأسماء المستعارة أو الرموز تطورت فى أواخر خمسينيات القرن العشرين، وذلك عندما بدأ تدعيم سلطة المستشار السياسى الرئيسى، إذ نجد الرجل يبرز على أنه الزعيم الشمالى، كما يتوحد الرجل فى الثقافة الشعبية مع كثير من فضائل الشمال وصفات الشمال.

الاسم المستعار الأكثر شيوعًا، والذى يطلقه الناس على المستشار السياسى الرئيسى هو "الطفل كريم المولد والمحتد". وهو ما يقوله القوم بلغتهم Gamji dam kwarai. هذا يسمح بالإشارة إلى سلالته وأسلافه، دون تهجى هذا الاسم. الكلمة Gamji تشير إلى شجرة شبيهة ببعض الأشجار التى تنمو فى الشمال وبخاصة المناطق الريفية، هذه الشجرة بهية الطلعة وتقاوم الأنواء المناخية كلها. (من الناحية الفنية الشجرة Gamji هى شجرة Gutta التى تنمو فى النيجر) الناس يأوون إلى ظل الشجرة Gamji حماية لهم من عناصر الطبيعة. المثل الهوسوى الذى يرتبط بالمستشار السياسى الرئيسى هو " الطفل كريم المحتد والمولد / من ذا الذى يريد طفلاً من هذا القبيل / ينبغى عليه أن يتزوج من امرأة ممتازة. " هذا المثل بلغة القوم هو : Gamji dan kwarai. Maso dan kwarai. ya aure matar kwarai (الإشارة إلى "الطفل كريم المحتد والمولد" هو تعبير من التعبيرات السائدة فى سكتو) وهذه العبارة تعنى الميراث والسلطة، ولكن بطريقة شعبية وليست دينية.

دخول أحمد بللو ضمن الموروث الفلكلورى الهوسوى هو فى بعض أجزائه نتيجة من النتائج التى تمثلت فى العبارات التى جاء بها الشعراء والمغنون، تلك العبارات التى تشيع على أنها أسماء مستعارة، وعادة ما توضح صفة من صفات الزعامة. فكرة "الزعامة" ترتبط بفكرة القبضاى bajimi. فكرة القوة يجرى التعبير عنها عن طريق التوحد بين المستشار السياسى الرئيسى "والفيل" giwa "أو بالأحرى الفيل القبضاى" toron giwa، أو ابن الفيل dan giwa. تصميم الرجل على تحقيق أهدافه يشار إليه فى بعض الأحيان على أنه قطار Jirgi يمضى قدمًا ويدوس كل الصعوبات. دور الرجل كمعالج لأمراض المجتمع كلها mai magani، ودوره أيضًا كضوء Fitila يهدى الناس على الطريق يرد من خلال الشعر وعلى شكل تعبيرات شعبية. العلاجات "غير العادية" التى يأتى بها الرجل ترتبط فى لغة الهوسا "بالأشولة" lefthandedness، التى يقولون لها bahago بلغة القوم؛ وهم فى بعض الأحيان يصفون الرجل أو يسمونه بالسفينة "الشولاء" أو القطار "الأشول".

"كرم" المستشار السياسى الرئيسى يكسبه كنية "صاحب الإحسان" Mai Kyauta. وصاحب الإحسان هذا هو المحسن أو الكريم الذى يوزع ممتلكاته ومقتنياته على الناس من باب الإحسان. وهو يفعل أشياء لحماية الناس (مثل العطايا)، عندما يكونون فى وضع صعب (مادى أو غير مادى). قصص توزيع المستشار السياسى الرئيسى لملابسه على الناس مسائل خرافية. فالرجل عندما تصله عطايا على شكل ملابس من الأمراء ومن الأشخاص الآخرين أثناء قيامه بالرحلات، فإنه يقوم على الفور بتوزيع هذه الملابس على العاملين معه أو على الآخرين الذين تربطهم به صلة أو علاقة، ولا يحتفظ لنفسه بأى شىء منها. فى حدود أعراف الشمال، فى ذلك الوقت، نجد الرجل يلبس ملابس بسيطة، خالية من الزينة linzami اللهم باستثناء المناسبات الاحتفائية. هذا الكرم الأسطورى يزيد من شعبية الرجل. الناس يأتون للقائه عندما يكون فى جولة من الجولات، لا لأن الرجل يعد شخصية محورية، وإنما لأن "كرم" هذا الرجل يعنى أنه يمكن أن يساعد قريتهم أو بلدهم من خلال مشروع من مشروعات التنمية. (هناك دومًا نوع من التوحد الشخصى بين مزايا التنمية فى الشمال والمستشار السياسى الرئيسى).

فيما يتصل بالصورة الذهنية الشخصية، نرى أن المظهر البدنى القوى للمستشار السياسى الرئيسى يدعم صورة الرجل الذهنية باعتباره فيلاً قبضايا، أو قبضايا زعاميا، صاحب طاقة كبيرة وقوى كبيرة أيضا. لحية الرجل المشذبة تكسبه كنية "صاحب السوالف الجانبية الذى هو محارب فى الأساس" mai sajen fama. والناس ينعتونه أيضا "الجدار الصلب المبنى من الحجر".

المستشار السياسى الرئيسى له كنية أخرى "أبو التعليم الغربى" uban book، وهناك عدد كبير من المغنين المدّاحين يحولون هذه الاستعارة إلى أغانيهم. توحد هذا الرجل مع عملية التغيير ومع الأساليب الغربية فى الثقافة الشعبية يجب عدم التقليل من شأنه. يرى بعض الناس أن المستشار السياسى الرئيسى تابعا للأوربيين Turawa بصورة أو بأخرى.

وإذا كان الكثير من هذه الكنى عبارة عن شكل من أشكال "التملق"، فإنها (الكنى) تدخل فى نطاق الكنى المبالغ فيها فى المجال الثقافى، والتى غالبا ما تندرج ضمن نطاق العلاقات النكاتية أو الفكاهية، التى تعد أمرا ضروريا فى إطار المجتمع الشمالى الأوسع. بعض رفاق المستشار السياسى الرئيسى المقربين يحددون الكنى الفكاهية للمستشار السياسى الرئيسى، وهذه الكنى ليس فيها أى شىء من التملق، ولكنها تركز على صفة "مشوبة بالخطأ"، والتى منها مزاج الرجل على سبيل المثال. من هنا نجد الرجل يكتسب صورة حية الكوبرا الذهنية gamsheka حين ترفع طرطورها استعداد للضرب، أو الصورة الذهنية لصرصار الغيط الذى يغنى babe.

هؤلاء الرفاق الذين يندرجون ضمن مجموعة أحمد بللو السنية يحاولون إحداث نوع من التوازن مع تملق الجمهور. هذا هو محمد ريبادو لا يرحم المستشار السياسى الرئيسى، ولا يطيق المبالغة أو الثناء؛ لأن هذه الأمور يمكن أن تفضى إلى إحساس زائف بالأمن. هناك قصة مفادها أنه فى إحدى المناسبات كان المستشار السياسى الرئيسى ومحمد ريبادو وآخرون، يتجولون فى منطقة ريفية وتوقفوا لنيل قسط من الراحة. وجاءت بعض الأغنام وراحت تدور حول المستشار

السياسى الرئيسى. علق أحد أفراد الحاشية بقوله إن الغنم عبدت المستشار السياسى الرئيسى. وهنا غضب محمد ريبادو وقال إن تلك الملاحظة كانت غبية ووصلت إلى حد الكفر. يقول محمد ريبادو، "فى أدماوا، نحن نعرف الأغنام. هذه الأغنام فيها غريزة القطيع. وهى عندما تدور فذلك يعنى أنها تود الذهاب إلى المرعى أو إلى النهر". ميل محمد ريبادو إلى التواضع وكراهيته للمبالغة لهما تأثير كبير على توازن المستشار السياسى الرئيسى.

بعض الوزراء الشبان، من أمثال ميتاما سول Maitama Sule، لديهم بعض العلاقات النكاتية أو الفكاهية مع المستشار السياسى الرئيسى، وهذه العلاقات تتيح لهم فرصة حرية الكلام. فى مثل هذا الحال، نجد المستشار السياسى الرئيسى يسىء إلى ميتاما ويلعنه بالفكرة التى مفادها أن والده كان خادمًا للمستشار السياسى الرئيسى zagi. ونجد ميتاما بدوره، عندما كان مخيمًا مع المستشار السياسى الرئيسى فى آدماوا، يشير إلى امرأة قروية عجوز فى الغابة، ثم يقول للمستشار السياسى الرئيسى: "تلك هى خالتك، أخت أمك"[1]. من هنا نجد أنه إذا كان شعراء سكتو يؤكدون على السلالة النسبية من ناحية كل من الشيخ (عثمان بن فودى) ومحمد بللو، فإن بعض زملاء المستشار السياسى الرئيسى السياسيين فى الشمال يعرفون أن أمه كانت محظية من أصول وضيعة جدًا، ولذلك فهم يستعملون هذه "الطرفة" للنيل من بعض صور الثناء الذهنية المترتبة على سلطة هذا الرجل.

هذا التركيز على الرابطة التى بين الشيخ (عثمان بن فودى) ومحمد بللو فى إطار الثقافة الشعبية يسفر عن ضغوط متزايدة على المستشار السياسى الرئيسى كى يتجاوب مع ذلك الحصن الدينى، وأن ينتهج دورًا زعاميًا دينيًا مباشرًا. أواخر خمسينيات القرن العشرين هى الفترة التى تبدأ فيها القوة الاستعمارية فى إسكات السلطة الدينية وإعادة تقييمها بعد "الحصول على الاستقلال". ونجد أيضًا أن الزيارات التى قام بها المستشار السياسى الرئيسى إلى المملكة العربية السعودية

---

(١) مقابلة شخصية مع ميتاما سول، بتاريخ ٨ أغسطس من عام ١٩٨٤، كنو.

لأداء فريضة الحج، تؤكد هذا المعنى من معانى الاحترام وثيق الصلة بالتراث الدينى. وفى إطار المجتمع "الشمالى" الناهض نجد أن السلطة الدينية سيف ذو حدين ويمكن أن تؤدى إلى تقسيم الشمال بدلاً من توحيده. كما تتجلى لها أيضًا أهمية بعض السياقات التى يجرى من خلالها الاستفادة من بعض رموز الزعامة وصورها الذهنية. ومن الأهمية بمكان أيضًا أن نلاحظ المدى الذى وصلت إليه تحديات الزعامة، والتى كانت تنهال عليها من أفق "سياسى" صريح، ومن منطلق أن هذا الأفق متميز عن الأفق السياسى – الدينى. وبينما كان الموضوع الرئيسى فى خمسينيات القرن العشرين يتمثل فى اكتساب المستشار السياسى الرئيسى للسلطة والقوة السياسية داخل الأطر الشمالية (والوطنية)، كان هناك موضوع فرعى آخر، آخذ فى تحدى زعامة المستشار السياسى الرئيسى من منطلق أسباب أساء هو تفسيرها فى الموروث الجهادى نفسه. هذا التحدى لم يكن آتيًا من برنو. (وعلى الرغم من أن إبراهيم إمام كان فقيهًا فى الإسلام، لم يشترك فى إعادة تفسير الموروث الجهادى لأنه لم يكن جزءًا من ذلك الموروث) التحدى سيأتى من كنو، التى بدأ فيها أمين كانو بإرساء الجذور الفكرية اللازمة لإعادة تفسير موروث الجهاد تفسيرًا راديكاليًا. وإذا كان شعراء سكتو يتغنون بالمستشار السياسى الرئيسى بوصفه "ملكًا" sarki، فإن أمين كانو يعترض على ذلك من منطلق أنه ليس هناك "ملوك" فى موروث الجهاد، وأن البنية الكاملة للسلطة فى مقاطعات الإمارات (والتى تصبح أساسًا لهياكل السلطة كلها فى المقاطعات الأخرى) إنما هى الفساد بعينه، وأن ذلك راجع إلى حد كبير، إلى التعدى الاستعمارى، الذى استطاع عن طريق "حكمه غير المباشر"، إنشاء "السلطات المحلية" التى أصبحت – من وجهة نظره – عدوانية "وغير إسلامية". خلاصة القول، واستنادًا إلى ما يقوله أمين كانو، أن سعى المستشار السياسى الرئيسى إلى الزعامة فى منظومة سكتو الإماراتية، يعد سعيًا زائفًا، والسبب فى ذلك أن منظومة "الأمراء والرؤساء" بكاملها، متأصلة فى الثقافة وليس فى الدين.

٥ـ تحدى أمين كانو للوضع الراهن:

منظومة السلطة المحلية عنصر مهم فى سياسة "الجبهة الموحدة" التى ينتهجها المستشار السياسى الرئيسى فى الإقليم الشمالى. والقسم الأكبر من انتقاد أمين كانوا لهذه المنظومة، باعتبارها شيئًا مختلفًا عن تكتيكاته (خططه) وعن الأنشطة التنظيمية الحزبية، هذا القسم ما يزال بحاجة إلى المزيد من البحث والدرس. وقد توفرت لهذه الدراسات نسخ من الوثائق المهمة؛ فقد وضع أمين كانو أمام المؤلف هذه الوثائق فى ستينيات القرن العشرين. وقد أعدنا طباعة بعض أقسام هذه الوثيقة الرئيسية، التى جرى نشرها[١]، نظرًا لأن هذه الأقسام توضح عملية إعادة تعريف وإعادة تفسير موروث الجهاد فى الإقليم الشمالى. هذه الوثيقة صدرت تحت عنوان "المستغلون – الاستعماريون" Yan Tande. المصطلح Tande معناه الحرفى "يقشط"، أو يأخذ شيئًا حلو المذاق على وجه السرعة. هذه الوثيقة جرى تحريرها فى عام ١٩٤٣، عندما كان أمين كانو يدرس فى باوتشى، وبالتالى نجد الرجل يستعمل الأفكار والاستعارات أساسًا لخطبه التى ألقاها فى فترة ما قبل الاستقلال[٢]. هذه الوثيقة التى نشرت بلغة الهوسا، تستعمل استعارة الأسرة فى وصف الأنماط السلطوية بين الأمراء وعامة الناس طوال الفترة الاستعمارية. وثيقة "المستغلون – الاستعماريون" لا تدين منصب الأمير وإنما تدين فساد ذلك المنصب. والمخطوطة جرى تلخيصها فى هذه الدراسة؛ وقد آثرنا تقديم الأقسام الرئيسية من هذه الوثيقة حتى لا يجرى تشويه الخط المنطقى العام لهذه الوثيقة. أمين كانو فى الجزء الافتتاحى من هذه الوثيقة يصرح أن الاستعماريين قد مارسوا وتمادوا فى ثلاثة أنماط من الخداع الذى مارسوه فى شمالى نيجيريا.

---

(١) راجع كتاب جون بادن المعنون: الدين والثقافة السياسية فى كنو، مطبعة جامعة كاليفورنيا عام ١٩٧٣ ص ١٧٨ – ١٩٨٢.

(٢) مقابلة شخصية مع أمين كانو، فى اليوم السابع من شهر مارس، من عام ١٩٧٠، لندن.

الخديعة الأولى: هل تصدقون أن الأوروبيين جاءوا إلينا فجأة؟ هذا مستحيل. لقد تخفى الأوروبى فى بداية الأمر وراء ستار، وراح يراقبنا ويلاحظنا، راح يتمعن فى نقاط ضعفنا ونقاط قوتنا، وراح يبحث عن طريقة تجعلنا لا نمشى إلا حبوًا على أربع أو ننـــحف على بطوننا. هذا الأوروبـــى بدأ يقول لنا بعد أن أطـــاح بنا: "سلام عليكم". كل من يعيشون هنا (فى الشمال) ستلقون على الأرض. لقد انتبه الأوروبيون إلى تقسيمنا. وبعد أن هزمونا ما الذى فعلوه بنا غير الشر mugunta؟ (شر لا يمكن أن ننساه مطلقًا!)... الله وحده هو القادر على إنقاذنا. دعونى أوضح هذه الخديعة.

دعونا نتخيل أننا جئنا إلى هنا واكتشفنا أن هناك أبًا وله عشرة أطفال، أو بالأحرى أبناء، وأن كل واحد من هؤلاء الأبناء له بيته الخاص وزوجاته وأطفاله. وأن كل هؤلاء لا يفعلون أى شىء إلا بعد المشاورة والتشاور مع والدهم. وإذا ما قام أجنبى Bare بالهجوم على واحد منهم، وبخاصة الأب، فإنهم جميعا سيهبون للدفاع عن هذا الأب أو العضو من أفراد هذه الأسرة. خلاصة القول أن هؤلاء الناس كلهم كانوا يعيشون جوًا من الرفاه Zaman arziki. هذا يعنى أن مثل هؤلاء الناس يمكن أن يقوموا فى يوم بعينه فى شهر بعينه بالذهاب لزيارة الوالد وتحية بعضهم البعض الآخر، وتجديد قرابتهم Zumunta. لا أحد من هؤلاء الناس يحيد عن تعليمات الأب. وبفرض أن الأب مات فى يوم من الأيام. فإنهم فى مثل هذا الظرف يقررون أن يقوم أكبرهم سنا، أو واحد منهم على أقل تقدير، والذى يتوسمون فيه صفات الرجل الحكيم dattigo، يتعين عليه دخول منزل الوالد والإقامة فيه، وبالتالى يدين الباقون له بالولاء والطاعة su bi shi كما لو أن شيئًا لم يحدث. ولنفرض أنهم بدءوا يختلفون فيما بينهم فى يوم من الأيام. وأصر كل واحد منهم على الذهاب لحال سبيله. ويبدأ كبيرهم فى الكشف عن صفات لا يجدر أن يتحلى بها أحد من الحكماء. ويبدأ الأبناء الصغار فى المعاناة. فيما قبل، كان كل واحد من هؤلاء الأبناء، عندما يذهب إلى بيت عمه Kawu، يحس وكأنه فى منزله. لكن الآن، وحتى عندما يسىء الأب معاملة مثل هذا الابن فإنه لا يجد من يلجأ إليه

طلبًا للإنصاف[١]. هذا يعنى أن كل إنسان بدأ يعامل أبناءه بالطريقة التى يحبها هو. هذا يعنى أنهم (أى الآباء) لم يبدءوا تبادل اللكمات والضربات فيما بينهم لكنهم بدءوا يقولون أشياء من قبيل "أنت تكذب" أو "لا يصح لك أن تفعل ذلك".

فى هذا الوقت نفسه، نجد الأوروبيين يلاحظون ذلك كله دون أن يقولوا كلمة واحدة. هذا يعنى أن الأوروبيين يدركون أنهم هم الأقوى، إذ إن لديهم المزيد من البشر ومعدات أفضل Kayan aibi. وهم يعلمون أن الناس ليسوا مُتحِدين gama kai.

ذات يوم أمسك الأوروبيون بواحد من أبنائنا وأوسعوه ضربًا. وسقط الصبى مغشيًا عليه. فى ذات الوقت، وقف إخوان الصبى يطيلون النظر إليه، ويقولون هذا هو جزاؤه، إنه يستحق ذلك الذى جرى له. ولكن هناك بعض آخر من الأبناء يعدون أنفسهم تحسبًا لحدوث ذلك. فى ذات الوقت، يقول الاستعماريون الأوروبيون أنهم ضربوا الصبى الأول، وأنهم سوف يضربون الجميع لأن أساليبهم شريرة. وقبل أن يحركوا رموشهم، كان الاستعماريون قد هزموهم جميعًا. حسن، وهنا! جمع الأوروبيون الأبناء ذات يوم لكى يصلحوا zumunci بينهم. كان أول ما قاله الاستعماريون: "فليعش الجميع بلا قتال؛ لا أحد معنى بأى أحد آخر؛ كل واحد منكم مستقل استقلالا ذاتيًا gudan Kansa فى حياته الخاصة. لا أحد منكم لديه الحق فى السلطة على السيطرة على أى إنسان آخر. فليذهب كل واحد منكم ويعيش فى سلام مع أسرته. أنتم، أيها الكبار، يا من يعيشون حاليًا فى مكان والدكم، ليس لكم سلطة على أى إنسان، باستثناء أسركم الخاصة بكم. ليس من حقكم أن تقولوا أى شىء لمن هم أصغر منكم. عيشوا فى قرابة. فى سلام". الواقع أن الاستعماريين ممتازون فى المصالحة! حسن، أيها الإخوة jama"a، هذا هو حال بلدكم. وهذا هو ما فعله الأوروبى ببلدكم. سكتو هى الشقيق الأكبر. بقية المقاطعات هى الإخوان الصغار.

---

(١) المغزى هنا يتمثل فى أنك لا يمكن أن تشكو والدك لجدك إذا ما أرتكب الوالد خطأ. هذا يعنى عدم وجود طرق مشروعة للاحتجاج، ومع ذلك، ماذا يمكن أن يحدث لو أن الجد نفسه تصرف تصرفًا خاطئًا أو وافته المنية.

السبب وراء انغماس الأوروبى فى هذا التقسيم عن طريق النفاق ورفضه إحداث أى نوع من المصالحة بين المقاطعات بعضها البعض، أو إحداث نوع من التصالح بين المقاطعات وسكتو، هو أن الأوروبى لا يود الوحدة لهذه المقاطعات. لم يكن الأوروبى يود لنا أو يرغب فى أن نتعلم نحن ذلك الذى كان يعلمنا إياه، والسبب فى ذلك أن هذا الدرس كان قد بدأه الأوروبى مع آبائنا. لو كنا قد تعلمنا لما دام استغلال الأوروبى لنا فترة طويلة، لأن هذا الاستغلال هو الذى أتى بذلك الأوروبى إلى هنا، إلى بلادنا. أنتم ترون فى أيامنا هذه الأراضى وهى تتناقص، والتى تصل إلى أحجام تكاد لا تذكر، ومع ذلك نجد فيها أيضًا سلطة مدنية. أمير هذه السلطة المدنية يزعم أنه ليس له كبير، أو بالأحرى من هو أكبر منه، وأن وجوده الذى هو عليه إنما هو حق من حقوقه. فى الأيام السابقة، كان بوسعنا أن نثبت لذلك الأمير أن سلطان سكتو هو كبيره، أو بالأحرى رئيسه بشتى الطرق. فى أيامنا هذه، ليس للأمير الصغير رئيس. خبّرنى أين تجد بعضًا من الناس يحققون أمرًا يستحق التحقيق عندما يكون كل واحد من هؤلاء الناس واعيًا ومشددًا على استقلاله الذاتى؟ لعنة الله على كل ما أوصلنا إلى هذا الحال. هذا هو السبب الذى يولد الثورة فى نفوس شباب هذه البلاد.

الخديعة الثانية: لقد استمعتم إلى الخديعة الأولى التى لعبوها علينا، والتى يمكن تشبيهها بسلب العكاكيز من العميان، ثم نطلب منهم بعد ذلك العودة إلى منازلهم دون أن يضلوا الطريق أو السقوط فى حفرة من الحفر، أو حتى السؤال عن الطريق. ما الذى يمكن أن يفعله أولئك العميان غير الحبو على الطريق، وهم يتحسسون طريقهم، أو يمشون على أقدامهم ويتعثرون فى الحفر. هذا هو حالنا اليوم.

دعونا نتدبر الخديعة الثانية. أنتم تعرفون هذه الخديعة الثانية بكل تأكيد. ألا تعون الحقيقة التى مفادها أن حبنا للأمراء فى الأيام الخوالى كان أكبر بكثير مما هو عليه الآن؟ هل تعرفون الأسباب التى تجعلنا لا نهتم كثير بالأمراء فى أيامنا هذه؟ هيا، تعالوا إلىَّ حتى أقول لكم أسباب ذلك. دعونا نعود مرة ثانية إلى

الاستعارة التى تحدثنا عنها فى الخديعة الأولى. بعد أن قال المستعمرون للأبناء ذلك الذى يمكن أن يفعلونه، عاد كل ابن من هؤلاء الأبناء إلى بيته وهو يتعجب إن كان المستعمرون يتآمرون عليه. فى المنزل يتوجه الطفل إلى والده ليقول له: "يا والدى، ها أنذا هنا، فاقبلنى. هيا بنا نضع رأسينا إلى بعض. وبعونك، وبعون الله لن يحدث لنا أى شيء من ذلك الرجل (المستعمر). أنت كبير العائلة، وأنت الذى تعرف ذلك الذى يجب أن نعمله. ادفعنا إلى فعل ذلك الذى هو فى مصلحتنا".

ويتضح فجأة أن أباء هؤلاء الأطفال تحزبوا مع المستعمرين الذين يخشاهم هؤلاء الأبناء. هذا هو حالكم! والذى لا شك فيه هو أن صديق عدوكم هو عدو لكم. صديق ذلك الذى تخشونه وتخافونه هو نفسه مصدر تخويف لكم. من هنا، تراجع الأبناء، ورفضوا الانصياع لذلك الذى قاله لهم آباؤهم. دعونى أختصر الأمر أمامكم. الخوف، والشك، وعدم الاحترام، كل ذلك بدأ يشيع بين الأبناء والآباء. ساءت الأحوال، إلى الحد الذى جعل الآباء يلومون الأبناء، ويتهمونهم بانعدام النزاهة وعفة اليد واللسان. هذا هو الوضع السائد حاليًا بيننا وبين المسيحيين (النصارى) وبين الأمراء[1]. كل واحد من التقدميين dan zamani، فى أيامنا هذه، يكره ويمقت ذلك الذى يجعله على صلة أو اتصال بالأمراء، اللهم إلا إذا كان قد باع كل شيء وراح يلعق الأحذية بغية الحصول على نصيب من الغنيمة.

فى الماضى، واستنادًا إلى الموروث الإدارى فى هذا البلد، كان الأمير هو الزعيم فى كل الأحوال، بما فى ذلك أمور الدين addini. كان الأمير مخولاً سلطة التدخل فى كل ما هو دينى. هذا يعنى، أنه إذا ما تزوج رجل نساء أكثر من طاقته، فإن الأمير يصبح من حقه التدخل فى مثل هذا الحال، بحكم أن الأمير هو آمر المؤمنين. وأنا أتحداكم اليوم إن تقنعونى باهتمام الأمراء بهذه الأمور فى أيامنا هذه. على أى حال، كيف يمكن للرجل أن يتدخل فى الوقت الذى أُرسى فيه مبدأ أن الإنسان لا سلطة له على أى إنسان آخر؟ وأنتم كيف ستحترمون هذا الأمير عندما

---

(١) مصطلح "النصارى" فى هذا السياق يعنى "الأوروبيين" ولا يعنى "المسيحيين" بالمعنى الدينى.

تعرفون أنه لا سلطان له عليكم؟ واقع الأمر، أننا نصاب بالدهشة إذا ما أحارنا سلوكنا؟ هل سمعتم عن شعب توحدوا دون أن يكون لهم زعيم؟ كيف يتهموننا بالفشل فى تحقيق التقدم، أو بالفشل فى التوحد، فى الوقت الذى يجرى فيه قطع رؤسنا من فوق رقابنا؟

نحن حاليًا ليست بيننا وبين الأمراء علاقات طيبة. وإلى يومنا هذا، وفيما يختص بالأمراء، نجد أن الأوروبيين هم وحدهم الذين يهمون الأمراء. معنى ذلك أن الأمراء يتطلعون إلى الأوروبى، لأنه هو الذى يسهل عليهم الأمور، لأن الأوروبى هو الذى وضعهم فى أماكنهم، بغض النظر عن موافقتنا أو عدم موافقتنا. وعليه فإن الأمراء لا يعنيهم أى إنسان ولا يهمهم ذلك الذى يمكن أن يحدث لأى واحد منا، طالما أنهم ينفذون أوامر الأوروبى. هذا الأوروبى يؤمن أنه طالما أنه ليس هناك من يصرخ أو يستغيث، فذلك يعنى أن أحدًا لا يعانى أو يتألم. الأوروبى لا يعرف أن الهوسوى لا يشكو ضعف حيلته لربه إلا عندما يكون وحيدًا فى بيته. وإذا ما نحينا الأوروبى جانبًا، نجد أن الأمير لا يعنيه أى إنسان آخر سوى أبنائه هو وفقره هو. هذا يعنى أن الأمير إذا ما عرف أن أبناء يعملون، أو يحكمون، وإذا ما عرف أن شخصًا من الذين يهواهم هو الذى سيخلفه، فإنه يتوجه بشكره إلى ربه. هل يعانى الـــناس أم لا؟ من ذا الذى يهتم؟ ســـيرد علينا بأنهم يعانــــون لأنه لا يحترم غير الأقارب بمحض إرادته bare وإنما بدافع من الضرورة.

الخديعة الثالثة: أيها الأصدقاء الأعزاء، هل توقفتم للحظة واحدة وأعملتم فكركم فيما لو كان هناك خطأ أم لا فى منظومة الأمراء الحالية؟ لنكن واقعيين، ما هو عمل الأمير؟ هل تعلمون أن كلمة "الأمير" لا تعنى فقط "الرئيس" وإنما تعنى أيضًا "أمير المؤمنين"، وهو ما يعنى أن أمير كل منطقة من المناطق هو أيضًا إمام الناس فى تلك المنطقة؟ والشيخ (عثمان بن فودى) عندما أعطى بيرقًا لكل من هم من أمثال سليمان، ويعقوب، وعمر دلاّجى ليذهبوا ويغزو أراضى كل من كنو، وباوتشى، وكاتسنا، كان يعنى أن هؤلاء الناس سيكونون، بعد الفتح، زعماء للدين shugabannin addini فى تلك المناطق. ذلك هو ما حدث. لا أحد منهم يجرؤ على

القول بأنه إمام فى الوقت الذى يفتقر فيه إلى المعرفة اللازمة لهذه الإمامة؛ هذا يعنى أن الشخص الجاهل لا يمكن أن يكون رئيسًا chief (أميرًا) طبقًا للدستور الإسلامى. من هنا، فإن الرئيس الحقيقى هو الذى تكون لديه المعرفة، وهو الشخص الذى يفعل ذلك الذى يأمره الدين به لصالح أهله وناسه. ولكن إذا ما اتضح أن ولد مثل هذا الرئيس لا يتمتع بنعمة المعرفة الإسلامية ilmin Muhammadiyya، فذلك يحتم على مثل هذا الرجل التراجع عندما يحين موعد الولاية. إذا كان هناك أى أحد يستطيع أن يقتبس عن القرآن (الكريم) أو الحديث (الشريف) ما يدل على أن الشخص الجاهل يتولى حكم المسلمين، فستكون له آذان صاغية؛ دعونا نستمع إلى هذا الشخص إن كان موجودًا بيننا. أيها الناس، أليس ما يحدث درسًا كافيًا لنا فيما يختص بتولى حكم المسلمين gadon sarautar Musulmi وأننا قد أهملنا القواعد الخاصة بذلك؟

دعونا نعود مرة ثانية إلى موضوع الأمراء. فى ضوء ما يفعله الأمراء، فإن قلة قليلة منهم هم الذين يستحقون البقاء فى مناصبهم فى الوقت الراهن، إذا ما تأكدنا أن دستورنا الحالى مؤسس من حيث التنظير والتطبيق على ما تم وضعه فى الماضى (أى فى أيام الجهاد). ونحن إذا ما نحينا جانبًا الحكومة الحالية، لا نجد فى أى مكان من أماكن الدنيا كلها، رجلاً ضريرًا يقود المبصرين، فالأعور يسخر من العميان، والجاهل يشغل منصبا محفوظًا لصاحب العلم؟ أهذا هو الذى ورثناه عن الحكم الفولانى؟ أم أنه قبل مجىء الأوروبيين كان أمراؤنا قد بدءوا يتسمون بالجهل ولا يشغلون أنفسهم بشىء سوى السلطة؟ لكن، من ذا الذى يقول إن الشيخ عثمان بن فودى وافق على أن يكون أولئك أمراء علينا؟ استنادًا إلى ما قاله وفعله الشيخ، وما تركه لنا، لا نجد من يقول لنا إن عبد الرحمن دانين كاسكو كان يصلح ليكون زعيمًا للمسلمين Sarkin musulmi. تلك كانت عصور مظلمة، تلك الأيام التى انهزم الأمراء الفولانيون خلالها أمام رغبات قلوبهم، إلى حد أصبح صعبًا معه تمييز هؤلاء الأمراء عن أمراء حاب Habe الذين أبعدوهم عن مناصبهم، أم أنهم كانوا أسوأ حالاً منهم. إذا ما سلمنا بأننا يجرى حكمنا طبقًا لموروث أمراء حاب Habe، وأرجو ألا نخدع أنفسنا.

في أيامنا هذه، كيف يمكن القول: إن الزعيم لا يرى ذلك الذى يجرى تحت قدميه؟ إذا ما قلنا إن هذا هو الزمن المسيحى (أو بالأحرى زمن النصارى) فلماذا لم يُجْبَرُ الحكام على معرفة نظام الحكم الحديث؟ كل ما تَرونه هو الإتيان برجل عجوز جاهل إلى المقدمة وتنصيبه حاكمًا على الناس. وإذا ما اشتكينا، قيل لنا: إن هذا هو تراثنا ولعنة الله على هذا الفكر[١].

إضفاء الشرعية على السلطة "الاستغلالية – الاستعمارية" Yan Tande يكون فى ضوء المعرفة الدينية والاستجابة للشعب وللناس. يضاف إلى ذلك أن الإشارة إلى عثمان بن فودى واستعارة الأسرة إنما هما مذكران لنا بأن تلك الفترة الباكرة (أى فى عام ١٩٤٣)" شهدت مجتمعًا لم تكن السلطة فيه تمارس من خلال إمارة بعينها وإنما كانت سلطة عثمان بن فودى التى كانت تمتد على ممتلكات عامة أوسع من هذا بكثير. هناك انتقادات كثيرة توجه إلى "الحكم الفولانى" باعتباره متعارضًا مع "الحكم عن طريق أولى العلم". وهكذا نجد أن الموقف من الحكم الاستعمارى، الذى ينظر الناس إليه على أنه يقوم فى الأساس على القوة المجردة ومبدأ فرِّق تسد، يختلف عن فكرة "العصر المسيحى" era Christian التى ينظر الناس إليها باعتبارها فكرة "حديثة"[٢].

على الرغم من تورط المستشار السياسى الرئيسى فى عملية إصلاح ثورى للسلطة الإماراتية، وعلى الرغم من قلقه بشكل خاص على تعيين أولئك الذين تلقوا تعليمًا غربيًا فهو لا يقبل التحدى الذى مفاده أن المؤسسات الأساسية جرى إفسادها على نحو يتعذر معه إصلاحها. إصرار المستشار السياسى الرئيسى على الإصلاحات القضائية فى عام ١٩٥٩، وعلى تدعيم المجتمع الشمالى الأوسع والأكبر، ليسا سوى محاولة من جانب الرجل للعودة إلى زمن الشيخ (عثمان بن فودى) يوم أن كان الناس ينظرون إلى الأمراء باعتبارهم "ملوكًا" غير مطلقين.

---

(١) "المستغلون – المستعمرون" Yan Tande. يشكرُ المؤلفُ أمين كانو لأنه سمح له بأخذ صورة ضوئية لهذه الوثيقة.

(٢) بادن Paden، المرجع السابق.

يظهر تأثير هذا التحدى من جانب أمين كانو على الأجيال الصغيرة من الشباب وبخاصة شباب "الجيل الثالث" من الموظفين المدنيين الشماليين، الذين بعد أن عادوا من الخارج بدءوا يسارعون إلى الوقوف على مشكلات منظومة السلطة المدنية فى الشمال. فى ذات الوقت، ينظر شباب الجيل الثالث إلى المستشار السياسى الرئيسى بوصفه أفضل آمال الإصلاح، نظرًا لأن هذا الرجل لديه القوة والسلطة، فضلاً عن قيام هذا الرجل بنقل كثير من سلطات الإدارة المدنية إلى المستوى الإقليمى حيث المناخ المناسب للأفكار الجديدة. هؤلاء الشماليون الشبان ينظرون إلى كل من أمين كانو وأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى باعتبارهما "مصلحين"، وفى الحراك الناتج عن ذلك يلعب كل زعيم من هذين الزعيمين الدور المنوط به.

طبيعة التحدى الذى يمثله أمين كانو فى عملية الإصلاح، ذلك التحدى الذى يكشف عن ميل ذلك الرجل إلى الدوائر الناطقة بلغة الهوسا، يؤثر بدوره على المستشار السياسى الرئيسى فى مطلع فترة الاستقلال، حيث يتزايد طلب التأثيرات الدولية على الإصلاح الإسلامى، وبخاصة عندما يقوم أمير كنو بدور دينى حاسم، بصفته "مصلحًا" داخل إطار الإخوانية التيجانية.

ومع ذلك، وحتى فى فترة ما قبل الاستقلال، وفى ظل ازدياد أهمية التأثيرات الدولية، نجد أن هذه التأثيرات الدولية نفسها أصبح لها تأثير مضاد. فقد أصبح المستشار السياسى الرئيسى "زعيمًا دوليًا" فى إطار سياق غربى، وإفريقى فضلاً أيضًا عن الإطار الإسلامى.

٦- القيم الدولية والزعامة

هذا هو المستشار السياسى الرئيسى يتولى منصب رئيس وزراء الإقليم الشمالى دون أن يكون له أى منصب سياسى وطنى. ومع ذلك، فإن طبيعة البنية الفيدرالية فى نيجيريا فى ذلك الوقت، فى ظل أقاليم شديدة القوة ووسط ضعيف،

تنطوى على دور "دولى" لكل واحد من رؤساء الوزراء المحليين. ويجرى تنسيق القسم الأكبر من عملية التنمية على المستوى الإقليمى، ومن ثم نجد الزعماء الإقليميين داخلين فى ارتباطات مع المجتمع الدولى من حيث التمويل، والتقنية، والقوى البشرية. استقلال عدد كبير من الدول الإفريقية فى عام ١٩٦٠، جرى استباقه باتصالات متزايدة بين كبار الزعماء السياسيين بغض النظر عن مستوى الحكومة. ويزداد الاتصال بالدول الإسلامية عن طريق الحج من ناحية، وعن طريق اتصالات الكمنولث من الناحية الأخرى. ترى كيف يبرز المستشار السياسى الرئيسى كزعيم دولى وسط هذه الأجواء؟

عشية الاستقلال، كان السواد الأعظم من الاتصالات النيجيرية الشمالية مع الدول الغربية متمثلاً فى بريطانيا. فقد كان قسم كبير من الاستعداد للاستقلال يصطبغ بالصبغة الاحتفائية، والطابع الاجتماعى مع مظاهر التكريم فى كل الأنحاء. فى شهر يناير من عام ١٩٦٠، نجد أن أبا بكر تافاوا باليوا كان هو النيجيرى الوحيد الذى حصل على لقب فارس (Sir). من صاحبة الجلالة فى إطار قائمة تكريمات عام الجديد. (كما جرى أيضًا تكريم السيد سى. آر. تايفن المفوض الشمالى للمهام الخاصة بهذه المناسبة). فى الشمال يجرى أيضًا تكريم شتيما كاشيم (وزير برنو) بهذ المناسبة، كما يحصل القاضى آجاى Agaie، كبير المساعدين الزراعيين فى وزارة الزراعة، على لقب بهذه المناسبة أيضًا، كما يُكرَّم أيضًا كل من يريما مصطفى Yerima Mastafa. (رئيس حى جيدام، برنو) ، والحاج محمد (الذى عين مؤخرًا وزيرا لأدماوا) وفى شهر مايو من عام ١٩٦٠، يحضر أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى حفل زواج الأميرة مارجريت من أنطونى آرمسترونج – جونز (وكان بصحبته كل من على مكمان بطا، ومحمد عبد الرازق، وجى. يو. أوهيكيرى). وعندما كان المستشار السياسى الرئيسى فى لندن تحدث فى مؤتمر صحفى وأعلن أن شمالى نيجيريا بحاجة إلى القوى البشرية المدربة، وبحاجة أيضًا إلى منح، واستثمارات وقروض. ويبدأ الرجل مفاوضات مباشرة. كان الرجل بحاجة إلى معلمين مؤهلين، وإلى مهندسين. وأطباء، وخبراء زراعيين،

وتخصصات أخرى. ويتبنى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى المشروع التعاونى المقام فى كادونا، فى مجال المنسوجات. وبرفقة كل من رئيس الوزراء، ووزير المالية الفيدرالى، ورؤساء الوزراء الإقليميين الآخرين (الدكتور إم. آى. أوكبارا okpara فى الشرق والرئيس إس. إل. أكنتولا Akintola فى الغرب) جرى التوقيع على قرض مقداره ١٢ مليون جنيه إنجليزى، كما جرى أيضا إنشاء أو تشكيل لجنة للمعونة الفنية.

هذه اجتماعات نقل السلطة مازال تجرى فى لندن، وهذا هو المستشار السياسى الرئيسى جنبًا إلى جنب مع محمد عبد الرازق، وعلى مكمان بطا، والسيد جى يو. أوهكير Ohikere، ومحمد ريبادو، وآبا جانا (المفوض الشمالى)، والحاج عبد الملك (المفوض الفيدرالى) كلهم يشاركون فى المفاوضات النهائية. ومن بين الأشياء الأخرى، يتفق الجميع على عدم إنشاء قواعد عسكرية فى نيجيريا. ويتعين على بريطانيا المساهمة فى تدريب الأفراد العسكريين النيجيريين. وفى شهر يونيو، يتوقف المستشار السياسى الرئيسى مرة ثانية فى لندن وذلك لاستعراض القوات النيجيرية فى الدورى الملكى، قبل أن يقوم الرجل بزيارته الأولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كان المستشار السياسى الرئيسى قد أصبح متحدثًا رسميًا باسم الإقليم الشمالى فى المسائل المتعلقة بالسياسة الخارجية الفرنسية، نظرًا لأن هذه السياسة كانت تمس الشمال بصورة مباشرة. وفى شهر أغسطس من عام ١٩٥٩، يقوم المستشار السياسى الرئيسى ومعه الأمير السنوسى بزيارة إلى باريس استمرت أيامًا عدة أمضياها فى المفاوضات. ومن بين الأشياء الأخرى يقوم المستشار السياسى الرئيسى بمناقشة إمكانية إنتاج السيارات الفرنسية فى الشمال، وذلك بالتعاون مع رأس المال الوطنى. ويزور الرجل مصنع سيارات سمكا Simca كما يزور أيضًا بعض الشركات الفرنسية الأخرى التى لها مصالح فى شمالى نيجيريا بما فى ذلك شركة CFAO. ويؤكد رئيس الوزراء للشركات أن رأس المال الأجنبى آمن فى

شمالى نيجيريا. كما يلتقى الرجل أيضًا كبار المسئولين فى وزارة الخارجية الفرنسية، ويحتج الرجل على التجارب الذرية الفرنسية التى تجرى على القنبلة الذرية الفرنسية فى الصحراء، ويبلغ الفرنسيين أن ذلك أمر لا يطاق. (ويشكو الرجل بعد ذلك شكوى مريرة من أن البريطانيين لم يمارسوا أية ضغوط على الفرنسيين لوقف هذه التجارب) وفى شهر إبريل من عام ١٩٦٠ وبعد إجراء التجارب، يقدم المستشار السياسى الرئيسى تقريرًا إلى الجمعية العمومية فى الشمال يقول فيه: "لم نكن وحدنا الذين تقدموا بالاحتجاج... والذى لا شك فيه أن فرنسا كانت على علم تمامًا باستثارة المشاعر التى حدثت فى سائر أنحاء إفريقيا والعالم. ونظرًا لعدم جدوى احتجاجاتنا، فإننا يتعين علينا النظر فيما يمكن أن نفعله، وأن يبدأ ذلك برفضنا واستيائنا من هذه التجارب، ثانيًا، يجب أن نحاول التأكد من عدم إجراء المزيد من هذه التجارب فى الصحراء الكبرى"(١).

يجرى فى شهر مارس من عام ١٩٥٩ افتتاح أول قنصلية أمريكية فى كادونا. كانت تلك القنصلية خاصة بمنح التأشيرات للطلبة النيجيريين الذين يدرسون فى الولايات المتحدة، وتحسين التجارة وفرص الاستثمار، والموضوعات الخاصة بالتعاون الفنى. فى شهر يوليو من عام ١٩٦٠ يقوم المستشار السياسى الرئيسى بصحبة كل من الأمير السنوسى، وإبراهيم موسى جشاش، وعيسى كيتا، وجى. يو. أوهكير بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية. ويلتقى المستشار السياسى الرئيسى ومعه السواد الأعظم من الآخرين، وهم مرتدون "اللباس الوطنى" (أى الثوب والعمامة) بمقابلة كبار المسئولين فى الحكومة، وفى دوائر المال والأعمال، وفى مجال التعليم أيضًا. ويقومون أيضًا بزيارة برامج المساعدة الفنية فى واشنطن، كما يزورون أيضًا الأمم المتحدة فى نيويورك، حيث يحتفى بهم داج همرشولد، السكرتير عام للأمم المتحدة. ويطير المستشار السياسى الرئيسى هو ومن معه إلى

---

(١) راجع جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٠ أبريل من عام ١٩٦٠ ص ١. مقال بعنوان "حديث الأعضاء عن تجارب الصحراء".

لوس أنجيلوس، حيث تفقدوا مصنع الطائرات؛ ثم يواصلون رحلتهم إلى سان فرانسسكو للاطلاع على مشروعات الرى والزراعة. ويطيرون بعد ذلك إلى شيكاغو لزيارة مصانع تعبئة اللحوم وجامعة الشمال الغربى. فى شيكاغو يلقى المستشار السياسى الرئيسى خطابًا رئيسيًا يدعو فيه إلى الاستثمار والمساعدة فى الاقتصاد الزراعى الشمالى. ويطير الوفد بعد ذلك لزيارة هيئة الوادى، الخاصة بإمدادات الطاقة، والمحافظة على المياه، والتحكم فى الفيضانات. ثم يطير الوفد بعد ذلك إلى بوسطن لزيارة جامعة بوسطن وجامعة هارفارد. ويقوم الوفد أيضًا بزيارة أوتاوا Ottawa، وكندا. وطوال هذه الجولة نجد المستشار السياسى الرئيسى يؤكد على أنه "ليس هناك طلبًا للاستجداء. لم نجئ إلى هنا لكى نركع طلبًا لهذا أو ذاك. إن ما فعلناه هو تعبير عن رغباتنا واحتياجاتنا ليس إلا"(١).

إذا ما نحينا جانبًا اتصالات المستشار السياسى الرئيسى المباشرة مع الدول الغربية، فسنجده أيضا يبدأ فى إقامة اتصالات مع دول إفريقية أخرى. ونجد تواتر هذه العملية يزداد بشكل كبير بعد الحصول على الاستقلال. ويوفد المستشار السياسى الرئيسى ممثله إلى دول عدة فى غرب إفريقيا، كانت هى الأخرى تمضى على طريق تحررها، (فى هذا الإطار نجد على رئيس شرطة سكتو، والشيخ عثمان، وجلاديمان ماسكا Galadiman Masak، يزورون نيامى فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٩ نيابة عن المستشار السياسى الرئيسى). وتعد الزيارة الودية التى قام بها الدكتور نيكروما إلى كادونا، وكذلك الزيارة التى قام بها المستشار السياسى الرئيسى إلى غانا بمثابة حدث كبير من أحداث عام ١٩٥٩. وفى شهر يناير من عام ١٩٥٩ يأتى الدكتور نيكروما إلى كادونا، حيث قام المستشار السياسى الرئيسى بتحيته على أنه واحد من أبناء إفريقيا العظماء، وأنه قاد شعبه إلى الحرية والاستقلال. ويستطرد المستشار السياسى قائلا:

---

(١) المواطن النيجيرى، بتاريخ ٣ أغسطس من عام ١٩٦٠، ص ١. مقال بعنوان "لسنا هنا طلبا للاستجداء"، المستشار السياسى الرئيسى يقوله فى أحد الاجتماعات للمراسلين الصحافيين.

مع ذلك كان الرجل (نيكروما) صاحب عقل راجح عندما أدرك أنه عندما فعل ذلك لم يكن هناك داع لتبرير قطع روابط الصداقة المتينة التى بين الشعب البريطانى والكمنولث.. لقد شهدت بلادنا ظهور غانا باهتمام وارتياح عميقين. نحن أمة أصغر سنا من أمتكم، ونحن نسير على الطريق نفسه، الذى تسيرون عليه بالفعل يا سيادة رئيس الوزراء. ولكن على الرغم من الحقيقة التى مفادها أننا نكبر ببطء فإن بلادنا، وبخاصة إقليمنا، لها منذ زمن طويل اهتمامات مشتركة مع بلدكم. لنا علاقات تجارية مع شعب غانا قبل مجىء البريطانيين بأجيال كثيرة وقبل أن يعلمونا أن نكون أمة واحدة. وقد اجتاز تجارنا هذه الطرق وعبروها وهم يحملون معهم بضاعتهم إلى ما كان يعرف فى ذلك الزمان باسم جوانجا Gwanja وكانوا يعودون إلينا بثمار الكولا.. منزلى الخاص فى سكتو يقع بالقرب من الطرق التجارية المؤدية إلى أكرا.. هناك آلاف مؤلفة من الهوسا ومن أعراق شمالية أخرى؛ يعيشون ويعملون فى أمن وأمان فى ظل حكومتكم(١).

الواضح أن إحساس المستشار السياسى الرئيسى بالاستمرارية التاريخية ووعيه لها هو الذى يجعله يفكر فى إطار منطقة غرب إفريقية أوسع وأرحب من الناحية الاقتصادية، وأن هذه المنطقة تقوم فى الأساس على قرون من التعاون، والتجارة والأخذ والعطاء. وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٥٩ يقوم المستشار السياسى الرئيسى بزيارة غير رسمية مدتها خمسة أيام إلى غانا، وبصحبته كل من

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٣١ يناير عام ١٩٥٩، الصفحة ١ "فلندعم ونؤيد مفهوم الوحدة الافريقية العظيم"، الدكتور نيكروما يقول.

عيسى كيتا، وإبراهيم موسى جشاش، وميخائيل أودو بوبا Buba، والشيخ عثمان، وإبراهيم بيو Biu. ومن بين الأشياء الأخرى التى قام بها المستشار السياسى الرئيسى، تلك الزيارة التى قام بها الرجل إلى المجتمعات النيجيرية الشمالية فى غانا.

فى شهر أبريل من عام ١٩٦٠ يعلن المستشار السياسى الرئيسى أمام الجمعية العمومية أن البيض من جنوب إفريقيا، رجالاً ونساء لن يجرى استخدامهم فى الإقليم الشمالى بعد اليوم. ويعرب الرجل عن فزعه من التطورات الأخيرة التى وقعت فى جنوب إفريقيا، ويعرب أيضًا عن رفضه التام للسياسات العرقية التى تنتهجها حكومة جنوب إفريقيا. ويطالب الرجل باتخاذ إجراءات حاسمة وحازمة، بما فى ذلك المقاطعة التجارية، ويستحث الرجل رؤساء وزراء دول الكمنولث على جعل هذه المسألة تحظى بالأولوية الأولى. ويضيف المستشار السياسى الرئيسى قائلاً: "ومع ذلك، وفى الوقت ذاته، فإن المشاعر فى هذا الإقليم (الشمالى) توضح مدى الفزع والرعب الذى أصاب الناس هنا جراء حوادث إطلاق النار، ومشاعر الاستياء من السياسة العنصرية فى جنوب إفريقيا، وهذا كله ينبغى أن يكون معروفا لدول الكمنولث وللعالم كله. وأنا هنا أود التأكيد أمام الجمعية العمومية أن حكومتى على استعداد لاتخاذ أقسى الإجراءات تأييدا للحكومة الفيدرالية فى هذا الموضوع"(١).

فى الفصل السادس عشر سيجرى تناول مسألة علاقات المستشار السياسى الرئيسى بالدول الإسلامية بالمزيد من التفصيل. على كل حال، هناك حادث وقع عشية الاستقلال؛ هذا الحادث يوضح بدقة نظرة المستشار السياسى الرئيسى إلى مشكلات الشرق الأوسط. فى شهر يونيو من عام ١٩٦٠، نجد الرئيس فستوس أوكوناى إيبوه Chief Festus Okotie - Eboh، وزير المالية الفيدرالى يبرم اتفاقا للمعونة الاقتصادية مع الحكومة الإسرائيلية. ونظرا لأن حزب المؤتمر الشعبى

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى. بتاريخ ١٦ أبريل من عام ١٩٦٠، ص ١. مقال بعنوان: "لا عمل بعد اليوم للأفارقة الجنوبيين البيض. فى الشمال".

الإفريقى كان داخلا فى تحالف مع حزب المؤتمر الشمالى الدستورى الجديد، فقد ترتب على ذلك حدوث خلاف إقليمى فى الرأى حول هذه المسالة، وقد أسفر ذلك الخلاف فى الرأى عن نقاش حام فى الصحافة. ومعروف أن المستشار السياسى الرئيسى كان يعارض الحصول على أية مساعدة من إسرائيل. وهنا تقوم الحكومة الإقليمية فى الشمال بإصدار بيان تتحلل فيه من مسألة القرض الإسرائيلى-النيجيرى، أو بالأحرى اتفاقية الائتمان التصديرى، كما يوضح البيان أن الحكومة الشمالية لا ترغب ولا تود قبول أى جزء من هذا القرض أو تسهيلات التصدير. وترى الحكومة الإقليمية أن قبول مثل هذا القرض أو تسهيلات التصدير سوف ينظر إليه على أنه تورط فى الجدل الدائر فى الشرق الأوسط(١).

من هنا، وفى عشية الاستقلال، بدأت تظهر على السطح تلك المشكلة الكبيرة الخاصة بدور الحكومات الإقليمية فى العلاقات الدولية. كل إقليم من الأقاليم له تمثيل فى الخارج، وهذا التمثيل خاص بالمساعدات التنموية، ومن خلال هذه العملية يبدأ ذلك التمثيل فى التأكيد على دور الزعامة الإقليمية فى المجال الدولى. من الناحية الفنية، كانت العلاقات الخارجية كلها، فى ذلك الوقت تابعة لمكتب رئيس الوزراء؛ ومن الناحية العملية، كان المستشار السياسى الرئيسى ينهى إجراءات سفره كلها من مكتب رئيس الوزراء. ومسألة أن رئيس الوزراء هو نائب الرئيس العام لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وأن المستشار السياسى الرئيسى هو الذى يشغل منصب الرئيس عام، إضافة إلى الطابع الغليظ لأسلوب المستشار السياسى الرئيسى، كل ذلك ينقل إلى المجتمع الدولى ذلك المعنى الذى مفاده أن المستشار السياسى الرئيسى يتعين اعتباره متحدثًا رسميًا مهمًا من نيجيريا. موقف هذا الرجل المتعاون من الاستثمار الغربى ومن المساعدة الفنية الغربية، وإحساسه بمغزى مجموعة اقتصادية إفريقية غربية أكبر وأوسع، وموقفه المتشدد مع كل من جنوب إفريقيا وإسرائيل، والتجارب الذرية الفرنسية، كل ذلك كان له تأثير تراكمى على مفاهيم السياسة النيجيرية الخارجية، حتى فى فترة ما قبل الاستقلال. وتأسيسًا

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ٢٢ يونيو من عام ١٩٦٠، ص ١. مقال بعنوان: "الحكومة تعترض على صفقة القرض الإسرائيلى".

على ذلك يتحول المستشار السياسى الرئيسى إلى زعيم دولى أصبح لقيمه وسياساته وزنها على الرغم من أن هذه القيم والسياسات لم تكن "رسمية" على المستوى الفيدرالى.

٧ـ الشخصية، والقيم، والقيادة:

هل حدثت تطورات فى شخصية المستشار السياسى الرئيسى، فى الفترة ما بين عام ١٩٤٩ والعام ١٩٦٠؟ هل يكشف السياق المتغير عن جوانب جديدة فى شخصية هذا الرجل؟ هل تؤثر مطالب حياته العامة على حياته الشخصية؟ إعمال الفكر فى هذه المسائل من قبيل الفرضيات المؤقتة. ومن الأهمية بمكان فى هذا الصدد ملاحظة ذلك الذى يتغير وذلك الذى لا يتغير، وذلك على المستوى القيمى الواضح، وعلى مستوى الأسلوب والعلاقات الاجتماعية. فى اليوم الأول من شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠، يصبح المستشار السياسى الرئيسى شخصية من الشخصيات بالغة الأهمية والقوة فى الإطارين الشمالى والنيجيرى.

على المستوى الشخصى نجد المستشار السياسى الرئيسى يقرر المحافظة على النمط العائلى التقليدى فى زيجاته كلها. مسألة زواجه من رقية عطا، شقيقة الدكتور عطا وابنه عطا الإجبيرى، تسببت فى كثير من التكهنات فى فترة أعياد الميلاد فى عام ١٩٥٦ – ١٩٥٧. كانت هذه الزوجة ممن تلقين تعليمًا غربيًا، كما كانت امرأة حديثة أيضًا. وقد وصلت أخبار هذه الزيجة إلى الأمير السنوسى، الذى أحس أن ذلك يمكن أن يتسبب فى ثورة فى الشمال، ولذلك عجَّل الرجل بنقل رقية إلى ميوبى وبذلك يكون الموضوع قد انتهى. هذا يعنى أن المستشار السياسى الرئيسى بدأ يخرج من قوقعته. لم تكن رقية امرأة محجبة. وقد تزوجت من بطرس سكوت فى فترة لاحقة، هذا الرجل كان سكرتيرًا لوزارة المالية، هذه الزيجة لم ينتج عنها أطفال. ويتوفى بطرس فى عام ١٩٦٣. وتنتقل رقية بعد ذلك إلى لندن[١].

(١) مقابلة شخصية مع أمين سنوسى، فى اليوم الخامس من سبتمبر من عام ١٩٨٣ فى كادونا. استنادا إلى ما قالته رقية. كانت الكنية التى أطلقها عليها المستشار السياسى الرئيسى هى "السلوك الغريب" (مقابلة شخصية مع رقية عطا، فى ٣٠ مايو من عام ١٩٨٥، ليجوس).

خاصية أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، الذاتية، فى تلك الفترة، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتغييره لاسمه وازدياد ارتباطه بتراث محمد بللو. هذا التحول يتعزز تمامًا بفعل البيئة الخارجية لأحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى. فى سكتو، على سبيل المثال، نجد أن ترشيح أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى لتولى السلطنة، إذا ما حدث ذلك، هو الذى يشجع الرجل على تقوية روابطه مع اللقب بللو (باعتبار هذا اللقب مميزًا وواضحًا عن لقب العتيق The Atiku) والسلالة نفسها من حيث تسلسلها بدءًا بالشيخ عثمان (بن فودى). معروف أن رمزية الارتباط بفترة الجهاد تساعد فى الإطار السياسى الشمالى على تدعيم الولاء والإخلاص لمن يتمتع بمثل هذه الصلة. كان بوسع أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، أن يصل هذه الرابطة بصورة مباشرة بالشيخ عثمان (بن فودى)، ولكن ربط هذه الصلة بمحمد بللو، وريث الشيخ عثمان و"مدعِّم المجتمع" يضفى على هذه الصلة رمزية أقوى وأنسب. يضاف إلى ذلك أن المسرح الدولى يشجع أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، على ارتباطه بالموروث الإسلامى الأساسى فى نيجيريا.

استنادًا إلى أقوال عيسى كيتا، فإن تغيير الاسم حدث بصورة متدرجة بعد عام ١٩٥٥ – ١٩٥٦، وكان ذلك مع مطلع رحلات الحج الأولى، التى كان لها تأثير كبير على أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى. كان جنكيطى Jankidi يتغنى ببعض الأغانى التى ترد سلالة أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، النسبية بدءًا من النبى محمد إلى محمد بللو ثم إلى أحمد رباح. تغيير الاسم هذا حدث فى كادونا. لم يكن القصد من ذلك هو مجرد إيجاد رابطة مع محمد بللو، وإنما المسألة كلها تتعلق بالعلاقات الفكاهية بين فرع العتيق من الأسرة. وفرع بللو من الأسرة نفسها، نظرًا لأن هذين الفرعين كانا يتنافسان على منصب السلطنة. يضاف إلى ذلك أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان فى عام ١٩٥٨ – ١٩٥٩ يبحث عن أساليب يمكن أن يُكرِّم بها المستشار السياسى الرئيسى. كانوا يودون بناء مسجد لتخليد اسم الرجل. وفى الوقت ذاته تأخذ الكلية النيجيرية للآداب والعلوم فى التحول التدريجى إلى جامعة يطلق عليها اسم "أحمد بللو". وافق الجميع على ذلك.

ولكن ميخائيل أودو بوبا Buba اقترح بناء استاد فى كادونا على أن يطلق عليه اسم "استاد أحمد بللو". هذا يعنى أن المستشار السياسى الرئيسى كان قد بدأ بالفعل استعمال الاسم "بللو" فى توقيعه(١).

فى الفترة ما بين عام ١٩٥٤ والعام ١٩٦٠ يمتلئ "ملف" رئيس الوزراء "الشخصى" بالملاحظات والمذكرات التى تتناول مختلف أشكال المساعدات التى يقدمها الرجل للناس، وذلك بعيدًا عن الأعمال التى تقوم بها الحكومة(٢). يتخذ الرجل ترتيبات استيراد سيارة أمريكية لسلطان سكتو. ويرتب أيضًا لاستيراد بعض المسدسات الخاصة به هو شخصيًا، ومكمان بطا، ويحيى مدواكن الآلورى، وبطرس أشيموجو، وأبو بكر تافاوا باليوا، ومحمد ربيادو، وشتيما كاشيم. (يصبح المستشار السياسى الرئيسى عضوا فى نادى الرماية فى كادونا، ويثبت أنه من الرماة المهرة) فى كل هذه المعاملات نجد اهتمامًا مشوبًا بالشك فى كل ما يتعلق بالمدفوعات والإيصالات. وهنا تصبح مهمة المستشار السياسى الرئيسى كما لو كان وسيطًا بين عالم المال والأعمال على المستوى الدولى والسياسة، وكذلك الدوائر المحلية. ويقوم الرجل بدفع الجمارك عن الأشياء المستوردة، على الرغم من أن بند "الهدايا غير المعفاة" الذى طبقه مسئولو الجمارك كان يقضى بأن يدفع الرجل الجمارك كاملة.

هذا هو المستشار السياسى الرئيسى يستقبل أعدادًا كبيرة من الشخصيات النيجيرية الكبيرة ومن الشخصيات الأجنبية أيضًا، وهو أيضًا الذى يساعد على إعداد جداول زيارة هذه الشخصيات للشمال. وهذا هو أوبا oba ليجوس (أليلوا Alaiyeluwa أدنيى Adeniyi أديل Adele الثانى II) يصبح واحدًا من الأصدقاء المقربين بل ومن بين الزائرين المقربين أيضا إلى أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، ويقوم أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى بعمل الترتيبات اللازمة حتى يتمكن ذلك الأوبا من حضور صلاة الجمعة والمشاركة فيها.

---

(١) كيتا، عيسى. المرجع السابق.

(٢) أرشيف كادونا الخاص برئيس الوزراء، المجموعة الثانية – المجلد الثانى "ملف المستشار السياسى الرئيسى الشخصى".

على المستوى الشخصى أيضًا، نجد المستشار السياسى الرئيسى يواصل قيامه بزيارة مقابر أسلافه بين الحين والآخر فى سكتو: فهو يزور والده فى رباح، وقبر جده (أبو بكر عتيق) كما يزور أيضًا قبر محمد بللو فى ورنو، ويزور قبر عبد الله فى جواندو، ويزور أيضًا قبر الشيخ (عثمان بن فودى) وآخرين فى سكتو. وعلى الرغم من أن توحد هذا الرجل مع مقابر أسلافه يغلب عليه تأكيد شرعيته وسلالته النسبية، فليس هناك من شك أن هذه الزيارات تعد أمورًا شديدة الخصوصية عند أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى، يضاف إلى ذلك أن الرجل يجد شيئًا من السلوى والعزاء والإلهام فى تلك الزيارات[1].

مسألة ما إذا كان "المعلمون المحليون" قد بدءوا يؤثرون على منظور أو بالأحرى آراء أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، فى ذلك الوقت، أمر تدور من حوله الشكوك والتكهنات. جدير بالذكر هنا أن نقول إن "الرجم بالغيب" أبلغه

---

(١) استنادًا إلى ما يقوله عبده جوساو، فإنه مع بداية عام ١٩٥٩، يستهل المستشار السياسى الرئيسى عمله ببذل جهد مضن لاستعادة المقابر ذات الصلة بخلافة سكتو. وكانت أول المهام التى كلف بها عبده جوساو هى إعادة بناء قبر الشيخ (عثمان بن فودى) فى عام ١٩٥٩. كما طلب منه أيضًا إعادة بناء قبر محمد بللو فى ورنو (فى عام ١٩٥٩ – ٦٠)، وإعادة بناء قبر عبد الله فى جواندو (فى عام ١٩٦٠ – ٦١). (وجرى ترك المقابر على حالها الأصلى. لكن أعيد بناء الجدار الداخلى والخارجى للقبر. هذه المقابر عبارة عن مساحات بسيطة جدًا من الرمل الناعم، ولكل منها حافة مرتفعة ارتفاعًا قليلاً، وبيضاء اللون) بعد ذلك وفى عام ١٩٦٢ – ٦٣، يشرع المستشار السياسى الرئيسى فى بناء مجموعة من المساجد فى جواندو، وورنو، ورباح. إضافة إلى بعض المدن الأخرى التى اختارها المستشار السياسى الرئيسى. ومنها أرجونجو، وتودان مرافا، وبنجودو، وجوساو، وكوتوركوشى، وشيف، ودنجى، وجابو، وسيفاوا، وكوارى، وباكورا، وشونى، إضافة إلى مسجدين صغيرين فى سكتو أحدهما بالقرب من بيت ضيافته (مضيفته فى كوفار مارك، والثانى بالقرب من مركز الشرطة. ثم جرى بعد ذلك بناء عشرين مسجد آخر من هذا القبيل. يضاف إلى ذلك، أن التخطيط لبناء مسجد يحمل اسم السلطان بللو فى سكتو، ومسجد يحمل اسم الشيخ (عثمان بن فودى) فى سكتو، جرى تصميمهما بواسطة مهندس من الوزارة، هذان المسجدان يكفلهما المستشار السياسى الرئيسى خلال الفترة من ١٩٦٠ – ٦١. (مقابلة شخصية، مع عبده جوساو، بتاريخ ١١ مايو من عام ١٩٨٥، فى سكتو).

أنه لن يكون سلطانًا لسكتو. يضاف إلى ذلك أن "حماية" وصلوات هؤلاء المعلمين تدعم وتقوى شجاعة أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، فى التعامل مع مهام الحياة السياسية الكثيرة والصعبة. وعند مرحلة معينة، أو بالأحرى فى أواخر خمسينيات القرن العشرين أو مطلع ستينيات القرن نفسه، ذاع أن واحدًا ممن يرجمون بالغيب قال لأحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى أنه لن يعيش عمرًا أطول من عمر محمد بللو الذى توفى وهو فى سن السادسة والخمسين. يحدث فى هذه الفترة التغيير الرسمى فى تاريخ ميلاد المستشار السياسى الرئيسى، من يونيو ١٩٠٩ إلى ١٩١٠. ونحن إن قدر لنا تصديق أولئك المعلمين الذين يرجمون بالغيب، وإن قدر لنا أيضًا تصديق مولد أحمد بللو فى شهر يونيو من عام ١٩٠٩، وإذا كان محمد بللو قد مات فى سن السادسة والخمسين، فذلك يعنى أن الفكرة التى استقرت فى ذهن المستشار السياسى الرئيسى مفادها أنه لن يبقى على قيد الحياة بعد عام ١٩٦٦. وفى الفترة ما بين عام ١٩٤٩ والعام ١٩٦٠، كان أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، ضمن الشريحة السنية ٤٠ – ٥٠ عامًا، وأنه كان فى ريعان قوته البدنية والذهنية. هذا يعنى أن قوة الرجل وتحمله كانا هائلين.

تناولنا الأدوار الشعبية المركبة التى لعبها أحمد بللو المستشار السياسى الرئيسى فى خمسينيات القرن العشرين ضمن الفصول المختلفة من هذا الكتاب. كان هم الرجل الأول هو "الأشملة". هذه الأشملة لها نتائجها العملية فى إستراتيجية التنمية التى ينتهجها هذا الرجل. هذه الأشملة لها تأثيرها أيضًا على مدى احتياج الرجل إلى تدعيم مجتمع الشمال. يضاف إلى ذلك أن نجاح الرجل فى "لعبة السياسة" يرجع من ناحية إلى قدرة هذا الرجل على تجميع "جبهة موحدة" والمحافظة على هذه الجبهة فى الشمال. يزاد على ذلك أن السواد الأعظم من مقاطعات الشمال ترتبط بموروث خلافة سكتو، لكن هناك كثير من التيارات المتعارضة. هذا التحدى القائم على مسألة إشراك برنو والحزام الأوسط هو بحد ذاته أمر فظيع. إستراتيجية أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، تقوم على الاعتماد على الزعماء التقليديين، مع الاحتفاظ فى ذات الوقت بولاء الجيل الأصغر من أولئك المحترفين الذين تلقوا تعليمًا غربيًا. كما نجد أيضًا مهارات الرجل فى الإدارة وفى الحكم تتجلى فى المجالات كلها بدءًا من برامج الصدام فى التعليم إلى التعقيدات اللوجستية فى عملية الحج.

أسلوب الرجل يعتمد على العمل والحركة. والرجل يستشعر أهمية الوقت ولابد من استغلال كل دقيقة من دقائق هذا الوقت. "مختصرات" أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، تعكس دومًا سباق هذا الرجل مع الزمن. الشمال هو أسرة أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، وهو يتعين عليه وضع أسرته على الطريق الصحيح حتى يمكن لها أن تلعب دورها الصحيح فى إطار الاتحاد وعلى النطاق العالمى الكبير. يضاف إلى ذلك أن الرجل سعى إلى تغيير وتبديل "إقليم حراس الليل والمراسلين" الذى ورثه وآل إليه.

فى اليوم الأول من شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠، نجد السير أحمد بللو، مستشار سكتو السياسى الرئيسى، ورئيس وزراء شمالى نيجيريا يرحب بالاستقلال ويصلى من أجل السلام.

> **"حصولنا على استقلالنا الوطنى هو أهم الأحداث التى وقعت فى التاريخ السياسى لهذا البلد. أنا أسعد السعداء، وفخور أشد الفخر شأنى شأن أى نيجيرى آخر، أنا سعيد لأننا وصلنا إلى هذا الحال بسلام وأمان، وآمل أن يظل السلام مخيمًا على حياة أمتنا المستقلة. إن ما حققناه اليوم هو نتيجة الجهود المشتركة والتعاون المشترك بين شعوب هذا البلد. وأنا هنا أرسل بخالص تحياتى وتمنياتى القلبية إلى كل إخوانى النيجيريين. ونحن نطلب العون من الله وأن يزيد من تصميمنا على خدمة أمتنا حتى نتمكن من إنجاح استقلالنا"(١).**

ويبرق الرجل لرجال المعارضة مهنئًا إياهم، ثم يسافر إلى ليجوس لحضور احتفالات الاستقلال. بعد أن ولدت أكبر الأمم الإفريقية.

---

(١) جريدة المواطن النيجيرى، بتاريخ ١ أكتوبر من عام ١٩٦٠، ص ٣. مقال بعنوان: "المستشار السياسى الرئيسى يقول: هذه هى أهم المناسبات".

المؤلف فى سطور:

جـــــون بـــادن

أستاذ الدراسات الدولية والعلوم السياسية فى جامعة الشمال الغربى Northwestern. وهو أيضا مـــدير لبرنامـــج Occidental (فى لوس أنجيلـــوس)، حصل على درجة الماجستير من جامعة أكسفورد، أما درجة الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة هارفارد. عمل الرجل أستاذا، فى معهد الإدارة بجامعة أحمد بللو، كما كان أيضا أول عميد لكلية العلوم الاجتماعية والإدارية، فى جامعة بايرو Bayero، بمدينة كنو Kono. وهو أيضا باحث شرفى فى معهـــد الإدارة. ألف الرجل، وشارك أيضا فى تأليف كتب كثيرة منها: "الدين والثقافة السياسية فى كنو"، و"التجربة الإفريقية" (أربعة أجزاء)، و"إفريقيا السوداء: دليل مقارن للقيم والكيانات"، "والتكامل الوطنى: البحث التجريبى فى إفريقيا".

المترجم فى سطور:

صبرى محمد حسن

- أستاذ اللغويات غير المتفرغ، له أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً نشرت فى المجالات والصحف العربية منها:
- مجلة الفيصل، ومجة كلية الملك عبد العزيز الحربية والمجلة العربية: الرياض – المملكة العربية السعودية. ومجلة الهلال: القاهرة – جمهورية مصر العربية.

ترجم العديد من الكتب إلى العربية منها:

١- التفكيكية: النظرية والممارسات، تأليف: كرسيتوفرنوريس، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢- الشاعر والشكل، تأليف جدسون جيروم – دار المريخ.

٣- الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجهان لوجه – دار المريخ.

٤- الأطفال والمخدرات – دار المريخ.

٥- المعطف المشاكس – دار آفاق الإبداع العالمية – الرياض.

٦- عمل الفريق الفعال – دار آفاق الإبداع العالمية – الرياض.

٧- هارون الرشيد، تأليف: فليبى – دار الهلال.

٨- الكوكائين والمراهقين – دار الهلال.

٩- بنات مدمنى ومدمنات المسكرات – المركز القومى للترجمة.

١٠- حلم ليلة أفريقية - رواية - دار الهلال.

١١- سبعة أنماط من الغموض، تأليف: وليم أمبسون - المشروع القومى للترجمة.

١٢- وسط الجزيرة العربية وشرقها، تأليف: بالجريف (جزآن) - المشروع القومى للترجمة.

١٣- حركات التحرر الأفريقى، تأليف: ريتشارد جبسون - المشروع القومى للترجمة.

١٤- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان - المشروع القومى للترجمة.

١٥- قلب الجزيرة العربية (جزآن) - المشروع القومى للترجمة.

١٦- سيرتى الذاتية، تأليف: أحمد بللو - المشروع القومى للترجمة.

١٧- سكين واحد لكل رجل - رواية - المشروع القومى للترجمة.

١٨- نجوم حظر التجوال الجدد - رواية - المشروع القومى للترجمة.

١٩- المهمة الاستوائية تأليف: آن بلنت - رواية - المشروع القومى للترجمة.

التصحيح اللغوى: أشرف عويس
الإشراف الفـــنى: حســــن كامل